جامعة المنصورة

كلية الآداب

قسم التاريخ

الحياة العلمية في اليمن

من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها

(٨٠١ - ٩٤٥هـ / ١٣٩٧- ١٥٣٨م)

رسالة مقدمة من الطالب

عبدالغني علي علي عائض الأهجري

المدرس المساعد بقسم التاريخ بكلية التربية - جامعة صنعاء

لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد عيسى صابر الحريري

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

وعميد كلية الآداب (سابقاً) - جامعة المنصورة

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



جامعة المنصورة

كلية الآداب

قسم التاريخ

صفحة المشرفين ومساعديهم

عنوان الرسالة : الحياة العلمية فى اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها

(٨٠١ – ٩٤٥ هـ / ١٣٩٧ – ١٥٣٨ م)

اسم الباحـــث : عبد الغني على على عائض الأهجري

تحت إشـراف :

م	الاسم	الوظيفة	التوقيع
١	أ.د/ محمد عيسى الحريري	أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المتفرغ – كلية الآداب – جامعة المنصورة	

رئيس قسم التاريخ

أ.د/ رضا عبدالجواد رسلان

وكيل الكلية للدراسات العليا

أ.د / احمد فتحي شتا

عميد الكلية

أ.د / فاروق السعيد جبريل

جامعة المنصورة

كلية الآداب

قسم التاريخ



لجنة المناقشة و الحكم

الطالب : عبد الغنى على على عائض الاهجرى

رسالة بعنوان / الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها

(٨٠٠-٩٤٥هـ /١٣٩٧-١٥٣٨م)

لجنة الإشراف

م	الاسم	الوظيفة	التوقيع
١	أ.د/ محمد عيسى الحريري	الأستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ كلية الآداب جامعة المنصورة	

لجنة المناقشة و الحكم:

م	الاسم	الوظيفة	التوقيع
١	أ.د / زبيدة محمد عطا	أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ بكلية الآداب جامعة حلوان رئيسا	زبيدة عطا
٢	أ.د/ محمد عيسى الحريري	الأستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ كلية الآداب جامعة المنصورة مشرفا	
٣	أ.د./محمد عبد الله النقيرة	الأستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المتفرغ كلية الآداب جامعة الزقازيق عضوا	

تاريخ المناقشة ٢٠٠٨/٥/٣

تقدير الرسالة:

رئيس القسم — د/

وكيل الكلية للدراسات العليا — أ.د/ أحمد فتحي شنا

عميد الكلية — أ.د/فاروق السعيد جبريل

اتحاد الجامعات العربية

الجامعة الاردنية / مركز صندوق ايداع الرسائل الجامعية

نموذج تفويض

أنا عبدالغني علي علي الأحجري

أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي / أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الجهات أو الاشخاص عند الطلب .

التوقيع :

التاريخ : ١١/٦/٢٠٠٨م

Association of Arab universities (AArU)

The University of Jordan

Authorization form

I Abdul-Ghani Ali Ali Al-Ahjury

Authorize the University of Jordan to supply copies of my thesis / dissertation to libraries or establishments or individual on request.

Signature:

Date : 11-6-2008

بسم الله الرحمن الرحيم

"وجئتك من سبأ بنبأ يقين"

"قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين"

يجدر بي أن أستهل هذه الدراسة بأبيات القاسم بن محمد الأندلسي التي قال فيها :

يـا نـاظِراً فيما نُدِبْتُ لِجَمْعِهِ ..

اعذُرْ ، فإنَّ أخَا البَصِيْرَةِ يَعْذُرُ

واعْلَمْ بِـأنَّ المَرْءَ لـو بَلَـغَ المَـدَى ..

في العُمُرِ لاقَى المَوْتَ وهُوَ مُقَصِّرُ

فَـإِذَا ظَفِـرْتَ بِزَلَّةٍ فَافْتَحْ لَـها ..

بَابَ التَّجَاوُزِ، فالتَّجَاوُزُ أَجْدَرُ

ومِن المُحَالِ بِأَنْ تَرَى أَحَداً حَوى ..

كُنْهَ الكَمَالِ، وذا هُوَ المُتَعَذِّرُ

إهداء

إلى امرأتين لا كالنساء :

الأولـــى : محضني الأول ، ومعلمتي الرائدة ، المرأة المناضــلة الــصامدة الــصامتة، والدتي:

سيدة عبدالله الأهجري

التي أنجبت وربّتْ خمسة عشر فرداً كلهم كالنجوم في سماء صنعاء وأبوظبي والقاهرة

والثانية : مرشدتي وملهمتي وساعدي وعدتي ، ورفيقــة دربـــي، المعلمـــة المتألقــة والأكاديمية المبدعة، وشريكتي في كل نجاح، زوجتي:

الدكتورة أروى علي الطوقي

مدرس الأدب الأندلسي بكلية العلوم الإنسانية بجامعة العلوم والتكنولوجيا – صنعاء

شكر وتقدير

أتقدم بأسمى آيات الشكر وعظيم الامتنان للعالم المتواضع والإنسان المتمثل لأخلاق العلماء ، أستاذي الكبير الأستاذ الدكتور محمد عيسى الحريري أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية آداب المنصورة ، الذي أدين له – من بعد الله تعالى – بفضل واسع شملني به منذ وطئت قدماي هذه الأرض الطيبة، ومعاملة راقية غمرني بها، وعلم واسع كالبحر اغترفت الكثير منه وأنا بعدُ لم أزل على شطآنه، وإليه يرجع الفضل في اختيار موضوع رسالتي هذه بلفت انتباهي إلى أهميته، ومن ثم الإشراف على الرسالة في جميع مراحل إعدادها، وذلل لي كل صعب ، وخفف عني مشاق الغربة ، وهون عليّ كل عناء في بلوغ ما خرجت من بلدي لأجله، فكان لي خير أستاذ وخير أب وخير صديق، وطوق عنقي بكل مكرمة وجميل، وهو ما يدل على كرم منبته، وأصالة منشئه، والله أسأل أن يديم عليه الصحة ويمتعه بالعافية .

وأتقدم أيضاً بأشمل ألفاظ الشكر ومعاني التقدير لأستاذتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة زبيدة محمد عطا أستاذ التاريخ الإسلامي المتفرغ بكلية الآداب بجامعة حلوان أن شرفتني بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة وتحملت عناء السفر ووعثائه، فأزجي لها شكراً جزيلاً واسعاً ، وأدعو لها بدوام الصحة والعافية .

كما أتقدم بالشكر والتقدير أيضاً لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عبدالله النقيرة أستاذ التاريخ الإسلامي المتفرغ بكلية الآداب في جامعة الزقازيق على تشريفه لي بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتحمل عناء السفر والانتقال ومشاقه، متعه الله بصحته وأدام عليه عافيته، وله مني الشكر والعرفان .

ولكلية الآداب بجامعة المنصورة – ممثلة في عميدها الأستاذ الدكتور فارق السعيد ، ورئيس قسم التاريخ بها أستاذي الدكتور رضا رسلان ، وجميع الأخوات الفاضلات بإدارة الدراسات العليا بالكلية – شكري الجزيل وتقديري واحترامي .

ولأستاذي الرائد الكبير الأستاذ الدكتور عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع – أستاذ التاريخ الإسلامي وحضارته بكلية الآداب في جامعة صنعاء – أقف إجلالاً وإكباراً واحتراماً، فما أنا – من ناحية كوني باحثاً – إلا غرس يديه، وحصيلة جهوده، له مني كل حب وشكر وتقدير وعرفان، ومتعه الله بموفور الصحة ودوام العافية .

ولوالدتي الفاضلة التي ما بَرِحَتْ أحقق النجاح تلو الآخر ببركة دعواتهــا لــي طرفي النهار وزلفاً من الليل، لها تنحني بحروفي ويراعي طاعة وبراً وشكراً وتقديراً ، ولجميع أشقائي وشقيقاتي في صنعاء وأبوظبي أزجي كل شكري وعرفاني لهمم بجميــل دعمهم وتشجيعهم الدائم لي .

وإن نسيت أحداً فلن أنسى رفيقة عمري وشريكة حيــاتي ، زوجتــي المربيــة الفاضلة الدكتورة أروى علي الطوقي ، التي أدين بالفضل لها من بعد الله تعــالى فــي تحقيق كثير من آمالي وأحلامي، فهي شريكتي في كل نجاح بلغته، ورفيقتي فــي كــل درب من دروب الخير سلكته، ومعين لا ينضب من التشجيع والتحفيز لكل غاية نبيلــة ومقصد سامٍ حسن، وتحملت معي الكثير من مشاق الغربة ولأواء فراق الأهل والأحبــة بكل صبر ورباطة جأش، وضحت بالكثير من وقتها وجهدها وصحتها كي تذلل لي كل صعب ومشقة، وإن ألفاظ الشكر وعبارات الثناء لا توفيها ولا حتى جزءاً يسيراً مما هي جديرة به وتستحقه ، فأسأل الله تعالى أن يجزيها عني خير الجزاء، وأن يشملها برعايته وعنايته .

ولأبنائي الثلاثة مروان ومازن ورؤى كل الشكر على تحملهم انشغالي الطويــل عنهم، وتقصيري في أداء حقوقهم، واغترابي وبعدي عنهم .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجميعن ، والتاربعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، ثم أما بعد :

بالرغم من الموقع الجغرافي الطرفي لليمن بالنسبة لمراكز الثقل السياسي والعلمي والديمغرافي والحضاري في العالم الإسلامي إلا أنها لم تكن بمنأى عن جميع الأحداث التي جرت ، بل إن موقعها الجغرافي هذا قد منحها وزناً كبيراً في حسابات القوى التي وجهت تلك الأحداث ورسمت مساراتها ، وقد كان لطبيعة سطح اليمن وتضاريسها – من جانب آخر – دور كبير في إعطائها بُعْدَاً آخر من الأهمية ، فرجال قبائلها الأشداء وجبالها الشاهقة وحصونها وقلاعها الكبيرة المنيعة جعلتها ملاذاً يأوي إليه كل من خشي أن تطاله أيدي أعدائه في مراكز الثقل السياسي والعسكري .

من هنا كانت اليمن تربة خصبة تظهر فيها – أو تتجه نحوها – دعوات كثيرة لم يكتب النجاح لبعضها ، كما قُدِّرَ النجاح لبعضها الآخر ،وقد أدى ظهور تلك الدعوات وقيام دويلاتها إلى جعل اليمن ساحةَ صراعات عسكرية وسياسية ومذهبية وفكرية متواصلة ، وإن كان ثمة مِيزة لتلك الصراعات فهي ميزة تحويل اليمن إلى بوتقة امتزجت فيها علومٌ ومعارفُ شتى ، من مشارب مختلفة ، وفي حقول متنوعة ، الشرعي منها والطبيعي والتطبيقي والفلسفي ، فقد حُمِلَتْ إليها بذور تلك العلوم من قِبَلِ كثيرٍ ممن قصدها ، إضافة إلى بعض الجهود الريادية لبعض أبنائها ، فازدهرت الحياة العلمية في اليمن في قرون تاريخها الإسلامي المختلفة ، وتباين معدل ارتفاع منحى ازدهار تلك العلوم طبقاً للظروف السياسية والاقتصادية وغيرها ، وقد أثبتت كتب الببليوجرافيا وفهارس مكتبات المخطوطات اليمنية – الخاصة والعامة – وفهارس بعض المتاحف والمكتبات العربية والعالمية أن التراث العلمي اليمني زاخر بآلاف المخطوطات في جميع مجالات المعرفة والعلوم .

وقد عانى التراث اليمني المشار إليه من التغييب والإهمال أكثر مما وقع على غيره ، فبقي معظمه حبيس دور المخطوطات المختلفة والمتاحف والمكتبات العامة والخاصة في اليمن وفي غيرها ، وظل كثير منه بعيداً عن يد الفهرسة فَعُدَّ في حكم المفقود ، وقد تنوع هذا التراث فشمل شتى المجالات العلمية ومختلف فروع المعرفة ، وهو ثمرة منطقية لحياة علمية زاهرة شهدتها اليمن ، وانعكاس طبيعي لسباق – مقصود

وغير مقصود – بين رجال الفرق والمذاهب من أبناء اليمن ، وهو ما لم تتضح معظم تفاصيله لدى كثير من العلماء والباحثين المعاصرين فرُسِمَ انطباعٌ غير صائب لديهم يتمثل في القول بـ: أن اليمن لم تجارِ غيرها من أقطار العالم الإسلامي في ميدان التأليف وتدوين العلوم ، ومصدر ذلك الانطباع هو قلة ما في متناول أيدي الناس من نتاج علماء اليمن على مدار تاريخها الإسلامي ، وضآلة الجهود التي يبذلها الباحثون – اليمنيون في المقام الأول قبل غيرهم – في دراسة وعرض ذلك التراث وذلك التاريخ العلمي المزدهر ، فكان ذلك الانطباع وتلك الصورة بلا شك مجانبة للواقع والصواب .

وقد جاء اختياري لموضوع هذه الدراسة المُتَمَحْوِرَة حول الحياة العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى سيطرة العثمانيين عليها (٨٠١ – ٩٤٥هـ / ١٣٩٧– ١٥٣٨م) مُحاولةً بسيطة للإسهام في رفع حالة الغياب التي تطغى على الجهود العلمية لعلماء اليمن وعلى التراث الإسلامي الغزير والمتنوع في ذلك القطر العزيز ، وهي امتداد لدراسات سابقة قد بذلها باحثون يمنيون قبلي ، خصوصاً لدراسة الحياة العلمية في اليمن في قرون سابقة من تاريخها الإسلامي ، كما أنها أيضاً محاولةٌ لتسليط الضوء على حقبة من أحقاب الازدهار العلمي في اليمن التي كان منحنى التطور الفكري والثقافي فيها مرتفعاً ، وهو اختيار منحدر – كذلك – من قناعتي بأهمية الأخذ مبدأ شمولية التاريخ لجميع مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والفكرية والثقافية والحضارية للأمم ، هذا من جانب ، ولكون التاريخ العلمي للمسلمين أكثر إشراقاً وتألقاً من بقية الجوانب الأخرى في تاريخهم – من جانب آخر ، إضافةً إلى تلمس نقاط التأثير والتأثر المتبادل بين اليمن وغيرها من أقطار دار الإسلام الأخرى في الحجاز ومصر والعراق وغيرها .

أما عن الحدود الزمانية للدراسة فهي المدة التاريخية الممتدة من بداية القرن التاسع الهجري (٨٠١هـ) حتى دخول القوات العثمانية مدينة عدن في سنة (٩٤٥هـ) ، أي من مطلع القرن الخامس عشر الميلادي تقريباً – سنة ١٣٩٧م – حتى سنة ١٥٣٨م ، وقد حُدِّدتْ نهاية المدة التاريخية للدراسة بدخول اليمن تحت السيطرة العثمانية لإن السمات العامة للحياة اليمنية في كافة جوانبها تغيرت بشكل كبير بعد دخول العثمانيين إلى اليمن ؛ مما يدفع الباحث إلى اعتبار هذا الحدث نقطة تحول في تاريخ اليمن كان له انعكاس كبير على مجمل نواحي الحياة اليمنية ، وأما الحدود

المكانية لها فهي حدود اليمن الطبيعية والتي تتعدى الحدود السياسية للجمهورية اليمنية في تاريخها المعاصر .

<u>الدراسات السابقة</u> :

سبق الإشارة إلى أن هذه الدراسة تعد امتداداً لجهود سابقة لعدد من الباحثين خُصِّصتْ لدراسة الحياة العلمية في اليمن في قرون سابقة من تاريخها الإسلامي ، وما توصلت إليه من تلك الدراسات السابقة في هذا الموضوع هي كما يأتي :

(١) **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة** ، لعبدالرحمن عبدالواحد محمد الشجاع ، رسالة دكتوراة في التاريخ والحضارة ، كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

(٢) **الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري** ، لمحمد رضا الدجيلي ، نشر مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ١٩٨٥م .

(٣) **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، لعبدالرحمن أحمد المختار ، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي ، كلية الآداب بجامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م .

(٤) **الحياة العلمية في زبيد في عهد الدولة الرسولية** ، لعبدالله قائد العبادي ، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

(٥) **الحياة العلمية في مدينة تعز وأعمالها في عصر الدولة الرسولية** ، لعلي بن علي بن أحمد حسين ، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

(٦) **الحياة العلمية في مدينة جبلة في عهد الدولة الصليحية** ، لشوقي درهم الفضلي ، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي ، كلية الآداب بجامعة أسيوط ٢٠٠٦م .

هذا وقد قُسمت الدراسة إلى مقدمة وخاتمة ، بينهما ثمانية فصول ، وذلك على النحو التالي :

- **مقدمة** : تناولت فيها دواعي اختياري للموضوع واستعراضت ما وصلت إليه – وما بلغني وجوده – من الدراسات السابقة في إطاره .

- **الفصل الأول** : وهو بمثابة التمهيد الذي هدفت من خلاله إلى قياس مكانة الحياة العلمية لدى اليمنيين قبل مدة الدراسة ، فكان رصداً سريعاً ومقتضباً تبين من خلاله أن الحياة العلمية في اليمن في مدة الدراسة نفسها كانت امتداداً لحياة مزدهرة من قبل ، وإن كان فيها قرائن تدل على ارتفاع منحنى تطورها وازدهارها في مدة الدراسة ، وهو ما أكدته زيادة الجهود المبذولة في الاهتمام بالعلوم رداسة وتدريساً وتصنيفاً .
- **الفصل الثاني** : خصصته لاستعراض أهم معالم الحياة السياسية اليمنية في مدة الدراسة ، واستعرضت خلاله القوى والزعامات السياسية الرئيسية المشاركة فيها ، وتعرضت – ما أمكن – لتأثير تلك القوى والأحداث والشخصيات على الحياة العلمية .
- **الفصل الثالث** : وهو مكرس لدراسة أهم أماكن التعليم التي شهدت الأنشطة العلمية لأبناء اليمن ، من كتاتيب ومدارس ومساجد وهِجَر وقرى علمية ، وكذلك أهم المراكز العلمية فيها من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها .
- **الفصل الرابع** : وهو مخصص لتناول الأنظمة التعليمية الشائعة في اليمن في مدة الدراسة ، وما ارتبط بها من تفاصيل مهمة عن المراحل التعليمية وطرق التعليم والتعلم من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها .
- **الفصل الخامس** : خصصته لاستعراض أهم الركائز البشرية للحياة العلمية في اليمن في مدة الدراسة ، وكذلك علاقاتهم العامة بأنفسهم وبطلابهم وكافة شرائح المجتمع ، وأدوارهم في الحياة اليمنية العامة ، وكذلك مصادر تمويل الحياة العلمية عصرئذ .
- **الفصل السادس** : حمل هذا الفصل عنوان (اهتمام علماء اليمن بالعلوم الشرعية ومصنفاتهم فيها من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها) وهو تتبع شامل لكل ما أوردته المصادر المتوافرة من الجهود المبذولة من قبل العلماء اليمنيين في خدمة العلوم الشرعية دراسة وتدريساً ،

وكذلك كل مؤلفاتهم فيها ، مع الإشارة إلى أماكن وجود تلك المؤلفات فـي المكتبات إن وُجِدت .

- **الفصل السابع** : وهو مكرس لرصد جهود اليمنيين فـي خدمـة اللغـة العربيـة وعلومها وآدابها ، وشمل مجمل مؤلفاتهم فيها ، وأمكان وجود تلك المؤلفات في المكتبات ودور المخطوطات .
- **الفصل الثامن** : وقد خصصته لعرض إسهامات العلماء اليمنيين في كل مجـالات العلم والمعرفة التي لم يشملها الفصلان السابقان ، فضم أدوراهم في خدمـة علوم التاريخ بكافة فروعه والجغرافيا والإدارة والآداب السلطانية والطـب والرياضيات وغير ذلك ، مع تحديد أماكن وجود مؤلفاتهم فيها – ما أمكن – وتحديد أرقامها في فهارس المنشآت التي تتضمنها .
- **الخاتمة** .

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت في تسليط الضوء على تلك الجهود المبذولة مـن قبل علماء اليمن ، وإبراز إسهاماتهم في خدمة الإسلام وعلومه ، وفي إثـراء العلـوم والمعارف الاجتماعية والطبيعية والتطبيقية التي كانت معروفة آنذاك، وذلك في إطـار الرفع من شأن الفكر الإسلامي والعربي والإنساني عموماً ، كما أتمنى ان أكـون قـد تمكنت من لفت انتباه الباحثين – اليمنيين قبل غيرهم – إلى مدى غنى تـراث الـيمن وتاريخها بالموضوعات الجديرة بالبحث والدراسة ؛ ليلجوا أبوابه ويقتحموا عقباته .

والله من وراء القصد

وهو يهدي إلى سواء السبيل

الفصل الأول

السمات العامة للحياة العلمية في اليمن قبل القرن التاسع الهجري ومظاهر ازدهارها

السمات العامة للحياة العلمية في اليمن قبل القرن التاسع الهجري

تمهيد :

وضع الإسلام العلم في منزلة سامية ومكانة مرموقة ؛ لذلك كرَّمه وكرَّم حمَلَته، وأنزلهم منزلةً ساميةً عالية ، فالعلم – لدى المسـلمين – هو الطريق إلى معرفة الخالق، وهو السبيل إلى العبادة السليمة من الأخطاء والبدع ، وهو الجادَّةُ المؤدية إلى الأداء الأمثل لما افترضه الله جل وعلا ، وهو الوِجْهَةُ المنتهية ببلوغ الوعي بما يُضْعِفُ علاقة المرء بربه وما يُقَوِّيها ، وطَلَبُ العلم أمرٌ مفروضٌ على كل مسلم ، ليس من كماليات حياته ولا من فضول سماته ، وقد جاءت نصوص القرآن الكريم متضمنةً هذه الفرضية ، فكانت أول آية نزلت فيه داعيةً إلى القراءة التي هي أعظم طرق التعلُّم وأشهر وسائله ، فكان فعل الأمر في رأس السورة الأولى هو ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴾[1] ، وفعلُ الأمر في القرآن يقتضي الوجوب والفرضية ، وهو المعنى الذي عززه النبي ﷺ بقوله : " **طلب العلم فريضة على كل مسلم** "[2] .

وقد رَغَّبَ الإسلام في طلب العلم بما رصده من أجرٍ عظيم مكانةً مرموقةً لأهله ، فرفع درجتهم ، وقرنهم بنفسه – سبحانه وتعالى – وملائكته في الشهادة على وحدانيته وألوهيته فقال عز من قائل : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[3] ، بل صرح برفعه للذين أوتوا العلم على من سواهم إذا ما اقترن علمهم بالإيمان به الذي هو رأس كل فضيلة ، فقال جل وعلا : ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[4] .

---

(1) سورة العلق .

(2) ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت ، (د ، ت) ، ج ١ ص ٨١ ، رقم (٢٢٤) ، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم) .

(3) سورة آل عمران .

(4) سورة المجادلة .

وقد وعى كثير من المسلمين الأهمية الشرعية والدنيوية لهذا الأمر ، وندبوا أنفسهم للقيام به، وتكبدوا في سبيل ذلك المشاق ، فصاغوا بجهودهم أنصع صفحات تاريخ البشرية عموماً ، وجابوا أرضَ الإسلام شرقاً وغرباً ، فحققوا بذلك ما أمَّلوه من عُلُوِّ المنزلة في الدارين . وكان نصيب اليمن وفيراً في هذا الباب ، فمنه ظهر عدد كبير من العلماء في شتى مجالات العلم والمعرفة الإسلامية ، وقد ازدهرت الحياة العلمية في اليمن في العهود الإسلامية المتعاقبة ، ولم نجد في تاريخ اليمن فترة مجدبةً علمياً أبداً طوال تاريخها الإسلامي ، فقد كانت العلوم ومراكزها - على الرغم من الصراعات العسكرية الدائمة وانعدام الاستقرار في كثير من الأحيان - محط احترام الناس جميعاً ، وكان ازدهارها الدائم مما يشار إليه بالبنان ومثار إعجاب الدارسين .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن التعليم في اليمن ، سواءً في زمن الدراسة - من بداية القرن التاسع الهجري حتى منتصف العاشر - أو ما قبلها ، كان تعليماً نوعياً نخبوياً ، ولعل ذلك كان من طبيعة العصر ، فلم يكن عامة الناس[1] يضاهون النخبة العلمية في الاهتمام بطلب العلم ، حيث لم يكن التعليم هنا كَمِّياً ، إلا أن العامة كان لها دور كبير في ازدهار الحياة العلمية من خلال ما سأستعرضه من جوانب في هذه الدراسة ، كتوفير الحماية للعلماء والأمان لهم ، أو الإسهام في إنشاء المؤسسات العلمية الممكنة .

وسنحاول استعراض بعض السمات العامة للحياة العلمية في اليمن قبل زمن الدراسة ، وسيمتد بنا الحديث عن هذه السمات عبر قرون عديدة من تاريخ اليمن ، ابتداءً من أواخر القرن الثالث الهجري وحتى مشارف القرن التاسع ، ساعين من خلال ذلك إلى بيان ملامح الحياة العلمية في اليمن في زمن الدراسة مقارنةً بما كانت عليه قبل ذلك ، لنعرف ما إذا كانت امتداداً لحقب سابقة أم مختلفةً عنها .

---

(1) أقصد بهم كل شرائح المجتمع عدا العلماء وطلابهم والحكام .

▫ الجدل الكلامي والمناقشات الفكرية القائمة على تنوع الخلفيات المذهبية :

ليس المقصود بالتنوع هنا تعدد الديانات ، فكل من على الساحة اليمنية آنذاك – وحتى يومنا الحاضر[1] – يدينون بدين واحد هو الإسلام وعقيدة واحدة هي توحيد الله سبحانه وتعالى وإفراده بالربوبية والإلوهية ، وما أقصده هنا هو تعـــدد المذاهب الفقهية والفكرية داخل المجتمع المسلم في اليمن ، وهو موضوع يجب على الدارسين لتاريخ اليمن استيعابه ، والإحاطة بجوانبه ، ففي فهمه تفسيرٌ لكثيرٍ من الأحداث ، وفي استيعابه إدراكٌ لمسببات عدد من الأنشطة الفكرية العلمية والأنشطة المماثلة المضادة ، فقد كان تنوع المذاهب وتباين الخلفيات الفكرية دافعاً لكثير من الفعاليات العلمية ، وأسباباً مناسبةً لـمَوْلِدِ مئاتٍ من المؤلفات ، ما بين رسائل وفتاوى وكتب وموسوعات ، سنبين كثيراً منها في الفصول الخاصة بتناول حركة التأليف في هذه الحقبة ، وقد أنجز بعض الباحثين دراساتٍ خصصوها للحياة المذهبية في اليمن في العصر الإسلامي[2] .

وقد كان التدافع قائماً بين أصحاب هذه المذاهب على مدار التاريخ اليمني ، وهذا التدافع لم يتخذ شكلاً واحداً ، أو يتمثل في صورة بعينها ، فنراه أحياناً يأخذ شكل الصراع العسكري الدموي ، وكانت الدائرة بين أصحابه سجالاً ، تُدبر الأيامُ على هؤلاء تارةً ، وتُقبِلُ عليهم تارةً أخرى ؛ فينالون من خصومهم جسدياً بمن يقتلون منهم ، وفكرياً بما يُتْلِفُونه من أدبياتهم وما كتبه علماؤهم ، وبما يؤدي إليه ذلك من انحسار لفكرهم ومذهبهم ، وإجبارهم أحياناً على الغفوة إلى حين ، وقد لا يفيقون من غفوتهم إلا بعد عقود إن لم يتعدَ ذلك القرنَ من السنين .

---

[1] وجدت باليمن أقلية يهودية قليلة جداً ، لم تتعدَ نسبتها (01% واحد بالمائة) قبل رحيل معظمهـــا إلـــى فلسطين في منتصف القرن الماضي ، انظر جميلة هادي الرجوي ، **يهود صنعاء** ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، ط ١، ٢٠٠٦م ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، وهذه النسبة – على ضـــآلتها – جـــاءت نتيجـــة نموها على مدار قرون عدة ، فللقارئ أن يتخيل كم كان عدد أفرادها في فترة الدراسة ، ذلـــك هـــو مـــا جعلني أزعم أن المجتمع اليمني يدين بدين واحـــد وعقيدة واحدة .

[2] منها دراسة د. محمد عيسى الحريري المعنونة بـــ " **الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهايـــة القـــرن الثالث الهجري** "، وكذلك ودراسة محمد أحمد السمين " **المذهبان السني والشيعي في اليمن في القـــرنين الرابع والخامس الهجريين وأثرهما على الحياة السياسية والاجتماعية** " .

وقد يتخذ هذا التدافع شكل الصراع العلمي الفكري[١] ، وهذا الشكل من التدافع هو ما يعنينا في دراستنا هذه ، ولعل ذلك ما أدى – في بعض جوانبه – إلى إثراء الحياة العلمية على الساحة اليمنية عموماً وعلى ميدان الصراع منها بالتحديد ، وهذا الشكل من التدافع هو الذي جعلنا في العصر الحاضر نتمكن من الاطلاع على مواقف المذاهب الفقهية اليمنية من بعضها ، وهو الذي جعلنا نحصل – من نتائجه – على كَمٍّ كبيرٍ من المخطوطات والكتب .

ومع أن التشيعَ والتسنُّنَ كانتا القاعدتين الأساسيتين للتنوع المذهبي في اليمن إلا أن الشيعة لم يكونوا على هوىً واحد ، وأهل السنة أنفسهم لم يكونوا على وفاقٍ دائم ، بل إن الصراع العلمي الفكري والعسكري بين الشيعة أنفسهم كان أشد حِدَّةً مما كان عليه بينهم وبين أهل السنة ، ففي نظرة خاطفة على فصول صراع الشيعة الزيدية مع الشيعة الإسماعيلية بشكليه العسكري والعلمي يتضح لنا شدة حِدَّتِه مقارنةً مع صراعهم مع أهل السنة ، ابتداءً من أيام الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرَّسِّي[٢]

---

[1] وقد يأتي التدافع في صورتيه – العسكرية والعلمية الفكرية – بالتوازي ، بل إن أغلب حالاته كانت كذلك ، فكثيراً ما نرى أن هزيمة الفريق يصاحبها كتابة الرسائل التي تحدد مبررات قتاله ، وتجيز حرق كتبه واستحلال أمواله وما سواها ، وتهدم أسس عقيدته في نفوس حَمَلَتِها .

[2] هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الرَّسِّي ، أحد أشهر علماء آل البيت وأئمتهم ، عالم فقيه زاهد متكلم ، مصنف بارع ، ألف حوالي ٧٤ مصنفاً ما بين كتاب ورسالة ، دخل اليمن بعد دعوته من بعض قبائل أهلها ، فكان أول من أدخل مذهب زيد بن علي بن الحسين إلى اليمن في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وقد لبى دعوته عدد من قبائل اليمن ووجوهها وأعيانها ، فبمساعدتهم أسس أول دولة زيدية في بلاد العرب ، استمرت قائمة حوالي ألف عام ، وسنأتي بمشيئته تعالى إلى الحديث عن دخوله اليمن عند ذكر الخلفيات المذهبية في الفقه كجزء من الحياة العلمية في الفصل السادس ، انظر ترجمته عند زبارة ، **اتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين** ، مطبعة المقام الشريف ، صنعاء ، ١٣٤٣هـ ، ص ٤٢ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٥٥٣ ، العلوي ، **سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين** ، تحقيق د. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨١م ، ط ٢ ، ص ١٧ وما بعدها ، المحلي ، **الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية** ، تحقيق د. المرتضى المحطوري ، مطبوعات مكتبة مركز بدر العلمي والثقافي ، صنعاء ، ط١ ، ٢٠٠٢هـ ، ج ٢ ص ٢٥ ، ابن مظفر ، **الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان** ، مخطوط ، صورة عن نسخة بمكتبة أحد مشائخ قبيلة أرحب من آل السخيمي ، ص ٨٩ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمان ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، ص ١١٠٣ ، الهاروني ، **الإفادة في تاريخ الأئمة السادة** ، تحقيق إبراهيم المؤيدي وآخر ، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية ، صعدة ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص ١٠١ .

(ت٢٩٨هـ / ٩١٠م) حتى نهاية فترة الدراسة عند دخول العثمانيين عدن عام (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) ، كما أن عدد ما ألفه علماء الزيدية في الرد على علماء الإسماعيلية[1] لبيان فساد عقيدتهم وانحرافها سواءً كان على شكل كتب كبيرة أو رسائل أو قصـــائد ، ذلك يفـــوق كثيراً ما كُتِب من قِبَلِهم للـــرد على أهل السنة ، الذين اتخذ خـــلافهم معهم – غالباً – صورة الصراع العسكري الدموي ، كثيراً ما كان سببه الحقيقي النزاع على مناطق النفوذ وإن كان الهدف المُعلَن هو جهاد الظلمة من الحكام .

إذا جئنا إلى تفصيل ما مضى فإننا نجد أن الإمام الهادي قد قاد بنفسه صراعاً عسكرياً كبيراً ضد دولة الإسماعيلية الأولى أيام على بن الفضل[2] ، وقيل أن وقائعه معهم بلغت نيفاً وسبعين وقعة[3] ، وكان يرى أن قيامه بقتالهم فرض عليه وعلى أتباعه[4] ، وقام – كذلك –بكتابة رسالة بعنوان (بوار القرامطة)[1] ، وإن لم تصل

---

(1) كانت التسمية التي اعتمدها المؤلفون الزيديون للدلالة علـــى الإســـماعيلية ومعتقـــديها هـــي الباطنيـــة والباطنيون ، وقد وردت تسمية القرامطة أيضاً للإشارة إليهم خاصة في الرسائل الزيدية القديمة .

(2) هو علي بن الفضل الجدني أصلاً ، الجيشاني موطناً ، القرمطي مذهباً ، أحـــد اثنـــين أدخـــلا مـــذهب الإسماعيلية إلى اليمن سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١م ، في بلاد يافع كانت دعوته إلى المذهب الإسماعيلي ، أظهر التقشف والورع فاستمال كثيراً من الناس إليه وشكل منهم نواة جيشه الذي أقام به دولته التي قضت علـــى كثير من القوى على الساحة اليمنية ، ولم يمت إلا وقد اصطدم بزملائه أنفسهم ، قتل مسموماً في مركـــز دولته المذيخرة سنة ٣٠٣هـ / ٩١٥م ، انظر إدريس عماد الدين ، **عيون الأخبار وفنون الآثار** ، **الســـبع الرابع** ، تحقيق د. مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، (د ، ت) ، ص ٣٩٩ ، الجندي ، **السلوك في طبقات العلماء والملوك** ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ج ١ ص ٢٠١ ، الحبيشي ، **تاريخ وصاب** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مركز البحوث والدراسات اليمني ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٧٩م ، ص ٢٣ ، الحمادي ، **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة** ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمنـــي ، ط ١ ، ١٩٩٤م ، ص ٨١ ، الخزرجـــي ، **العســـجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك** ، صورته وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢، ١٩٨١م ، ص ٣٨ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، تحقيق فـــؤاد سيد ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ٢، ١٩٨١م ، ص٧٥ ، العبدلي ، **هدية الزمن في أخبـــار ملـــوك لحج وعدن** ، تحقيق خالد الأذرعي ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، ص ٧٤ ، العلوي ، **سيرة الهادي** ، ص ٣٨٩ .

(3) زبارة ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٤٢ ، المحلي ، **الحدائق الوردية** ج ٢ ص ٤٨ ، الهاروني ، **الإفـــادة** ، ص ١٠٩ .

(4) المحلي ، **الحدائق الوردية** ، ص ٤٨ .

إلينا هذه الرسالة حتى نطلع على محتواها إلا أن أسلوب الإمام الهادي معروف لدى جميع الدارسين لفكره أنه كان رجلاً واسع العلم ، يجادل معارضيه بالعقل والنقل ليلزمهم الحجة ويهز قوائم عقيدتهم بالتوازي مع نشاطه العملي المتمثل في استخدام سيفه .

لم يكن الإمام الهادي – من بين أئمة الزيدية – وحده هو من أسهم في الإنتاج العلمي الموجه في سياق التدافع بين المذاهب المختلفة في اليمن ، فها هو ولده الأكبر الإمام محمد المرتضى[٢] (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م) يقوم بكتابة ثلاث رسائل في هذا الباب هي (جواب ابن الفضل القرمطي) ، و (الرد على القرامطة أتباع علي بن الفضل)[٣] ، و (الرد على الروافض)[٤] ، أما أخوه الإمام الناصر أحمد بن الهادي يحيى[٥] (ت٣٢٥هـ / ٩٣٦م) فقد أمدتنا المصادر بأنه ألف كتباً ورسائل للرد على

---

(1) الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١١٠٥ .

(2) الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الهادي يحيى ، عالم ، ورع ، تقي ، أخذ عن أبيه معظم علومه ، وشاركه مسؤوليات تأسيس المذهب الزيدي ودولته باليمن ، لذلك أسر ، وبقي في الأسر مدة ببيت بوس جنوب صنعاء ، وبايعه الناس بعد موت أبيه ، واشترك في حرب القرامطة ، وتخلى عن الإمامة لأخيه أحمد الناصر ، اعتزل أمور الدولة وانقطع للعبادة بقية أيامه حتى مات سنة ٣١٠هـ / ٩٢٢م ، انظر ترجمته زبارة ، **أئمة اليمن** ، مطبعة النصر الناصرية ، تعز ، ١٩٥٢م ، ج ١ ص ٥٢ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٤٥ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٦٣٥ ، العرشي ، **بلوغ المرام في شرح مسك الختام** ، عناية الأب أنستانس الكرملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د ، ت) ، ص ٣٢ ، ٣٣ ، المحلي ، **الحدائق الوردية** ج ٢ ص ٨٠ ، ابن مظفر ، **الترجمان** ، ص ٩٧ ، الواسعي ، **فرجة الهموم والحَزَن في حوادث وتاريخ اليمن** ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٩١م ، ص ١٨٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠١٣ ، الهاروني ، **الإفادة** ، ص ١٣٣ .

(3) لعل هذا العنوان والعنوان السابق هما لرسالة واحدة اختلفت صياغتهما من قبل من نقلهما.

(4) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ٥٢ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، دار النفائس ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ج ١ ص ٢٧٤ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠١٤.

(5) هو الإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي ، أحد أئمة الزيدية المشهورين باليمن ، كان عالماً مجتهداً ، عادلاً شجاعاً ، اجتمعت فيه شروط الإمامة الكبرى عن الزيدية فتولاها خلفاً لأخيه محمد المرتضى السابق ذكره ، وكان أحد أعضاء الحلف الذي شكلته القوى السياسية اليمنية فنجح في القضاء على علي بن الفضل القرمطي ودولته في مطلع القرن الرابع الهجري ، انظر ترجمته وأخباره عند زبارة ، **المرجع السابق** ، ص ٦٠ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٤٥ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٦٤٣ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ١ ص ١٥٧ ، العرشي ، **بلوغ المرام** ، ص ٣٣ ، الكبسي ، **اللطائف**

بعض المذاهب – غير القرامطة الإسماعيلية – ولا ندري ما الذي دفعه إلى ذلك، هل وجد نفسه ملزماً بالرد عليها لقيامها بنشاط معين في نطاق المناطق التي يتواجد بها أتباعه ؟ أم أن هناك من ورد إليه ممن يعتقد بعقائدها فأراد الإمام استمالته من خلال دحض الحجج التي يبني عليها قناعاته ، من هذه الكتب نجد (كتاب الرد على القدرية)، و (الرد على الأباضية)[١] ، ولوجود كتابه الأخير دلالة على أن الخوارج كان لهم وجـود في أيامه في جهات الجبال من أرض اليمن ، ولعل ذلك ما حمله على القيام بالرد عليهم ، ولما كان حصر الإمامة في الفاطميين من أبناء الإمام علي بن أبي طالب ﷺ هي خلاصة مبدئها عند الزيدية ، وجواز قيامها في أي فرد من سائر الأمة هو المبدأ المقابل لدى الخوارج بما فيهم الأباضية ، فإن ذلك يجعلنا نرجح القول بأن كتاب (الرد على الأباضية) ما هو إلا دفاع من الإمام الناصر عن عقيدته فيها ، وقيامٌ منه بأدلتها إزاءهم .

إن حديثنا عن بعض صور التدافع العلمي الفكري بين رجال المذهب الزيدي ونظرائهم في بقية المذاهب الأخرى في اليمن في القرنين الثالث والرابع الهجريين لا يعني أبداً أن هذا الأمر لم يكن إلا سمةً من سمات تلك الحقبة المبكرة من فترة ظهور المذاهب الدينية على أرضها ، فما كان ذلك إلا المبتدأ الذي سار على منواله رجال هذه المذاهب في القرون التالية ، وسأحاول أن أستعرض نماذج محدودة في القرون التالية أثبت من خلالها أن هذا الأمر كان قائماً ومستمراً ، وأنه كان قاعدةً لميلاد كثير من صور النشاط العلمي في فترة ما قبل القرنين التاسع والعاشر الهجريين[٢] .

السنية في أخبار الممالك اليمنية ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٨٤م ص ١٥ ، المحلي ، **الحدائق الوردية** ج ٢ ص ٨٨ ، المرتضى ، **كتاب الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر وعترته الأئمة المنتخبين الزهر** ، جزء من كتاب البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار ، تصوير دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ص ٢٢٩ ، ابن مظفر ، **الترجمان** ، ص ٩٧ ، الواسعي ، **فرجة الهموم والحَزَن** ، ص ١٨٧ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٠٢ ، الهاروني ، **الإفادة** ، ص ١٣٥ .

(1) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ٦٠ ، المحلي ، **الحدائق الوردية** ، ج ٢ ص ٨٩ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

(2) ومن الأمور التي يجب علينا التنبه إليها أننا عند الاطلاع على عناوين ما صنفه علماء اليمن في باب الردود على خصومهم ، والمناظرات مع أقرانهم أو معانديهم ، والرسائل بنوعيها : المكتوبة للرد على رسائل مؤيد أو مخالف للمصنف في المذهب الفقهي أو الفكري ، أو تلك المكتوبة لتبيين مزاعم خصم =

قام الإمام المهدي الحسين بن القاسم العَيّاني[1] (ت٤٠٤هـ / ١٠١٣م) بتأليف كتاب سماه (الرد على الملحدين وغيرهم من فرق الضالين) ، إننا وإن لم نجد الإشارة واضحة إلى مَنْ هم هؤلاء الذين أسماهم بالملحدين ، إلا أن ما يُفهم من ذلك هو أنه قد بلغه أن أناساً قد قالوا أو كتبوا ما دفعه – أولاً – لكتابة الرد ولإطلاق هذه الصفة عليهم – ثانياً .

وله أيضاً كتاب (الرد على من أنكر الوحي بالمنام) ، وهو – كما يظهر من عنوانه – أنه مما يدور في إطار الجدل الفكري حول نقاط الفروع غير العقائدية.

-- أو دحض حجج معادٍ ، نجد كل تلك العناوين إما أن تفيدنا بموضوعها وبمن كُتِبَتْ بسببه باسمه المشهور – كالكتب المذكورة آنفاً – أو أن تدل على موضوعها مُسَمَّيَةً مَنْ كُتِبَتْ بسببه باسمٍ يجد كاتبُها أنه يدل عليه ، وغالباً ما تكون هذه المسميات حاملةً لشحنة معنوية سلبية تعكس موقف كاتبها منه ، كتسمية أهل السنة بالقدرية أو المُشَبِّهَة أو الجبرية أو ما شابه ذلك من المسميات الموجودة في كتب الفِرَق والمذاهب ، وقد يختلف مدلول هذه المسميات عند هؤلاء المؤلفين والكُتّاب اختلافاً كبيراً عما هو شائع عند جمهور المسلمين.

[1] هو الإمام المهدي للحسين بن القاسم العياني ، تولى إمامة الزيدية بعد وفاة أبيه عام (٣٩٣هـ / ١٠٠٣م) ، وفي عهده تقلص نفوذ الزيدية كثيراً حتى انحصر في صعدة تقريباً ، وقع في صراع مع بعض علماء الزيدية ، وكانت عقيدته موضع شك وشبهة من كثير من الناس ، فقيل أنه ادعى أنه المهدي المنتظر ، وقيل أنه زعم أن كلامه أفصح من القرآن ، وهناك من دافع عنه بزعم أن التهم الموجهة إليه غير صحيحة ، انظر ترجمته عند زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ٨٣ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٥٠ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٧٠٩ ، العرشي ، **بلوغ المرام** ، ص ٣٥ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ٢٤ ، المحلي ، **الحدائق الوردية** ج ٢ ص ١٢٠ ، المرتضى ، **كتاب الجواهر والدرر** ، ص ٢٣٠ ، الواسعي ، **فرجة الهموم والحَزَنْ** ، ص ١٩٠ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٣٨٤ ، وقد نقل الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان بعضاً من عقائده في كتاب (**حقائق المعرفة**) ، وكتاب (**الحكمة الدرية**) ، انظر الربعي ، سيرة **الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين** ، تحقيق ودراسة رضوان السيد وآخر ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ٣٤٥ ، ٣٥١ .

يروي مُسَلَّمُ اللَّحْجِي[1] في ترجمة عمرو القاضي[2] أن أباضياً يدعى موسى بن عيسى بن عبدالرحيم بن موسى بن هارون كان قاضياً ببلاد شظب[3] ، فدعا إلى نفسه بالإمامة وطلب البيعة[4] ، وهو يومئذٍ أوحد الأباضية علماً ورأياً وتدبيراً ، وقد اجتمعت إليه قبـــائل كثيرة – على ما بينها من خصومات – إلى سوق محدد لعقد البيعة له ، فاغتنم عمرو القاضي هذه الخصومات وفرق جمعها قبل انعقاد البيعة ، وقد قام بعد ذلك

---

(1) هو أبو الغمر مُسَلَّم بن محمد بن جعفر اللَّحْجِي الشُّظَبي (ت ٥٤٥هـ / ١١٥٠م) ، عـالم ، فقيـه ، مؤرخ ، نسابة ، زيدي ، يتبع الإمام الهادي يحيى بن الحسين في الفروع ، ويقول بعقائد المُطَـرِّفـيـة في الأصول – سيأتي التعريف بها في الصفحات القادمة – فقد تلقاها سماعاً عن طريق شيخه إبراهيم بن أبي الهيثم عن المؤسس لها مُطَرِّف بن شـهاب ، وكان يدافع عن المطرفية ويترجم لعلمائها ، وقد تـرك لنا كتابه الشهير **أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن** ، وهو معروف عند المؤرخين بـ **طبقـات مُسَلَّم اللَّحْجِي** ، ومعظمه مفقود ، اطلع عليه المؤرخ يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م) ووصفه بما يدل على أنه مسلم اعتنى فيه بأخبار أعلام الزيديـة عمومـاً والفرقـة المطرفيـة خصوصاً ، ورتبه على خمس طبقات ، وقد فُـقِد فلم يوجد منه سوى الجزء الرابع ، وهو من المـصادر المعتمدة في هذه الدراسة ، انظر ترجمته عند ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى المعـروف بالمستطاب** ، صورة عن نسخة بمكتبة د. عبدالرحمن الشجاع ، صنعاء ، ص ١١٦ ، الوجيه ، **أعـلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٢٨.

(2) من رجال المُطَرِّفِيَّة الزيدية في أواخر القرن الخامس الهجري ومطلع القرن السادس الهجـري ، ذكـره مسلم اللَّحْجِي في الطبقة الثالثة ولم يحدد تاريخ وفاته ، انظر اللَّحْجِي ، **طبقات مُسَلَّم اللَّحْجِي** ، مخطوطـة مصورة على قرص ليزر ، صادر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمان ، ج ٤ ص ٢٨ .

(3) شَظَب ، بفتحتين ، جبل مشهور واسع ، فيه قرى ومزارع ، فوق هِجْرَة السودة المنسوبة إليه ، يقع فـي الشمال الغربي من صنعاء ، يقع الآن – إدارياً – في نطاق محافظة عمران ، وكـان أهلـه علـى رأي الخوارج الأباضية ، وصفهم يحيى بن الحسين بأنهم كانوا من أشد الناس بغضاً لآل البيـت ، الحَجْـري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، تحقيق إسماعيل بن علي الأكوع ، مكتبـة الإرشـاد ، صـنعاء ، ط ٣ ، ٢٠٠٤م ، ج٣ ص ٤٥٢ ، المَـقْحَفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، دار الكلمة ، صنعاء ، المؤسـسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط ٤ ، ٢٠٠٢م ، ج ١ ص ٨٦٦ ، يحيى بن الحسين ، **طبقـات الزيديـة الصغرى** ، ص٩١ .

(4) اللَّحْجِي ، **طبقات مُسَلَّم اللَّحْجِي** ، ج ٤ ص ٣٠ .

أحد علماء الزيدية البارزين بدعوة وجوه الأباضية للمناظرة ، وبالفعل فقد عقدت المناظرة ببلد الأقهوم[1] .

وقد كان للخلافات الفكرية والعسكرية للباطنية مع بقية الفرق والمذاهب في اليمن دور كبير في ظهور الكثير من المؤلفات – من كتب ورسائل – في سبيل تعريتها أمام عامة الناس والرد على عقائدها التي حازت على الإجماع بالرفض والكره من قبل رجال وعلماء جميع الفرق والمذاهب ، وقد كان لأئمة الزيدية وعلمائها حصة الأسد في القيام بكتابة هذه المؤلفات ، فهذا الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان[2] (ت٥٦٦هـ / ١١٧٠م) الذي كانت له وقعات كبيرة مع الباطنية الإسماعيلية من قبائل هَمْدَان أيام كانت زعامتهم بيد حاتم بن أحمد اليامي ، وقام بكتابة (الرسالة المتوكلية في هتك أستار الإسماعيلية) ، وقام الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة[3]

---

(1) منطقة تقع ضمن ما يسمى بمغارب صنعاء ، حيث وجدت الأباضية ، هي إحدى مراكز مديرية (جبل عيال يزيد) التابعة لمحافظة عَمْرَان ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ٢ ص ١٩٠٧ .

(2) هو الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان الحسني ، عالم ، زيدي ، تضعه الزيدية في مقدمة مجتهديها ، دعا إلى نفسه عام ٥٣٢هـ / ١١٣٧م فبايعه كثير من سكان جبال اليمن ، واتسعت رقعة حكمه حتى شملت صنعاء وزَبِيْد وصعده ونجران ، وخُطب له بالحجاز ، كان له قلم سيال كثير التأليف ، انظر ترجمته عند الحبشي ، **حكام اليمن المؤلفون** ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٩م ، ص ٧٥ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ٩٥ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٥٥ ، ٥٦ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٧٤٨ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ١ ص ٤٥٤ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ٤٧ ، المحلي ، **الحدائق الوردية** ج ٢ ص ٢١٩ ، المرتضى ، **كتاب الجواهر والدرر** ، ص ٢٣٠ ، ابن مظفر ، **الترجمان** ، ص ١٢٣ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، تحقيق عبدالسلام عباس الوجيه ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمان ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ج ١ ص ١٣٢ ، الواسعي ، **فرجة الهموم والحَزَنْ** ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١١٤.

(3) هو الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، من أكابر أئمة الزيدية باليمن علماً وفقهاً وأدباً ، ألزمه علماء الزيدية في عصره بالقيام بأمر الإمامة في سنة ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، فخاض معارك كثيرة مع سلاطين آل حاتم الإسماعيليين ثم مع سلاطين الأيوبيين ، وقاد صراعاً فكرياً صاخباً مع الفرقة المُطَرِّفِيَّة انتهى بقيامه بمذبحته لهم في وقش ، ومازالت هذه الحادثة مثار جدل إلى اليوم ، وله عدد كبير من المؤلفات تنوف على الثمانين ، انظر ترجمته عند الحبشي ، **حكام اليمن المؤلفون** ، ص ٨٢ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ١٠٨ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٥٧ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٧٩٩ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ٣ ص ٣٧ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ٥٧ ، المحلي ، **الحدائق الوردية** ج ٢ ص ٢٤٧ ، المرتضى ، **كتاب الجواهر والدرر** ، ص ٢٣٠ ،

(ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) بالأمر نفسه فكتب (الرسالة النافعة بالأدلة القاطعة في تبيين الزيدية ومذاهبهم وذكر فضائل أمير المؤمنين والإجابة على الإمامية والباطنية والمطرفية) ، ومن بعده يأتي الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني[1] (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م) فيكتب (الإفحام لأفئدة الباطنية الطغام) ، و (مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار) ، ليكون ممن أسهم في هذا الإطار .

ولم تكن الباطنية الإسماعيلية وحدها هي التي وُجِّهَتْ إليها الردود ، وكتبت لمواجهتها الكتب والرسائل ، فقد وجدت المصنفات المكتوبة لمناقشة أفكار وآراء بعض المذاهب الأخرى كالأشعرية التي دخلت اليمن مع الأيوبيين[2] وقال بعقائدها كثير من رجال الشافعية ، وخاصة بزَبِيْد، فهذا الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ/١٢١٧م) يكتب (الرسالة الإمامية في الرد على المسائل التهامية)، وألَّف القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام[3] (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م) (الكاشف

ابن مظفر ، **الترجمان** ، ص ١٣٣ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٥٩٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ٥٧٨ .

(1) الإمام يحيى بن حمزة الحسيني ، أول أئمة الزيدية الحسينيين باليمن ، وأحد أعلام الفكر الإسلامي فيها ، إمام عالم ، مجتهد مفكر ، موسوعي بليغ ، حاز القبول لدى الزيدية وأهل السنة ، بويع بالإمامة سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م ، نافح الباطنية بالسنان والقلم واللسان ، وضع اثنين وستين مؤلفاً انظر ترجمته عند الحبشي ، **حكام اليمن المؤلفون** ، ص ١٣٣ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ٢٢٨ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٦٥ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٩٧٢ ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية** القسم الخاص بالأئمة المعاصرين لبني رسول ، تحقيق ودراسة سلوى علي المؤيد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة صنعاء ، كلية الآداب ، ٢٠٠٢ ، ص ٤١٤ ، أحمد محمود صبحي ، **الزيدية** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩١م ، ص ٢٠٧ ، **الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية** ، منشورات العصر الحديث ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ٢١ وما بعدها ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ٩٧ ، المرتضى ، **كتاب الجواهر والدرر** ، ص ٢٣١ ، ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ١٢٢٤ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ١١٢٤ .

(2) يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص١١٣ .

(3) هو القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام البهلولي ، عالم ، متكلم ، زيدي ، بينما كان رجال أسرته من علماء الإسماعيلية ووجوهها بصنعاء ، كان القاضي جعفر رأس حربة الزيدية في صراعها الفكري مع فرقة المطرفية المنشقة عنها ، يَـديْنُ له فكر المعتزلة بالفضل في حفظ تراثه عندما نقل الأمهات من مصادره من العراق إلى اليمن قبل إتلافها على أيدي خصومه من جهة ومن قِبَلِ التتار من جهة أخرى ، فيُنْسَبُ إليه – بسبب ذلك – أنه هو الذي دعَّم الارتباط بين الزيدية والمعتزلة ، وضيق من فجوات الفروق

للبصائر عن جهالات الأشاعر) ، ولحميد بن أحمد المحلي الشهير بالشهيد[1] (ت٦٥٢هـ / ١٢٥٤م) (الثعبان النفاث بهلاك أهل المسائل الثلاث – في الرد على القدرية والأشعرية) .

وللرد على بعض المذاهب والفرق الأخرى ضمت كتب الببليوجرافيا مجموعة من المؤلفات التي كتبها بعض علماء اليمن وأئمته من الزيدية ، فمما أُلِّفَ للرد على بعض رجال العقيدة الحنبلية ما كتبه القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م) ، وأعني به كتابه (الدافع بالباطل نقض على بعض مشائخ الحنابل) ، وله نفسه كتاب وجهه إلى بقايا الخوارج في مغارب صنعاء عندما تظهر عقائدهم في الإمامة حين يقوم أحد رجال أهل البيت بالدعوة إلى نفسه إماماً ، فيعترضون على بيعته ، فكان كتابه (إبانة المناهج في نصيحة الخوارج) جهداً منه في مناقشتهم فكرياً ، ومحاولةً منه لتغيير تلك القناعات التي يعتقدونها .

وكان للقدرية والجبرية نصيب كبير من المؤلفات التي أنشأها العلماء والأئمة ضدهم في مراحل ما قبل فترة الدراسة – القرنين التاسع والعاشر الهجريين – وذلك أن الزيدية خصوصاً تتهمها بأنها تصبغ الظلم الذي يجري على أيدي كثير من الحكام في ديار الإسلام بصبغة شرعية من خلال عدم التحرك لإزالته والقول بأنه قَـدَرُ الله على الأمة ، مهما بلغ ظلم الحاكم وظهر بغي الوالي ، نجد في مقدمة الكتب التي ألفت

بينهما ، انظر ترجمته عند الأكوع ، **هِجَرُ العلم ومعاقله في اليمن** ، دار الفكر ، دمشق ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ١٩٩٥م ، ط ١ ، ج ٢ ص ٩٥٥ ، الجِنْداري ، **الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي التبريز** ، صورة عن نسخة بمكتبة محمد عبدالله الشرعي ، صنعاء ، ورقة ٦٨– أ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٧٧٠ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ١ ص ٥٣٨ ، ج ٢ ص ٢٥٤ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٧٣ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ٢٧٨ ، الوزير ، **تاريخ بني الوزير** ، صورة عن نسخة بمركز التراث والبحوث اليمني ، صنعاء ، ص ٢٢٨ .

(1) هو الفقيه حميد بن أحمد بن محمد التميمي الوادعي ، من أكابر علماء الزيدية ، كان من المقربين لدى الإمام عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، ووقف بعده مؤيداً للإمام أحمد بن الحسين (ت٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) حتى قتل سنة (٦٥٢هـ / ١٢٥٤م) ، انظر ترجمته عند الجِنْداري ، **الجامع الوجيز** ، ورقة ٨٣– أ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ١٦٦ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ٣ ص ٢٢٩ ، ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٤٢١ ، الوجيه ، **أعلام المرجع السابق** ، ٤٠٧ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ١٤٩.

لمناقشة بعض أفكار القدرية وآرائها كتاب (الرسالة الضامنة الوافية بإفحام ناصر القدرية) للحسن بن محمد الرصاص[1] (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م) ، ولابنه أحمد بن الحسن الرصاص[2] (ت٦٢١هـ / ١٢٢٤م) (الجوابات المرضية من اعتراضات القدرية) ، وكذلك كتاب (مسائل على الجبرية) للشريف إدريس بن علي بن عبدالله الحمزي[3](ت٧١٤هـ/ ١٣١٤م).

وقد دار داخل بعض المذاهب نفسها صراع فكري كبير كان – بصورة غير مباشرة – إثراء للحياة العلمية في اليمن ، فقد وصلت نتائج اجتهاد بعض علماء الزيدية إلى حد ولادة أفكار لم تتفق مع أفكار وآراء جمهور الزيدية ؛ فظهرت الفرقة المسماة بالمُطَرِّفِية[4] ، ووقف كثير من أئمة الزيدية وعلمائها ورجالها أمام أفكارها ، مناقشةً

---

(1) هو الحسن بن محمد بن أحمد بن محمد الرصّاص ، عالم أصولي فقيه ، هو أشهر تلاميذ القاضي جعفر ابن عبدالسلام ، انظر ترجمته عند الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ورقة ٧٧ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ٣ ص ٢٩٠ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٣٣٣ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ٣٤٢ .

(2) هو أحمد بن الحسن بن محمد الرصّاص ، عالم فقيه ، أصولي متكلم ، تتلمذ على أبيه ، ومتون كتبه في أصول الدين مما يحفظها تلاميذ الزيدية إلى يوم الناس هذا ، انظر ترجمته عند الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ورقة ٧٩ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ٣ ص ٣٠٣ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ١٠٩ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص٩١ .

(3) هو عبدالله بن إدريس بن علي الحمزي الحسني ، أمير مؤرخ ، وعالم أديب ، أشهر علماء الزيدية الذين عملوا في البلاط الرسولي ، فكان له حظوة كبيرة لدى السلاطين المظفر يوسف (٦٤٧- ٦٩٤هـ / ١٢٤٩- ١٢٩٤م) والأشرف عمر (٦٩٤- ٦٩٦هـ / ١٢٩٤- ١٢٩٦م) والسلطان المؤيد داود (٦٩٦- ٧٢١هـ / ١٢٩٦- ١٣٢١م) وكتابه في التاريخ **كنز الأخبار في معرفة السير والأخبار** من المصادر الأولية الأساسية لدراسة التاريخ المبكر للدولة الرسولية ، د. شاكر محمود عبدالمنعم ، **الملك الأشرف الغساني وكتابه العسجد المسبوك** ، ملحق بكتاب **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** ، للملك الأشرف الغساني إسماعيل بن العباس (ت٨٠٣ هـ/١٤٠٠م) ، دار البيان ، بغداد ، ١٩٧٥م ، ص ٨٦ ، ١٢٤ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ورقة ٩٢- أ ، الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** ، بعناية محمد بسيوني عسل ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، دار صادر، بيروت ، ١٩١١م ، (د ، ط) ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ٢١٨ ، **ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، القاهرة ، مصر ، ١٣٤٨هـ ، ص ٥٢ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٤١ .

(4) فرقة زيدية ، أنصارها يتبعون الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ / ٩١٠م) في الفروع ، ويقولون أنهم هم شيعته الحقيقيون ، ويجعلونه في مقدمة علماء الإسلام ، بل إن بعضهم يُحَرِّمُ مخالفته --

ومجادلةً ومناظرةً ، وكان ذلك مما لم يحدث كثيراً في المذاهب والفرق الأخرى ، في اليمن وغيرها ، وقد زادت حدة الخلاف الفكري إلى أن وصل الأمر إلى تحول هذه الأفكار إلى عقائد فلسفية ، وقد استمر الخلاف الفكري عدة قرون ، من أيام الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني (ت٤٠٤هـ / ١٠١٣م) حتى قيام الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ /١٢١٧م) بالهجوم عليهم وتشتيتهم ، وفي غضون

= ولكنهم في الأصول يتبعون المعتزليان الطبائعيان أبا القاسم البلخي والجاحظ ، ظهرت هذه الفرقة في اليمن في منتصف القرن الخامس الهجري كنتيجة للترف الفكري الكلامي الاعتزالي الذي ظهر ابتداء من بعد القرن الثالث الهجري ، أخذت هذه الفرقة اسمها من اسم واحد من أشهر رجالها ، ولعله المؤسس لها ، إلا أن هناك من يقول أن عقائدها ظهرت قبله ، وكان له دور في بلورتها ومن ثم نشرها ، وهو مُطَرِّف بن شهاب بن عمر بن عباد العبادي الشهابي (تقريباً ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، تميز رجالها بصبرهم على طلب العلم ونشر عقيدتهم ، أسسوا ما يسمى بهِجْرَة وَقَش – سيأتي التعريف بها – كمعهد ديني تنبعث منه علومهم ، فكان – بشكله الذي رسموه له – واحداً من أقدم معاقل العلم في اليمن في تاريخها الإسلامي ، كانت تسمية **الطبائعية** من مرادفات تسمية هذه الفرقة ، في حين أصبحت جموع الزيدية التي لم توافقها في الأصول تسمى **بالمخترعة** ، وقد دار جدل فكري رهيب بين أقطاب الفرقتين الزيديتين ، أخذ صور المناظرات والرسائل والكتب ، ووصل الأمر ذروته في أيام الإمام المنصور عبدالله بن حمزة (٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، حيث صدرت الأحكام والفتاوى بكفرهم ووجوب إبادتهم واستباحة ديارهم وأموالهم وأعراضهم ، وحرق كتبهم وطمس معالم فكرهم ، وهو ما حدث بالفعل سنة (٦١٣هـ / ١٢١٦م) ، فلم يبق مما يدل على فكرهم إلا كتاب **أخبار الأئمة من أهل البيت وشيعتهم باليمن** ، وهو معروف عند المؤرخين بـ **طبقات مُسَلَّم اللَّحْجي** ، قام كاتبه مُسَلَّم اللَّحْجي فيه بالدفاع عن المطرفية والترجمة لعلمائها ، وهو مفقود عدا الجزء الرابع منه ، وكذلك كتاب **البرهان الرائق المخلص من ورط المضائق** ، لسليمان بن أحمد المحلي المطرفي ، وهو يتناول أصول الدين عند المطرفية ، وقد باد تكسُّرُ المطرفية كما باد أهلها وفكرهم حتى بدأ بعض الباحثين بالتنبه إليه والكتابة حوله ، مثل د. محمد عيسى الحريري، **تطور المذهب الزيدي في اليمن** – قطعة منتزعة من كتاب **شفاء صدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي** ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٩٩٨م ، بيروت، ص ٦٦ – ٧٠ ، علي محمد زيد ، **تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري** ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ط : ١ ، ١٩٩٧م ، ص ١٥٦ وما بعدها ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ٣ ص ٨٣ ، د. عبدالغني محمود عبدالعاطي ، **الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ص٩ وما بعدها ، الوزير ، **تاريخ بني الوزير** ، ص ٢٠٢ وما بعدها ، زيد الوزير ، **حوار عن المطرفية** ، مركز التراث والبحوث اليمني ، صنعاء ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ص ١٨ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، حسن محمد زيد ، **محنة المطرفية وشيخ الإسلام العمري** ، مجلة المسار ، مركز التراث والبحوث اليمني، العددان (١١) و (١٢) ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ص ١٢٣ – ١٤١ .

هذه الفترة عقدت الكثير من المناظرات[1] كتلك التي دارت بين عبدالله بن القاسم البشاري ومطرف بن شهاب[2] عندما قام بزيارة وقش[3] ، وكذلك جهود القاضي جعفر ابن عبدالسلام[4] (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م) - الذي كان في أول أمره معهم - ولم يتمكن الطرفان من الاتفاق على كلمة سـواء بينهم .

وقد تركت لنا تلك الخلافات الفكرية ثروة لا باس بها من النتاج العلمي المكتوب، نجد من أهمها ما كتبه الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (ت٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) ، فقد كتب (الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال) ، وللقاضي جعفر بن عبد السلام (ت٥٧٤هـ/١١٧٦م) (أركان القواعد في الرد على المطرفية) ، و (تقويم المائل وتعليم الجاهل في الرد على المطرفية) ، وكان القاضي عبدالله بن زيد العنسي[5] (ت ٦٦٧هـ / ١٢٦٨م) من أشد رجال الزيدية على المطرفية ، وفي عناوين مؤلفاته عنهم من الحدة ما تعكس موقفه الشديد إزاءهم ، فله (التمييز بين الإسلام والمطرفية الطغام) ، وكذلك (الرسالة الناعية المصارحة للكفار

---

(1) اللُّحجي ، **طبقات مُسلِّم اللُّحجي** ، ج ٤ ص ٤٩ ، ٥٠ .

(2) هو مُطَـرِّف بن شهاب بن عمر بن عباد العبادي الشهابي (تقريبا ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) ، عالم ، فقيه ، زاهد ، متكلم ، هدوي ، نسبت إليه المطرفية ، لم يَذرْ جدل فكري في اليمن حول فرقة معينة ، ولم يشغل بال الباحثين في الفلسفة الإسلامية باليمن رجلٌ كما شغلهم مطرفٌ هذا وفرقتُه ، وإن كانا قد نُسيا حقبةً من الزمن كما أسلفت ، انظر ترجمته في المصادر السابقة عـن فرقته ، فلم نجد له ترجمة منفصلة .

(3) سيأتي التعريف بها عند الحديث عن القرى والهجر العلمية باليمن .

(4) زيد الوزير ، **حوار حول المطرفية** ، ص ١٨ .

(5) هو القاضي عبدالله بن زيد بن أبي الخير العنسي ، من فقهاء الزيدية ومجتهديها وأصولييها الكبار ، وكان من أكثر الزيدية المخترعة شدةً على المطرفية كما يتضح من قائمة كتبه التي ألفها ، كما كان مـن كبـار حاشية الإمام المهدي أبو طير (ت٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) وبعد مقتله ركبته ديون كثير ألجأته إلى الوقـوف على أبواب السلطان المظفر الرسولي (٦٤٧- ٦٩٤هـ / ١٢٤٩- ١٢٩٤م) الذي لم يُعْطِـه مـا كـان يؤمله ، فعاد إلى منطقة كحلان من مغارب صنعاء وقضى فيها بقية عمره ، الأكوع ، **هجر العلـم** ، ج ٤ ص ١٨١٠ ، الجِنْدَاري ، **الجامع الوجيز** ، ورقة ٨٦- ب ، زبـارة ، **أئمـة الـيمن** ، ج ١ ص ١٨٩ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ٣ ص ٣٠٨ ، ابن المؤيـد ، **طبقـات الزيديـة الكبرى** ، ج ٢ ص ٦١١ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ٥٨٩ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ١٦٣ .

من المطرفية الأشرار) ، و أيضاً (الرسالة المنقذة من العطب السالكة بالنصيحة إلى أهل شظب)[١] .

وقد يقول قائل أن أغلب ما أشرت إليه هنا معظمه – إن لم يقل كله – من إسهامات علماء الزيدية على وجه الخصوص ، فهل تفسير ذلك أن هذا الوضع هو صورة حقيقية لما كان عليه الأمر آنذاك ، أو بعبارة أخرى أن علماء بقية المذاهب لم يتصدروا للرد على الرسائل التي وجهها إليهم أئمة الزيدية وعلماؤها ، أقول : إن استعراض عناوين ما سبقت الإشارة إليه من الرسائل والكتب تتضمن الإشارة إلى أن هذه الكتب والرسائل في أغلبها ردودٌ على أتباع هذه المذاهب الأخرى ، فكلمة (رد) و (الرد) كانت واردة في كثير من العناوين السابقة الذكر ، فهل كانت هذه ردوداً على تساؤلات مفترضة ، أم مناقشات لعقائد وأفكار حوتها أوراق موجهة – قصداً – إلى كاتبي هذه الردود ، وكلا الأمرين ممكن ، فأرجح أن تلك الرسائل والكتب إنما صدرت عن أصحابها كرد فعل طبيعي نتيجةً للفعل الأصلي المتمثل في مخاطبتهم برسائل مماثلة ، مكتوبةٍ أو شفهيةٍ .

ومما يؤسف له أن مصادر المذاهب الأخرى لم تسعفنا بذكر مثل هذه الكتابات المتوقع أنها كُتِبَتْ ووُجِّهَتْ إلى علماء الزيدية ، في حين أننا نجد مثل هذه الإشارات – وإن قَلَّتْ – بين ثنايا المصادر الزيدية نفسها ، فقد أورد إبراهيم بن القاسم بن المؤيد[٢] (ت١١٥٢هـ / ١٧٣٩م) في ترجمته للأمير صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين (ت٧١٠هـ/ ١٣١٠م) إشارةً[٣] إلى أن الإسماعيلية قد كتبت رسائل مماثلة إلى أئمة

---

(1) كان أهل شظب يومذاك من المطرفية .

(2) هو إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد محمد بن الإمام المنصور القاسم ، عالم ، حافظ ، مسند ، من وجوه الزيدية اليمنيين في القرن الثاني عشر الهجري ، وهو أشهر علماء نقد الرجال عند الزيدية ، ظهر تمكنه من هذا العلم من مؤلفه المهم لكل الباحثين في تاريخ اليمن المسمى " **طبقات الزيدية الكبرى** " انظر ترجمته عند الشوكاني ، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع** ، تحقيق د. حسين العمري ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط ١ ، ص ٤٣ ، زبارة ، **نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف** ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، (د ، ت) ، ج ١ ص ٥٨ ، د. حسين العمري ، سيد ، د. أيمن فؤاد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، المعهد الفرنسي الآثار والدراسات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص ٢٦٨ .

(3) **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٥٠٦ ، وقد نقلها بدوره عن الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ص ٩٣٢ .

الزيدية ، فقال إن الإمام المطهر بن يحيى[1] (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م) قد أمر المترجم له بأن يجيب على الباطنية الإسماعيلية في رسالتهم المعنونة بـ (الرسالة القادحة) .

وكان للفكر الاعتزالي مكانته في اليمن ، بل كان له الدور الكبير في إذكاء الجدل الكلامي والانغماس في المناقشات حول أصول الدين ، أي أن اليمن شهدت صورةً مصغرةً لما كان عليه الوضع في أيام المأمون وخلفائه من العباسيين المعتزلة ، مع التأكيد على سِلْمِيَّة الجدل في اليمن وبراءته من مصاحبة الإكراه الذي مارسه بعض الخلفاء العباسيين في القصة المعروفة ، ومَرَدُّ هذا الدور هو أن الفكر الزيدي – والهادوي منه على وجه الخصوص – يعد مشابهاً للفكر الاعتزالي بسبب التوافق الكبير بينهما في أصول الدين ، وذلك لا يعني أن جميع رجال الزيدية كانوا يُكِنُّون الاحترام لفكر المعتزلة ، فقد كان ثمة من خالفها ، ووصل به الحد في خلافه لها أن ألف رسائل تعكس موقفه منها ، سواءً كان الموقف منها محصوراً في موقفها من الإمامة فحسب أم شاملاً لكل الرؤى الاعتزالية ، وفي مقدمة هؤلاء نجد العلامة حُمَيْدَان بن يحيى حُمَيْدَان[2] (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) الذي نقل عنه الباحثون مقولته الشهيرة : " وافقناهم – أي المعتزلة – في الأصول ، ولم يوافقونا في الإمامة ، فعلامَ الاتفاق؟ "[3] ، وقد تضمن كتاب (حكاية الأقوال العاصمة من الاعتزال) موقف العلامة حُمَيْدَان من المعتزلة ، وقد نسبت إليه رسالة أخرى بعنوان (الردود المزلزلة لأعضاء المعتزلة)،

---

(1) هو الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى ، من أكابر أئمة الزيدية باليمن فصاحةً وعلماً وفقهاً ، اصطدم بالدولة الرسولية أيام مجدها وازدهارها فكانت له وقائع كثيرة معها ، وعقدت بينه وبين الرسوليين معاهدات للصلح ، انظر ترجمته عند بروكلمان ، **الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية** ، ترجمة صالح بن الشيخ أبوبكر ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص ٦٤ ، الحبشي ، **حكام اليمن المؤلفون** ، ص ١٢٠ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ١٩٧ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٦٣ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ص ٩٢٣ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٣٧ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٤٢ .

(2) هو حميدان بن حميدان بن القاسم ، من علماء المذهب الزيدي المبرزين في القرن السابع ، كان بليغاً متكلماً ، وكان من المؤيدين للإمام المهدي أحمد بن الحسين السابقة ترجمته ، توفي في هجرة الظهراوين قرب سودة شظب ، انظر ترجمته عند الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** . ج ٣ ص ٣٠٦ ، أحمد محمود صبحي ، **الزيدية** ، ص ٣١٥ ، ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٤١٢ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٤١٠ .

(3) أحمد محمود صبحي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

وإن وُجِدَ من نسبها إلى الإمام المطهر بن يحيى[١] ، ولم أتمكن من الاطلاع عليها لكي أتبين من ذلك .

واللافت للانتباه في هذا الباب هو ندرة النشاط العلمي السني في اليمن المقابل للفكر الاعتزالي ، ففي حين احتفت الزيدية به ، واستقدمت أمهات مصادره من العراق وبلاد فارس[٢] ، وحافظت على تراثه المكتوب ، نجد أن أتباع المذاهب السنية لم تحفل به ، ومن النادر أن تجد إشارةً تذكر مصنفات ألفها هؤلاء في الرد على محبي الفكر الاعتزالي على ساحتهم اليمنية[٣] ، فالكتابان الوحيدان اللذان جاءت الإشارة إليهما من تصنيف علماء السنة هما : كتاب (الحروف السبعة) للإمام أبي عبدالله الحسين بن جعفر بن محمد المراغي المصري[٤] الذي استوطن اليمن ، فقد وصف الجَنَدي[٥] محتواه بأن مُؤَلِّفَه " ضمنه الرد على المعتزلة ... " ، وكذلك كتاب (الانتصار في الرد على القدرية الأشرار)[٦] للإمام يحيى بن أبي الخير العمراني ، وهو الذي بالغ فيه في الرد على المعتزلة والأشعرية[٧] .

والمصادر التاريخية التي ترجمت لرجال مذاهب السنة في اليمن تنقل إلينا العبارات الصريحة المعبرة عن كراهيتهم الخوض في علم الكلام ، من ذلك أن الإمام المحدث علي بن أبي بكر العَرَشاني الشافعي (ت٥٥٧هـ / ١١٦١م) " كان يكره الخوض في علم الكلام " ، وكذلك كان الإمام يحيى بن أبي الخير العِمْراني الشافعي

---

(1) بروكلمان ، **الأدبيات اليمنية** ، ص ٦٤ .

(2) انظر مصادر ترجمة القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام السابقة الذكر .

(3) اللهم إلا إذا وصفنا ما كتبه أئمة الزيدية وعلماؤها في الرد على المذاهب الأخرى من قدرية وجبرية وغيرها بأنه نتاج للفكر الزيدي ذي الصبغة الاعتزالية فإنني إذاً أبقى على رأيي السابق بأن هناك دفاعاً صدر عن رجال هذه المذاهب ، وهو الذي – بدوره – ولَّدَ هذه الردود .

(4) سيأتي الحديث عنه وعن دخوله اليمن واستيطانه لها تحت عنوان الرحلات العلمية من هذا الفصل .

(5) **السلوك** ، ج١ ص ٢٣٢ .

(6) مصطلح القدرية في هذا العنوان يقصد به صاحبه – وهو من الشافعية – المعتزلة ومن يقول قولهم في الأصول ، بينما نجد المصطلح ذاته يرد في عناوين كتب الزيدية والمقصود به غالباً هم أهل السنة ، ومراعاة مدلولات هذه المصطلحات عند مستخدميها من رجال المذاهب في اليمن أمر مهم ، وهو ما سبق أن أكدت عليه في بداية هذا الفصل .

(7) الجندي ، **السلوك** ، ج١ ص ٢٩٧ .

(ت٥٥٨هـ / ١١٦٢م) " لا يعجبه ذلك – أي المناظرات في الأصول والمعتقدات – ولا يكاد يخوض بعلم الكلام ، ولا يرتضي لأصحابه من ذلك "[١] .

ولما ظهرت بدع التصوف في اليمن انبرى العلماء لمواجهتها ، وبذلوا كل جهودهم في تعريف الناس بمجانبتها لطريق الصواب ، واتخذت جهودهم أشكالاً عدة ، منها إصدار الفتاوى وإلقاء المواعظ ، وإقامة حلقات الدروس والمناظرات ، وكتابة الرسائل وتأليف الكتب ، ومن أمثلة ذلك كتاب (نصيحة المكلفين وفضيحة المتكلفين)[٢] للفقيه العلامة محمد بن موسى الذوالي (ت٧٩٠هـ /١٣٨٨م) ، الذي قيل عنه أنه أول الجهود التأليفية للإنكار على صوفية اليمن ، إذ أن جهودهم قبل ذلك كانت محصورة في الأشكال السابقة من المناقشات والجدل الكلامي[٣] ، وقد وجَدْتُ أن أول عنوان يمني في الرد على الصوفية عموماً كتبه الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) بعنوان (عقد اللآلي في الرد على أبي حامد الغزالي) ، وذكر صاحب أعلام المؤلفين الزيدية[٤] أنه رد على الغزالي في مسألة إباحته للسماع[٥] ، وقد كثرت الردود على المتصوفة في القرن التاسع الهجري نظراً لازدياد أعدادهم وانتشار فكرهم ، ولتولي بعض رجالهم مناصب كبيرة في الدولة الرسولية كما سنبينه – إن شاء الله – تعالى في الفصول التالية .

---

(1) الجندي ، السلوك ، ج١ ص ٢٩٦ ، ٣٠٤ .

(2) الحبشي ، الصوفية والفقهاء في اليمن ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، ١٩٧٦م ، ص ٩٧ ، ٩٨ .

(3) المرجع السابق ، نفس الصفحات .

(4) الوجيه ، ص ١١٢٩.

(5) السماع : تجمعات للصوفية ، تتلى خلالها الأذكار والأوراد بصوت عال ، وقد تنشد خلاله القصائد المنظومة ، يصاحبها آلات اللهو كالدف والناي والعود ، وقد تحول إلى غناء ورقص ، انظر المرجع السابق ، ص ٣١ ، ٣٢ .

▫ الرحلات العلمية للعلماء وطلبة العلم :

لما كانت آيات القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية الصحيحة تصرح – بما لا يدع أي مجال لأي تفسيرات – بإلزامية التَّعلُّم وفرضية السعي في سبيل تحصيله[1] ، وقدسية الخروج في طلبه ، وسمو بذل الجهد في طريق تحقيق القدر الكبير منه ، انبرت جموع من المسلمين لتحقيق ذلك بطرق شتى ، فكانت الرحلة لطلب العلم أشهر هذه الطرق وأكثرها شيوعاً ، ومرجع الرحلة في طلب العلم منبثق من فهم المسلمين لقول الحق جل وعلا : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[2]

ومن منطلق استيعابهم للحديث النبوي الصحيح القائل : " **من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة** "[3] ، وإن كان الخروج لطلب العلم لا يقتضي مغادرة الرجل لبلده الذي يسكن فيه وأهله ، فالقصد هنا ليس الخروج بحد ذاته ، بل السعي للجلوس إلى العلماء المُبرِّزين للأخذ عنهم قربوا أم بعدوا ، سواء كانوا في بلد الرجل أم في غيرها .

---

[1] يختلف الإلزام والفرضية في جوانب ، فكل مسلم ملزم بالتعلم بمقتضى الحديث المشهور " **طلب العلم فريضة على كل مسلم** " ولعل المقصود هنا تَعلُّمَ كل ما هو من الدين بالضرورة ، أي – بكلمات أخرى – تعلم أصول الدين وكيفية أداء المناسك التعبدية التي لا يتم إسلام المرء وإيمانه إلا بها ، وطَلَبُ هذا القدر من العلم فريضةٌ عَيْنٍ على كل مسلم مكلف عاقل ، وفي العلم أمورٌ يدخل تَعلُّمُها في إطار ما يسميه الفقهاء بـ " فرض الكفاية " تظل الأمة ملزمةً به ما لم تتصدر طائفةٌ منها للقيام به ، وهذا المعنى الأخير هو الذي تشير إليه الآية الكريمة : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (سورة التوبة) وهذه الطائفة هي المنتدبة للقيام بمهمة تعليم باقي الأمة القدرَ المفروضَ عليها من التعلم.

[2] سورة التوبة .

[3] الترمذي ، **سنن الترمذي** ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج ٥ ص ٤٨ ، رقم (٢٦٨٢) ، باب (ما جاء في فضل الفقيه على العبادة) ، ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، ج ١ ص ٨١ ، رقم (٢٢٣) ، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم) ، أبو داود ، **سنن أبي داود** ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، بيروت ، (د ، ت) ، ج ٣ ص ٣١٧ ، رقم (٣٦٤١) ، باب (الحث على طلب العلم) .

وقد استوعب المسلمون الأوائل من التابعين الأمر ، وأنزلوه منزلته من الأهمية، فانطلقوا دون تقاعس أو كسل ، مشمرين عن سواعد الجد في تحصيل العلوم ، وارتحلوا إلى مناطق نائية من دار الإسلام سعياً وراء العلم والمعرفة ، ضاربين صفحاً عن المثبطات المعترضة لطريقهم من مشقة وجهد وعناء ونفقة ، ذلك في عهد كان السفر فيه شاقاً والرحلات مجهدة ، يكتنفها الكثير من المخاطر والعوائق(1) ، ولم تثن عزمهم هذه الأمور ، بل كانت همتهم عالية ، ارتفعت بهم لتخطي الصعاب والمخاطر ، وخرجوا فرادى وجماعات ، يسعون بعزم وقوة ومثابرة فائقة(2) ، فجعلوا الرحلة في طلب العلم سمةً من سمات التعليم ، وسنةً من سننهم لِخَلَفِهم ، وإن كان موضوعها عندهم محصوراً في طلب الحديث النبوي الشريف ، وجمع رواياته ، فقد جابوا الأمصار التي أقام بها الصحابة لسماعه وتلقيه عنهم ، حتى قال قائلهم : " إن كنت لأسير الليالي والأيام في طلب الحديث الواحد "(3) .

وقد شاع مفهوم الرحلة في طلب العلم بين المسلمين عامتهم وخاصتهم في القرون التالية حتى تشكلت القناعة النهائية لدى الجميع أنه " لم يبلغ العلم من لم يخرج مسافراً في طلبه " ، بل أصبحت من التقاليد العلمية والتعليمية المهمة عند طلبة العلم أنفسهم(4) ، وكما كانت هذه القناعة شاملةً لفئات المجتمع المسلم فقد كانت – كذلك – شاملةً لجميع رقعته الجغرافية بالرغم من تعدد واجهاته السياسية وتنوع خلفياته المذهبية، وإن كان هناك من تأثير للسياسة والمذهب في الرحلة لطلب العلم فهو محصور في تحديد الوجهة التي يُيَمِّمُ الطالب وجهه إليها .

---

(1) علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز** ، ص ٣٠٤ ، د. مريزن عسيري ، **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي** ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ص ٢٤٤.

(2) د. أحمد شلبي ، **التربية الإسلامية ، نظمها – فلسفاتها – تاريخها** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٧٨م ، ص ٣١٨ .

(3) ابن عبدالبر ، **جامع بيان العلم وفضله** ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، ط ١ ، ١٩٩٤م ، ج ١ ص ٣٩٦ .

(4) عبدالله فياض ، **تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة** ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٢م ، ص ٢٠٠ .

وكان لرسوخ القناعة بأهمية الرحلة في طلب العلم لدى اليمنيين دوره الكبير في خروج عدد كبير من أبرز علماء المذاهب المختلفة في اليمن ، فقد سارعوا إلى القيام بالرحلات العلمية ، وسعوا وراء تنويع المعرفة عندهم أينما كانت ، غير مبالين بما يعترضهم من المشقة والعناء في سبيل الحصول عليها[1] ، وجابوا أشهر مراكز العلم في دار الإسلام ، وجلسوا إلى علمائها ، وأخذوا من كل شيخ خير ما عنده علماً وأسلوباً، وقضى بعضهم سنوات عديدة في التلقي والأخذ عن الشيوخ ، فلما عادوا إلى اليمن بعد رحلة طويلة وغيبة مديدة عادوا وهم أكثر علماً ، وأوسع أفقاً ، وأغزر معرفةً، إضافةً إلى ما حملوه معهم من التصانيف المفيدة ، وضروب من التآليف النفيسة التي جمعوها خلال رحلاتهم ، وتَجَمَّعَ الطلبة حولهم طالبين الأخذ عنهم ، فتصدوا لتدريسهم ونفعهم ، وظهر تأثيرهم واضحاً في ميدان العلوم عامة ، والعلوم الشرعية بشكل خاص ، وأسهموا في بيان ورسم صورة اليمن وكيانها العلمي والحضاري مساهمةً فعالة[2] ، فذاع صيت عدد منهم في الأقطار ؛ فجعلنا نلحظ أن اليمن – بسببهم – كانت متجهاً لطلبة العلم من غير اليمنيين أيضاً.

وقد جرت عادة طلبة العلم اليمنيين أن يبدءوا بالأخذ عن شيوخ بلدانهم التي يعيشون فيها داخل اليمن ، ثم يرتحلون للأخذ عن المبرزين من علماء اليمن في المدن والمراكز العلمية الأخرى ، فلما يحسون بالتشبع من علومهم ، تتوق أنفسهم للاستزادة فوق ما تعلموه ، وترنوا نفوسهم للتعمق في دراسة ما أحاطوا به من العلوم التي أجادوها ، فلا يجدون بُغْيَتَهم ومُتَنَفَّسَهم في تحقيق ذلك وبلوغه إلا بالرحلة والسعي على طريقة مشائخهم ، عندها يكون قرارهم بمغادرة اليمن لمُدَدٍ غير محصورة بسنين محددة، إنما يحددها بلوغ الهدف الذي خرجوا من أجله .

وكانت – حينئذٍ – الخلفية المذهبية والفكرية لطالب العلم هي التي تجعله يختار البلد والوجهة التي يتجه إليها ، ولفرع العلم الذي يود الطالب التعمق في أخذه دوره

---

[1] علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز** ، ص ٣٠٧ .

[2] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٩٤م ، ص ١٠٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٤٠٠ ، د. أحمد العليمي ، **أعلام مدرسة الحديث في اليمن وجهودهم في حفظ السنة** ، مجلة الآداب ، جامعة الإمارات ، العدد ٥ ، ١٩٨٩م ، ص ٧١- ٨٦ ، الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين** ، تحقيق فؤاد سيد وآخر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ج ٦ ص ١٣٤ .

كذلك في تحديد بلد الشيخ الذي يهدف للقائه والأخذ عنه ، فكان طلبة الحديث والعلوم الشرعية من المذاهب السنية في اليمن يتجهون صوب الحجاز عموماً ومكة على وجه الخصوص ، وكذلك كانت مصر والشام والعراق من البلدان التي قصدوها ، أما طلبة العلم من أبناء الشيعة اليمنيين – سواء الزيدية أو الإسماعيلية – فكانت مصر والعراق وبلاد فارس والديلم وجيلان وجهتهم ، وذلك لا يعني عدم دخولهم مكة والجلوس إلى علمائها ، فقد برز عدد من أبناء الشيعة الزيدية في علوم الحديث النبوي إلى حد التفوق على بعض أقرانهم من طلبة العلم من أبناء المذاهب السنية الأخرى ، وعلى أيدي المشائخ أنفسهم ، وهذا ما سيتضح لنا هنا وفي الفصول القادمة .

ولتسهيل تناول الموضوع سأقسمه إلى عنوانين ثلاثة ، أتناول الرحلة العلمية الداخلية لطلبة العلم في اليمن أولاً ، ثم الرحلات العلمية الخارجية لهم ثانياً ، وأعطف – ثالثاً – بذكر شيئ من الرحلات العلمية لطلبة العلم من غير اليمنيين إلى اليمن .

أولاً :الرحلات العلمية الداخلية:

زخرت المصادر التاريخية اليمنية التي قُدِّر لنا الاطلاع عليها بالمعلومات الكثيرة عن الرحلات العلمية الداخلية لطلبة العلم في اليمن ، ولو قمت بعمل إحصائية رياضية لحصر من خرج منهم من بلده طالباً العلم في مراكزه داخل اليمن لفاقت النسبة في ذلك ٩٥% ، وما ذلك إلا انعكاس لما أسلفت الإشارة إليه أن الرحلة كانت هي العرف السائد والتقليد المتبع لديهم ، كما كان لدى غيرهم من طلبة العلم في بقية أقطار العالم الإسلامي .

ومن الواضح أن الرحلات العلمية كان لها دور كبير في المحافظة على بناء الأجيال المسلمة في توافق علمي وفكري كبيرين على الرغم من تباعد بلدانهم ، ووجود الفواصل الجغرافية الكبيرة من جبال وسهول شاسعة فيما بينهم ، وذلك نظراً لنهلهم المعارف والعلوم – في مراحل الطلب – من مصادر واحدة على أيدي العلماء أنفسهم ، فقد وُجِدَ في حلقات المبرزين من العلماء طلابٌ من جميع مناطق اليمن[1] ، نشأوا سوياً، وترقوا في العلوم يداً بيد ، فكانوا أشبه ما يكونون بنسخ متقاربة لا يختلف بعضها عن بعض إلا بمستوى الاختلاف في قدرات الفهم والاستيعاب عند الفرد عن زميله ،

---

[1] ذكر الجندي ، **السلوك** ، ج١ ص ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، أن زيد اليفاعي – ستأتي ترجمته – كان له طلاب بحاضرة الجند من جميع مناطق اليمن ، من بينها عدن وأبين ولحج وتهامة وحضرموت ، وقد بلغ عدد طلابه ثلاثمائة ، وهذا الرقم في عهد لم يكن فيه التعليم العام قائماً يعد من الأعداد الكبيرة جداً .

وهؤلاء الطلاب أنفسهم عادوا إلى بلدانهم ليصحبوا فيها المشائخ والمدرسين ، وليسهموا في بناء أجيال أخرى.

وبعد مسح شامل – تقريباً – لما تمكنت من الاطلاع عليه من مصادر طبقات العلماء اليمنيين وتراجمهم على مدار القرون السبعة السابقة للقرن التاسع الهجري ، وكذلك المصادر غير اليمنية التي تناولتهم بالترجمة والتعريف ، قمت بالوقوف على أخبار مجموعة من أبرزهم ، وهي مجموعة أعدُّها عينةً معبرةً عن غيرها ، ومن المؤكد أن هذه المصادر لم تُحطْ بكل العلماء وطلابهم ، بل ربما كان فيمَنْ لم يُذْكر مَنْ كان أكثر جداً وتشميراً في طلب العلم والرحلة في سبيل تحصيله .

فممن نذكره هنا أبو محمد القاسم بن محمد بن عبدالله الجُمَحي القرشي[1] (ت٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) ، ولد بسَهْفَنَة[2] ، وتفقه بعلمائها ، ثم انتقل إلى زَبِيْد[3] قاصداً الأخذ عن أبي بكر بن المضرب الزَبِيْدي ، ولما قضى بغيته عاد إلى الجبال[4] فأخذ عن عبدالعزيز بن الربحي – صاحب حُرَازَة[5] – فما أن استقر ببلده حتى قصده

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢٢٨- ٣٠ .

(2) سيأتي التعريف بها عند الحديث عن القرى والهجر العلمية باليمن .

(3) زَبِيد – في الأصل – هو واد مشور بداياته في العدين وبعدان حول مدينة إب ، وتصب سيوله في البحر الأحمر ، ويأتي في طليعة الأودية الخصبة في اليمن ، لذلك فقد وُجِدتْ به كل مقومات الحياة ، وزَبِيد في السياق أعلاه هو اسم مدينة اختطها والي المأمون على اليمن محمد بن زياد سنة ٢٠٥هـ / م ، وكانت تدعى الحُصَيْب فغلب عليها اسم واديها ، وهي أشهر مدن العلم في اليمن على الإطلاق ، وقد اتخذتها عدة دول يمنية عاصمةً لها ، منها الدول الزيادية والنجاحية ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٢ ص ٣٨١ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٧٣٢ ، الهَمْداني ، **صفة جزيرة العرب**، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ٢٣٢ .

(4) من الأمور المهمة لفهم القارئ حول تاريخ اليمن أن يجعل طبيعتها الجغرافية نصب عينية ، لأنها تسهل عليه فهم بعض المصطلحات المكانية التي ترد في المصادر التاريخية اليمنية ، منها هذا المصطلح (الجبال) ، والمقصود به كل المناطق التي تقع ضمن المرتفعات الجبلية المليئة بالقرى ، الممتدة من جنوب اليمن على شواطئ بحر العرب ، وتمتد شمالاً بمحاذاة البحر الأحمر حتى تتعدى الحدود الجغرافية لليمن باتجاه الحجاز ، فعندما يقول الجندي أن القاسم القرشي عاد إلى الجبال فهو يقصد أنه عاد إلى قريته – سَهْفَنَة – الموجود ضمن نطاق المرتفعات الجبلية ، سنجد الإشارات المشابهة كثيرة .

(5) قرية من قرى المناطق الجبلية بالمعافر – ما يسمى اليوم بالحُجَرِيَّة – تقع ضمن أعمال مديرية المواسط بمحافظة تعز – وسط اليمن – المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج١ ص ٤٤٢ ، الهَمْداني ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٧ ، ١٩٥ .

الطلية من صنعاء ونواحيها ، والجَنَد[1] ونواحيها ، وعَدَن[2] وأبْيَن[3] ولَحْج[4] ونواحيها ، ومن المَعَافِر[5]

---

(1) مدينة تبعد عن تَعِز بحوالي ١٧كيلومتراً إلى الشمال الشرقي منها ، وهي من أسواق العرب المشهورة قبل الإسلام ، لم تعد إلا قرية صغيرة اليوم ، وقد كانت إحدى أكبر حواضر اليمن ؛ لذلك كانت وجهة مبعوث رسول الله ﷺ – معاذ بن جبل – إلى أهل اليمن ، ومسجدها هو ثاني مسجد بني في اليمن ، أسسه معاذ ابن جبل ، وقد وصفها الجَنَدي (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) بأنها " أعمر – اي اكثر تحضراً – **مدينة بالجبال وأكثرها أهلاً** " ، الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢٣٤ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ١ ص ١٤٦ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ٣٥٩ ، الهَمْدَاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٩٩ .

(2) مدينة تجارية قديمة ، وأحد أسواق العرب في الجاهلية ، تقوم على شبه جزيرة صخرية بركانية ، محاطة بجبال من جهات ثلاث والبحر من الجهة الرابعة ، تقع إلى الشرق من مضيق باب المندب ، لذلك فهي قادرة على التحكم في الملاحة على الطريق البحري بين بلدان المحيط الهندي ودول الشمال في مصر وحوض البحر المتوسط وأوربا ، لذلك وجدت بها الجاليات التجارية العربية والهندية ، فاستهدفها البرتغاليون لكي يحكموا السيطرة على التجارة العالمية ، الحجري ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٥٨٢ ، المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج٢ ص ١٠٢٥ ، الهَمْدَاني ، **المصدر السابق** ، ص ٣٠٦ .

(3) بلد كبير يقع في الأطراف الشرقية لمدينة عَدَن ، وهو – إدارياً – محافظة كاملة ، به سهول ساحلية تطل على بحر العرب ، كما توجد به جبال مرتفعة ووديان كثيرة خصبة ، وهو أشهر مناطق زراعة القطن في اليمن ، وسواحله الطويلة – ٣٠٠ كم – مصدر دخل كثير من سكانه ، وكان أهله من محبي العلم والتعلم في أحقاب تاريخ اليمن الإسلامي ، الحجري ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٥٥ ، **المقحفي** ، **المصدر السابق** ، ج١ ص ٢١.

(4) صقع واسع مترامي الأطراف إلى الشمال من مدينة عَدَن ، وغالباً ما كان حكامها هم حكام عدن نفسها لما بينهما من ارتباط جغرافي ، وبها أراض واسعة خصبة مليئة بمزارع الفواكه والخضروات والنخيل ، وبها أيضاً الأحراش الكثيفة ، ومياهها كلها من سيول الأودية ، وكان لأهلها اهتمام كبير بالعلم وحَمَلَتِه ، الحجري ، **المصدر السابق** ، ج ٤ ص ٦٧٧ ، المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١٣٦٦ ، الهَمْدَاني، **المصدر السابق** ، ص ٩٤ ، ٩٥.

(5) اسم لقبيلة من أبناء المعافر بن يعفر بن مالك ....ابن سبأ ، وقد غلب اسمها على منازلها فأصبحت أرضهم تدعى بالمعافر ، غير أنها اليوم تدعي بالحُجَرِيَّة ، تقع إلى الجنوب من تعز ، وهي مناطق جبلية مأهولة بالسكان ، مليئة بالأودية ، وكان بها كثير من قرى العلم الشهيرة ، من أهلها من كان له اليد الطولى في فتوح مصر والمغرب والأندلس ، الحجري ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٣٢ ، ج ٤ ص ٧١١ ، المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج٢ ص ١٥٦٨ ، الهَمْدَاني ، **المصدر السابق** ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

والسُحُول[1] وأُحَاظَةَ[2] ووادي ظباء[3] وغيرها من المناطق .

ومنهم أيضاً أبو عبدالله جعفر بن أحمد بن محمد بن عبدالرحيم المَحَابي (ت٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) ، كان مسكنه بقرية أُحَاظَة ، وقد وصفه المؤرخون[4] بأنه كان رأس الفقهاء وإليه تنتهي الفتوى ، لكنه مع سعة علمه كان كثير التردد من بلده إلى الجند لمراجعة علمائها ، فكان حكامها يتلطفون به ويحسنون إليه قاصدين إقناعه باستيطان الجند والتصدر للفتوى والتدريس[5] .

ومنهم شيخ المحدثين اليمنيين الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن حِمْيَر العَرَشَاني (ت٥٥٧هـ / ١١٦١م) ، يقول عنه ابن سمرة والجَنَدي[6] : " كان شيخ المُحدثين وعمدة المسترشدين ، غلب عليه علم الحديث فكان به عارفاً " ، والسبب في ذلك أنه كان : " كثير الرحلة في طلبه " ، ولما قامت المصادر برصد رحلته الطويلة في طلب العلم فإنها تذكر أنه أخذ عن زيد بن الحسن الفائشي بأُحَاظَة ،

---

(1) حقل زراعي دائم الخضرة ، يشغل مساحة واسعة من محافظة إب في وسط اليمن ، يمتد من جبل سُمارة الشاهق في الشمال حتى سفوح عقبة مدينة إب في الجنوب ، وكل قراه وتجمعاته السكانية تشكل مركزاً إدارياً من مديرية المخادر ، وأرضه تشتهر بزراعة الحبوب والخضروات ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤١٧ ، ٤١٨ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٧٧٥ ، الهَمْداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٩٦ – ١٩٩ .

(2) سيأتي التعريف بها عند الحديث عن القرى والهجر العلمية باليمن .

(3) قرية مازالت عامرة ، تُعرف اليوم بقرية دار الجامع ، وتقع في وادي ظباء ، ولا يعرف أيهما أخذ التسمية من الآخر ، وهي بين ذي السفال شمالاً وسهفنة جنوباً ، وهي من القرى المعدود في إقليم الجبال بكثرة الفقهاء ، وبها مسجداً قيل أنه بني بأمر عمر بن الخطاب في خلافته ، الأكوع ، **هِجَرْ العلم** ، ج ٣ ص ١٢٧٩ .

(4) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٢٣٤ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ١ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(6) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١٧١ ، ١٧٢ ، الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣٠٣ واللفظ للجندي .

وأسعد بن ملامس المُشيْرِقي بالمُشيْرق[1] ، ويحيى بن عمر الملحمي وعبدالرحمن بن عثمان وأبي بكر بن أحمد الخطيب بريْمَة[2] ، وعن القاضي المبارك بالجوة[3] .

ولم يثنه تقدم العمر عن الارتحال ، فقد ذكرت المصادر نفسها عنه أنه لما بلغ من العمر الحادية والخمسين – أي سنة (٥٤٥هـ / ١١٥٠م) – قدم إبّ[4] فاجتمع بها جمع كثير ، رأسهم إذ ذاك الإمام سيف السنة ، فأخذوا عنه وحضر السماع جماعة من أكبر علمائها ، وارتحل إلى عدن فأخذ بها عنه فقهاؤها وجَمْعٌ من غير اليمنيين ، وكان

---

(1) منطقة تقع في أسفل جبل حبيش بمحافظة إب ، وهي إحدى مراكز مديرية حبيش ، وتضم مجموعة من القرى ، وكانت في القرن السادس الهجري من المناطق الغنية بالعلماء وطلبة العلم ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٤ ص ٧٠٩ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ٢ ص ١٥٤٢ .

(2) من أسماء البلدان المُشْكِلَة في اليمن ، فهي اسم يطلق على أكثر من مكان ، أشهرها اثنان ، أولهما ريمة الأشابط منطقة جبلية واسعة مرتفعة جداً عن سطح البحر ، وقد دفع اتساعها الحكومة اليمنية مؤخراً إلى اتخاذ قرار بتشكيل محافظة خاصة بها وبما ألحق بها من المناطق ، وسميت باسمها – محافظة ريمة – وهي تقع إلى الغرب من صنعاء في منتصف الطريق بينها وبين ميناء الحُدَيْدَة ، وثانيهما ريمة المناخي، بلد يشمل منطقة واسعة من محافظة إب في وسط اليمن ، وآل المناخي هم حكامها غداة استيلاء القرامطة بزعامة علي بن الفضل عليها في آخر القرن الثالث الهجري ، وفيها تقع منطقة المذيخرة عاصمة القرامطة آنذاك ، ولا أدري أيهما المقصودة هنا ، وأنا أرجح أن تكون الثانية كون أغلب المناطق المشار إليها في الدراسة قريبة – جغرافياً – منها ، الحجري ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٣٧٧ -٣٧٩ ، المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج١ ص ٧٢٣ ، وقد ورد ذكرها عند الهَمْداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١١٨ ، ٢٠٥.

(3) وقد تنطق الجوّة ، بلدة قريبة من الجند تحت حصن الدملوة من جهة الشرق في مديرية الصلو ، وقد خربت اليوم ، معروفة بكثرة العلماء والفقهاء والفضلاء ، والذي هدمها هو أحمد بن علي بن مهدي الرعيني الخارجي سنة (٥٦١هـ/ ١١٦٥م) ، وقيل أنها عمرت مرة أخرى ، وهي مما يتبع حالياً منطقة المعافر – الحُجَرِيّة – التابعة لمحافظة تعز ، الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ١ ص ٤٠٠ ، الحجري ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٣٦ ، الهَمْداني ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٤ .

(4) أجمل مدن اليمن على الإطلاق طبيعةً ، تبعد عن صنعاء حوالي ١٤٠ كيلومتراً جنوباً فوق ربوة على سفح جبل ريمان، ترتفع كثيراً عن سطح البحر (قيل ٦٢٠٠قدم) وأمطارها كثيرة وغزيرة ؛ لذلك فهي دائمة الخضرة ، وهي عاصمة محافظة تسمى باسمها ، بها عدد من المساجد الأثرية والمدارس العلمية القديمة ، وهو ما يدل على أنها كانت عامرة بالعلماء ، الحجري ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣١ ، المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج١ ص ١٠.

يتردد ما بين بلده عَرَشان[1] وإبّ والجَنَد وعدن ، وقصده أهل الحديث من غالب أنحاء اليمن ، رغبةً في علمه ودينه وورعه وأمانته وعلو إسناده ومعرفته وتواضعه ، وهو كذلك حتى توفي سنة (٥٥٧هـ / ١١٦١م)[2] .

ومنهم الإمام الفقيه الشهير أبو الحسين يحيى بن أبي الخير العِمْرَاني (٥٥٨هـ/١١٦٢م)، واحد من أشهر علماء السنة باليمن ، كان شيخاً لأغلب علماء طبقته سماعاً منه وتفقهاً عليه ، وشيخاً لعلماء اليمن في الطبقات التالية تتلمذاً على كتبه ونهلاً منها ، تلقى علومه الأولى في موطنه بقرية سَيْر[3] على أيدي ثلة من خيرة علمائها وعلى من وفد إليها من علماء غيرها ، وكان مبرزاً منذ طفولته ، ذكر الجَنَدي[4] أنه " تعلم القرآن وأكمل حفظه غيباً ، وقرأ المهذب والتنبيه والفرائض ولم يبلغ من العمر غير ثلاث عشرة سنة من مولده " ثم تاقت نفسه للرحلة استزادةً في التعلم على ما بلغه وسعياً في تحصيل علوم أخرى لم يكن قد تضلع بها ، فقام – وبرفقته أحد أقرانه يدعى الفقيه عمر بن علقمة – بالرحلة إلى أُحَاظَة للجلوس إلى علمائها ، ثم انتقل إلى ذي السفال[5] ليدرس ما كان قد قرأه من قبل ، إضافةً إلى معارف جديدة .

---

[1] قرية مازالت عامرة من قرى منطقة المكتب التابع لمديرية جبلة بمحافظة إب ، وتقع أسفل حصن التعكر إلى الجنوب الشرقي من مدينة جبلة عاصمة الصليحيين أيام حكم السيدة الصليحية ، وكانت عامرة بالعلماء وطلبة العلم ، الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ٣ ص ١٤١٧ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٥٩٨ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج٢ ص ١٠٤٣ .

[2] انظر أخباره عند الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

[3] وتشتهر بمَصْنَعَة سَيْر ، منطقة خَرِبة لم يبق منها إلا أطلالها ، تقع في الوادي المسمى باسمها من مخلاف صهبان في الجنوب من مدينة إب ، من أكبر مراكز العلم في تاريخ اليمن الإسلامي ، ليس من علماء السنة باليمن وفقهائها إلا وتفقه بها ، الأكوع ، **المرجع السابق** ، ج ٤ ، ص ٢٠٦٢ ، **المقحفي** ، **المصدر السابق** ، ج١ ص ٨٣٥ .

[4] **السلوك** ، ج ١ص ٢٩٤ .

[5] ذي السُّفَال بلد واسع ، جنوب غربي صنعاء ، يقع على بعد ١٠ كيلومترات من مدينة القاعدة بمحافظة إب ، فيما بين مدينتي جِبْلَة وتعز ، وهي كثيرة الزروع والأشجار وجداول المياه ، وهي تشكل إحدى مديريات محافظة إب وتسمى المديرية باسمها ، كانت من أشهر معاقل العلم في تاريخ اليمن الإسلامي ، الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ٢ ص ٧٦٦ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٢١ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٧٩٥ .

ولما سمع يحيى بن أبي الخير العمراني بقدوم الإمام زيد اليفاعي من مكة إلـى الجَنَد وأنه قد تصدر للتدريس في جامعها ، جمع عدداً من أبرز تلامذته واتجه نحوه – بكل تواضع العلماء – لينهل من معينه ، وبقي في صحبته حتى مات وهو عنـده بعـد سنة (٥١٣هـ / ١١١٩م) ، في هذه المرحلة كان الإمام قد بلغ منزلة بـين العلمـاء يغبطه عليها كثيرون ، إلا أن عشقه للعلم ، واستشعاره للأجر المؤكد في الـسعي فـي طلبه ، جعله يعقد العزم على الارتحال مرةً أخرى ، فقدم سَهْفَنَة ليأخذ بها عن القاضي مسلم بن أبي بكر ، ثم انتقل إلى ذي أشْرِق[1] سنة (٥١٧هـ / ١١٢٣م) وأخذ بهـا عن سالم الأصغر بعض كتب الصحاح في الحديث ، بعدهـا بـدأ مرحلـة التـأليف ، وأخرج أول كتبه – (الزوائد) – سنة (٥٢٠هـ / ١١٢٦م) .

ولما عاد من الحج[2] سنة (٥٢٠هـ / ١١٢٦م) تفـرغ للتـأليف والتـدريس بقريته سَيْر حتى حصل من البلاء الصادر عن مشكلات الصراعات القبلية مـا حملـه على مغادرتها إلى ذي السفال ثم ذي أشرق ، وهناك التقى بالحافظ علي بن أبي بكـر العرشاني (٥٥٧هـ / ١١٦١م) فسمع عليه البخاري وسـنن أبي داود ، وقد انتقـل بعدها إلى ضراس[3] ، وكانت وفاته سنة (ت٥٥٨هـ / ١١٦٣م) في ذي السفال .

كان الإمامان علي بن أبي بكر العرشاني ويحيى بن أبي الخير العِمْراني خيـر مثال لطالب العلم الذي لا يشبع منه ، وأصـدق عينة لشريحة طـلاب العلم اليمنيـين الذين استغلوا أعمارهم خـير استغلال في سبيل تحصيل العلم واسـتيعاب المعـارف العالية ، وبذلوا غاية طاقتهم وفـوق احتمالهم من أجله ، فقـد ذُكِر أن علي العرشاني : " كان يخرج غالب أيام طلبه – للعلم – كل يوم من منزله بعَرْشَان فَيَصِلُ وحاظـة – وإلا المشيرق – فيقرأ ثم يعود ، فلا يبيت إلا في بيته ، وبين بلده وبين أحد الموضعين

---

(1) سيأتي التعريف بها عند الحديث عن القرى والهجر العلمية باليمن .

(2) سنذكر رحلته إلى الحج عند ذكرنا للرحلات الخارجية لطلبة العلم اليمنيين ، لأنه استغلها كثيراً في الإفادة والاستفادة .

(3) هو اسم لقريتين عامرتين ، ضراس العليا والسفلى ، والسفلى هي المشهورة بسكنى العلماء وطلاب العلم، وبها المدرسة التي أقاموا بها أنشطتهم العلمية ، وتقع إلى شرق ذي أشرق وغرب ذي السفال ، الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ٣ ص ١٢٠٧ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٢٢ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٩٤٤ .

يومٌ للمَجدِ "[١] ، وبلغ من حرص يحيى العمراني على وقته أن نُقِلَ عنه أنه كـان " إذا مضى وقت من غير ذكر الله تعالى أو مذاكرة العلم حوقل – قال لا حول ولا قـوة إلا بالله – وقال : ضيعنا الوقت "[٢] ، وهذا هو ما جعل منه إماماً من أئمة العلم البـارزين في اليمن الذين يشار إليهم بالبنان إلى يومنا هذا ، ولم تكن منزلته كـذلك فـي الـيمن وحدها ، فقد ذكرت المصادر[٣] أن كتابه (البيان) لما وصل بغداد جُعِلَ فـي أطبـاق الذهب وطيف به مزفوفاً ، ... وقال جماعة من أهل العراق : ما كنا نظن فـي الـيمن إنسان – أي عالم – حتى قدم علينا البيان .

وممن رحل عن بلده نجد أبا محمد عُمارة بن الحسن بن علي بن زيدان الحكمي الشهير بعُمَارة اليمني (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م) نشأ في وادي وساع ، وخرج منه سنة (٥٣١هـ / ١١٣٦م) وهو يومئذٍ شاب إلى زَبِيْد ليتلقى العلم على أكبر فقهائها ، فكان الفقيه أبو محمد عبدالله بن القاسم الشهير بابن الأبار في مقدمتهم ، وقد انتقل في ظروف خاصة رواها بنفسه في كتابه (المفيد في أخبار صنعاء وزَبِيْد)[٤] وهنـاك بـدأ تعلـم صناعة الأدب على يد الأديب العالم أبو بكر بن محمد العَنَدي[٥] .

وهذا الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) ينشأ فـي قريته عَيْشَان[٦]، فلما ختم القرآن وبلغ في اللغة والنحو مبلغاً عظيماً تقدم إلى سَـنَاع[٧]

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٣٠٣ .

(2) **المصدر السابق** ، ج ١ص ٢٩٦ .

(3) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٩٨.

(4) عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد** ، تحقيق محمد الأكوع ، المكتبة اليمنيـة ، صـنعاء ، ط ٢: ، ١٩٧٥م ، ص ٢٢ ، ٣٢٨ .

(5) بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، مكتبة مـدبولي ، القـاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩١ م ، قـسـم ٢ ص ١٦٥ ، الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٦٠ .

(6) قرية باسم جبل تقع عليه إلى الشرق من حصن مدينة شهارة ، تبعد عن حُوث حوالي ٣١كيلومتراً إلـى الغرب ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٦١٩ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائـل اليمنية** ، ج ٢ ص ١١٥٤ .

(7) سيأتي التعريف بها عند الحديث عن القرى والهجر العلمية باليمن .

لدراسة علم الكلام على شيخه الحسن بن محمد الرصاص ، ودرس عليه أصول الفقه وفروعه والأخبار[١] .

ومنهم عبدالله بن علي بن أبي عبدالله المرادي (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) ، تلقى علومه الأولى في قريته تِيْنِد[٢] ، ثم أكثر التردد بين بلده وعدن وجَبَاء[٣] ، فممن أخذ عنهم بمدينة عدن القاضي أحمد القريطي ، وبجباء عن يحيى بن محمد بن أبي القاسم الجبائي[٤] .

وقام الإمام المهدي أحمد بن الحسين (ت٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) بالرحلة عن قريته - هِجْرة كُوْمَة بجبل شاكر[٥] - التي نشأ بها وتلقى علومه الأولية فيها إلى هجرة مِسْلِت[٦] ليتلقى فيها العلم عن عدد من علمائها ، ثم انتقل إلى هجرة حُـوث[٧] ليتتلمذ على رجال العلم بها[٨] .

---

(1) الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ص ٨٠٣ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٥٩٧ .

(2) قرية عامرة في وادي الشنّاسي من قرى منطقة بَعْدان بمحافظة إب ، وهي تبعد شرقاً عن مدينة إب حوالي ٢٥ كيلومتراً ، وكانت من مراكز العلم المقصودة ، وبها مسجد أثري قديم ، وقد انقطع العلم عنها ، ولم يعد بها أحد من حَمَلَته ، الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ١ ص ٢٥٧ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٢٤٧ .

(3) وقد تنطق جَبَأ على وزن سبأ ، قرية خَرِبة ، تقع في السفح الغربي لجبل صَبِر المطل على مدينة تعز ، لم يبق منها إلا آثار مسجدها وحمّامها ، كانت أكثر بلاد اليمن فقهاً ومتفقهين ، وقد أقيمت قرية في الطرف الشمالي من موقعها تحمل الاسم ، الأكوع ، **المرجع السابق** ، ج ١ ص ١٥١ ، المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج١ ص ٢٧٧ ، الهَمْداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٩٤ .

(4) الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص٤٠٠ .

(5) بلدة قديمة خَرِبة في الشمال الغربي من مدينة صنعاء ، ما تزال أطلالها ظاهرة للعيان ، كانت هجرة علم، تقع في الجنوب الغربي من مدينة خَمِر بمحافظة عَمْرَان ، على مسافة بضعة كيلومترات منها ، الأكوع ، **هجر العلم** ، ج٤ ص ١٩٢١ .

(6) قرية عامرة في بلاد بني قيس من قبائل بني صُرَيْم من حاشد ، تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة خَمِر على بعد ٢٠ كيلومتراً ، وقد كانت مقصودة لطلب العلم بسبب من سكنها من العلماء ، الأكوع ، **المرجع السابق** ، ج٤ ص ٢٠٥٠ .

(7) سيأتي التعريف بها عند الحديث عن القرى والهجر العلمية باليمن .

(8) ابن المؤيد ، **الطبقات الكبرى** ، ج ١ ص ١١٤ .

ومنهم الفقيه محمد بن عمر بن عثمان الجبـائي (ت٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) ، نشـأ ببلدته جباء ، وكان من أكبر علماء القراءات السبع بها ، وقد غادر جباء إلى زَبِيْد ليتفقه فيها بعلي بن قاسم الزَبِيْدي ، وعمر بن مفلح في أبين ، ودَرَّسَ بمَغْرَبَة تَعِز في المدرسة النجاحية ، فلما ظهر نبوغه وطول باعه في الفقه جلس إليـه علمـاء تعـز وأخذوا عنه ، وقد آب إلى وطنه ليموت فيها[1].

ومنهم أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن علي الجـداي الزيلعـي (٧٢٣هـ / ١٣٢٣م) أخذ علم القراءات عن أبي الزاكي بحراز[2] بعد أن قدمها من جباء ، ثم أخذ عن الغيثي بوُصَاب[3] ، وعاد إلى جباء ليجلس إلى عبيد بن محمد الجبائي المقـرئ ، ورحلته هذه جعلته في مقدمة القُرَّاء المبرزين في علم التجويد في اليمن ، وقـد ذكـر الجَندي[4] أنه قدم إلى جباء زائراً لها سنة (٧٢١هـ / ١٣٢١م) فوجد محمد بن أبـي بكر الزيلعي مدرساً للقراءات وشيخاً لها هناك .

ومنهم أيضاً أبو حسان عبدالرحمن بن محمـد بـن عبـدالرحمن الحـضرمي (ت٧٢٤هـ / ١٣٢٤م) ، نشأ في مدينة شِبَام[5] بحضرموت ، وارتحل في طلب العلم

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٣٩١ .

(2) مجموعة من الجبال الشاهقة ، شديدة الوعورة ، يعلوها عدد كبير من القمم العالية المغطاة غالباً بالضباب ، ويفوق ارتفاع بعض جبالها ٣٥٠٠ متر ، وهي تقع في منتصف الطريق بين صنعاء وميناء الحُدَيْدَة على شاطئ البحر الأحمر ، ومع هذه الطبيعة القاسية إلا أن جبالها معمورة بـالقرى المتنـاثرة علـى القمـم والمدرجات الجبلية ، وبها بعض معاقل الباطنية الإسماعيلية ، إذ لم يحمها من أعدائها إلا اعتصامها بقمـم كهذه ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ١ ص ٢٥٢ ، المقحفي ، **معجم البلـدان والقبائـل اليمنية** ، ج١ ص ٤٤١ ، الهَمْداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٢٢ .

(3) بلاد واسعة جبلية ممتدة بين أربع من محافظات اليمن – الحُدَيْدَة ، رَيْمَة ، إب ، ذَمار – وهـي تـشرف على السهول الساحلية قرب زبيد غرباً حتى المرتفعات الجبلية في ذمار شرقاً ، وتتصل ببلاد العُدَيْن فـي محافظة إب جنوباً ومديرية عُتْمَة بمحافظة رَيْمَة شمالاً ، وهي من أجمل مناطق اليمن وأكثرهـا خيـراً ، وكان لأهلها اهتمام كبير بالعلم وأهله ، لذلك كثروا فيها ، الأكوع ، الحجري ، **المـصدر الـسابق** ، ج ٤ ص ٧٦٧ ، المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١٨٧٣.

(4) **السلوك** ، ج ١ص ٣٩٤ .

(5) مدينة في قلب وادي حضرموت ، تقع ما بين سيئون شرقاً والقَطْن غرباً ، وهي منطقة واسـعة تحفهـا أشجار النخيل فتعطيها خضرة وجمالاً ويحدها من الجنوب جبل ، وتتميز بعماراتها الشاهقة في الارتفاع ، الموغلة في القدم ، الحجري ، **مجموع بلدان الـيمن وقبائلهـا** ، ج ٣ ص ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، الـسقاف =

إلى زَبِيْد ، وهناك صحب مجموعة من خيرة رجالها كإسماعيل الحضرمي وجماعة من أصحاب أبي الغيث وابن عجيل[1] .

ثانياً الرحلات العلمية الخارجية:

(١) الرحلة إلى مكة :

المسافة بين اليمن والحجاز ليست بالبعيدة ، إذ هي أقرب المناطق التي يلقاها الخارج من اليمن باتجاه الشمال في طريقه إلى قلب العالم الإسلامي في مصر وبلاد الشام والعراق ، وقد زاد من قيمة منطقة الحجاز أن بها مكة والمدينة بما لهما من المنزلة الدينية العظيمة والتاريخية الكبيرة ، وقد احتلت مكة – على وجه الخصوص – المنزلة الأسمى في قلوب المسلمين قاطبةً لفضلها ولوجود البيت الحرام بها ، فهي – في موسم الحج – مجمع كثير من الناس من فجاج شتى من الأرض ، العالم والجاهل ، المتكلم والمحدث ، الفقيه وطالب العلم ، وكثيراً ما كانت نية الحج تُعقَدُ مع تبييت نية أخرى في نفوس العلماء وطلبة العلم خاصة ، ألا وهي نية الجلوس لطلب العلم والأخذ عن أكبر العلماء الذين يقدمون إلى مكة ، سواءً للحج خاصة أو لمجاورة البيت الحرام الذي جاءت النصوص بالحض عليه والترغيب فيه كقول المصطفى ﷺ : " **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى**"[2]، لهذا فقد كانت مكة المحطة الأولى التي تتبادر إلى ذهن العالم وطالب العلم اليمنيين حين تعن لهما فكره الخروج والارتحال في طلب العلم والاستزادة منه .

من أوائل من يُذكَر أبو محمد عبدالله بن علي الزرقاني ، وقد تحدث ابن سمرة[3] عن رحلاته في طلب العلم ، وكان ميسوراً ، وقد ارتحل إلى مكة سنة (٣٥٣هـ / ٩٦٤م) ، فسمع عن الأسيوطي[1].

--- **إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت** ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٢٥٩ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٨٤٥ ، الهَمْداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص١٦٩.

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ص ٣٣.

(2) ابن حجر ، **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد ، السعودية ، ١٩٥٩م ، ج ٤ ص ٢٤١ ، مسلم ، **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د ، ت) ، ج ٢ ص ١٠١٤ ، رقم (١٣٩٧) .

(3) **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٨١ ، ٨٢ .

قام أبو محمد القاسم بن محمد القرشي (ت٤٣٧هـ /١٠٤٥م) – وبصحبته أحمد بن عبدالله الصعبي السهفني (ت تقريباً ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) – بالتوجه إلى الحج سنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨م) فأخذا عن الحسين بن جعفر المراغي المصري (ت قبل ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) ، أخذا عنه **مختصر المزني** ، **وسننه** ، **وسنن الربيع** ، ثم تواليف ألفها الحسين نفسه في علم الكلام ، منها كتاب سماه **السبعة الأحرف** في الرد على المعتزلة .

ومنهم أبو الخير أيوب بن محمد بن كُدَيْس (ت٤١٠هـ / ١٠١٩م) نهض إلى مكة سنة (٤٠٧هـ / ١٠١٦م) ، فلقي بها الحافظ عبد بن أحمد الهروي ، فأخذ عنه كثيراً من مسموعاته، وكان من الاشتهار بعلمه وفضله أن نودي الناس في الموسم : " من أراد الوَرَق والوَرِق والسماع العالي فعليه بأيوب بن محمد بن كُدَيْس إلى قلعة ظُبَاء من أرض اليمن "[٢].

ومنهم أيضاً أبو الفتح يحيى بن عيسى بن إسماعيل بن ملامس (ت بعد٤٢٠هـ/١٠٢٩م)، تفقه أولاً في المعافر على أيدي جماعة من العلماء بها وبسَهْفَنَة ، ثم حج فأقام بمكة أربع سنين ، وقد استغل مدة إقامته بها في تأليف (شرح مختصر المزني) ، ونظراً لأنه كان ميسوراً ذا مال فقد تزوج في مكة بعدد كبير من النساء[٣] ، وهناك أيضاً جلس إلى أبي حامد الإسفرائيني (ت٤٠٦هـ / ١٠١٥م) ، الذي أعجب به بعد أن اختبره بستين مسألة أجابه عنها كلها ، فاقترح عليه أن يصحبه معه إلى العراق ليجعله معيداً في مدرسته ، فاعتذر بأنه لم يخرج من اليمن بنية كهذه[٤] .

ومن أشهر الشخصيات العلمية اليمنية التي حققت نصيباً وافراً من العلم في الرحلات العلمية إلى مكة الإمام أبو أسامة زيد بن عبدالله بن جعفر بن إبراهيم اليفاعي

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٢١٩ .

(2) **المصدر السابق** ، ج ١ص ٢٣٧ .

(3) ذكر الجندي أنه تزوج بها بستين امرأة ، وهذه رواية مبالغ فيها ولا شك ، **المصدر السابق** ، ج ١ص ٢٣٠.

(4) **المصدر السابق** ، ج ١ص ٢٣٠ .

(ت بعد ٥١٣هـ / ١١١٩م) ، نشأ ببلدته يفاعة[1] ثم تَدَيَّرَ الجَنَد فتفقه بها على أبي بكر بن جعفر وإسحاق الصردفي ، ثم ارتحل إلى مكة فأخذ بها عن الشيخين الإمامين الحسين بن علي الطبري وأبي نصر هبة الله بن ثابت البندنيجي مصنفات أبي إسحاق الشيرازي ثم مصنفاتهما ، وعاد إلى الجَنَد فاجتمع طلبة العلم حوله ، ومالوا إليه أكثر من ميلهم إلى مشائخه ، وقد بلغ عدد طلاب مدرسته بمسجد الجَنَد ثلاثمائة طالب بينما لم يتجاوز عددهم في مدرسة شيخه أبي بكر بن جعفر بالمسجد نفسه خمسين طالباً .

وقد خاف حاكم الجَنَد آنذاك – من قِبَل السيدة الصليحية – المُفَضَّل بن أبي البركات الحميري من تجمع الفقهاء في مسجد الجَنَد حول زيد وشيخه فبدأ في محاولة إيقاع الفتنة بينهم ، ولما كاد أن ينجح قرر الإمام زيد اليفاعي سنة (٥٠٠هـ / ١١٠٦م) أن يدرأ الفتنة في مهدها فهجر اليمن ثلاث عشرة سنة ، قضاها كلها في مكة، وخلالها مات شيخاه الطبري والبندنيجي ، فلم يكن بمكة من تتعين عليه الفتوى في العلم والفقه والفضل من يفوقه منزلة وقدراً ، فكانت الفتوى تدور عليه ، وأقام مجالس التدريس في المسجد الحرام ، وقد جرت فتنة أخرى في مكة – لم يكن الإمام زيد طرفاً فيها – فوجد نفسه بين فكي رحى ، إلا أنه علم أن شيخه بالجَنَد قد توفي وكذلك المفضل الحميري حاكمها ، ففكر حينها في العودة إلى اليمن ، وفعلاً فقد وصلها سنة (٥١٣هـ / ١١١٩م) ، ولما تسامع طلاب العلم بقدومه وصلوه من عدن وأبْيَن ولَحْج وأنحائها ، ومن تِهامة وحضرموت ، ومن الجبال كالمعافر والمخلاف[2] ، ومن نواحي الجَنَد نفسها كسَيْر وسَهْفَنَة وغيرها ، واشتغلوا بالقراءة عليه ، وكانوا هم وجوه أهل العلم في بلدانهم حين عادوا إليها[3] .

---

(1) قرية خربة غير معروفة المكان والموقع ، ذكرت بعض المصادر أنها بالمعافر ، الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ٤ ص ٢٣٧٧ ، الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ص ٢٦٢ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٤ ص ٧٨٤ ، **المقحفي** ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ٢ ص ١٩١٨.

(2) اسم لأكثر من منطقة باليمن ، والمقصود في هذا السياق هو المنطقة الواقعة إلى الشمال الغربي من مدينة تعز ، وهو من مراكزها الإدارية بمديرية شرعب السلام ، وكان به ثلة من العلماء والفقهاء وطلبتهم، وهو إلى يومنا هذا أحد المناطق المهتمة بالعلم والتعلم ، إذ منه مئات الأساتذة والقيادات الأكاديمية والحزبية ، المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١٤٥٣.

(3) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ .

ومنهم الإمام أبو الحسين يحيى بن أبي الخير العمْرَاني (ت ٥٥٨هـ / ١١٦٢م) ، قدم مكة سنة (٥٢٠هـ / ١١٢٦م) ، واجتمع بالفقيه العثماني الأشعري ، فتناظرا في شيئ من الفقه والأصولين ، وكانت مناظرتهما في المطاف ، فمن شدة الإفحام للعثماني كان يمسح جبينه بيده من شدة العرق ؛ لأن الإمام كان يقطعه ويقيم عليه الحجة[١] .

وقد قام عبدالله بن علي بن أبي عبدالله المرادي (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) بالتوجه إلى مكة سنة (٦٠١هـ / ١٢٠٤م) ، ولم يكن الحج وحده هو مبتغاه من الرحلة ، فقد لبث بها أربع عشرة سنة ، فازداد علماً ومعرفةً ,ولم يكن يترك أحداً من الواردين والمقيمين لديه فضل يُتَحقق إلا أخذ عنه ، ثم أخذ عن أبي الصيف ولازم صحبته ، ثم عاد إلى بلده تِيْنِد ؛ فقصده طلبة العلم من جميع أنحاء اليمن ، وجمعت حلقة تدريسه فوق ستين طالباً ، وهو يقوم بالمنقطع منهم[٢] على نفقته الخاصة[٣] .

ومنهم القاضي عبدالله بن علي بن عبدالله العَرَشاني (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) حفيد الإمامين علي بن أبي بكر العرشاني ويحيى بن أبي الخير العُمراني ، ولد سنة (٥٩٥هـ /١١٩٨م) ، وتفقه في قريته عرشان ، وحج مراراً فأخذ عن المقيمين بها والواردين إليها ، وكان ذا مسموعات في إجازات من الشيوخ وغيرهم من الأكابر[٤] .

(٢) الرحلة إلى العراق :

قام أبو عبدالله محمد بن يحيى بن سراقة المعافري (توفي في الربع الأول من القرن الخامس الهجري) بالرحلة إلى العراق لطلب العلم بها ، فأخذ بها عن أبي الحسن بن اللبان الفرائض لأنه كان إماماً بها ، " وأدرك الشيخ أبا حامد الإسفرائيني (ت٤٠٦هـ / ١٠١٥م) ، وأخذ عنه مصنفات في الفقه ، وبه تفقه جماعة من أهل اليمن "[٥] .

---

(1) الجندي ، السلوك ، ج ١ص ٢٩٥.

(2) أي من كان معدماً ، وحبه للعلم دفعه لتحمل المشقة لكي يأخذ عنه العلم ، قام هو بإعالته على نفقته .

(3) المصدر السابق ، ج ٢ص ٤٠٠ .

(4) المصدر السابق ، ج ١ص ٣٦٨ .

(5) المصدر السابق ، ج ١ص ٢٢٢ .

ومنهم كذلك القاضي عبدالله بن علي العنسي (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م) ، من علماء الزيدية وفضلائها ، ارتحل من اليمن – عبر العراق – إلى بلاد فارس ، وكان هدفه الأخذ عن علماء الزيدية في بلاد الدَّيْلَم وجيلان ، وقد وفق في أخذ بعض العلوم عن زيد بن علي بن أبي القاسم الهوسمي (ت القرن السادس الهجري) في داره المعروفة في مدينة اللاهجان في ناحية جيلان سنة (٥٠٠هـ / ١١٠٦م) ، وقد مدحه الزحيف[١] بقوله عنه أنه : " الواصل من جهة الجِيْل[٢] والديلم بعلوم أهل محمد " .

وأشهر من رحل إلى العراق في طلب العلم وإتمام السماع هو القاضي جعفر ابن أحمد بن عبدالسلام البهلولي (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م) ، عالم الزيدية الأول باليمن ، ومتكلمها الأوحد حتى عصره ، لم يشتهر من علمائها – ممن هم دون الأئمة – كما اشتهر هو ، برز نجمه عند الزيدية عامتهم وأئمتهم ، على الرغم من أن أباه وأخاه كانا من أشهر رجال القضاء والفقه والأدب عند الشيعة الباطنية الإسماعيلية ووجوهها بصنعاء ، والذي شجعه على الخروج إلى العراق أن زيد بن الحسن البيهقي (ت٥٥١هـ / ١١٥٦م) كان قد عزم على العودة من اليمن بعد أن قضى فيها مدة من الزمن[٣] ، فصحبه القاضي جعفر ، ولما مات البيهقي في تهامة واصل القاضي رحلته منفرداً ، وهناك جلس إلى أكبر علماء الزيدية والمعتزلة ، فأخذ عنهم ، وتضلع في علومهم[٤] ، وكان يقول: " ناظرت علماء العراق وأقمت عليهم الحجة حتى رددت جماعة منهم عن مذاهبهم "[٥] وهذا القول منه يدل على أن دخوله العراق لم يكن دخول طالب العلم الذي جاء ليسمع فقط ، فقد آنس من نفسه القدرة العلمية على ما يجعله يناظر ويُفحِم .

---

(1) الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ص ٧٥١ ، وحدث الخلاف في كونه هو أم شخص آخر يدعى عبدالله ابن زيد العنسي ، انظر ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦١٧ ، ٦١٨ .

(2) اسم آخر مختصر لمنطقة جيلان ببلاد فارس ، كثيراً ما اعتمدته المصادر الزيدية كاسم علم يدل عليها.

(3) سنأتي للحديث عن زيارته لليمن ورحلته إليها تحت عنوان الوافدين إلى اليمن .

(4) عاد وله إجازات علمية من أشهرهم ، أورد بعض نصوصها ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٧٤ .

(5) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٤٦ .

وقد عاد من العراق وليس فيه من هو أعلم منه على حد قول المصادر الزيدية[1] ، ونقل معه الأمهات من مصادر الزيدية والمعتزلة ، ما كان منها باللغة العربية أو الفارسية ، وذلك قبل إتلافها على أيدي خصومها – من جهة – ومن قِبَلِ التتار – من جهة أخرى ، فيُنْسَبُ إليه – بسبب ذلك – أنه هو الذي حفظ تراث المعتزلة، ودعَّم الارتباط بينها وبين الزيدية[2] .

(٣) الرحلة إلى مصر :

وقد نزل الفقيه أبو محمد عمارة اليمني (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م) مصر مرتين واستوطنها بقية حياته ، ومع أنه كان يُلَقَّبُ بالفقيه والفَرَضي في اليمن لعلو قدمه في الفقه عموماً والفرائض على وجه الخصوص إلا أن شهرته بقول الشعر هي التي غلبت عليه هناك ؛ حتى أنه لم يُعْرَف بها إلا بعمارة الشاعر ، وقد كان له منزلة كبيرة لدى الخلفاء الفاطميين ووزرائهم ، وكان يعقد مجالس للتدريس بمصر ، وله تلاميذ بها منهم الشيخ إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد الأنصاري الكاتب[3] (ت٦١٣هـ / ١٢١٦م) ، غير أنه لم يعد إلى اليمن حتى بعد سقوط الدولة التي استحلى العيش بمصر في ظلالها ، وقد انتهت حياته بها مشنوقاً بعد اتهامه بالتآمر – مع الصليبيين – ضد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي[4] .

وممن نزل مصر – بعد رحلة شملت مناطق كثيرة من العالم الإسلامي – نجد الحافظ أبا نزار ربيعة بن الحسن بن علي الحضرمي (ت٦٠٩هـ / ١٢١٢م) ، تفقه ببلده ، ثم ارتحل إلى البصرة وخراسان وأصبهان وهمذان ومكة ، وسمع فيها كلها على جلة من خيرة علمائها ، ثم حدّث في دمشق ومكة وغيرهما ، وآواه المطاف إلى مصر

---

[1] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٧٧ .

[2] انظر أخباره عند الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٢ ص ٩٥٥ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ورقة ٦٨- أ ، الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٤٦ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٧٧٠ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ١ ص ٥٣٨ ، ج ٢ ص ٢٥٤ ، ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج١ ص ٢٧٣ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ٢٧٨ ، الوزير ، **تاريخ بني الوزير** ، ص ٢٢٧ .

[3] المنذري ، **التكملة لوفيات النقلة** ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨١م ، ج ٢ ص ٣٣٤ .

[4] ابن خلكان ، **وفيات الأعيان** ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، (د ، ت) ، ج ٣ ص ٤٣٥ .

سنة ٥٧٢هـ / م ، فسمع بها وبالإسكندرية أيضاً ، ثم تصدر للتدريس والحديث بها مدة طويلة ، سمع عليه خلالها عدد كبير من أترابه ومن طلبة العلم وغيرهم ، وقد توفي بها عن عمر يناهز الرابعة والثمانين سنة[1] .

ثالثاً الرحلات العلمية لعلماء وفدوا إلى اليمن مِنْ غير أهلها :

لم يكن موقع اليمن الجغرافي ولا تضاريس سطحها يوماً عقبةً كؤود أمام التواصل بين أبنائها وغيرهم ، وفي الصفحات الماضية خير دليل على ذلك ، فقد كانت عوامل الأرض والدين والنسب والتاريخ تمثل أرضية صلبة قامت على أساسها صور شتى من التواصل ، وتواصل أبناء اليمن مع غيرهم لم يكن جديداً ولا مستحدثاً بعد دخولهم في الإسلام فقط ، بل هو قديم قِدَم وجودهم على أرضها ، فقد شهد تاريخها قيام عدد من الحضارات القديمة كحضارة مَعِيْن وأَوْسَان وقَتَبَان وسَبَأ وحِمْيَر ، وقد أقامت هذه الحضارات علاقات مختلفة مع الحضارات القائمة المماثلة في مصر وبلاد الشام واليونان ، وكانت هذه العلاقات قائمةً على أساس من المصلحة المشتركة ، وبالتالي فمصير هذه العلاقة مرهون بقيام هذه المصلحة ، وتنهار بانتهائها .

ويظل دخول اليمنيين في الإسلام هو نقطة الانعطاف ومركز التحول التاريخي الهائل في مسيرة حياتهم ، فهم منذ شَمُّوا أريجه ، وسمعوا أخباره ، تأثروا به ، وتشوقوا إليه ، وانجذبوا نحوه ، وتطلعوا للعيش في كنفه ، والسير على نهجه[2] ، وأصبحت علاقتهم بإخوانهم المسلمين في الأقطار الأخرى قائمةً على أسسٍ متينة ، لا وجود للمصلحة الآنية فيها ، أسسٍ مبنية على وشائج دينية قوامها الدين الواحد الذي ربط المصير بالمصير ، ودفعهم إلى الشعور بما يشعر به جسد دار الإسلام كله من رخاء أو عناء ، من علم أو جهل ، من نور أو ظلام .

---

(1) الأسنوي ، **طبقات الشافعية** ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م، ج٢ ص ٢٨١ ، الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن** ، صورة عن نسخة الدكتور عبدالرحمن الشجاع ، صنعاء ، ق ١١٥ ، الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١، ١٩٨١م ، ج ٢١ ص ١٨ ، المنذري ، **التكملة لوفيات النقلة** ، ج ٢ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ .

(2) د. عبدالرحمن الشجاع ، **اليمن في صدر الإسلام** ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ص ٧ .

وقد انطلق اليمانون في أرض الإسلام ، لا يقوم في وجوههم حد ، ولا يوقف تدفقهم حاجز ، فكانوا في طليعة الجيوش الفاتحة لبلاد الشام ، كما كانوا في عِداد جيوش فتح العراق ، وكانوا بمعية عمرو بن العاص وهو يفتح مصر ومشارف إفريقية.

ولم يَعْدَمْ اليمنيون العذر للخروج من بلدهم في حقبة ما بعد الفتوحات ، فكان الخروج في طلب العلم في مقدمة مقاصدهم ، وكان السعي للجلوس بين أيدي أئمة الصحابة والتابعين من أكبر دوافعهم ، واستمر المد قائماً إلى القرون المتأخرة من تاريخهم الإسلامي ، ذلك ما تصرح به المصادر التاريخية وكتب الطبقات وتعكسه الدراسات الحديثة .

وكما كانت اليمن منطقة دفع لطلاب العلم والعلماء ومصدر هجرة لهم إلى مختلف أمصار الإسلام فبالمقابل أيضاً كانت منطقة جذب وهجرة لطلاب العلم والعلماء من غير أبنائها باستمرار ودون انقطاع ، وذلك لما كانت تشتهر به من وجود كبار العلماء فيها منذ القرن الثاني الهجري ، واستمر الحال كذلك خلال القرون التالية بعده ، فقد اشتهرت بالمراكز العلمية المتعددة التي تزخر بالعلماء مثل مدن الجَنَد وصنعاء وعدن وزَبِيْد وصَعْدَة[1] وغيرها من القرى والهِجَر العلمية ، حيث كانت هذه المراكز مقصداً لطلاب العلم والعلماء من أنحاء كثيرة من بلاد فارس والشام والعراق والحجاز ومصر والسودان وبلاد المغرب وغيرها[2] .

ومن الملحوظ أن أغلب من قدم اليمن من العلماء وطلاب العلم من غير أهلها كان أغلب نزولهم على مراكز العلم الواقعة في سهولها الساحلية مثل عدن وزَبِيْد

---

(1) مدينة قديمة يعزى بناؤها إلى الحميريين ، يفيد الهَمْدَاني بأنها كانت تسمى في الجاهلية جُمَاع ، وهي مرتبطة بالمذهب الزيدي في اليمن ، فأهلها هم الذين استدعوا المؤسس الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين سنة ٢٨٠هـ / م ، وهم الذين قامت على جهودهم دولة الزيدية الأولى في اليمن ، تقع في شمال اليمن في الأراضي المعدودة في منازل قبائل خولان ، الإصطخري ، **المسالك والممالك** ، تحقيق د. محمد جابر الحيني ، سلسلة الذخائر (١١٩) ، مايو ٢٠٠٤م ، ص ٢٦ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٦٧ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ١ ص ٩٠٧ ، الهَمْدَاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ١١٥ ، الواسعي ، **البدر المزيل للحزن في فضل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المنن** ، مطبعة التعاون الأخوي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م ، ص ٢٤ .

(2) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب – جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ٤٢٧ .

والشِّحْر[١] ؛ ومرد ذلك إلى أمرين : أولها كونها مطلةً على الشواطئ اليمنية – على البحر العربي أو خليج عدن والبحر الأحمر – التي كانت غالباً مراسي لسفن الواردين إليها من التجار وغيرهم ، وهم الذين جاء بصحبتهم هؤلاء الطلاب والعلماء ، وثانيها : سهولة تضاريس هذا الجزء من اليمن وجغرافيته ، فهو سهل واسع لا جبال فيه ولا هضاب ، وبالتالي فالحركة به ميسورة ، ولا تستلزم الكثير من الجهد .

ومما يؤسف له أن جميع المصادر المتوافرة التي رصدت سير النشاط العلمي في المجتمع اليمني في حِقَبِ تاريخها الإسلامي لم تأتِ على ذكر كل الشخصيات التي وَرَدَت اليمن ، بل كان سردها محصوراً لتلك الفئة التي كانت مُبَرِّزَةً في العلوم – أصلاً – قبل قدومها ، فهم – في نظر كُتّاب المصادر – الفقهاء ، والمحدثين ، والقضاة ، والأصوليين ، وهي في مجملها ألقاب علمية تدل على منازل حامليها بين شريحة العلماء ، حتى لو كان من أهداف قدومهم اليمن الاستزادة والتلقي على أمثالهم من علماء اليمن ، أي أن من رحل إلى اليمن في مرحلة الطلب الأولى ، وقبل سطوع اسمه في سماء العلم والعلماء ، فإن ذِكْرَه كان مغموراً كشخصه ، وإن وُجِدَ ما يدل على وجوده على الساحة فهو إشارات هامشية بين الكلمات على غرار ذكر الأحداث الجانبية في حياة العلماء والفقهاء الذين تفقهوا عليهم وأخذوا عنهم ، وأورد في هذا السياق أنموذجين يدللان على ذلك ، فهذا الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن حِمْيَر العَرْشَاني (ت٥٥٧هـ / ١١٦١م) كان يحضر درسه بعدن – حين ارتحل إليها قادماً من إبّ – جمعٌ من المغاربة والإسكندرانيين[٢] ، وكان يَفِدُ إلى قرية سَيْر – وهي منزل الإمام يحيى بن أبي الخير العُمراني – الطلاب من الحبشة والسودان[٣] ،

---

(1) إحدى كبريات مدن الساحل الشمالي لبحر العرب مما يلي بلاد حضرموت في اليمن ، وقيل أن الشِّحْر هو اسم الساحل الممتد من عدن حتى عُمَان الذي تقع هذه المدينة في وسطه ، ومازالت هذه المدينة محاطة بسور إلى يومنا هذا ، وجرت بها معركة كبيرة بين أهلها وبين طلائع الأسطول البرتغالي المتجه إلى مضيق هرمز ، كما سيأتي ، وتعد واحدة من أكبر مراكز محافظة حضرموت الإدارية ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٤٧ ، السقاف ، **إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت** ، ص ٧٢ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٨٥٢ ، الهَمْدَاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٩٠ ، ٢٤٨ .

(2) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٣٠٤ .

(3) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص 209، 210 .

فمن هم هؤلاء المغاربة ، ومن هم هؤلاء الإسكندرانيين ، والسؤال نفسه يتكرر مع ذكرنا للسودانيين والأحباش ، وهو ما يجعل القارئ يقرر معي أن اليمن فعلاً كانت محطة تعليم كبرى ، يأنس إليها العالم فيجد فيها من يتعلم منه ومن يتعلم على يديه ، كما يرغب فيها الطالب فيجد فيها مبتغاه من العلم وحَمَلَته .

وهنا سأقوم بعرض أخبار مجموعة ممن قَدِمَ اليمن ومرماه التلقي على أكبر علمائها ومن شاع ذكره من الفقهاء والمحدثين ، وهم أولئك الذين أشرت إليهم بأن المصادر أوردت ذكرهم وهم الفقهاء ، والمحدثين ، والقضاة ، والأصوليين ، ابتداءً من القرن الهجري الثاني حتى مشارف القرن التاسع الهجري – زمن الدراسة وإطارها الزمني .

في مقدمة من يجدر الإشارة إليه ممن قدم اليمن في القرن الثاني الهجري الإمام المحدث أبو عروة مُعَمَّر بن راشد (ت١٥٢هـ / ٧٦٩م) الذي قال عنه بامخرمة[١] أنه : " أول من ارتحل في طلب الحديث إلى اليمن " فحقق بغيته وأخذ الحديث عن همام بن منبه ، وأقام باليمن عشرين سنة ، وتتلمذ عليه مجموعة من أشهر رجال الحديث ، ليس على مستوى اليمن وحدها بل على مستوى العالم الإسلامي كله ، منهم من أهل اليمن عبدالرزاق بن همام الصنعاني وقاضي صنعاء هشام بن يوسف الأبناوي ، ومن غير أهل اليمن سفيان بن عيينة وسفيان الثوري وعبدالله بن المبارك ، وفي اليمن صنف كتابه (الجامع) ، الذي يعد من أقدم ما ألف في الحديث النبوي عموماً ، ويذكر الجَنَدي[٢] أنه أول من قُبِرَ في خُزَيْمَة[٣] .

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر** ، تحقيق ودراسة عبدالغني علي الأهجري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب – جامعة صنعاء ، ٢٠٠٢م ، ج ١ ص ٥٨٦ .

(2) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ١٢٥ ، أما خزيمة فهي مقبرة صنعاء الرئيسة إلى اليوم .

(3) ترجمته عند الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ص ١٢٣ ، ١٢٥ ، ابن الجوزي ، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا وآخر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥م ، ج ٨ ص ١٧١ ، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب** ، باعتناء مكتب التحقيق مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م ، ج ٤ ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ج ٧ ص ٥ – ١٨ ، ابن سعد ، **الطبقات الكبرى**، ط ١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج ٥ ص ٣٥٤ ، العامري ، **غربال الزمان** ، تحت إشراف القاضي عبدالرحمن الإرياني ، طبعة دمشق ، ١٩٨٥م ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

ونذكر أيضاً الإمام محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤هـ / ٨١٩م) الذي قدم اليمن وأخذ عن علمائها كهشام بن يوسف وأبو حنيفة بن سماك وإسحاق الدَبَري ومحمد بن خالد الجَنَدي ، ومطرف بن مازن الكناني[1] .

أما في القرن الثالث فنذكر الإمام أحمد بن حنبل(ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) الذي قدم اليمن واتجه نحو عدن ليأخذ عن إبراهيم بن أبان بن الحكم العَدَني ، ولكنه لم يوفق بالجلوس إليه ، ثم ارتحل إلى صنعاء فجلس إلى الإمام عبدالرزاق الصنعاني فأخذ عنه كتابه (المصنف) وأقام عنده مدة ، وأخذ عنه جماعة من محدثي اليمن مثل عبدالملك الذِّمَاري[2] .

وفي منتصف القرن الرابع الهجري قدم اليمن أبو زيد محمد بن أحمد بن عبدالله المَرْوَزي فنزل نَمَار[3] ، وجلس لإقراء صحيح البخاري فيها ، وقد أخذه عنه جماعة من أعيان العلماء ، أمثال الفقيه أبو محمد عبدالله بن علي الزرقاني (ت بعد ٣٥٣هـ / ٩٦٤م)[4] .

وفي سنة (٣٨٨هـ / ٩٩٨م) حج الفقيهان أبو محمد القاسم بن محمد القرشي (ت٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) وأحمد بن عبدالله الصعبي (ت تقريباً ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م) وسألا شيخهما الحسين بن جعفر بن محمد المراغي المصري (ت قبل ٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) القدوم معهما إلى اليمن ، وبذلا له ما يحتاجه ؛ فأجابهما إلى ذلك ، وقام بتدريس كتبه – التي أخذاها عنه بمكة – لطلبة العلم بسَهْفَنَة[5] .

---

(1) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ص ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

(2) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ١٣٥ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ١ ص ٦٣٦ ، محمد لطف عبدالرزاق، **محدث اليمن – الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ٧٥ .

(3) مدينة قديمة كبيرة ، تقع في سهل زراعي منبسط ، وتبعد عن صنعاء حوالي ٩٥ كيلومتراً جنوباً على الطريق الواصل بينها وبين محافظات الجنوب ابتداءً من إب حتى عدن ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٢ ص ٣٤١ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٦٤٩ ، الهَمْدَاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٢٠٦ .

(4) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٢١٩ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٨١ .

(5) الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ص ٢٣٢ .

في آخر القرن الخامس الهجري قدم اليمن الإمام أبو عبدالله محمد عَبْدَوَيْه المهروباني (٥٢٥هـ / ١١٣١م) فنزل عدن ، وبقي بها مدة ، ثم صار إلى زَبِيْد، وهناك تعرض لمصادرة جُلِّ أمواله على يد المفضل بن أبي البركات الحميري الباطني عندما اجتاح زَبِيْد سنة (٥٠٥هـ / ١١١١م) ، فانتقل إلى جزيرة كَمَرَان[1] وشاع علمه ، فقصده طلبة العلم من أنحاء اليمن بتهامتها ونجدها ، يقول الجَنَدي : " وأصحابه – أي طلابه – أكثر من أن يحصوا كثرةً ... وكان يقوم بكفاية المنقطعين من أصحابه ... "[2] .

ولما سمع أهل مِرْبَاط [3] برسُوِّ المركب الذي قدم عليه أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسن القلعي (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) في مينائهم أكرموه ، وكان في مقدمتهم قاضي المدينة ، فطلبوا منه البقاء عندهم واستيطانها لتعليمهم أمور دينهم ، وبذلوا له ألا يتركوه يحتاج إلى شيئ ، فرفض ، فلما بلغ به سلطانهم محمد بن أحمد الأكحل خبره قام إليه بنفسه وطلب منه النزول في مِرْبَاط ليفقه الناس وبذل له ما يحبه ؛ فاستحى منه وقَبِل ، فأنزله السلطان بدار تليق به ثم أقبل على التدريس ونشر العلم ، فتسامع الناس به في بقية مناطق حضرموت ونواحيها فقصدوه ، وأخذوا عنه الفقه وغيره من العلوم ، فلم ينتشر العلم في تلك النواحي من اليمن كما انتشر عنه وعن تلاميذه ، وقد حج هذا الفقيه مراراً فكان ينزل زبيد ويُعلِّم بها[4] .

ومن أنشط الراحلين إلى اليمن للتعلم والتعليم أبو الفضل الحسن بن محمد بن أبي الحسن الصَّغَاني (ت٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) ، قدم اليمن من سمرقند مراراً

---

[1] أكبر جزر الأرخبيل اليمني المكون من مجموعة من الجزر الصغيرة مثل حُنَيْش الكبرى وحُنَيْش الصغرى وزُقَر وغيرها ، وكَمَرَان تقع في مواجهة مدينة الصلَيْف على بعد ثلاثة أميال فقط من الشاطئ ، وبها عدد كبير من آبار المياه ، وتعيش بها مجموعة من الحيوانات البرية كالغزلان والحمير الوحشية ، وهي مأهولة بالسكان وإن كانت كثافتهم ليست عالية ، وتتبع – إدارياً – محافظة الحُدَيْدة ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ١ ص ١٨٧ ، حمزة علي لقمان ، **تاريخ الجزر اليمنية** ، ١٩٧٢م ، ص ٧ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج٢ ص ١٣٥٢ ، الهَمْدَاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٩٣.

[2] الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٢٧٩ ، ٢٨٠ .

[3] مدينة قديمة على ساحل بحر العرب قريباً من ظفار ، ولم أجد له ذكر حتى في إدام القوت (**معجم بلدان حضرموت**) ، فلعله الآن أصبح خرباً ، الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ص ٤٥٣ .

[4] الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٤٥٤ ، ٤٥٦ .

كثيرة ، أقام بعدن وكان له بها مدرسة ، وصحبه بعض أهل الدُّمْلُوَة[1] إلى بلده فأقام بذي يَعْمُد[2] ، وأخذ عنه شيوخها ، وقصده جمع من الفقهاء إليها فأخذوا عنه ، وقد كان جوَّاباً للبلاد ؛ لذلك كثر الأخذ عنه ، إذ لا يقيم بموضع إلا أفاد أهله منه ، لذلك انتشر العلم على يديه انتشاراً واسعاً ، وقدم تعز سنة (٦٣٦هـ / ١٢٣٨م) ، وقد جاور بمكة في آخر أيامه حتى مات بها[3] .

كل من ذكرتهم سابقاً من أهل السنة ، ولم يكن الزيدية بأقل منهم وروداً على اليمن وهم من هم في حب العلم وتشجيع بعضهم بعضاً عليه ، وبذل العمر والجهد والمال في سبيل تحصيله ، فممن أشارت إليهم مصادر رجال الزيدية نذكر أبا الحسين أحمد بن موسى الطبري (ت٣٤٠هـ / ٩٥١م) كان واحداً من جماعة الطبريين الذين قدموا مع الإمام الهادي إلى الحق ثم ابنه محمد المرتضى ، وأسهموا معه بجهودهم في تأسيس المذهب الزيدي في اليمن بعلمهم وبقتالهم معه ، وكان أبو الحسين الطبري من أنشطهم وأعلمهم ، فتشير المصادر إلى أنه " على يده انتشر مذهب الهادي في اليمن ، وبينه وبين علماء المذاهب مراجعات ومناظرات "[4] ، وقد هَمَّ بالرجوع إلى بلده ، وفعلاً اتجه إلى زَبِيْد لكي يلتقي ببعض سلاطين بني زياد يستعين به على تكاليف السفر ، إلا أنه عدل عن مقابلة السلطان بل والعودة عموماً إلى بلده[5] ، فلما عاد بسط عليه أحد زعماء القبائل الزيدية حمايته فدخل جامع صنعاء وجَدَّ في الدعوة إلى مذهب الزيدية حتى مات[1] .

---

(1) قلعة حصينة خَرِبة ، لها شهرتها الكبيرة في التاريخ السياسي لليمن في العصر الإسلامي ، فقد جرت حولها كثير من الصراعات بين القوى السياسية المتعاقبة ، وهي تقع فوق قرية المنصورة من جبال الصَّلْو بمحافظة تعز ، وتبلغ المسافة بينها وبين مدينة تعز حوالي ٦٠ كيلومتراً في الجنوب الشرقي منها ، وقد سكنها عدد من العلماء والفقهاء طلابهم ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٢ ص ٢٣٨ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٦٢١ ، الهَمْدَاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٩٣ .

(2) قرية غير معروفة حالياً ، كانت تقع في جبل الحُرَيم من منطقة الأغابرة بمديرية القَبَيْطَة من محافظة لَحْج ، وكان هذا الجبل سابقاً يتبع مخلاف الصلو من أعمال محافظة تعز ، الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ٤ ص ٨٠٩ ، المقحفي ، **المصدر السابق** ، ج٢ ص ١٩١٧ .

(3) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٤٠١ – ٤٠٣ .

(4) الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ص ٥٨١ .

(5) تعزو بعض المصادر الزيدية أن السبب في ذلك هو رؤيا رآها دعاه فيها الإمام الهادي إلى العودة لتعليم الناس أصول الدين ، انظر الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ص ٥٨٢ .

ومنهم – بل أشهرهم – زيد بن الحسن البيهقي (ت٥٥١هـ / ١١٦٥م) الذي ترك بلدته واتجه نحو الري ببلاد فارس ، ولما زاد انتشار فكر المطرفية بين كثير من أتباع مذهب الإمام الهادي في اليمن في القرن السادس الهجري استدعاه الإمام علي بن عيسى بن حمزة السليماني (ت٥٥٦هـ / ١١٦١م) ليأتي ويُسْهِم في الرد عليهم ورد الناس عن اتباعهم ، فلبى الدعوة سنة (٥٤٠هـ / ١١٤٥م) ، وحمل معه كثيراً من المصادر المهمة التي تَحْمِلُ في طياتها ما يتكفل بدعم الآراء والمعتقدات التي تُحَجِّمُ من انتشار الفكر المُطَرِّفي وتحد من شيوعه ، وبما ينعش مذهب الإمام الهادي بين أتباعه ، وقد تعرض أكثر كتبه للنهب بين مكة والمدينة ، ولم تشر المصادر إلى هوية الناهبين لها .

ولما بلغ زيد البيهقي اليمن نزل هِجْرة محنكة[٢] على عهد الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (ت ٥٦٦هـ / ١١٧٠م) ، فسمع عليه جمع من أشهر رجال الزيدية ، منهم الإمام المتوكل نفسه ، والقاضي جعفر بن عبدالسلام (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م) ، وتفقه به كثيرون ، وأسهم مساهمةً فعالةً في المواجهة الفكرية بين الفرقتين الزيديتين المخترعة والمطرفية ، فكان يمثل المخترعة في كثير من المناظرات في التي عُقِدت في معاقل المطرفية نفسها ، في وقش وسناع ، وحضر مناظرته ألوف من الناس " ما بين علوي وحسيني وسنحاني وشهابي وصنعاني وهَمْدَاني ... "[٣] ، وجادل من كان على رأيهم في صعدة وتهامة ، وقد مات في تهامة في طريق عودته إلى العراق ، وكان بصحبته – يومئذ – القاضي جعفر ، فدفنه وواصل رحلته إلى العراق كما أسلفنا[٤] .

---

(1) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢١٢ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٩٠ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ٤٧ .

(2) قرية عامرة في أسفل وادي حَيْدَان على مسافة ٥ كيلومترات جنوباً من منطقة حيدان من مخلاف خولان قرب صَعْدَة ، وهي من أقدم الهجر العلمية باليمن وأشهرها ، الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٤ ص ١٩٦١ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج٢ ص ١٤٣٨.

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٤٤٨ .

(4) الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ص ٧٥٠ ، المطاع ، **تاريخ اليمن الإسلامي** ، تحقيق عبدالله الحبشي ، منشورات المدينة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ص ٣١٧ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٤٤٦ – ٤٤٨ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٤٣٥ .

ومنهم أيضاً داود بن محمد الجيلاني (ت بعد ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) ، قدم من جيلان ليلقى العابد الزيدي إبراهيم الكينعي (ت٧٩٣هـ /١٣٩٠م) ، وكان من المتصوفين ، وقد عده البعض بأنه شيخ أهل صعدة في العبادة والزهد والورع[1] .

لقد كان العلماء الراحلون إلى اليمن ، سواء استوطنوها أم لا ، من الكثرة بمكان حتى أن القاضي أحمد بن علي بن أبي بكر العرشاني (ت٦٠٧هـ / ١٢١٠م) ألف كتاباً لتراجم من قدم اليمن من الفضلاء والعلماء ، لكنه للأسف الشديد مفقود ، أشار إليه الجَندي في طبقاته[٢] .

الهامش الكبير للحرية الفكرية :

العقل الخائف لا يُنْتِج ، لأنه مصاب – لا شعورياً – بالشلل ، والفِكْر المحاصر بالأطر الضيقة يَرْكُدُ فيأسَـنُ كالماء ، ولا يُرْجى منه النبوغ ؛ ذلك لأنه يهوى التوغل في الأبعاد ، واتساع ميدان السباق يدفع المتسابق إلى عدم ادخار قواه الكامنة ليبلغ خط النهاية فائزاً ؛ فالحرية مطلب من أساسيات الحياة لا من كمالياتها ، لذلك فقد كفل الإسلام الحريات الكثيرة لكل من يعيش على أرضه مسلماً كان أم ذِمّيّاً معاهِداً ، وأسمى تلك الحريات وأرفعها هي حرية المعتقد ، فقد جعل الإسلام الإنسان حراً في اعتقاده ، ذلك ما صرحت به النصوص المتواترة ، فالقرآن الكريم يصرح بأنه : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ﴾[٣] .

إذا الأمر كذلك فيما يخص الحرية الاعتقادية ، فما بالنا بما هو دونها ، ومهما بلغت أهمية الحرية الفكرية في حياة الإنسان إلا أنها لا تعدل أهمية الحرية الاعتقادية ولا تكافئها ، وذلك لا يعني ترك الحبل على الغارب ، وفتح الباب على مصراعيه أمام كل عابث ؛ لأن ذلك لا يسمى حرية بل هو الفوضى بعينها ، والإسلام عندما أطلق العنان للفكر جعل له حداً ، هو ألا يَلِجَ من المجالات ما يصطدم فيها بثوابته ، وألا يبلغ

---

(1) ابن المؤيد ، المصدر السابق ، ج ١ ص ٤٣٥ .

(2) الجندي ، السلوك ، ج ١ص ٣٦٥ .

(3) سورة البقرة .

مدىً يتعارض فيه مع عقيدته ، فالنبيﷺ عندما أعطى للمسلمين الحرية في تتبع كل ما فيه خيرهم بقوله : " **الحكمة ضالة المؤمن ، أنا وجدها فهو أحق بها** "[1]. هو كذلك يرسم الخط الأحمر الذي لا يسمح بتجاوزه بقولهﷺ : " **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** "[2] .

وكان اليمنيون – كغيرهم من أبناء الإسلام – قد استغلوا هذا المناخ الذي كفله الإسلام لهم ، فانطلقوا في ميادين العلوم الشرعية منها والطبيعية ، فكانت اليمن – كما رأينا آنفاً – قبلةً لكثير من طلبة العلم الشرعي منذ القرن الهجري الثاني ، ويكفي للتدليل على ذلك أن ثلاثة من أئمة المذاهب السنية الأربعة اتجهوا إليها طلباً للاستزادة من العلم على أيدي من كان بها من أعلامه .

وقد سبقت الإشارة إلى الدور المهم الذي لعبه كلٌّ من الطبيعة الجغرافية لليمن وموقعها بالنسبة للعالم الإسلامي في تنويع المعارف لدى أهلها وتعدد الاتجاهات والفكرية والمذهبية على أرضها ، فقد كان التواجد شاملاً للمذاهب الفقهية السنية كالشافعية والحنفية ، والمذاهب الفقهية–الفكرية كالزيدية والإسماعيلية والخوارج ، والمذاهب الفكرية الصرفة كالمعتزلة .

وإذا كان الصراع لم يهدأ طوال العصر الإسلامي لليمن عموماً فليس بالضرورة أن تكون الخلفيات الفكرية والفقهية هي المحرك له والدافع وراءه ، فقد أثبتت المصادر أن صوراً شتى من صور التعايش كانت قائمةً بين أصحاب هذه الاتجاهات المتعددة ، سواءً من العامة أو العلماء وطلابهم ، وقد لعبت المصالح السياسية لزعامات القوى الفاعلة وقيادتها دوراً كبيراً في استمرارية ذلك الصراع وإذكاء جذوته .

ومن جانب آخر يجب الإشارة إلى أن المصادر نفسها وإن كانت قد تناولت بعض الإشارات إلى مواقف معدودة يمكن أن تمثل أدلةً لعدم توافر القدر الكامل من

---

[1] الترمذي ، **سنن الترمذي** ، ج ٥ ص ٥١ ، رقم (٢٦٨٧) ، ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، ج ٥ ص ١٣٩٥ ، رقم (٤١٦٩) ، باب (الحكمة) .

[2] البخاري ، **الجامع الصحيح : صحيح البخاري** ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت، ط ٣ ، ١٩٨٧م ، ج ٢ ص ٩٥٩ ، رقم (٢٥٥٠) باب (إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود)، مسلم ، **صحيح مسلم** ، ج ٣ ص ١٣٤٣ ، رقم (١٧١٨) ، باب (رد الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) ، ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، ج ١ ص ٧ ، رقم (١٤) ، باب (تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه) .

الحرية الفكرية فإن تلك الإشارات السلبية – مقارنةً مع الإشارات الإيجابية – تعد قليلة، وأنا هنا لا أنفي مصداقية حدوثها، بل أقول أن هذه المواقف هي ما شذ عن الوضع العام والشائع ، وهو المناخ الواسع للحرية الفكرية.

ومن أوضح صور المناخ الفكري الحر الذي اتسمت به الساحة اليمنية أننا نجد أن الدولة القائمة – أياً كانت – كانت توفر لرعاياها من أتباع الفكر المضاد لفكرها الذي تقوم هي عليه قدراً كبيراً من الحرية يكفل لهم أن يمارسون أنشطتهم العلمية والفكرية بكل يسر ، ولا يهمنا هنا إن كانت دوافع إفساح المجال للتعدد الفكري من قِبَلِ حكام الدول اليمنية المتعاقبة هو بسبب موازناتهم السياسية ، فنحن هنا لسنا بصدد رصد تلك الأسباب ، وما نحاول الإشارة إليه هو أن الحرية الفكرية كانت مكفولةً إلى حد كبير ، ونحن هنا سنقوم بذكر مجموعة من الأدلة – المواقف التاريخية – المحدودة محاولاً رسم صورة ملامح الحرية الفكرية التي أشرت إليها .

ففي عهد الدولة الصليحية ، الشيعية الفكر ، الإسماعيلية المذهب ، الفاطمية الولاء ، كان عهدها من أخصب عهود ازدهار الفقه السني الشافعي في اليمن ، فقد عاش في ظلالها مجموعة من أشهر فقهاء الشافعية والحنفية باليمن ، وكانت المدارس العلمية تمارس نشاطها في الجَنَد وذي أشْرِق وسَهْفَنَة وغيرها من قرى العلم ومعاقله بكل حرية ونشاط ، فنجد أن الإمام أبا أسامة زيد بن عبدالله بن جعفر بن إبراهيم اليفاعي الشافعي (ت بعد ٥١٣هـ / ١١١٩م) – كما أشرت سابقاً عند حديثي عن الرحلات العلمية – أنه نشأ ببلدته يَفَاعَة ، ثم تَدَيَّرَ الجَنَد فتفقه بها على أبي بكر بن جعفر وإسحاق الصَّرْدَفِي ، ثم ارتحل إلى مكة فأخذ بها عن بعض العلماء من المقيمين والحجاج ، ثم عاد إلى الجَنَد فاجتمع الطلبة حوله من عدن وأبْيَن ولَحْج وأنحائها ، ومن تِهامة وحضرموت ، ومن الجبال كالمعافر وغيرها ، ومن نواحي الجَنَد نفسها كسَيْر وسَهْفَنَة وغيرهما ، وقد بلغ عدد طلاب مدرسته بمسجد الجَنَد ثلاثمائة طالب ، وفي المسجد نفسه ، وفي الوقت نفسه وُجِدَتْ مدرسةٌ أخرى لشيخه أبي بكر بن جعفر بها خمسون طالباً[1] .

فهذا الرجل – الإمام اليفاعي – يأتي في طليعة العلماء الذين يدين المذهب الشافعي لهم ولطلابهم بالفضل – بعد الله تعالى – في انتشاره في جميع المناطق

---

[1] الجندي ، السلوك ، ج ١ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ .

الجنوبية والشرقية لليمن ، فنجد أنشطته العلمية التي ذكرناها ، من رحلةٍ داخليةٍ إلى الجَنَد ، ورحلةٍ خارجيةٍ إلى مكة ، وممارسةٍ للتدريس ، وتَجَمُّعٍ للطلاب حوله ، وإقامةِ مدرستين – له ولشيخه – في مسجد الجَنَد ، كل هذا لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتم في غياب مناخ من الحرية ، إذ لم يكن بأيدي هؤلاء الفقهاء من القوة ما يمكن لهم أن يدافعوا به عن أنفسهم لو توافرت إرادة الاضطهاد لهم لدى السيدة الصليحية ، ولم تكن الدولة يومها تعاني من الضعف الذي تجد نفسها أمام الأمر الواقع من ضرورة استمالة الناس إليها ، بل كانت تعيش فترةً من أزهى فترات قوتها وازدهارها .

وإذا ما رأى الوالي الصليحي – المفضل بن أبي البركات الحميري – أن في تجمع الفقهاء وطلابهم بمسجد الجَنَد قوةً يُخاف منها ، فإنه لم يبادر إلى استخدام القوة بما يحسب دليلاً على انحسار الحرية الفكرية في عهد دولته ، وليس ثمة ما يمنعه من استخدام القوة في تفريقهم إطلاقاً ، بل لجأ إلى ما يمكن أن يلجأ إليه أي قيادي سياسي في أي زمان وفي أي دولة ، وهو محاولة تفريقهم من خلال الاستعانة ببعضهم في المناصب القضائية دون بعض ، فقال لأصحابه : " هؤلاء – أي الإمام اليفاعي وشيخه أبو بكر بن جعفر وطلابهما – يُكَفِّرُننا ولا نأمن خروجهم علينا مع القِلَّة فكيف مع الكثرة ... انظروا كيف تفرقون بينهم وتدخلون البغضاء عليهم **بالوجه اللطيف** "[1] ، وفي الكلمتين الأخيرتين الشاهد الكافي لما أحاول إثباته .

وهذا المؤرخ أبو الضياء عبدالرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت ٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) يروي لنا أن أسعد بن شهاب الصليحي – ابن عم الملك المؤسس علي بن محمد الصليحي وصهره – لما تولى زبيد : " أحسن سيرته لكافة الرعية ، وأذن لأهل السنة في إظهار مذهبهم ... "[2].

---

(1) الجندي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٦٣ .

(2) **قرة العيون بأخبار اليمن الميمون** ، تحقيق محمد علي الأكوع ، ط ٢ ، ١٩٨٨م ، ص ١٧٨ ، عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد** ، ص ١٢١ ، حسين بن فيض الله الهمداني ، **الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ١١٠ ، د. محمد عبده محمد السروري ، **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ٥٦ .

نعم ، لقد روت لنا المصادر مواقف لبعض حكام الصليحيين تجاه غيرهم من رعاياهم المخالفين لهم في الفكر والمذهب والمعتقد[1] ، لكن أمثال هذه المواقف صدرت عن حكام آخرين موافقين لرعاياهم فكراً وفقهاً ، ولعل هذا يقودنا إلى أن صفة التسامح والحرية الفكرية كانت مكفولة إلى حد كبير ، وهو ما أسهم بشكل فاعل في ازدهار الحياة العلمية في اليمن في تلك الأحقاب من العصر الإسلامي لليمن .

ومما يُستدل به على هامش الحرية الذي كان قائماً آنذاك أن مجموعة من أشهر هِجَر العلم الزيدية – كسناع ووقش – كانت على مرمى حجر من علي بن محمد الصليحي في صنعاء ، إذ لا تبعد سناع عنه إلا حوالي ستة كيلومترات ، ذلك في وقت دوخ فيها كل القوى اليمنية ، ودانت له البلاد من حضرموت حتى مكة ، فلم يمس سناع بسوء[2] ، وكان غاية ما أخذته الزيدية عليه من التصرفات[3] أنه عمد إلى تقريب أهل مذهبه والإحسان إليهم والوفاء بحقهم وإسناد الولايات والأعمال إليهم[4] .

وفي داخل المذهب الواحد تجد تعدداً للأفكار ، وتنوعاً في المواقف ، وهو شكل من أشكال الحرية أيضاً ، فنجد – من أمثلة ذلك – أن الاتجاه الزيدي العام المؤيد للاعتزال في الأصول قد وجد من يخالفه من أبناء الزيدية وعلمائها ، منهم العلامة

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، اللَّحْجي ، **طبقات مُسَلَّم اللَّحْجي** ، ج ٤ ص ١٧٤.

(2) ويقتضي الإنصاف أن أشير إلى أن علي بن محمد الصليحي نال من بعض علماء الزيدية في المناطق الواقعة شمال صنعاء وبالتحديد منطقة البون من منازل قبيلة حاشد ، فقد هدم بيوت مجموعة من هؤلاء العلماء كبيت القاضي تبع بن المسلم اللَّحْجي ، ، **المصدر السابق** ، ج ٤ ص ١٦ ، ١٧.

(3) لا أقصد هنا أبداً أن الزيدية لم ترَ على الصليحي مآخذ أخرى تخص عقيدته وفقهه ، ففي تفنيدها العديد من الرسائل والكتب التي ألفها أئمة الزيدية وعلماؤها ، وهذا القاضي تبع بن المسلم – المعاصر لعلي الصليحي – كان لا يحضر مجالس الصليحيين ولا يستحل زيارتهم (**المصدر السابق** ، ج ٤ ص ١٣) ؛ لأن عقيدتهم هي نفسها عقيدة علي بن الفضل القرمطي الذي جرت بينه وبين إمام الزيدية الأول في اليمن الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين نيفٌ وسبعون موقعة .

(4) ويقتضي الإنصاف الإشارة إلى بعض المواقف السلبية التي أحدثها علي بن محمد الصليحي وخلفاؤه من بعده ، فمن ذلك أنه نال من بعض علماء الزيدية في المناطق الواقعة شمال صنعاء وبالتحديد منطقة البون – من منازل قبيلة حاشد – وهو بكل الأحوال أمر غير مبرر إطلاقاً ، فقد هدم بيوت مجموعة من هؤلاء العلماء كبيت القاضي تبع بن المسلم ، وكذلك قام السلطان سبأ بن أحمد الصليحي – بسبب مساعي بعض الوشاة – بتخريب هجرة سناع وتخويف أهلها وقتل أحد أشهر علمائها يومذاك – أبي السعود بن زيد – **المصدر السابق** ، ج ٤ ص ١٦ ، ١٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ .

حُمَيْـدَان بن يحيى حُمَيْدَان (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) الـذي نقـل عنه البـاحثون – كمـا سبق أن أشرت – مقـولته الشهـيرة : " وافقناهم – أي المعتزلة – في الأصول ، ولم يوافقونا في الإمامة ، فعلامَ الاتفاق؟ "[١] ، وقد تضمن كتاب (حكاية الأقوال العاصـمة من الاعتزال) موقف حميدان من المعتزلة ، وقد نسبت إليه رسالة أخـرى بعنـوان (الردود المزلزلة لأعضاء المعتزلة) ، وإن وُجِدَ من نسبها إلى الإمـام المطهـر بـن يحيى[٢] .

وهذا هو أبو الطيب طاهر بن الإمام يحيى بن أبي الخير العُمراني (ت٥٨٧هـ /١١٨٢م) عندما أظهر – كما يشير إلى ذلك الجَنَدي[٣] – من المعتقد ما يخالف اعتقاد أبيه واعتقاد الفقهاء في جهته[٤] ، ما كان موقف أبيه ليزيد عن هجره ومقاطعته ، وهذا الموقف من الإمام يحيى بن أبي الخير العُمراني يعد تسجيلاً منه لموقفه من اعتقاد ابنه، وتعبير منه عن رفضه له ، ومن جانب آخر هو صورة للتعبير عن إفساحه المجال أمام ابنه ليكون حراً فيما يعتقد ، وكان موقفه هذا كفيلاً بأن يراجع الابن فكـره ومعتقـده ؛ فيعود عنه بكل رضاً ، ويعلنه من على منبر يوم جمعة بالمسجد الذي يُدَرِّسُ به والـده في ذي أشرق .

---

(1) أحمد محمود صبحي ، **الزيدية** ، ص ٣١٥ .

(2) بروكلمان ، **الأدبيات اليمنية** ، ص ٦٤ .

(3) **السلوك** ، ج ١ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

(4) كان أبوه والفقهاء حنابلة المعتقد ، أما هو فقد كان يميل إلى اعتقاد الأشعرية .

◘ وفرة أماكن التعليم و المراكز العلمية :

تعددت أماكن التعليم وساحات ممارسة الأنشطة العلمية في اليمن ، وذلك أن أماكن التعليم لم تكن محصورة بنمط معين من المباني ولا بتصميم محدد للأماكن ، ولم يكن ثمة ما – أو مَنْ – يُملي المواصفات العامة المحددة لها ، فكانت إمكانات المجتمع – من العامة أو الميسورين أو الحكام – المادية هي التي تصوغ المكان وتشكل صورته، ففي حين أننا نجد أن ساحة المسجد وفنائه يلعبان دور المكْتَب – المِعْلامَة[1] في اصطلاح اليمنيين – في بعض المناطق ، نجد المكتب قائماً منفصلاً بذاته في مكان آخر من اليمن ، وفي رأيي أن الإمكانات المادية كانت العامل الرئيس في اضطرار جَعْل المسجد يلعب مثل هذا الدور .

وسآتي هنا على ذكر مجموعة من أماكن التعليم التي عرفها اليمنيون في حقبة ما قبل زمن الدراسة – القرنين التاسع والعاشر – وإذا كان اليمنيون قد عرفوا من أماكن ممارسة نشاطهم العلمي ما عرفه إخوانهم المسلمون في بقية أقطار العالم الإسلامي الأخرى ، إلا أنهم اختصوا بأنواع معينة لم تكن لغيرهم[2] ، وأشير هنا إلى أن الازدهار العلمي الذي عاشته اليمن عصرئذٍ كان قائماً على وفرة أماكن التعليم ومراكزه ، وسأقتصر على ذكر مجموعة من أشهر الأماكن التعليمية ، ومجموعة أخرى من أكبر المراكز التي تركزت فيها أغلب أماكن التعليم وأشهرها .

(١) المَكْتَبْ – المِعْلامَة :

عَرَّفَتْ المعاجم اللغوية المَكْتَب فقالت إنه: " موضع التعليم " ، والمُكْتِب هو المعلم[3] ، إذاً فالمكتب هو ما اصطلح اللغويون على إطلاقه للإشارة إلى المكان الذي

---

(1) الحجري ، محمد بن أحمد ، مساجد صنعاء ، **عامرها وموفيها** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ومكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، (صورة عن طبعة وزارة المعارف ، صنعاء ، ١٩٤١م) ، ط ٢ ، ص ١٢٥ .

(2) سنأتي إلى استعراض هذا الموضوع بشكل موسع في الفصل الخاص بأماكن التعليم في اليمن ومراكزه من هذه الدراسة.

(3) نقل الإمام ابن منظور قولاً غريباً لافتاً للانتباه ونسبه للمُبَرِّد في معنى **الكُتَّاب** ، إذ يقول : " والكُتَّاب – هم – الصبيان ، ومن جعل الموضعَ الكُتَّابَ فقد أخطأ " فهو إذاً يجعل الكُتَّاب دالاً على الصبيان أنفسهم الذين يتعلمون في المكتب ، بل ويُخَطِّئُ – صراحةً لا تلميحاً – كل من يطلقون تسمية **الكُتَّاب** على مكان تدريس الصبيان ، لذلك رأيت أنه من المهم الإشارة إلى هذه المعلومة لأن فيها الأمرين كليهما : عرضٌ لرأي عالم من أكبر علماء اللغة العربية في دلالة هذا المفهوم ، وكذلك ما يمكن اعتباره تصحيح لخطأ

يتعلم فيه الصبيان أبجديات العلم وأساسياته الأولية من كتابة وقراءة وما إليهما من حفظ للقرآن الكريم وبعض الأحاديث وغيرها ، ومن الملاحظ أن مصطلحين كانا قد شاعا في اليمن – إبان حقبة ما قبل زمن الدراسة وبعدها – للدلالة على مكان تعليم الصبيان، هما : **المكتب**[1] ، و**المعْلامَة** ، والأخير هو الأكثر شيوعاً وانتشاراً حتى التاريخ المعاصر ، وكما يبدو أنه مصطلح مشتق من العلم والتعلم .

ما دمنا قد عرفنا الدور الوظيفي للمكان فلن نلتفت كثيراً إلى المُسَمّى ، فَهَمُّنَا هو الحديث عن الدور الوظيفي الذي قام به المكان ، وهو – من هذا الجانب – موجودٌ ومُشارٌ إليه كثيراً في مصادر تاريخ الحياة العلمية في اليمن ، ومما يؤسف له أن هذه المصادر وإن كانت قد أكثرت من ذكر المكان – المعلامة – إلا أنها لم تعط ما جرى فيه من أنشطة علمية قدراً كبيراً من الاهتمام ، ولا ذكراً كافياً ، كما لم تحدد كثيراً من الأمور حولها ، كأماكن إقامتها مثلاً .

ففي ثنايا التراجم لعلماء اليمن وفقهائها وطلابهم ، أو الحديث عن آثار ومنجزات المُبَرِّزين من حكامه وسلاطينه وأعيانه ووجوهه جاءت الإشارات إلى وجود المعلامة ، ونتفاً بسيطة جداً عما كانت تختص به من نشاط ، من أمثلة ذلك ما ورد في ترجمة الأديب أبو العتيق أبو بكر بن أحمد العَنَدي الأَبْيَنِي (ت٥٠٨هـ / ١١١٤م) وزير الدولة الزُّرَيْعية وصاحب ديوان الإنشاء بها ، فذُكِرَ عنه أنه كان متميزاً في مرحلة دراسته في المكتب وهو لم يتعدَ بَعْدُ سن العاشرة ؛ حتى أن مؤدبه[2] كان يلمس فيه هذا التميز فيتوسم فيه النبوغ ويتنبأ له بالسيادة والرئاسة[1] .

شائع جداً في أغلب الأقطار الإسلامية ، انظر ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج ٥ ص ٢١٧ ، **المعجم الوسيط** ، ص ٢٨٩ .

[1] حاولت جاهداً العثور على أي إشارة إلى مصطلح المكتب فلم أعثر في المصادر المتوافرة ، المطبوعة منها والمخطوطة ، إلا على إشارة واحدة في تاريخ عمارة اليمني (ت ٥٦٩هـ /١١٧٣م) وهو من أقدم المصادر التاريخية اليمنية ، انظر عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزَبِيد** ، ص ٣٢٧ .

[2] أنبه هنا إلى أن الإشارات في المصادر تدلنا – بمجموعها – أن هناك اصطلاحين يطلقان على من يقوم بتدريس الصبيان ، أما المصطلح الأول فهو **المؤدب** وأما الثاني فهو **المعلم** ، وقد اشتهر أن المؤدب هو المدرس الخاص بتأديب أبناء الحكام والسلاطين والوجهاء وتدريسهم أساسيات العلوم وأبجدياتها وتربيتهم والاهتمام بتعديل ما اعوج من سلوكهم ، وهذا هو بذاته ما كان معروفاً في اليمن ، إلا أن مصطلح المؤدب كان أيضاً مما يطلق على معلم الصبيان ، وقد ارتبطت الإشارة إلى المصطلح الأول – المؤدب – بذكر مكان تعليم الصبيان على أنه مكتب ، أما ما ورد من الإشارات إلى ذلك المكان بكونه معلامةً فقد

ولعل عدم قدرة أولياء أمور الصبيان على بناء المعلامات المنفصلة والقائمة بذاتها كان يضطرهم إلى اتخاذ المساجد وأفنيتها مكاناً لتأديب أبنائهم وتعليمهم ، إذ تشير المصادر إلى شيئ من ذلك ، فهـذا مُسلَّم اللَّحْجي يشير إلى أن إبراهيم بن جابر – أحد مشائخ الزيدية ومتكلميها – قصد أحد مساجد شبام[٢] القريبة من صنعاء فوجد بها معلماً يعلم تلاميذه القرآن[٣] .

وهنا سأقوم بإيراد بعض الإشارات من المصادر القديمة المتوافرة إلى وجود معلم القرآن كقرينة قوية على وجود الطرف الآخر لوظيفته وهم الصبيان ، فمن ذلك أن إبراهيم بن أحمد الصبري[٤] كان معلم قرآن في منطقة سَعْوان[٥] ، وكذلك كان علي بن أحمد بن أبي رُزَيْن ومالك بن أبي صنعاء من أحسن معلمي القرآن في بلاد اليمن على حد تعبير المصدر[٦] ، وكان الحسين بن عبدالحميد[٧] معلم القرآن[١] بهجرة مَدَر[٢]

سُمّيتْ القائم بالعمل فيه معلماً ، ولعلنا نقول أن المؤدب والمكتب كانا مصطلحين قديمين حل محلهما مصطلحا المعلم والمعلامة .

(1) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج١ ص ٣٧٠ ، عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزَبِيْد** ، نفس الصفحة .

(2) مدينة أثرية قديمة تقع عند سفوح جبل – حصن – كوكبان الشهير ، تقع إلى الغرب من مدينة صنعاء على مسافة ٤٢ كيلومتراً ، وقد حملت أسماء عدة في المراحل التاريخية المتعاقبة مثل شبام أقيان ، وشبام يعفر ، وشبام حِمْيَر ، كانت الموطن الأول لليعفريين الذين حكموا اليمن في بداية العصر العباسي الثاني ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٤١ ، ٤٤٣ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٨٤٤ ، ٨٤٥ .

(3) اللَّحْجي ، **طبقات مُسلَّم اللَّحْجي** ، ج ٤ ص ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(4) **المصدر السابق** ، ج ٤ ص ٩ .

(5) وادٍ خصب شهير ، يقع في الشمال الشرقي من مدينة صنعاء ، عند السفوح الشمالية لجبلي براش ونقم المطل عليها ، لا تتعدى المسافة بينه وبين مدينة صنعاء العشرة كيلومترات ، يقع ضمن أراضي قبيلة بني حشيش ، أحد بطون خولان العالية ، أكثر مزارعة من العنب بمعظم أنواعه وألوانه ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٢١ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٧٩٣ ، الهَمْدَاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٢١٥ .

(6) اللَّحْجي ، **طبقات مُسلَّم اللَّحْجي** ، ج ٤ ص ٦٥ ، ١١٦ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ٩٨ .

(7) كل الشخصيات التي أذكرها هنا عن **طبقات مُسلَّم اللَّحْجي** هي شخصيات زيدية ، لأن اللَّحْجي لم يترجم إلا لأهل مذهبه ، وكلهم عاشوا قبل القرن الخامس الهجري .

بمشرق حاشد ، أما محمد بن إبراهيم بن رفاد فقد وُصِفَ بأنه كان " صبوراً على تعليم الأحداث والعامة والمبتدئين أصول الدين جملاً وجوامع وتفصيلاً "[3] .

وفي إشارة صريحة وواضحة إلى وجود طرفي العملية التعليمية من المعلم والصبيان في اليمن في تلك الحقبة ما روي أن إبراهيم بن أبي الهيثم المطرفي (توفي أوائل القرن السادس الهجري) كان يتحدث إلى طلابه في هجرة وقش فضرب لهم مثلاً عن أن العلم لا ينفد من المعلم مهما بذله لغيره فقال : " إن المعلم يجتمع حوله خمسون متعلماً فيقرئهم بسم الله الرحمن الرحيم ، فيحفظها كلهم كما يحفظها هو ، ويبقى حافظاً لها "[4] .

ويعد عهد الدولة الرسولية أخصب العصور اليمنية بالنسبة إلى شيوع عملية إنشاء الأماكن التعليمية عموماً ومنها المعلامات الخاصة بالأيتام على وجه الخصوص ، فقد أشارت وثائق أوقاف المدارس العلمية التي تمثل وثائق أصلية وأساسية لهذا الجانب إلى هذه المعلامات كونها جزءاً لا يتجزأ من المدرسة ، وقد أقدم الواقفون على تعيين معلم وأيتامٍ يتعلمون القرآن في كل وثائق الأوقاف المتوافرة لدينا والتي تعود إلى العهد الرسولي ، وما يدعم هذه الوثائق ما تضمنته عشرات التراجم لعدد من سلاطين الدولة ونسائهم ، وكذلك الرجال المحتلين لمناصب متقدمة في هيكل الدولة وغيرهم ، وكأن الأمر أضحى صورةً من صور التنافس في الخير من خلال إنشاء أكبر عدد من المدارس ، والمعلامات الخاصة بالأيتام كجزء منها جميعاً .

---

(1) اللُّحَجي ، **طبقات مُسَلَّم اللُّحَجي** ، ج ٤ ص ٢٢٠ .

(2) قرية كبيرة عامرة في منطقة أرحب من بلاد بكيل – أحد فرعي قبيلة هَمْدَان الشهيرة – وهي من المناطق اليمنية القديمة التي مازالت تحمل اسمها دون تغيير ، بها آثار باقية للحضارات اليمنية البائدة كالحميرية ، وصفها الهَمْدَاني وصف المشاهد لها فقال : " فأما مَدَر فأكبر بلد هَمْدَان مآثرَ ومحافدَ – بعد ناعط – وفيها أربعةَ عشر قصراً ..." ولم يعد هناك اليوم شيئٌ من هذه القصور ، وقد اتخذت من حجارة أطلالها مبانٍ سكنية حديثة ، حتى مسجدها الذي وصفه الهَمْدَاني بأن عمارته تفوق عمارة المسجد الحرام ، كانت من أشهر الهجر العلمية ببلاد اليمن ، وكانت أحد معاقل الزيدية منذ دخلها الإمام الهادي في آخر القرن الثالث الهجري ، الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ٤ ص ١٩٩٤ – ١٩٩٨ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٤ ص ٦٩٨ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ،ج٢ ص ١٤٦١.

(3) اللُّحَجي ، **طبقات مُسَلَّم اللُّحَجي** ، ج ٤ ص ٢٥٣ .

(4) **المصدر السابق** ، ج ٤ ص ٨٥ .

من ذلك ما أشارت إليه وثيقة الوقف المرصود للمدرسة الظاهرية بمدينة تعز إلى اعتماد خمسة عشر يتيماً يتعلمون القرآن الكريم في معلامة تتبع المدرسة ، ورتبت الوثيقة لهؤلاء الأيتام المعلم الذي سيعلمهم القرآن الكريم ، وتكفل الواقف براتب شهري لهذا المعلم ولكل يتيم من الأيتام الخمسة عشر(١) .

وتفيد وثيقة الوقف الخاص بمدرسة سلامة بتعز بتعيين معلم لخمسة أيتام ، وحددت مهمته بالقيام بتعليمهم القرآن الكريم تلقيناً وحفظاً ، وأوكلت الوثيقة إلى ناظر الوقف مهمة مراقبة الأيتام ، فمن أقام منهم أربع سنوات ولم يستفد أخرجه ورتب يتيماً آخر عوضاً عنه(٢) .

وتقوم وثيقة الوقف الخاص بالمدرسة الياقوتية بذي السفال بتحديد أربعة أيتام ومعلم يقوم بتعليمهم القرآن على مرور الأزمان سوى الجمع والأعياد والأوقات التي جرت عادة الطلاب عدم الدراسة فيها ، وأكدت على المعلم المواظبة والقيام بوظيفته ، وألا يغفل عنها إلا بعذر شرعي وبشرط الاستنابة عنه بشخص يقوم مقامه(٣) .

أما إذا أخذنا بعض الأنموذجات مما ذكر في مصادر التراجم والطبقات ، فنجد أن عدة أشخاص قد قاموا بتحديد أشياء مماثلة لما ذكرته وثائق الوقف السابقة ، منها – على سبيل المثال لا الحصر – ما قام به السلطان المجاهد علي بن داود الرسولي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) من تأسيس خمس منشآت تعليمية ، منها ما هو مدرسة ومنها ما هو مسجد ، ثلاث منها بتعز ، واثنتان بمدينة زبيد ، وأحدث في كل منشأة معلامة للأيتام(٤) ، " ووقف على الجميع أوقافاً جيدة في وادي زبيد وتعز من محاسن أملاكه ، ورباعاً وضياعاً "(٥) .

(٣) المساجد الجامعة :

أنشئت المساجد في اليمن منذ فجر الإسلام على عهد النبي ﷺ ، فقد قام الصحابي الجليل وبر بن يحنس الخزاعي ﷺ – بأمر من النبي ﷺ – بتأسيس أول

---

(1) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة مدرسة الظاهرية بتعز .

(2) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة مدرسة سلامة .

(3) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الياقوتية بذي السفال .

(4) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(5) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

مسجد في اليمن في السنة السابعة عقب عودته مع وفد الفرس – الحاكمين بصنعاء – من المدينة[1] ، وكانت مهمته الأولى هي أن يتولى تعليم المسلمين من سكان صنعاء القرآن الكريم وتعاليم الإسلام ، وتتابع بناء المساجد بعد ذلك ، فقام الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ ببناء مسجدين أحدهما في جبل صَبِر[2] والثاني في مدينة الجَنَد في السنة التاسعة والعاشرة للهجرة[3] ، وبنى أبو موسى الأشعري مسجد الأشاعر في وادي زبيد[4] .

وقد كانت الوظيفة الأولى للمساجد في اليمن – كغيرها – وظيفةً تعليمية ، ففيها تلقى اليمنيون مبادئ الإسلام ، وسمعوا فيه حديث النبيﷺ ، وتلقوا فيه توجيهات الصحابة الذين وصلوا إلى أرضهم ، واستمرت هذه الوظيفة في التطور مع الأيام حتى وجدت في المصادر من المعلومات ما يدل على أن المسجد الواحد من المساجد الجامعة الكبرى قد قادت الحركة العلمية في ناحيته ، وفي ساحات هذه المساجد عقدت جلسات العلم الشرعي والدنيوي معاً ، حتى أن بعض المساجد حوت أكثر من مدرسة .

ونظراً لكثرة المساجد وعظمة الأدوار التي قامت بها في خدمة الركائز البشرية للحياة العلمية في اليمن في قرون ما قبل زمن الدراسة – القرنين التاسع والعاشر –

---

(1) ابن حجر ، **الإصابة في تمييز الصحابة** ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٣٢٨هـ ، ج ٣ ص ٦٣٠ ، الرازي ، **تاريخ مدينة صنعاء** ، تحقيق د. حسين عبدالله العمري وعبدالجبار زكار ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٤م ، ص ، ابن عبدالبر ، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، ١٣٢٨هـ ، ج ٣ ص ٣٦٥ ، ٦١٨ ، (في هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر) .

(2) الهَمْدَاني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ١٤٩ ، د. عبدالرحمن الشجاع ، **اليمن في صدر الإسلام** ، ص١٦٢.

(3) **المرجع السابق** ، نفس الصفحة ، عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد** ، ص ٧٣ .

(4) عبدالرحمن الحضرمي ، زبيد ، **مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ** ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ٢٠٠٠م ، ص ٥٤ ، **جامعة الأشاعر** ، الشركة اليمنية للطباعة والنشر ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٧٤م ، ص ١٦ ، ١٩ ، ابن النقيب ، **قرة العيون والخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل جامع الأشاعر** ، تحقيق عبدالرحمن الحضرمي ، مجلة الإكليل، العددان الثالث والرابع ، السنة الأولى ، ١٩٨١م ، ص ١١١ ، عبدالله قاسم الوشلي ، **المسجد ودوره الاجتماعي على مدار التاريخ** ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ١٩٣.

سأقوم بالحديث عن مجموعة من أهم المساجد الجامعة في مناطق مختلفة من اليمن على سبيل العينة المعبرة عما سواها .

☒ **الجامع الكبير بصنعاء :**

سبقت الإشارة إلى أن النبي ﷺ بعث الصحابي الجليل وبر بن يحنس الخزاعي مع وفد الأبناء[1] في السنة السابعة للهجرة ، وكلفه ببناء أول مسجد في صنعاء ، وكانت مهمته – كغيره من مبعوثي النبي ﷺ – هي تعليم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام وفرائضه ، وقد حدد له النبي ﷺ موضع تأسيس الجامع في بستان باذان رأس الأبناء ، ومن المرجح أنه أدى مهمته التي أوكلت إليه فيه .

واستمر جامع صنعاء في القيام بهذه الرسالة السامية ، في القرون التالية ، وقصده العلماء والفقهاء للتدريس فيه ، وقصده طلبة العلم من اليمن وخارجها للأخذ عنهم ، ولا ننس أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي قصد اليمن في آخر القرن الثاني للهجرة النبوية ، ودخل صنعاء ، ومن المؤكد أنه دخل الجامع الكبير بها وجلس إلى من فيه من العلماء والمحدثين ، أمثال عبدالرزاق الصنعاني ومطرف بن مازن الكناني وهشام الأبناوي[2] ، وقد كان دخول صنعاء – وجامعها بالتأكيد – كلمات يحدو بها طلاب العلم أثناء رحلتهم إليها ، وأوردت بعض المصادر أن كلمات الحداء كانت :

لابد من صنعاء وإن طال السفر لطيبها ، والشيخ فيها من دَبَر[3]

---

(1) الأبناء في بعض المعاجم اللغوية العربية ومصادر دراسة التاريخ اليمني هو المصطلح الذي أطلق على الأجيال التي استولدها الفرس – الذين جاءوا مع سيف بن ذي يزن الحميري لتحرير اليمن من الحكم الحبشي – من أمهات يمنيات ؛ ذلك لأن آباءهم استقروا باليمن وتزوجوا ورزقوا أولاداً ، فصار اليمنيون يطلقون عليهم **الأبناء** لأنهم يختلفون عن آبائهم بسبب اختلاف أمهاتهم عن جنسهم ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج ١ ص ٣٦٤ ، الشجاع ، **اليمن في صدر الإسلام** ، ص ٢٤ ، أما نشوان الحميري فيعتبرهم الفرس القادمين مع سيف بن يزن أنفسهم ، وزعم أنهم كان يُقال لهم : أبناء سيف ، انظر ، الحميري ، **منتخبات من أخبار اليمن من شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** ، عناية وتصحيح عظيم الدين أحمد ، مطبعة بريل ، ليدن ، (د ، ت) ، ص ١١٦ .

(2) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ص ١٣٩ ، ١٤٤ .

(3) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ١٤٣.

وتذكر المصادر صوراً شتى من النشاط العلمي الذي جرى في هذا الجامع ، من ذلك أن الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨هـ / ٩١٠م) لما دخل صنعاء جرت مناظرة بينه وبين سبعين من علمائها ، استطاع من خلالها استمالتهم وإدخالهم في مذهبه[١] ، أما أبو الحسين أحمد بن موسى الطبري (ت٣٤٠هـ / ٩٥١م) - أحد علماء الزيدية - قد دخل في جوار ابن الضحاك الهَمْدَاني فبسط عليه حمايته ؛ فدخل جامع صنعاء وجَدَّ في الدعوة إلى مذهب الزيدية حتى مات[٢] .

ولم تسعفنا المصادر بمعلومات كافية عما دار من أنشطة علمية في هذا المسجد في القرون التالية ، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنعدم صور التعلم والتدريس فيه ، خاصة إذا رأينا أن هناك عدداً من العلماء البارزين في شتى فروع المعرفة كانت صنعاء مسكنهم ، مثل أحمد بن عبدالله الرازي الصنعاني (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) صاحب كتاب (تاريخ مدينة صنعاء) ، ففيه تحدث الرازي[٣] عن مشائخه الذين درس على أيديهم ليصبح بعد ذلك " إماماً عارفاً بالفقه والحديث "[٤] ، فمن المرجح أنه تلقى على أيدي كثير منهم في جامع صنعاء نفسه ، إضافةً إلى أنه كذلك كان له طلابٌ يأخذون عنه .

☒ جامع معاذ بن جبل بالجَنَد :

أشرت آنفاً إلى أن الصحابي الجليل معاذ بن جبل ﷺ قام - بأمر النبي ﷺ - ببناء المسجد الجامع بالجَنَد ، وكانت الوظيفة التعليمية لهذا الجامع مرتبطة بالوظيفة التعبدية منذ إنشائه ، وقد جعل اليمنيون هذا الجامع في طليعة الجوامع المباركة[٥] ، وقد كان متجهاً للعلماء ، وقبلةً للطلاب ، وهو من المساجد التي من المحتمل أن الإمام

---

(1) يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ٤١ .

(2) الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ص ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢١٢ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٩٠ ، يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، ص ٤٧ .

(3) **تاريخ مدينة صنعاء** ، ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ .

(4) الجَنَدي ، **السلوك** ، الجَنَد ١ ص ٢٨٢ .

(5) الجَنَدي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٨١ ، وقد أورد حديثاً حول فضل مسجد الجند ، وأورد نقاشاً حول الحديث ، ونصه : " **تشد الرحال إلى أربعة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى ، ومسجد الجَنَد** " ، عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد** ، ص ٧٣ ، ٧٤ .

محمد بن إدريس الشافعي درس بها ، فقد ذكر المؤرخون أن من مشائخه باليمن محمد بن خالد الجَنَدي[١] ، ولعله سمع منه وأخذ عنه بالجَنَد نفسها ، أي في مسجدها .

وابتداءً من القرن الخامس الهجري لَمَعَ ذِكْرُ هذا المسجد كواحد من أهم مراكز التعليم وأكبرها في اليمن على مر تاريخها ، ازدحمت جنباته بالفقهاء والعلماء والمحدثين، واكتظت نواحيه وأفنيته بالطلاب من جميع نواحي اليمن تقريباً .

ولعلنا إذا رجعنا إلى العنوان السابق الخاص برحلة العلماء وطلبة العلم اليمنيين إليه في رحلاتهم الداخلية نجد أنه كان مما يجعل الشخص منهم ذو مكانة عالية أن يكون ممن تخرج في الجَنَد ؛ ذلك أنه لم يكن يحظَ بفرصة التدريس به إلا من المبرزين من أعيان العلماء والفقهاء ، وهو ما انعكس إيجاباً على مستوى طلابهم .

ومن أشهر من درس به أبو عبدالله جعفر بن أحمد بن محمد بن عبدالرحيم المَحَابي (ت٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) الذي وصفه المؤرخون[٢] بأنه كان رأس الفقهاء وإليه تنتهي الفتوى ، وقد كان كثير التردد من بلده إلى الجند لمراجعة علمائها ، فكان حاكمها زيد بن المعمر يتلطف به ويحسن إليه قاصداً إقناعه باستيطان الجَنَد والتصدر للفتوى والتدريس[٣] ، فأجابه إلى ذلك بشروط ، وقام بالتدريس بمسجد الجَنَد حتى دخلها علي بن محمد الصليحي .

وخلفه بمكانه ومكانته ابنه أبو العتيق أبو بكر المحابي الشافعي (ت٥٠٠هـ / ١١٠٦م) الذي كان من التميز بمكان أهَّلَه لكي يفوق أباه علماً وفقهاً ، بل ويفوق جميع أقرانه في اليمن عموماً ، قال عنه الجَنَدي[٤] : " كان فقيهاً جليل القدر ، شهير الذكر، محققاً ، مدققاً ، مستخرجاً للنكت الغامضة والمعاني الرائقة ، إليه انتهت رئاسة العلم باليمن بتفقهه على أبيه " ، وكان ذا نشاط كبير في طلب العلم وتدريسه ، ذكر عنه أنه كان خصص لنفسه رحلةً كل سنة إلى زبيد ليناظر خلالها أعلام الفقهاء من الحنفية، وفي مقدمتهم القاضي محمد بن أبي عوف الحنفي[٥] ، وكان بحلقة تدريسه بمسجد الجَنَد

---

(1) الجندي ، السلوك ، ج ١ص ١٣٤.

(2) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٣٤ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٩٤ .

(3) الجَنَدي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(4) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٤٤ .

(5) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

ما بين خمسين إلى ستين طالباً ممن داوم على حضوره ، منهم من صار من أعلام اليمن كزيد اليفاعي الآتي ذكره ، أما من كان يأخذ عنه لفترات قصيرة فهم – كما يقول الجَنَدي[1] : " جمع كثير لا يكاد الحصر يدركهم " .

ومن أشهر من تصدر للتدريس بمسجد الجَنَد يأتي أبو أسامة زيد بن عبدالله بن جعفر بن إبراهيم اليفاعي الشافعي (ت بعد ٥١٣هـ / ١١١٩م) ، الذي أجمع أهل زمانه ومن بعدهم على نزاهة عرضه ، وحُسْن تدريسه ، وجودة علمه ، وشدة ورعه ، كان مسجد الجند في أيام تدريسه يزدان بالطلاب ، وكان له مدرسة خاصة به داخل المسجد ، وكان محبوباً من قبل طلابه لصفاته السابقة ؛ فكثروا بين يديه ، قيل أنهم كانوا يملأون ما بين المنبر والباب ، وكان يقوم بإعالة وكسوة الفقير منهم ، ولم يكن وحده من يقوم بالتدريس ، فقد كان لشيخه أبي بكر بن جعفر مدرسة أخرى في المسجد نفسه ، وإن كان عدد طلابه أقل من عدد طلاب تلميذه زيد اليفاعي[2] .

ومنهم أيضاً الإمام أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدالله بن سلمة البريهي الحنبلي (ت٥٨٦هـ / ١١٩٠م) ، كان من أعلم أهل اليمن بالحديث وعلومه، " ومن عظماء علماء المسلمين "[3] ، بلغ من العلم منزلة جعلت أهل اليمن تطلق عليه لقب **سيف السنة و ناصر السنة**[4] ، تخرج على بعض المحدثين بمكة ، وفي سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥م) نزل إلى الجَنَد وعقد مجلساً لسماع صحيح مسلم ، وحضره جمع كثير من العلماء والطلاب ، ثم انتقل إلى تدريس بعض كتب الشريعة فزاد عدد طلابه[5] .

☒ مسجد الأشاعر بزبيد :

سبقت الإشارة إلى أن مسجد الأشاعر من أقدم المساجد في اليمن ، وأنه قيل عنه أنه من المساجد التي بنيت على عهد النبي ﷺ على يد الصحابي الجليل أبي موسى

---

(1) الجَنَدي ، **السلوك** ، نفس الجزء والصفحة .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٤٩٥ ، الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن** ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٦٢ ، ٢٦٣.

(3) الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣٢٠ .

(4) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣١٨ – ٣٢٠ .

الأشعري ، وقد لعب دوراً مماثلاً للأدوار التي قام بها المسجدان السابقان ، وقد دَرَّسَ به مجموعة من العلماء الذين أشارت إليهم المصادر ، منهم الأخوان محمد وعلي ابنا عيسى اللذان رآهما المؤرخ ابن سمرة[1] (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) يدرسان فيه ويرشدان الطلاب ويفقهان السائل ، كذلك كان للفقيه عبدالله بن أسعد حلقة تدريس فيه ، يقول ابن سمرة[2] أنه " رآه مدرساً في مسجد الأشاعر بزبيد ، وحوله جماعة يقرأون عليه " .

ومن أبرز من درس في مسجد الأشاعر أيضاً الشيخ عيسى الهتار (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م) الذي كان طلبة العلم يلتفون حوله بمجرد دخوله المسجد ، ويأخذون عنه ويشتغلون به[3] .

وقد حظي هذا المسجد بعناية كبيرة من قبل السلاطين الرسوليين وأعوانهم ، فقد أمروا – في عهدهم – بالاهتمام به من خلال تزويده ببعض احتياجات العلماء الذين يدرسون به وطلابهم ، مثل قيام الأمير غازي بن المعمار (ت بعد ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) بنصب منبر[4] في جانب المسجد ، ووقف الكتب اللازمة للدراسة ، وأمر بأن تقرأ كتب الحديث والوعظ بعد صلاتي الصبح والعصر من كل يوم[5] ، وأشهر من تولى هذه المهمة الفقيه الخطيب عمر بن عبدالرحمن الدملوي (ت٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) [6] .

---

(1) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٢٤٥ .

(2) المصدر السابق ، ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(3) الشرجي ، **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص** ، الدار اليمنية ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ص ٣٠٣ .

(4) المنبر هنا ليس ما يصعد عليه خطيب الجمعة ليلقي خطبته ، إنما المقصود هنا كرسي مرتفع يجلس عليه قارئ الحديث عند إلقاء درسه ، للاطلاع على الوصف الدقيق لمنبر الحديث بجامع الأشاعر انظر د. ربيع حامد خليفة ، **الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي** ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ص ٩١ ، ٩٢ ، العبادي ، **الحياة العلمية في مدينة زبيد** ، ص ١٤٨.

(5) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٥٧١ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ٨٥ .

(6) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢٤٣.

وأصدر السلطان الأشرف الثاني إسماعيل بن العباس (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) مرسوماً إلى قاضي القضاة مجد الدين الفيروزأبادي سنة (٧٩٩هـ / ١٣٩٦م) بأن يندب لإمامة مسجد الأشاعر فقيهاً شافعياً ؛ ذلك لأن المسجد كان للفقهاء الأحناف حتى ذلك الوقت[1] ، ولم يحدد المؤرخون سبب انتقاله إلى أيدي الفقهاء الشافعية ، فاختار القاضي مجموعة من القضاة ليرشح السلطان بنفسه أحدهم ، فوقع الاختيار على الفقيه موفق الدين علي بن محمد بن قُحْز (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) ، وفي هذا دلالة واضحة على ما أولاه السلاطين لهذا المسجد من الاهتمام ، فصدور مرسوم لا يكون إلا في أمور لها أهميتها ، ثم كان من الممكن أن يوكل إلى القاضي بقية تفاصيل هذه المهمة ، إلا أنه أبى إلا أن يختار الفقيه بنفسه.

☒ **مسجد أبان بن الحكم العدني بعدن:**

لم تشر المصادر كثيراً إلى مساجد عدن ، ومن غير الممكن أن يفسر ذلك بأنه يرجع إلى انعدام النشاط العلمي بها ، فهي جزء من الأجزاء المهمة من اليمن ، أي التي كانت مرتبطة ببقية أجزائه الأخرى ارتباطاً وثيقاً ؛ وذلك نظراً لموقعها الإستراتيجي المهم في مدخل البحر الأحمر ، والأحرى أن يكون موقعها هذا دافعاً لاحتكاكها بمسلمين آخرين ممن يفدون إليها أو يعبرون منها في طريقهم إلى مكة والمدينة ومصر والشام ، إذاً السبب في عدم وجود الإشارات الكثيرة إلى مساجد عدن هو عدم وجود المؤرخ الذي يرصد ما يجري ويسجله لمن يأتي بعده ، وعدن في هذا الشأن مثلها مثل كثير من مدن اليمن وقراه التي ضاعت الكثير من المعلومات الغزيرة عنها بسبب ندرة – بل انعدام – من يؤرخ لها .

من الإشارات القليلة جداً إلى مساجد عدن نجد مسجد أبان ، وهو منسوب إلى أحد عُبّاد التابعين ، وهو أبو مروان أبان بن الحكم بن أبان العدني ، وقد كان بالمسجد أحد أخوة هذا التابعي الجليل ، كان مشهوراً في علم الحديث ، وقد بلغت شهرته العراق حتى قدم الإمام أحمد بن حنبل إليه ليطلب الحديث عنده في العقد الأخير من القرن الثاني الهجري ، وهذا الرجل العالم المحدث هو إبراهيم بن الحكم العدني ، وقد ذكر

---

[1] الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢٣٨ .

الجَنَدي[1] أن الإمام أحمد لم يجد إبراهيم في عدن حين قَدِمَها ، فقابل عمه المكثر بن أبان العدني فقال له : " في سبيل الله الدريهمات التي أنفقناها إلى ابن أخيك ... "[2] .

وقد ورد في المصادر ذكر اسم مسجد عدن ، ولا يعرف هل هذا المسجد هو نفسه مسجد أبان أم أنه غيره ، من ذلك ما ذكر الخزرجي[3] أن من مآثر عمران بن محمد بن سبأ الزريعي المنبر المنصوب في مسجد عدن ، إلا أن هذه الإشارة خلت من تحديد ما إذا كان هذا المسجد هو مسجد أبان أم غيره ، كما لم تشر إلى من يقوم به ، ومن يتولى التدريس فيه[4] .

☒ **جامع الإمام الهادي يحيى بن الحسين بصَعْدَة[5] :**

ويُعْرف أحياناً بمسجد صعدة ، ولا توجد أي إشارة في المصادر التي بين يدي تحدد لنا تاريخ بنائه ، إلا أنه من الممكن أن تسميته جاءت من كونه بني على عهد الإمام الهادي حين اتخذ صعدة عاصمة لدولته – الدولة الزيدية – في آخر القرن الهجري الثالث ، أو لأن الإمام الهادي كان يصلي بالناس فيه جميع الصلوات[6] ، ولما كان الإمام الهادي هو أبرز رجال مذهبه في زمنه فمن المرجح أن أغلب من تبعه من أهل اليمن أخذوا على يديه ، وما دام أنه كان يصلي فيه جميع الصلوات إماماً فمن المرجح أن كثيراً من دروسه عقدت في هذا المسجد .

ومن إشارات المصادر[7] إلى بعض صور النشاط التدريسي في هذا المسجد قيام الإمام زيد بن الحسن البيهقي (ت٥٥١هـ / ١١٥٦م) بالتدريس فيه ، وهو واحد من

---

(1) **السلوك** ، ج ١ ص ١٣٥ ، ١٣٦ .

(2) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ١٣٥ .

(3) **العسجد المسبوك** ، ص ٩٥ .

(4) عبدالرحمن المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٥٦ .

(5) تطلق عليه بعض المصادر الزيدية **المشهد المقدس** ، انظر مثلاً ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص٤١٧ ، ٤٤٧ .

(6) المحلي ، **الحدائق الوردية** ، ج ٢ ص ٣٨ ، الهاروني ، **الإفادة** ، ص ١١٤ .

(7) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٤٤٧ .

أشهر رجال الزيدية[1] ، الذي كان له مجالس إملاء تعقد في كل يوم خميس وجمعة من كل أسبوع على مدار سنتين .

وممن عقد مجالس السماع به أيضاً بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى الحسني (ت٦٢٤هـ / ١٢٢٧م) ، وكان له طلاب متميزون أخذوا على يديه ، واشتهر بعضهم ، وأصبحوا من رجال الزيدية المعروفين ، مثل حميد بن أحمد بن علي القرشي (ت٦٢٣هـ / ١٢٢٦م)[2] .

(٣) الهجَرُ العلمية:

سنأتي لاحقاً – بمشيئته تعالى – على الحديث عن تطور مدلول كلمة الهجرة في اللغة حتى ولادة مصطلح الهجرة العلمية ، التي لا تعني – في دراستنا للحياة العلمية في اليمن – ما قد يتبادر إلى ذهن الكثير عند الوهلة الأولى لقراءتها من أنها تحمل معنى قولنا : الرحلة العلمية ، فهي ليست هنا إلا مرادفاً لما يمكن أن نطلق عليه القرى العلمية المباركة ، فهي في الأخير قرية ذات خصوصية معينة في نواحٍ عدة تميزها عن غيرها من آلاف القرى اليمنية الأخرى المجاورة لها ، مثل بدايات إنشائها ، ونوعية سكانها من حيث الوظيفة وطبيعة الدور الحياتي ، واهتمامات قاطنيها وسلوكهم ، ووضعها داخل مجتمع القبيلة في اليمن .

وسأتي هنا إلى الحديث عن مجموعة من أشهر الهِجَر العلمية في اليمن في حقبة ما قبل زمن الدراسة ، جاعلاً تناولي لها ولغيرها – مما سبق وما سيلحق – دليلاً على ازدهار الحياة العلمية في اليمن ، وأن كثرة هذه المراكز العلمية كان سمةً من سمات هذه الحياة العلمية لدى أسلاف اليمنيين في تاريخها الإسلامي ، فمن أشهر الهِجَر العلمية نجد :

☒ **هجرة سنّاع :**

ويطلق عليها في تاريخنا المعاصر **سنَع** ، وهي قريةُ عامرةٌ من متنزهات صنعاء حالياً ، تقع إلى الجنوب الغربي منها على بُعد ستة كيلومترات[3] ، وهي أقدم

---

(1) سبقت الإشارة إليه في الحديث عن الوافدين إلى اليمن من غير أهلها .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٤١٧ ، ٤١٨ .

(3) الأكوع ، **هجَرَ العلم** ، ج ٢ ص٩٤٥ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ١ ص ١٢١ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ١ ص ٨١٩ .

هجرة علمية في تاريخ اليمن ، وقد جزمت بعض المصادر أن مؤسسها هو مُطَرِّف بن شهاب بن عمر بن عباد العبادي الشهابي الزيدي (تقريباً ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠م) وصاحبان له ، ولم يحدد من هما هذان الصاحبان ، كما لم يحدد تاريخ تأسيسها ، ثم يشير إلى أن مطرف بن شهاب وصاحباه نزلوها وبنوا مسجداً فيها[1] ، ولا يفهم من هذه الإشارة ما إذا كانت هذه الهجرة قائمة كقرية عادية من قبل مجيء هؤلاء الثلاثة أم أنهم هم أول من نزلها وهي أرض غير عامرة .

وهذه الهجرة العلمية هي الحاضنة الأولى للفرقة الزيدية المطرفية ، ففيها قام مطرف بن شهاب وأصحابه بنشر عقيدتهم ، ولعل ازدهارها في عهد تلاميذه ومن جاء بعدهم كان أكبر وأكثر مما كانت عليه في عهده ، وبها دار الصراع الفكري الكبير بين الفرقتين الزيديتين : المطرفية والمخترعة ، وقد جرت في سناع المناظرات الكثيرة والدائمة بين رجال العلم من الزيدية ، منها ما ذكره مسلم اللَّحْجِي[2] في ترجمة الحسن بن أحمد بن زايد الجنبي المطرفي ، إذ يقول : " كان الحسن بن زايد ومحمد بن حميد البرسمي ينزلان حَدَّةَ[3] ، وكانا يعتقدان يومئذٍ مسائل خلاف من نحو الاختراع ، فكانا يأتيان أشياخ الزيدية بسناع للمناظرة ".

ويبدو أن المطرفية كانت تقوم بكل أنشطتها داخل المسجد الذي بناه مطرف ، حتى تحول القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م) من القول بعقائد المطرفية إلى الاعتقاد بالاختراع ، فانبرى بحماس للدفاع عن عقيدته الجديدة ، وكان له أتباع وتلامذه كأحمد بن الحسن الرصاص (ت٥٨٤هـ / ١١٨٨م) ، كانوا

---

(1) يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ٨٠ ، د.عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٤٢ .

(2) **طبقات مُسَلَّم اللَّحْجِي** ، ج ٤ ص٥١ ، يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، ص ٩٨.

(3) قرية عامرة ، ذات طبيعة جميلة ، من مخلاف بني شهاب بمديرية بني مطر ، هي أحد أشهر متنزهات مدينة صنعاء ، تقع في الجنوب الغربي من صنعاء ، وقد امتد عمران صنعاء إليها فالتهم معظم مزارعها وبساتينها ، وقد سكن بها مجموعة من رجال العلم الزيدية باليمن ، وقد كان الحسن الجنبي من أشهرهم ، الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ١ ص٤٤٧ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٢ ص٢٥٠ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ١ ص ٤٣٣ .

هم عماد مدرسة الاختراع التي أسسها بسناع[١]، فما كان من المطرفية إلا أن حذوا حذوه فأسسوا مدرسة أخرى جانب المسجد ليعارضوه بها .

ومن أشهر وأقدم من دَرَّسَ في هجرة سناع الحسن بن زايد الجنبي[٢] ، كان ينزل حدة – كما أشرت – وكان من العناصر الزيدية المخترعة النشطة ، فكان يقوم بمناظرة علماء المطرفية بسناع على أيام مطرف بن شهاب نفسه ، حتى اقتنع بصواب موقفهم فانتقل إلى سناع واستوطنها ، وبلغ من العلم مبلغاً كبيراً ، وأصبح ذا تأثير عظيم على أتباع الزيدية ، وهو من أوائل من عقدوا مجالس التدريس ، يصفه مُسلَّم اللَّحْجي[٣] بقوله : " كان عظيم البركة على الزيدية ، سعيد الجد على الملة ، قوي التأثير ، حسن السيرة ، وذلك لأنه أول من عقد مجالس التدريس وتعليم الأصول ... وتلقين المسائل الأصولية والكلام عليها ليلاً ، والسمر بذكر الله تعالى ، وتعليم توحيده في الليالي بسناع " .

إن ما ذكره مسلم هنا يعد إشارةً مهمة جداً ؛ لأنه وإن كان حديثه هنا عن شخصية واحدة ، إلا أن هذا الحديث ينطق بكثير من الأنشطة العلمية والتعبدية التي كان العلماء وطلابهم يقومون بها في الهجر العلمية في اليمن ، وهو ما صرح به مُسلَّم اللَّحْجي نفسه حينما ذكر أن الأنشطة التي أشار إليها في ترجمة الحسن الجنبي كانت على غرار : "ما هو مسنون في هجر الزيدية بعده "[٤].

وقد كان لجهود الحسن بن أحمد بن زايد الجنبي دور كبير في شهرة هجرة سناع لدى الناس ، فقصدوها من مناطق زيدية كثيرة طلباً للعلم ، وحباً في الاجتماع بمن يعين على العبادة ، يقول اللَّحْجي : " فكان ذلك مما زادت به شهرة الموضع – يقصد هجرة سناع – عند الناس بالعلم والعبادة والتعليم ، فقُصِدَ من كل جهة ، وحيي به الإسلام "[٥].

---

(١) ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ١ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(2) من المرجح أنه توفي في آخر القرن الخامس لأنه أدرك شهاب وتتلمذ عليه .

(3) اللَّحْجي ، طبقات مُسلَّم اللَّحْجي ، ج ٤ ص ٥٢ .

(4) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(5) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

وممن دَرَّسَ في سناع أيضاً أحمد الحجازي[1] وإبراهيم بن أبي الهيثم ، وذلك قبل تفرق المطرفية عن سناع وخروجهم منها لتأسيس عدد آخر من الهجر العلمية الأخرى كوَقَش وغيرها [2].

وقد اشتهر بين الذين دَرَّسوا في سناع الإمام زيد بن الحسن البيهقي (ت٥٥١هـ/١١٦٥م) ، الذي كان أول نزوله اليمن في هجرة محنكة – كما أشرت سابقاً – على عهد الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان (ت٥٦٦هـ / ١١٧٠م) ، وهو الذي كان يمثل الزيدية المخترعة في كثير من المناظرات في التي عُقِدت في سناع، وحضر مناظرته ألوف من الناس " ما بين علوي وحسيني وسنحاني وشهابي وصنعاني وهَمْدَاني ... "[3] .

ومن المهم هنا الإشارة إلى أن هجرة سناع قد تعرضت لمشكلات عدة أثرت على الحياة العلمية بها ، من ذلك ما قام به السلطان سبأ بن أحمد الصليحي – بسبب مساعي بعض الوشاة – فقد قام بتخريبها وتخويف أهلها وقتل بعض مشاهير علمائها يومذاك أمثال أبي السعود بن زيد ، وهو ما أدى إلى تفرقهم في البلاد بحثاً عن مواضع أخرى لإقامة هجر علمية جديدة[4].

☒ هجرة وَقَش :

هي قريةٌ أثرية عامرة ، كانت مَقْصِدَ المطرفية في آخر القرن الخامس الهجري حتى مطلع القرن السابع ، كما كانت قِبْلَتهم للابتعاد عن إيذاء الناس والحكام ، والتفرغ للعبادة وطلب العلم ، فكانت من أشهر هِجَرِ العلم في اليمن وأقدمها ، تقع في منطقة بني قيس من مديرية بني مطر بمحافظة صنعاء ، تبعد عن مدينة صنعاء – من ناحية الجنوب الغربي – حوالي عشرين كيلومتراً[5].

---

(1) من المرجح أنهما توفيا في أوائل القرن السادس الهجري ، فقد أدرك مُسَلَّم اللَّحْجي (ت٥٤٥هـ / ١١٥٠م) بعضهم وكان من جملة تلاميذهم .

(2) اللَّحْجي ، المصدر السابق ، ج ٤ ص ٦٦ ، ٦٧ .

(3) ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ١ ص ٤٤٨ .

(4) اللَّحْجي ، طبقات مُسَلَّم اللَّحْجي ، ج ٤ ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(5) الأكوع ، هِجَرُ العلم ، ج ٤ ص ٢٣٤٣ ، الحَجْري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، ج٤ ص ٧٧١ ، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ج ٢ ص ١٨٨٤.

أما مؤسسها فهو الشيخ إبراهيم بن أبي الهيثم بن كهلان بن محمد المطرفي (توفي أوائل القرن السادس الهجري) ، وكان مستوطناً لسناع ، فلما جرى من الحكام الصليحيين شيئ إزاء مَنْ بها من مشائخ الزيدية تفرقوا منها ، فخرج الشيخ إبراهيم منها مع من خرج ، وكان نزوله بمنطقة مَدَر التي كان سكانها من الزيدية ، فابتنى فيها داراً جيدةً ؛ وفرح أهلها به ، والتفوا حوله ، واطمأنوا إلى أنه سيبقى بينهم ، فلما سمع أن رجالاً منهم شربوا الخمر رحل عنهم – في جماعة من أصحابه – وترك داره وما كان معه من أموال[1] ، وبدأ يجول في البلاد ، ويطلب المساكن ، ويختار حيث يصلح له ولإخوانه من المنازل ، فأصاب وادي وقش خالياً من السكان بين جيران يرضاهم ... فشاورهم في النزول بينهم ففرحوا بذلك ، وعقدوا الجوار له ، واشترط الشروط عليهم ، وفي مقدمتها أن يكون حاكماً لا محكوماً عليه ، والنصرة له ولإخوانه على من يتغلب عليهم ، فوافقوا ووفوا له ، وكان مسجد الشمس بها من أول ما بني [2] .

والمصدر الوحيد الذي يورد حكاية هجرة وقش هو مُسَلَّم اللَّحْجي ، ومع أنه منفرد بروايته إلا أن معلوماته تحتل منزلةً مهمة لكونه تلميذاً للشيخ إبراهيم ومعاصراً له ، وشهد كثيراً من الأحداث ، وكان من طلاب هذه الهجرة العلمية وأحد سكانها .

ومما يورده لنا مُسَلَّم اللَّحْجي هنا نصاً رائعاً عن ماهية هجرة وقش وسماتها ، وممن تَشَكَّلَ أهلها وطبيعتهم ، وما الأنشطة التي مورست فيها فيقول : " فصارت هجرةً، تُؤَدَّى فيها الفرائض، ويُعْبَدُ الله – فيها – فلا يُعْصى ، ويُتَعَلَّمُ العلم ، ويُحْيَى فيها الدين ، حتى قامت الحجة على أهل العصر مقام الإمام الداعي إلى ربه المُشْهِر سيفه ، مَنْ تاب من أهل البلاد لجأ إليها ، وفر بدينه إلى أهلها ، ومَنْ جهل أشياء أتاها للبحث والسؤال عنه ، ومَنْ نابه بمحلٍ ظالمٌ غاشمٌ هرب إليها للأمن ... ومَنْ أهَمَّه أمر معاده ومعاشه أتى متوكلاً على الله فآتاه الله فضله من حيث لا يحتسب ، وتُسُومِعَ بها ... فانتهى ذكرها إلى أطراف الآفاق ، فضُرِبَتْ إليها آباط الإبل ، وطُوِيَتْ إليها المراحل ، ونفع الله بها من أراد من خلقه ... "[3] .

---

[1] اللَّحْجي ، طبقات مُسَلَّم اللَّحْجي ، ج ٤ ص ٩٠ .

[2] المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٢٠ .

[3] المصدر السابق ، ج ٤ ص ٧٨ .

وقد احتلت هذه الهجرة العلمية المنزلة التي كانت تتمتع بها هجرة سناع من قبلها ، بل إنها فاقتها في الشهرة ، وجرت فيها الكثير من الأنشطة العلمية التي روى الكثير منها مُسَلَّم اللَّحْجي في مواضع كثيرة جداً من كتابه ، فكانت تقام بها الحلقات العلمية والمجالس والمناظرات المختلفة ، وازدانت بالعلماء والفقهاء وطلاب العلم ، فكان بها في وقت من الأوقات سبعمائة رجل من المتعلمين[١] ، فأصبحت وقش في مقدمة معاقل الفرقة المطرفية الزيدية في اليمن عموماً ، وبلغتْ شهرةً لم تبلغها هجرة أخرى ، حتى أنها لقبت بـ" **الهجرة السعيدة** "[٢].

ومن أشهر من دَرَّسَ بها مؤسسها الشيخ إبراهيم بن أبي الهيثم بن كهلان بن محمد المطرفي (توفي أوائل القرن السادس الهجري) ، الذي بدأ حياته التدريسية في سناع – كما أشرنا – ثم أصبح الأبرز بين علماء هجرة وقش[٣] ، " انتهت إليه علوم الهادوية[٤] في علم الأصول وما استشكل عليهم من مسائل بعد مطرف بن شهاب ، فإليه يرجعون في دروسهم"[٥].

ومنهم أيضاً يحيى بن الحسين بن عبدالله بن أحمد البحيري (ت٥٧٧هـ/١١٨١م) ، كان من أكبر علماء وقش وفقهائها ، وكان من العلم بمنزلة جعلت المؤرخين يضعونه بين نظراء نشوان بن سعيد الحميري ، ويصفونه بالعلامة الكبير ، كان مع علمه وفقهه شاعراً مُجيداً ، جرت بينه وبين نشوان الحميري مكاتبات ومساجلات شعرية ، رحل إلى مصر أيام طلبه العلم فقرأ على عدد من أكبر علمائها ، وكان القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م) يجله ويعظمه

---

(1) عبدالرحمن المختار ,**الحياة العلمية في اليمن** ، ص ٧٥ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص٩٠.

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٩٢ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(4) يطلق على الزيدية في اليمن أحياناً (الهادوية) أو (الهدوية) نسبة إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين الذي أدخل الزيدية إلى اليمن .

(5) يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

على ما بينهما من خلاف في المعتقد ، وقد قاد أنشطة علمية كثيرة في وقش ، منها المناظرات والمراسلات التي عقدت بينه وبين القاضي جعفر[1] .

وقد ترجم القاضي إسماعيل بن علي الأكوع[2] - عند حديثه عن هجرة وقش وتعريفه لها - لأربعةٍ وأربعين من أعلام هذه الهجرة ، وهو عدد كبير جداً لم تحظ به كثير من الهجر العلمية الأخرى .

وقد جرت في أيام الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) بين الزيدية المخترعة بقيادته والزيدية المطرفية بقيادة علماء وقش صراع فكري ساخن طويل ، وصدرت على إثره فتاوى مازالت إلى اليوم مثار جدل ونقاش كبيرين ، قضت هذه الفتاوى بتكفير المطرفية ووجوب قتالهم وهدم ديارهم وسلبهم وسبيهم ، وبالفعل - بناءً على هذه الفتاوى - أمر الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة أحد قادته ويدعى عبدالله بن مرحب الحرازي بخراب وقش سنة (٦١٣هـ / ١٢١٦م) " فأخربها ، وأخرب أحد مساجدها ، وسماه بمسجد الضرار ؛ لكونه في هجرة المطرفية من الزيدية... وأمر بجميع أبوابها وأخشابها أن تنقل إلى قاهرة ظفار "[3].

☒ هجرة حُوث :

هِجْرة علمية قديمة مشهورة ، تقع في أرض العُصَيْمَات من حاشد ، في منتصف الطريق بين صنعاء جنوباً وصَعْدَة شمالاً ، وهي من أقدم معاقل العلم في اليمن وأشهرها ، واضطرد ازدهارها العلمي على مدار قرون كثيرة ، ولا يزال للعلم بقية في بعض أهلها إلى يومنا هذا في القرن الهجري الخامس عشر[4] ، ذكرها الجَنَدي[5] فقال عنها أنها : " هي مدرسة الزيدية ، تخرج منها جماعة من علمائهم " .

---

[1] المصدر السابق ، ص ٩٠ .

[2] الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ٤ ص ٢٣٤٣ - ٢٣٦٢ .

[3] نقلاً عن الأكوع ، حيث لم أعثر على النص المشار إليه ضمن الجزأين المطبوعين من سيرة الإمام المنصور عبدالله بن حمزة ، المسماة بالسيرة المنصورية للذان حققهما د. عبدالغني محمود عبدالعاطي ، وتأتي **السيرة المنصورية** - في مجملها - في ستة أجزاء ، يقال أن الأربعة الأجزاء الأخرى منها مفقودة، انظر الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ٤ ص ٢٣٤٥.

[4] ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٤٩٠ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٢ ص ٢٢١ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ٢ ص ٥٢٧ .

[5] **السلوك** ، ج ١ ص ٣٠٨ .

وقد دَرَّسَ ودَرَسَ بهذه الهجرة العلمية مجموعة من أفذاذ العلم وأساطينة في أرض اليمن ، منهم الأديب الفقيه اللغوي الشهير نشوان بن سعيد بن أبي حمير الحميري (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) صاحب معجم (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم)[1] .

ومنهم أيضاً الإمام المنصور عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) أحد أكبر أئمة الزيدية باليمن علماً وفقهاً وأدباً ، كان من أعلم أهل عصره ، ألزمه علماء الزيدية في عصره بالقيام بأمر الإمامة في سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٧م) ، وكانت حُوث واحدةً من أكبر محطاته التي دَرَّسَ بها كثيراً من علومه التي برع فيها ، ولعل عدداً كبيراً من مؤلفاته التي تنوف على الثمانين ألفت في حوث[2] .

ومن أعظم من درس بهجرة حوث العلمية الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني[3] (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) ، وهو أحد أعلام الفكر الإسلامي في اليمن ؛ لأنه كان إماماً عالماً ، مجتهداً مفكراً ، موسوعياً بليغاً ، حاز القبول لدى الزيدية وأهل السنة، فقد قال عنه الجَنَدي الشافعي[4] : " وليس بالناحية أجمع – أي مناطق انتشار المذهب الزيدي باليمن – من يُشار إليه بكمال العلم ورسوخ الدين غير السيد يحيى ... " .

---

(1) انظر ترجمته عند الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ١ ص ٥٤١ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ٢ ص ٢١٥ – ٢٥٤ ، ابن مظفر ، **الترجمان** ، ص ١٣١ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٧٣ .

(2) سبق ذكر مصادر ترجمته ، ومن أهمها زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ١٠٨ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٧٩٩ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ٣ ص ٣٧ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ٥٧ ، المحلي ، **الحدائق الوردية** ج ٢ ص ٢٤٧ ، ابن مظفر ، **الترجمان** ، ص ١٣٣ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٥٩٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ٥٧٨ .

(3) الحبشي ، **حكام اليمن المؤلفون** ، ص ١٣٣ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ج ١ ص ٢٢٨ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٩٧٢ ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ص ٤١٤ ، أحمد محمود صبحي ، **الزيدية** ، ص ٢٠٧ ، **الإمام المجتهد يحيى بن حمزة** ، ص ٢١ وما بعدها ، الكبسي ، **المصدر السابق** ، ص ٩٧ ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ١٢٢٤ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ١١٢٤ .

(4) **السلوك** ، ج ١ ص ٣٠٨ .

ومن أشهر من تتلمذ على علماء هذه الهجرة العلمية الإمام المهدي أحمد بن الحسين (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) ، فقد ذكرت بعض المصادر أن عمه انتقل به إلى هجرة حُوث ليتتلمذ على رجال العلم بها[1] .

(٤) القرى العلمية :

يوجد بين القرية العلمية والهجرة العلمية فروق قليلة جداً لكنها كبيرة ، سأتناولها لاحقاً عند الحديث عن أماكن التعليم في اليمن في زمن الدراسة ، وسآتي هنا إلى ذكر عددٍ من أشهر القرى العلمية التي جرت على أرضها الكثير من الأنشطة العلمية لقادة العلم والفكر من العلماء وطلابهم في اليمن في حقبة ما قبل زمن الدراسة ، منها :

☒ قرية سَهْفَنَة:

تدعى أحياناً سَفَنَة – كما هو الحال في زمننا الحاضر – وهي إحدى قرى العلم المشهورة باليمن من النصف الثاني للقرن الرابع حتى بداية القرن الثامن الهجريين ، تقع جنوب منطقة ذي السفال وشمال مدينة القاعدة على بُعد خمسة كيلومترات منها ، وهما من أعمال محافظة إبّ في أواسط إقليم المرتفعات الجبلية باليمن ، وهي لا تبعد كثيراً عن الجَنَد[2] ، قال عنها الجَنَدي[3] أنها : " إحدى قرى الجبال المقصودة لطلب العلم ... لم تكد تخلو عن فقيه مدرس وطلبة مجتهدين " .

من أشهر من دَرَّس بها – وهو من أهلها – الإمام أبو محمد القاسم بن محمد بن عبدالله الجُمَحي القرشي[4] (ت٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) ، هو أول من اشتهر بالعلم من أهلها وليس بأولهم ، فقد تفقه بعلماء سَهْفَنَة ، وهذا دليل على أنه كان بها من العلماء من سبقه ولو لم تذكرهم المصادر ، ثم انتقل إلى زَبِيْد فأخذ عن مجموعة من علمائها وعلى رأسهم أبي بكر بن المضرب الزَبِيْدي ، ثم اتجه صوب علماء القرى العلمية في الجبال ، فنزل حُرَازَة وتفقه على صاحبها وعالمها عبدالعزيز بن الربحي ، ثم آب إلى سَهْفَنَة ، فلما استقر بها قصده الطلبة من صنعاء ونواحيها ، والجَنَد ونواحيها ، وعَدَن

---

(1) ابن المؤيد ، **الطبقات الكبرى** ، ج ١ ص ١١٤ .

(2) لمعلومات أكثر عنها انظر الأكوع ، **هِجَرُ العلم** ، ج ٢ ص ٩٧٧ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٢ ص ٤٣٦ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ١ ص ٨٣٢ .

(3) **السلوك** ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(4) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٢٨- ٢٣٠ .

وأَبْـيَن ولَحْج ونواحيها ، ومن المَعَافِـر والسُحُول وأُحَاظَة ووادي ظباء وغيرها مـن المناطق ، فكان شيخاً لعدد كبير من علماء القرن الخامس الهجري باليمن .

ودَرَّس بها – من غير أهلها – الإمام أبو عبدالله الحسين بن جعفر بـن محمـد المراغي المصري (ت٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) ، وكان الإمام القاسم الجمحي القرشي هو من استقدمه إليها حين لقيه بمكة سنة ٣٨٨هـ / م ، ويبدو أنه قد أعجب به عندما أخذ عنه هناك ، وقد بلغ من حرصه على استقدامه أن بذل له القيام بكل مـا يحتاجـه فـي اليمن ، فلما قدمها يبدو أنها أعجبته فقرر الإقامة بها واستيطانها ، حتى أنه عـدَّ فـي أهلها، فنشط في التدريس إلى جانب تلميذه القرشي(١) .

ومن الكتب التي اشتهر المراغي بتدريسها كتب الفقه الشافعي مثل (مختـصر المُزني) ، و (سننه) ، و (سنن الربيع) ، وكذلك بعض الكتب التي ألفها هو بنفـسه كـ(الحروف السبعة) في الرد على المعتزلة(٢) .

وقد جارت على سَهْفَنَة يد الزمان بأن تسلطت عليها في القرن الثامن الهجـري بعض الزعامات القبلية المحلية ممن يدعون بالصعبيين ، وذلك بدوافع الجـشع وحـب المال الذي تعدى حدود ما أباحه الشرع – في غياب السلطان الرادع – فصرفوا أوقافها – التي كانت مخصصةً للإنفاق على العلماء والفقهاء وطلبة العلـم بهـا – فـي غيـر وجوهها ؛ فأدى ذلك إلى خراب سمعتها العلمية – وإن لم يخرب المسكون من مبانيهـا بعامة الناس – فهجرتها كوادرها التي رسمت شهرتها الفكرية والعلميـة علـى مـدار قرون، وأصبحت خاوية منهم ، لا يميزها عن غيرها من القـرى العاديـة المجـاورة الأخرى إلا الذكر الحسن لما مضى من غابر أيامها وسالف عصرها ، فتتولد الحـسرة لدي من مر بها – إن كان يعلم بجمال ما مضى من تاريخها – وذلك ما يلمسه القـارئ في كتابات من أشار إليها ، إذ يقول الجَنَدي(٣) في معرض حديثه عنها في مطلع القرن الثامن الهجري : " ولم يبق فيها فقيه من أهلها ولا من غيرهم لاستيلاء من لا نَظَرَ لـه

---

(1) الجندي ، السلوك ، نفس الجزء والصفحة .

(2) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢٨- ٢٣٠ .

(3) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

على ما وُقِفَ لِمُدَرِّسٍ ودَرَسَةٍ[1] " ، فعقب عليه القاضي الأكوع[2] بقوله : " وهي اليوم – أي القرن الهجري الخامس عشر – كذلك ، لا يوجد فيها من له صلة بالعلم أو الفقه ، مثلها مثل سائر القرى المهجورة من العلم " .

☒ قرية ذي أشْرِق:

قرية عامرة في السفح الشرقي لجبل الحَيْرَم في وادي نخلان القريب من ذي السفال ، وتتبعها إدارياً ، وهي إحدى أهم قرى العلم المباركة ، المشهورة بكثرة من خرج منها من العلماء والفقهاء[3] ، وبها مسجد قديم أشار عمارة اليمني[4] (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م) إلى أنه رأى على أحجارٍ فوق بابه مكتوب : " مما أمر به عمر بن عبدالعزيز بن مروان " .

وممن دَرَّس في هذه القرية أبو عبدالله محمد بن سَالم بن عبدالله الشعبي اليزيدي (ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣م) ، وهو رجل علم وصلاح ، كان من أوائل فقهاء هذه القرية ، واستمر في التدريس بها حتى وفاته ، وبقيت ذريته تمارس العمل نفسه حتى أدركها الجَنَدي كذلك في مطلع القرن الثامن[5] .

ويذكر أيضاً أن الأديبين الفاضلين الحسن بن أبي عباد وابن أخيه إبراهيم بن محمد بن أبي عباد (توفيا في مطلع القرن الخامس الهجري) كانا من أعلم أهل عصرهما بعلوم اللغة العربية ، وكان النحو ميدانهما ، تضلعا فيه حتى بلغا درجةً من الإجادة جعلت بعض من يترجم لهما يقول عنهما أنهما : " إمامي النحو في اليمن في

---

(1) الدَرَسَة ، مصطلح يمني خاص ، يطلقونه على الطلبة ، وهو الذي شاع على مدار ما يقرب من عشرة قرون حتى منتصف القرن الماضي عند قيام الثورة اليمنية ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م ، ولم يعد مستخدماً الآن، وقد حل محله مصطلح الطلاب .

(2) هجرالعلم ، ج ٢ ص ٩٧٧ .

(3) الأكوع ، هجرالعلم ، ج ٢ ص ٧٢٥ ، الجَنَدي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٤٢ ، الحجري ، مجموع بلدان اليمن وقبائلها ، ج ١ ص ٨١ ، المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ج١ ص ٧٠ .

(4) المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ، ص ٧٤ ، علق محمد الأكوع – محقق الكتاب – بقوله: " لا زالت الكتابة شاخصة " .

(5) الجَنَدي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٤٢ .

عصرهما ، وإليهما كان أهل النحو يرتحلون من الأنحاء "[١] ، وفي الجملة الأخيرة ما يكفي للاستدلال على ما عقداه من الدروس في ذي يشرق في فنّيهما .

وقد دَرَّس بذي أشرق أيضاً أبو الخطاب عمر بن علي بن أسعد السلالي (ت٥٤٩هـ / ١١٥٤م) ، وكان رجلاً عالماً مشهوراً بفضله وحسن تدريسه ، فاقت شهرته شهرة كثير من أسلافه ؛ فكثر ذكره عند المؤرخين ، لم يبلغ ما بلغه من العلم إلا بعد رحلات علمية داخلية كثيرة ، فقد درس في عدة قرى علمية في المرتفعات الجبلية ، جمعتها بعض المصادر بقولها : " تفقه بالجبل على عبدالله بن عميرة وغيره من فقهاء الجبل "[٢] ، وقد كثر تلاميذه بقرية ذي أشرق ، من أشهرهم عبدالله بن مسعود الخليدي وأسعد بن إبراهيم .

كما دَرَّس بهذه القرية – لمدة من الزمن – الإمام الشهير أبو الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني (ت٥٥٨هـ / ١١٦٢م) ، الذي كان أشهر علماء السنة الشافعية باليمن ، وكان شيخاً لأغلب علماء طبقته سماعاً منه وتفقهاً عليه ، وشيخاً لعلماء اليمن في الطبقات التالية تتلمذاً على كتبه ونهلاً منها ، انتقل إلى ذي أشرق سنة (٥١٧هـ / ١١٢٣م) فكان بها طالباً عند بعض علمائها كسالم الأصغر الذي درس عليه بعض كتب الصحاح في الحديث ، وكان بها شيخاً لمن أخذ عنه من طلابها .

وقد آل أمر رئاسة الفقه والعلم بذي أشرق في العقود الأخيرة من القرن الثامن إلى علماء أسرة من عشيرة الصعبيين ، وكان مسجد عمر بن عبدالعزيز بها هو ميدان كل أنشطة العلم والتلقي ، فقد كان يزدان بكثرة العلماء والفقهاء وطلاب العلم من أهلها وممن وفد ، حتى قال بعض المؤرخين[٣] : " وقد أخبر الثقة أنهم – أي الفقهاء والقضاة بني الصعبي – قد انتهت إليهم الرئاسة في العلم والجاه بذي أشرق وما والاها ، وأنه كان يجتمع منهم وقت صلاة الجمعة بذي أشرق نحو أربعين رجلاً ، ما منهم إلا لبس الطيلسان ، ويشير إليه كل إنسان " .

---

(1) الجَندي ، السلوك ، ج ١ ص ٢٤٨ .

(2) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٨٨ .

(3) نقله الأكوع ، هجَرُ العلم ، ج ٢ ص ٧٢٦ عن مخطوطة تاريخ البريهي المطول ، ولم أتمكن من الاطلاع على نسخة منها .

(٥) المدارس العلمية :

هناك خلاف جرى بين الباحثين في تاريخ اليمن حول مسألة بداية ظهور المدارس العلمية في اليمن ، وسوف أؤجل الخوض فيه إلى الفصل المستقل عن أماكن التعليم في زمن الدراسة ، وما سأقوم به هنا هو الحديث عن نوعين من المدارس العلمية ظهرا في اليمن في حقبة ما قبل القرن التاسع الهجري ، وسأكتفي بتناول مثال واحد عن كل من النوعين :

(أ) المدارس غير النظامية :

وأقصد بعنواني هذا ذلك النوع من المدارس الذي حمل اسم **المدرسة** ولو لم يحمل ملامحها ، وهذا النوع صرحت بوجوده المصادر ، ويكاد الجزم أن يقع بأن وجوده كان محصوراً في أروقة المساجد أو أفنيتها وما يلحق بها من بناء ، وهو ما مارس فيه كثير من علماء اليمن نشاطهم التدريسي فيما قبل القرن التاسع من قرون .

وفي مقدمة هذا النوع من المدارس مدرسة الإمام أبو أسامة زيد بن عبدالله بن جعفر بن إبراهيم اليفاعي (ت بعد ٥١٣هـ / ١١١٩م) بمسجد معاذ بن جبل بالجَنَد ، وقد تحدث عنها الجَنَدي[1] بقوله : " وكانت مدرسة الفقيه – أي زيد المذكور – عن يمين المنبر ، وربما اتكأ وقت التدريس على المنبر " وهي المكان الذي مارس فيه هذا الإمام كل أنشطته التدريسية في الجَنَد ، سواء قبل هجرته إلى مكة أو بعد رجوعه منها على النحو الذي ذكرناه عند حديثنا عن الرحلات العلمية .

وقد أورد الجَنَدي نفسه الإشارة إلى أن الطالب الفقير المنتسب إلى مدرسة الإمام زيد اليفاعي كان يتلقى منه المعونة على الاستمرار في طلب العلم والاستزادة منه من خلال الإعانة الغذائية والملبوسات اللازمة ، ولكن مصدر هذه الإمكانات المادية لم يحدد ، وما يجعلنا نعتقد أن مورداً ما – لعله كان وقفاً – هو الذي مكن الإمام زيد من القدرة على الإنفاق على نسبة من طلابه الذين يزيد عددهم على ثلاثمائة طالب ، يملأون ما بين المنبر وباب المسجد[2] .

---

(1) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢٦٣ .

(2) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(ب) المدارس النظامية :

هذا النوع من المدارس كان منتشراً جداً وخاصة في المناطق السنية من اليمن ، وهي تشمل أغلب مساحته بما يفوق ٧٥% منها ، وهو ذلك النوع الذي يتمتع ببناء مدرسي مستحدث أصلاً لغرض التدريس ، وله هيئة تدريس محددة العدد ، قد يكون قوامها مدرس واحد[١] ، وقد يزيد فيشمل الفقيه والمحدث ومعلم الصبيان والمؤذن للمسجد الملحق بها وناظر الوقف وما إلى ذلك ، وغالباً ما كان لها من مصادر الدخل ما يقوم بتوفير متطلبات نشاطها من مرتبات للقائمين عليها والفقراء من طلابها ، وقد قام بعض الباحثين[٢] بإنجاز دراسة مستفيضة عنها ، فحصر ما يفوق تسعاً وسبعين مدرسة في عهد الدولة الرسولية (٦٢٦- ٨٥٨هـ / ١٢٢٨ - ١٤٥٤م) دون أن يدخل ضمنها ما تم إنشاؤه في القرن التاسع الهجري من عهدها .

ومن أمثلتها المدرسة المنصورية العليا[٣] وتسمى المدرسة الشرقية[٤] أيضاً ، تنسب إلى مؤسسها السلطان المنصور عمر بن علي بن رسول (ت٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) ، وهي أول المدارس الرسولية في مدينة زبيد[٥] ، وقد أنشأت خصيصاً للتدريس الفقه الشافعي ، كان بها مدرسٌ ومعيدٌ وطلابٌ على المذهب[٦] ، وقد تناوب على التدريس بها مجموعة من خيرة علماء وفقهاء الشافعية بزبيد ، من أشهرهم الفقيه أحمد بن أبي بكر بن عبدالله الحضرمي (ت٧٨٧هـ / ١٣٨٥م) الذي كان من أعمدة

---

(1) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ١٩٤ ، الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣٤٠ .

(2) عبدالعزيز بن راشد السنيدي ، **المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية**، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، الرياض ، (د ، ن) .

(3) الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٣٧٧ ، عبدالرحمن الحضرمي ، **جامعة الأشاعر** ، مخطوط مسودة الطبعة الثانية بخط المؤلف نفسه ، صورة عن نسخة بالمكتبة المركزية - جامعة صنعاء مهداة إليها من ورثة المؤلف ، ص ٣٧.

(4) ابن الديبع ، **بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** ، ص ٩٠ .

(5) الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٣٣٥ ، الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٢٠٨ ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ١ ص ٨٢ .

(6) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٨٢ .

الفصل الثاني

الأوضاع السياسية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

تمهيد:

قبل الخوض في تفصيلات الصورة العامة للوضع السياسي لليمن في زمن الدراسة من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها ، أرى أنه من المهم هنا أن أشير إلى أن ثمة أمور تخص اليمن مكاناً وإنساناً ، ولا يمكن لكثير من الدارسين لتاريخ اليمن وتراثها الفكري والعلمي استيعابها ما لم يكونوا على قدر من الوعي بها والإدراك الشامل لها، ذلك أن بعض هذه الخصائص كان لها أبلغ الأثر في تشكيل تاريخ اليمن وصياغة ملامح حياة أبنائه الفكرية والعلمية .

تأتي طبيعة المكان الجغرافية في مقدمة هذه الخصائص، فهو يتمتع – أو أقول لعله ابتُلِيَ – بطبيعة جغرافية صعبة للغاية تشمل نسبة كبيرة من مساحته، والقيام بأي دراسة حول تاريخ اليمن بمنأى عن فهم هذه الطبيعة أو التغافل عن دورها فيه – بقصد أو بغيره – يقود غالباً إلى نتائج غير دقيقة، ويكفي أن نعرف أن من فوائد الإحاطة به إعطاء الدارس القدرة على اختبار صدق الروايات من كذبها، فمن يعرف – على سبيل المثال – طبيعة موقع مدينة شبام الرابضة عند سفح حصن كوكبان لا يمكن له بأي حال من الأحوال التسليم بصدق رواية ابن الديبع[1] في قوله أن الرياح هبت في سنة (٤٤١هـ / ١٠٤٩م) على مدينة شبام فبلغت من قوتها أن " اقتلعت شجر البَرقُوق[2]، وحملت الكلاب، وكانت تنبح في الهواء "، فمن يعرف موقع المدينة يعرف أن الرياح مهما بلغت قوتها فإن الجبل الكبير الذي تقع في سفحه يسهم كثيراً جداً في الحد من قوتها وسرعتها ؛ فلا يبقى من قوتها ما يجعلها تبلغ ذلك التأثير .

ومن يعرف موقع شبام – كذلك – يجعل تصديقه مستحيلاً بالمعلومة التي يدلي بها ياقوت الحموي[3] بقوله : " ومياه صنعاء منها "، فبين صنعاء وشبام جبال شاهقة ومسافات كبيرة تتخللها الأودية والمنخفضات، علاوةً على أن موقع صنعاء – لو افترضنا خلو المسافة من الجبال والأودية والمنخفضات – أكثر ارتفاعاً من موقع شبام،

---

(1) **قرة العيون**، ص ١٧٦ .

(2) التسمية اليمنية لفاكهة المشمش وشجرتها .

(3) الحموي ، **معجم البلدان** ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٧٩م ، ج٣ ص ٣١٨ ، ومثله عند الحميري ، **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق د. إحسان عباس ، مؤسسة ناصر الثقافية ، ط ٢ ، ١٩٨٠م ، ص ١١٣ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

فلا المنطق العادي ولا الحقيقة الفيزيائية تسمحان للماء بالجريان من شبام إلى صنعاء، **فالماء حرب للمكان العالي** كما قال حاتم الطائي .

ومن الخصائص التي أقول بوجوب فهمها قبل الخوض في دراسة ما يتعلق باليمن وتاريخها أن اختلاف تضاريسها وتنوع أشكال سطحها هو الذي يقف وراء انعدام الاستقرار السياسي الذي عاشته اليمن منذ بداية القرن الهجري الثالث عند قيام القوى المحلية فيه بمحاولات الاستقلال عن الخلافة العباسية حتى أواخر القرن الرابع عشر الهجري، " فالبيئة الجبلية تعوق السلطة المركزية عن بسط نفوذها وهيمنتها، من ثَمَّ نَدَرَ أن كان للعاصمة السيادة المطلقة على جميع أرجاء اليمن خلال عصور التاريخ "[1]، وإدراك مثل هذه الحقيقة يجنبنا الابتعاد كثيراً في تفسير وجود الاضطرابات الدائمة والصراعات المسلحة المستمرة التي سيطرت على العلاقات بين القوى المختلفة .

كما لا ننسى التأكيد هنا على أن من تلك الخصائص أن هذه الطبيعة كان لها انعكاسها الواضح الجلي على الناحية المذهبية والفكرية لأبناء اليمن، فهم وإن كان الإسلام يجمعهم جميعاً إلا أن المذاهب المختلفة الفقهية منها والفكرية قد حلت بينهم، وفرقت كلمتهم، ومزقت جمعهم، وكان الدافع وراء تنوعها طبيعة البلاد، ووعورة مسالكها، وصعوبة مجاهلها، فقد قصدها أصحاب هذه المذاهب ودعاتها طلباً للحماية من جيوش القوة المركزية سواءً في دمشق على أيام الأمويين أو ببغداد على أيام العباسيين، إذ قصدها الخوارج الإباضية واحتموا بقلاعها وحصونها سنة (١٢٩هـ / ٧٤٦م) ، وبذروا بذرتهم الفكرية بين أهلها، وأصبح فيهم القائد والجندي يوم خروجهم على الأمويين وبلوغ نشاطهم مكة[2].

---

[1] صبحي، **الإمام المجتهد يحيى بن حمزة**، ص ١٣ .

[2] ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٩م ، ج ٣ ص ٤٦٤، ٤٦٥، الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢، ١٩٦٧م ، بيروت، ج ٧ ص ٣٧٤ – ٣٧٦، ابن كثير، **البداية والنهاية**، تحقيق مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ١٠ ص ٢٧ ، د. نايف معروف ، **الخوارج في العصر الأموي** ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٦م ، ص ١٨٠ – ١٨٤ .

كذلك وصل إليها الدعاة الشيعة من الإسماعيلية سنة (٢٦٨هـ /881م) ليتخذوا من حصونها منطلقاً لإقامة مذهبهم وأفكارهم، ومن ثم دُوَلِهم[1]، وإن كانوا لم يفلحوا كثيراً عندما حاولوا نشر مذهبهم بين أبنائها، وظل وجودهم هامشياً، ولم يمكنهم من الصمود والبقاء سوى اتخاذهم من الجبال المنيعة معاقل وحصوناً عصيةً على الاقتحام[2] .

وقامت الشيعة الزيدية بنشر مذهبها وفكرها القائم على الخروج على الحاكم الظالم من غير الفاطميين[3]، وذلك على يدي الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت٢٩٨هـ /٩١٠م) ابتداءً من دخوله صعدة بشمال اليمن سنة (٢٨٠هـ / ٨٩٣م) [4]، ومنذ ذلك التاريخ أصبح أتباع الزيدية وأئمتها رقماً صعباً في المعادلات المذهبية والعلمية والفكرية والعسكرية في اليمن حتى تاريخها المعاصر ؛ لأنهم هم سكان أكثر المناطق اليمنية شدةً وبأساً، وأكثرهم تمرداً على السلطات المركزية القائمة، حتى أنهم كثيراً ما ينقلبون على من ساندوه ولو كان من أئمتهم إذا ما اقتضت مصلحتهم ذلك، وما يخولهم بالقيام بالمساندة أو المعارضة هي طبيعة بلادهم التي تضمن لهم إلى حد كبير الابتعاد عن أيدي من – أو ما – يمكن أن يكون مصدر خوف لهم أو خطر عليهم .

---

(1) إدريس عماد الدين ، **عيون الأخبار وفنون الآثار** ، السبع الرابع ، ص ٣٩٩ وما بعدها ، الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢٠١ ، وما بعدها ، الحمادي ، **كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة** ، ص ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٦ ، الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٣٨ .

(2) أحمد محمود صبحي، **الإمام المجتهد يحيى بن حمزة**، ص ١٧ .

(3) لا تعترف الزيدية بشرعية حاكم لا يمت للسيدة فاطمة الزهراء بنت النبي ﷺ بصلة رحم، أي ليس من نسل ولديها الحسن والحسين رضي الله عنهما، وترى وجوب الخروج عليه، ويوجب سرعة الخروج كونه ظالماً ، وسنأتي إلى بيان ذلك في الفصول القادمة .

(4) د. حسن خضيري ، **قيام الدولة الزيدية في اليمن** ، مكتبة مدبولي ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، ص ٥٧ وما بعدها ، الخزرجي ، **اليمن في عهد الولاة ، الفصول الخمسة الأولى من كتاب [الكفاية والإعلام]** ، تحقيق راضي دغفوس ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، ١٩٧٩م ، ص ١٢١ ، العلوي ، **سيرة الهادي إلى الحق** ، ص ١٧ ، ١١٣ ، المحلي ، **الحدائق الوردية** ، ج ٢ ص ٣٧ وما بعدها ، الهاروني ، **الإفادة** ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

وهكذا نرى أهمية الدور الذي لعبته الطبيعة الجغرافية لليمن في صياغة فكر أهلها وفي تشكيل قناعاتهم العسكرية والسياسية والمذهبية، فكان تاريخهم عبارة عن سلسلة متصلة من الصراعات الدامية التي أصبحت هي الصبغة المعتادة، والاستقرار والهدوء هو الذي يُعَدُّ استثناءً .

ثمة خاصية أخرى مهمة، مع إقراري بأنها صورة من صور الجاهلية الأولى، وتأكيدي على فسادها وخطأ حملها، إلا أنها – للأسف الشديد – كانت موجودة في مخيلة شريحة فاعلة من اليمنيين، ألا وهي الاعتزاز بالإرث الحضاري العريق للرجل اليمني، هو ما ميزه عن بقية سكان الجزيرة العربية كلها[1]، فهو – مع تواضعه على مستواه الشخصي وتمسكه بعقيدته الإسلامية وتفانيه في التمسك بها – يعتد بنفسه اعتداداً كبيراً، لا تفتأ ذكريات حضاراته القديمة الأوسانية والمعينية والسبئية والحميرية تجول في خاطره، فتوقد شعلة عصبيته، وتذكي جذوة إحساسه بعدم الرضا والقبول بالانصياع لحاكم ليس من بني قومه، وهذه الحقيقة انعكست لدى المؤرخين اليمنيين فظهرت جلية في مصطلحاتهم، فهم لا يطلقون على الأيوبيين والرسوليين اسمهم الشائع في بقية أقطار المسلمين الذي لا يحمل أي شحنة عنصرية، بل نراهم يسمونهم الغُــزّ وهي تسمية وإن كانت لم تبعد عن الإشارة إلى أصلهم الصحيح إلا أنها تعكس ما يراه اليمني في باطنه من شعور قوي بأنهم من غير أهله، وإن جمعتهم العقيدة الواحدة .

ولم يقتصر دور هذه النظرة على الشعور الذاتي الداخلي لليمني بعدم الارتياح للركون إلى العيش في ظلال حكم أمثال هؤلاء، بل تعدى ذلك إلى أن بلغ درجة تحوله إلى عامل مساعد في التحفيز على الخروج، أو على الأقل التعاطف والمساندة لمن يخرج أو يتمرد، وقد شعر الرسوليين – أكثر من غيرهم – بما يراه اليمنيون فيهم ؛ فحاولوا أن ينسبوا أنفسهم إلى قبيلة يمنية تأصّل الملك فيها، وهي قبيلة الغساسنة[2]،

---

[1] أشار الدكتور أحمد محمود صبحي إلى شيئ من هذه الخاصية بصورة مختصرة، انظر صبحي، **الإمام المجتهد يحيى بن حمزة**، ص ١٤ .

[2] دار جدل واسع بين الباحثين في تاريخ اليمن في العصر الرسولي حول تحقيق نسب سلاطين الدولة الرسولية، فاختصر بعضهم، بينما استرسل البعض الآخر في الدراسة والتحليل فأسهب وأطنب وأجاد، واتفقت أغلب هذه الدراسات على أن الرسوليين قد انتحلوا النسب الغساني مع أنهم أسرة تركمانية، تنحدر أصولها من قبائل الغز الشهيرة، التي خرج عنها السلاجقة، وسأذكر هنا أهم هذه الدراسات لأهميتها، ولكي أدل عليها من يود الاستزادة في معرفة هذا الجانب، د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر**

ليصبغوا على أنفسهم ظلالاً من الشرعية، وجندوا لذلك بعض المؤرخين في بـلاطهم من اليمنيين أنفسـهم، فوجـدوا فيهم من يكرس لمحاولة تثبيت أصلهم كتباً خاصة، مثل كتاب (المحصول في انتساب بني رسول) للمؤرخ الشهير علي بن الحسن الخزرجي (ت٨١٢هـ/١٤٠٩م) .

ولا يتبادر إلى الذهن أن واحدة من الخصائص التي أشـرت إليها – وحدها وبمعزل عن غيرها – هي التي لعبت دور المحرك لليمني على الخـروج والثورة على السلطة المركزية، بل كل الخصائص – ما ذكرته منها وما لم أشـر إليه – بمجموعها تكاتفت وتظافرت لتشكل حافزاً كافياً للقيام .

ومما يجد الإشارة إليه أن هذا الجو العام المشحون بالصراع الدائم والقتال المستمر والدم والعنف وعدم الاستقرار لم يقف حائلاً أمام الإنسان اليمني في طريق تحقيقه ذاته علماً وفكراً وأدباً، فقد كان انعدام الاستقرار الدائم متزامناً مع نهضة علميةٍ متصلةِ الحلقات، شاملةٍ لمعظم رقعته الجغرافية، ولم يُثْنِه أن يكون ضحيةً لهذه الصراعات أحياناً، وهي بالفعل جنت الكثير على تراث اليمن، فقد فُقِدَ كثير منه في غمرة هذه الصراعات، سواءً ما كان منه مقصوداً بالتغييب أو ما كان ضياعه ناتجاً عن الإهمال الإجباري في جو الصراع المشحون بالدماء[1] .

وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما، الهيئة المصرية العامة للكتـاب، ١٩٨٠م، ص ٤٠ – ٥، عبـدالله العبادي : **الحياة العلمية في زبيد**، ص ٢٦ –٢٨، محمد عبدالفتاح عليان : **الحيـاة الـسياسية ومظـاهر الحضارة في عهد بني رسول**، رسالة دكتوراة ، كلية الأداب، جامعة القـاهرة، ١٩٧٣م، ص ٣٢ – ٣٦، محمد علي عسيري، **أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية**، رسالة دكتوراة ، كلية العلـوم الاجتماعيـة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٦م ، ص ٤١٩ – ٤٣٠ ، حصة ناصر المبـارك ، **الحيـاة الاقتصادية في اليمن في عهد الدولة الرسولية**، رسالة دكتوراة، كلية الشريعة والدراسـات الإسـلامية، جامعة أم القرى، ١٩٩٦م، ص ٥٢ – ٥٩، داود المندعي، **الزراعة في اليمن في عصر الدولة الرسولية**، رسالة ماجستير ، كلية الأداب، جامعة اليرموك، ١٩٩٢م، ص ١٩، ٢٠، أما المصادر القديمة فمتعـددة، وكلها أشارت إلى تدعيم انتساب الرسوليين إلى الغساسنة اليمنيين، وكلهم في ذلك تَبَعٌ للخزرجي .

[1] قام المهدي محمد الحرازي بتناول جناية الحروب والصراعات المختلفة علـى تـراث الـيمن الفكـري والعلمي، للاستزادة انظر المهدي محمد الحرازي، **تراجم علماء اليمن بـين الواقـع والطمـوح**، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ١٢٦ – ١٣٠ .

أولاً : الأوضاع الداخلية

❖ **الدولة الرسولية في النصف الأول من القرن التاسع :**

سنبدأ حديثنا عن الوضع السياسي في اليمن تحت حكم الدولة الرسولية في مدة الدراسة انطلاقاً من فترة حكم السلطان الأشرف الثاني إسماعيل، وسيأخذ حديثنا عن سلاطين بني رسول في القرن التاسع شيئاً من التوسع، ذلك لأننا في تناولنا للوضع السياسي عموماً إنما نهدف من خلاله إلى وضع التصور الذي يبين لنا مدى صعوبة الأوضاع الأمنية التي عاشها اليمنيون في مدة الدراسة، والتي لم تعقهم عن المحافظة على قدر كبير من التقدم العلمي والازدهار الفكري والمعرفي، في صورة تبعث على الإحساس لدينا بأن حب اليمني للعلم وعشقه للتعلم هما من أكبر دوافعه إلى التغلب على كل أشكال المعوقات والمثبطات في طريق تحقيق ذاته علمياً .

(١) الأشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل (٧٧٨ ـ ٨٠٣هـ / ١٣٧٦ ـ ١٤٠٠م) :

يعد السلطان الأشرف الثاني إسماعيل أول السلاطين الرسوليين الذين لهم علاقة ما بمدة دراستنا وموضوعها، فهو وإن كان قد قضى معظم مدة توليه زمام الحكم في البلاط الرسولي في القرن الثامن الهجري إلا أن ما كان منه في القرن التاسع الهجري كان فيه من الأنشطة العلمية ما يحملنا على إعطائه قدراً من الأهمية .

وتشير المصادر إلى أن الأشرف إسماعيل تولى السلطنة وهو دون الثامنة عشرة من عمره، ولم يكن في بداية عهده قائماً بمسؤولياته بشكل سليم، واستعان فيها بوالدته وبخاله الأمير عبدالعزيز الجحفلي ، خاصة أن الأجواء العامة في بداية حكمه سادها الهدوء والاستقرار المؤقت[١] .

---

[١] ابن حجر، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، تحقيق د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤م، ج ٢ ص ١٥٨، الخزرجي، **العقــود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ١٣٤، ١٣٥، ١٤١، المقريــزي، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت ، ط١، ١٩٩٢م ، ج ٢ ص ٤٩١ .

ما لبثت الأوضاع الراكدة أن تحركت بخروج قبائل المعازبة[1] بتهامة سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م، فقامت بالإفساد في الأرض، والاعتداء على الناس حتى قتلوا بعض الولاة، فجرد السلطان لهم الحملة تلو الأخرى، وقاد بعض الحملات بنفسه إلا أنه لم يفلح في القضاء عليهم، وإن كان قد حد كثيراً من خطورتهم[2] .

وكان خطر الأئمة الزيدية هو أشد ما واجهه السلطان الأشرف إسماعيل، سيما في عهد الإمام الناصر صلاح الدين[3] (ت٧٩٣هـ / ١٣٩١م) الذي استولى على كثير من مناطق تهامة كحَرَض[4] وغيرها، بل وصلت قواته إلى أسوار زبيد وتعز

---

[1] إحدى بطون قبيلة الأشاعر الشهيرة، تسكن مناطق زبيد وبيت الفقيه وما حولهما من محافظة الحُدَيْدة، تحمل اليوم اسم الزرانيق، وأهلها من أشد قبائل الساحل بأساً ؛ فلذلك كان لخروجهم على السلطات المركزية وحركاتهم الكثيرة ذكر واسع في كتب التاريخ اليمنية، محمد سالم شجاب، **قبيلة الزرانيق وحركتهم التاريخية**، مجلة اليمن الجديد، السنة ١٦، العدد ١٢، ١٩٨٧م، ص ٤٢، ٥٢، الفيفي، **الأحوال السياسية في الدولة الرسولية**، ص ٣٢ .

[2] د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢١٧ – ٢١٩، الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص ٤٣٧ – ٤٤٤، **العقود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ١٤٤ – ١٥٩. ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٧٧، ٣٨٠.

[3] محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد ، أحد أقوى أئمة الزيدية باليمن وفضلائهم، كان – كما وصفه معاصره الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير – "بلغ فوق رتبة الاجتهاد ... وبرز في العلوم الدينية كلها تفسيرها وحديثها، ونحوها ولغاتها، ومعانيها وبيانها، ومنطوقها وأصولها وفروعها، ومعقولها ومسموعها ..."، بويع بالإمامة عام (٧٧٣هـ / ١٣٧١م) ، وكان قوياً، كثيراً الأتباع، قوي التدبير، حسن السياسة ؛ لذلك عانت منه الدولة الرسولية الأمرّين، وبلغت جيوشه من المناطق ما لم تصلها قوى زيدية سابقة، وله مع الباطنية الإسماعيلية وقعات، الحبشي، **حكام اليمن المؤلفون**، ص ١٦٠ – ١٦٢، زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٢٦١– ١٧٨، **إتحاف المهتدين**، ص ٦٧، الزحيف، **مآثر الأبرار**، ج ٢، ١٠٢٢، الشوكاني، **البدر الطالع**، ص ٧٤٢، ابن المؤيد، **طبقات الزيدية الكبرى**، ج ٢ ص ١٠٢٣، الوجيه، **أعلام المؤلفين الزيدية**، ٩٧٢، الوزير، **كاشفة الغمة في حسن سيرة إمام الأمة**، مخطوطة مصورة على قرص ليزر ، صادر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي، صنعاء، ص ١٣٠، ١٣١ .

[4] سيأتي التعريف بها في عنوان مستقل في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

وعدن[1]، واستنفد الكثير من مقدرات الدولة الرسولية وإمكاناتها، ولم تلتقط أنفاسها إلا بمماته وحصول الخلاف بين الزيدية حول خلافته .

ولم تكد الأوضاع تهدأ حتى برزت الاضطرابات مرة أخرى، وقامت بعض الحركات من قبل بعض القوى الداخلية، وكان أبرزها في المناطق الساحلية بتهامة وفي بعض المناطق الجبلية مثل بَعْدَان[2] والشَّوافي[3]، وكانت ردة فعل السلطان الأشرف عليها أن جرد لها الكثير من الحملات من وقت لآخر، لكنه لم يتمكن من القضاء النهائي عليها، فما كانت الفرصة تلوح لهذه القوى إلا وتقوم باستغلالها والخروج والتحرك والإفساد في الأرض، فيقوم السلطان بتأديبهم، وهكذا دواليك[4] .

وفي مطلع سنة (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ألَمَّ المرض بالسلطان الأشرف إسماعيل فلم يمهله, ومات بمدينة تعز بعد ربع قرن من الزمان على سدة الحكم، كانت حافلة – من جانب – بالكثير من الأحداث السياسية، والملاحم العسكرية، ومن جانب آخر كانت عصر ازدهار عمراني وكبير، يشهد بذلك ما خلفه هذا السلطان من المآثر التي أوردتها كتابات من عاصره من المؤرخين، فقد عد الخزرجي[5] من آثاره العمرانية الدينية حوالي أربعة وسبعين أثراً، ما بين مدرسة ومسجد وسبيل وغيرها .

---

[1] زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٢٧٤، الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص ٤٤٦ – ٤٥٩، **العقـود اللؤلؤيـة**، ج ٢ ص ١٥٦ – ١٧٨، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٨٠، يحيى بن الحسين، **غاية الأمـاني**، ص ٥٣٤، ٥٣٥ .

[2] بَعْدَان ، اسم لجبل كبير مشهور ، مأهول بالسكان ، يطل على مدينة إبّ من الجهة الشرقية ، وفيه عـدد كبير من القرى والحصون والمزارع والعيون والجداول ، ويمثل أحد المديريات التابعـة لمحافظـة إبّ ، ونُسب إليه عدد كبير من أعيان اليمن في مدد تاريخية مختلفة ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلهـا**، ج ١ ص ٤٣ ٤٤ ، ١٢٤ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ١٨١ ، ١٨٢ .

[3] الشوافي اليوم بلدة في جبل خضراء من مديرية حُبَيْش بمحافظة إبّ ، ولكن اسمها في زمن الدراسة كان يطلق على منطقة واسعة تضم بلدان المرتفعات الغربية لمنطقة وادي السحول ، وهي اليـوم إحـدى مراكز مدينة إبّ الإدارية ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٥٨ ، المقحفي، **معجـم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ١ ص ٨٨٣ .

[4] زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٢٥٧, ٢٥٨، الخزرجـي، **العـسجد المـسبوك**، ص ٤٨٠ – ٥٠١، **العقـود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ٢٠١ – ٢٥٤ .

[5] الخزرجي، **المصدر الـسابق** ، ج ٢ ص ١٨٠، ٢٦٠ ، **العـسجد المـسبوك**، ص ٤٦٠، ٤٦١، ٥٠٥، ٥٠٦،.

وكان السلطان الأشرف إسماعيل معدوداً بين مقدمي علماء عصره، إذ اشتغل بالنحو والآداب والتواريخ والأنساب والحساب والفقه والحديث، وكانت له معرفة بالإنشاء والنظم، وله أشعار حسنة[1]؛ لذلك قرب العلماء والمتعلمين، وأجزل لهم العطية، وأكرم من نزل اليمن من العلماء من غير أهلها، ومن أشهر من استضافهم شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني[2]، وكان بروزه في علم التاريـخ أكثر من غـيره، فألف فيه عـدداً من الكتب التي تدل على طـول باعه، وسـعة اطلاعه[3] .

(٢) السلطان الناصر الأول أحمد بن الأشرف إسماعيل(٨٠٣-٨٢٧هـ/١٤٠٠-١٤٢٣م):

يعد السلطان الناصر الأول أحمد بن الأشرف أهم السلاطين الرسوليين الذين حكموا في مدة الدراسة، وأكثرهم تأثيراً على الحياة العلمية والفكرية على الساحة اليمنية، كما أنه من أكثر سلاطين الرسوليين شدةً، وأكثرهم بطشاً، وقسوةً، وهيبةً، وحزماً، وكانت هذه الصفات هي سمة تعامله مع الخارجين عليه، وله - مع ذلك - من الصفات العالية ما يجعله معدوداً ضمن فضلاء ملوك الرسوليين، فقد جاء ذكره عند المؤرخين موصوفاً بالصفات السالفة السالبة والموجبة، وكان تورطه في الوقوف إلى صف الفلاسفة المتصوفة - القائلين بوحدة الوجود - والقيام معهم بدور مماثل للدور الذي لعبه الخليفة العباسي المأمون مع المعتزلة سبباً لتركيز عدد كبير من المؤرخين على

---

[1] د. شاكر محمود عبدالمنعم، **الملك الأشرف الغساني وكتابه العسجد المسبوك**، ص ٦٩ .

[2] استضافه مرتين، الأولى سنة ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م والثانية سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) ، انظر السخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، تحقيق د. حامد عبدالمجيد و د. طه الزيني، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٦م، ج ١ ص ٨٦ - ٩١ .

[3] من أشهر مؤلفاته : (منتقى العسجد في شرح تفصيل حروف الأبجد) ، و (فاكهة الزمن ومفاكهة ذوي الآداب والفطن في أخبار من ملك اليمن) ، و (مرآة الزمن في تخـالف أخبـار الـيمن) ، وقيـل أن الأخيرين كتابٌ واحدٌ، ولعلهما اثنان، و (العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات العلماء والملوك)، انظر الأشرف الثاني الرسولي، **العسجد**، ص ٦٤ - ٧٧، بروكلمـان ،**تـاريخ الأدب العربـي**، ج ٧ ص ١١٢، ١٥٤، الحبشي، **حكام اليمن المؤلفون المجتهدون**، ص ١٦٩، ١٧٢، د. أيمن فؤاد سيد، **مـصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي**، ص ١٥٨، د. شاكر محمود عبدالمنعم، **الملـك الأشـرف إسـماعيل الغساني وجهوده الثقافية**، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد ٨، ١٩٨٧م، ص ١٠٤ - ١١٣ .

صفاته السيئة[1]، ففي حين أننا نجد بعض المؤرخين اليمنيين كالعفيف الناشري[2] (ت٨٤٨هـ / ١٤٤٤م) وابن الديبع[3] (٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) يصفونه بأنه كان موصوفاً بوفور الحلم التام، والكرم الجم، ورباطة الجأش، وقوة احتمال ما لا تحتمله الملوك إزاء الأمور العظيمة، نجد عدداً آخر[4] – غالبيتهم من المؤرخين المصريين[5] – يصفونه بأنه كان فاجراً، ظالماً، شديد الجور .

حكم بعض الباحثين[6] على عهد السلطان الناصر يحيى بأنه يمثل بدايةً لعهود السلاطين الرسوليين الضعفاء، وهو حكم غير دقيق، فكل مجريات الأحداث التي جرت

---

(1) إلا أن السلطان الناصر لم يقم بإجبار الناس على اعتقاد قول بعينه، وكان أشهر مظاهر تأييده للصوفية ممثلاً في تمكينهم من المناصب، وأمر الفقهاء بعدم الفتوى بتكفيرهم، وهو ما ساعد على انتشار عقيدتهم .

(2) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشري، من العلماء المبرزين، من ميادين علمه الفقه والقراءات والفرائض والأدب والشعر، قضى معظم حياته خادماً للعلم، ناشراً له، حيث كان من المدرسين بمدارس الدولة الرسولية في زبيد وتعز وإب حتى وفاته، أشهر مؤلفاته (البستان الزاهر في طبقات علماء بني ناشر) ، أما قوله في وصف السلطان الناصر فقد نقله عنه السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ ، ج ١ ص ٢٤٠ .

(3) **قرة العيون**، ص ٣٩٢، **بغية المستفيد**، ص ١٠٥ .

(4) ابن تغري بردي، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق د.محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة ١٩٨٥ ، ج ١ ص ٢٤٤ ، ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج٣ ص ٣٣١ ، **ذيل الدرر الكامنة**، تحقيق عدنان درويش، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٣٠٠، الصيرفي، **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان**، تحقيق د. حسن حبشي، وزارة الثقافة، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٧٠ – ١٩٧٣م، ج ٣ ص ٦٢، العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** القسم الخاص بحوادث ٨٢٤ – ٨٥٠هـ، تحقيق عبدالرزاق الطنطاوي، دار الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٤٣، ٢٤٤، المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ج ٤ ص ٦٧٥ .

(5) يبدو لي أن سبب ذلك هو نقلهم عن الحافظ ابن حجر كونه أقدمهم، إضافةً إلى أنه عاصر السلطان الناصر، بل وزاره في بلاطه، ويبعث موقف الحافظ ابن حجر منه الاستغراب، فهو نفسه قد مدحه بغرر القصائد، وسنتناول ذلك – إن شاء الله – في الفصل الخامس .

(6) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ٢٢٧، المندعي، **الزراعة في اليمن**، ص ٢٠ ، **Kamerer, M.,** La Mer Rouge L'Alyssinie L'Arabie L'antiquite, La Cairo, Memoires De La Societe De Geagraphie D, 1929, p172 نقلاً عن الفيفي، **الأحوال السياسية في الدولة الرسولية**، ص ٨٤،

في عهده تبين أنه كان له نصيب الأسد في تسيير دفتها، إذ قضى على أغلب بؤر الخروج والتوتر التي لم يتمكن من سبقه من القضاء عليها، ووطد الأمن في بلاده إلى حد كبير ، بل لعله – بشدته وقسوته في معاملة الخارجين عليه – فاق بعض أسلافه في إعادة الهيبة للدولة .

نشط السلطان الناصر منذ توليه السلطة في التحرك في البلاد وجَوْبِ نواحيها بِنِيَّةِ تفقدها – من جانب – والقضاء على أي تمرد يسمع به أو يتوقع حدوثه – من جانب آخر ؛ فأخضع كثيراً من حركات التمرد والعصيان التي قامت بها بعض القبائل والقوى المحلية في مناطق المرتفعات الجبلية، واسترجع عدداً من الحصون المهمة التي خرج ولاتها عن طاعة الدولة[١] .

وبعد ذلك وجه السلطان الناصر جهوده إلى منطقة تهامة التي كانت مساحات واسعة منها قد خرجت عليه، فنزل بنفسه على رأس جيشه وشن كثيراً من الغارات على القبائل التي استنفدت طاقات الدولة الرسولية وإمكاناتها في عهد أسلافه، وفي مقدمة هذه القبائل تأتي قبيلة المعازبة، فشدد وطأته عليها حتى جعلها تركن إلى الطاعة[٢]، ووجه ضربته القوية بإخضاع الحصون المطلة على تهامة لسيطرته، وذلك لأنها كانت الملاذ للفارين من سطوته، ومنها يعاودون الكرة مرةً أخرى[٣] .

وقد ناقش الباحث محمد بن يحيى الفيفي هذا الجانب فأحسن وأجاد، انظر الفيفي، **المرجع السابق** ، ص ٨٤، ٨٥ .

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٨٧، ٣٨٨، المقرئ، **عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي**، تحقيق عبدالله إبراهيم الأنصاري، مكتبة الإرشاد ، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص ١٧٣، مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية في اليمن**، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الجيل، صنعاء، ١٩٨٥م، ص ١٣٣ .

(2) ابن الديبع، **المصدر السابق**، ص ٣٨٧، ابن الديبع ، **بغية المستفيد**، ص ١٠٢، المقرئ، **المصدر السابق**، ص ١٧٣، مجهول، **المصدر السابق** ، ص ١٣٧، ١٤٦، ١٦٩، ١٧٠.

(3) الحداد، **التاريخ العام لليمن**، منشورات المدينة، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م، ج ٣ ص ١٨٨ .

وثار محمد بن القاسم بن نجـاح على السـلطان الناصر في زبيد عام (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م)، إلا أنه قضى على هذه الثـورة في الساعات الأولى لها، فصارت قصتها مثلاً يضرب بين العامـة فيقال : " ملك نجاح ساعة وراح "[١] .

وأبرز الحركات التي واجهها السلطان الناصر أحمد هي حركتا أخيه الحسين بن الأشرف، الأولى كانت بزبيد في سنة (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ، إلا أن السلطان الناصر تمكن من مباغتته بسرعة وأسره في يوم الثورة نفسه، وأودعه السجن في حصن تعز، أما الثانية فقد حدثت في سنة (٨٢٣هـ/ ١٤٢٠م) من داخل الحصن الذي سجن فيه، فقد تمكن من التخلص من السجن واستولى على الحصن، فبادر السلطان بمحاصرته، والاستيلاء على الحصن، ثم أغلظ في معاملته في هذه المرة، وتصرف بحكم شدته المعروفة، وقسوته المعهودة فأمر بسمل عينيه، وبعث به إلى حصن آخر[٢].

نشطت الحركة العلمية كثيراً في عهد السلطان الناصر، وكان هو نفسه من المشجعين للعلماء والفقهاء، ومكرماً لسائر المفكرين ومقدراً لهم، وقد انتشرت أخبار عطاياه السنية لهم في بطون كثير من المصادر اليمنية وغيرها[٣].

وكان يقدم الجوائز الكبيرة للعلماء على كتبهم التي يقومون بتأليفها، فقد روى المؤرخ الإمام إسـماعيل بن أبي بكـر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) أنه أجازه بألف دينار على كتابه الشـهير (عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي) وأجرى له المرتبات[٤] .

---

(1) ابن الديبع، **قـرة العيون**، ص ٣٩١، **بغية المستفيد**، ص ١٠٥، المقرئ ، **ديـوان المقـرئ** المـسمى مجموع القاضي الفاضل الإمام العلامة شرف الدين أبي الذبيح إسماعيل بن أبي بكر المقرئ، جمعه أحـد تلاميذه ولم يُسَمَّى من هو، مطبعة نخبة الأخيار، بومبي، الهند ، ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧، ص ١٨٠، ١٨١، مجهول، **تاريخ الدولة الرسـولية**، ص ١٣٧.

(2) ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ١٠٤، ابن الديبع، **قـرة العيون**، ص ٣٨٩، ٣٩٠، مجهـول، **تـاريخ الدولة الرسـولية**، ص ١٩٣ – ١٩٩، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٦٥، .

(3) البريهي، **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٥٣، ١٦٠، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢١٢، ٢٥٥، ٢٩٧، ٣٠٠، د.طـه أبو زيد، **إسماعيل المقرئ حياته وشعره**، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيـروت، ط١، ١٩٨٦م، ص ٥، المقرئ، **عنوان الشرف الوافي**، ص ١٨٩ .

(4) المقرئ ، **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

وكان السلطان الناصر – كغيره من أسلافه – محباً لبناء الصروح العمرانية عامةً، وذات الصبغة العلمية على وجه الخصوص، فقد شيد كثيراً من المدارس، وإن كان المؤرخون المعاصرون له لم يفصلوا ذكرها إلا أنهم أشاروا إليها، فهذا الإمام إسماعيل المقرئ[1] يقول في مدحه مشيراً إلى المدارس في عهده، واهتمامه بالمساجد وعمارتها، وجمعه للكتب وتوفيرها للعلماء وطلابهم :

وضَبَطْتَ مُلكَكَ فالبَعيدُ كَمَنْ دَنَا ... في الأَرْضِ والمَالُ المُضَاعُ مَصُونُ

وأعَدْتَ للدِّيْنِ الحَنِيفِ جَمَالَهُ ... فَلَهُ مُحَيَّا مُشْرِقٌ وجَبِيْنُ

أحْيَيْتَ رَسْمَاً للهُدَى عَهْدِي بِهِ ... وَسْطَ المَدَارِسِ مَيِّتٌ مَدفُونُ

ورَدَدْتَ أَسْلابَ المَسَاجِدِ نحْوَهَا ... فَلَبِسْنَ مَا يَبْقَى بِهَا ويَزِيْنُ

والصُّحُفُ تُتْلَى والصَّلاةُ مُقَامَةٌ ... والذِّكْرُ والتَّكْبِيْرُ والتَّأذِيْنُ

والكُتُبُ تُنْشَرُ والمَدَارِسُ قَدْ زَهَتْ ... بِالعِلْمِ فِيْهَا والعُلُومُ فُنُونُ

ونَهَضْتَ بالإسْلامِ نَهْضَةَ ثَائِرٍ ... حَتَّى تَطَاوَلَ واسْتَقَامَ الدِّيْنُ

وقد ظل السلطان الناصر أحمد بن الأشرف قائماً بمسؤولياته بكفاءة عالية، وكان لشدته مع خصومه دورٌ كبيرٌ في هيبة القوى المحلية له وإحجامها عن الخروج عليه، لذلك قال عنه ابن الديبع[2] أنه ظل " قائماً بأمور المملكة، حافظاً لها في التهائم والجبال حتى انتهت مدته وانتقل إلى رحمة الله تعالى ... "، وكانت وفاته – بعد حكم دام ربع قرن تقريباً – في أحد حصون وصاب في سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م[3] .

(٣) السلطان المنصور الثاني عبدالله بن الناصر الأول (٨٢٧-٨٣٠هـ/١٤٢٣-١٤٢٦م):

كان السلطان المنصور يوم توليه العرش صغير السن، ومع ذلك أخذت له البيعة باتفاق رجال الدولة دون حدوث ما ينفي صفة الإجماع عليه، وكان – على

---

(1) المقرئ، ديوان المقرئ، ص ١٤٠.

(2) ابن الديبع، قرة العيون، ص ٣٩٢ .

(3) ابن الديبع، المصدر السابق ، نفس الصفحة ، مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، ص ٢٠٧ .

صـــغر سنه – " ذا رأي وتدبير لسياسة المملكة ... "[١] ، لذلك استطاع فرض هيبته وتثبيت سلطانه على البلاد[٢]، وكان له من الصفات الحسنة ما لم يتوفر لكثير ممن خلفه في الحكم الرسولي، فقد وصفه بعض المؤرخين[٣] بأنه كان عدلاً شجاعاً، ذا دين متين ... جواداً ممدوحاً، محباً للفقهاء والمساكين، وكما كان موقف السلطان الناصر أحمد من المتصوفة شبيهاً، نوعاً ما، بموقف الخليفة المأمون العباسي من المعتزلة – كما سبق أن أشرت – فقد كان موقف ابنه السلطان المنصور منهم شبيهاً جداً بموقف الخليفة العباسي المتوكل على الله من المعتزلة، فقد قام بإزالة منكراتهم، وأبعد كبار رموزهم، ورفض حتى مجرد السماح لهم بمقابلته، وأثار ساكن عزم أهل السنة، ومنع أصحاب الطرب من النساء من الغناء على بابه، وكان محباً لفعل الخير، قائماً بالعبادات على وجهها الحسن، حتى اشتهر عنه أنه كان يحضر صلاة الفجر مع الجماعة في المسجد[٤] .

ولم يطل عمر هذا السلطان، إذ وافته المنية بعد ثلاث سنوات من بداية حكمه، أي سنة (٨٣٠هـــ / ١٤٢٦م)[٥]، وممن المرجح أنه لو طال عمره – بناءً على ما بدأه من السيرة الحسنة – لَجَدَّدَ كثيراً من شباب الدولة وقوتها، ولأحيا الكثير من مكانتها التي كانت تتمتع بها في ظل أسلافه الأوائل .

---

[1] ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٩٢، وكذلك مثله عند الأهدل ، **كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائــد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين وبيان حال ابن عربي وأتباعه المــارقين** ، تحقيق أحمد بكير محمود ، تونس، ١٩٦٤م ، ص ٢٢٢ .

[2] د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٣٢، الأهدل ، **المصدر السابق** ، ص ٢٢٢ .

[3] ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٩٢، **بغية المستفيد**، ص ١٠٦ .

[4] **المصدران السابقان** ، ونفس الصفحات .

[5] ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق د. علي طرخان، الهيئــة المــصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧١م، ج ١٥ ص ١٤٥، ابن الـديبع، **المــصدران الـسابقان** ، نفــس الصفحات .

كان السلطان المنصور – كأسلافه – محباً للعلماء، مقرباً إياهم في مجلسه، وكان يكرم الوافدين منهم، ويجزل لهم العطاء الحسن، وكان يجلس للسماع عليهم، والأخذ من علومهم، وكان مشاركاً في بعض العلوم كالفقه والعربية[1] .

(٤) السلطان الأشرف الثالث إسماعيل بن الناصر (٨٣٠هـ-٨٣١هـ/١٤٢٦-١٤٢٧م):

تولى السلطان الأشرف الثالث إسماعيل بن الناصر الحكم خلفاً لأخيه السلطان المنصور عبدالله، وكان صغير السن أيضاً[2]، إلا أن شخصيته كانت لا تتمتع بما كانت تتمتع به شخصية سلفه من الصفات، لذلك قام بتدبير أمور المملكة جماعة من أعيان

---

(1) البريهي، **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٢٤٧، ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج ٣ ص ٣٤٢، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٩٢، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج ٩ ص ٢٥٩ .

(2) أورد ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ٣٩٣ قولاً غريباً عن عُمْرِ السلطان الأشرف الثالث يوم مبايعته، فقد ادعى أنه تولى الحكم وهو صغير لم يُختن بعد، وقد فات المؤرخ الكبير أن هذا السلطان هو أخو المنصور وليس ابنه، فكيف يكون صغيراً حتى أنه لم يختن بعد في سنة (٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) ، بينما كان أبوه السلطان الناصر أحمد قد مات سنة (٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ، فعلى افتراض أن الأشرف الثالث ولد في اليوم الذي مات فيه أبوه – أو حتى بعد وفاته بتسعة أشهر – فإن عمره سيكون يوم مبايعته ثلاث سنوات أو سنتين وثلاثة شهور تقريباً، فهل من المعقول أن يتأخر ختانه إلى هذا السن ؟ أشك في ذلك كثيراً، وقد ناقض ابن الديبع نفسه – ضمناً لا تصريحاً – عندما قال أن السلطان الظاهر يحيى – بعد أن بويع سلطاناً سنة (٨٣١هـ / ١٤٢٧م) – أرسل الأشرف الثالث إسماعيل إلى أحد الحصون وسجنه هناك، فهل يعقل أن يسجن طفلاً ختن قبل سنة واحد تقريباً؟ لذلك أرجح أن السلطان الأشرف الثالث كان صغير السن لكنه كان قد بلغ من العمر ما يجعل عمه السلطان الظاهر يحيى لا يتحرج من سجنه، فربما كان عمره يفوق العاشرة بعدة سنوات، وفي ديوان الإمام المقرئ، **ديوان المقرئ**، ص ٢٨٣ ما يدل على أنه كان أكبر سناً مما تصفه هذه المصادر، فقد طلب الأشرف الثالث نفسه من الإمام الشاعر أن ينظم له قصيدةً تكون اللفظة الأولى واللفظة الأخيرة في كل بيت من أبياتها كلمة **زبيد**، فنُظِمَت تلك القصيدة، وهذا الطلب – لا يمكن بأي حال من الأحوال – أن يصدر عن صبي صغير، فهو يدل على أنه صادر عن شخص حقق قدراً معيناً من التعلم نشأت عنده مَلَكَة التذوق الأدبي، وهو ما ينفي صغر سنه إلى الحد الذي ذكره ابن الديبع، ولعل القرينة الأقوى التي تبعث على الجزم بأنه لم يكن صغيراً كما صُوِّرَ أنه قد وُلِدَ له طفلٌ سنة (٨٣٤هـ / ١٤٣٠م) نافس على حكم الدولة الرسولية سنة (٨٤٧هـ / ١٤٤٣م) ، وهو السلطان المسعود صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف الثالث، الذي ذكر ابن الديبع نفسه، **قرة العيون**، ص ٤٠٣ أن عمره في تلك السنة كان ثلاثة عشر عاماً فهل من المنطق أن يرزق الأشرف الثالث بأطفال وهو في سن الصبا؟؟؟ .

الدولة الذين لم يكونوا على وفاق دائم ؛ فاختلفت كلمتهم وتفرقت آراؤهم[1]، ولم يكن السلطان بينهم إلا صورة يحفظون بها نظام الدولة، ويستمدون من خلالها شريعة تَحكُّمِهم، وقد صور لنا ذلك الواقع الإمام إسماعيل المقرئ[2] في واحدةٍ من غُرَرِ قصائده التي وجهها من زبيد إلى الظاهر يحيى – عم السلطان الأشرف وخليفته – وقد كان المقرئ معاصراً وشاهدَ عيانٍ لما يجري، فيقول :

ولَــيْسَ لإسْــمَاعِيلَ[3] ذَنْــبٌ لأنَّــهُ	علَــى يَــدِهِ أيْــدٍ أوَامِرُهَــا أقْــوَى
ومَــا كَــانَ إلا صُــورَةً يَحْمِلُونَهَــا	علَى بَعْضِ مَا يَهْوونَ لا بَعْضِ مَا يَهْـوى
فَدَبِّرْ أمْــرَ المُلْــكِ مَــنْ لَــمْ تَكُــنْ لَــهُ	سَجَايَا المُلُــوكِ الغُــرُّ والهِمَــمِ العُلْيَـا
أيُرْجَى صَلاحُ المُلْكِ والأمْــرُ قَــدْ غَــدَا	لِمَــنْ لَــمْ يَكُــنْ زِيُّ المُلُــوكِ لَــهُ زِيَّـا

وقد انعكست هذه الأجواء على أحوال البلاد فتعرضت لكثير من المشكلات، كخروج القبائل وتعرضهم لأموال الناس، وانتهاب أموال الضعفاء، خاصة أن الجدب كان قد حل بكثير من مناطق اليمن في تلك السنة، ففُقِدَ الأمن وغاب الاستقرار[4]، وشاع الفقر وانتشر الجوع[5]، وقد شعر عدد من مماليك البلاط الرسولي وعبيده بالخطر على الدولة في مثل هذا الظرف فاتجهوا إلى يحيى بن الأشرف الثاني – عم السلطان الأشرف الثالث – وأخرجوه من سجنه[6] وبايعوه سلطاناً، وخلعوا بذلك السلطان الأشرف الثالث الذي تم إرساله إلى السجن[7].

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٩٣، يحيى بن الحسين، **بغية الأماني**، ص ٥٦٧ .

(2) **ديوان المقرئ**، ص ٢٨٦ .

(3) المقصود هنا السلطان الأشرف الثالث إسماعيل بن الناصر أحمد .

(4) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٩٣، مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، ص ٢٠٩، المقريزي، **السلوك**، ج ٤ ص ٣٧٢، ٣٧٣ .

(5) **ديوان المقرئ**، ص ٢٨٦ .

(6) كان أخوه السلطان الناصر قد سجنه سنة (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ، يحيى بن الحسين، **بغية الأماني**، ص ٥٦٥ .

(7) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٩٣، مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، ص ٢٠٩، المقرئ، **ديوان المقرئ**، ص ٢٨٥ .

(٥) السلطان الظاهر يحيى بن الأشرف الثاني إسماعيل (٨٣١-٨٤٢هـ/١٤٢٧-١٤٣٨م):

بويع السلطان الظاهر يحيى بن الأشرف الثاني إسماعيل خلفاً لابن أخيه، وتلقب بالظاهر، ومن خلال ما جرى من أحداث تلت توليه زمام الأمور في العرش الرسولي يتضح لنا أنه كان ذا همةٍ عاليةٍ، له ميل إلى التدين السليم البعيد عن صور البدع والمنكرات، ويتمتع بشخصية قوية وعقلية سياسية حكيمة ؛ وولّدتا لدية الغيرة على مكانة السلطان الرفيعة التي اهتزت في عهد سلفه الأشرف الثالث، وكأني به كان يحلم بإعادة أمجاد الدولة إلى ما كانت في عهد أسلافه .

كان لزاماً على السلطان الظاهر يحيى القيام ببعض الإصلاحات الإدارية والاجتماعية والدينية – إن جاز لنا استخدام هذه المصطلحات المعاصرة – لذلك رتب لنفسه بعض الأولويات، فما أن تمت البيعة له حتى هب إلى إقامة العدل ونشره بين الناس، وأبطل الكثير من البدع وما أحدثه الناس في دينهم مما لم تقم عليه الأدلة[١]، وأزال كثيراً من مظالم الولاة والأمراء، وقرر القواعد التي كانت تعتادها الرعية في أيام أسلافه العظام، وأنفق على جميع فئات جيشه النفقات السخية، وأدخل السرور على جميع طبقات المجتمع اليمني، ولكي يجعل من سلوكه هذا نهجاً دائماً لا مظاهر فرحة طارئة أصدر المراسيم السلطانية بها، وأرسلها إلى كافة مناطق البلاد الخاضعة لسلطة الدولة الرسولية[٢] .

ولم يغب عن بال السلطان الظاهر يحيى القيام بأمرين مهمين في سبيل إعادة الاعتبار لمكانة السلطان الكبيرة في نظام الحكم الرسولي التي تعرضت لهزة عنيفة – في عهد الأشرف الثالث – شوهت وجهها في نظر العامة ورجال الدولة عموماً، والمماليك والعبيد منهم على وجه الخصوص، وأول هذين الأمرين القيام بالتخلص من أعيان الرجال الذي استأثروا بالأمر دون سلفه الأشرف الثالث وفي مقدمتهم أكبرهم

---

(1) عند ابن الديبع ما يناقض ذلك، فقد أشار إلى أنه كان قد أحيا بعض البدع التي رعاها هو بنفسه ، انظر ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٩٨، ٣٩٩.

(2) **المصدر السابق** ، ص ٣٩٣ ، الأهدل، **كشف الغطاء**، ٢٢٣، مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، ص ٢١٠ ، علي بن علي أحمد، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٧١ .

وأشهرهم الوزير القاضي شرف الدين إسماعيل بن عبدالله العلوي[1]، أما الأمر الآخر - وكان أكثر إلحاحاً وأهمية من سابقه - فيتمثل في القضاء على العبيد والمماليك الذين خلعوا ابن أخيه ونصبوه سلطاناً، ويبدو أنه لم يكن يُبَـيِّت نية الإساءة إليهم والتخلص منهم حتى لمس فيهم من الغرور والتجبر والكبرياء ما دفعه للعزم على القيام بذلك، فقد " طغوا وبغوا وزعموا أنهم يقيمون من شاؤوا ويخلعون من شاؤوا "[2]، فلما حانت الفرصة للسلطان للقضاء عليهم وكسر شوكتهم قام – في سنة (٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) – بإبادتهم قتلاً وتغريقاً ونفياً وسجناً وتفريقاً وتنكيلاً[3] .

وقد قامت كثير من قبائل تهامة بالخروج على طاعة السلطان الظاهر يحيى، وانتشر التمرد والعصيان في كثير من قرى تهامة ومدنها، وجرد السلطان الحملات ووجهها إليها، وما كانت تخمد ثورة حتى تندلع أخرى، وما تنهزم القبيلة الواحدة حتى تستجمع قواها وتعلن العصيان مرةً أخرى، واستهلكت هذه الحركات الكثير من إمكانات الدولة وجهودها، ولم ينجح السلطان في القضاء على أغلبها ؛ وكانت كثيراً منها ما تتشفع بالفقهاء والعلماء لدى السلطان ليعفو عنهم[4]، وجملة القول أن كثيراً من هذه الحركات استمرت في خروجها حتى وفاة السلطان الظاهر يحيى سنة (٨٤٢هـ / ١٤٤١م)[5] .

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٩٤، وفيه إشارة إلى أن القاضي لم يقترف ذنباً سوى قيامه بتنفيذ وصية السلطان الناصر أحمد في أخذ البيعة لولديه، وهذه الحادثة من الحوادث القليلة جداً في العصر الرسولي التي يطال العلماء السوء على أيدي الحكام .

(2) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة ، وعن مكانة العبيد وأدوارهم في اليمن إبان العهد الرسولي – بما فيها هذه المدة بالتحديد – انظر د. حسين عبدالله العمري ، **الأمراء العبيد والمماليك في اليمن** ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، ص ٤٣ – ٤٨ ، فتحي علي حسن هلال ، **الحياة الاجتماعية والفكرية من منتصف القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن التاسع الهجري** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٩٩٢م ، ص ٤٣ – ٤٦ .

(3) ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ٣٩٤، ٣٩٥، مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية**، ص ٢١٤، ٢١٦، **ديوان المقرئ**، ص ٣٠١، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٦٨ .

(4) ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ٣٩٥، ٤٩٦، مجهول، **المصدر السابق** ، ص ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٩، ٢٧٢، ٢٧٧، ٢٧٩، يحيى بن الحسين، **المصدر السابق** ، ص ٥٦٩ .

(5) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٣٥ .

وفي غمـــرة هذه الأوضاع الأمنية المتردية قام العباس بن الأشـــرف الثاني إســـماعيل – أخو السلطان الظاهر يحيى – بالخروج على أخيه سنة (٨٣٩هـ/ ١٤٣٥م) ، واستفاد من الخارجين عليه من العبيد، إلا أنه ما لبث أن صالح أخاه في السنة التالية[١] .

(٦) السلطان الأشرف الرابع إسماعيل بن الظاهر (٨٤٢ – ٨٤٥هـ/١٤٣٨ – ١٤٤١م) :

أجمع رجال الدولة وأعيانها وأهل الحل والعقد فيها على بيعة السلطان إسماعيل ابن الظاهر يحيى سلطاناً[٢]، وحمل لقب الأشرف ، فكان بذلك رابع السلاطين الرسوليين الذين حملوا اللقب نفسه ، ووصفه المؤرخون بأنه كان شجاعاً باسلاً، له شدة وحزم، وإقدام وجرأة على سفك دماء أعدائه الخارجين عليه، وذكر بعضهم[٣] أنه كان يلقب بالمجنون لشدة إقدامه وجرأته .

وكانت كثير من قبائل تهامة ما زالت خارجة عن طاعة الدولة منذ عهد أبيه، فجرد عدة حملات للتصدي لهم، إلا أن الحرب بينهم كانت سجالاً، وكانت جيوشه تمنى بالهزائم أحياناً، وكاد في إحدى المعارك أن يُقتل هو بنفسه بعد هزيمة جيشه[٤]، وقد عجز فعلاً عن القضاء على هذه الحركات حتى آخر أيامه، ولو أن هذه القوى القبلية الثائرة كان لديها من الوعي السياسي بأهمية التكتل أو حتى التنسيق بين جهودها لكان القضاء على الدولة ميسوراً وقتئذ، إلا أن الغالب على حركاتها كان دافعه الكسب المادي من السلب والنهب المرتبط بحروبها، أو الثأر من جنود الدولة لمن سقط من قتلاها .

ولم تطل أيام السلطان الأشرف الرابع كثيراً، فقد وافته المنية في مدينة تعز بعد ثلاث سنوات فقط من حكمه، أي سنة (٨٤٥هـ /١٤٤١م) ، وكانت أيامه بداية لأفول نجم الدولة الرسولية كما سنبينه .

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٩٧، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٧٢ .

(2) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٠، فيما نظر إليه يحيى بن الحسين على أنه " كان شاباً تغلب عليـــه رأي الجهل والسفه، فسفك الدماء، وأثار الفتن العظمى " ، انظر يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٧٨.

(3) ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ٤٠٠، يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٧٩ .

(4) يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

❖ **الصراع الرسولي الداخلي وسقوط الرسولية :**

(٧) السلطان المظفر الثاني يوسف بن عمر (٨٤٥ ـ ٨٥٤هـ/١٤٤١ ـ ١٤٥٠م) :

بتولي السلطان المظفر الثاني يوسف بن عمر العرش الرسولي كانت الدولة الرسولية قد دخلت مرحلة جديدة وحاسمة من تاريخها، نستطيع أن نسميها مرحلة التدهور والاضمحلال، أو مرحلة الذبول والانهيار، أو لعلها مرحلة الشيخوخة والسقوط ، فقد سادتها ملامح الضعف، وتكالبت على هيكلها أعراض الغروب، وضاعت هيبتها بالتدريج في نفوس رجالها قبل أعدائها، ولم يكن ذلك إلا نتيجة طبيعة لصراعها الدائم مع الخارجين عليها من القوى المحلية المختلفة، سواءً الأمراء أو القبائل، وإن كان صراعها مع القبائل يأتي في مقدمة من استنزف إمكاناتها، واستهلك معظم جهود حكامها، وتفسير ذلك ما سبق أن أشرنا إليه في تمهيد هذا الفصل .

ولا يَفُتُّ في عضد الدولة – أي دولة – صراعها مع أعدائها بقدر ما يهزها صراع أبنائها على العرش، فهو يأتي على قوتها، ويكشف هالة المهابة التي تتمتع بها منزلة ملوكها في عيون رعيتها وأعدائها، ويُطَمِّع الطامحين إلى بلوغ المطامع الشخصية والمنافع الآنية، ويزيد من جرأة من يخاف عاقبة الإطلال بكيده والتطلع إلى بلوغ مآربه، فيجد فيه المتربصون بالدولة الجو المناسب لممارسة نشاطهم في تقويض دعائمها، أو على الأقل استنزاف أكبر قدر من مُقَدَّراتِها .

وشواهد التاريخ كثيرة على أن صراع أبناء الأسر الحاكمة على السلطة هو بداية النهاية لدولهم، أستحضر منه ما رواه أئمة المؤرخين من حوادث صراع الأمويين على الخلافة بعد وفاة هشام بن عبدالملك سنة (١٢٥هـ / ٧٤٢م) ، حتى قتل بعضهم بعضاً[1] ، فقال قائلهم – وكأنه كان يعي حقيقة خطورة مثل هذا النوع من الصراع – : " يا بني مروان، إني أظن أن الله قد أذن في هلاككم ... "[2]، ولم تدم دولتهم بعده أكثر من ست سنوات حتى انهارت وانتهت أيامها .

---

[1] الذهبي، **العبر في خبر من غبر**، تحقيق د.صلاح الدين المنجد، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠م، ج ١ ص ١٦١، ١٦٢، الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، ج ٧ ص ٢٣١ – ٢٥٣، ابن الأثير، **الكامل**، ج ٣ ص ٤٠٤ – ٤٠٧، ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج ١٠ ص ٩ – ١١ .

[2] د.عبدالشافي محمد عبداللطيف، **العالم الإسلامي في العصر الأموي**، دار الوفاء للطباعة، مصر، ط ١، ١٩٨٤م، ص ٢٠١ .

والصراع على عرش السلطنة بين أبناء البيت الرسولي قديم قدم دولتهم، فقد جرت أول حلقاته بعد وفاة المؤسس السلطان الملك المنصور عمر سنة (٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) ، وتوالت الحلقات في عهد السلاطين الأوائل من أبنائه وأحفاده، فبلغ الأمر مداه في مدة حكم السلطان المجاهد الذي خرج عليه خمسة من أمراء البيت الرسولي هم: عمه أيوب، وابنه عبدالله بن أيوب، وبعد ذلك ثلاثة من أبنائه هو ، ومن الملاحظ أن هذه الصراعات الداخلية لم تشكل خطراً كبيراً وجدياً على الدولة في بدايتها نظراً لقوتها وقوة السلاطين أنفسهم، أو لعل الدولة كانت مازالت فتيةً متماسكةً، وقادرةً على الصمود، إلا أن أخطر نتائجها تمثل في أن الخروج بحد ذاته لم يعد أمراً مستنكراً لدى المتأخرين من الأمراء الرسوليين، الذين عاشوا في حقبة لم تكن الدولة فيها قادرة على تحمل المزيد من نزيف الجهود والإمكانات والطاقات، في وقت كانت تعاني فيه تبعات صراعها مع قوى محلية متنامية في مناطق شتى من تهامة .

من خلال حديثنا عما تبقى من مدة حكم الدولة الرسولية سيتضح لنا كيف أسهم الرسوليون أنفسهم في الإجهاز على بقية قوتهم بخروجهم على بعضهم .

كان بين السلطان المظفر الثاني يوسف – قبل توليه الحكم – وبين خَلَفِه ابنِ عمه السلطان الأشرف الرابع ما يستوجب منه التخفي والابتعاد عن متناول يده، ولم تُشِرْ المصادر إلى ماهية ذلك الأمر، إلا أنها أشارت إلى أنه حينما توفي السلطان الأشرف كان في وُصَاب مقيماً عند أحد زعمائها هرباً منه[1]، وكان المظفر يتميز بصفات العدل والإنصاف، وهو ما كان مشهوراً عنه بين الناس ؛ لذلك كان أول من وُضع اسمه بين يدي جماعة من أهل الحل والعقد في البلاط الرسولي، فقاموا بعقد البيعة له وتمكينه من زمام العرش[2] .

ولم يكن تولي السلطان المظفر الثاني العرش مُرَحَّباً به من قبل بعض رجال الدولة، فقد خرج عليه – منذ أيامه الأولى – بعض مماليك الدولة وعبيدها، واتجهوا إلى زبيد بزعامة أحدهم يدعى يشبك الخاصبي، وأقاموا بها الأمير محمد بن إسماعيل بن عثمان بن السلطان الأفضل، وبايعوه بالسلطنة، وأطلقوا عليه لقب السلطان المفضل، وأراد أن يستقوي بقبائل تهامة الخارجة على الدولة منذ أيام السلطان الظاهر يحيى،

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٢، **بغية المستفيد**، ١١٤، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٧٩ .

(2) **المصادر الثلاثة السابقة** ، وفي نفس الصفحات .

وخاصة قبائل المعازبة والقَرَشيين[1]، على السلطان المظفر، فاستدعاهم إلى زبيد وأنفق عليهم الكثير من الأموال، فاستقووا بها، وبدلاً من التعاون معه حصل الشقاق بينهم – بين المعازبة والقرشيين – وجرت معركة بينهم، واغتصبوا من أهل زبيد نخلهم، وافسدوا في زبيد، وأخافوا أهلها ومن حولها[2] .

تصدى السلطان المظفر لهذه الحركة، وجرد لها حملة تمكنت من هزيمة المفضل ومن معه من العبيد والمماليك، وأسره مع عدد من كبار قواده، واقتاده إلى تعز، وتتبع المماليك، وعمل على الانتقام منهم، وقتل مقدمهم يشبك الخاصبي، وذلك كله سنة (٨٤٦هـ / ١٤٤٢م)[3] .

وقام بعد ذلك بقطع الجامكية[4] على المماليك الذين استمروا في خروجهم لجأوا إلى القيام بنهب محاصيل الأراضي الزراعية المحيطة بزبيد، وعاثوا في الأرض فساداً[5]، وعلموا أنه لا يكره السلطان المظفر منهم عملاً كما يكره نيلهم من شخصيته كسلطان، فأشاعوا أنه قد ضَعُفَ عن أمر السلطنة، ولم يعد صالحاً للاستمرار في تحمل أعبائها، ولما علموا بوجود الأمير أحمد بن يوسف – أحد أحفاد السلطان المجاهد الرسولي – بحَيْس اتجهوا إليه، والتفوا حوله، وزينوا له الخروج معهم ومبايعته بالسلطنة، ولقبوه بالناصر، فدخلوا به زبيداً سنة (٨٤٦هـ / ١٤٤٢م) ، وكثر بغيهم مع الناصر، فكانوا يتمالأون على نهب زبيد، ويقتلون أهلها، ويثيرون الرعب والفزع

---

(1) وليس القَـرَشيين، ويسمون أحياناً القَـرَاشية، أحد بطون قبيلة الأشاعر الشهيرة، وهم – بالإضافة إلى المعازبة – من أشد قبائل تهامة بأساً ، وأكثرهم شجاعة، لذلك كانوا كثيري الخروج على السلطات المركزية التي تحاول السيطرة عليهم على مدار تاريخهم، منازلهم في أسفل وادي رِمَع ومنطقة القَرَشية من محافظة الحُدَيْدَة ، انظر الشرجي، **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص** ، ص ٢٣٣، ٣٩٠ .

(2) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٨٠ ، ابن الديبع، **بغية المستفيد**، ١١٥، **قرة العيون**، ص ٤٠٢.

(3) **المصدر السابق** ، ص ٤٠٢، ٤٠٣، ابن للديبع، **بغية المستفيد**، ١١٥، ١١٦ ، د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٣٨، ٢٣٩،.

(4) الجامكية، كلمة فارسية، معناها الراتب المقدر لشهر أو أكثر، وهي كلمة مركبة من لفظين : **جامه** بمعنى قيمة، **وكي** وهي أداة النسبة، وجمعها جوامك، انظر مصطفى عبدالكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م ، ص ١١٩، محمد قنديل البقلي، **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣، ص ٨٢ .

(5) ابن للديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٣، **بغية المستفيد**، ١١٦، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٨٠ .

فيها، ولم يتجرأ أحد على التصدي لهم، وفشلت محاولة أهالي المدينة في إخراجهم منها[1]، وأحالوا زبيد – كما يقول يحيى بن الحسين[2] – : " كأن لم تغن بالأمس، وتفرق أهلها أيدي سبا[3] ... " .

كان عجز السلطان المظفر واضحاً عن القيام بأي إجراء ضد هؤلاء العبيد والمماليك الخارجين على دولته، وكفى بذلك إشارة إلى عجز الدولة وضعفها، فما كان المظفر إلا مجسداً لها وصورةً من صورها، ولو لم يختلف هؤلاء الخارجون مع الناصر أحمد في أوائل سنة (٨٤٧هـ / ١٤٤٣م) لبقي مدةً أطول[4] .

ما أن خرج الناصر أحمد وأبناؤه من زبيد حتى سارع المماليك والعبيد إلى تنصيب أمير رسولي آخر هو صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف الثالث إسماعيل بن الناصر الأول أحمد، ولم يكن عمره يتجاوز الثالثة عشرة، ولقبوه بالسلطان المسعود[5]، وكان له تطلع إلى الاستيلاء على جميع ما في يد السلطان المظفر، لذلك احتدم الصراع بينهما على مناطق النفوذ، وقد استطاع المسعود فعلاً انتزاع عدن، ثم لَحْج، وزحف بقواته نحو تعز وحاصر المظفر في قلعتها مرتين، الأولى سنة (٨٥٠هـ /

---

(1) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ٢٣٩، ٢٤٠، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٣، **بغية المستفيد**، ١١٦ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٨٠ .

(2) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

(3) وهو مَثَلٌ يقوله اليمنيون كنايةً عن الشتات الذي يصيب قوماً ما إثر حادث جلل، وهو مما توارثه اليمنيون عن أسلافهم منذ حقبة ما قبل الإسلام، عندما تفرق جَمْعُ أبناء سبأ وتشتتوا في الأقطار نتيجة تهدم سد مأرب العظيم في سيل العرم الشهير الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، في سورة سبأ، الآيات ١٦ – ١٩ .

(4) لم يحدد المؤرخون أسباب هذا الاختلاف، ولكن يبدو أن الناصر الثاني أحمد لم يكن يوافقهم في كل أعمال الإفساد التي كان يقومون بها، وتنصيبهم أميراً صغيراً بدلاً عنه يقوي هذا التوقع، انظر ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٣، **بغية المستفيد**، ١١٦، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٨٠ .

(5) ليحيى بن الحسين وقفة طيبة مع هذا اللقب، فهو يقول : " به – أي بالسلطان المسعود – كان انقراض دولة بني رسول، كما انقرضت دولة بني أيوب بالملك المسعود ... " انظر يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٨١ .

١٤٤٦م) والثانية سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م، وتولى زمام السلطنة بشكل تام في سنة (٨٥٤هـ / ١٤٥٠م)[١] .

(٨) السلطان المسعود صلاح الدين بن الأشرف الثالث (٨٥٤–٨٥٨هـ/١٤٥٠–١٤٥٤م):

اختفى السلطان المظفر الثاني يوسف من مسرح الحياة السياسية في اليمن عند استلام المسعود لحصن تعز عام (٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) ، وسكتت المصادر عن طبيعة هذا الغياب، فلم تبين فيما إذا كان قد أُجبر على التنازل وتُرِكَ في حال سبيله، أم أنه قُتِلَ على أيدي جيش المسعود، على كلٍ ؛ فقد تولى السلطان المسعود السلطة في تلك السنة، ولم يلبث أن وقع الخلاف بينه وبين العبيد والمماليك الذين نصبوه سلطاناً، ولعله أراد أن يكرر الموقف الذي وقفه السلطان الظاهر يحيى من الذين نصبوه من قبل، أو لعله خيب أملهم في أن يطلق أيديهم ليعيثوا فساداً في الأرض كما عملوا بزبيد عندما نصبوا الناصر الثاني أحمد .

تشير المصادر[٢] إلى أن أولئك العبيد والمماليك قاموا – في سنة (٨٥٥هـ / ١٤٥١م) بتنصيب سلطانٍ آخر من أبناء البيت الرسولي في زبيد، هو السلطان المؤيد حسين بن الظاهر يحيى بن الأشرف الثاني إسماعيل، فلما علم السلطان المسعود بذلك توجه بنفسه على رأس حملة إلى زبيد، وعزم على القضاء على حركته، غير أنه فوجئ بحمى الخيانة تسري في جيشه، فتركها وعاد إلى تعز، ومنها إلى عدن حيث دخل في صراع مع الأمراء الطاهريين انتهى بتنازله عن السلطنة في بداية سنة (٨٥٨هـ / ١٤٥٤م) بالشكل الذي سنبينه لاحقاً .

طمع المؤيد حسين في الاستيلاء على عدن عندما علم بخروج المسعود منها، فاتجه إليها من زبيد، ودخلها متسللاً في منتصف السنة نفسها، فقبض عليه الطاهريون فيها وأمَّنُوه، ثم سمحوا له بمغادرتها إلى زبيد التي تركها لاحقاً وسافر إلى مكة، ولم يعرف له خبر بعدها[٣]، وبخروجه تكون شمس الدولة الرسولية قد غربت تماماً بعد

---

(1) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ٢٤٠ – ٢٤٢، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٨١، ٥٨٣ ، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٣، ٤٠٤، **بغية المستفيد**، ١١٧، ١١٨ .

(2) **المصدر السابق** ، ١١٩، ١٢٠، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٤، يحيى بن الحسين، **المصدر السابق** ، ص ٥٨٤ .

(3) يحيى بن الحسين، **المصدر السابق** ، ص ٥٨٥ .

❖ **قيام الدولة الطاهرية :**

كانت أسرة الطاهريين مغمورةً قبل القرن التاسع الهجري، إذ لم يُعرف شيء عن تاريخها، ولم يتطرق المؤرخون لشيء منه إطلاقاً، وزعم بعض المؤرخين[1] أن أول ظهور لاسمها في المصادر التاريخية جاء في نهاية القرن الثامن الهجري عندما ذُكِرَ أن الشيخ طاهر بن عامر (ت قبل ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) كان يعمل في خدمة السلطان الرسولي الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) نائباً على جهات رَدَاع[2]، ولا يوجد أي سند تاريخي يؤكد أن هذا الشيخ هو فعلاً من الأسرة الطاهرية نفسها التي أسست هذه الدولة المعروفة فيما بعد سوى ما ذكره يحيى بن الحسين[3] تعقيباً على ذكره للشيخ طاهر بن عامر، إذ قال : " وهذا الشيخ طاهر بن عامر أول من تَسَلْطَنَ من أهل هذا البيت – يقصد البيت الطاهري – وملك الأمر بالنيابة عن بني رسول، وسيأتي ذكر أولاده وأقاربه وما ملكوا من اليمن ..."، فهل كون اسم هذا الرجل طاهراً فيه دلالة تحمل على الجزم بأنه أول من تَسَلْطَنَ من البيت الطاهري؟ فما أورده يحيى بن الحسين – مع جلالة قدره بين المؤرخين اليمنيين – لا يعدو أن يكون محض استنتاج شخصي منه، وثمة أمر مهم آخر، هو عدم ورود اسم الشيخ طاهر بن عامر في المصادر المتوافرة – غير (غاية الأماني) وتبعه صاحب تاريخ (أئمة اليمن)[4] – فنحن لا نجد أي إشارة إلى اسمه، وبالتالي لا ربط بين اسمه وبين السلاطين الطاهريين، وكان الأحرى بمؤرخ الدولة الطاهرية الأول ابن الديبع الشيباني – المعروف بحرصه على إعلاء شأن الطاهريين لكثرة إنعامهم عليه – أن يذكره لو كان له علاقة رحم بهم، ففي ذكره ترسيخ لقدم هذه الأسرة في الإمارة والحكم، إلا أنه لم يذكره نهائياً في أيٍ من تواريخه الثلاثة المعروفة .

---

(1) د. محمد عبدالعال أحمد، بنو رسول وبنو طاهر ، ص ٢٤٧، ١٤٨، محمد ربيع المدخلي، الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٩٨٥م، ص ٢٢ .

(2) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٤١ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

(4) زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٢٨٢ .

ومن جانب آخر يتضح من رواية يحيى بن الحسين أن الوئام والولاء كان هو صفة العلاقة بين الرسوليين والشيخ طاهر بن عامر وابنه علي بن طاهر (ت ٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) من بعده، أما جد سلاطين الدولة الطاهرية[1] الشيخ معوضة بن تاج الدين (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) الذي أوردته المصادر المعاصرة للأحداث في مطلع القرن التاسع فقد تناولته في سياق حديثها عن الأمراء المحليين الذين كانت تربطهم بالدولة الطاهرية علاقة صراع دموي، والإشارات إلى بعض صور صراعه مع قادة جيش السلطان الرسولي الناصر أحمد (ت٨٢٧هـ /١٤٢٣م) سنة (٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) موجودة في كتابات المؤرخ الرسولي المجهول الذي كان مقرباً للبلاط السلطاني الرسولي وعاملاً فيه[2]، كما وردت - أيضاً - أخبار عقد الصلح بينه وبين السلطان الناصر أحمد[3] .

ثم أن المكان الذي كانت السلطة فيه للشيخ طاهر بن عامر هو منطقة رَدَاع[4] وما حولها، أما أول ظهور لاسم الشيخ معوضة بن تاج الدين - جد السلاطين الطاهريين - فقد ورد عند البريهي[5] على أنه صاحب منطقة الضبيات[6]، وهي منطقة مازالت عامرة إلى يوم الناس هذا في الجهة الجنوبية لمنطقة الضالع[7] على بُعد عشرة

---

(1) مكذا وصفه ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٨٩ .

(2) مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية في اليمن**، ص ١٤٧، ١٤٨ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ١٤٨ .

(4) واحدة من أجمل مدن اليمن النجدية، وأحسنها موقعاً، وأجملها منظراً، وألطفها هواءً، ذات حدائق غنَّـاء، وقصور شماء، وهواء طلق، تقع في وسط واد رحب على بعد ٥٣ كيلو متراً من مدينة ذمار في وسط اليمن، وهي اليوم تشكل واحدة من مديريات محافظة البيضاء، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ١٤٦، حاشية رقم ٣ من تعليق المحقق، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ٦٨١، ٦٨٢، الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص ١٠١ .

(5) البريهي، **طبقات صلحاء اليمن**، ص ١٨٠ .

(6) قد يرد رسمها بالظاء بدلاً عن الضاد .

(7) منطقة وبلدة واسعة تقع على هضبة قرب جبل جُحاف، مرتفعة حوالي أربعة آلاف قدم عن مستوى سطح البحر، تتخللها أودية كثيرة، وجميع وديانها خصبة، تكثر فيها زراعة الحبوب وبعض الفواكه والبن والقات، وقد توسعت في العشرين السنة الأخيرة فصارت مدينة كبيرة بالقدر الذي جعل حكومة اليمن تعلن اتخاذها عاصمة لمحافظة جديدة حملت اسمها عام ١٩٩٨م، وأصبحت منطقة الضبيات =

كيلومترات تقريباً منها[1]، وهي منطقة تبعد نسبياً عن منطقة رَدَاع منطقة نفوذ الشيخ طاهر بن عامر وأبنائه، وكان الشيخ معوضة بن تاج الدين معاصراً للشيخ طاهر بن عامر وأبنائه، فلو فرضنا جدلاً أن الجميع من أسرة واحدة فهل من الممكن أن تكون علاقتهم بالدولة الرسولية ذات وجهين في وقت واحد ؟؟! .

اختفى ذكر أسرة الشيخ طاهر بن عامر ابتداءً من سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) بعد وفاة علي بن طاهر، ولم نجد عند يحيى بن الحسين ما يفسر ذلك ، فلعل الرسوليين أخذوا عنهم نيابة رَدَاع بعد فشلهم في صد هجوم الإمام الزيدي المنصور علي بن الناصر صلاح الدين[2] الذي استهدف به السيطرة على رَداع وانتزاعها من الرسوليين سنة (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)[3]، ويبدو أن السلطان الناصر الرسولي في هذه الفترة قد حاول أن يستميل أبناء الشيخ معوضة بن تاج الدين ويكسب ولاءهم بعد وفاته، لذلك اغتنم قيام ابنه طاهر بن معوضة بن تاج الدين بزيارته سنة (٨١٧هـ/ ١٤١٤م)[4]،

--- من ملحقاتها الإدارية، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٣ ص ٥٥١، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ٩٣٥، ٩٣٦ .

[1] الأكوع، **هِجَرُ العلم**، ج ٣ ص ١١٨٧، المقحفي، **المصدر السابق** ، ج١ ص ٩٤١ .

[2] هو الإمام المنصور بالله علي بن الإمام الناصر لدين الله صلاح الدين علي بن الإمام المهدي علي بن محمد ، من أشهر علماء الزيدية، بلغت مدة إمامته حوالي نصف قرن، ابتداءً من سنة (٧٩٣هـ / ١٣٩٠م حتى سنة ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، وجاءت شهرته بسبب المنافسة الشديدة على الإمامة التي وقعت بينه وبين عدد من علماء الزيدية الآخرين في مقدمتهم أشهر علماء الزيدية على الإطلاق الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، كما أسهم في شهرته وجود عدد من أعلام الفكر الإسلامي في اليمن في مجلسه كالإمام الشهير محمد بن إبراهيم الوزير (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) وأخيه الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) اللذين قاما بالدفاع عن أحقيته في الإمامة، فألف الإمام محمد بن إبراهيم الوزير كتابه " الحسام المشهور في الذب عن سيرة الإمام المنصور " وغير ذلك، وكان من أشد علماء الزيدية شدة في قتال الباطنية الإسماعيلية، وانتزع منهم كثيراً من حصونهم، فلم يتمكنوا بعد ذلك من استعادتها إلى اليوم، زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٢٨٠- ٣١١، **إتحاف المهتدين**، ص ٦٧، الزحيف، **مآثر الأبرار**، ج ٢، ١٠٥٦، الشرفي، **اللآلئ المضيئة**، ص ٤٧٠ - ٤٧٨، الشوكاني، **البدر الطالع**، ص ٤٨٨ .

[3] يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٥٨، ٥٦١ .

[4] مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية في اليمن**، ص ١٧٢، يحيى بن الحسين، **المصدر السابق** ، ص ٥٦٣ .

فأكرمه وبالغ في الاهتمام به، وأمره أن يبني له داراً في المقرانة[١] أسماها دار النعيم[٢]، ويبدو أنه أوكل إليه نيابة رَدَاع وما حولها بالإضافة إلى ما كان لهم من أيام أبيهم، فالمقرانة تقع في المنطقة الواقعة بين منطقتي الضبيات ورَدَاع، يأتي ذلك واضحاً من خلال إشارة بعض المصادر المعاصرة [٣] إلى هجوم الإمام الزيدي المنصور علي ابن صلاح الدين على بلاد طاهر[٤] بن معوضة بن تاج الدين، وكان الحديث عنها يتناولها على أنها مناطق رداع وما حولها حتى منطقة الضبيات .

توثقت عرى العلاقة بين البلاط الرسولي وبين الأمراء الطاهريين حتى بعد وفاة زعيمهم طاهر بن معوضة بن تاج الدين، فقد تحدثت المصادر عن بعض الزيارات التي قام بها الأمير شمس الدين علي بن طاهر للسلطان الظاهر يحيى بن الأشرف (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) [٥]، وقد بلغت قوة العلاقة الحسنة بين البيتين الرسولي والطاهري ذروتها عندما تزوج السلطان الظاهر يحيى بأخت الأمير علي بن طاهر بن معوضة سنة (٨٣٦هـ / ١٤٣٢م)[٦] .

---

(1) بلدة وحصن في عزلة بني حجاج من مديرية جُبَن بمحافظة الضالع، على مسافة ٢٠ كيلومتراً منها، وتبعد عن مدينة الضالع بحوالي ٥٠ كيلومتراً، ولم يبق من البلدة سوى عدد قليل من البيوت العامرة ومسجد صغير، مع أنها كانت حاضرة للدولة الطاهرية في النصف الأخير من القرن التاسع وصدراً من القرن العاشر للهجرة، ولم يبق من هذه الدار المقصودة بالحديث إلا أطلالها بعد أن هدمها المماليك الشراكسة والإمام المطهر بن شرف الدين إثر مقتل السلطان الطاهري الأخير سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) كما سنبينه لاحقاً، الأكوع، **هِجَرُ العلم**، ج ٤ ص ٢١٠٢، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٤ ص ٧١٧، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ٢ ص ١٦١٥ .

(2) علق يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٦٤ على هذه التسمية فقال : " ما كان أجدرها أن تسمى بدار الخطب المقيم، إذ لا يحق هذا الاسم إلا لدار الخلود ... " .

(3) مجهول، **تاريخ الدولة الرسولية في اليمن**، ص ١٨٢ .

(4) أسماها ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٨٩، ويحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٦٤ أسمياها بلاد بني طاهر، أما زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٢٩٨ فجعلها أرضاً أخرى غير رداع، فقد ذكر قيام الإمام التوجه نحو " بلاد رداع وبني طاهر... ".

(5) ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ٣٩٦ .

(6) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ويُظهِرُ سياق الأحداث في العقد الخامس من القرن التاسع الهجري أن الطاهريين قد دخلوا مرحلة جديدة من تاريخهم، مرحلةً كانت بمثابة القفزة العملاقة التي دفعت بهم إلى مقدمة القوى ذات التأثير على الأحداث ومجرياتها على أرض اليمن، فقد أصبحوا نواباً للرسوليين على لحج وعدن(١) بالإضافة إلى بلادهم السابقة بلاد بني طاهر، ولعل هذا التوسع في مناطق نفوذهم جاء نتيجةً للمصاهرة السابقة الذكر مع السلطان الظاهر يحيى، وتولي نيابة منطقة مثل عدن ليس بالأمر الهين، فهي شريان الحياة لاقتصاد الدول اليمنية المتعاقبة، كيف لا وهي معبر الولوج إلى البحر الأحمر، فلا تمر سفينة تجارية قادمة من الهند أو الصين أو شرق أفريقيا إلا بإذن متوليها، وبعد دفع ما يحدده من الرسوم والضرائب عليها .

غيرت طبيعة عدن التجارية اهتمامات الأمراء الطاهريين، فقد أصبحوا تجاراً ينافسون أهلها في تجارتهم(٢)، وخاصة تجارة الفوة(٣) ؛ فأثْرَوا وزادت إمكاناتهم المادية، فأنِسُوا في أنفسهم القوة ؛ وولّدَ ذلك لديهم الطموح إلى ما هو أسمى من مجرد النيابة للرسوليين على أرض محددة، وتعلقت عيونهم على العرش، ودَعَّمَ طموحهم ما رأوه من تكالب أمراء بني رسول عليه، وقتالهم بعضهم بعضاً سعياً إليه، فكان في ضعف الدولة وانهيار قواها قوةً لهم وزيادةً في طموحهم أن يرثوها، وكانوا رقماً صعباً في حسابات الصراع بين الأمراء الرسوليين، استعان بهم بعضهم فأنجدوه مرات ووقفوا على الحياد أخرى(٤) .

فعندما دخل السلطان المسعود الرسولي عدن سنة (٨٤٧هـ / ١٤٤٤م) – أثناء خروجه على ابن عمه السلطان المظفر – جرد الأمراء الطاهريون أتباعهم لقتاله،

---

(1) يظهر ذلك من خلال ما تورده المصادر في حديثها عن دور الأمراء الطاهريين في صراع الأمراء الرسوليين مع بعضهم على العرش ودعم البعض ضد البعض الآخر فيما مضى وما سيأتي ذكره من الأحداث .

(2) أبا مخرمة ، تاريخ ثغر عدن، القسم ١ ص ١٢ .

(3) نوع من النباتات التي تستخدم في الصباغة، د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٤٧.

(4) تدل مشاركة الأمراء الطاهريين في الصراع بين الأمراء الرسوليين أنهم انتهجوا سياسة عدم الإسهام في القضاء التام على أيٍ من الأطراف المتحاربة، ففي ذلك قوة للطرف المتبقي، فكانوا لا يصلون بالأمور إلى الحسم أو حد البت فيها .

وهم بلَحْج يومئذ، فقاومهم المسعود[1]، واستمروا أمامه دون التحرك لحسم الموقف حوالي سنة تقريباً، ثم انسحبوا من الميدان، وسمحوا له بدخول لحج في سنة (٨٤٨هـ / ١٤٤٤م)[2]، ولما قام السلطان المسعود بحصار السلطان المظفر في حصن تَعِز (٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) استنجد الأخير بالشيخ عامر بن طاهر فخف لنجدته من بلاده، ونزل بأحد معاقل تعز تدعى دار القسطال، فأدرك السلطان المسعود ثقل الأمير الطاهري، وأنه ربما هزمه ، بل وقضى عليه وجيشه ، لذلك بذل كل جهده لكي يشتري حياده وعدم تدخله في الحصار القائم، وكان الشهاب الصباحي – أحد وجوه أصحابه – هو مندوبه في ذلك، وقد نجح فعلاً في إخراج الأمير عامر بن طاهر من دار القسطال راضياً مختاراً، وعاد إلى بلاده[3] .

كان لدى الطاهريين الرغبة الكبيرة في تحييد القوة الزيدية المجاورة لهم في ذمار وما حولها، وهي قوة الإمام الناصر بن محمد[4]، فقاموا بعقد الصلح معه[5] لكي يأمنوا جانبه عندما يضطرهم سير أحداث الصراع بين الرسوليين إلى ترك بلادهم في رداع والضبيات وما حولهما والنزول إلى تعز ولحج وعدن وما حولها .

وبعد ذلك بسنتين تقريباً، أي في رمضان من سنة (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، قام الأمراء الطاهريون بمهاجمة السلطان المسعود في تعز، ولم يصرح المؤرخون بسبب قيامهم بحركتهم هذه، ولعلها جاءت بسبب استنجاد السلطان المظفر بهم للمرة الثانية، لأنه كان في صحبتهم، وأرجح أن دافعهم الرئيس والأول كان إحساسهم بتنامي قوة المسعود وازدياد خطره عليهم، وقد تمكنوا من الانتصار على السلطان المسعود، إلا أنهم لم يجهزوا عليه، بل أمروه بمغادرة تعز دون أن يمسوه بسوء، وسمحوا له بإخراج كل ما معه، فتوجه إلى عدن، وفي ذلك دلالة واضحة على أنهم كانوا يرون أن

---

(1) استخدم ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٤ كلمة " **فقاومهم** الملك المسعود ... " وهي كلمة تدل – في رأيي – على أن زمام المبادرة كانت في أيدي الأمراء الطاهريين ، وكلمة الفصل كانت في متناولهم، فالمقاوم ليس إلا في مقام المدافع لا المهاجم، وإلا فالأحرى بالقول : قصد هجومهم، أو فغلبهم مثلاً .

(2) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٤ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة ، **بغية المستفيد**، ص ١١٨ .

(4) **المصدران السابقان** ، نفس الصفحات .

(5) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٨٣ .

مصلحتهم تقتضي عدم القضاء على أي طرف من الأطراف المتصارعة، أو السماح لأي منها بأن تصبح قوة تمتلك القدرة على وقف التدهور والانهيار القادم للدولة الرسولية .

وفي ذي العقدة من السنة نفسها (٨٥٢هـ / ١٤٤٩م) دارت معركة بين الأمراء الطاهريين – وهم بلحج – والسلطان المسعود وهو بعدن، ولا يعرف المطلع على المصادر أين جرى اللقاء، في عدن أم في لحج، ومعرفة موقع ميدان المعركة يدلنا على ما إذا كان الطاهريون في مقام صد الهجوم أو في مقام المبادر، ولكل من الموقفين قراءته، وإن كان بعض الباحثين يشير إلى أن ذلك كان رغبة السلطان المظفر وأنه هو الذي سعى إلى ذلك للقضاء على منافسه، أياً كان الأمر فإن المعركة أسفرت عن عدم تغيير في ملامح الموقف العسكري للطرفين، إلا أن الأمراء الطاهريين غادروا المنطقة باختيارهم تاركين السلطان المظفر وحده هناك، وهو ما أدى إلى انسحابه مجبراً إلى تعز، حيث لحقه المسعود وأجبره على تسليم المدينة سنة (٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) ، اختفى السلطان المظفر من مسرح الحياة السياسية في اليمن عند استلام المسعود لتعز وسكتت المصادر عن طبيعة هذا الغياب، فلم تبين فيما إذا كان قد أُجبر على التنازل وتُرِكَ في حال سبيله ، أم أنه قُتِلَ على أيدي جيش المسعود[1] .

ولم تكد الأوضاع تهدأ حتى دخل دائرة الصراع الرسولي الرسولي على العرش أمير جديد هو حسين بن الظاهر يحيى بن الأشرف الثاني إسماعيل، الذي تلقب بالسلطان المؤيد، وذلك في سنة (٨٥٥هـ / ١٤٥١م)[2] ؛ فزاد ذلك من استنزاف مقدرات السلطان المسعود وإهدار إمكاناته .

في هذه الأثناء أحس الأمراء الطاهريون بأن ساعة الحسم قد أزفت، وأن أوان الظهور كمنافس على العرش قد حان، فلم يعد بالإمكان البقاء خارج حلبة الصراع على السلطة، والركون إلى مجرد الانتظار حتى السقوط الذاتي للدولة الرسولية، فجهزوا في أول سنة (٨٥٨هـ / ١٤٥٤م) جيشاً كبيراً، يبدوا أنه كان أقصى ما استطاعوا جمعه، ووضعوا كل إمكاناتهم في خدمته، ومن بلادهم – بلاد بني طاهر – كانت بداية مسيرته باتجاه لحج وعدن حيث السلطان المسعود الرسولي، وكان الأمير الشيخ عامر بن طاهر

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٤ ، **بغية المستفيد**، ص ١١٨ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ١١٩ ، ابن الديبع، **قرة العيون** ، ص ٤٠٤ .

هو قائد الجيش، ويبدو أنهم استوثقوا من استيلائهم على جميع المناطق الواقعة في طريقهم، بما في ذلك مدينة تعز نفسها، وأحس السلطان المسعود بالخطورة فرصد للجيش القادم جيشاً مناظراً، واستطاع من خلاله الوقوف المؤقت في وجه الأمير علي ابن طاهر بعد أن نال كل طرف من خصمه[1] .

توالت المعارك بين السلطان المسعود والطاهريين، ووصفها ابن الديبع[2] بأنها كانت سجالاً، حتى بدأت كفة الأخيرين بالرجحان، ومما زاد الطين وقوع الخلاف الكبير بين أكبر قبيلتين تسكنان مدينة عدن، هما قبيلة كلْد – وهم الغالبية من سكانها – وقبيلة آل أحمد، وتطور الخلاف حتى أخذ صورة الحرب داخل المدينة المحاصرة، ولما حاول السلطان المسعود أن يصلح بينهما لم يعيروه اهتماماً ولم ينقادوا له[3]، وفي ذلك دلالة على مدى إحساسهم بضعفه، وقلة حيلته، حتى أنه رُمِيَ بالحجارة لما حاول التفريق بينهما في إحدى فصول الصراع بينهما، فضاع الأمن، ووقع السلب والنهب لبيوت التجار بها[4]، ولما أحس آل أحمد بأنهم هم الأقل خافوا من انتصار كلْد عليهم ؛ فراسلوا – سراً – الأميرين الطاهريين علي وعامر ابني طاهر بن معوضة، واتفقوا معهما على تسليم المدينة لقاء شروط وضعوها، منها إخراج خصومهم الكلديين منها دون قتل أحد منهم .

لم يكتف الأخوان الطاهريان بذلك، بل استغلوا إمكاناتهم المادية الكبيرة، فبذلوا جهداً كبيراً في سبيل شراء ولاء الجند الرسولي المحاصر داخل المدينة، وذلك على يدي أحد أكبر رجالهم – يدعى علي بن سفيان – الذي كان يدخل عدن متظاهراً بالتجارة فيفرق الأموال على الجند الرسولي لإفسادهم على السلطان المسعود وضمان ولائهم لبني طاهر[5].

---

(1) ابن الديبع، **بغية المستفيد**، ص ١١٩ ، **قرة العيون**، ص ٤٠٤ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٤٠٥، ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ١٢٠.

(3) بامخرمة، **قلادة النحر**، ج ٣ ص ٧١٤ .

(4) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(5) بامخرمة، **قلادة النحر**، ج ٣ ص ٧٢٦ .

إزاء هذا الوضع لم يسع السلطان المسعود إلا الخروج من عدن منكسراً يبحث عن مأوى بعد أن عز عليه الحصول على الأتباع الذين يمكن له بهم استرجاع ما ضاع منه، ويبين تتابع الأحداث أن خروجه لم يكن معروفاً من قبل سكان عدن والطاهريين، وذلك قبل انتهاء الحصار بمدة، وعرف السلطان المؤيد الرسولي – الذي كان خارجاً على السلطان المسعود منذ عام (٨٥٥هـ / ١٤٥١م) – بخروجه قبل أن يعرف الطاهريون، لذلك بادر بالتسلل إلى عدن[١] سعياً منه لسحب البساط منهم قبل دخولهم إليها، ولعل الطاهريين لم يشعروا كذلك بتسلله إليها إلا عندما قبضوا عليه يوم دخولهم؛ أما المسعود فإنه قد وصل إلى القناعة التامة بأن أيامهم قد أدبرت، وأن نجمهم قد أفل ؛ فبادر إلى خلع نفسه[٢] في آخر سنة (٨٥٨هـ / ١٤٥٤م) .

ومما يؤكد أن الطاهريين لم يعرفوا أن عدن قد خلت من السلطان المسعود طريقة دخولهم إليها، فقد تسلل الأمير شمس الدين علي بن طاهر في جماعة قليلة من جنده ليلاً ، وتسلقوا أسوار حصن التعكر بالتواطؤ مع الجنود الذين اشتروا ولاءهم، وبمساعدة قبيلة آل أحمد، وأعلنوا استيلاءهم على المدينة، وفي صبيحة اليوم التالي دخلت فلول الجيش الطاهري واستولوا على كل شيئ فيها، ووفى الطاهريون لآل أحمد ما وعدوهم به، فقد نادى مناديهم بأن من وجد في المدينة من آل كلد بعد ثلاثة أيام فدمه مهدور، وأمنوا بقية أهل عدن[٣]، أما السلطان المؤيد فقد أمنه الطاهريون وأكرموه، واشتروا ما معه من مال وسلاح، وأنزلاه في بيت يليق به، وأجريا عليه النفقة اللازمة[٤]، وهذا الوضع لم يرض المؤيد وهو يرى من كان بالأمس أنه من أتباع أبيه الظاهر يحيى وقد أصبح اليوم متفضلاً عليه، لذلك غادر المدينة بالصورة التي وضحت سابقاً .

---

(1) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٥٤، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٥، **بغية المستفيد**، ص ١٢٠.

(2) **المصدر السابق** ، ص ١٢٢، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٦، العبدلي، **هدية الزمن** ، ص ١١١، ١١٢ .

(3) تشتت شمل الكلديين وتفرق جمعهم، وتوجه معظمهم إلى الشحر، ولجأ الباقون إلى بعض الجزر في البحر الأحمر ومدن الساحل الإفريقي للبحر الأحمر، بامخرمة، قلادة النحر، ج ٣ ص ٧١٥ .

(4) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٦، **بغية المستفيد**، ص ١٢١، العبدلي، **هدية الزمن**، ص١١١.

أصبغ المؤرخون منذ هذه المرحلة لقب الملك المجاهد على الأمير شمس الدين علي بن طاهر، ولقب الملك الظافر على الأمير صلاح الدين عامر بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين[١] .

❖ ملوك الدولة الطاهرية وأيام دولتهم :

(١) الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر (٨٥٨-٨٨٣هـ/١٤٥٤-١٤٧٨م):

(٢) والملك الظافر صلاح الدين عامر بن طاهر (٨٥٨-٨٧٠هـ/١٤٥٤-١٤٦٦م):

كانت هناك مهمتان كبيرتان وجب على الأخوين الملكين علي وعامر ابني طاهر إنجازهما، أما **المهمة الأولى** فهي تقاسم الأدوار والمسؤوليات بينهما، إذ كان من اللازم أن يتقدم أحدهما أمام الناس بصفته رأس السلطة، كي يكون رمزاً للدولة وقابضاً على زمامها، ولكي تكون المكاتبات – منه وإليه – باسمه، بينما يكون الآخر بمثابة الساعد الأيمن له، لا يصدر عن أمر بدونه، ويبدو – من خلال مجريات الأحداث وما أشارت إليه بعض المصادر – أن الاتفاق جرى بأن يُقَدَّمَ أصغرهما سناً[٢] – وهو الملك الظافر عامر بن طاهر – لمدة محددة من الزمن ثم ينتقل الدور إلى أخيه الأكبر الملك المجاهد علي بن طاهر، مع تأكيد احتفاظ كلا الأخوين بلقب الملك، وهو ما تم فعلاً، فقد استأثر الملك الظافر عامر بالخطبة وضربت السكة باسمه حتى سنة (٨٦٤هـ

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٥، **بغية المستفيد**، ص ١٢١ .

(2) يقول د. محمد عبدالعال أحمد: " ونعتقد أن إعلان الخطبة والسكة للظافر عامر – رغم كونه الأصغر – قد ترجع إلى الدور الكبير الذي قام به في تأسيس دولة بني طاهر، أو لأنه كان صاحب فكرة الاستيلاء على ملك بني رسول ... " ، انظر ، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٥٨ ، ولا أدري إلى ما استند إليه، فليس ثمة ما يثبت أهمية دور أحد الأمراء الطاهريين مقارنة بدور الأخر، خاصة أن المصادر كانت تتحدث عن الأخوين وهما يبذلان الجهد لتأسيس الدولة يداً بيد، وخطوةً بخطوةً، وإذا كان الأخوان عامر وعلي قد اشتهرا فإن هناك ثلاثة أخوة آخرين لهما، هما : داود وعبدالملك ومحمد، ولم تتحدث عنهما المصادر في هذه المرحلة مع أنهم كانوا موجودين على الساحة، إضافة إلى ذلك لم توجد أي إشارة – مهما كانت – تدل على أن فكرة الاستيلاء على ملك بني رسول كانت للظافر عامر و فاحتمال صدور هذه الفكرة عن الظافر عامر يساوي تماماً احتمال صدورها عن أي من الأخوة، بل من الممكن صدورها عن بعض الخاصة المقربين للأمراء الطاهريين، ونقاشي لهذا الرأي هنا لا يعني أن هناك رأياً آخر أكثر احتمالاً، فالمصادر لم تعطنا أدنى إشارة، ولو صغرت، تدفعنا لوضع تفسيرات تحظى باحتمالات صحة أكثر .

/ ١٤٥٩م) ، حيث أعلنت الخطبة للمجاهد علي بن طاهر، وضربت السكة باسمه في جميع أنحاء الدولة، وبرضا أخيه الأصغر الملك الظافر عامر[١] .

وأهم أسباب التناوب على العرش بين الأخوين الطاهريين يعود إلى حرصهم على تجنب الوقوع في ما كانوا حديثي العهد بمرآه من تكالب الرسوليين وإسهامهم في انهيار دولتهم[٢] .

ومما تقاسمه الأخوان الطاهريان أيضاً مناطق النفوذ والنشاط، فكان كل نشاط الملك الظافر عامر موجهاً إلى المناطق الجبلية الشمالية، وبالتحديد مناطق نفوذ الأئمة الزيدية، بينما ركز الملك المجاهد علي نشاطه في المناطق الأخرى، والساحلية منها كزبيد وعدن ونواحيهما على وجه الخصوص[٣] .

أما **المهمة الثانية** أمام الأخوين فكانت ممثلة في القيام بتأكيد مبايعة الناس وطاعتهم لهما، فجندا لذلك كل طاقاتهما، واستعانا بكل من كان على استعداد للعمل لحسابهما حتى لو كان من صنائع الرسوليين، وكان ذلك تصرفاً حكيماً منهما، فمن كان ذا منزلة في أيام الرسوليين ووجد في قيام الطاهريين ما يمس منزلته ومكانته فإنه بلا شك إن لم يمثل خطراً على الدولة فإنه – على الأقل – سيثير المتاعب في وجهها[٤] .

وقد تتابعت المكاتبات من عدة نواحٍ إلى الأخوين تعلن مبايعتهما والطاعة لهما، ومن هذه المكاتبات ما أرسله الشيخ إبراهيم بن عمر الثابتي صاحب الحُدَيْدَة[٥]، وكذلك

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤١٠، **بغية المستفيد**، ص ١٢٩، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٨٨، ٥٨٩ .

(2) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٥٨ .

(3) محمد ربيع المدخلي، **الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية**، ص ٤٦ .

(4) من ذلك استعانتهم بالقائد الرسولي زين الدين جياش بن سليمان السنبلي، مع أنه كان من أعيان المماليك لدى السلطان المسعود الرسولي، وكان من مقدمي قادة جيشه، وكان له دور كبير في تفرق كلمة بقايا المماليك الرسوليين في زبيد، وقتل أكبر زعمائهم، وتفريقهم، ومن ثم إعلان زبيد ولائها للطاهريين، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٧، **بغية المستفيد**، ص ١٢٢، ١٢٣ .

(5) هذه هي أول إشارة إليها في كتب التاريخ اليمنية، ويبدو أنها كانت من قبل عبارة عن واحدة من قرى الصيادين الصغيرة، ، وأصبحت مرسى للسفن في هذه الفترة، وبدأت الإشارة إليها كواحد من المواني اليمنية في عهد آخر السلاطين الطاهريين، وهي الآن ثاني أكبر موانئ اليمن – بعد عدن – وهي واحدة من أجمل مدن الساحل الشرقي للبحر الأحمر، بل هي أكبر مدن تهامة على الإطلاق، ، وتبعد عن --

أرسل كبراء زبيد وأعيانها – دون علم المماليك الرسوليين – إلى الأخوين بعدن ببذل الطاعة وتسليم الأمر إليهما[1]، وانصاع السواد الأعظم من الناس إلى الطاعة، خاصة لما لمسوه من الأخوين من الصفات ما افتقدوه في آخر السلاطين الرسوليين ، حتى قال ابن الديبع[2] عن الملك المجاهد علي بن طاهر : " امــتلأت قلوبهم محبةً له لما بلغهم مــن عــدله ورفقه بالــرعية ... " .

كان لزاماً على الطاهريين إثبات وجودهم، ورسم هيبتهم في نفوس المرجفين من المخالفين لهم، ووضع حدود تهاونهم وسطوتهم، لذلك جردوا الحملات العسكرية المتتالية سعياً في سبيل القضاء على بؤر التمرد، سواءً ما كانت تقوم به بعض القوى القبلية في تهامة وغيرها، أو تلك التي قامت بها بعض القوى المحلية كالأئمة الزيدية، أو الزعامات الأخرى .

فمن الحملات التي جردت لمواجهة القوى القبلية تذكر لنا المصادر[3] الحملة التي قادها الملك المجاهد علي بن طاهر بنفسه مستهدفاً بها قبائل المعازبة سنة (٨٦٠هـــ / ١٤٥٥م) بعد أن رفضوا الاستجابة لدعوته إلى الطاعة والكف عن السلب والنهب وإخافة السبيل، وقد حقق – بصعوبة شديدة – النصر عليهم، وقتل عدداً من رجالهم، ثم عاودوا الكرة في السنة التالية مرةً أخرى، فأغاروا على بلدة فشال، وقتلوا بعض رجال حاميتها، فتوجه إليهم الملك المجاهد وعزم على معاقبتهم، فلما أحسوا بالهزيمة طلبوا الصلح مقابل الدخول في الطاعة وتسليم ستين رأساً من الخيل .

وكانت قبائل القرشيين لا تختلف كثيراً عن المعازبة على الرغم من أنهم كانوا على وفاق مع الطاهريين في بداية أمرهم، ويبدو أن نزعتهم الكامنة إلى التمرد، ورغبتهم الجامحة في السلب والنهب قد عاودتهم، فأحس الملك المجاهد علي بن طاهر بذلك فقام سنة (٨٦٠هـــ / ١٤٥٦م) بإصدار أوامره بالقبض على رؤوسهم وكبار

=صنعاء حوالي ٢٥٠ كيلومتراً غرباً، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلهـــا**، ج ٢ ص ٢٥٠، ٢٥١، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ٤٣٦، ٤٣٧ .

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٦، ٤٠٧ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٤٠٧ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٤٠٨، ٤٠٩، ابن الديبع، **بغية المستفيد**، ص ١٢٦، ١٢٧، يحيى بـــن الحـــسين، **غاية الأماني**، ص ٥٨٨ .

أعيانهم، فاستجاروا بالشيخ إسماعيل بن أبي بكر الجبرتي الصوفي(ت٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) فأجارهم، وضمن زعماءهم بما يحدث، فأطلقهم الملك وانتزع ما في أيدهم من الخيل والنخل بوادي زبيد[١]، وفـرقه بين الناس كي يفت من عضدهم بتجفيف منابع اقتصادهم وقوتهم، فلما بدر منهم ما يخالف الاتفاق قام بترحيل أكبر زعمائهم إلى المقرانة، حيث حبسهم هناك[٢] .

وتوالت حركات قبائل المعازبة وتمردهم بشكل شبه سنوي ؛ فرصد المؤرخون بعضاً من حركاتهم في سنوات (٨٦٣هـ / ١٤٥٩م) ، و (٨٦٨هـ / ١٤٦٤م) ، و(٨٦٩هـ / ١٤٦٥م)، و (٨٧١هـ / ١٤٦٦م) ، و (٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) ، و(٨٧٦هـ / ١٤٧١م) ، و (٨٧٩هـ / ١٤٧٥م) [٣]، وذلك لما عُرفوا به من الشجاعة والإقدام المقرون بالنزعة الكبيرة إلى عدم الرضوخ لأي سلطة مهما كانت، وكذلك لصفة العناد التي تأخذهم، فلا تزيدهم الشدة إلا نفوراً، ولا يزيدهم التراخي واللين إلا طمعاً وجشعاً، وهو ما يؤكد القناعة بأن أمثال هؤلاء لا يردهم إلا تقوية الوازع الديني لديهم، فمن لا يردعه سلطان ولا جيش، لا يوقفه إلا وازع ذاتي من العقيدة القويمة الرادعة .

ويبدو أن حركات المعازبة المتوالية، وفشل الملكين في القضاء التام عليها، وما ترتب على ذلك من تحقيقها للمكاسب المادية مما تغنمه من جولات صراعها معهما، يبدو أن ذلك قد أطمع غيرها من القبائل المجاورة في أن تحذو حذوها، ومثال ذلك قيام قبائل بني حفيص[٤] سكان منطقة الزيدية[١] ببعض صور التمرد ومواجهة قوات

---

[1] ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤١٠، **بغية المستفيد**، ص ١٢٧ .

[2] **المصدر السابق**، ص ١٢٩ ، ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ٤٠٩ .

[3] **المصدر السابق**، ص ٤١٤، ٤١٥، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩ ، ابن الديبع، **بغية المستفيد**، ص ١٢٩، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١ ، د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر**، ص ٢٩٣ – ٢٩٨ .

[4] ورد اسم هذه القبيلة في صورتين مختلفتين، فهو عند ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤١٢ (بني حفـيظ)، وعند بامخـــرمة، قلادة النحر، ج ٣ ص ٧٣٤ ، ٧٣٨ (بني حفيص)، ويصعب التكهن بأيهما الصحيح، خاصة إذا ما عرفنا أن بامخرمة نفسه يصرح بأن ما نقله من أخبار القرن الهجري التاسع هو أصلاً عـن تاريخ ابن الديبع، وقد اعتمد الدكتور محمد عبدالعال د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طـــاهر** ، ص ٣٠٠ ما أورده بامخرمة، وربما جاء اسم (بني حفيظ) بهذه الصورة في قرة العيون كتـصحيف—

الطاهريين، وكانت هذه القبائل قد سبق أن أوفدت سنة (٨٦٧هـ / ١٤٦٣م) اثنين من زعمائها – هما أحمد بن أبي الغيث بن حفيص و محمد بن القاسم – إلى الملك المجاهد علي بن طاهر بزبيد، وأكدا إعلان طاعة أتباعهما للدولة الطاهرية، وقد أحسن المجاهد استقبالهما وبالغ في إكرامهما[٢]، ثم ما لبثت أن خلعت يد الطاعة عدة مرات ؛ فواجهها الملك المجاهد وولاته بالشدة والعنف، وكانت كفة الدولة هي الراجحة في أغلب حلقات هذه المواجهات[٣] .

وقد سبقت الإشارة إلى أن هناك أيضاً بعض القوى والزعامات – غير القَبَلِيَّة – فتحت حسابات الطاعة للطاهريين والتمرد عليهم ؛ دخلت في مواجهات معهم، وأول تلك القوى حاكم مدينة الشِحْر في منطقة حضرموت أبو دجانة محمد بن سعيد بن فارس الكندي، وصراعه مع الطاهريين له جذور تعود إلى أيام حصار الطاهريين للسلطان المسعود الرسولي في مدينة عدن واقتحامهم لها، فقد سبقت الإشارة إلى احتدام المنافسة بين بعض سكانها من قبائل كَلْد وآل أحمد، وأن آل أحمد اتفقوا مع الأمراء الطاهريين على تسليمهم المدينة مقابل إخراج كل أفراد قبيلة كلد منها، وهو ما وافق عليه الطاهريون ووفوا به، فتشتت جموع الكلديين، وفر بعضهم بنفسه لا يلوي على شيئ

=وقع فيه محققه القاضي محمد علي الأكوع، وما يقوي هذا الاحتمال كثيراً إن هذا الاسم ورد بالصورة نفسها التي أوردها بامخرمة في كتاب آخر لابن الديبع نفسه، هو كتاب **بغية المستفيد**، ص ١٣٣ .

(1) الزيدية هنا البلد وليس المذهب، ولا علاقة لهما ببعض، فأهل هذه المنطقة كلهم سنيون شافعيو المذهب، وسميت المنطقة باسم القبائل التي سكنتها، وهي من فروع قبائل عَكّ اليمنية القديمة، ومن أشهر زعمائها في فترة الدراسة بني حفيص المشار إليهم، وتقع هذه المنطقة في الشمال الشرقي لمدينة الحُدَيْدَة بمسافة ٦٥ كيلومتراً تقريباً قبالة جزيرة كمران الشهيرة، قريب من مصب وادي سُرْدُد، وقد أصبحت المنطقة الآن مدينة، وتشكل مع ما حولها من المناطق واحدةً من مديريات محافظة الحُدَيْدَة، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٢ ص ٣٩٧ – ٤٠٠، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ٧٥٥ .

(2) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤١٢، **بغية المستفيد**، ص ١٣٣ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ١٣٣، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٣، ١٥٤ ، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤١٢، ٤١٦، ٤١٧.

حتى نزل مدينة الشحر، مثل أحد أكبر زعماء الكلديين هو الشيخ مبارك الثابتي الكلدي، الذي نزل على حاكمها أبي دجانة[1] .

لم يزل الشيخ مبارك الكلدي يزين لأبي دجانة محمد بن سعيد مهاجمة عدن والاستيلاء عليها في غمرة انشغال الطاهريين بإرساء دعائم دولتهم ومحاربة بعض القوى القبلية المعادية لهم، ولعله قدم لأبي دجانة مؤشرات كثيرة دعمت فكرته، منها أنه يعرف عدن حق المعرفة، وأنه يعرف مداخلها ونقاط الضعف بها، لذلك تحمس أبو دجانة لهذه الفكرة تحمساً أصمه عن الأخذ بالحيطة والاحتراز، أو مجرد سماع نصيحة المخلصين من المقربين إليه مثل أمه ووزيره الفقيه سليمان بن عبود[2] .

شكل أبو دجانة حملته البحرية من تسعة مراكب مستعيناً بقبائل كلد والمهرة وذلك سنة (٨٦١هـ / ١٤٥٦م)[3]، واتخذ من الإجراءات ما ضمن بها عدم تسرب خبر تجريدها إلى الطاهريين، ولكن ساء ظنه وخاب أمله، فقد تسلل لفيف من الموالين لبني طاهر والمعادين لأبي دجانة في قارب، وتمكنوا من الوصول إلى عدن قبل وصول الحملة وإنذار حاكمها الشريف علي بن سفيان، الذي بادر بدوره بالكتابة إلى الملك الظافر عامر وأخيه الملك المجاهد علي ليتداركا الموقف[4] .

ويبدو أن أبا دجانة قد علم باستعداد حامية المدينة بقيادة واليها له ففت ذلك من عضده، وزاد الأمر سوءاً عليه أن عاصفةً ضربت أسطوله فتسببت في تكسير بعض

---

(1) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٦٢، ٢٦٣، بامخرمة، **قلادة النحر**، ج ٣ ص ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٠٩، ٤١٠، **بغية المستفيد**، ص١٢٧، ١٢٨، الشاطري، **أدوار التاريخ الحضرمي**، دار المهاجر، المدينة المنورة، دار المهاجر، تريم، ط ٣، ١٩٩٤م، ج ٢ ص ٢٣٩، محمد ربيع المدخلي، **الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية**، ص ٤٩ – ٥٢ .

(2) بامطرف، **الشهداء السبعة**، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، بإشراف وزارة الثقافة والسياحة بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بالتعاون مع حكومة العراق ١٩٧٤م ، ص ٢٧ .

(3) بامخرمة، **قلادة النحر**، ج ٣ ص ٧٣٠ ، ٧٣١ .

(4) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٦٣، بامخرمة، **قلادة النحر**، ج ٣ ص ٧٣٠ ، باوزير، **صفحات من التاريخ الحضرمي**، مكتبة الثقافة، عدن، (د ، ت) ، ص ١١٥ ، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤١٠، الكندي، **العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة** ، تحقيق عبدالله الحبشي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، ج ١ ص ١٤٧ ، محمد ربيع المدخلي، **الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية**، ص ٥٠ .

بعض مراكبه، فلم يجد بداً من الانسحاب عائداً إلى بلده، إلا أن عاصفة أخرى أصابت ما تبقى من أسطوله فشتت، وتكسرت سفينته التي تحمله، وتقاذفته الأمواج إلى الشاطئ؛ حيث وجد فرقاً من جيش الطاهريين – بقيادة الملك الظافر عامر – في انتظاره ؛ فاقتادته أسيراً ومعه عدد من أتباعه، منهم الشيخ مبارك الثابتي الكلدي الذي تم إعدامه مباشرةً[1] .

ومن الزعامات التي واجهت الطاهريين أيضاً يأتي الشيخ عباس بن الجلال بن عبدالباقي الحبيشي وأخيه إدريس، وكان ميدان الصراع بين الطرفين منطقة الجبال المحيطة بذي جِبْلَة[2]، وذلك ابتداءً من آخر سنة (٨٦١هـ/ ١٤٥٧م) حيث وردت الأنباء إلى الملك المجاهد علي بأن عباس الحبيشي قد استولى على بعض المناطق بذي جِبْلَة فاتجه إليه وهزمه وقتل عدداً كبيراً من أصحابه[3] .

استمر النزاع بين الطرفين حتى أوائل سنة (٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) ، أي حوالي اثنتين وعشرين سنة، تخللتها معاهدات صلح ونزاعات لم تخمد جذوتها إلا بوفاة الشيخ عباس الحبيشي أولاً[4] ثم وفاة أخيه إدريس مقتولاً على يدي ابن عمه عمر بن عبدالعزيز الحبيشي سنة (٨٨٣هـ/١٤٧٨م)[5] ، وهي السنة التي توفي فيها الملك المجاهد الطاهري علي بن طاهر بعد حكم الدولة حوالي اثني عشر عاماً بالاشتراك مع أخيه الظافر عامر بن طاهر ومنفرداً حوالي ثلاثة عشر عاماً بعد مقتل

---

(1) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٢٦٣، بامخرمة، **قلادة النحر**، ج ٣ ص ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤١٠، **بغية المستفيد**، ص ١٢٨ .

(2) مدينة تقع عند سفح حصن التُّعكَر في الجنوب الغربي من مدينة إب على مسافة قريبة لا تتعدى أربعة أميال منها، أسسها الصليحيون سنة (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) ، انتقل إليها ثاني الملوك الصليحيين – المكرم بن علي الصليحي – وزوجته الشهيرة الملكة السيدة بنت أحمد الصليحية لتصبح بذلك العاصمة الرسمية لدولتهم حتى سقوطها في القرن السادس الهجري، وهي إلى اليوم عامرة، وتُعَدُّ من أشهر المعالم التاريخية اليمنية، بامخرمة، النسبة إلى المواضع والبلدان، ق ١٠١، ١٠٢، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ١ ص ٣٤، ٣٥، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ٢٨٥ .

(3) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤١٠، **بغية المستفيد**، ص ١٢٨ .

(4) لم تشر المصادر إلى تاريخ وفاته .

(5) أخبار هذا الصراع عند د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٣١٠، ٣١١، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤١٠، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢١، **بغية المستفيد**، ص ١٢٨، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٥٦ .

الملك الظافر في أحدى معارك الصراع الطاهري مع أئمة الزيدية سنة (٨٧٠هـ / ١٤٦٦م) كما سنبينه في حديثنا عن الأئمة الزيديين المعاصرين لهذه الدولة .

(٣) الملك المنصور تاج الدين عبدالوهاب بن داود بن طاهر (٨٨٣-٨٩٤هـ/١٤٧٨-١٤٨٩م):

لم يكن للأمير داود بن طاهر بن معوضة بن تاج الدين الطاهري – أخي الملكين الظافر عامر والمجاهد علي ابني طاهر بن معوضة – سابق ذكر في تاريخ الدولة الطاهرية، ولا يعرف سبب ذلك، وهو يشترك في هذا الأمر مع أخوته الآخرين عبدالملك وعبدالوهاب وتاج الدين أبناء طاهر، إلا أن ابنه عبدالوهاب بن داود بن طاهر كان له – خلافاً لأبيه – باع طويل وذكر واسع في تاريخ الدولة الطاهرية، سواءً قبل توليه عرشها أو بعد ذلك، بل إن مرويات المؤرخين عن جهوده في إرساء دعائم الدولة، ومقارعة المخالفين لها، ورسم هيبتها عند الخارجين عليها في عهد عميه الملكين الظافر والمجاهد، جعلته في مقدمة الجيل الثاني من أمراء الدولة الطاهرية، فذِكْرُه فاق ذكر بقية الأمراء من أبناء عمومته، بما في ذلك أبناء الملكين نفسيهما، وما كان ذلك إلا لتفانيه في بذل جهوده ووضعها في خدمة عَمَّيه، خاصة الملك المجاهد علي بن عامر .

وإذا كان اتفاق الأخوين الملكين الظافر عامر والمجاهد علي على عدم التنافس في مقدار التمتع بالصلاحيات داخل أروقة دولتهم ومؤسساتها – إن جاز لنا استخدام هذا التعبير المعاصر – بالكيفية التي تمت الإشارة إليها آنفاً، إذا كان ذلك يمثل دليلاً على حرصهما التام على تجنيب الدولة كل ما من شأنه إشغالها عن القيام بمهامها، وحفظ كل جزء من مقدراتها وإمكاناتها من أن تهدر في صراع داخلي يقوض دعائمها، وادخار كل طاقاتها لصرفها في مقارعة أعدائها المتربصين بها، فإننا نجد أنفسنا مدفوعين إلى الوقوف أمام مسألة ولاية العهد، ذلك لأنها تقود إلى القناعة بأن هذين الملكين كانا يقدمان مصلحة دولتهما على كل مشاعرهما الذاتية الشخصية، فلم يسعَ أحدهما إلى عقدها لأحد أبنائه، وكأني بهما أجّلا هذا الأمر حتى تبين لهما الأيام معادن أحفاد أبيهما الشيخ طاهر بن معوضة بن تاج الدين من أبنائهما وأبناء أخوتهما الآخرين محمد وداود وعبدالملك وعبدالوهاب وتاج الدين أبناء طاهر بن معوضة، بل من المحتمل أيضاً أنهما كانا يؤجلان مسألة الحسم فيها إلى الموقف الذي تصبح فيه لازمة عند إحساسهما بأن العرش سيخلو ممن يشغله، لذلك لم يتطرق إليها المؤرخون إلا

في سـنة (٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) يوم أن " حصل على السلطان الملك المجاهد مرض عظيم بمدينة زبيد، وخيف عليه منه ..."[١] فكانت مصلحة الدولة هي المقدمة من قبله إذ استخلف ابن أخيه عبدالوهاب بن داود بن طاهر، مع أن أبيه لم يكن له دور يسجله المؤرخون – كما أسلفت – في الأحداث آنذاك، ويبدو أن عين الملك المجاهد كان ترمق تصرف جميع الأمراء الطاهريين على مدار سنيين، يتفحص شخصياتهم، ويختبر قدراتهم ومهاراتهم الإدارية والعسكرية، ولعله وصل إلى القناعة التامة من خلال ما رآه من معالم شخصية ابن أخيه أنه الأمير الأجدر بأن يخلفه على العرش، وهو ما أثبتت الأيام صحته، فقد كان ذا عزيمة قوية، وشدة وصرامة مع المخالفين حتى لو كانوا من أهل بينه، كما كان محباً للخير، كثير الصدقة، عظيم الشفقة على رعيته، محباً للعلم مقدماً للعلماء في كل موطن[٢] .

وحتى يدرأ الملك المجاهد عن أسرته الخلاف الذي من المحتمل أن ينشب بين الأمراء الطاهـريين من بعـده قام بإجراء جميع مراسـم التولية، يقول ابن الديبع[٣] المعاصـر للحدث: " فاستخلف ابن أخيه مولانا عبدالوهاب بن داود، وقلده الملك، وحلَّفَ له العرب وسائر العساكر ... " .

كُتِبت العافية للملك المجاهد علي بن طاهر في هذا المرض، وقام واستأنف حياته السياسية مدةً جاوزت السنوات الخمس، إلا أن هذه البيعة التي كانت في أعناق من بايعوا الأمير عبدالوهاب بن داود كانت بمثابة احتلاله المنزلة الثانية في سلم قيادة الدولة، واعتُبِرَ من قِبَلِ الجميع – بما في ذلك الملك المجاهد نفسه – ولياً للعهد، ولم يسجل المؤرخون من اعترض على هذه التولية إطلاقاً .

ولما مات الملك المجاهد في مدينة جُبَن سنة (٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) كان عنده أخواه عبدالوهاب وعبدالملك وأبناؤهما، وكذلك ابنا أخويه الأميران عبدالوهاب بن داود ابن طاهر وأحمد بن الظافر عامر، وبعض الأعيان والفقهاء، فخرج الجميع باتفاق على تجديد البيعة للأمير عبدالوهاب بن داود، الذي أصبح مدعواً بالملك المنصور، فانتقل

---

(1) ابن الديبع، **بغية المستفيد**، ص ١٤٧ ، **قرة العيون**، ص ٤١٨ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٤٣٠ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٤١٨، ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ١٤٧ .

من فوره مع بعض من معه إلى عدن – لمكانتها السياسية والاقتصادية بالنسبة للدولة – دون إعلان وفاة الملك المجاهد حتى يضمن بيعة من بها له[1] .

اعترض الأمير يوسف بن الملك الظافر عامر على البيعة، وهو يومئذٍ والٍ على زبيـــد، وكذلك أخوته وأمه وهـــم في قلعة تعز، فحاصر المنصور من بالقلعة وأخرجهم منها، ثم اتجه إلى زبيد، حيث كان يوسف بن عامر قد أعد العدة للقائه بجيش لا يحبه، بل يميل إلى الملك المنصور، ولعل أغلب أفراده – إن لم نقل كلهم – هم من الذين سبقت منهم البيعة للمنصور سنة (٨٧٧هـــ / ١٤٧٢م) ، لذلك تم خذلان الأمير يوسف فلم يجد بداً من الإذعان لابن عمه الملك المنصور الذي وأكرمه وأجلَّه، ولم يزد في ردة فعله على عصيانه على أكثر من العتاب[٢] .

لم تطب نفس الأمير الثائر إلى الاستمرار في التسليم والطاعة، لذلك ألح على الملك المنصور في السماح له بالمغادرة إلى مكة المكرمة وهو مضمر في نفسه إعادة الكَرَّة في الخروج عليه، فلما بلغها لم يجد من حاكمها الشريف محمد بن بركات الاستعداد لمساعدته في حرب ابن عمه، فاتجه إلى الشريف أحمد بن دُرَيْب حاكم جازان باحثاً عن السند والمعونة عندهم، فخاب ظنه إذ خذلوه، عندها عاد أدراجه كسيراً إلى آخر منطقة ظن أنه قد يجد فيها ما يؤمله، ألا وهي منطقة الزيدية وقبائلها من بني حفيص، فأحسن زعيمها أحمد بن أبي الغيث بن حفيص وفادته، وبلغ من إكرامه له أن زَوَّجَه بابنته، فأحس الملك المنصور بالخطر في اجتماعهم، فرأى أن يبادرهم بالقتال قبل أن يتسع الخرق على الراتق ويؤلبوا القبائل عليه، وتكثر جموعهم، فكان في مبادرته ما أربكهم، وشاركه في خروجه للقائهم كثير من أمراء بني طاهر، وفي مقدمتهم الأمير الشيخ أحمد بن عامر – أخو يوسف – وقد بذل الملك المنصور الأمان لهم إن هم استسلموا، فلم يجيبوا إليه، فدارت المعركة، ورأى الأمير يوسف بن عامر الزيديين يقتلون أخاه الأمير أحمد، فتأثر بالحادث وانضم من فوره إلى صفوف الملك

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٢٢، ٤٢٣، **بغية المستفيد**، ص ١٥٩، ١٦٠ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ١٦٠، ١٦١ ، ابن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ٤٢٣، ٤٢٤ .

المنصور ضدهم، وانجلت المعركة عن مقتلة عظيمة في بني حفيص تربو على أربعمائة قتيل[١] .

ولم يأمن الملك المنصور جانب ابن عمه الأمير يوسف، وخاف أن يكرر خروجه مرةً ثالثة، فالمؤمن لا يلدغ من جحر واحد مرتين، أما هو فقد لدغ مرتين بالفعل، فاتخذ قراراً بحبسه مقيداً في قلعة تعز، أخذ ينقله من سجن إلى آخر حتى استقر به أخيراً في سجن رداع ، وقضى بقية عمره فيه حتى توفي سنة (٨٩٨هـ / ١٤٩٢م) في عهد الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري[٢]، وكان قد ألحق به في سنة (٨٩٠هـ / ١٤٨٥م) أخاه الأمير إبراهيم بن عامر ؛ لأنه خرج عليه، مع أنه فشل في خروجه منذ بداية أمره[٣] .

كانت القوى القَبَلِيَّة في منطقة تهامة هي العامل الأكبر في صرف معظم جهود الدولة الطاهرية في غير وجوهها طيلة حكم الملكين الظافر عامر والمجاهد علي، وكانت قبائل المعازبة – كما أسلفنا – هي المتولية لِكِبَرِ أغلب حوادث العصيان بها، إلا أن تتابع الضربات عليها، وتلاحق الحملات المجردة ضدها أديا إلى كسر شوكتها، وفتور هِمَّتِها، فلم يرصد المؤرخون حركة لها في الفترات اللاحقة لوفاة الملك المجاهد علي، إلا أن قوةً قَبَلِيَّةً أخرى لم تكن ذات وزن كبير في السابق أصبحت هي المثيرة للقلاقل في المنطقة في عهد الملك المنصور، ولعبت دوراً شبيهاً بالدور الذي لعبته المعازبة سابقاً، هذه القوة هي قوة قبائل الزيدية – البلد وليس المذهب – وفي مقدمتهم بني حفيص .

ويبدو أن المذبحة الكبيرة التي أقامها الطاهريون في هذه القوة يوم أن خرجت مع الأمير يوسف بن عامر قد أوقدت في نفوس أفرادها حب الانتقام، وفقدان عدد يبلغ أربعمائة فـرد مـن أبنائها كان كفيلاً بأن يجعل الشعور بالقهر يدخل في كل بيت من بيوتها، فكانت – نتيجة ذلك – حركاتهم متكررة، وخـروجهم لا يتوقف، ولا يزيدهم

---

(1) محمد ربيع المدخلي، **الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية**، ص ٦٤، ٦٥ ، ابن الديبع، **قرة العيـون**، ص ٤٢٤، ٤٢٥ ، **بغية المستفيد**، ص ١٦١ – ١٦٣ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ١٦٤ ، ابن الديبع، **قرة العيون** ، ص ٤٢٥ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٤٢٨ .

بطش الدولة إلا عناداً، وكانت الكفة الراجحة في أغلب الجولات هي كفة الدولة الطاهرية[1] .

(٤) الملك الظافر الثاني صلاح الدين عامر بن عبدالوهاب (٨٩٤-٩٢٣هـ/١٤٨٩-١٥١٧م):

يُشار إلى مدة حكم السلطان الظافر الثاني صلاح الدين عامر بن عبدالوهاب الطاهري – وهي تربو على ربع قرن من الزمان – بالبنان، وتسترعي انتباه الباحثين في تاريخ اليمن والمُطَّلِعين عليه فيتوقفون عندها، فهي في نظرهم جديرة بالدراسة لأمور عدة، أهمها : أنها أطولَ مدةِ حكَمَ فيها مَلِكٌ طاهري[2]، ولما تميز به هذا السلطان من الصفات المتميزة حكماً وإدارةً وعلماً وعمراناً، وكذلك لما عُرِف به عهده من شدة الصراع وقوة احتدامه بين الأطراف الداخلية الكثيرة، فمن تنافس على العرش بين السلطان نفسه والأمراء الطاهريين من أخواله أبناء السلطان الظافر الأول عامر بن طاهر، إلى صراع كبير بين الدولة الطاهرية والأئمة الزيدية على مناطق النفوذ والتوسع – وإن أعطى كل طرف صفةً أخرى لصراعه مع الطرف الآخر – إلى صراع شديد بين الأئمة الزيدية أنفسهم بعد أن تعدد الخارجون والداعون إلى أنفسهم بالإمامة منهم، إلى عدد كبير من التمردات والخروج والعصيان على الدولة من قبل أغلب القوى القَبَلِيَّة في تهامة ويافِع[3] وبَيْحَان[1] وغيرها من المناطق، والقوى والزعامات الأخرى فيها .

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، **بغية المستفيد**، ص ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢ .

(2) قامت هذه الدولة سنة (٨٥٨هـ / ١٤٥٤م) ، وحكمها الملكان الأخوان الظافر الأول عامر بن طاهر والمجاهد علي بن طاهر مدة ٢٥ سنة، ثم حكمها الملك المنصور عبدالوهاب بن داود مدة ١١ عاماً، وامتدت فترة حكم الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب إلى حوالي ٢٩ عاماً، وبقي الأمراء الطاهريون في نزاع دائم حتى انتهى أمرهم بعد وفاة الملك الظافر الثاني عامر بعشرين سنة تقريباً، أي أن ظهورها استمر حوالي ٨٥ عاماً، فتكون مدة حكم الملك الظافر عامر ثلث المدة تماماً، بل تزيد قليلاً .

(3) يَافِع اسم لقبيلة حِمْيَرِيَّة كبيرة، وأطلق اسمها على المنطقة التي يسكنها أفرادها، وتقع منازلها بين الضالع ولَحْج، وهي أرض جبلية صخرية شديدة الوعورة، ترتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٢٢٠٠ قدم، ويبلغ ارتفاع بعض جبالها إلى ٢٥٠٠ قدم، وهي أعلى المناطق في المحافظات الجنوبية والشرقية من اليمن وأكثرها ارتفاعاً، وبقدر ما أسهمت هذه الطبيعة الصعبة جداً في عزلة أهلها أسهمت أيضاً في إكسابهم قدراً عالياً من الشجاعة والإقدام، وجعلتهم مغرمين بالسفر والهجرة إلى نواحٍ يمنية مجاورة أو أقطار أخرى، ومَنْ غادرها من أبنائها في تاريخنا المعاصر إلى شتاء بقاع الأرض يفوقون المستقرين بها

ومما يجعل مدة حكم السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري مميزةً عن غيرها - أيضاً - أنها تُعد من أخطر المراحل التاريخية التي مر بها اليمن، وخاصة العشرين السنة الأخيرة منها، فقد ظهر على المسرح الدولي - ثم الإقليمي - قوةً بحريةً استعماريةً عاتيةً - بمقياس ذلك العصر - ألا وهي قوة البرتغاليين، وكانت اليمن واحدةً من أكثر الأطراف تضرراً من هذا التحول الكبير، ذلك التحول الذي أحدث هزة - بل بركاناً - نسف موازين القوى على مستوى معظم العالم القديم، وهذا التحول بدوره أدى إلى دخول اليمن في صراع مع بعض القوى الخارجية، في مقدمتها قوة المماليك الجراكسة الحاكمين لمصر في هذه الفترة، ونتج عنه - في آخر مراحل هذا الصراع - القضاء على السلطان الظافر الثاني ؛ وتعريض الدولة الطاهرية عموماً إلى الانهيار .

ومما يسهل دراسة هذه الفترة المهمة من تاريخ الدولة الطاهرية خصوصاً وتاريخ اليمن عموماً، أرى أن يتم تقسيمها إلى ثلاث مراحل مهمة ، وذلك كما يأتي :

- **المرحلة الأولى : صراع الملك الظافر مع الأمراء الطاهريين على العرش :**

مما سكتت عنه المصادر ويمكننا ترجيحه أن الملك المجاهد علي بن طاهر لم يرزق بأولاد، أو على الأقل لم يكن له من الذكور أحد، وذلك لا يفسر توليته العهد من بعده لابن أخيه المنصور عبدالوهاب بن داود، فقد سبق تناول حرصه الشديد على ألا يتولى أمور الدولة من بعده غير الأصلح والأكفأ من أحفاد أبيه الشيخ طاهر بن معوضة

فوق قمم الجبال وفي بطون الأودية، بامخرمة، **النسبة إلى المواضع والبلدان**، ق ٤٠٢، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٤ ص ٧٧٣، ٧٧٤، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ٢ ص ١٨٩٤ - ١٨٩٦ .

(1) بيْحان حقلٌ أثري واسعٌ في قاعٍ فسيح يمتد باستطالةٍ ابتداءً من سفوح الجبال الواقعة شمال مدينة البيضاء إلى أطراف رملة السبعتين التي تعد أحد اكبر أقسام صحراء الربع الخالي، وبيْحان أحد منازل قبيلة مُراد المَذْحِجيّة الشهيرة، التي ينتمي إليها قاتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الخارجي الشهير عبدالرحمن بن ملجم المرادي، وأرض بيْحانَ زراعية خصبة، غنية بالمياه المنحدرة إليها من جبال البيضاء، ومياهها الجوفية متوافرة على أعماق قريبة، لذلك تكثر فيها مزروعات الحبوب وبعض الفواكه والخضروات، وتكثر فيها المناحل، وببيْحان تقع أطلال مدينة تمْنَع الأثرية القديمة، التي كانت عاصمة لدولة قتْبان اليمنية في فترة ما قبل الميلاد، وهي تشكل واحدة من مديريات محافظة شَبْوَة المتاخمة لصحراء الربع الخالي، بامخرمة، **المصدر السابق** ، ق ٧٥، الحجري، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ١٣٢، ١٣٣، المقحفي، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٠٨، ٢٠٩ .

ابن تاج الدين، ولو نظرنا إلى المسألة بغير هذا المنطق فسيكون أبناء الملك الظافر الأول عامر بن طاهر هم الأولى بتولي الحكم بعد وفاة عمهم الملك المجاهد علي، بعد الأخذ بفرض عدم وجود أبناءٍ ذكـورٍ له، ذلك لأن أباهم كان أول ملوك الدولة، وقضى نحبه ذوداً عنها ودفاعاً عن حياضها، بينما لم يكن لعمهم داود ذَكَرٌ، ولو لم يكونوا الأكفأ بين الأمراء الطاهريين، والتفكير بهذا المنطق الأخير هو الذي اعترى أبناء الملك الظافر الأول فعلاً، لذلك رأينا ابنيه يوسف وإبراهيم ابني عامر بن طاهر يخرجان على ابن عمهم الملك المنصور عبدالوهاب مُدَّعين أحقيتهم في تولي العرش الطاهري .

في أيام حكم الملك المنصور عبدالوهاب بن داود لم يعارض توليه العرش الطاهري غير اثنين من أبناء عمه الملك الظافر الأول عامر[1]، هما : يوسف وإبراهيم، بينما كان أخوتهم الأربعة الباقون غير معترضين عليه، بل قتل أحدهم – أحمد – في إحدى معارك الدفاع عن أحقيته بالعرش، ولعل موقفهم ذلك جاء من منطلق أن توليته كانت رغبةَ عمهم الملك المجاهد نفسه، التي جسدها من خلال أخذ البيعة له في مرضه الأول كما مر معنا، إضافةً إلى أنه كان صهرهم، فأختهم الأميرة فاطمة بنت الظافر الأول هي زوجته، ويبدو أن هذه الحجة لم تكن منطبقةً – في نظرهم – على ابنه الظافر عامر بن عبدالوهاب، فحيثيات تولية أبيه لا يمكن سحبها عليه، ويجب وضع الأمر في نصابه، وعودة الحق إلى أهله، ولم يشفع للظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب أنه ابن أختهم، لذلك كانت معارضتهم هي أول الصعوبات التي واجهها، والتي كان من الواجب عليه – إزائها – إثبات أهليته للعرش من جهة، وخطأ منطقهم الذي لا يصب في مصلحة الدولة الطاهرية – من وجهة نظره – من جهة أخرى .

لم يبادر السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب إلى إطلاق سراح خاليه – يوسف وإبراهيم – المسجونين منذ أيام أبيه، وهو تصرف ينبئ عن إحساسه بخطر خروجهم، تَوَجُّسِه خيفةً منهم، وخشيته من خروجهم عليه، وركز اهتمامه على الطلقاء من أخواله وهم ثلاثة : عبدالله ومحمد وعمر أبناء جده الظافر الأول عامر بن طاهر، فاستدعاهم جميعاً وحَـلَّـفَهم على السمع والطاعة، فحلفوا له على ذلك وأظهروا الرضا والتسليم[2] وفي أنفسهم ما فيها من تبييت نية الخروج والعصيان، ويبدو أنهم كانوا

---

[1] كان عددهم ستة أبناء، هم : أحمد ويوسف وإبراهيم عبدالله ومحمد وعمر .

[2] ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٣١، **بغية المستفيد**، ص ١٨٥، ١٨٦ .

خائفين من أن يجمع الظافر الثاني بينهم وبين أخويهم المسجونين فيما لو رفضوا البيعة له، وقد أقطع الملك الظافر الثاني عامــر أكبرهم – خاله الشــيخ عبدالله بن عامر – البلاد الشرقية كلها تطييباً لخاطره[1] .

انتقل الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب من المِقْرانَة إلى تعز بعد تسعة أيام من وفاة أبيه، ولم يلبث بها إلا خمسة أيام حتى وصلته الأنباء بما كان متوقعاً لديه، ألا وهو نقض أخواله الثلاثة للعهد، ثم أنهم جَيَّــشُوا رجالاً كثيرين من جُبَن وقبائل يافع وغيرها، وارتكبوا بعض التصرفات غير المسؤولة وغير المبررة، فهاجموا مدينة جُبَن، وانتهبوا بها بيوت كل من والى الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب، ولم تَسْلَمْ منهم بيوت التجار والقصور العامة، فقاموا بهدمها ؛ وكانت ردة فعل الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب سريعة، إذ بادر إلى حشد جيش كبير، ذكر المؤرخون أن عدده بلغ عشرين ألف مقاتل، وهذا العدد الكبير – إن سلمنا بصحته – يدلنا على مدى إحساس الملك الظافر بالخطر الذي يمثله خروجهم، فخروجهم يختلف عن خروج غيرهم من القوى القَبَلِيَّة والزعامات المحلية الأخرى، فهم يساوونه في كثير من دواعي ادعائه الشرعية، لأنهم أبناء ملك طاهري مثله، وبل لعل وفاة أبيهم مقتولاً يعطيهم في عيون غيرهم الأولوية عليه، وغير ذلك من هذه الدواعي، فكان القضاء على حركتهم في مهدها – وبصورة عنيفة – يمثل مسألةً مصيرية للملك الظافر الثاني ؛ لأن فيها وضع حد لهم، وعبرة لغيرهم، " وخروجه بهذه الطريقة يعطي انطباعاً للسياسة التي سوف يسلكها ضد مناوئيه ..."[2] .

شعر الأمراء بالخطر عندما سمعوا عن جيش ابن أختهم الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب، فيبدو أنهم اتفقوا على أن يهرب أكبرهم – الأمير عبدالله بن عامر – ومعه ما يكفي من الرجال بالمال المنهوب من بيوت التجار والموالين للظافــر الثاني بجُبَن إلى حَرِيْر[3]، فعلم الظافر الثاني بذلك فأرسل وراءه أحد قادته، ولما اشتبك

---

[1] بغية المستفيد، ص ١٨٥ .

[2] محمد ربيع المدخلي، الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية، ص ٧٦ .

[3] سلسلة جبال بمنطقة الحُصَيْن شرق الضالع وجنوب قَعْطَبَة، بها رؤوس ناتئةٌ وحــواف هاويــات شــديدة الانحدار، تتخللها الكثير من الأودية ومجاري السيول، هذه الجبال شديدة الارتفاع حتى أن من كان علــى قممها يمكنه الإشراف على مساحات شاسعة من الجهات الأربع، وجبال حرير جبال آهلة بالسكان، حيــث

الجانبان أسفر اللقاء عن هزيمة الخارجين، وقتل عدد كبير ممن معهم، وأسر الأمـير داود بن أحمد بن عامر – ابن أخيهم – واستعادة المال منهم، وهروب الأمير عبدالله بن عامر إلى جبال يافع، وتحصنه بها[1] .

وقعت اشتباكات عدة بين الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب والأميرين محمد وعمر ابني عامر، ظهرت فيها رجحان كفته ؛ فبدأت صفوفهم بالتفكك، وقتل عدد كبير من الطرفين ؛ وأدى ذلك إلى حصارهم في حصن جُبَن، فسعى الغيورون على الدولة[2] إلى الصلح بين الجانبين خوفاً من الاستمرار في عملية استنزاف القوة أرواح الأمراء، فاتفق الصلح على أن يجدد الأمراء البيعة للملك الظافر مقابل أن يقطعهم أرضاً محددةً إضافةً إلى مبلغ أربعين ألف دينار من خراج عدن[3] .

لم يكن الأمراء أبناء الظافر الأول جادين في الصلح، ويبدو أن قبولهم به كان سياسةً منهم ليتمكنوا من فك الحصار عنهم وإعادة الكرة مرةً أخرى، لذلك فقد بادر الأمير محمد بن عامر إلى نقض الصلح بمهاجمة تعز – وواليها يومذاك هو القائد عمر بن عبدالعزيز الحبيشي – في أوائل رمضان من السنة نفسها (٨٩٤هـ / ١٤٨٩م) ، وكان موقف الوالي سلبياً بعدم قتال المهاجمين[4]، وتولى الدفاع عن المدينة القاضي المقرئ شمس الدين يوسف بن يونس الجبائي ، وتمكن فعلاً من هزيمتهم[5] .

تتناثر القرى علي جوانبها، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ١ ص ٤٥١، ٤٥٢ ، الهمـداني، **صفة جزيرة العرب**، ص ١٤٧، ١٧٤ .

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٣١ .

(2) هما القائد عمر بن عبدالعزيز الحبيشي والسيد أبو بكر بن عبدالله العيدروس .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٤٣١ ، **بغية المستفيد**، ص ١٨٧ ، العيدروس ، **محجة السالك وحجة الناسك** ، ط ٢، ١٩٣٦م ، القاهرة ، (د ، ن) ، ص ١٣٤ ، وذلك نقلاً عن محمد ربيع المدخلي، **الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية**، ص ٧٧ ، ٧٨ .

(4) وهو ما عُدَّ تواطأً معهم، وأنا لا أرجح أن تفسير موقفه هذا يعود إلى وجود نية التواطؤ، بل يعود إلى قناعة الوالي بعدم صواب هذا الصراع وخطورته على الدولة، فقد رأيناه سابقاً يسعى إلى الصلح بين الطرفين أثناء حصار جُبن كما تمت الإشارة إليه، وقد اغتنم هذا الموقف المعادين للوالي فأغروا الملك الظافر الثاني به، فلما قابله أساء معاملته، وقيده وسجنه، ابن الديبع، **بغية المستفيد**، ص ١٨٨ .

(5) **المصدر السابق** ، ص ١٨٧، ١٨٨ ، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٣١، ٤٣٢ .

اتجه الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب إلى صُهْبان[1] لكي يلتقي بخاله الأمير محمد بن عامر وبرفقته ابن عمه الأمير عبدالباقي بن محمد بن طاهر بن معوضة ومن معهما - بعد هزيمتهم في تعز - وقد حصل الصدام الكبير بين الفريقين في منطقة النَّجْد الأحمر[2]، حيث دارت الدائرة على المخالفين، ووقعت فيهم مقتلة كبيرة، وأسر منهم خمسمائة رجل، وهرب الباقون تاركين أموالهم وراءهم[3] .

كان الموقف المالي للأمراء الخارجين سيئاً للغاية، فقد استعاد الملك الظافر الثاني كل الأموال التي جمعوها في جُبن يوم أن أسر الأمير داود بن أحمد بن عامر في حَرِيْر وهي بصحبته، وخسروا معظم ما تبقى لديهم في معركة النجد الأحمر، وهم يدركون أنهم لن يتمكنوا من جمع الناس حولهم إلا بقدر ما ينفقوه عليهم من الأموال، لذلك رأوا أن الاستيلاء على عدن سيحقق غرضين في آن واحد، فهي - من جهة - ستدر عليهم مالاً وفيراً يقوم بحاجة نزاعهم من ابن أختهم الملك الظافر الثاني، ومن جهة أخرى سيكونون - باستيلائهم عليها - قد وجهوا ضربة قوية له، لأنها شريان قوته، فاحتياجه إلى المال يفوق احتياجهم إليه ؛ لذلك يمم أحدهم - الأمير عبدالباقي بن محمد بن طاهر - وجهه صوب عدن، إلا أن استماتة واليها الأمير محمد بن عبدالملك ابن طاهر جعلت مهمته مستحيلة، فقد هزم الأمير عبدالباقي، وكسر له ذراعه، واضطره إلى الفـرار بنفسه، وأسـر عدداً كبيراً من أتباعه[4] .

تتالت حلقات الصراع بين الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب وبين أخواله الأمراء أبناء الملك الظافر الأول عامر بن طاهر، وكان النصر فيها كلها حليفاً له، وقد تمكن في آخر المطاف من القبض عليهم وعلى كبار أعوانهم واحداً تلو الآخر، إذ قبض أولاً على الأمير داود بن علي بن تاج الدين بن طاهر ومعه حاكم الشوافي محمد بن

---

(1) منطقة تقع إلى الجنوب من مدينة إبّ قريباً من جبلة، وتشمل مجموعة من الحصون والقرى، ، بامخرمة، **النسبة إلى المواضع والبلدان**، ق ٢٧٣، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٣ ص ٤٢٣، ٥٤٨، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ١ ص ٩٢٣ .

(2) إحدى مناطق محافظة إبّ، وتبعد عنها - جنوباً - بمسافة قصيرة على الطرق المؤدي إلى تعز، وسـمي أحمراً لحمرة تربته، المقحفي، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٧١٩ .

(3) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٣٢، **بغية المستفيد**، ص ١٨٨ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٤٣٢، ٤٣٣، ابن الديبع ، **بغية المستفيد**، ص ١٨٩ .

عباس خال الأمير عبدالله بن عامر في منطقة الرُّبَيْعَتَيْن[1] في أوائل سنة (٨٩٥هـ / ١٤٨٩م)[2]، كما قبض على خاله الأمير محمد بن طاهر بعد اقتحامه لحصن عُمَيْقَان[3] في آخر سنة (٨٩٦هـ / ١٤٩٠م)[4]، ثم قبض على الأمير عبدالباقي بن محمد بن طاهر في سنة (٩٠٣هـ / ١٤٩٧م)[5]، وأودع الجميع في سجن رداع، جامعاً بينهم وبين من سبقهم ممن نازعه ونازع أباه من قبله على العرش الطاهري .

كشفت المرحلة الأخيرة التي سبقت القبض على أمير الخارجين وكبيرهم الأمير عبدالله بن عامر معلوماتٍ مثيرةً، تترك انطباعاً لدى القارئ بأن هناك نقلة نوعية في أسلوب النزاع وطريقة المواجهة من قبل الأمير الأخير، وقد لعب القدر دوره في كشف الأمرين كليهما : هذه المعلومات ومكان وجود الأمير عبدالله بن عامر، تم التعرف على أحد مماليكه المقربين إليه جداً في مدينة تعز في شوال من سنة (٩٠٥هـ / ١٤٩٩م) ، وقُبِضَ عليه وأحضر إلى الملك الظافر الثاني، فكشف – بالترغيب أو

---

[1] منطقة جبلية شاهقة الارتفاع منيعة جداً، بها العديد من الحصون والقلاع الشامخة، لذلك وصفها ابن الديبع ، قرة العيون، ص ٤٣٤ بقوله : " وهي موضع يُستجار فيه بتلك الناحية، من دخله آمن على روحه وماله ..."، وعلق القاضي محمد علي الأكوع على ذكرها بقوله : " وهي أمنع من عُقاب الجو " وفي هاتين المقولتين دلالة على وعورة هذه المنطقة، وصعوبة طرقها، وخطورة مجاهلها، مع أنها آهلة بالسكان، لأن قممها مسطحة وخصبة، فتنمو فيها عدد من المحاصيل الزراعية، وتقع إلى الجنوب الشرقي من جُبَن، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٢ ص٣٥٥، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ١ ص ٦٧٢ .

[2] ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٣٤، **بغية المستفيد**، ص ١٩٣ .

[3] لم أجد له ذكر في معاجم البلدان إلا ما علق به القاضي الأكوع عند ذكره بقوله : " وحصن عُمَيْقَان ... في جبل جُحَاف " ابن الديبع، قرة العيون، ص ٤٣٦ حاشية رقم ٣، إلا أن جبال جُحَاف معروفة مشهورة، إذ هي سلسلة من الجبال الشاهقة الارتفاع جداً، يبلغ ارتفاعها حوالي ٧٨٤٠ قدم عن مستوى سطح البحر، وتأتي أعلى قمم هذه الجبال في المرتبة الثانية بعد جبل النبي شعيب – الواقع إلى الجنوب الغربي من صنعاء – من ناحية الارتفاع على مستوى جبال الجزء الأسيوي من بلادنا العربية، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ١ ص ٢٩١ .

[4] ابن الديبع، **بغية المستفيد**، ص ١٩٨ ، **قرة العيون**، ص ٤٣٦ .

[5] المصدر السابق ، ص ٤٤٣، **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد**، تحقيق د. يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٤١، الكندي، **العقدة المفيدة**، ج ١ ص ١٥٤ .

بالترهيب – عن خطة خطيرة تدبر في الخفاء تهدف إلى قتل الملك الظافر الثاني، وتولية الأمير عبدالله بن عامر ملكاً بديلاً عنه، كما كشف عن أن أبطالها هم مجموعة من أكبر رجال الحاشية على رأسهم ابن عمه الأمير محمد بن عبدالملك بن طاهر[١] – الذي كان من أخلص الناس له ومن أصدقهم ولاءً له – وكان هناك عدة حلقات يتم عن طريقها التواصل بينهم وبين الأمير عبدالله بن عامر، فصدرت الأوامر بالقبض على الجميع، وفقد الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب بعد ذلك ثقته في جميع من حوله، وأصبح شديد الحذر من حاشيته .

يبدو أن الأمير عبدالله بن عامر لم يسمع بانكشاف الخطة، لذلك لم يتخذ أي إجراءات تتناسب مع الظرف الجديد، فتفاجأ بقوة مرسلة من قبل صاحب الحُجَرِيَّة[٢] قبضت عليه قريباً من يَفْرُس[٣]، وأرسلت به إلى تعز، حيث كان الملك الظافر الثاني في انتظاره، وكان الأخير في غاية اللطف والكرم مع خاله، إذ أنه أرسل إليه بثياب حسنة قبل دخوله إلى المدينة في ثيابه الرثة التي كان يتنكر بها، ومع الثياب مراكب حسنة تليق بالأمراء، وأحسن استقباله، وأظهر للجميع مدى إكرامه له، وعلى الرغم من أنه قيده بعد ذلك إلا أنه لم يسئ معاملته، ثم نقله إلى رداع ليجتمع في سجنها بالسابقين له من أصحابه وأخوته[٤]، وبالقبض عليه انتهت تماماً كل صور الصراع الطاهري

---

(1) واشترك معه في المؤامرة عدد من رجال الحاشية والولاة والقادة والزعامات المحلية، صرحت المصادر بأسماء بعضهم، هم: والفقيه عبدالله بن المقرئ يوسف الجباني، وأحمد بن محمد بن مزاحم، وعلي بن عز الدين الظاهري، علي المؤتي، وعمار بن المعلى، مزقزق الجازاني، ورجال آخرون من أتباع الأمير عبدالله بن عامر كانوا منتشرون في تعز، ابن الديبع، **الفضل المزيد**، ص ٢٥٤ .

(2) بلد جبلي واسع جداً، يشمل جزءاً كبيراً من محافظة تعز، ذو كثافة سكانية مرتفعة، كان يُعْرَفُ قديماً بالمَعَافِر، ومركزه مدينة بذُبْحان تسمى التُربة، ويتبع الحجرية حوالي عشر مديريات فرعية، به عدد من القلاع والحصون الشهيرة في تاريخ اليمن، كحصن الدملوة وقلعة المقاطرة وغيرهما، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٢ ص ٢٣٢ – ٢٤٠، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ١ ص ٤٢٢ .

(3) مدينة كبيرة في الحُجَرِيَّة بالجنوب الغربي من مدينة تعز بحوالي ٢٣ كيلومتراً، وهي مركز لاحدى مديريات الحُجَرِيَّة الكثيرة، وتدعى مديرية جبل حبشي، وهي مشهورة جداً في اليمن لأن بها ضريح واحد من أشهر رجال الصوفية يدعى أحمد بن علوان، الحجري، **المصدر السابق** ، ج ٤ ص ٧٨٥، المقحفي، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص.١٩١٩، ١٩٢٠ .

(4) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٤٥، ٤٤٦، **الفضل المزيد**، ص ٢٥٤ – ٢٥٧ .

الداخلي على العرش، وتفرغ الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب لما سنتناوله في المرحلة التالية .

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن المشكلات التي واجهها الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب في هذه المرحلة لم تكن محصورة في منافسة أخواله له على العرش فحسب، فقد كان له في الفترة نفسها جولات مع بعض القوى القَبَلية والزعامات المحلية، وكان كل حملاته عليها ناجحة وموفقة .

- **المرحلة الثانية : الصدام بالأئمة الزيدية والتوسع على حسابهم:**

يوجد تداخل واضح بين هذه المرحلة وسابقتها، فقد بدأت أولى صور هذا الصدام في سنة (٨٩٥هـ / ١٤٩٠م) عندما استطاع الإمام محمد بن علي السراجي الوُشَلي[١] أن يستعدي زعماء مدينة ذمار على الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب، فخرجوا عن طاعته، واستعدوا لصده عنها إذا ما حاول مهاجمتها من خلال سور بنوه حولها، ولعل نشاط هذا الإمام في ذمار كان قد ابتدأ على عهد السلطان المنصور عبدالوهاب، وقد بادر الملك الظافر بالخروج إليهم – رغم انشغاله الكامل بقتال منازعيه على الحكم من أخواله كما سلفت الإشارة – واستعاد ذمار، بعد أن شرط على أهلها تخريب السور الذي بنوه[٢] .

مع حلول سنة (٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) كان في المناطق الجبلية الشمالية من الساحة اليمنية ثلاثة أئمة من أئمة الزيدية متعارضون، هم : الإمام الناصر الحسن بن الإمام الهادي عز الدين بن الحسن في أقصى شمال اليمن، والإمام المنصور محمد بن علي الوُشَلي السراجي في قرية القابل[٣]، والإمام المؤيد محمد بن الناصر في صنعاء وما حولها[٤] .

---

(1) كان ذلك قبل إعلان دعوته إلى نفسه بالإمامة بخمس سنوات، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦١٨، ٦٢١، ٦٢٢ .

(2) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٣٥، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦١٨ .

(3) بلدة بأسفل وادي ظهر ، إلى الشمال الغربي من صنعاء ، محاطة بمزارع الأعناب ومختلف أنواع الفواكه، وهي إحدى متنزهات صنعاء ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٤ ص ٦٤١ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ص ١٢٣١.

(4) الكبسي، **اللطائف السنية**، ص ١٢٦، ١٢٧، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦٢١ – ٦٢٣ .

كان الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب حريصاً على ألا يدخل في صراع مع الأئمة في مرحلة انشغاله مع أخواله، وهو ما أدركه بعض الأئمة الزيدية، فحاولوا استغلال هذه الظروف لتحقيق ما أمكن من المكاسب على حساب مناطق نفوذه، وكان أنشطهم في ذلك الإمام المنصور محمد الوشلي، الذي قام بالتحرش ببني طاهر من خلال عدد من الغارات[1]، وإن لم يحقق منها الكثير من المكاسب إلا أنه استثار الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب، وجعله يعقد العزم على أن يقصده – هو وبقية الأئمة الزيدية الآخرين – وينتزع ما في أيديهم من الأرض .

وما أن تخلص الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب من منافسة أكبر أعدائه خاله عبدالله بن عامر حتى تفرغ للإعداد لمواجهة الأئمة الزيدية والتوسع على حسابهم، وقد جرد حملة كبيرة، وقصد صنعاء بنفسه في سنة (٩٠٧هـ / ١٥٠٢م) ، وضرب الحصار عليها، وهي يومئذ بيد الإمام المؤيد محمد بن الناصر – كما أسلفنا – فاستعان صاحبها بالإمام الوشلي وصاحب صَعْدَة الأمير محمد بن حسين الحمزي الشهير بالبَهّال, اللذَيْنِ سارعا لنجدته نظراً لاتفاقهم حول كونه عدوهم المشترك، ولمكانة صنعاء في ميزانهم، فهي رمز لصمودهم وعلو كعبهم، فأرجأوا ما كان بينهم من الخلافات، وتمكنوا من إجبار الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب على فك الحصار عنها والانسحاب في أوائل سنة (٩٠٨هـ / ١٥٠٢م)[2] .

- **المرحلة الثالثة : المواجهة مع الخطر الخارجي :**

ومجمل هذه المرحلة هو ما سنتناوله في القسم الثاني من هذا الفصل ، وهو قسم القوى الخارجية وأثرها على الأوضاع اليمنية .

---

(1) د. محمد عبدالعال أحمد، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٣٢٣، ٣٢٤، زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٣٦٠، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٤٢، ٤٤٥، **الفضل المزيد**، ص ٢٣٤، ٢٤٦، ٢٤٧، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦٢٤، ٦٢٥ .

(2) زبارة، **المرجع السابق** ، ص ٣٦٠، ٣٦١، ابن الديبع، **المصدر السابق**، ص ٤٤٩، **الفضل المزيد**، ص ٢٦٨، ٢٧١ – ٢٧٣، يحيى بن الحسين، **المصدر السابق** ، ص ٦٢٨، ٦٢٩ .

❖ الأئمة الزيدية من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها :

اعتاد كثير من الباحثين الذين خاضوا في تاريخ اليمن غير السياسي أو درسوا جوانب الحضارة والعلوم فيه، اعتادوا أثناء استعراضهم لجزئيات الأوضاع السياسية في دراساتهم وتناولهم للقوى على ساحته على الوقوف السلبي من إدراك الثقل الذي كانت تتمتع به الأئمة الزيدية في إحدى صورتين، وكلاهما ممعن في الابتعاد عن الحقيقة والواقع القائم على الأرض، فهم إما: مُغْفِلٌ لهم مُعْرِضٌ عن ذكرهم، وإما ذاكرٌ لهم على الهامش كأنهم قوة ثانوية لم يكن بيدها قلب الأمور ولا خلط الأوراق وقلب موازين القوى في كثير من مراحل تاريخ اليمن .

ومرد ذلك في نظري إلى عوامل عدة، في مقدمتها قلة الوعي – أو انعدامه – حول مكانة القوى السياسية في اليمن على مدار تاريخها والثقل الذي تتمتع به بعضها في مقابل الأخرى، وهي أمور غير ثابتة ولا مضطردة، فمن رأى هذه القوة أو تلك هي فرس الرهان في مدة معينة وسحب هذه الصفة عليها طوال تاريخ اليمن فقد ظلم العلم والحقيقة، كما أن الذي يرى القوة الأخرى ضعيفة التأثير يومها فيتخذ انطباعه عنها صفة الثبات هو شريك أيضاً في ظلم الحقيقة، وسعة الاطلاع الأفقي والعمودي على المصادر المكتوبة من قبل رجال كل القوى حريٌ بتجنب هذا الانزلاق.

ولا نغفل أن إصدار الأحكام واتخاذ المواقف إزاء بعض التيارات السياسية والفكرية والفقهية قبل الولوج في ميادين البحث عنها والدراسة حولها هو الطامة التي يقع فيها كثير من الباحثين، وبعض الانتقاص الذي يصيب الأئمة الزيدية أثناء تناول أدوارهم في تاريخ اليمن يعود إلى أن هناك من يحكم عليهم مسبقاً – ودون استئناف – فيضعهم في خانة الرفض وباب من هم غير جديرين بالتركيز والإبراز، ولا أقول ذلك عن تعاطف أو تصريح بانتماء، فالموقف لا يسمح بمناقشة ذلك، وإنما هو منطق البحث العلمي الصحيح والمنهج الأكاديمي السليم.

وإذا ما عدنا إلى الحديث عن الأئمة الزيدية من مطلع القرن التاسع الهجري حتى منتصف العاشر فإننا نجدها مدة نموذجية عن وضعهم في تاريخ اليمن عموماً، ذلك الوضع المتسم بالمد والجزر، والتمدد والانكماش، طبقاً لما يمليه الواقع وتفرضه سنة

الله في الكون أن : " وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ... "[1] ، فمع مطلع القرن التاسع كان الإمام المنصور بالله علي ابن الإمام الناصر صلاح الدين – الذي كان يقضي العام الثامن من إمامته – هو القائم الفعلي الوحيد منهم بأمر الإمامة[2] .

(١) الإمام المنصور علي بن الناصر صلاح الدين[3](٧٧٥هـ-٨٤٠هـ/١٣٧٣م-١٤٣٦م):

هو أول الأئمة الزيدية العشرة الذين أعلنوا إمامتهم في سنوات مدة الدراسة ، نشأ وتربى في بيت الإمامة ، فقد كان أبوه الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن علي من أكبر الأئمة الزيدية وأشدهم بأساً ، وكذلك كان جده الإمام المهدي علي بن محمد ، وقد عارضه في الإمامة اثنان ، هما الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) والإمام الهادي علي بن المؤيد (ت٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) ، وإن كانت معارضة الأول قد انتهت في غضون السنة التي بدأت فيها وهي سنة (٧٩٣هـ / ١٣٩١م) إلا أن معارضة الأخير دامت حتى وفاته .

كان الإمام المنصور عالماً مبرزاً ، على قدر كبير من القوة والطَول ، تمكن من مقارعة الباطنية الإسماعيلية في مناطق نفوذهم ، وأجلاهم عن أمنع حصونهم ،

---

(1) سورة آل عمران .

(2) أقول : " **القائم الفعلي الوحيد** " عن قصد ؛ لأن التعارض بين الأئمة الزيدية كان قد أصبح ظاهرة جلية وواضحة، ففي مدد مختلفة، سابقة ولاحقة، كان الصراع يحتدم بين أكثر من إمام، وكلٌ يدعي الأحقية في الإمامة لحيثيات الكفاءة والسبق في إعلان الإمامة وامتشاق السيف ضد الظالمين وغيرها من مقومات شرعية الإمامة لدى الزيدية التي لم يسلم منها هذا الإمام نفسه ، ووصفته بالفعلي لأن الإمام الهادي الآتي ذكره كان معارضاً له دون أن يكون له شأن يذكر .

(3) تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٢٨٠ ، **اتحاف المهتدين**، ص ٦٧ ، **خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون** ، تحقيق أحمد محمد زبارة ، مركز التراث والبحوث اليمني ، ساري ، بريطانيا ، ط١ ، مركز التراث والبحوث اليمني، صنعاء ، ٢٠٠٣م ، ج ٢ ص ٦٣ وما بعدها ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ص ١٠٥٦ وما بعدها ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٤٧٠ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ١٠٢ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٣٨ وما بعدها ، الشوكاني، **البدر الطالع**، ص ٤٨٨ .

وتخبرنا المصادر الزيدية[1] عن مدى صبره على حصارهم وتحمله لعامل الزمن الذي كان أكبر رهان في أيديهم ، وخاصةً حول حصن ذي مرمر[2] .

وقد سبق – في أثناء الحديث عن قيام دولة بني طاهر – الإشارة إلى محاولات الإمام المنصور للتوسع على حساب نفوذ القوى اليمنية الأخرى ، فهاجم رداع وما حولها[3] ، ودخل في صراع مع الزعامات الموالية للدولة الرسولية يومئذٍ ، وتلك الجهود إن دلت على شيئ فهي تدل على مدى ما كان يتمتع به هذا الإمام من الحنكة السياسية التي مكنته من استغلال فرصة ضعف الدولة الرسولية الناشئ من صراع الأمراء على العرش ، إضافة إلى طموحه في توسيع رقعة نفوذه ، ومثل هذا الطموح لا يتأتى إلا بقوةٍ يشعر صاحبها بوجودها .

(٢) الإمام الهادي علي بن المؤيد[4] (٧٥٧هـ- ٨٣٦هـ/١٣٥٦م - ١٤٣٢م) :

هو الإمام الهادي علي بن المؤيد بن جبريل بن المؤيد ، ينتهي نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين المؤسس لدولة الزيدية ومذهبها في اليمن ، دعا الناس إلى بيعته بالإمامة في هجرة قُطَابِر[5] سنة (٧٩٦هـ / ١٣٩٤م) .

---

[1] زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٢٨٣ ، ٣٠١ – ٣٠٤ ، **خلاصة المتون** ، ج ٢ ص ٨٨ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ص ١٠٥٨ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص٥٦٧ .

[2] حصن تاريخي منيع وشهير ، له ذكر كثيف في النقوش التاريخية القديمة ، يقع في مدخل وادي السِّرّ من مديرية بني حِشَيْش بمحافظة صنعاء ، يبعد عن مدينة صنعاء بحوالي خمسة عشر كيلومتراً ، أطلق اسمه الآن على مركز إداري يضم حوالي ثماني قرى ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٢ ص ٣٥٠ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ص ١٤٩٤.

[3] أسماها ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٣٨٩، ويحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٦٤ أسمياها بلاد بني طاهر، أما زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٢٩٨ فجعلها أرضاً أخرى غير رداع، فقد ذكر قيام الإمام التوجه نحو " بلاد رداع وبني طاهر... ".

[4] تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **المصدر السابق** ، ص ٣١٩ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٦٩ ، **خلاصة المتون** ، ج ٢ ص ٩٣ ، ٩٤ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٠٩٣ وما بعدها ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥٠٦ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٧٠ .

[5] واحدةٌ من أشهر هجر العلم ومعاقله في اليمن ، يطلق اسمها الآن على مديرية بمحافظة صعدة ، تقع ضمن منازل قبائل جُماعَة من خولان بن عمرو الهمدانية ، الأكوع، **هِجَرُ العلم**، ج ٣ ص ١٦٨٨ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ص١٢٨١ .

كان الإمام الهادي قبل دعوته من المتعاطفين مع الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ، ولم يخرج إلى الناس بدعوته- معارضاً الإمام المنصور علي كما أسلفنا - إلا بعد فشل الإمام المهدي بثلاث سنوات ، وقد تعاضدا سوياً وخاصةً على المستوى الإعلامي في إشارة تدل على تنحي المهدي عن المنافسة لصالح الهادي ، فقد ترك التلقب بأمير المؤمنين ، كما كان يذب عن الهادي ويرفض معارضته[1] .

ولم يكن للإمام الهادي – مع طول باعه في العلوم[2] – من القوة وكثرة الأتباع ما كان للإمام المنصور ، وهو ما جعله محصوراً في مناطق محددة من نواحي صعدة ، ولعل وضعه هذا هو الذي جعل الإمام المنصور يغض الطرف عنه ، فلم نره يأخذ معارضته مأخذاً يدفعه لتجريد الحملات للتخلص منه والقضاء عليه ، وقد دامت معارضته للإمام المنصور طيلة أربعين عاماً ، انتهت بوفاته قبل الإمام المنصور بأربع سنوات ، أي سنة (٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) .

ثلاثة أئمة كبار في آن واحد :

ما إن مات الإمام المنصور علي بن الناصر صلاح الدين حتى انبرى ثلاثة من رجال آل البيت النبوي الزيديين كلٌ منهم يرى نفسه أحق بالإمامة ، وكلهم على قدر كبير من العلم والطموح ، ومنهم من كان قد بلغ مرتبة الاجتهاد ، فوقع التصادم بينهم ، وضعف أمر الزيدية بسبب ذلك ، حيث انكفأت على نفسها ، تستنزف كل قوة ، وتستهلك كل طاقة ، ولو تزامن هذا الظرف مع قوة في الدولة الرسولية أو الطاهرية لامتدت سيطرتهما على كل شبر في مناطق الزيدية بشمال اليمن .

أما الأئمة الثلاثة فهم – حسب ترتيب وفاتهم – كما يأتي :

---

[1] زبارة ، **خلاصة المتون** ، ج ٢ ص ٩٣ ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥٠٨ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١١٠٢ ، ١١٠٣ .

[2] الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧٢٤ .

(٣) الإمام المهدي صلاح بن علي[١] (... – ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م) :

هو الإمام المهدي لدين الله صلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم ، كان اصطدامه في البداية بواحد من أكبر موالي الإمام المنصور علي ، وكان يدعى قاسم سُنْقر ، لأن الإمام المهدي صلاح رأى انه المستبد بالأمر دونه في صنعاء ، فأتمر به ليقتله ، فبادره قاسم سُنْقر بأن قبض عليه وحبسه ، وأقام مكانه الناصر بن محمد .

تمكن الإمام المهدي صلاح بن علي من الفرار من السجن والتوجه إلى صعدة في أقصى شمال اليمن ، حيث قام من هناك بتجريد أكثر من حملة لمقارعة خصومه ومنافسيه على الإمامة والنفوذ ، إلا أنه فشل فيها كلها ، فقرر – في سنة (٨٤٦هـ / ١٤٤٢م) – أن يجمع كل ما يمكنه الوصول إليه من الإمكانات المادية والبشرية ، مشكلاً منها حملة كبيرة ، وتوجه بها صوب صنعاء ليقضي على منافسه الإمام الناصر بن محمد وينتزعها من يده ، فوقعت بين الطرفين معركة ضروس في حمراء عَلِب[٢]، كانت الدائرة فيها عليه ، وغنم الناصر كل ذخائره ، وأسره ، وبقي في سجنه ثلاث سنوات تقريباً حيث مات فيه سنة (٨٤٩هـ / ١٤٤٥م)[٣] .

(٤) الإمام المنصور بالله الناصر بن محمد[٤] (... – ٨٦٧هـ / ١٤٦٢م) :

هو الإمام المنصور الناصر بن محمد بن أحمد بن الإمام المطهر بن يحيى ، سبط الإمام المنصور علي بن الناصر صلاح الدين السابق ذكره ، كان أصغر الأئمة

---

(1) تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٢١ ، ٣٢٢ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٧٠ ، **خلاصة المتون** ، ج ٢ ص ١٠٦ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١١٥٤وما بعدها ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥١٩ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ١١٠ .

(2) قرية زراعية خصبة تقع على السفح الجنوبي لجبل نُقُم الحاضن لمدينة صنعاء من ناحية الشرق ، تتبع حالياً مديرية سنْحان ، ويقال أن بها قبر المحدث الشهير الإمام عبدالرزاق الصنعاني صاحب **المصنف** ، وشيخ الإمام الشافعي في الحديث ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ، ص ١١٠٤ .

(3) تفصيل هذه الأحداث في المصادر السابقة بالإضافة إلى يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني**، ص ٥٧٤ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢ .

(4) تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٢٢ وما بعدها ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٧٠ ، **خلاصة المتون** ، ج ٢ ص ١٠٧ ، ١٠٨ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ص ١١٦٧ وما بعدها ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥٢٤ ، .

المتعارضين الثلاثة سناً ، لكنه كان الأوفر حظاً ، أقامه – في بداية أمره – قاسمُ سُنْقرُ على صنعاء إثر سجنه للإمام المهدي صلاح بن علي سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، مستغلاً صغر سنة ، ودعا الناس إلى بيعته ، وضرب السكة باسمه ، إلا أنه شب عن الطوق سريعاً في السنة ذاتها ، فخافه قاسمُ سُنْقر على نفسه ، وعزم على التخلص منه ، إلا أنه احتال للخروج من صنعاء إلى ذمار قبل وقوع المكيدة فسَلِم .

اجتمع حول الإمام المنصور الناصر بن محمد عدد كبير من موالي جده المنصور علي وغيرهم ، واتخذ من هِـرَّان[1] مقراً له ، وشكل بهم نواة قوته التي استعان بها لاستعادة صنعاء وتوسيع رقعة نفوذه وقمع المنافسين له على الإمامة ، كما أن المؤرخ يحيى بن الحسين[2] يشير إلى أنه استعان ببني طاهر ، وكان أول ثمار جهوده الهزيمة التي ألحقها بالإمام المتوكل المطهر بن محمد وقاسم سُنقر ، حيث أسر الأول وفتك بالثاني ، وذلك عندما توجها لقتاله في قُرَيْس[3] ، إلا أن الأسير قد فرَّ من محبسه بعد مدة قصيرة[4] .

أصبحت الطريق إلى صنعاء سالكة أمام الإمام المنصور الناصر بن محمد ، فانتزعها من أيدي أعوان المهزومين في قُرَيْس[5] ، وامتدت يده إلى أغلب ما كان لجده الإمام المنصور علي بن صلاح الدين من المناطق ، كما تمكن من صد الهجوم الذي قاده الإمام المهدي صلاح بن علي في سنة (٨٤٦هـ / ١٤٤٢م) على صنعاء وتمكن من أسره واعتقاله حتى مماته كما ذكرناه آنفاً .

وأهم المحطات التاريخية في مسيرة الإمام المنصور الناصر بن محمد هي علاقته بالطاهريين ، فقد تراوحت بين التحالف أحياناً وعقد الصلح بين الطرفين أحياناً

---

(1) حصن يقع على جبل بركاني أسود إلى الشرق من مدينة ذمار ، وقد اتصل به الزحف العمراني لمدينة ذمار ، يقع على مرأى البصر لكل مسافر عبر ذمار إلى صنعاء وغيرها ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٤ ص ٧٥١ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ص ١٨١٤ .

(2) **غاية الأماني**، ص ٥٧٥ .

(3) حصن فوق قرية رُصَابَة من مديرية آنِس التابعة لمحافظة ذمار ، يطل على قاع جَهْران ، وقد أصبح اليوم أطلالاً وخرائب، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ص ١٢٦٩ .

(4) زبارة، **أئمة اليمن**، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٧٥ .

(5) الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥٢٦ ، يحيى بن الحسين، **المصدر السابق** ، ص ٥٧٥ .

أخرى واحتدام الصراع العسكري أحياناً ثالثة على مدار ستة وعشرين عاماً ، من سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) حتى أسره سنة (٨٦٦هـ / ١٤٦١م) ، كان أكبر حوادثها الهزيمة التي ألحقها الإمام المنصور بالطاهريين في إحدى ضواحي رداع ، وتمكن فيها من قتل الأمير محمد بن طاهر ، أحد أشقاء السلاطين المؤسسين للدولة الطاهرية[١] .

وقد غدرت بعض القبائل الواقعة بين صنعاء وذمار بالإمام المنصور الناصر بن محمد – أثناء انسحابه من ذمار بعد هزيمة تلقاها على أيدي الطاهريين سنة (٨٦٦هـ / ١٤٦١م) – فقبضوا عليه وسلموه لأكبر منافسيه على إمامة الزيدية[٢] ، وهو الإمام المتوكل المطهر بن محمد ، الذي سجنه في حصن العَرُوس[٣] التابع له ، واستمر في محبسه حتى وفاته سنة (٨٦٧هـ / ١٤٦٢م) .

(٥) الإمام المتوكل المطهر بن محمد الحمزي[٤] **(٨٠١هـ-٨٧٩هـ/١٣٩٩م -١٤٧٤م):**

هو الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان بن محمد الحمزي ، ينتهي نسبه إلى عبدالله بن الحسين – أخي الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين مؤسس دولة الزيدية ومذهبها في اليمن – وهو صهر الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأحد أشهر تلامذته ، استدعاه قاسم سُنقر إلى صنعاء بعد فرار الإمام

---

(1) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٨٩ .

(2) الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥١٥ ، ٥٢٦ ، يحيى بن الحسين، **المصدر السابق** ، ص ٥٩٢ ، ٥٩٣، ابن الأنف ، **روضة الأخبار ونزهة السمار في حوادث اليمن الكبار** ، تحقيق محمد علي الأكوع، الهيئة العامة اليمنية للكتاب ، صنعاء، ١٩٩٥م ، ص ١٥٢ .

(3) جبل منيع من مديرية بني مطر بمحافظة صنعاء ، يحاذي جبل كوكبان الشهير من جهة الجنوب ، ويضم مجموعة من القرى تحيطها المدرجات الزراعية الخضراء ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج١ ص ١٢٢ ، ج ٣ ص ٥٩٩ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ، ص ١٠٥٥ .

(4) تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص 326 وما بعدها ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٧١ ، **خلاصة المتون** ، ج ٢ ص ١٠٦وما بعدها ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١١٢١ وما بعدها ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥١١ وما بعدها ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٧٣ وما بعدها .

المنصور الناصر بن محمد منها ، فأقام الخطبة على منابرها ، وحرض الناس للخروج معه للقضاء على معارضيه المشار إليهما .

كان الطرف الآخر في الحروب الأولى التي خاضها الإمام المهدي صلاح بن علي ، وكان النصر حليفه فيها بسبب مساندة قاسم سُنقر له ، وقد جرد نفسه سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) نفسها للخروج – وبصحبته قاسم سنقر – لمواجهة الإمام المنصور الناصر بن محمد لكنه – كما سبقت الإشارة – تغلب عليهما ، وفتك بقاسم سنقر وأسر الإمام المتوكل المطهر بن محمد ، وزعمت بعض المصادر[١] أنه ما كان قاصداً إلا السلطان الرسولي وليس الإمام المنصور الناصر .

تنقل الإمام المتوكل من منطقة إلى أخرى بعد خروجه من الأسر يبحث عن المأوى والمعين الناصر ، فمر بالأهجر[٢] ، ومنها إلى السودة[٣] وغيرهما ، ولما

---

(1) الزحيف، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١١٢٢، الشرفي، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥١٣ .

(2) واحدةٌ من أخصب مناطق اليمن وأكثرها غيولاً ، وتعتبر رأساً لوادي سُرْدُد الذي يصب في سهل تهامة ، تقع تحت جبل كوكبان إلى الجنوب منه ، وتبعد عن صنعاء غرباً بمسافة ٤٥ كيلومتراً في وسط واد تحيطه الجبال من جميع الجهات وتتناثر القرى على جوانبه ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج١ ص ٩٣ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ١١١ .

(3) مديرية من أعمال محافظة عمران إلى الشمال الغربي من صنعاء ، والسودة اسم لمركز هذه المديرية ، وتقع على ذروة جبل عالٍ يطل على عدد من الوديان مشهور بزراعة البُنّ ببلاد حاشد ، الحجري، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٤٣٤، المقحفي، **المصدر السابق** ، ج١ ص ٨٢٨.

مات صاحب كوكبان[1] استولى الإمام المتوكل على حصنه[2] ، وملك من بعده حصوناً كثيرة في مغارب اليمن[3] والشرف وغيرهما ، واتخذ من كوكبان مركزاً لحكمه .

وقد جرت كثير من الحروب والمناوشات بين الإمام المنصور الناصر بن محمد وبين الإمام المتوكل المطهر ، كانت في أغلبها سجالاً ، والطاهريون يغذون هذا الصراع لأنهم رأوا في انتهائه خطراً محيقاً بدولتهم الناشئة[4] .

ويبدو أن مصلحة القضاء على العدو المشترك قد جمعت الأضداد ، ونقصد بذلك العلاقة التي نشأت بين الإمام المتوكل المطهر بن محمد وبين الأمير الإسماعيلي علي بن الحسن الهمداني[5] من جهة وبين الأمير الهمداني نفسه والسلاطين الطاهريين من جهة أخرى ، وكذلك بين الإمام المتوكل المطهر وبين السلاطين الطاهريين من جهة ثالثة ، إذ كان الإمام المنصور الناصر بن محمد عدواً للجميع ، وتتجلى هذه

---

(1) اسم لجبل كبير وحصن ومعقل تاريخي شهير ، يطل على مدينة شِبام المنسوبة إليه من ناحية الشمال الشرقي ، وعلى واديي الأَفْجِر والنعيم من ناحية الشمال الغربي ، وقد ورد ذكره عند الهمداني باسم جبل ذُخَار ، وهو مرتفع عن مستوى سطح البحر بنحو ثلاثة آلاف متر تقريباً ، ومساحته كبيرة ومليئة بمزارع الحبوب وصهاريج المياه التي تتجدد من مياه الأمطار ، وهو ما جعل الجبل والحصن ومن فيهما يصمدان في وجه كل حصار يضرب عليهما مدداً طويلة ، وهما معموران حتى يومنا هذا ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٤ ص ٦٦٨ – ٦٧٣ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ص ١٢٦٩، الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٣١٢ .

(2) زبارة ، **أئمة اليمن** ، **خلاصة المتون** ، ج ٢ ص ١١٢ ، الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥١٥ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٨٢ .

(3) اصطلح المؤرخون اليمنيون على إطلاق تسمية " مغارب اليمن " على المناطق الواقعة إلى الغرب من العاصمة صنعاء ، انظر مثلاً الشرفي ، **المصدر السابق** ، ص ٥١٥ .

(4) يعبر يحيى بن الحسين، عن ذلك بقوله : " وكان بنو طاهر يحرضون الناصر بن محمد على حرب الإمام المطهر بن محمد ، ويحرضون المطهر على حرب الناصر " انظر ، **غاية الأماني**، ص ٥٨٨.

(5) لم أجد ترجمةً مفصلةً لهذا الرجل بين المصادر المتوافرة لدي ، وخاصة في ظل التكتم الرهيب التي تفرضه الإسماعيلية على أدبياتها عموماً بما فيها المصادر التاريخية ، إلا أن إشارات المصادر الزيدية مثل – يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، – تشير إليه كونه أميراً على إسماعيلية همدان القريبة من صنعاء ، وأن منطقة تمركزه هي قلعة طيبة على مشارف وادي ظهر المعدود بين متنزهات صنعاء .

العلاقة من خلال الإشارة التي أوردتها بعض المصادر[1] بأن السلطان الظافر الطاهري قد كتب إلى الإمام المتوكل المطهر بن محمد والأمير علي بن الحسن الهمداني يحرضهما على حرب الإمام الناصر بن محمد وانتزاع أمنع معاقله وحصونه لأنه اغتنم انشغال السلطان الظافر بالقضاء على التمردات التي ظهرت في الشحر من بلاد حضرموت ، إلا أن المتحالفين فشلا في تحقيق مآربهما .

وقد خلا الجو إلى حد كبير للإمام المتوكل المطهر بن محمد بعد وصول الإمام المنصور الناصر بن محمد مكبلاً إليه بالطريقة التي أشرنا إليها ، فكانت السيطرة على صنعاء أكبر غاياته ، وهو ما أحس به محمد بن الإمام المنصور الناصر فأراد أن يفوت الفرصة عليه فراسل السلطان الظافر عامر الطاهري باذلاً له صنعاء – بيعاً – بمبلغ خمسين ألف دينار ، فتمت الصفقة وتسلمها عماله[2] بالرغم من العلاقة التي أشرنا إليها آنفاً بين الإمام المطهر والطاهريين ، وامتداداً لهذه العلاقة – أيضاً – أرسل الإمام المتوكل المطهر ابنه محمد من كوكبان في مطلع سنة (٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) ليعين السلطان الظافر عامر في حصاره لصنعاء – بعد أن كان قد استردها محمد بن الناصر سنة (٨٦٩هـ / ١٤٦٥م)[3] .

لما قُتِلَ السلطان الظافر عامر بن طاهر حول صنعاء – كما سنبينه قريباً – اضطربت كثير من المناطق على أخيه السلطان المجاهد علي ، وهو ما جعله في شغل كبير عن مواجهة مطامع القوى الزيدية في الشمال ، فأدرك الإمام المتوكل المطهر بن محمد حقيقة الوضع فجمع من أتباعه ما أمكنه جمعه وانتزع ذمار من أيدي القوات الطاهرية ، واستقر فيها حتى وفاته سنة (٨٧٩هـ/١٤٧٤م)[4].

---

(1) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٥٩١ ، ٥٩٢ .

(2) المصدر السابق ، ص ٥٩٤ .

(3) المصدر السابق ، ص ٥٩٧ ، ٥٩٩ .

(4) المصدر السابق ، ص ٦٠٣ ، زبارة ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ١٧ .

(٦) الإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر بن محمد[1] (... – ٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) :

هو الإمام المؤيد بالله محمد ابن الإمام المنصور بالله الناصر ابن محمد ، وكان فتىً يافعاً عند وقوع أبيه في أسر الإمام المتوكل المطهر بن محمد ، موصوفاً بالنبل والوقار ورباطة الجأش والثبات في الملمات[٢] ، ولم يكن له طمع في الرئاسة والإمامة ، فقد انصرف عن كل ما يدور في فلكها منذ باع صنعاء إلى الطاهريين ، يقول الزحيف[٣] : " وأما صنعاء فشراها عامر الكبير – يقصد السلطان الظافر عامر بن طاهر – فلما ملكها وقف ابن الناصر من سائر من وقف بها من السادة أهل المدارس والمساجد ، وما يختلف إليه أمر ولا نهي أحد من الناس ، وتفرق عنه عبيده ، ودخلوا في المهن التي يحصل بها النفقة والكسوة ، ومنهم من بَعُدَ عن صنعاء وأعمالها يطلب المعاش ... "

يصدق في علاقته بالسلطان الظافر عامر بن طاهر مقولة العرب الشهيرة : " جَنَتْ على نفسها براقش " ، فنحن نراه يقوم باستعدائه – بعد سنتين ونصف من شرائه لصنعاء – عندما طلب من عامله عليها محمد البعداني أن يرسل إليه محمد بن الناصر بحجة الخوف منه أن يهدد سيطرته عليها ، فلما بلغ ابن الناصر ذلك قام بمراسلة عامل أبيه على حصن ذي مرمر وهو الأمير محمد بن عيسى شارب يستصرخه ، فتمكن الخير من انتهاز فرصة غياب الأمير البعداني عن المدينة فاستعادها منه[٤] ، وأعلن ابن الناصر إمامته .

كان سقوط صنعاء بمثابة الصدمة التي أحس بوقعها السلطان الظافر الطاهري ؛ فقاد أكثر من حملة لاستعادتها ، ونجح الإمام المؤيد محمد بن الناصر في صدها كلها

---

(1) تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٣٤ ، **اتحاف المهتدين**، ص ٧٢ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ١٥ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢٩٤ وما بعدها ، يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، ص ٥٩٣ وما بعدها .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٥٩٣ .

(3) **مآثر الأبرار**، ج٣ ص ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ابن الأنف ، **روضة الأخبار ونزهة السمار** ، ص ١٦٠ .

(4) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٣٦ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ١٦ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢٩٦ ، ١٢٩٧، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٩٦ ، ٥٩٧ .

رغم معاونة الإمام المتوكل المطهر وابنه محمد للطاهريين[١] ، بل لقد بلغ به النجاح أن تمكن من قتل السلطان الظافر وتشتيت جنده في سنة (٨٧٠هـ / ١٤٦٦م)[٢] موجهاً بذلك ضربة قوية هزت دعائم الدولة الطاهرية ، وتسببت في حدوث اضطرابات في نواحٍ عدة بذل السلطان المجاهد علي بن طاهر الكثير من الجهد لمحاولة تجاوزها .

وبموت السلطان الظافر الطاهري استقر الأمر للإمام المؤيد محمد بن الناصر في كثير من المناطق بشمال اليمن[٣] ، وغض الطرف عن وجود بعض المعارضين لإمامته ، ممن سبقه في إشهارها - كالإمام المتوكل المطهر بن محمد - أو من أعلنها بعده - كالهادي عزالدين بن الحسن - ، كما تغافل عن تَمَلُّكِ بعضهم لما يمكنه وضع اليد عليه من المناطق ، إذ كان للإمام المتوكل المطهر بن محمد عدد منها مثل كوكبان وذمار وغيرهما حتى وفاته كما أسلفنا ، وكذلك للإمام الهادي عزالدين بن الحسن عدد غير قليل من مناطق صعدة وما يقع في جنوبها .

وحتى سنة (٩٠٧هـ / ١٥٠٢م) لم يكن الإمام المؤيد محمد بن الناصر طرفاً في أي حدث يذكر ، وكان الهدوء هو السمة العامة التي غلبت على معظم مناطق شمال اليمن الجبلية الزيدية ، ويعود السبب الكبير في ذلك إلى انشغال السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري بمواجهة منافسيه على العرش من أقاربه من جهة ، ومن جهة أخرى إلى تذبذب مواقف المرشحين لإمامة الزيدية أنفسهم ما بين الضعف أو التعقل والحكمة في الحفاظ على صفحة التنافس الداخلي مطويةً إلى حين ، وإن كان هناك من الحوادث شيئ يُشار إليه فهو الحصار الذي ضربه السلطان المذكور على صنعاء ففشل بالطريقة التي ذكرت أثناء الحديث عن السلاطين الطاهريين ، وقد مات الإمام المؤيد في سنة (٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) تاركاً صنعاء لأخيه أحمد بن الناصر .

---

(1) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٩٩ ، زبارة ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ١٦ .

(2) **المرجع السابق** ، ج ٣ ص ١٧ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٣٨ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، ص٦٠١ .

(3) الزحيف ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ١٢٩٨ ، يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، ص ٦٠٢.

(٧) الإمام الهادي عزالدين بن الحسن[1] (٨٤٥هـ / ١٤٤٢م – ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م):

هو الإمام الهادي عزالدين بن الحسن ، حفيد الإمام الهادي علي بن المؤيد المذكور سابقاً ، واحد من أجلّ أئمة الزيدية وأكبرهم شأناً ، وأكثرهم شهرةً ، وأغزرهم علماً ، جمع علم الزيدية وأهل السنة من خلال تتلمذه على ثلة من أكبر علماء الطائفتين باليمن ، ومصادر الزيدية تزخر بمدحه والثناء عليه[2] .

أعلن إمامته عقب وفاة الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد سنة (٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) ، والتف حوله معظم الخاصة والعامة من رجال الزيدية ، وكان لتسامح الإمام المؤيد محمد بن الناصر ونُبله دورٌ كبيرٌ في إنجاح دعوته ، فقد بلغ به الأمر أن غض الطرف عن كل من غادر صنعاء[3] متوجهاً إليه في هجرة فللة[4] وهو يعلم علم اليقين أنهم متجهون إلى من سيقوم بمعارضة إمامته ، وكأن لسان حاله يقول : " فليبقَ من يرى فيَّ جديراً بالولاء والطاعة " .

وقد تنقل الإمام الهادي عزالدين في كثير من المناطق عددتها المصادر[5] ، وكانت أغلب المواجهات العسكرية التي قادها موجهة ضد الأشراف الحمزيين في مدينة صعدة وبلاد الظاهر حول حوث ، وكان من أبرز قوادهم الأمير محمد بن الحسين الحمزي – الشهير بالبهال – الذي استعان به الإمام المؤيد أثناء حصار السلطان الظافر الثاني عامر الطاهري لصنعاء كما سبق .

وقد حصر الإمام الهادي عزالدين بن الحسن تحركاته في مناطق نفوذه حتى وفاته في مسقط رأسه سنة (٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) .

---

(1) تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٤٤ ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٧٣ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢٠٦ وما بعدها ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٠٦ وما بعدها .

(2) انظر مصادر ترجمته السابقة بالإضافة إلى الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ١١٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٤١ .

(3) الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢١٥ .

(4) سيأتي الحديث عنها في فصل أماكن التعليم ومراكزه .

(5) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٠٦ ، ٦٠٨ .

مستهل قرن جديد يشهد وجود ثلاثة أئمة زيدية متعارضين :

أطل القرن العاشر الميلادي وفي الساحة الزيدية – المذهبية والجغرافية – ثلاثة أئمة متعارضون ، إلا أن تعارضهم اتخذ صورة السلم وتجنب الصدام ، وهم : الإمام المؤيد محمد بن الناصر في صنعاء وما حولها ، والإمام الناصر الحسن بن الإمام الهادي عز الدين بن الحسن في أقصى شمال اليمن وله نفوذ وطاعة فيما سواها ، والإمام المنصور محمد بن علي الوُشَلي السراجي في قرية القابل، وقد سبق الحديث عن أولهم، فمن البقية ؟.

(٨) الإمام الناصر الحسن بن عزالدين[١] (٨٦٢هـ-٩٢٩هـ/١٤٥٦م-١٥٢٣م):

نسبه غير خافٍ ، فقد تناولنا أباه وجده ، أعلن دعوته وإمامته فور وفاة أبيه ، وبعث رسائله إلى كثير من الجهات ، وقَبِلَ أمير صعدة محمد بن الحسين الحمزي البهال إمامته ، وأقام الدعوة له على منابرها بالرغم من أنه كان معارضاً لأبيه[٢] ، ورفض إمامته عدد من كبار أهل بيته مثل عمه صلاح بن الحسن وابنه علي بن صلاح[٣] ، وقد وقعت المناظرة بينه وبين معارضه الإمام المنصور بالله محمد بن علي الوُشَلي السراجي في السودة حول مسوغات الخروج والتعارض ، ولم يسلم أحدٌ منهما لصاحبه[٤] ، ولم يذكر في عهد الإمام الناصر بعد ذلك ما يشتهر سوى تحالفه مع الشريف محمد بن عبدالله الشويع – أحد أشراف المنطقة الشمالية الشرقية لليمن – ضد الإمام المتوكل شرف الدين سنة (٩٢٤هـ / ١٥١٨م)[٥] .

---

[1] تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٥٧ ، **اتحاف المهتدين**، ص ٧٣ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٤٢ ، الكبسي، **اللطائف السنية**، ص ١١٧ ، المؤيدي ، **ذيل البسامة** ، (ملحق بكتاب مآثر الأبرار) تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمان ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص١٣٧٤ وما بعدها ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٢١ وما بعدها .

[2] زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٥٧ ، يحيى بن الحسين، **المصدر السابق** ، ص ٦٢١ .

[3] المؤيدي ، **ذيل البسامة** ، ص ١٣٧٥.

[4] يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦٢٥ .

[5] زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٩٢ ، يحيى بن الحسين، **المصدر السابق** ، ص ٦٥٨ .

(٩) الإمام المنصور محمد بن علي الوَشَلي السراجي[١] (٨٤٥هـ-٩١٠هـ/١٤٤٢م- ١٥٠٤م):

هو الإمام المنصور بالله محمد بن علي بن محمد بن أحمد الوَشَلي السراجي ، ذكرنا سابقاً طرفاً من نشاطه التحريضي ضد الدولة الطاهرية في ذمار وغيرها ، وكان ذلك كله قبل إعلان دعوته ، فهو لم يسمِ نفسه إماماً إلا في سنة (٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) ، والتف حوله عدد لا بأس به من رجال الزيدية وعلمائها ، كان في مقدمتهم صلاح بن الحسن وابنه علي بن صلاح ، أي : عم الإمام السابق وابن عمه[٢] .

ويبدو أن الإمام المنصور محمد الوشلي كان قد عزم على تكريس معظم جهوده في مواجهة الطاهريين ، لذلك أغار سنة (٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) على البلاد الخاضعة للسيطرة الطاهرية لكنه هُزم فعاد أدراجه[٣] إلى ثِـلاَ[٤] ، ثم أعان الإمام المؤيد محمد بن الناصر في صد هجوم السلطان الظافر الثاني عامر الطاهري على صنعاء سنة (٩٠٧هـ / ١٥٠٢م) ، فما كان من الإمام المؤيد إلا أن خطب له على منابر صنعاء[٥] ، كما كان في طليعة المتصدين للهجوم الكبير الذي قاده السلطان الطاهري المذكور على صنعاء سنة (٩١٠هـ / ١٥٠٤م) ، ومعه الأمير محمد بن الحسين

---

(1) تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٥٨ وما بعدها ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٧٤ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٤٣ ، ٤٤ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢٦٩ وما بعدها ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ١١٨ ، يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، ص ٦٢٢ وما بعدها .

(2) زبارة ، **المرجع السابق** ، ص ٣٥٧ ، الكبسي ، **المصدر السابق** ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(3) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

(4) ثِـلاَ ، بكسر الثاء وفتح اللام ، ويبدو أنها كانت تنطق بضم الثاء ، مدينة كبيرة مسورةٌ على قلعة حصينة بالشمال الغربي من مدينة صنعاء ، تبعد عنها بمسافة ٤٥ كيلومتراً ، تعرف بطيب هوائها وماءها وتربتها، وبها مساجد عامرة بالعلماء والفضلاء ، كانت إحدى مراكز الإشعاع العلمي والفكري في فترات مختلفة من تاريخ اليمن ، ويحتضنها من جهة الغرب حصنها الشاهق الذي يبلغ ارتفاعه ٣٠٠٠ متر عن مستوى سطح البحر ، وثلا اليوم أحد مديريات محافظة عمران ، زبارة ، **نشر العرف** ، ج ١ ص ١٥٩ ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ١ ص ١٦٦ – ١٦٨ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ، ص ٢٥٨ ، ٢٦٠ .

(5) د. محمد عبدالعال أحمد ، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٣٢٤ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢٧٦.

الحمزي البهال ، إلا أن الدائرة كانت عليه ، فأسر ، وكان وقع خبر هزيمته وأسره محبطاً لجموع الزيدية ، فانهارت قواهم ، وتمكن السلطان الظافر الثاني من المدينة ، وأخذ في بسط سيطرته على أغلب مناطق الشمال وحصونه وقلاعه[١] .

لم يلبث الإمام المنصور محمد الوشلي طويلاً في سجن السلطان الظافر الثاني ، إذ أعلن عن وفاته فجأة في السنة نفسها التي أسر فيها ، وهو ما فسرته المصادر الزيدية بأنه مات مسموماً ، وقد تتبع الطاهريون معظم وجوه أهل البيت خوفاً من قيامهم بحركات معارضة وتمرد ، ووضِعَتْ أعدادٌ كبيرة منهم تحت الإقامة الجبرية في مدينة تعز ، حتى مات معظمهم هناك ، هو ما عبر عنه مؤرخهم[٢] بقوله : " ثم إن السلطان عامراً أمر بأحمد بن الناصر وعبدالله بن الإمام المطهر وشارب وذويه إلى تعز بأهلهم وأولادهم ، وقاسوا معه ما قاسى آل الحسين في كربلاء ، وتجرعوا من فعاله كرباً وبلاءً ... ولم يبرح عامر بن عبدالوهاب يقتل الأشراف الكرام ، ويوردهم موارد الحمام ، والله من ورائه محيط ... " .

(١٠)الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين[٣] (٨٧٧هـ – ٩٦٥هـ / ١٤٧٢/١٥٥٧م):

هو الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين[٤] بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى بن المرتضى ، حفيد الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الذي كان معارضاً للإمام المنصور علي بن صلاح في أواخر القرن الثامن الهجري ، وسبط الإمام

---

(1) د. محمد عبدالعال أحمد ، **بنو رسول وبنو طاهر** ، ص ٣٢٤ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٦٤ ، ٣٦٥، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦٣٣ ، ٦٣٤ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٦٣٤ ، ومثله عند ابن داعر ، **سيرة الإمام يحيى شرف الدين** ، مخطوط ، صورة عن نسخة خطية بمكتبة زيد الحوثي ، صنعاء ، ق ١ ب ، ق ٢ أ .

(3) تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، ابن داعر ، **المصدر السابق** ، ق ٤ وما بعدها ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٦٩ وما بعدها ، **اتحاف المهتدين** ، ص ٧٤ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٥٥ وما بعدها ، شرف الدين ، **المواهب السنية مما منّ به الله تعالى من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية** ، مخطوط ، صورة عن نسخة إبراهيم عبدالكريم شرف الدين ، كوكبان ، ص ١٦ وما بعدها ، شرف الدين ، **السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية** ، (د ، ت ، ن) ، ص ١ وما بعدها، المؤيدي ، **ذيل البسامة** ، ص ١٣٩٠ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص٦٣٥ وما بعدها .

(4) حمل الاسمين معاً : يحيى وشرف للدين ، أي أن شرف الدين ليس لقباً له ، وقد اشتهر باسمه شرف الدين أكثر من شهرته باسم يحيى ، انظر مصادر سيرته .

المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي ، أعلن المتوكل يحيى إمامته للزيدية في ظرف من أحلك ظروفها ، فقد تمكن السلطان الظافر الثاني عامر الطاهري من قهر قوتها وتشتيتها ، وانتزع منها أعز حصونها وقلاعها وأمنعها ، وفرق كثيراً من رجالها ما بين مقتول أو أسير أو هائم في البلاد ، ولم يبقَ من مُعلني الإمامة سوى الإمام الناصر الحسن بن عزالدين الذي كان على ما يشبه الانطواء في أقصى شمال اليمن ، ولم يكن بيده من مفاتيح تحريك الأمـــور ما يجعله يخطو الخطوة الأولى لإقالة العثرة الزيدية أو تحريك ما ركد من مائها .

أعلن الإمام المتوكل شرف الدين إمامته سنة (٩١٢هـــ / ١٥٠٦م) ، وبعث رسله يطلب البيعة من خاصة الزيدية وعامتها[1] من حصن الظفير[2] ، ولم تكن الاستجابة له كبيرةً في بداية أمره نظراً للسطوة التي كانت للدولة الطاهرية وشدتها في التعامل مع العناصر الزيدية والمتعاونة معها كما أشرنا، إضافةً إلى أنه لم يكن قد عُرف لديهم كشخصية يعلق عليها الآمال في إحداث الفرق في الوضع القائم يومئذ .

كانت السنوات التالية لإعلان إمامة الإمام المتوكل شرف الدين تشهد تنامي امتداد اليد الطاهرية إلى ما لم تكن قد وصلته من المناطق الزيـــدية في شـــمال صـــنعاء وغـــربها مثل ثلا وكوكبان سنة (٩١٧هـــ / ١٥١١م) وحصنين آخرين بجوارهما ، وفي سنة (٩٢٠هـــ / ١٥١٤م) أرسل السلطان الظافر الثاني عامر نائباً عنه إلى صعدة مشفوعاً بحامية صغيرة غير أنه فشل في بلوغ مرامه ، ثم وضع يده على مناطق أخرى إضافية لتبلغ الدولة الطاهرية عندئذٍ أقصى امـــتدادٍ لها على الأرض اليمنية .

كانت الأساطيل البرتغالية في هذه الأثناء قد رفعت من وتيرة نشاطها العدواني على السفن التجارية العربية في المحيط الهندي بما لا يسع القوى المتضررة السكوت عليه ، وكانت مصر المملوكية هي المتضرر الأكبر – كما سنبينه لاحقاً ؛ لذلك أرسلت

---

(1) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٧٢ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٥٨ ، شرف الدين ، **المواهب الســنية** ، ص ١٧، شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ١٩ ، ٢١ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٣٥.

(2) أحد أشهر معاقل العلم والحصون الشهيرة في تاريخ اليمن ، به كهوف عديدة وعميقة ، يقع في قمة جبـــل إلى الشمال من مدينة حجة ، ويبعد عنها بمسافة ١٥ كيلومتراً تقريباً ، وتنتشر على جوانبه الكثيـــر مـــن المدرجات الزراعية ، وهو اليوم مركز إداري من مديرية مَبْيَن بمحافظة حجة ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٣ ص ٥٦٧ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ١ ص ٩٧٥ ، ٩٧٦ .

حملتان بحريتان لمواجهة البرتغاليين، انطلقت الحملة الثانية منهما سنة (٩٢١هـ / ١٥١٥م) ورست في جزيرة كمران ، وقد رأى الإمام المتوكل شرف الدين في وجود هذه القوة فرصة لكسب موقفها وتوظيفه في دعم جهوده في مواجهة الطاهريين ، لذلك قام بمراسلة أمير الحملة – حسين الكردي – شاكياً السلطان الظافر الثاني إليه ، معدداً مظاهر اضطهاده لآل البيت النبوي ومساوئ حكمه ، ومطالباً إياه بالنصرة[١] ، وكان الأمير الكردي في حاجة إلى استجلاء موقف السلطان الظافر الثاني من حملته ، فلما بلغه موقفه المتخاذل منها ، واستعداده لمواجهتها ، رد على الإمام المتوكل شرف الدين بما يؤكد له دعمه .

ولما وقع الصراع بين الحملة المملوكية وبين الدولة الطاهرية سنة (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) ، وتحقق الهزيمة الكبيرة للطاهريين في السنة التالية ، ومقتل السلطان الطاهري في هذا الصراع ، وسيطرة المماليك على كثير من المناطق اليمنية بما فيها صنعاء[٢] ، كان موقف الإمام المتوكل شرف الدين سلبياً من الطرفين ، وذلك في انتظار ما سيسفر عنه الصراع الدائر ، ولكنه أحس بأن المماليك عازمون على مواصلة التوسع في اليمن ، وهو ما دعاه إلى رفض هذه التوجه والقيام بأولى خطوات الصدام بدخوله حصن ثلا في السنة ذاتها (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) ، فضرب عليه المماليك حصارهم الذي رفعوه بمجرد وصول خبر سقوط دولتهم على أيدي الجيوش العثمانية[٣].

بدأت القبضة المملوكية على المناطق اليمنية المختلفة تضعف ، وتفرقت كلمتهم، وتوجه الإمام المتوكل شرف الدين لانتزاع صنعاء من أيديهم بعد أن استدعاه أهلها في السنة نفسها (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) ، واستطاع أن يخرجهم منها[٤] ، ليكون بذلك قد

---

[1] شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٢٦– ٢٨ ، شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ٢٥ – ٢٩ ، يحي بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٤٢ ، عبدالعظيم خطاب ، **قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٣م . ، ص ٢٠٩ .

[2] سنبين ذلك بشكل أكثر تفصيلاً في الحديث عن دخول القوات المملوكية إلى اليمن .

[3] زبارة ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٧٦ ، شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٣١ ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٨٨ .

[4] **المرجع السابق** ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، زبارة ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٧٨ ، شرف الدين ، **المصدر السابق** ، ص ٣١ ، ٣٣ ، شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ٣٩ .

بدأ المرحلة الرئيسية من إمامته ، إذ أصبحت قوته هي أكبر القوى اليمنية تأثيراً في الساحة ، وبدأ في مواجهة بقايا مجموعات المماليك ، والأمراء الطاهريين الذين كانوا يملكون عدداً من المدن والمناطق منذ أيام السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب ، إضافةً إلى بعض القوى الزيدية والإسماعيلية التي أظهرت مخالفته في المناطق الشمالية لليمن ، وكان ذراعه الأيمن في معظم أحداث هذه المدة هو ابنه المطهر بن شرف الدين.

تمكن المطهر بن شرف الدين – مستخدماً سياسة العنف والقسوة – من انتزاع عدد كبير من المناطق في المدة ما بين (٩٣٤هـ / ١٥٢٧م) حتى (٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) ، فدخل المقرانة عاصمة الطاهريين ، وحمل منها الكثير من ذخائر السلطان الطاهري المقتول ، وواصل تقدمه حتى ردته أسوار مدينة عدن ، كما دخل سنة (٩٤٣هـ / ١٥٣٦م) في صراع مع المجموعات المملوكية المتبقية في زبيد وما حولها من مناطق تهامة[١] ، إلا أنه فشل في محاولة الاستيلاء عليها ـ فأصبحت عدن وزبيد وعدد قليل من المناطق اليمنية الأخرى في وسط وجنوب اليمن بمثابة الجزر في وسط مناطق نفوذ الإمام المتوكل شرف الدين .

كان على الإمام المتوكل شرف الدين أن يواجه القوى المنافسة له في السيطرة على مناطق الشمال ، وهي مناطق يدور الصراع التقليدي فيها بين المتعارضين من الأئمة الزيدية بعضهم بعضاً ، أو بين أحدهم والقوى الإسماعيلية الموجودة هناك في أماكن محصـــورة في بعض منازل همدان قريباً من صنعاء ، إضافة إلى بعض الأنشطة العسكرية المرتجلة لبعض القبائل المتناثرة في تلك المناطق .

كانت القوى الزيدية المنافسة للإمام المتوكل شرف الدين ممثلة في الأمير محمد بن عبدالله الشويع الحمزي المعاضد لبقايا المماليك الذي خرجوا من صنعاء يوم دخلها الإمام شرف الدين ، والإمام الناصر الحسن بن عزالدين السابق ذكره ، وقد دخل في

---

(1) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٩٣ ، ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، **خلاصـــة المتـــون** ، ج ٣ ص ٨٢ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٣١ ، ٣٣ ، شرف الدين، **روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح** ، تحقيق إبراهيم المقحفي ، مركز عبـادي للدراسـات والنـشر ، صـنعاء ، ٢٠٠٣م ، ط١ ، ص ٥٩ ، ٧٨ ، ٨١ ١٠٤ ، شرف الدين ، **الـسلوك الذهبيـة** ، ص ٨٧ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٣٣ ، ١٣٦ .

صراع معهم ، كانت كفته الراجحة دائماً فيه[١] ، كما واجه الإسماعيلية في همدان[٢] ، واستطاع أن يفتتح المُنَـقّب[٣] وقلعة طَيْبَة[٤] ، كما كان لابنه المطهر وقعات مع قبائل خولان سنة (٩٣٤هـ / ١٥٢٨م) ، بلغت شدته وقسوته معهم أن مَثّل بقتلاهم بتقطيع أوصالهم[٥] .

لم تصفُ الأيام للإمام المتوكل شرف الدين بعد ظهور القوات العثمانية على مسرح الأحداث في اليمن سنة (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) ، فقد وضعت حداً لتفرده بامتلاك القوة الأبرز في الساحة ، فانكمش وجوده ، وانحسرت سيطرته بانكفائه نحو مناطق الحصون والقلاع التي كانت منطلقه الأول ، وتفصيل ذلك يتجاوز الحدود الزمنية لدراستنا هذه .

---

(1) شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٣٤ ، ٣٦ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦٥٨ ، ٦٦٣ .

(2) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، شرف الدين ، **المصدر السابق** ، ص ٤١ ، ٤٢ ، ٤٥ ، شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ٧١ ، ٧٥ – ٧٨ ، شرف الدين ، **روح الروح** ، ص ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ .

(3) المُنَـقّب ، بلدة تقع على جانب جبل أسود أصم ذي ثقوب كثيرة ، من أهم معاقل الباطنية الإسماعيلية في منازل قبيلة همدان ، يقع في منتصف الطريق بين صنعاء وشبام كوكبان وثلا في الغرب منها ١٦٦١، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ٢ ص ١٦٦١ .

(4) طَـيْـبَة ، منطقة حصينة على الجبل الذي تقع على سفوحه قرية القابل ووادي ظهر من متنزهات مدينة صنعاء ، ويرتفع عليهما بنحو ألف متر ، كان اسمها قلعة الحجاز وأسماها الإمام شرف الدين بهذا الاسم في القرن العاشر ، وهي أشهر معاقل الباطنية الإسماعيلية بهمدان إطلاقاً ، ولها ذكر واسع في تاريخ اليمن لحصانتها ، وقد هدمت مراراً وأعيد بنائها ، الحجري، **بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٥٦٠، شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٤٥ ، المقحفي، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٩٦٨ .

(5) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦٧١ .

ثانياً : القوى الخارجية وأثرها على الأوضاع اليمنية

(١) النشاط البرتغالي في المحيط الهندي وأنشطته العدائية في المياه اليمنية:

كان بلوغ البرتغاليين رأس الرجاء واتخاذه طريقاً إلى مصادر التوابل في شبه القارة الهندية بمثابة البركان الهائل الذي قلب مجمل موازين القوى السياسية في المنطقة المطلة على المحيط ، كما وجه ضربةً قوية إلى كل من كان يمثل ذلك المحيط شريانَ اقتصادياتها الرئيس(١) .

ولسنا هنا بصدد تناول دوافع البرتغاليين إلى رفع وتيرة عدوانهم على كل القوى الاقتصادية والسياسية القائمة في المنطقة المذكورة ، وما يهمنا هو التركيز على مجريات أحداث ظهورهم ، لما له من تأثير – بصورة أو بأخرى – على الأوضاع في اليمن ، ولأن ذلك انعكس على الحياة العلمية تحديداً بأشكال مختلفة .

ولأن الأنشطة العدوانية البرتغالية التي واجهتها السواحل اليمنية لم تكن إلا ضمن منظومة أنشطتهم العامة التي بواسطتها امتلكوا زمام المبادرة في المحيط الهندي والبحار المفتوحة عليه فقد توجب علينا الحديث – بصورةٍ بعيدةٍ عن الإسهاب – عن أهم مجريات الأحداث التي قاموا بها في المنطقة .

كانت حملة فاسكو داجاما V.Dagama المنطلقة عام ١٤٩٧م هي أول المحاولات البرتغالية التي نجحت في الوصول إلى المحيط الهندي – عبر رأس الرجاء الصالح – إلا أنها فشلت في الاهتداء إلى الوجهة التي تُوصِلُها إلى السواحل الهندية ، لذلك كان مخطط تحرُكِها محصوراً في السير بمحاذاة الساحل الشرقي لقارة أفريقيا والرسو – ما أمكن – في الموانئ التجارية المزدهرة هناك ، وقد حصل هذا المستكشف على دليل عربيٍ مسلمٍ ماهر بالملاحة ، عارف بطريق الهند أيما معرفة ، يقال أنه

(١) غسان الرمال ، **صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر** ، ١٩٨٥م ، ص١٠٤ ، ١١٠ ، سعد زغلول عبدربه ، **البرتغاليون والبحر الأحمر** ، ضمن أبحاث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، من أبحاث الأسبوع العلمي الثالث (١٩٧٩م) ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠م ، القاهرة ، ص ٢٠٨ ، ٢١٣ ، عبدالرحيم عبدالرحمن ، **النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني** ، ضمن أبحاث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، من أبحاث الأسبوع العلمي الثالث (١٩٧٩م) ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠م ، القاهرة ، ص ٢٤٤ .

الملاح الشهير أحمد بن ماجد ، وقيل بل كان رجلاً من مسلمي الهند يُدعى (ماليمو كانا الكجراتي)[1] ، وأياً ما كان الأمر فقد رست سفن فاسكو داجاما V.Dagama في أهم موانئ الهند يومذاك وهو ميناء كاليكوت[2] في منتصف عام ١٤٩٨م ، وقابل حاكمها – الساموري – ومع أنه فشل في عقد أي اتفاق معه إلا أنه عاد إلى البرتغال محملاً بالكثير من المعلومات المشجعة و كميات كبيرة من المنتجات الهندية الثمينة[3] .

أغرت نتائج هذه الرحلة البرتغاليين ، فلم تعد رغبتهم محصورة في كشف الطريق البحري إلى الهند وتحقيق عدد من المكاسب الاقتصادية ، بل أصبح طموحهم شاملاً لاحتكار تجارة الشرق عموماً ، والسيطرة على مصادرها الأصلية ، وإقامة المراكز العسكرية على طول سواحل المحيط الهندي ، أي : إقامة أول حكومة

---

(1) والخلاف في شخصية هذا الملاح كبير ، انظر بشير كاظم ، **حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها** ، ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ١٩٨٧م ، ص ١٢٥ ؛ حسن شهاب ، **أضواء على تاريخ اليمن البحري** ، دار الفارابي ، بيروت ، لجنة نشر الكتاب اليمني ، عدن ، ١٩٧٧م ، ص ١٤٤، **ابن ماجد والملاحة في المحيط الهندي** ، سلسلة الملاحة العربية الفلكية ، رقم ٨ ، مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري برأس الخيمة ، (د ، ت) ، ص٤٣ – ٤٩ ؛ صبري الهيتي ، **الشيخ شهاب الدين أحمد بن ماجد** ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٩م ، ص ١٧ ؛ محمد السلمان ، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة من ١٥٠٧ – ١٥٢٥م** ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، العين ، ٢٠٠٤م ، ص ٤٢ – ٤٤ ؛ محمد ياسين الحموي ، **الملاح العربي أحمد بن ماجد** ، مكتب النشر العربي ، دمشق ، ١٩٤٧م ، ص ٧ وما بعدها ، النهروالي ، **البرق اليماني في الفتح العثماني** ، منشورات المدينة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦م ، ص ١٨ – ١٩ ، ، وقد أكد د. شوقي عبدالقوي عثمان بأ الهنود لم يخوضوا غمار الملاحة البحرية ، ولم ترد أسماء بحارين أو ملاحين هنود في الروايات التاريخية والجغرافية ، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٥١ ، يوليو ١٩٩٠م ، ص ٦٥ ، وهذا يدحض الرأي القائل بأن البحار المقصود هنا لم يكن عربياً .

(2) تسميه بعض المصادر (قاليقوط) ، يقع في الساحل الغربي للهند المسمى ملبار (أو مالابار) ، كانت قلب التجارة البحرية الأسيوية ففيها كانت تجري مقايضة بضائع الشرق الأقصى وجنوب شرقي آسيا ببضائع أفريقيا وأوربا والشرقين الأدنى والأوسط ، كما كانت تمثل المركز الرئيسي لتجارة التوابل ، انظر أحمد شيبان ، **الوجود المملوكي في اليمن** ، دار الثقافة العربية ، الشارقة ، جامعة عدن ، ط ١ ،ص ٦٥.

(3) سيد مصطفى سالم ، **الفتح العثماني الأول لليمن** ، ص ٦٥ ، ٦٦ ، محمد السلمان ، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج** ، ص ٤٧ –٥٠.

استعمارية أوروبية في الشرق ، مستندين في ذلك إلى تفوقهم الحربي على كل القوى الاقتصادية والسياسية القائمة في المنطقة[١] .

توالت الانتصارات البرتغالية في المنطقة ، على الأصعدة الاقتصادية والعسكرية، وذلك بعد أن قاموا بحملة قرصنة كبيرة ، شملت معظم طرق التجارة البحرية النشطة من المحيط الهندي ، فأغرقوا كل سفينة عربية تصادفهم – بعد نهب محتوياتها طبعاً – وبسطوا نفوذهم على أهم الموانئ التجارية بالهند بالقسوة والعنف والتدمير[٢] ، فقد أوكل فاسكو داجاما V.Dagama سنة (٩٠٨هـ / ١٥٠٣م) إلى فسنت سودري Vicente Sodre وهو أحد ضباط حملته الثانية – التي قادها نحو الهند قبل ذلك بعام – مَهَمَّةَ تعقب السفن العربية في المحيط الهندي ، فأدى ذلك إلى نضوب التوابل في الأسواق المصرية والشامية واليمنية ، وبالتالي فقدان هذه المناطق لقدرٍ كبيرٍ من عائداتها المعتادة[٣] .

كان الوجود البرتغالي حتى عام (٩١٠هـ / ١٥٠٥م) يُدار من على ظهور سفن أساطيلهم ، إذ لم يكن لهم يومها قلعةً حربيةً أو مركزاً ساحلياً ، فقرر ملكهم أمانويل الأول Emmannuel I تعيين أول نائبٍ له في الهند ، في بادرةٍ جعلت البرتغال أول قوةٍ أوروبية استعماريةٍ تشكل حكومةً لها في مناطق نفوذها خارج أراضيها الأصلية ، وهو المنوال الذي سارت عليه بقية القوى الاستعمارية اللاحقة فيما بعد ، وقد وقع اختيار الملك على القائد فرانسيسكو دي الميدا Fracncisco de Almeda ليكون أول نائب له ، وكانت مهمته الأولى تقتضي السعي لتأسيس القلاع والحصون الحربية التي ستحمي هذه السيطرة البرتغالية وترسخها ، كما أصدر أوامره

---

(1) سيد مصطفى سالم ، **الفتح العثماني الأول لليمن** ، ص ٦٦ ، محمد السلمان ، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج** ، ص ٥١ – ٥٣ .

(2) **المرجع السابق** ، ص ٥١ – ٥٣ ، سيد مصطفى سالم ، **المرجع السابق** ، ص ٦٩ .

(3) **المرجع السابق** ، ص ٧١ ، ٧٢ ، محمد السلمان ، **المرجع السابق** ، ص ٥٤ .

بإلزام كل السفن التي تجوب المحيط – ويغض النظر عن جنسياتها – بالحصول على تصاريح من حكومته مقابل مبالغ مالية حددها[1] .

لو عدنا إلى المدة التي جرت فيها هذه الأحداث فإننا سنجد السلطان الظافر الثاني عامر ابن عبدالوهاب الطاهري شديد الانشغال بصراعه مع بعض القوى المحلية، وفي مقدمتها الأئمة الزيدية ، فكان موقفه سلبياً جداً ، ولعله لم يدرك مدى خطورة ظهور هذه القوة الجديدة في المحيط الهندي ، أو لعله أدرك ذلك إلا أنه كان مدركاً لعجزه في مواجهتها بسبب عدم امتلاكه لأسطول بحري يمتلك الحد الأدنى من مقومات مواجهته للخصوم ، وقد بدأ موقفه منها يتحول إلى الإيجاب عندما لفت انتباهه الانحدار السريع والمفاجئ لعائدات ميناء عدن ، فقد حكى المؤرخ المعاصر ابن الديبع[2] أن حملةً بحرية قد جردت سنة (٩١٢هـ / ١٥٠٧م) لمحاربة البرتغاليين – وقد سماهم الإفرنج – وقوامها أربعة عشر مركباً تحمل ستمائة رجل يدخل فيهم المتطوعون من العلماء وطلابهم ، إلا أن الخبر انقطع ، ولم يبين المؤرخ لنا المصير الذي آل إليه أمر هذه الحملة ، كما لم نجد شاهداً آخر على أثرها في المصادر غير اليمنية .

وكان السلطان قانصوه الغوري أكثر إيجابيةً في التعامل مع الخطر البرتغالي ، بالرغم من أنه كان يعاني الكثير من الإشكالات الداخلية مع أمراء المماليك[3] ، فقد استجاب لإحساسه بمدى جدية هذا الخطر ، إضافةً إلى تلقيه نداءات الاستغاثة من بعض حكام الهند المسلمين ، ومن اليمن كذلك[4] ، فجرد حملةً إلى الهند سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م) لمواجهة البرتغاليين بقيادة الأمير حسين الكردي ، ورست الحملة في عدن

---

(1) **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج** ، ص ٥٦ ، يوسف بن علي الثقفي ، **موقف المماليك ودول الخليج العربي من النفوذ البرتغالي** ، ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ١٩٨٧م ، ص ١٤٨ .

(2) **بغية المستفيد** ، ص ٣٠١ .

(3) ابن إياس ، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، القاهرة ، ١٩٦١م ، ج ٤ ص ٥ – ٨ .

(4) محمد السلمان ، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج** ، ص ٦٨ ، د. محمد عبدالعال أحمد ، **البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه ، نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني بامخرمة كما سجلها في مخطوط قلادة النحر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، ١٩٨٠م ، ص ٨٩ ، النهروالي ، **البرق اليماني في الفتح العثماني** ، ص١٩ .

للتموين ، وكان موقف حاكمها مرجان الظافري مشرفاً من الحملة ، داعماً إياها[1] ، وواصلت الحملة طريقها إلى الهند حيث اشتبكت مع أسطول نائب الملك البرتغالي في معركة بالقرب من ميناء هندي يسمى (شيول) وكان النصر فيها حليفاً للمماليك وحلفائهم من الأمراء الهنود ، وذلك في سنة (٩١٣هـ / ١٥٠٨م) ، غير أن البرتغاليين سارعوا في تجهيز أسطولهم بما ساعدهم على هزيمة الحملة المملوكية عند ميناء (الديو) الهندي في السنة التالية مباشرةً ، وعاد الأمير حسين الكردي مهزوماً إلى مصر[2] .

وقد أصبح الخطر البرتغالي محدقاً بالسواحل اليمنية عندما غدا القائد البرتغالي أفونسو دالبوكيرك Afonso Da Lbuquerque نائباً لملك البرتغال في حكومة الهند ، وذلك لأطماعه التوسعية الموجهة نحو سواحل البحرين العربي والأحمر ، وكذلك رغبته الصليبية الجامحة في الوصول إلى الأراضي المقدسة في الحجاز، وقد كانت أول أنشطته بهذا الصدد قيامه سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) باحتلال جزيرة سقطرة اليمنية[3] بعد أن استمات حاكمها في الدفاع عنها ، فاستشهد ومعه ٢١٧ رجلاً من أتباعه ، بيد أن

٦٨٥

---

(1) ابن الديبع، **بغية المستفيد** ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، عبدالعظيم خطاب ، **قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية** ، ص ٢٠٤.

(2) الثقفي ، **موقف المماليك ودول الخليج العربي من النفوذ البرتغالي** ، ص ١٥٠ ، د. أحمد دراج ، **المماليك والفرنج** ، دار الفكر العربي ، ١٩٦١م ، ص ١٣٧ ، سيد مصطفى سالم ، **الفتح العثماني الأول لليمن** ، ص ٧٨ ، ٧٩ ، محمود سليم ، **الأشرف قانصوه الغوري** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (د ، ت) ، ص ١١٥ ، ١١٦ ، محمد السلمان ، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج** ، ص ٦٨ – ٧٦ ، النهروالي ، **البرق اليماني في الفتح العثماني** ، ص١٩ .

(3) وتنطق أحياناً سَقَطْرى – بالألف المقصورة – جزيرة يمنية كبيرة تقع ما بين المحيط الهندي وبحر العرب ، تبعد حوالي ٨٥٠ كيلومتراً عن شاطئ عدن ، و٥٠٠ كيلومتراً عن المُكَلاّ بحضرموت ، و٣٥٠ كيلومتراً عن المَهَرَة ، ومساحتها ٣١٠٠ كيلومتراً مربعاً ، وكثافة سكانها ضئيلة جداً ، يغطي معظم سطحها الجبال الشاهقة التي تتخللها بعض الأودية ، ولكنها آية في الجمال وتنوع الحياة الحيوانية والنباتية فيها ، لذلك هي اليوم إحدى المحميات البيئية باليمن ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ١ ص ٧٩٧ – ٧٩٩ .

البرتغاليين أدركوا لاحقاً عدم جدوى الجزيرة في تحقيق هدفهم في التحكم بالسواحل العربية والأفريقية منها[١] .

كان وضع اليد البرتغالية على عدن هي الخطوة التالية لأفونسو دالبوكيرك Afonso Da Lbuquerque وإن كـان بينها وبين الخطـوة الأولى فـارق زمني لا بـأس به ، ففي مطلع سـنة (٩١٩هـ / ١٥١٣م) ظهرت عشرون سفينة برتغالية على شواطئ اليمن المطلة على البحر العربي، وأخذت طريقها حتى توقفت قبالة ميناء عدن ، وكانت خطة حاكمها الطاهري مرجان الظافري[٢] تتمثل في إغلاق أبواب المدينة وعدم المبادرة بأي عمل دفاعي ما لم يبدأه البرتغاليون بالهجوم ، ولم يتردد البرتغاليون في نصب سلالم اقتحم عدد كبير منهم بواسطتها الأسوار ، ونفذوا إلى داخل المدينة ، وقد كان تعاضد أهالي عدن مع حاكمها ، إضافةً إلى وقوف السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب وراءهم بإمداداته ، والاستبسال الكبير الذي أبداه الجميع في الدفاع عن المدينة ، كان ذلك كله كفيلاً باستحقاق النصر على البرتغاليين ، وكافياً لرد أفونسو دالبوكيرك Afonso Da Lbuquerque على أعقابه مهزوماً[٣] .

لم تَفُتّ هذه الهزيمة في عضد القائد البرتغالي ، بل تجاوزها إلى المحطة التالية من خطته وهي التوغل في البحر الأحمر ومحاولة بلوغ الأراضي المقدسة ، لذلك عبر

---

(1) الثقفي ، **موقف المماليك ودول الخليج العربي من النفوذ البرتغالي** ، ص ١٤٨ ، أحمد شيبان ، **الوجـود المملوكي في اليمن** ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، بافقيـه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، تحقيـق عبـدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٩٩٩م ، ص ٨٢ ، بامطرف، **الشهداء السبعة** ، ص ٤٦
Miles, S. B. The countries and Tribes of Persian Gulf, 2nd Ed, London, 1966, p 124- 158; **Serjeant, R.B.,** The Portuguese off the South Arabian Coast, London, 1963, p46-158; **Sousa, M. F.,** The History of the Discovery and Conquest of India, Translated from German by John Stevens, 2nd Ed, W. Germany, 1971, vol 1, p 118 .

(2) الطاهري : نسبةً إلى الدولة الطاهرية التي يقوم بحكم عدن باسمها ، والظافري : نـسبةً إلـى الـسلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب آخر حكام الدولة الطاهرية الذي سبق تناولنا له ؛ لأنه كان أحد مواليه.

(3) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٥٧ ، ٤٥٨، **الفضل المزيد**، ص ٣٤٥ ، غسان الرمال ، **صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر** ، ص ١٣٣ ، ١٣٥ ، بافقيـه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشـر** ، ص ١٠٢ ، د. محمد عبدالعال أحمد ، **البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليـه** ، ص ١١١ – ١١٩ ، بـامطرف ، **الـشهداء الـسبعة** ، ص ٥١ ، ٥٣ ، **Serjeant, R.B.,** The Portuguese off the South Arabian Coast, p46 .

مضيق باب المندب وجاس خلال الجزء الجنوبي للبحر الأحمر دون رادع حتى رستْ سفنه في جزيرة كَمَرَان في السنة نفسها (٩١٩هـ / ١٥١٣م)[١] ، وتقدم بعدها نحو جدة التي كان السلطان قانصوة الغوري قد أمر بتحصينها منذ أن بلغته أنباء عبور السفن البرتغالية لباب المندب ، وكان هدف أفونسو دالبوكيرك Afonso Da Lbuquerque من السيطرة على جدة محصوراً في اتخاذها منفذاً بحرياً له يصل من خلاله إلى المدينة المنورة لينبش قبر النبي ﷺ[٢] ، إلا أن عاصفةً شديدة ردته على أعقابه إلى كَمَرَان ، ليقضي بها شهرين آخرين ، يعود على إثرها إلى عدن في أغسطس (١٥١٣م / ٩١٩هـ) ، وهناك قام بمحاولته الأخيرة للاستيلاء عليها ، فأفشله يقظة أهلها وترصدهم لرجاله ، مما أدى إلى يأسه وعودته النهائية إلى الهند[٣].

وقد تتبع أحد المؤرخين المعاصرين[٤] – من خلال ما توافر لديه من النصوص البرتغالية التي لم أهتدِ أنا إلى مكانها وغيرها من المصادر العربية – أخبار الحملات البرتغالية التالية على عدن فوجدها خمساً ، كلها جاءت محاولةً لرد الاعتبار للقوة البحرية البرتغالية التي فشلت فشلاً ذريعاً في محاولتيها السابقتين ، إلا أن هذه المحاولات الخمس – وإن حققت مكاسب آنية – لم تكرس إلا حالة اليأس والقنوط لدى البرتغاليين ، فأدى ذلك – إضافةً إلى سماعهم بظهور القوة العثمانية على مسرح الأحداث – إلى إضرابهم عن مجرد التفكير في تكرار المحاولة .

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٥٨، **الفضل المزيد**، ص ٣٤٥ ، د. محمد عبدالعال أحمد ، **البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه** ، ص ١٢٢ .

(2) غسان الرمال ، **صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر** ، ص٩٨ ، ٩٩ ، فالح حنظل ، **الأطماع البرتغالية في المقدسات الإسلامية** ، ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، ١٩٨٧م ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، جمال قاسم ، **الصراعات المحلية والدولية في البحر الأحمر** ، ضمن أبحاث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، من أبحاث الأسبوع العلمي الثالث (١٩٧٩م) ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠م ، القاهرة ، ص ٢٣٠.

(3) دراج ، **المماليك والفرنج** ، ص ١٥٥ ، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٥٨ ، **الفضل المزيد**، ص ٣٤٧ ، سيد مصطفى سالم ، **الفتح العثماني الأول لليمن** ، ص ٨٨ ، ٩٠ ، محمد السلمان ، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج** ، ص ٢٦٨ – ٢٧٢ .

(4) محمد السلمان ، **المرجع السابق** ، ص ٢٧٢ – ٢٧٨ ، وقد عددها شهاب ، **أضواء على تاريخ اليمن البحري** ، ١٤٦ – ١٥٦ .

(٢) دخول جيوش المماليك الجراكسة اليمن وعلاقاتها مع القوى اليمنية:

لم تكن اليمن ومصر والقوى السياسية والعسكرية الفاعلة فيهما بمنأى عن الأحداث الدائرة في المحيط الهندي لما له من أهمية قصوى بالنسبة إليهما كما أشرنا ، وكان لموقع اليمن الجغرافي المتوسط بين المجالين الحيويين للمماليك من جهة والبرتغاليين من جهة أخرى دوره في إجبار اليمنيين على التأثير والتأثر بمجمل ما يدور في المنطقة حتى لو افترضنا – جدلاً – وجود الرغبة لديهم في السكون وعدم الولوج في حلبة الصراع ، إذ أنه من المستحيل أن يقوم المماليك بأي نشاط عسكري مضاد للبرتغاليين في المحيط الهندي والبحر الأحمر دون الدعم المعنوي والعيني للسلطات القائمة في اليمن ، كما أن الاستحالة قائمة في وجه البرتغاليين إذا ما عزموا على سد البوابة الجنوبية للبحر الأحمر في وجه التجار المصريين والشاميين وبعض الأفارقة ، وكذلك الوصول إلى تحقيق الشق الصليبي من أهداف حملاتهم ببلوغ الأراضي المقدسة بالحجاز ، الاستحالة قائمةً في وجههم إذا لم يؤكدوا سيطرتهم على الموانئ اليمنية المهمة وجزرها الكبيرة سواءً في البحرين العربي أو الأحمر ، أي : إن اليمن كانت نقطة الارتكاز الجغرافية في أحداث هذه المرحلة من تاريخ المنطقة .

ومن الواضح بجلاء أنه لم يكن هناك ثمة مطامع مملوكية في اليمن ، سواءً قبل هذه المرحلة المصيرية من تاريخ المنطقة أو قبلها ، وكان هذا الأمر – من خلال اضطراد المسيرة التاريخية للعلاقات الودية القائمة بين القوى والدول الحاكمة في المنطقتين – راسخاً لدى الجميع، فلم نشهد مؤشرات لانعدام الثقة أو حلول الشك على هذه العلاقات ، وهو ما تعكسه الهدايا المتبادلة بين العروش الحاكمة ، وما استغاثة الطاهريين بالسلطان قانصوة الغوري ضد القرصنة البرتغالية ثم الموقف المشرف لحاكم عدن – مرجان الظافري – من الحملة المملوكية الأولى التي قادها الأمير حسين الكردي إلى الهند سنة (٩١١هـ / ١٥٠٥م) – كما سبقت الإشارة إليه – إلا أدلةً إضافيةً على صفاء العلاقات الثنائية بين الطرفين الطاهـري والمملوكي عصـرئذ[1] .

بَيْدَ أن سوء الفهم الذي صاحب مسير الحملة المملوكية الثانية سنة (٩٢١هـ / ١٥١٥م) يُعدُ استثناءً في علاقة اليمن بمصر سياسياً ، فقد وصلت الحملة المكونة من حوالي عشرين سفينة – محملةً بما يقرب من ستة آلاف جندي معهم كثير من مؤنهم

---

[1] عبدالعظيم خطاب ، قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية ، ص ٢٠٤ .

الحربية والحياتية اللازمة – إلى جزيرة كَمَرَان، " وكان هدفها النهائي هو الهند وتأمين التحصينات العسكرية في البحر الأحمر وطرق الهند ضد الأسطول البرتغالي ، وخوفاً من معاودة البرتغاليين الهجوم على البحر الأحمر وجدة على شاكلة ما فعلوا عام (٩١٩هـ / ١٥١٣م) "[١] .

ما أن سمع الإمام الزيدي المتوكل شرف الدين بنزول الحملة في جزيرة كمران حتى حاول استمالة أميرها – حسين الكردي – وإقحامه في الصرع الدائر بينه وبين السلطان الظافر الثاني عامر الطاهري ، فأرسل إليه رسالة – قد سبق تناولها – فأرجأ الأمير الرد عليه لأنه لم يضع في حساباته أن يُخْرِجَ الحملةَ عما جُرِّدَتْ من أجله ، ولعله لم يؤجل الرد عليه إلا تحسباً للظنون التي تمكن الإمام شرف الدين من إثارتها عنده بخصوص السلطان الطاهري[٢] .

بعث الأمير الكردي برسالته الثانية إلى السلطان الظافر عامر – مشفوعةً بهدايا جليلة من السلطان الغوري – يستعجله في إرسال ما يحتاجه جند الحملة من الزاد وغيره ، فاستشار السلطان بطانته فاختلفوا ما بين مؤيدٍ ومعارضٍ ، وكانت حجة المعارضين أن دعوى خروج الحملة إلى الهند وجهاد البرتغاليين ما هي إلا ستاراً لبسط النفوذ على اليمن ، وأن هذه المساعدة إذا ما بُذِلَتْ فإنها ستصبح حقاً مكتسباً يصعب رفض بذلها لاحقاً ، وقد مال السلطان الظافر الثاني إلى هذا الرأي ، فأغلظ الرد لمبعوثي الأمير الكردي ، وأرسل إلى ابنه عبدالوهاب – حاكم زبيد – بمنع السفن من

---

(1) محمد السلمان ، **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج** ، ص ٢٨٢ ، محمود سليم، **الأشرف قانصوه الغوري** ، ص ١١٨.

(2) يبدو أن البطانة السيئة كان لها الدور الكبير في إيغار صدر السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري على الحملة التي بلغته أخبارها عندما وصلت إلى جازان ، فقد أرسل أميرها رسولاً منه إليه يخبره ببلوغ الحملة جازان ، وأن وجهتها الهند بغرض جهاد البرتغاليين ، ويستحثه إلى بعث معونته المالية والعينية ، انظر شهاب ، **أضواء على تاريخ اليمن البحري** ، ١٤٧ ، شرف الدين ، **اليمن عبر التاريخ** ، ط ٥ ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، ١٩٩٠م ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ويحكي المؤرخ بافقيه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، ص ١٠٦ : أن السلطان انزعج للخبر وأعرض عن الجواب ، وإذا أخذنا بهذه المعلومة فإنها ستكون التفسير القوي لإرجاء الأمير حسين الكردي الرد على الإمام شرف الدين، وكأنه لم يكن قد استوثق بعدُ من موقف البلاط الطاهري من حملته .

التوجه في البحر الأحمر نحو الشمال[1] ، قاصداً بذلك حرمان الحملة من مصادر غذائها ، فصدقت الظنون التي كان الإمام شرف الدين قد أثارها لدى الأمير حسين الكردي ، فرد عليه رداً يعرب له عن تضامنه معه .

في مثل هذا الوضع أصبح استمرار الحملة المملوكية في مواصلة طريقها بالغ الصعوبة ، خاصةً أن المسافة المتبقية بينها وبين وجهتها النهائية مازالت بعيدة جداً ، وأنها إذا كانت غير قادرة على الحصول على ما يكفيها من المؤن وهي مازالت في النطاق الحيوي لها فإنها ستكون أعجز في مواجهة قوة عظمى بحجم البرتغاليين وإمكاناتهم ، ولعل الأمير حسين الكردي رأى في موقف الطاهريين هذا ممالأةً للبرتغاليين ووقوفاً إلى صفهم[2] ، فوجد نفسه مضطراً إلى معاقبتهم ، ولما كنا على علم بمدى قوة شخصية السلطان قانصوه الغوري فأننا ندرك أن تغيير مسار الحملة – كما سنراه – كان عن مشورةٍ منه ، وليس محض اجتهاد شخصي من قائد الحملة .

تحولت الحملة بقوامها كاملاً إلى السواحل اليمنية ، وتقاطرت القوى المعارضة للحكم الطاهري، من القبائل وغيرهم ، إلى الأمير الكردي باذلين له المساعدة والعون ، مقدمين أنفسهم جنوداً في حملته ، فصعب ذلك الأمر على الطاهريين[3] ، الذين انهزموا أمام المماليك في أول اختبار لهم أمامهم ، فوقعت زبيد تحت السيطـــرة المملوكية ، وذلك سنة (٩٢٢هــ / ١٥١٦م) ، وسقط الأمير عبدالوهاب بن السلطان الظافر الثاني جريحاً ليموت بعدها بأيام في تعز ، وكان لبنادق المماليك الحديثة التي لم يعهدها اليمنيون دور الفصل في هذه المعارك[4] .

---

(1) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٦٠ ، **الفضل المزيد**، ص ٣٥٨ ، بافقيـــه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، عبدالعظيم خطاب ، **قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية** ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(2) وكان الإمام شرف الدين – في رسالته إلى الأمير الكردي وهو بكمران – قد ألصق بالسلطان الطـــاهري هذه التهمة ، يُنظر نص الرسالة في المصادر المشار إليها في حديثنا عن الإمام شرف الدين .

(3) بافقيـــه ، **المصدر السابق** ، ص ١١٤ ، يحيى بن الحسين ، **المصدر السابق** ، ص ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ابـــن الديبع، **المصدر السابق** ، ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، **الفضل المزيد**، ص ٣٦١ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٣٦١ ، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٦٤ ، النهروالي ، **البرق اليماني في الفتح العثماني** ، ص ٢١ .

ظهر الأمير بربساي في مقدمة الحملة المملوكية في هذه المدة ، وغاب الأمير حسين الكردي ، وتتابعت هزائم الطاهريين على يديه ، بما فيهم السلطان الظافر الثاني نفسه الذي خسر أول معركة يقودها أمامهم سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) في منطقة التُرَيْبَة[١] ، فانسحب إلى مدينة تعز ، ثم غادرها إلى إبّ أمام زحفهم ، فأقاموا الخطبة للسلطان الغوري على منابرها[٢] .

واصلت القوات المملوكية تقدمها حتى دخلت المقرانة - مركز الحكم الطاهري، وتقهقر السلطان الظافر عامر الثاني حتى وقعت بين الطرفين المعركة الفاصلة عند أسوار صنعاء في ربيع الآخر من سنة ٩٢٣هـ الموافق مايو ١٥١٧م ، وانجلت المعركة عن مقتل السلطان الطاهري وأخيه عبدالملك[٣] ، وبذلك استحكمت قبضة المماليك على أهم المناطق في اليمن ، في تهامة والجبال ، ولم تستعصِ عليهم من المناطق التي قصدوها سوى عدن .

وقد سبقت الإشارة إلى علاقة المماليك بالزيدية ممثلةً بالإمام شرف الدين ، وأن الصراع قد احتدم بينهما على صنعاء ، بعد أن حاصروه في ثِـلا وحالوا القضاء عليه.

ولما سقطت مصر في أيدي العثمانيين في السنة نفسها أعلن المماليك في صنعاء ولاءهم للقوة الجديدة ، وتم تعيين إسكندر المخضرم - الذي تلى بربساي في قيادة المماليك باليمن - والياً عثمانياً على اليمن[٤] ، ولم يكن موقف الأمير إسكندر محل

---

(1) تصغير تربة ، قرية كبيرة إلى الجنوب الشرقي من مدينة زبيد ، وليست بعيدة عنها ، وهي اليوم إحـدى مراكز مديرية زبيد الإدارية بمحافظة الحديدة ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنيـة** ، ج ١ ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(2) أحمد شبيان ، **الوجود المملوكي في اليمن** ، ص ١٦٥ ، بافقيـه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، ص ١٢٥ ، النهروالي ، **البرق اليماني في الفتح العثماني** ، ص ٢٩ ، ابن الـديبع، **قـرة العيـون**، ص ٤٦٨، **الفضل المزيد**، ص ٣٦٩ ،.

(3) **المصدر السابق** ، ص ٣٧٠ ، ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، يحيى بن الحسين ، **غايـة الأماني** ، ص ٦٥١ ، شرف الدين ، **اليمن عبر التاريخ** ، ص ٢٣٥

Smith, G. Rex, The Tahirid Sultan of the Yemen, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997, p141.

(4) عبدالعظيم خطاب ، **قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية** ، ص ٢١٧ ، أحمـد شـبيان ، **الوجـود المملوكي في اليمن** ، ص ١٧٣ ، الموزعي ، **الإحسان في دخول اليمن تحت ظل آل عثمـان** ، تحقيـق

اتفاق جميع المماليك ، فوقع الخلاف بينهم ، فغادر الأمير إسكندر صنعاء متجهاً إلى زبيد ، حيث هاجمته القبائل اليمانية في أكثر من موضع ، فخسر معظم رجاله ، وكل ذخائر الأموال ونفائسها التي غنمها المماليك طيلة معاركهم ، ولم يصل إلى زبيد إلا بشقة كبيرة ، وسقطت صنعاء في يدي الإمام شرف الدين كما عرفنا سابقاً .

انكفأ معظم المماليك على أنفسهم في زبيد تحت قيادة إسكندر المخضرم ، وبدأ وجودهم في الاضمحلال تدريجياً حتى انعدم في منتصف القرن العاشر بظهور العثمانيين على الساحة منذ أغسطس سنة ١٥٣٨م وحلول قوتهم محل كل معظم القوى اليمنية تقريباً .

(٣) ظهور العثمانيين على الساحة اليمنية :

من عجيب تدابير الأقدار أن نرى كيف قضى العثمانيون على دولة المماليك في مصر وقتلوا آخر سلطانين من حكامها في الوقت الذي تقوم فيه الجيوش المملوكية بالقضاء على الدولة الطاهرية في اليمن وقتل آخر سلاطينها ، أي في سنة (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) ، وكانت مهمة القضاء على النفوذ البرتغالي في المحيط الهندي والبحار العربية المفتوحة عليه والوقوف في وجههم إزاء محاولة الوصول إلى الأراضي المقدسة ونبش قبر النبي ﷺ ، كانت هذه المهمة من أهم ما ترتب على بسط العثمانيين سيطرتهم على مصر ؛ لأنها هي المهمة التي كان السلطان قانصوه الغوري يبذل قصارى جهده وإمكاناته لتحقيقها كما أشرنا آنفاً ، وقد أعطى تحالف البرتغاليين مع الشيعة الصفويين – الأعداء التقليديين للعثمانيين – دافعاً إضافياً كبيراً لجعل المواجهة حتمية وواردة لا محالة[1] .

ومع خطورة هذه المهمة ومدى الحاجة إليها إلا أن العثمانيين لم يتخذوا خطوات جادة في طريق إنجازها فور وقوع مصر في قبضتهم ، فقد تأخرت هذه الخطوة حتى

عبدالله الحبشي ، منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد بالجمهورية العربية اليمنية ، (د ، ت) ، ص ٢٢، ٢٣ ، النهروالي ، البرق اليماني في الفتح العثماني ، ص ٣٣ .

[1] د. فاروق أباظة ، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٧م ، ص ٤٩ ، الحكم العثماني في اليمن ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م ، ص ٢٠ ، ٢١.

سنة (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) أي حوالي اثنتين وعشرين سنة ، ويُعزى ذلك إلى الاتساع الكبير الذي كانت الدولة العثمانية قد بلغته ، وانشغالها بنشاطها العسكري الكبير في القارة الأوربية وغيرها[١] .

كان النفوذ العثماني قد بلغ اليمن سليماً من خلال إعلان القيادات المملوكية هناك الطاعة للعثمانيين وبذل الولاء لهم ، فكان هذا النفوذ إسمياً ومحصوراً في الدعاء للسلطان ومجاملة رموز الإدارة العثمانية في مصر ، وقد شابها بعض صور الصراع والتصفيات الجسدية بين القادة المتنافسين على النفوذ هناك[٢] ، ودارت معظم هذه الأحداث في المناطق الساحلية المحاذية للبحر الأحمر ، أما بقية مناطق اليمن الداخلية فقد بسط الإمام المتوكل شرف الدين سيطرته عليها ما عدا عدن التي كان – وحدها تقريباً – مازالت تحت سيطرة آخر الأمراء الطاهريين[٣] .

وكان من البديهي أن اضطلاع العثمانيين بمهمة مواجهة الخطر البرتغالي يحتم عليهم التفكير الجدي بإدخال اليمن ضمن سلطتهم الفعلية ، فهي بحكم موقعها الممتاز وإشرافها على مضيق باب المندب ستحقق لهم الأهداف التي أشرنا إليها ، إضافةً إلى أنها ستعتبر خط الدفاع الأول عن الإمبراطورية العثمانية من ناحية الجنوب[٤] .

قام الوالي العثماني في مصر سلمان باشا الخادم بتنفيذ رغبة السلطان سليمان القانوني وتطبيق أوامره بإرسال حملة بحرية كبيرة إلى السواحل اليمنية والهند بقيادته

---

[1] د. فاروق أباظة ، **الحكم العثماني في اليمن** ، نفس الصفحة ، سيد مصطفى سالم ، **الفتح العثماني الأول لليمن** ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

[2] لمعرفة تفاصيل هذه الأحداث انظر النهروالي ، **البرق اليماني في الفتح العثماني** ، ص ٣٢ وما بعدها ، د. محمد السبيطلي، **الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث** ، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ط ٢ ، ٢٠٠٢م ، ص ٤٠.

[3] د. حسين العمري ، **تاريخ اليمن الحديث والمعاصر**، دار الفكر ، دمشق ، ودار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ص ١٢ .

[4] د. فاروق أباظة ، **عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر** ، ص ٤٩ ، د. قصي كامل شبيب ، **أهمية مضيق باب المندب في التاريخ الحديث والمعاصر** ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ط ١، ١٩٩٤م ، ص ٤٣ ، د. إبراهيم خليل أحمد ، **مراحل الاحتلال العثماني المبكر لليمن الكبرى وردود الفعل الوطنية إزاء ذلك** ، أحد أبحاث ندوة " اليمن عبر التاريخ " عدن ، ١٩٨٩م ، ص ٨٢ .

سنة (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م)[1] ، فيمم وجهه شطر عدن متوجهاً إليها لاحتلالها ، ولما خرج أميرها عامر بن داود الطاهري للترحيب به ومقابلته على إحدى سفنه قام بالغدر به ، إذ أمر بشنقه وعدد من رجاله على صواري السفينة ، فرسم بذلك انطباعاً سيئاً عن العثمانيين في مخيلة اليمنيين جميعاً بما فيهم أعداء الطاهريين أنفسهم[2] .

ومنذ العام (٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م) بدأت اليمن تذعن للدولة العثمانية شيئاً فشيئاً حتى حلت محل جميع قواه المحلية , وإن كان أئمة الزيدية لم يقض عليهم بل انزووا لفترة من الزمن ثم عاودوا نشاطهم ضد القوة العثمانية المخالفة لهم في المذهب والمصالح ، لتدخل اليمن بذلك حقبةً جديدة من تاريخها ، تغيرت فيه كثير من ملامح حياتها الاجتماعية والسياسية والعلمية .

---

(1) ابن داعر ، **الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية** ، صورة بمكتبتي عن نسخة بخط المؤلف في مكتبة القاضي محمد علي الأكوع ، صنعاء ، ج ١ ، ص ١٦٥ ، د. عبدالوهاب القيسي ، **المجابهة البرتغالية العثمانية في المياه العربية** ، ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ١٩٨٧م ، ص١٧٠ ، د. إبراهيم خليل أحمد ، **مراحل الاحتلال العثماني المبكر لليمن الكبرى**، ص ٨٥ .

(2) بافقيه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، ص ٢٥٣ ، د. حسين العمري ، **تاريخ اليمن الحديث والمعاصر** ، ص ١٣ ، حسن شهاب ، **عدن فرضة اليمن** ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، د. عبدالحميد البطريق ، **من تاريخ اليمن الحديث** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ٢٥ ، أما الموزعي فإنه يعزو هذه الحادثة إلى مساعي الإمام شرف الدين وولده المطهر لدى سليمان باشا الخادم بأن الأمير عامر مداهن للبرتغاليين ، **الإحسان في دخول اليمن تحت ظل آل عثمان** ، ص ٢٥ ، د. محمد السبيطلي ، **الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث** ، ص ٤١ ، ٤٢ .

الفصل الثالث

أماكن التعليم والمراكز العلمية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

أولاً : أماكن التعليم

تمهيد :

انتشرت في اليمن العديد من أماكن التعليم المختلفة كتلك التي انتشرت في غيرها من الأقطار الإسلامية ، متحدةً معها في الدور الوظيفي وفي التسمية المصطلح عليها ، لذلك فإننا إذا ما قمنا باستعراض هذه الأماكن فإننا سوف نتحدث عن المساجد والكتاتيب (وإن أطلق عليها اليمنيون المِعْلامَة) والمدارس وغيرها ، مع مراعاة تميز اليمن عن تلك الأقطار بوجود شكل من أشكال أماكن التعليم التي لم توجد في غيرها ، وهي ما اصطلحوا عليه بـ (الهِجَر العلمية) .

وإذا كنت قد سبق أن أشرت بأن أماكن التعليم وساحات ممارسة الأنشطة العلمية في اليمن في مدة ما قبل الدراسة لم تكن محصورة بنمط معين من المباني ولا بتصميم محدد للأماكن ، وأنه لم يكن هناك ما يُملي المواصفات العامة المحددة لها إلا الإمكانات المادية المتوافرة للمؤسسين لها والمستفيدين من الخدمة التي تؤديها ، فإنني هنا أقول : إن المرحلة التاريخية التي نتناولها – وما يقرب من قرن من الزمان قبلها – قد اتضح فيها بجلاء وجود عدد من المرافق العمرانية التي لم تنشأ إلا بغرض التعليم فيها ، وذلك بعد أن اضطلعت بعض الجهات – من أشخاص أو قوى سياسية قائمة – بالقيام بشيئ من المسؤوليات التنموية والالتفات إلى الأدوار الخدمية للمجتمع اليمني[1] ، بما فيها تأسيس الأبنية التعليمية والقيام بتحمل تكاليف العاملين فيها ، ولسنا بصدد التعرض للأهداف التي سعت هذه الجهات لتحقيقها من وراء ذلك ، مع التأكيد أن الدافع الديني من السعي لاكتساب أجر الصدقة الجارية كان في واجهة هذه المآرب .

ولكنني أؤكد هنا على أن التطور الذي طرأ على شكل الأماكن المخصصة للتعليم وممارسة الأنشطة العلمية المختلفة لم يغير من وظيفتها ، أو يولد تسميات جديدة لها ، فأننا سنلاحظ أن المسميات التي كانت شائعة من قبل هي بعينها التي أطلقت على هذه الأماكن ، كما أؤكد – أيضاً – على أن التجديد في أشكال أماكن التعليم لم يشمل رقعة

---

[1] قد أستخدم هنا بعض المصطلحات المعاصرة (المسؤوليات التنموية) و (الأدوار الخدمية للمجتمع) متخطياً المدة التاريخية الطويلة بين المرحلة التي نتناولها والعصر الذي ظهرت فيه هذه المصطلحات فقط لكي أبين ما أرمي إليه .

اليمن الجغرافية كاملةً ، فنراه ينتشر في نطاقات معينة ، وينحسر عن أخـــرى ، تبعـــاً للنفوذ الذي تمتد إليه – أو تنحسر عنه – الجهات التي تقف وراء هذا التجديـــد ، فإننـــا وجدنا أن أماكن التعليم وساحات ممارسة الأنشطة العلمية في مساحات كبيرة من اليمن استمرت على ما هي عليه منذ القرن الهجري الخامس .

وقد كان الاهتمام بالتعليم وتقديم الخدمات لطلاب العلم وللعلماء المبرزين فـــي نشر العلم سمة العصر – كما كانت من قبل – وكانت ظاهرة تسابق الجهات إلى تيسير سبل رفع مستوى المعرفة ونشرها شائعةً ، وهو ما أدى إلى الازدهار العلمـــي الـــذي عاشته اليمن عصرئذٍ ، وما ميز اليمن عن كثير من الأقطار هو انتشار أماكن التعليم – بكثرة لافتة للنظر – في المراكز غير الحضرية بشكل يفوق انتـــشارها فـــي مراكـــز التحضر المجاورة لها ، وبالتالي كثرت الأنشطة التعليمية فيها أكثر من الأخرى .

ومما يسترعي الانتباه فعلاً في تاريخ اليمن الإسلامي أنه بالرغم من أن هذا البلد يُعد من أكثر أقطار دار الإسلام حروباً وصراعات في جميع مراحل تاريخه إلا أن هذه الصراعات لم يكن لها أثر مصيري على استمرار الحياة العلمية ، ولا أستبعد أن تشجيع العلم والعلماء وطلابهم كان في بعض الأحيان وسيلة من الوسائل التي استخدمتها بعض أطراف هذه الصراعات في سبيل كسب هذه الشريحة المهمة إلى جانبها لما يمثله ذلـــك من أهمية كبرى في حسم الصراع لصالح هذا الطرف أو ذاك ، فوقوف العلمـــاء فـــي صف أحد الأطراف المتنازعة – أو على الأقل مناصرتهم الدعائية له عند شعب أنـــزل العلماء منزلة تفوق كل تصور – كفيل برجحان كفته في موازين القوى المتصارعة .

هذا الأمر جلي وواضح من خلال عدم وجود إشارة في المـــصادر التاريخيـــة المتوافرة إلى قيام الزعامات المتحاربة بالاعتداء على الصروح والمؤسسات التعليميـــة التي تصادفهم في المناطق التي يتم استيلاؤهم عليها ، والحديث هنا يشمل علـــى حـــد سواء المؤسسات التي كانت ذات مهام تعليمية ثانوية – بجوار مهامها التعبدية الرئيسية – كالمساجد ، وتلك المؤسسات ذات المهام التعليمية المحضة كالمدارس وغيرها.

وفي تصوري أن حسابات كسب تأييد العلماء وطلابهـــم مـــن قبـــل الأطـــراف المتنازعة لم تكن وحدها التي قادت إلى حماية هذه الأماكن من تبعات الصراعات ، بل إن كون أغلب قيادات تلك القوى يتمتعون بقدر كبير من العلم والمعرفـــة كـــان كافيـــاً لقيامهم ببسط حمايتهم لها، فقد كان العدد الكبير منهم موصوفاً بالتشجيع لكل ما له صلة بالعلم وأهله ، وكان معظم هذه القيادات معدوداً في طبقات العلماء والفقهاء والمصنفين.

تبقى الإشارة إلى أمرٍ مراعاته بالغةُ الأهمية ، ذلك أن المؤسسة الواحدة من المؤسسات التعليمية المتعددة لم تنتشر في جميع مناطق اليمن كلها ، عدا المساجد والكتاتيب بالطبع ، فقد ازدهرت المدارس في مناطق معينة في حين أن مناطق شاسعة أخرى لم تعرفها إلا سماعاً ، وكذلك لم يكن للهجَر العلمية أي وجود في غير المناطق التي انتشر فيها المذهب الزيدي ، أما الزوايا والأربطة فلم تعرفها إلا المناطق التي عرفت التصوف ، وهي محدودة بالقياس إلى مساحة اليمن الكبيرة.

أولاً الكتاتيب أو المعلامات :

من نافلة القول أن أشير إلى أن المكتب هو بيت العلم الأساس ولبنته الأولى[١] ؛ فهو بحقٍ المصفاة التي يمر من خلالها من هو جدير باعتلاء مراتب العلم العليا ، فيه يتلقى الصبية أساسيات العلم كالقراءة والكتابة وأبجديات الحساب ، ومن العلم الشرعي القرآن الكريم ومبادئ العبادات اليومية ، ولكننا – وللأسف الشديد – لم نجد في المؤرخين من تصدى لتسجيل قدرٍ كافٍ من المعلومات عن مدى انتشار المعلامات ، ووصف النشاط القائم فيها ، إلا ما كان نتفاً بسيطة في ثنايا التراجم لعلماء اليمن وفقهائها وطلابهم ، أو عند الحديث عن الأعمال الخيرية العمرانية التي أنشئت عصرئذٍ، أو في سياق تناول اهتمام السلاطين بتعليم أبنائهم ، وقد وفرت لنا وثائق تأسيس المدارس العلمية في زمن الدراسة معلوماتٍ ذات أهمية كبيرة ، تتمثل في إشارتها إلى أن معلامات الأيتام كانت جزءاً لا يتجزأ من كل مدرسة أنشئت ، بل وحدد بعضها عدد الأيتام الذين تم اختيار معلمٍ مؤهلٍ لتعليمهم كما سنرى .

ومن المؤكد أن هذا الاهتمام الذي حظي به الأيتام لا يقل أبداً عن الاهتمام الذي حظي به الصبيان الذين لم يفقدوا آباءهم ، وإن كانت المصادر لم تسعفنا بذكر تفصيلاتٍ وإشاراتٍ إلى بعض صور ذلك الاهتمام إلا أنه مما لا شك فيه أن عدداً كبيراً جداً من المعلامات كانت قد شاعت وانتشرت على نطاق واسع في جميع مناطق اليمن ، فمن البديهي أن يحرص الآباء على تعليم أبنائهم الحدود الدنيا من العلوم اللازمة لضروريات حياتهم الدينية والدنيوية ، وكثيرون من مخرجات هذه المعلامات هم الذين مثلوا الطرف المتلقي بين أيدي العلماء والفقهاء في المدارس والمساجد والهجر العلمية .

---

(1) د. نجاح القيسي ، **المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي** ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٩ ، ١٩٨١م ، ص ١٧٧ .

ومن خلال الإشارات في المصادر المتوافرة إلى هذا النوع من المرافق التعليمية نخلص إلى أن المعلامات أتت في ثلاثة أنواع : إما ملحقة بالمدارس ، وهي معلامات الأيتام ، أو معلاماتٍ عامةٍ ملحقةٍ بالمساجد ، ولعلها بالتحديد في أفنيتها، ونوعٍ آخر بعيدةٍ عن المساجد ، منفصلةً قائمةً بذاتها .

(١) المعلامات الملحقة بالمدارس (معلامات الأيتام) :

من أعظم صور التكافل الاجتماعي في ديننا الحنيف الاهتمام بالعاجز الضعيف، صغيراً كان أو كهلاً كبيراً ، وجعل التعاطي مع هذا الشان واجباً على المجتمع المسلم ، وبناءً على ذلك كان الأجر المترتب على القيام به كبيراً ، وكان في مقدمة أشكال الاهتمام بالضعيف القيام بأمر اليتيم ، والحث على رعايته ، والترغيب في كفالته ، إذ يقول الله عز وجل : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾﴾[١] ، ويتجلى وجوب الرفق باليتيم في قوله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾[٢] ، وكفى بمرافقة النبي ﷺ في الجنة ثواباً لكافل اليتيم لكي يتسابق الخيّرون على اكتسابه ، فقد ورد في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قوله : " **أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين ، وأشـــار بأصبعيه ، يعني السبابة والوسطى** "[٣] ، ومن هنا كانت – كما سبق أن أشرت – معلامة الأيتام في كل مدرسة أنشئت في هذه المدة من تاريخ اليمن ، وسنذكر فيما يلي عدداً منها كنماذج كافية للدلالة على وجود عدد كبيرٍ منها :

---

(1) سورة البقرة .

(2) سورة الضحى .

(3) البخاري ، ج ٥ ص ٢٢٣ ، رقم (٥٦٥٩) ، كتاب (الأدب) ، باب (فضل من يعـــول يتيمـــاً) ، مسلم، **صحيح مسلم** ، ج ٤ ص ٢٢٨٧ ، رقم (٢٩٨٣) ، باب (الإحـسان إلـــى الأرملـــة والمـسكين واليتيم).

- **معلامة المدرسة الأشرفية[١] الكبرى :**

أنشـأها سنة (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) السلطان الأشرف الثاني إسـماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) جنوب حصن تعز ، ورتب[٢] بها – من ضمن من عينهم – معلماً وخمسة عشر يتيماً يتعلمون القرآن على يديه ، ووقف عليها عدة من الكتب النفائس في كل فن ، ووقف عليها وعلى المرتبين فيها وقفاً جيداً يقوم بكفاياهم[٣] .

- **معلامة الأيتام في المدرسة الفرحانية[٤] :**

أنشأها سنة (٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) السلطان الرسولي الظاهر يحيى ابن الأشرف الثاني إسماعيل (ت ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) في زبيد – وتحديداً عند تربة الشيخ المتصوف طلحة بن عيسى الهتار – ويذكر ابن الديبع[٥] أنه : " رتب فيها إماماً وخطيباً وأيتاماً ومعلماً لهم ... ورتب ما يقوم بكفايتهم " .

- **معلامة الأيتام في المدرسة الظاهرية[٦] :**

أيضاً أنشأها سنة (٨٣٥هـ / ١٤٣١م) السلطان الرسولي الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل (ت ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) في تعز[٧] ، وقد أوردت الوثيقة – التي أوقف بموجبها السلطان الظاهر الأراضي عليها – كثيراً من المعلومات المفصلة عنها وعن المهام المناطة بطاقمها ، والتي تعد أنموذجاً عن وثائق الأوقاف المتعلقة بالمدارس في اليمن في العصر الإسلامي ، ومما جاء فيها : " ... وعلى معلمٍ سعلم القرآن الكريم في المدرسة المذكورة ... على مرور الأزمان إلا في الجُمَع والأعياد والأوقات التي

---

(1) نسبةً إلى مؤسسها وبانيها السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م).

(2) أصبح هذا اللفظ شائعاً أثناء الحديث عن تعيين أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم في المدارس في مدة الدراسة وما قبلها، وكذلك للإشارة إلى من تم اختيارهم للقيام بشؤون المدارس إدارياً وخدمياً ، فعندما يرد لفظ (رَتَّبَ) فالمقصود به (عَيَّنَ).

(3) الخزرجي، **العسجد المسبوك**، ص ٥٠٥ ، **العقود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ٢٦٠ ، **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأشرفية الكبرى ، ص ١٣ وما بعدها .

(4) نسبةً إلى أم الملوك جهة الطواشي جمال الدين فرحان ، أم السلطان الظاهر الرسولي يحيى بن الأشرف الثاني المتوفاة سنة (٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٠٩ .

(5) **بغية المستفيد** ، ص ١٠٩ .

(6) نسبةً إلى السلطان الظاهر يحيى بن الأشرف الثاني (ت ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) .

(7) **المصدر السابق** ، ص ١١٠ .

جرت عادة المتعلمين بالمدراس بالبطالة فيها ، أو لعذرٍ ظاهرٍ بشرط الاستنابة ... وعلى خمسة عشر يتيماً يتعلمون القرآن الكريم في المدرسة المذكورة ... "[١] .

(٢) المعلامات الملحقة بالمساجد :

بالرغم من أنه قد عُرِفَ أن بعض العلماء قد حذروا من إنشاء المكاتب – جمع كُتّاب – في المساجد ، وذلك بدافع الحرص على تنزيهها عما يحدثه الصبيان من تسويد الحيطان وتنجيس الأرض ، فهم – بطبعهم كأطفال – لا يتحرزون من البول وسائر النجاسات ، ورغبوا في إنشائها على صورة حوانيت في الدروب وأطراف الأسواق[٢]، على الرغم من ذلك إلا أن هناك في اليمن وغيرها من لم يأخذ بهذا التحذير أو ربما لم يبلغه ، فأقام مكاتب ومعلامات للأطفال – من أيتام وغيرهم – في المساجد .

لم نجد إشارات كثيرة عن المعلامات التي ألحقت بالمساجد في زمن الدراسة ، وأوضح إشارة إلى ذلك سبقت المدة التي نتناولها بسنوات قليلة لا تتجاوز العقدين – غالباً – وفي هذه الإشارات كلها ما يدل على أن المعلامات التي ألحقت بالمساجد هي أيضاً موقوفة على الأيتام ، وهذا يجعلني أقرر أن هذه المعلامات لم تنشأ إلا على غرار ما كان شائعاً بناؤه آنذاك من المعلامات العامة الخاصة بغير الأيتام في المجتمع ، فانتشار بنائها بالطريقة ذاتها يرسم الانطباع الراسخ بأن بناءها في المساجد كان معروفاً وغير معترضٍ عليه ، ومن هذه المعلامات :

- **معلامة بمسجد الأمير بهادر الأشرفي :**

أنشأه الأمير بهاء الدين بهادر الأشرفي (ت ٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) أحد مماليك السلطان الأشرف الثاني إسماعيل السابق ذكره ، وكان إنشاؤه عام (٧٨٥هـ / ١٣٨٣م) ، وقد ذكر الخزرجي[٣] أنه رتب فيه معلماً وأيتاماً يتعلمون القرآن الكريم .

---

(1) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٣٨ وما بعدها .

(2) الشيزري ، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، طبعة دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨١م ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن الأخوة ، **معالم القربة في أحكام الحسبة** ، تحقيق محمد محمود شعبان وآخر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦م ، ص ٢٦٠ ، سعود محمد العصفور ، **الحياة الثقافية في دمشق في عصر المماليك الجراكسة** ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ بكلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٩٥م ، ص ١٢٥ .

(3) **طراز أعلام الزمن في طبقات علماء اليمن** ، ق ٩٤ – ب ، **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن** ، نسخة المكتبة الغربية بالجامع الكبير ، صنعاء ، رقم ٤٣ (تراجم) ج ١، ق ٢١٥ – ب ، عبدالله العبادي : **الحياة العلمية في زبيد**، ص ١٦١ .

- **معلامة جامع المملاح :**

تم بناؤها مع الجامع سنة (٧٩١هـ / ١٣٨٨م) ، أسسه وشيده السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، وقد عدد الخزرجي[١] – وهو معاصر لأحداث هذه المدة – الوظائف التي حدد السلطان القائمين عليها في هذا المسجد ، وذكر من بينهم : " ومعلماً يعلم الأيتام القرآن ... " .

(٣) المعلامات المنفصلة عن المساجد والمدارس :

أما المعلامات المنفصلة والقائمة بذاتها فيبدو أنها كانت قليلة ونادرة ، وقد ورد ذكرها عند المؤلف المجهول[٢] المعاصر والقريب من البلاط الرسولي ، فقد ذكر أنه " دخل مولانا محمد بن الناصر في المعلامة نهار٢٤ من شهر جمادى الأولى سنة (٨١٨هـ / ١٤١٥م) ، وذلك في نخـل وادي زبيد " وهذا النص – على قصره – يعطينا إشارة إلى أن هناك (في نخل وادي زبيد) وجدت معلامة ، فهي منفصلة عن المسجد والمدرسة ، ويُستوحَى من هذا النص أن مثل هذه المعلامة كانت لأبناء الشرائح الاجتماعية الرفيعة كالسلاطين ، فالمقصود هنا هو الأمير محمد بن السلطان الناصر الرسولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ، وأرجح أن مثل النوع من المعلامات كان شائعاً في كثير من المناطق .

---

(1) **العقـود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ ، وذكرها ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٠٠ .

(2) **تاريخ الدولة الرسـولية في اليمن**، ص ١٧٥ ، وقد نظم الإمام إسماعيل المقرئ قـصيدةً يهنـئ أبـاء السلطان الناصر بمناسبة دخوله المعلامة (المكتب) يقول فيها :

أتم سرورٍ أن يـرى الوالـدُ الإبنـا	ينافسُ في الأعلى ويسمو عن الأدنا
وما كان حبُ الناصـرِ الملـكِ ابنَـه	محمدَ حباً عـن تـشهِّ بـلا معنـى
ولكن قـضت فيـه الفراسـةُ عنـده	بأن له من دونِ أبنـائـه شـأنـاً
فَيَهنَـا ابـنِ إسـماعيلَ أن محمـداً	تربـع فـي كُتّابِـه ضـاحكاً سـناً
إذا قال : بسم الله ، قالت لـه العـلا	عليك من الأسما وأسماءه الحسنى
ولما ابتدى يهجو الحروفَ تطاولـت	رقاب المعالي نحوه وصـغت أذنـاً
تعـوذه بـالله وهـو يخطهـا	ويحفظهـا لفظـاً ويفهمهـا معنـى
إذا خطها في اللوح لاحـتْ مخائـلٌ	بها عنه يثني عن قريب بمـا يُثنـا
ويعـترفُ المُهْـديْ له العـلمَ إنه	أرقُ وأصـفى مـن معلمـه ذهنـا

انظر القصيدة كاملة في **ديوان المقرئ**، ص ٢٣٣ .

والإشارة الثانية إلى مثل هذا النوع من المعلامات ما أورده المؤرخ زبارة[١] عند حديثه عن صبا الإمام الزيدي المنصور علي بن الناصر صلاح الدين (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، فقد ذكر أنه لما أدرك المكتب[٢] بعد أن حفظ القرآن الكريم وعدداً من المتون نقله والده إلى حصن ظفار الظاهر[٣]، فأرسل إليه الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير[٤] (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) أبياتٍ من الشعر يشجعه بها على الإقبال على التعلم وحفظ القرآن المتون بهذه الأبيات :

يا ابنَ الإمامِ ومَنْ أعزَّ بسيفِه	دينَ النبيِّ وشادَه وحماهُ
كن حيثما يهوى أبوكَ فإنه	يهواكَ أن تهوى الذي يهواهُ
وتغيَّبَ القرآن نقلاً ثابتاً	ولقد فعلتَ وذاكَ ما تهواهُ

---

(1) **أئمة اليمن** ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(2) يبدو أن هذه التسمية (المكتب) جاءت من قبل المؤلف نفسه الذي توفي في القرن الماضي (ت١٣٨٠هـ /١٩٦٠م)، فلم يعرف مصطلح المكتب آنذاك كما أوردته سابقاً ، والذي يقوي هذا الظن أن هذا النص لم يورده غيره من المؤرخين الزيدية السابقين الذين عاشوا في زمن الدراسة .

(3) أصبح اليوم حصناً أثرياً يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة ذي بين ، يبعد عن صنعاء بمسافة تبلغ ٨٥ كيلومتراً ، ولا ينبغي الوقوف – عند ذكر اسمه – عند لفظة (ظفار) وحدها ؛ لأنه مشتركٌ في هذا الاسم مع عدد آخر من حصون اليمن ، فيجب قرنه بما يميزه عن غيره ، ويأتي تمييزه بإضافته إلى (الظاهر) وهي المنطقة التي يقع في نطاقها ، كان – في آخر القرن السادس ومطلع السابع الهجريين – مركز حكم الإمام المنصور عبدالله بن حمزة (٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، وقد اشتهر هذا الحصن بكونه كان مركز علم شهير ، كان به مكتبةٌ مزدهرة وغنية بالكتب إلى القرون المتأخرة ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، الهَمْداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ص ٣١٩ .

(4) هو الإمام الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير ، الشقيق الأكبر للإمام الشهير والمجتهد الكبير محمد بن إبراهيم الوزير صاحب كتاب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) ، أحد أعلام الفكر الإسلامي في اليمن ، وأحد رموز الفكر الزيدي وعلمائه المتبحرين ، عالم مجتهد ، إمام في شتى العلوم ، رحل كثيراً في طلب العلم ، فمن مسقط رأسه بهجرة الظهراوين من بلاد شظب إلى صعدة ومكة وغيرهما، ساجل وراسل العلماء والأدباء والشعراء من أهل مذهبه ومن أهل السنة باليمن ، وكان بينه وبين إسماعيل المقرئ الشافعي الزبيدي مودة خاصة ، وبينهما مراسلات شعرية حواها ديوان المقرئ ، وكان – على عكس أخيه الإمام محمد – أكثر ميلاً لمذهب الزيدية والذود عنه ، وهو ما أدى إلى قيام المحاورات والمناظرات بينهما ، انظر ترجمته عند زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٢٩٩ ، ٦١ ، ٦٣ ، الوجيه، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٦٩ وما بعدها .

وخُـذِ الفـرائضَ أولاً بكمالِها   قبلَ البلوغِ وقبلَ طيبِ جناهُ

ثانياً المساجد:

عندما وصل النبي ﷺ إلى قباء على مشارف المدينة جعل بناء المسجد فـي صـدارة مهامه, ففي خمسة أيام هي التي قضاها هناك في ضيافة بني عوف بن عمـرو أسـس مسجدهم[1], وما إن نزل المدينة حتى شرع في بناء مسجده[2] مرسياً ذلك التقليد الـذي اتبعه أصحابه – ﷺ – من بعده في جَعْلِ المسجد نواةً لأي تجمع مسلم ناشـئ ، فهـو أول ما وُضِعَ أُسـاسه عند اختطـاط المدن الناشـئة عقب الفتح الإسـلامي لكـثير من الأمصار .

ولم يكن المسجد – على عهد النبي ﷺ – مكاناً لإقامة وأداء الشعائر التعبديـة فحسـب ، بل كان مركزاً للعبادة والقيادة والدفاع والتعليم وغيرها ، فهو بحق كان نواة دولة الإسلام الأولى و مركزها ، منه انطلقت الجيوش المجاهدة للمشركين الصادين عن سبيل الله ، وفيه عُقِدَتْ ألوية كتائب الفتح ، وفيه انتظمت دروس الإيمان والتقوى على مدار ما يقرب من أحد عشر عاماً ، فتخرج فيه حَمَلَةُ الإسلام إلى الآفاق من الـصحابة – رضوان الله عليهم .

وكانت المساجد على مر العصور منارةً للعلم ، ومثابةً للعلماء ، فـي سـاحاتها انعقدت حلقات الدروس وأقيمت المناظرات ، وتشقق المذاهب والآراء ، فكان ذلك أثره البعيد في تقدم العلوم والآداب والفنون ، وعلى منابرها وقف العلماء والخطباء والأئمـة والخلفاء ، وأُثِرَ عنهم القول بالعلم والنصح والتوجيه ، وهو ما تناقله الرواة وأودعـوه بطون الكتب والأسفار[3] .

ولم يقتصر الدور العلمي والتثقيفي للمسجد في ارتباطه بما سبق من الفعاليـات العلمية ، بل إن دوره العلمي والحضاري قد زاد خطورة بعد أن ألحقت به العديد مـن

---

(1) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، الرياض ، ط٢، ١٩٨٥م ، ص ٥٥.

(2) المصدر السابق ، ص ٥٥ ، ٥٦ .

(3) الزركشي ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي ، لجنة إحيـاء التـراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ط ٦ ، ٢٠٠٥م ، مقدمة المحقق ص ٣ .

معاهد العلم التي ابتدعها المسلمون مع الأيام بما تمليه عليهم الخبرة المتجـددة ، وبمـا تفرضه عليهم الحاجة القائمة ، فامتلأت ساحات المساجد بمجالس العلم وحلق الـذكر ، وجدرانها بخزائن الكتب ، وأفنيتها بالمكاتب والنُزُل والسُبُل ، وفي كثير مـن الأحيـان يستشفُ القارئ للمصادر أن المسجد قد غدا مجمعاً يشمل أماكن العبادة والتعليم والوعظ والإرشاد والضيافة لأبناء السبيل[١] .

و لعـلي لا أبـالغ إن زعمت أن المسـاجد في اليمـن قد لقيت من الاهتمـام والاعـتناء - باعتبارها دور علم وعبادة - ما لم تحظ به مثيلاتها في أنحاء الجزيـرة العربية عموماً ، فقد تسابق السلاطين ونساؤهم وجـواريهم ، وقـادتهم وأمـراؤهم ، ووجهاء المجتمع في عهدهم ، كلهم يبغي الإسهام في الاعتناء والرعاية بالمساجد ومـا ارتبط بها من مرافق أخرى ، أو التأسيس والإنشاء لعدد جديد منها ، ويكفينا في ذلـك إشارةً واحدة أوردها المؤرخ المعاصر الخزرجي[٢] عن جهـود الـسلطان الرسـولي الأشرف الثاني إسماعيل (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) وأحد أمرائه - ويُدعى فخر الدين أبو بكر بن بهادر السنبلي - المتمثلة في إصدار التوجيهات بتعمير المـساجد وأمـاكن التعليم الملحقة بها وترميم القائم منها في مدينة زبيد فقط ، فبلغ عدد ما امتدت إليه يـد العناية حوالي خمسة وستين مرفقاً .

غير أن التعليم في المسجد في اليمن في مدة الدراسة والعقود القليلة التي سبقتها لم يعد مرتجلاً كما كان معهوداً من قبل ، بل أصبح النظام التعليمي موجهاً في الجوامع الكبيرة منها ، بحيث حُدِّد من يدرس، وعدد الطلبـة لكـل مـدرس ، ورسـمت لهـم الأعطيات والأجور والرواتب[٣] ، وذلك لا يدفع إلى تخيل أن التدخل هذا قـد جـاء - سلبياً - على حساب جودة الأداء التعليمي فيها ، أو من بـاب منـع ذوي الاتجاهـات المذهبية والعلمية غير المرغوبة من مزاولة أنشطتهم بها ، فذلك مستبعدٌ تماماً لأننا لـو فكرنا بهذه الطريقة فإننا سنكون كمن يقوم بمحاكمة الشخصيات التاريخيـة والجهـات

---

(1) د. سعيد عاشور ، **العلم بين المسجد والمدرسة** ، من أبحاث ندوة تاريخ المدارس الإسلامية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م ، ص ١٧ ، ١٨ .

(2) **العقـود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ١٨٠ ، وذكرها ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(3) الخزرجي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ ، عبدالله العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ١٤٨ .

الاعتبارية فيه بمعايير العصر الحديث وعقلية توجيه التعليم القائمة في كل البلدان في تاريخنا المعاصر ، ويدرأ ذلك الظن أن النظرة الأولى على أسماء هيئات التدريس في المساجد آنذاك تثبت أنهم هم أبرز علماء العصر وأكثرهم علماً وأوسعهم فقهاً وأعمقهم فهماً وأكثرهم تأليفاً .

ومما يجدر الإشارة إليه أن ظهور المدارس النظامية في اليمن لم يلغِ الدور التعليمي للمسجد قطعياً ، فقد ظلت المساجد تؤدي وظيفتها العلمية على أكمل وجه ، وسارت جنباً إلى جنب مع المدارس وغيرها من المرافق التعليمية ، فعقدت فيها الحلقات العلمية ، وقصدها الطلبة من شتى أنحاء اليمن لتلقي العلم على العلماء البارزين في عصرهم[1] .

وقد زاد عدد المساجد باليمن في الأحقاب التاريخية المتأخرة من العصر الإسلامي بشكل مدهش، جعلنا – مع يقيننا بأن ما ذكرته المصادر التاريخية لا يعدو أن يمثل الربع مما هو قائم – ندرك أن التتبع لها كاملةً يحتاج إلى رسائل ودراسات خاصة، فقد أمر السلطان الرسولي الأشرف الثاني إسماعيل (ت ٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) – على سبيل المثال – بحصر المساجد ، ومعها المدارس العلمية النظامية ، في مدينة زبيد وحدها فقط فبلغت مائتين وبضعاً وثلاثين موضعاً[2] .

ونحن – مع يقيننا بأن بعض المساجد التي لم تذكرها المصادر قد شهدت نشاطاً علمياً وحراكاً فكرياً يفوق كثيراً تلك الواردة فيها – سنقوم بأخذ عينة فقط من المساجد التي كثرت الإشارات إليها ، وإن كان بعضها قد سبقت الإشارة إليه في الفصل الأول ، وذلك لأن منزلتها وذكرها في المصادر الدال على استمرارها في أداء دورها العلمي قد فرضها علينا ، وسنقوم بتحديد أشهر من قام بالتدريس فيها بقدر ما تمدنا المصادر من مادة .

(١) جامع الشِّحْر بحضرموت :

أما مدينة الشِّحْر فهي – كما سبق أن عرفنا بها في الفصل الأول من هذه الدراسة – إحدى كبريات مدن الساحل الشمالي لبحر العرب ، وقيل أن الشِّحْر هو اسم الساحل الممتد من عدن حتى عُمَان الذي تقع هذه المدينة في وسطه ، وتعد واحدة من

(1) علي بن علي أحمد، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٢٢٦ .

(2) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ٢٠٣ .

أكبر مراكز محافظة حضرموت الإدارية ، أما الجامع فلم تذكر المصادر من مؤسسه ولا تاريخ بنائه ، لكنها تذكره في معرض الترجمة لعدد من أبرز علماء حضرموت الذي قادوا النشاط العلمي في جوانبه وأركانه ، وكانوا في مقدمة الطلبة حيناً ومتصدرين لِحلَقِ العلم ومجالسه حيناً آخر .

ومن أشهر العلماء الذين تصدروا التدريس في جامع الشحر تذكر المصادر[١] الإمام العلامة والقاضي الفقيه عبدالله بن محمد بن حسن بن عَبْسَين (ت٩٠٧هـ / ١٥٠١م) ، يقول عنه العيدروس[٢] : " اشتغل بالعلم فبرع ، وسلك طريق التدقيق ، فلحق مَنْ قبله ، وفات مَنْ بعده ، وتصدر في الشحر للفتوى والتدريس ، وتخرج عليه الطلبة ، وانتفعوا به كثيراً ، وكان سيداً شريف النفس ، كريماً سخياً مفضالاً ، وصولاً للطلبة ، كثير الإحسان إليهم ، وكان يجتهد في جمعهم وترغيبهم للطلب، ويسعى لهم في الرزق ، باذلاً بهم نفسه ، حسن التعليم ، لين الجانب ، في غاية التواضع " .

ويبدو أن هذا العالم الكبير كان يؤدي واجباته التدريسية في مدرسة خاصة به في الجامع نفسه على الطريقة التي كانت معروفة قبل ظهور المدارس النظامية ، يتضح ذلك في إشارة المصدر نفسه[٣] عن جهود الإمام ابن عَبْسَين التي استرد بها أوقاف جامع الشحر والمدرسة التي كانت الدولة قد وضعت يدها عليها ، فأعاد بذلك الحياة إلى النشاط العلمي في الجامع والمدرسة بعد أن " كاد أن ينطمس ويندرس " على حد تعبير المصدر .

ويعود الفضل للإمام ابن عَبْسَين في استدعاء الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بافضل (ت٩١٨هـ / ١٥١٢م) إلى الشحر وتنصيبه إماماً بجامعها الكبير ليقوم بخلافته في قيادة معظم الأنشطة العلمية في جامع الشحر ومدرستها[٤] .

---

(1) الشِّلِّي ، السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر ، تحقيق إبراهيم المقحفي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، ص ٥٣ ، العيدروس ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص ٤٣ .

(2) العيدروس ، المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(3) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(4) الشِّلِّي ، السناء الباهر ، ص ٥٤ ، العيدروس ، المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ومن العلماء الذين تصدروا التدريس في جامع الشحر نذكر القاضي الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بافضل (ت٩١٨هـ / ١٥١٢م) الذي أشرنا إليه ، فقد قدم إلى الشحر بسعاية الإمام ابن عَبْسَين ، وصفته المصادر بأنه " كان أوحد وقته علماً وعملاً وورعاً ، كان قد ارتحل في طلب العلم إلى عدن وغيرها ... ودأب في الطلب وأكب على الاشتغال حتى برع وتميز ، واشتهر ذكره ، وبَعُدَ صيته ، وأثنى عليه الأئمة من مشائخه وغيرهم ... وكان حافظاً أوقاته ، لا يُرى إلا في تدريس علمٍ ، أو مطالعة كتاب ، أو اشتغالٍ بعبادةٍ أو ذكر "[1] .

استجاب الإمام بافضل للقاضي الفقيه عبدالله بن محمد بن حسن بن عَبْسَين عندما دعاه للتدريس في جامع الشحر – كما مر – فتولى التدريس به ، وانتصب فيه للاشتغال والفتوى ، وصار عمدة الأنحاء ، وانتهت رئاسة الفقه ، وانتفع به الناس كثيراً ، وكان عمدة أهل زمنه في التدريس والفتوى[2] .

(٢) جامع الأشاعر بزبيد :

سبقت الإشارة – في الفصل الأول – إلى أن مسجد الأشاعر من أقدم المساجد في اليمن ، وأن هناك من يقول أنه من المساجد التي بنيت على عهد النبي ﷺ على يد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ، وقد احتل هذا المسجد مكانةً عالية في نفوس المقيمين بزبيد أو الواردين إليها ، وكذلك حكام اليمن المتعاقبين في السيطرة على المنطقة ، لذلك لم تتأثر منزلته التعليمية ببروز دور المدارس النظامية ، فقد اضطرد النشاط العلمي فيه دائماً ، وكان خيرة العلماء يُندبون للتدريس والإقراء فيه ، وكان حب العلماء له دافعاً لبعضهم للتأليف عن فضائله وأخباره وأخبار من قام بالتدريس فيه ، منهم محمد بن عبدالوهاب المقداد الشهير بابن النقيب (ت ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م) صاحب كتاب (**قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الأشاعر**)، ومحمد بن دبا صاحب كتاب (**تحفة الناظر في أخبار مسجد الأشاعر**)[3] .

---

[1] العيدروس ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ٩٢ ، ٩٣ .

[2] المصدر السابق ، ص ٩٣ .

[3] الأول هو أحد مصادر دراستنا ، والآخر ذكره الزبيدي ، نفائس النفائس فيمن أنشأ وعمر من المساجد والمدارس ، نسخة مصورة لدى القاضي إسماعيل الأكوع ، صنعاء ، ق ١ .

وقد تحدثت المصادر عن الشخصيات التي قادت بعض الأنشطة العلمية فيه ، وتقلد بعضها بعض المهام الدائمة به ، مثل الإمامة والخطابة والتدريس وغيرها ، وأشهر من درس به في القرن التاسع الهجري الإمام شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله الشاوري الشَّرْجي الشهير بالمقرئ (ت ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ، سنتحدث عن بدايات نشأته العلمية في الصفحات القادمة عند حديثنا عن مركز أبيات حسين العلمي ، يكفيه تزكيةً أن وصفه الإمام ابن حجر العسقلاني[1] بأنه : " عالم البلاد اليمنية" ، كما قال عنه الخزرجي[2] بأنه كان يتوقد ذكاءً ، وكان قد قدم زبيد شاباً يطلب العلم ، فقرأ كثيراً من العلوم على أيدي أفضل علمائها ؛ فبرز في كل علم قرأ فيه حتى فاق أهل عصره ، وطال صيته ، وصار إماماً في الفقه والعربية والمنطق والأصول ، وصارت له اليد الطولى في الأدب نظماً ونثراً[3] .

تحدثت المصادر[4] عنه بأنه كان إمام الناس في جامع الأشاعر عندما ذكروا أن بعض تلاميذ قد خلفه في إمامة الجامع بعد وفاته ، ومنهم الإمام موفق الدين علي بن محمد قحر (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) الآتي ذكره .

من ذلك قيام قاضي القضاة مجد الدين الفيروزبادي – صاحب القاموس المحيط – بتعيين الفقيه الإمام موفق الدين علي بن محمد قحر (ت ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) لإمامة المسجد وتدريس الفقه به بأمر من السلطان الأشرف الثاني الرسولي[5] كما أشرنا إليه في الفصل الأول .

ويعد الإمام الفقيه الشافعي محمد بن إبراهيم الحسيني (ت ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م) من كبار الفقهاء الذين تصدروا للتدريس فيه ، قال البريهي[6] في التعريف به : " الفقيه العالم الصالح جمال الدين محمد بن إبراهيم ناصر الحسيني ، قرأ على الإمام شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ ، وهو أكبر مشائخه في اليمن ، وعلى غيره من

---

(1) **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، ج ٣ ص ٥٢١ .

(2) **العقــود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ٣١٨ .

(3) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٢ ص ٢٩٣ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ج ١ ص ١٥٨ – ١٦١ .

(4) الخزرجي ، **العقــود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ٢٣٨ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١١ ، ٣١٢.

(5) الخزرجي ، **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(6) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

العلماء ، فجدَّ واجتهد حتى صار عالماً عاملاً عابداً زاهداً صالحاً ، عليه سكينة العلم ووقار التقوى ، وقد أجاز له الإمام الجزري والإمام كمال الدين الضجاعي ، فدرس وأفتى ، ورُتِّبَ إماماً بمسجد الأشاعر بعد موت الإمام شرف الدين المقرئ والإمام ابن قحر ... وكان منقوله[1] كتاب الحاوي الصغير ... " .

ومن تولى إمامة هذا الجامع المبارك الفقيه محمد بن إبراهيم العلوي (ت٨٢٢هـ/١٤١٩م) وولده أبو القاسم الملقب بالهمام[٢] .

(٣) الجامع الكبير بزبيد :

تشير بعض المصادر إلى أن هذا المسجد هو أحد المساجد التي تم بناؤها في العهد النجاحي على يد قائدهم الشهير الحسن بن سلامة في أوائل القرن الهجري الخامس[٣] ، وهو أكبر مساجد زبيد مساحةً وأكثرها اتساعاً ، وثانيها في المنزلة الروحية لدى الناس ، لذلك كان معظم الوافدين إليها – سواءً من قصدها لذاتها أو من كان ماراً بها في طريقه إلى غيرها – ينزلون فيه ليستندوا إلى أعمدته في إلقائهم لدروسهم على كبار علمائها وطلابها ، وكانت الخطبة على منبره من حق وجوه العلماء ومبرزيهم ، ولا يتبادر إلى ذهن البعض أن الخطبة على منبر الجامع الكبير بزبيد كانت محصورةً فقط في الجُمَعِ والأعياد ، فقد أشار البريهي[٤] أثناء تناوله لبعض من تولى إمامة الجامع الكبير بزبيد والإقراء به إلا أن الدروس كانت تنتظم فيه على مدار أشهر عدة ، لذلك فقد أولاه السلاطين الرسوليون والطاهريون عنايتهم الخاصة ، فكثر الإقبال عليه من طلبة العلم حتى أن بعض حلقاته زادت على مائتي طالب[٥] .

ومن العلماء الذين اشتهر نشاطهم العلمي في هذا الجامع خطابةً وتدريساً الإمام العلامة الواعظ كمال الدين موسى بن محمد الضجاعي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، ترجم له بعض المؤرخين[٦] المعاصرين له فقال : " قرأ وسمع على الأئمة من بني

---

(1) أي منهجه المعتمد في التدريس .

(2) عبدالله العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ١٤٩ .

(3) الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ١٥٧ .

(4) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٠ .

(5) بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ٢١٥ .

(6) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٠ .

الناشري[1] وغيرهم ، وأجازوا له فدرس وأفتى ، وأضيف إليه الخطابة بجامع زبيد ، فكان لوعظه موقع في القلوب ، ودام على ذلك مدةً طويلةً ... وانتهت إليه الرئاسة في علم الحديث بعد موت الفقيه عثمان الأحمر ، وكان يدرس في علم الحديث في الثلاثة الأشهر : رجب وشعبان ورمضان ، ويدرس الفقه باقي السنة ... واشتهر هذا الفقيه بالعبادة والزهادة " .

ومن أبرز فقهاء العصر الذين اتخذوا ساحات الجامع الكبير بمدينة زبيد ميداناً لنشر العلم يأتي الإمام العلامة جمال الدين محمد الطيب بن أحمد الناشري ، " الإمام المجمع على جلالته وفضله وتضلعه في العلوم ، قرأ على والده ولي الله القاضي شهاب الدين أحمد الناشري ، ثم على غيره من فقهاء مدينة زبيد وغيرهم بجميع فنون العلم ، وأجاز له الشيوخ الكبار في مكة المشرفة والمدينة الشريفة عند أن سافر للحج والزيارة، وأجاز له الشيخ مجد الدين الشيرازي والشيخ شمس الدين الجزري ... واشتهر بحسن التدريس والصواب في الفتوى "[2] .

ومن أشهر العلماء الكبار الوافدين على زبيد وعقدوا في جامعها الكبير مجالس الإقراء والتدريس تذكر المصادر[3] الفقيه محمد بن خضر الكابلي (ت ٧٩٤هـ / ١٣٩١م) ، كان في طريقه إلى الحج فمر على زبيد – بعد أن تحطمت مراكبه قبالة ساحلها – فكثر الجالسون إليه في الجامع المذكور ، وفيهم كبار علمائها من الشافعية والأحناف ، حتى بلغ عددهم زهاء المائتين ، وقرأوا عليه الجامع الكبير للشيباني ، وأصول الفقه للبزدوي ، ومختصر الكنز وعوارف المعارف، وكان يجلس للدرس من بعد صلاة الظهر إلى صلاة العصر ، واستمر مجلسه من جمادى الأولى حتى شوال من سنة (ت ٧٩٣هـ / ١٣٩٠م) .

---

(1) واحدة من أكبر أسر العلم في زبيد ، سيأتي الحديث عن بعض أعلامها والتعريف بقريتهم العلمية في ثنايا هذا الفصل الدراسة .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٤ ص ١٤ ، ج٦ ص ٢٩٨ ، الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص٩٢ .

(3) بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ٢١٥ ، الخزرجي ، **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن** ، صورة عن نسخة بمكتبة القاضي إسماعيل الأكوع ، صنعاء ، ق ١٤٦ – ب ، عبدالله العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ١٥٣.

وفي عهد الدولة الطاهرية حظي هذا الجامع بعناية كبيرة من سلاطينها ، سواءً من ناحية اختيار أفضل العلماء لمهمة الخطابة في منبره والتدريس فيه ، أو من ناحية وقف الأراضي المثمرة والعقارات عليه ، وقد كان حرصهم على ترتيب أفضل العلماء فيه أن من لحقته شبهة ما رتبوا غيره بدلاً عنه ، من ذلك أن السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب عزل سنة (٨٩٩هـ / ١٤٩٤م) الفقيه الخطيب عبدالمنعم الضجاعي عن وظيفته في الخطابة بجامع زبيد لهفوة حصلت من ولد موسى[1]، ورتب عوضاً عنه الفقيه أبا القاسم بن عبدالرحمن البربر الذي كان خطيباً بالحديدة، وفوض إلى الفقيه عمر ابن جعمان تدريس الفقه فيه ، وولي الفقيه أحمد الزبيدي تدريس القراءات في الجامع المذكور ، ورتب في الجامع ثلاثين مقرئاً يقرأون بعد كل صلاة ، وجعل في الجامع ثلاثة خدام يقومون بالعناية به ، وأمر أن يفرش جميع المسجد ولا يطوى فرشه[2].

وفي السنة نفسها أوقف السلطان الظافر على جامع زبيد أرضاً نفيسة تعرف بأم الرزق ، وأراضٍ أخرى غيرها ، كما أوقف " جميع ما دخل في مسجد الجامع من بناية من الطين والآجر والأخشاب والحديد وغير ذلك "[3] .

---

(1) هذا الإجراء فيه شدة غير مستساغة ولا مبررة من وجهة نظري ، إذ كيف يؤخذ الرجل بجريرة ولده .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج٣ ص 777 ، ٧٧٨ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(٤) جامع السلطان المظفر بذي عدينة[1] :

أنشأه السلطان المظفر الأول يوسف بن المنصور عمر (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) ثاني سلاطين الدولة الرسولية وأحد عظماء الحكام في تاريخ اليمن ، وقد نسب هذا الجامع إليه ، وهو من المساجد الجامعة التي كانت – ومازالت إلى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري – من منارات العلم والمعرفة ، وقد توارث نشر العلم به عدد من أعلام الفقهاء والمحدثين في اليمن .

وممن تولى التدريس بالجامع المظفري في مدة دراستنا الفقيه العالم وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد النحواني (ت ٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) ، كان من أكابر علماء اليمن وفقهائه ، تقلد مهمة التدريس في أماكن عدة قبل تصدره لها في الجامع المذكور ، مدحه المؤرخ المعاصر البريهي[2] كثيراً ، ومما قاله فيه : " كان إماماً متضلعاً من العلوم النافعة ... قرأ على الإمام رضي الدين الشنيني الأصبحي[3] كتاب المهذب والوسيط والوجيز والبيان ، وجملةً من كتب الحديث ... وقرأ الحديث على الإمام نفيس العلوي وعلى مجد الدين الفيروزبادي ... وكان دأبه التحصيل والتدريس ، واجتمع له من الكتب جملة صالحة ، وكان أبلغ أهل وقته وأفصحهم في الشعر والخطبة ... " .

وممن تولى التدريس فيه الفقيه العالم صفي الدين أحمد بن محمد بن علي التباعي (ت ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) ، طلب العلم على عدد من أشهر أعلامه باليمن ، مثل الفقيه جمال الدين الريمي في الفقه ، وعفيف الدين الشنيني في القراءات ، والإمام نفيس العلوي في الحديث ، وغيرهم كثير ، وقد أجازوه كلهم ، وتصدى للتدريس والفتوى في مناطق كثيرة قبل أن يتولى يجلس للتدريس بالجامع المظفري ، ولم يكن بغريبٍ على هذا العالم أن يبرز طالباً للعلم ومدرساً له ، فهو ناشئ في بيئةٍ علمية ، إذ

---

[1] منطقة تقع على سفح جبل صَبِر ، في الطرف الجنوبي لمدينة تعز ، وقيل أنها هي النواة التي تشكلت مدينة تعز حولها في الفترات التاريخية المتأخرة ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ١ ص ١٤٦، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ٢ ص ١٠٣١.

[2] **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٩٠ ، ٩١ ، الأكوع ، **المدارس الإسلامية في اليمن** ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، ط٢ ، ١٩٨٦م ، ص ٢٩١ .

[3] أحد كبار علماء منطقة السحول بضواحي مدينة إب ، تخرج عليه معظم أعلام الفقهاء والقضاة بمنطقة إب ومن دخلها طلباً للعلم ، أخباره كثيرة لدى البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٨٤ وما بعدها .

كان معظم أقربــائه أمثاله ، تصـــرح بذلك بعض المصــادر[1] فتقول : " كــان مــن أهل بيت فقه ورئاســة ... " .

كما درس به المقرئ العلامة شـمس الـدين علي بن محمد الرفدي المشـهور بالشـرعبي (ت٨٧١هـ / ١٤٦٦م) ، وهو من أكبر علمـاء الـيمن فـي القـراءات وأشهرهم على مدار تاريخها العلمي ، رحل كثيراً في طلب العلم ، فأجازه شيوخ مكـة والمدينة ومصر ، واجتمع بالمقرئ شمس الدين الجزري ، والراجح أن اجتماعه به كان بعد زيارته لليمن ، فقرأ عليه بالقراءات السبع ، وسمع الحديث والتفسير علـى الإمـام نفيس الدين العلوي وجمال الدين بن الخياط ، " كان وحيد عصره في علم القرآن وفـي إيضاح ما أشكل منه ... لم يبقَ بمدينة تعز وما قاربها مقرئ إلا وهو مـن دَرَسَـتَهُ أو دَرَسَة درسته، وكان جهوري الصوت ، لافظاً حافظاً ، ثبتاً محققاً ، وإذا وعظ وجلـت القلوب لوعظه ... ودام على الخطابة والإمامة في جـامع ذي عدينـة نحـو أربعـين سنة"[2].

(٥) الجامع الكبير بمدينة إب :

لم تصرح المصادر بمن أنشأ هذا الجامع ، ولا بتاريخ إنشائه ، ولكنها رصدت كثيراً من الأنشطة العلمية فيه ، وفي مقدمة النشاط التدريسي ، فنجدها تسجل ما عملـه العلماء فيها ، ومن أشـهر من وردت أسـماؤهم في المصـادر[3] نجد أبو الخـطاب عمر بن حسـين بن أبي النهى (ت٥٦٧هـ / ١١٧١م) وأبا الحسن أحمد بن محمـد البريهي (ت ٥٦٨هـ / ١١٩٠م) وأبا عبدالله محمـد بـن مـضمون (٦٣٣هـــ / ١٢٣٥م) .

وفي المدة المتناولة في الدراسة نجد البريهي وهو يسرد لنا أسماء مجموعة من أفضل علماء اليمن ، ويشير إلى تصديهم للتدريس في هذا الجامع ، وكثيراً ما يـصفه بالجامع المبارك ، وهي صفة تعكس المنزلة التي يحتلها هذا الجامع في قلبه كونه أحـد الذين جلسوا فيه للتلقي .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢١٥ ، الأكوع ، **المدارس الإسـلامية فـي الـيمن** ، ص ١٦٦ ، ١٦٧.

(2) علي بن علي أحمد، **الحياة العلمية في تعز**، ص ١٣٢ ، البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢.

(3) الجندي ، **السلوك** ، ج١ ص ٣١٨ ، ٣٥٥ ، ٣٩٧ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١٧١.

وممن جاء في ذكرهم أنهم قاموا بالتدريس في جامع مدينة إب نذكر الإمام الفقيه النحوي الفرضي صفي الدين أحمد بن محمد بن أبا بكـر البُريهـي (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) ، كان – وأبوه من قبله – من أشهر المدرسين للعلم بمدينة إب ، وقد بـرز بين العلماء رغم صغر سنه ، فجمع ما تفرق من العلـوم ، وداوى ببراعتـه القلـوب والكلوم ، " أخذ الفقه عن عمه الإمام أحمد بن أبي بكر البريهي والإمام جمـال الـدين محمد الكاهلي ، والنحو عن والده – وكان قاضياً بإب – ، والقـراءات الـسبع علـى المقرئين عبدالرحمن الملحاني وعثمان النجراني ، والحديث عن الإمامين نفيس الـدين العلوي وتقي الدين الفاسي ، تولى نيابة القضاء عن والده ... ثم استقل بذلك ، واشتغل بالتدريس والإفتاء ، وانتفع به جماعة من الطلبة ... وكان مبـصراً بـالتعليم ، يعـين الطالب على قصده حتى أن بعض شيوخه قرأ عليه ، وكان فطناً يـسهل عليـه حـل المشكلات ، فكانت تـرد عليه المسائل العويصة فيبادر إلى الجواب عليها مـن غيـر تلعثم ... "[١] .

وكما درس فيه المقرئ الإمـام تقـي الـدين عمـر بـن عيـسى الخطيـب (ت٨٣٩هـ/١٤٣٥م)، وكان عالماً موصوفاً بالفضل والسيرة الطيبة المحمودة ، بـرع في علم القرآن الكريم والفقه والنحو على وجه الخصوص ، وكان خطيباً مفوهاً شـديد التأثير ، قال البريهي[٢] : " كان خطيباً في مدينة إب ، ولكلامه ووعظه فـي القلـوب موقع ، وكان قريب العبرة ، حسن الصوت ... انتفع به جماعة من الدَرَسَة في النحـو والقراءات السبع ، وكان كثير الاعتكاف في الجامع المبارك ، باذلاً نفسه للطلبة ، ودام على ذلك سنين كثيرة إلى أن توفي " .

وقد سرد البريهي أسماء عدد من العلماء والمقرئين الذين تولوا في هذا الجـامع وظائف عدة كالإقراء والخطابة وغيرها ، منهم الفقيه المقرئ المكفوف أحمـد عبـدالله (ت٨٣١هـ / ١٤٢٧م) ، " كان رجلاً فاضلاً ، دأبه قراءة القـرآن وإقـراء الدَرَسَـة للقرآن العظيم بالجامع المبارك في سـبيل الله تلقينـاً ... "[٣] ، وكـذلك المقـرئ

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(2) المصدر السابق ، ص ١١١ ، ١١٢ .

(3) المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

الصـــالح تقي الـــدين عمر بن أبي بكر الكلالي[1] (ت٨١٧هــــ/١٤١٤م) ، والفقيـــه عفيف الدين عبدالله بن عبدالحق الكاهلي[2] (ت ٨٣٥هــ/١٤٣١م) ، والفقيـــه جمـــال الدين محمد بن حسن البريهي (ت ٨٠٣هــ / ١٤٠٠م) ، وغـــيرهم كـــثير .

ثالثاً المدارس :

كان المجتمع الإسلامي يرتقي في السلم الحضاري والاجتماعي مع مرور الأيام، وكان الاهتمام بالعلم عقيدة عند أفراده ، ليس من كماليات حياته ولا من صور تـــرف عقليته ، لذلك كانت العناية تتركز على العلم وما يتعلق به وبأماكن نـــشره ودراســـته ، وأوجدت الظروف السياسية والمذهبية مسوغات أخرى تدعو إلى الحفاوة الكبيـــرة بـــه كونه أحد ركائز قيامها وبقاءها في ظروف محددة وجدت نفسها في مواجهتهـــا ، مثـــل الحاجة الملحة التي وجد السلاجقة الأتراك أنفسهم أمامها متمثلةً فـــي وجـــوب اقـــتلاع المذهبين الشيعيين الزيدي والإسماعيلي ، حيث أن الأول كان البعد المذهبي الذي قامت عليه دولة البويهيين ، والثاني كان له تواجد لا يستهان به فـــي بعـــض قـــلاع فـــارس وحصونها المنيعة ، فانبرى الوزير نظام الملك لتأسيس أول مدرســـة بـــالعراق ســـنة (٤٥٧هــ / ١٠٦٤م)[3] – تم نســـبتها إليه – لتسهم في تحقيق مأربه في اجتثاث الفكر الشيعي المشار إليه ، وبنى أخرى في نيسابور[4] ، ولأسباب مـــشابهة قـــام الـــسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بتأسيس مدرسته الناصرية المنسوبة إليه في مصر ســـنة (٥٦٦هــ / ١١٧٠م)[5] .

إلا أن هناك بعض النصوص التاريخية التي تشير إلى أن هذه المدارس لم تكن أول ما أنشئ من نوعها في العالم الإسلامي ، فقد كان هناك مـــدارس ســـبق بناؤهـــا بحوالي نصف قرن من الزمان ، ويشار بذلك إلى المدرسة الصادرية التي بناهـــا أحـــد

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٠٥ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ١٠٣ .

(3) ناقش هذه المسألة الزركشي ، **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ، ص ٣١ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٣٢ ، د. نجاح القابسي ، **المعاهد والمؤسسات التعليمية في العـــالم الإســـلامي** ، ص ١٨٨ .

(5) ابن الأثير ، **الكامل** ، ج ٩ ص ١١٠ ، ابن دقماق ، **الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين** ، تحقيق محمد كمال الدين عزالدين ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ١٧ .

أمراء دمشق ويدعى الأمير شجاع الدين صادر بن عبدالله وذلك عام (٣٩١هـ / ١٠٠٠م) [١] وبعدها بسنوات قليلة جداً أنشئت الدار الرشائية لتعليم القرآن الكريم وعلومه بدمشق أيضاً [٢] ، كما أشار الزركشي [٣] إلى أن هناك أربع مدارس كانت قد أنشئت في نيسابور قبل المدرسة النظامية السابق ذكرها .

وعود إلى اليمن حيث يجد المرؤ نفسه مجبراً على الوقوف طويلاً أم مسألة ظهور المدارس العلمية فيها خلال تاريخها العلمي في عصرها الإسلامي ، وذلك للدور الخطير الذي لعبته المدارس في نشر العلوم وبعثها ، وللمكانة التي احتلتها لدى الركائز البشرية المعنية بالعلم ونشره وطلبه ، خاصة أن هذه المسألة قد اكتنفها الغموض لدى بعض المؤرخين القدامى من كُتّاب المصادر أو الباحثين المعاصرين ؛ فدار – بسبب ذلك – جدلٌ غير مقصود بين الأخيرين ، إذ نجد أن البعض [٤] ينساق وراء الإشارة التي أوردها المؤرخون اليمنيون [٥] بأنها نشأت في أواخر القرن الهجري السادس على

---

(1) النعيمي ، الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبعة دار الكتاب الجديد ، دمشق ، ١٩٨١م ، ج ١ ، ص ٥٣٧ ، د. رضوان أحمد الليث ، **الحياة العلمية في بلاد الشام خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ٨٧ .

(2) سعود محمد العصفور ، **الحياة الثقافية في دمشق في عصر المماليك الجراكسة** ، ص ١٣٠ .

(3) **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(4) من هؤلاء (البعض) نجد : آلاء أحمد الأصبحي ، **المدرسة الأشرفية بتعز** ، من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ٤٨ ، الأكوع ، **المدارس الإسلامية في اليمن** ، ص ٥ ، ٦ ، الحبشي ، **حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول** ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية ، ط ٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٧١ ، الشيحة ، دراسة **مقارنة بين المدرسة المصرية واليمنية** ، من أبحاث ندوة تاريخ المدارس الإسلامية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م ، ص ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، د. عصام الدين عبدالرؤوف الفقي، **اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام الدولة الرسولية** ، دار الفكر العربي ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، ص ٣٦٠ ، د. فاروق أحمد مجاهد ، **التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين** ، إصدارات جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ١١٧ ، د. محمد سيف النصر ، **نظرة عامة على تخطيطات المدارس اليمنية** ، مجلة الإكليل ، العدد الأول ، ١٩٨٥م ، ص ١٠٠ ، د. محمد عبده السروري ، **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة** ، ص ٥٥١ .

(5) المؤرخون الذين أوردوا هذه الإشارة هم الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ، ص ٥٣٦ ، الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ١٧٣ ، ابن عبدالمجيد، **بهجة الزمن في تاريخ اليمن**، تحقيق عبدالله الحبشي ومحمد السنباني، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط ١، ١٩٨٨م، ص ١٣٥ ، اليامي، **السمط الغالي الثمن في أخبار**

أيدي الأيوبيين الذين حكموا اليمن ابتداءً (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) ، بينما البعض الآخر يقوم بإثبات قِدَم ظهورها على هذا التاريخ[1] ، ومن أجل ذلك أردت أن أرمي بسهمي بينهم محاولاً الوقوف عند النصوص التاريخية المتوافرة ، مستضيئاً بآراء الباحثين الذين سبقوني في دراسة جوانب المشكلة المذكورة ، خاصة أن بعضهم[2] قد أجاد كثيراً – مع حاجتي إلى الوقوف مع آرائه – في استجلاء أرجح الأقوال في بداية ظهور المدارس العلمية في اليمن .

أبدأ حديثي بتعريف المدرسة اصطلاحاً ، لأن وضوح دلالة المصطلح يعين كثيراً على فهم جوانب متعلقة بالمسألة موضوع النقاش ، فقد عُرِّفَتْ المدرسة بصور مختلفة منها :

- تعريف الدكتور أحمد فكري[3] : " المسجد الجامع الذي أقيمت في حَرَمِه بيوت لسُكْنى فريقٍ مختارٍ من الفقهاء أو الطلاب ، ورُتِّب لتدريسهم فيه مدرسون بأجر معلوم ، ووفِّرَتْ للجميع فيه سبل البحث والدراسة والمعيشة ، وأجريت عليهم الجرايات الوافرة ".

الملوك من الغز باليمن، تحقيق ركس سميث، طبع ضمن مجموعة جب التذكارية، لندن، ١٩٧٤م ، ص ٤٠ .

(1) منهم : عبدالعزيز بن راشد السنيدي ، المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية ، ص ٤٥ – ٤٧، عبدالرحمن أحمد المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ص ١٠١ – ١١٤ ، عبدالله عبدالسلام الحداد ، مدينة جبس اليمنية تاريخها وآثارها الدينية ، دار الآفاق العربية ، ط ١ ، ١٩٩٩م ، ص ٩٢ ، د. عبدالرحمن حسن جار الله ، ذي السفال : مدينة الآثار الإسلامية ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ٦٤ ، عبدالله العبادي : الحياة العلمية في زبيد، ص ١٦٤– ١٦٩ ، علي بن علي أحمد، الحياة العلمية في تعز، ص ٢٣٨ – ٢٤٠ .

(2) المقصود هنا هما الباحثان د. محمد علي العروسي ، مدارس العلوم الإسلامية في اليمن – الأيوبيون والمدارس في اليمن ، مجلة الإكليل ، صنعاء ، العدد ٢٥ ، أبريل – يونيو ، ٢٠٠١م ، ص ص ٩ – ٣٩، وعبدالرحمن أحمد المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ص ١٠١ – ١١٤ .

(3) مساجد القاهرة ومدارسها – العصر الفاطمي ، الأيوبي ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ، ت) ، ج ٢ ص ١٩٢ .

- وعَرَّفَها الدكتور أيمن فؤاد سيد[1] بأنها : " المكان الذي يُتَخَذُ لتلقي علم واحد ، على أيدي شيوخ موقوفين عليه ، وذلك لتمييزه عن حلقة المسجد، وأن يكون ملحقاً به مكان لسكن المدرسين والطلاب ، مع وجود معاليم دارةٍ عليهم ولمن يقوم بالتدريس فيها " .
- وعرفها الدكتور محمد ماهر حمادة[2] بأنها : " مكان لتدريس عدد معين من الطلاب ، على أيدي أساتذة مخصوصين ، مواد دراسية ذات مستوى معين " .
- وأعرفها أنا مراعياً الحدود الدنيا لمقومات قيامها بأنها : " هي المكان الذي يقرره شخصٌ ما – عالماً أو سلطاناً أو من في حكمهما – بهدف تخصيصه لقيام هيئةٍ علمية معينةٍ بنشاط تدريسي موجه لعدد من المتلقين في علم واحد أو أكثر ، في وجود مصدر تمويل لتلبية متطلبات تسيير ذلك النشاط " .
- وعلى ذلك أستطيع التوصل إلى تحديد المقومات اللازمة لقيام المدرسة ، على أن هذه المقومات التي سأوردها تظل في مستوى السقف الأعلى ، وهذه المقومات هي :

(١) المكان ، أو المساحة الجغرافية التي تستخدم ميداناً لإلقاء الدروس وعقد مجالس التدريس والإقراء ، وقد يكون مسجداً ، أو غرفاً ملحقةً به ، أو بناءً أُسِّسَ خصيصاً ليُتَّخَذَ مدرسةً .

(٢) الهيئة العاملة ، وقد يقل عدد أعضائها في بعض الحالات إلى الرقم [١] بينما من الممكن ارتفاعه حتى يتجاوز العدد [١٠] ، ويدخل في ذلك الفقيه والمحدث والقَيِّم والمعيد ومعلم الصبيان والمقرئ والناظر وغير ذلك

---

(1) **المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي** ، من أبحاث ندوة تاريخ المدارس الإسلامية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ص ٩٩ .

(2) **المكتبات في الإسلام : نشأتها وتطورها ومصائرها** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٨م ، ص ١٣٥ .

(٣) الطلاب المتلقين للعلم ، المشكِّلين لقوام الحلقات الدراسية .
(٤) المنهج المقرر ، حتى لو لم تذكر عناوين مواده ومفرداتها في أدبيات خاصة مكتوبة بالمفهوم القائم في العقلية المعاصرة .
(٥) مصادر تمويل دائمة أو شبه دائمة ، يصرف منها على الهيئة العاملة والطلاب وما تستلزمه أماكن الدراسة وما في حكمها .
(٦) أماكن مخصصة لنزول الطلاب وأعضاء الهيئة العاملة .

أنا أرنو من خلال سرد المقومات اللازمة لقيام المدرسة العلمية إلى جعلها معياراً أحكم من خلاله على مدى امتلاك تلك المرافق التي استخدمها بعض علماء اليمن - قبل وصول الأيوبيين إليها - للحدود الدنيا من البنية الأساسية للمدرسة ، لذلك أقرر بأن المقومات الأربعة الأولى تمثل الحد الأدنى للمدرسة ، إذا افتقد أحدها لم يعد من الجائز لنا أن نسمي المرفق مدرسةً .

ومن خـــلال تلمسنا لما توفره المصــــادر من معلومات عن تلك المرافـــق التي أطلق
عليها (مدراس) قبل وصول الأيوبيين إلى اليمن فإننا ستجد أنفسنا أمام نوعين منها :
النوع الأول : نقف أمامه مجبرين على تجنب استخدام كلمة مرفق ؛ لأن هذه المدارس كانت كلها مرتبطة بالمسجد ، فهي :

- إما في مقدمة المسجد كما هو حال مدرسة الإمام زيد بن عبدالله اليفاعي (ت بعد ٥١٣هـ / ١١١٩م) بسمجد الجند ، التي كانت عن يمين المنبر ، وكان يتكئ عليه أثناء التدريس[١] .
- أو أن تكون في إحدى زوايا المسجد مثل مدرسة الإمام أبي بكر بن جعفر بن عبدالرحيم المحابي (ت ٥٠٠هـ / ١١٠٦م) - شيخ الإمام زيد السابق ذكره[٢].
- أو في غرف ملحقة بالمسجد كما هو الحال مع مدرسة ابن عبدويه (ت٥٢٥هـ / ١١٣١م) في جزيرة كمران ، فقد زارها ابن سمرة المؤرخ فقال : " فتبركت بزيارة هذا المسجد والقبرين وآثار الفقيهين ومواضع التدريس " فإقراده لذكر

---

(1) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١٢٠ ، ١٥٠ ، الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢٦٣ .

(2) الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٤٥ ، ٢٦٣ .

مواضع التدريس بعد ذكر المسجد يؤكد بجلاء أن المدرسة لم تكن داخل المسجد[١] .

أياً ما كان موضع المدرسة في ما أوردناه فإن هذا النوع منها قد امتلك الحد الأدنى من المقومات الأساسية للمدرسة ، وهي المقومات الخمسة الأولى من قائمة المقومات السابقة ، فعلى سبيل المثال مدرسة الأخير ابن عبدويه ، قد عرفنا وجود مكان للتدريس ، وهيئة تدريسية مكونة من شخص واحد هو نفسه المؤسس إضافةً إلى من يعينه من المبرزين من تلامذته ، وكان كما ذكر عنه أنه كان غنياً كثير المال ، ينفق كثيراً منه على طلبته[٢] ، وإذا كان غيره لم يكن غنياً فإن هناك من كان يتصدر للإنفاق على طلبته من الموسرين والأمراء ، وإمامٌ مثل ابن عبدويه يجعلنا نرى أنه من البديهي أنه كان يدرس منهجاً قائماً محدداً .

ما ذكرناه هنا ليس إلا مثالاً عن عدد كبير من المدراس القديمة المذكورة في المصادر ، كلها كانت تتمتع بالمقومات نفسها التي كانت لهذه المدارس .

النوع الثاني : هذا النوع يشترك مع مدارس النوع الأول في امتلاك المقومات الخمسة الأساسية ، غير أنها لم تكن مرتبطة بالمسجد ، أي أنها امتلكت مبنىً خاصاً بها ، أسس لغرض اتخاذه واستخدامه مدرسة[٣] ، ومن أمثلة هذا النوع :

- المدرسة التي درس بها الفقيه أبو عبدالله محمد بن عيسى بن سالم الميتمي سنة (ت بعد ٥٥٨هـ / ١١٦٣م) ، وهي من إنشاء الشيخ أبي الحسن علي بن إبراهيم بن أبي الأمان سنة (٥٥٨هـ / ١١٦٣م) لأنه كان غنياً يملك الكثير من العقارات في مدينة جِبْلَة[٤] .

---

(1) ابن سمرة ، طبقات فقهاء اليمن ، ص ١٤٧ .

(2) المصدر السابق ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(3) عبدالرحمن المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ص ١١١ .

(4) المصدر السابق ، ص ١٩٤ ، الجندي ، السلوك ، ج ١ ص ٣٤٠ ، د. محمد علي العروسي ، مدارس العلوم الإسلامية في اليمن – الأيوبيون والمدارس في اليمن ، ص ٣٣ .

❖ المدرسة التي درس فيها الفقيه سليمان بن فتح بن مفتاح ، وهي في منطقة الشوافي ، وكان قد أحدثها وأسس بناءها الشيخ حسن بن عيسى بن عمر بن أبي النهى[1] .

ولما كان مؤسسا هاتين المدرستين من الموسرين فقد تكفلا بتمويلها لضمان استمرار نشاطها بعد أن وفرا لها كل الأساسيات السابقة ، هذا كله قبل دخول الأيوبيين إلى اليمن بحوالي عشر سنوات تقريباً[2] .

ومع أن كل ما ذكرناه من المعلومات واضح الدلالة ومتناثر في المصادر التاريخية المطبوعة إلا أن هناك حالة من الخلط لدى بعض الباحثين في استقرائها ، ولمحاولة معرفة سبب ذلك نقوم بالتعامل مع التساؤلين الآتيين اللذين يبرزان أمامنا إزاء ما سبق :

❖ أيهما ظهر أولاً في اليمن : المدرسة مكاناً أم المدرسة مصطلحاً ؟

❖ ما مدى إسهام المؤرخين – كُتّاب المصادر – في تضليل الباحثين المعاصرين في هذا الشأن ؟

بعد استعراض ما سبق أجد نفسي مدفوعاً إلى الاعتقاد بأن المدرسة (كمكان له دور وظيفي تعليمي) قد وجدت في اليمن منذ مدة طويلة ، تسبق بكثير حتى تلك الإشارات التي تعود إلى القرن السادس الهجري ، وأقصد تحديداً النوع الأول المرتبط وجوده بالمسجد ، فنحن نعرف بداهةً أن الدور التعليمي للمسجد لم يتوقف منذ تأسيس أول مسجد في المدينة المنورة بعد الهجرة النبوية ، وهو الدور الذي انسحب على معظم المساجد والجوامع في العالم الإسلامي قاطبةً ، وما أقوله عن المدارس في اليمن من هذا الجانب ينطبق على الأقطار الإسلامية الأخرى ، أما المدرسة (كمصطلح) فقد كانت ولادته متأخرة بالشكل الذي بيناه في استهلالنا الحديث عن المدارس ودور الوزير السلجوقي نظام الملك في نشرها ، بل إنني أكاد أجزم بأن الأيوبيين هم فعلاً أول من أدخل هذا المصطلح إلى اليمن ليطلق على المرافق التي أنشئت من قبلهم ، وهذا المعنى هو ضمن ما توحيه العبارة الشهيرة التي نقلتها المصادر : " وهو[3] أول من

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٤١ .

(2) عبدالرحمن المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ١١٢ .

(3) الضمير هنا يعود على السلطان الأيوبي المعز بن طغتكين (ت ٥٩٨هـ / ١٢٠١م) .

بنى من الغز – أي الأيوبيين – مدرسةً في اليمن ... "[1] ، فأنا أركز على الشاهد المُتَضَمَّنِ في العبارة ، وهو كلمة (مدرسة) ، أما اعتبار هذا النص دليلاً على ريادة الأيوبيين في تأسيسها فهو – في رأيي – دليل لا يقوم بالحجة بمجرد المناقشة اللغوية الدلالية لها، فكوني أنا أول صنعاني يدرس في جامعة المنصورة المصرية لا يعني بالضرورة أن يمنياً آخر لم يدرس فيها قبلي ، فأقول مجيباً على التساؤل الأول : لقد كان ظهور المدارس في اليمن (كمكان ودور وظيفي) سابقاً بمراحل تاريخية طويلة للمدارس (كمصطلح) .

هناك احتمال قوي يبرز هنا ، هو أن المؤرخين اليمنيين القدامى قد أسهموا بقدر كبير في إيجاد الخلط القائم ، خاصةً عندما نعلم أن معظمهم عاشوا في المدة التي تزامنت مع الوجود الأيوبي أو بعده، فهم قد تسببوا في ذلك الخلط من باب إطلاقهم لمصطلحات وجدوها مستخدمة في أيامهم على مرافق تعليمية ، فأطلقوها على المرافق التعليمية المشابهة في القرون التي سبقتهم ، فيظهر للقارئ لنصوصهم – للوهلة الأولى – أن ذلك المرفق قد حمل الاسم الذي أنعم به أولئك المؤرخون عليه ، ومما لاحظته أن هذا الخاطر لم يدر في خَلَد أيٍ من الباحثين ، وأراه جديراً بالتوقف عنده ، فهو يشبه قولنا بأن الحاكم بأمر الله الفاطمي هو مؤسس جامعة الأزهر ، فهل كان الحاكم بأمر الله الفاطمي يعرف أنه يؤسس جامعةً ، وهل سمى الناس ذلك المبنى الذي أمر بإنشائه جامعةً ، نحن في هذه الحالة نستخدم المصطلح المعاصر بأثر رجعي على المؤسسات التي تشبه في دورها الوظيفي الدور تلعبه الجامعات في تاريخنا المعاصر .

شواهد هذا الخاطر كثيرة تجعلني أرجح كونه السبب الرئيس في الجدل الذي دار بين الباحثين حول نسبة ريادة إنشاء المدارس في تاريخ اليمن في عصرها الإسلامي ، وعمارة اليمني (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م) هو أول هؤلاء المقصودين بالحديث ، فهو قد عاش في مصر شطراً كبيراً من حياته كما سبق بيانه في الفصل الأول ، ورأى المدراس هناك ، ولعله دَرَّسَ في بعضها ، ورأى أن هذه المدارس تشبه كثيراً تلك المرافق التي يستخدمها أقرانه من العلماء اليمنيين في زبيد وغيرها لممارسة نشاطهم التدريسي ، فلم يجد غضاضة في إطلاق مصطلح (المدارس) عليها ، فهو يقول عن نفسه وذكرياته في مرحلة الطلب الأولى في مدينة زبيد : " فكان الفقهاء في

---

(1) الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ١٧٢ ، ابن الديبع ، **قرة العيون** ، ص ٢٨٥ .

جميع المدارس يتعجبون من كوني لا ألحن بشيئ من الكلام ... "[١] ونكرها أيضاً عند إيراده لخبر خروج جياش بن نجاح وأخيه سعيد الأحول لقتل علي الصُليحي سنة (٤٥٩هـ / ١٠٦٦م) ، وأنه قد شاع " حتى لا تكاد المساجد والمدارس والأسواق والطرقات تخلُ من الخوض في ذكر ذلك "[٢] ، والمؤرخ الجندي[٣] (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م) يصف مدينة حُوْث بأنها " مدرسة الزيدية ، وتخرج منها جماعة من علمائهم"، وذكرت بعض المصادر أن الفرقتين الزيديتين ، المطرفية والمخترعة ، أسستا مدرستين في مسجد هجرة سناع في فترة مبكرة جداً ، في أواخر القرن الخامس الهجري[٤] ، مع أن مناطق الزيدية إجمالاً لم تعـرف المدارس إلا ابتداءً من سنة (٩٢٦هـ/ ١٥١٩م)[٥] ، بل إن المؤرخ الزيدي مسلم اللحجي[٦] لما رصد معظم الأنشطة التي دارت في ذلك المسجد لم يشر نهائياً إلى ما سماه البعض بالمدرستين مع أنه ترجم لمن زعمت المصادر الأخرى أنهما أسسا المدرستين ، وأظن أن ما سبق ذكره يعد جواباً للتساؤل الثاني حول إسهام المؤرخين في إحداث الخلط في هذه المسألة.

لم يطل القرن التاسع الهجري على اليمن إلا وقد أصبح للمدارس دور الصدارة في إنعاش الحياة العلمية فيها ، وذلك لما أولاه السلاطين الرسوليون – خلفاء الأيوبيين – من العناية والاهتمام بها، وقد بلغت من الكثرة وبروز الأثر أن قام بعض الباحثين بكتابة رسالة أكاديمية مستقلة عنها وعن أثرها على الحياة العلمية في اليمن في عهد الدولة الرسولية[٧] ، وقام مؤرخ يمني معاصر بإصدار كتاب حول موضوعها[١] ،

---

(1) عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد** ، ص ١٢٥ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ، د. محمد علي العروسي ، **مدارس العلوم الإسلامية في اليمن – الأيوبيون والمدارس في اليمن** ، ص ٢٣.

(3) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٠٨ .

(4) انظر تفصيل ذلك في الفصل الأول من هذه الدراسة .

(5) الأكوع ، **المدارس الإسلامية** ، ص ٣٦٥ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٩٦ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٨٥ ، شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٤٠ ، ٤٦ ، شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ٦٠ .

(6) **طبقات مُسَلَّم اللَّحْجِي** ، ج ٤ ص٥١ .

(7) هو الباحث عبدالعزيز بن راشد السنيدي ، **المدارس وأثرها على الحياة العلمية في اليمن في عصر الدولة الرسولية** ، رسالة الماجستير ، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

وكانت هذه المدارس هي الميدان الأبرز الذي مارس فيه رموز الفكر الإسلامي والعربي في اليمن نشاطهم العلمي ، وفي ساحاتها نهل من معينهم الكثير من الوافدين على أرض اليمن من أبناء الإسلام كما بيناه في الفصل الأول وسنبين طرفاً آخر لاحقاً .

وفي إحصائية تشمل كل المدارس العلمية التي بنيت ابتداءً من عهد الرسولية المبكر في بداية القرن السابع الهجري ، ومروراً بعهد الدولة الطاهرية كاملاً ، ومن عاصرهما من الأئمة الزيدية ، حتى نهاية الإطار التاريخي لدراستنا في منتصف القرن الهجري العاشر ، في إحصائية شملت كل ذلك بلغ عددها مائة وثلاثة وتسعين مدرسة علمية[٢] في أغلب مناطق اليمن ، وعندما شمل هذا الرقم المدارس التي بنيت قبل مدة الدراسة فذلك على اعتبار أن هذه المدارس جميعها لم تكن معتمدة في تمويلها على ما ينفقه مؤسسوها عليها من أموالهم النقدية ، بل إن المدرسة منها لم تكن تتبلور فكرة إنشائها إلا بعد أن يضمن لها مؤسسها من الموارد العينية – وغالباً ما كانت أراضٍ زراعية مثمرة – ما يضمن استمرارها في أداء نشاطها ما دام ريع وقفها يجري إنفاقه عليها ، لذلك فقد كان المؤسس يتوفى ويتوفى بعده أكثر من جيل من أبنائه وأحفاده والمدرسة مستمرة في أداء رسالتها كما لو كان المؤسس مشرفاً عليها يسدد مسيرتها ويدفعها إلى الاستمرار .

رابعاً : القرى العلمية :

القرية العلمية مصطلح استخدمه الباحثون في تاريخ اليمن في عصرها الإسلامي ، أستطيع – من خلال ما أراه من سماتها العامة ووصف الباحثين السابقين – أن أحصر مدلوله اللفظي في التعريف الآتي : **القرية العلمية هي تلك القرية التي تتمتع بقوة جذب لطلاب العلم تجعلهم يؤمونها بغرض التلقي والتحصيل العلمي على يد فقهائها وعلمائها ، وتوفر لها بعض المرافق الصالحة لتدريس العلوم ، من مساجد ومدارس وأربطة وزوايا ومنازل العلماء ، بعضها أو كلها، وليس لها من ضمانات**

---

(1) هو القاضي إسماعيل الأكوع ، وكتابه هو (المدارس الإسلامية في اليمن) وهو أحد مراجع دراستنا هذه.

(2) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص ٤٣٧ – ٤٤٥ ،
Sadek, Noha, Patronage and architecture in Rasulid Yemen , 626-858 A.H. / 1229-1454 A.d., PH.D. thesis, the university of Toronto, Canda, 1990, p 190 – 200 ، نقلاً عن الفيفي ، الأحوال السياسية في الدولة الرسولية ، ص ٤٥ .

الحماية من الهجوم عليها إلا المكانة الروحية لعلمائها وبقدر ما يبذله الناس من الاحترام والتقدير لمنزلتهم العلمية ، وامتلاكها لهذه السمات لا يتخذ صفة الثبات بالضرورة .

لعل اليمن هي القطر الإسلامي الوحيد الذي تمتعت كثير من قراه بهذه الصفة ، فالقرية العلمية بهذا الشكل تنافس المدينة في الوزن العلمي والتأثير الثقافي ، وإن كان هذا التأثير مرهون بعدد العلماء والفقهاء من ساكنيها ، وسواءً كانوا من أهلها الأصليين أو من الوافدين عليها ، قد يقل عددهم أو يزيد بين قاطنيها ، ويضعف تأثيرها أو يقوى تبعاً لذلك .

ومن خلال استعراضنا المختصر في الفصل الأول لسمات الحياة العلمية في اليمن نلاحظ أن أشهر العلماء وأبرزهم في مدة ما قبل الإطار الزمني لدراستنا هذه هم من أبناء هذه القرى والهجر العلمية – الآتي ذكرها – وقد استمر نشاط كثير من القرى العلمية التي عرفت بازدهار النشاط العلمي والتدريسي فيها من قبل ، وفقد بعضها السمات المشار إليه في التعريف أعلاه ؛ فانتفى عنها صفة العلم ، وفي المقابل ظهرت قرى أخرى جديدة لتنضم إلى قائمة القرى العلمية في اليمن .

ومما يؤسف له أن العلماء والفقهاء اليمنيين كانوا غير آبهين – في الغالب – لتدوين نشاطهم العلمي والترجمة لبعضهم والتعريف بأوطانهم – من القرى والهجر العلمية والمدن – بالقدر الذي يتناسب مع عددهم ومبلغ التميز والرقي العلميين اللذين وصلوها ، ولا يتضح ذلك إلا عندما يبرز أحدهم ليؤرخ لمنطقة بعينها فتجد من صور النشاط الثقافي وكثرة الجهود المبذولة في إطار تدريس العلوم والتأليف حولها ما يبعث على التعجب والاستغراب ، وهو ما يدفع إلى الظن بأن المناطق الأخرى لو وجدت من يدون مجريات أنشطتها العلمية لتساوت مع تلك التي كُتب عنها إن لم تتجاوزها ، فهذا المؤرخ الأهدل (ت ٨٥٥هـ /١٤٥١م) يتناول مجريات ذلك النشاط على مساحة زمنية ممتدة عبر ما يقرب من ثلاثة قرون لمنطقة تهامة وحدها ، فيحدثنا عن حوالي ثلاثة وستين قرية علمية فيها فقط ، أما القرى العلمية التي عرضها القاضي الأكوع في (هجر العلم ومعاقله في اليمن) وترجم لكبار علمائها فقد زاد عددها عن مائة وستين قريةً علميةً على مستوى اليمن كلها ، ويدخل في هذا العدد جزء كبير من تلك التي تناولها الأهدل ، وكانت كل هذه القرى مراكز علم ومنارات هدى دائمة ، منها :

❖ قرية الناشرية[1] :

قرية مازالت عامرة في منطقة بني جامع من وادي مور من تهامة ، تقع بين اللُّحَيَّةِ غرباً والزُّهرة شرقاً ، وهي إلى الزهرة أقرب ، إذ أنها لا تبعد عنها إلا بحوالي ١٧ كيلومتراً ، أول من نزل موضعها وجعلها قريةً ناشر الأصغر بن عامر بن ناشر الأكبر العكي في أوائل القرن الخامس الهجري ، وهو من نُسِبَتْ إليه ، ومن ينتسب إليها يقال له : الناشري ، قال الحبشي[2] : " الناشريون فقهاء اليمن ، وهم أكبر بيت في العلم والفقه والصلاح[3] ، وكان ينتفع بهم في أكثر بلاد اليمن ... " ، وقد كثر العلماء والفقهاء والقضاة من أبناء هذه القرية المباركة حتى انتشر ذكرهم في معظم – إن لم نقل كل – كتب الرجال والتواريخ اليمنية ، وقد ورد في مدحهم على وجه الخصوص قول الشاعر :

قومٌ لهم مِنْ كُلِّ عِلْمٍ مَشْرَبٌ
وجلالُهم وكمالُهم مشهورُ

وجمالُهم فوقَ الورى ، ولصدرِهمْ
مِنْ فَيْضِ عِلْمِ العالمينَ صُدُورُ[4]

ترجم القاضي الأكوع[5] لاثنين وتسعين منهم ، وقام بعضهم بتأليف كتب مخصصة بالترجمة لأبناء قرية الناشرية فقط ، سنقوم بتناولها في الفصل الخاص بمؤلفات علماء اليمن في مدة دراستنا بمشيئته تعالى .

---

[1] الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٤ ص ٢١٦٣ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٤ ص ٧٣٠ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ٢ ص ١٧٠٦ ، بامخرمة ، **النسبة إلى المواضع والبلدان** ، ق ٣٨٠ .

[2] **علماء بني ناشر** ، بحث ملحق بكتاب انتهاز الفرص في الصيد والقنص لتقي الدين حمزة الناشري ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٧١ .

[3] ما قصده الحبشي بقوله : " وهم أكبر بيت في العلم والفقه والصلاح " هو أنهم أكبر بيت في تهامة ، والتعميم على اليمن كلها حكم متسرع في نظري ، خاصة أن البحث الذي وضع فيه الحبشي رأيه هذا هو ضمن سلسلة : بيوت العلم في تهامة .

[4] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٣٨٤ .

[5] **هجر العلم** ، ج ٤ ص ٢١٦٣ – ٢١٨٧ .

من أشهر رجال هذه القرية نذكر القاضي الإمام أحمد بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري[1] (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) ، غادر الناشرية ونزل زبيد فكان فقيهها وقاضيها ، قال عنه بامخرمة[2] : " كان غاية في الحفظ وإتقان المذهب ، باذلاً نفسه لطلب العلم ، متواضعاً زاهداً ، قانعاً من الدنيا بالقليل ، إليه انتهت الرياسة والفتوى بزبيد " ، وقد تتلمذ على يديه عدد من أبرز علماء زبيد واليمن في عهده .

كان شجاعاً مهاباً ، لا يخاف في الله لومة لائم ، تروي بعض المصادر[3] في وصف شدته أنه : " ولي القضاء بزبيد مرتين ، وحمل الناس على الحق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير أن يأخذه في الله لامة لائم ، يقابل بذلك الأمراء والكبراء ، حتى كرهه كثير من الناس ممن يكره الحق ، وكان ينكر على صوفية الوقت بزبيد – كالجبرتي وابن الرداد وأتباعهما – لكثرة الإمعان في السماع وكثرة الدعاوى والشطح واشتغالهم بكتب ابن عربي الفلسفي المتصوف ... ولما أحس بكراهة الناس لقضائه وليس بتارك الحق عزل نفسه وأقبل على التدريس والفتوى وانتهت إليه رياستها لمعرفته وصلاحه وزهده وورعه ... " ، ومثل هذه المواقف لا تصدر إلا عمن ترك الدنيا ومصالحها وراء ظهره ، ولم يحفل بها ، ويلهث وراء مغرياتها ، فقد استعدى بحبه للحق وتفانيه في الوقوف معه عِلْيَةَ القوم ومن بيدهم القرار يومئذ ، يتضح ذلك من التفصيل الذي أورده الشرجي عن الشريحة التي ضاقت به ، فما يكون لعامة الناس أن تكره الحق أو تحيد عنه وعن دعاته ، يقول الشرجي[4] : " ينكر على السلطان فمن دونه ... فمشى بالناس طريقة الجد والأخذ بالحق ؛ فضاق لذلك أكثر الناس خصوصاً غلمان السلطان ، فإنه جرت لهم معه وقائع متعددة ، ولم يسامح معهم في شيئ منها ..." .

---

(1) ترجم له ابن حجر ، **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، ج ٢ ص ٥٢٥ ، الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن** ، ج ١ ص ٥٩ ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢٢٠ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج١ ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص٩١ ، ابن العماد ، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٨م ، ج ٧ ص ١٠٩ ، المقريزي ، **درر العقود الفريدة**، ج ١ ص ٢٧٧ .

(2) **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٧٣ .

(3) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٩٦ ، ٧٠ .

(4) الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٩١ ، ٩٢ .

ومن علماء هذه القرية المباركة الإمام العلامة ، قاضي القضاة ، شيخ الإسلام جمال الدين الطيب بن أحمد بن أبي بكر الناشري (ت٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) ، أحد أبناء القاضي السابق ذكره ، كان من وجوه علماء اليمن وعبادها ، موصوفاً بأنه " الإمام العلامة ، الصالح العابد الزاهد ... الإمام المجمع على جلالته وفضله وتضلعه في العلوم ... "[١] ، لم يحز الإمام الطيب هذه المنزلة إلا بتفانيه الكبير في طلب العلم ، وسعيه للجلوس إلى أكبر العلماء الذين يلتقي بهم ، سواءً من الوافدين إلى اليمن أو الذين يجدهم في غيرها مثل مكة المكرمة ، يقول عنه تلميذه المؤرخ البريهي[٢] : " قرأ على والده ... ثم على غيره من فقهاء زبيد وغيرهم بجميع فنون العلم ، وأجاز له الشيوخ الكبار في مكة المشرفة والمدينة الشريفة عند أن سافر إلى الحج والزيارة ، وأجاز له الشيخ مجدالدين الشيرازي[٣] ، والشيخ شمس الدين الجزري ، وقد جمع المشائخ الذين قرأ عليهم وأجازوا له في كراسة جعلها عنده ... " .

كان الإمام الطيب الناشري ذا قبول عند الناس ، ومنزلةٍ كبيرةٍ في نفوسهم ، أحبه كل من عرفه أو حتى سمع عنه ، وأنزله السلاطين الرسوليين المنزلة الرفيعة ، وخاصةً السلطان الظاهر الرسولي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) ، فقد ولاه قضاء الأقضية أو القضاء الأكبر ، يقول البريهي[٤] : " ناب لعمه القاضي شمس الدين علي الناشري بالقضاء الأكبر ، ثم استقل به بعد موته، ورزق الجاه الكبير عند الخاص والعام ، ورفعه السلطان الظاهر على جميع الناس بما استحقه من فضل العلم مع ورعه وزهادته المجمع عليه ، وأحبه الناس ، وانتفعوا به انتفاعاً كثيراً، وقصد للمهمات ، وأطاعوه وامتثلوا أمره ... " ، ولم تتغير منزلته بتغير الدولة الرسولية وزوالها ، فقد حاز منزلةً سامية لدى سلاطين الدولة الطاهرية لا تقل عما بلغه في عهد الرسوليين أنفسهم ، فقد روى لنا بامخرمة[٥] ما يعبر عن تلك المنزلة عندما روى أن السلطان المجاهد الطاهري علي بن طاهر (ت٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) ووالي زبيد من قبله حضرا القراءة

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣١٧ – ٣١٩ .

(2) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

(3) يقصد به مجدالدين الفيروزآبادي الشيرازي صاحب القاموس المحيط .

(4) المصدر السابق والصفحة .

(5) قلادة النحر ، ج ٣ ص ٧٢٥ .

عليه بعد موته ، وقام السلطان بنفسه بتقديم واجب العزاء لأهله ، ثم وقف معهم يتلقى العزاء فيه ، وقام بتعيين ابنه عبدالله بن الطيب الناشري في منصب قضاء الأقضية خلفاً لأبيه .

❖ **قرية الشَّرْجة[1] :**

الشَّرْجة ، اسم لأكثر من موضع في اليمن ، أشهرها موضع بجوار حَرَض في شمال تهامة اليمن ، وقد أصبح مهجوراً غير مسكون ، والآخر قرية علمية شهيرة عامرة[2] ، تقع في منطقة المَعَاصِلة من زادي زبيد ، تقع بين مدينتي زبيد وحَيْس ، وهي المقصودة بحديثنا هنا ، وقد خلط بينهما أناس فجعلوهما واحداً[3] ، وميز بينهما آخرون[4] بقولهم : شرجة حرض وشرجة حيس ، كان أهل قرية الشرجة كلهم أحناف، وبرع منهم جماعة في تدريس المذهب الحنفي وفقهه، وكانوا من رواد العلوم في اليمن .

من علماء هذه القرية المباركة الإمام العالم الحافظ أبو عبدالله عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي[5] (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، كان شيخ النحاة في اليمن في مدته، وإمامهم في عصره ، بعد أن نشأ في قريته وأخذ عن فقهائها اتجه صوب زبيد لينهل من معين علمائها ، فقرأ النحو والأدب على الفقيه أحمد بن عثمان بن بُصَيْبِص (ت٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) ، وكان أجل تلاميذه ، لذلك ما إن مات حتى أصبح هو عمدة النحو في اليمن كلها ، وكان يدرسه في المدرسة الصلاحية إحدى مدارس زبيد[6] ،

---

(1) الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٢ ص ١٠٤٢ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٤٩ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ١ ص ٨٥٨ ، بامخرمة ، **النسبة إلى المواضع والبلدان** ، ق ٢٥٦ .

(2) وصفها الأكوع ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١٠٤٢ بأنها خربة ، أي مهجورة وغير مسكونة .

(3) منهم المؤرخ بامخرمة **النسبة إلى المواضع والبلدان** ، ق ٢٥٦ .

(4) منهم الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٤٩ .

(5) ترجم له ابن حجر ، **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، ج ٤ ص ١٦٧ ، الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن** ، ج ٢ ص ١٣٩ ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٣١٤ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٤ ص ٣٢٥ ، الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٣٠٧ ، ابن العماد ، **شذرات الذهب** ، ج ٧ ص ١٧ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٦٩ .

(6) الأكوع ، **المدارس الإسلامية** ، ص ٢٦ .

وكان مشهوراً بحسن الخط ، لذلك جمع كتباً كثيرة من خط يده، وكان حريصاً على ضبطها على أمهاتها ، فأصبحت كتبه معياراً لتصحيح النسخ الأخرى عليها ، وقد بلغ من العمق في فهم النحو وعلوم اللغة إجمالاً حتى تتلمذ على يده بعض سلاطين الدولة الرسولية ، وعلى رأسهم السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) وابنه السلطان الناصر أحمد (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ، ورحل إليه الطلبة من أنحاء اليمن[1] ، وقد ألف عدداً من كتب النحو واللغة بتكليف من السلطان الأشرف أشهرها كتاب (الإعلام بمواضع اللام في الكلام) .

ومن أبرز علماء هذه القرية أيضاً المؤرخ الحافظ المحدث أحمد بن أحمد الشرجي[2](ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م)، صاحب كتاب (طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص)، كان حنفي المذهب مثل بقية أفراد قريته ، ترجم له الإمام السخاوي[3] بقوله : " أحد أعيان الحنفية ... سمع اتفاقاً مع أخيه على النفيس العلوي والتقي الفاسي ، وبنفسه على ابن الجزري ، سمع عليه – أي على ابن الجزري – النسائي وابن ماجه ومسند الشافعي والعدة والحصن الحصين وكلاهما له ، والتيسر على أبي الفتح المراغي وكذا على الزين البرشكي[4]عام وصوله إلى اليمن مع ابن الجزري سنة (٨٢٩هـ / ١٤٢٥م) والشفاء والمطأ والعمدة ومصنفه طرد المكافحة عن سنة المصافحة ... ".

مع أن أحمد الشرجي كان محدثاً حافظاً إلا أنه كان ذا ميل كبير إلى التصوف ، والغرابة في موقفه أنه اختلف عن بقية المحدثين في اليمن بحبه للتصوف الذي كان قائماً آنذاك وهو التصوف الفلسفي القائل بوحدة الوجود ، فكان يجل رجاله ويعظمهم ،

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٦٩ .

(2) ترجم له الشرجي ، **طبقات الخواص** ، مقدمة المحقق ص ٥ ، ٦ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٨١ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١ ص ٢١٤ ، ابن فهد ، **لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ، صححها وعلق عليها عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د ، ت) ، ص ٢٥٩ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٥١ .

(3) **الضوء اللامع** ، ج ١ ص ٢١٤، ٢١٥ .

(4) كل هذه الأسماء المذكورة هم من علماء مصر والشام ، قدموا اليمن زيارة لها ، وعقدوا مجالس التدريس في بعض مدنها ، ولعلنا نستعرض رحلاتهم في مبحث الرحلات العلمية إلى اليمن .

ولعل ذلك وراثة عن أبيه الذي كان على علاقة حسنة بهم ، حتى أن السخاوي[1] ذكر أن الذي سماه أحمداً هو الشيخ أحمد بن أبي بكر الرداد ، وهو أحد أبرز علماء الصوفية في زبيد عصرئذ كما سنرى في الفصول القادمة بمشيئته تعالى .

خامساً : الهِجَر العلمية :

الحديث عن (الهِجَرِ العلمية) في تاريخ اليمن يستدعي التوقف طويلاً ، فهو حديث عن ظاهرة فريدة لم يعرفها العالم الإسلامي كله ، وهو حديث عن نوع مميز من أماكن التعليم اليمنية الموطن والفكرة ، فمن المعروف أن اليمن اشترك مع بقية أقطار العالم الإسلامي قاطبة في وجود معظم أنواع أماكن التعليم ، ولكنه انفرد بالقرى العلمية نوعاً ما ، وشذ عن البقية تمام الشذوذ بوجود الهجر العلمية ووفرتها ، فما هي الهجر العلمية وما موضعها في خارطة أماكن التعليم في اليمن في عصرها الإسلامي ؟ .

سأقفز إلى الأمام خطوات بقيامي بالتعريف بـ(الهجرة العلمية) في اصطلاح اليمنيين ، كي يكون القارئ منجذباً معي في تتبع ما سآتي لاحقاً لتناوله من نشأة هذه (الهجر العلمية) وأدوارها الوظيفية العلمية في المجتمع اليمني ، فمصطلح (الهجرة العلمية) عند اليمنيين يشير إلى " القرية التي يهاجر إليها من رغب عن سكنى المدن ... ليجعلها دار إقامة له ، ويتخذ منها مكاناً لنشر العلم فلا تلبث أن تكون – في كثير من الأحيان – مقصودة لطلب العلم ، تشد إليها الرحال ، وتهوى إليها أفئدة العلماء وطلبة العلم ... "[2] ، وقد فصل القاضي إسماعيل الأكوع[3] كيفية نشوء الهجرة بما ينبئ عن معنى مصطلحها أكثر فقال : " يختار بعض العلماء مكاناً قريباً من القرية التي يسكن فيها ليبني له داراً عليها ، فيستأذن أهل تلك القرية – إذا لم يكن من أهلها – ليسمحوا له بالبناء حتى يتفرغ للقيام بواجباته من العبادة والتعليم والإفتاء والإصلاح بين الناس بعيداً عن صخب مجتمع القبائل ، فيهبوا له ذلك المكان تكريماً له واعتزازاً بوجوده بين أظهرهم ، ويمدونه بما يستطيعون من عون ومساعدة حتى يكتمل بناء داره، ويقيمون مسجداً مجاوراً لداره ، ثم يتتابع البناء هناك لمن يلحق به من العلماء

---

(1) الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢١٤، ٢١٥ .

(2) الأكوع ، هجر العلم ، ج ١ ص ٥ .

(3) المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ص١٧ ، ١٨.

وطلبة العلم الذين يتوافدون على تلك البلدة حتى تكبر وتصير بلدة خاصة بأهل العلم ، فتدعى حينئذٍ هجرة كذا ، مضافةً إلى اسم القرية المجاورة لها التي نشات في كنفها " .

فما مفهوم الهجرة اللغوي ، ومن أين اشتق هذا المصطلح ؟ وما الظروف التي ولدت فيها هذه النوعية من الأماكن التعليمية في اليمن ؟

للإجابة على التساؤل الأول نقول : لم تبتعد المعاجم العربية اللغوية – القديمة والمعاصرة – عن بعضها في تحديد معنى كلمة (الهجرة) ، وكلهم اشتقوها من المصدر (هجر) ، ويكادون يجمعون على لفظ واحد في التعريف بأنها " **الخروج من أرضٍ إلى أخرى** "[1] ، وأنها أيضاً تدل على : " خروج البدوي من باديته إلى المدن ، ويقال هاجر الرجل إذا فعل ذلك ، وكذلك كل مُخْلٍ بمسكنه منتقل إلى قومٍ آخرين بسكناه فقد هاجر قومَه ، وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا بها لله ... فكل من فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر فهو مهاجر ، والاسم منه الهجرة "[2] .

بيد أن هناك دلالةً اصطلاحيةً دينيةً قد شاعت عن هذه اللفظة (الهجرة) منذ عصر النبوة، فهي عند الإمام الجرجاني[3] (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) " ترك الوطن الذي به الكفار والانتقال إلى دار الإسلام " ، وهذا هو المعنى الذي توحيه كل كتب السيرة والمغازي ، وسارت على منوالها كل كتب التواريخ المشهورة بلا استثناء ، وقد أعطى لها بعض القدماء من علماء البيت العلوي معنىً ذا بُعدٍ عقائدي وعلمي خاصعندما انعزل بأهله جانباً عن المجتمع بدعوى هجرة الظلمة والمفسدين[4] ، لكننا هنا نقف أمام لفظة مشابهة في لغة اليمن القديمة ، اللغة الحِمْيَرِيّة ، وهي كلمة

---

[1] ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج ٦ ص ٤٦١٦ ، ٤٦١٧ ، الفيروزآبادي ، **القاموس المحيط** ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٥٢م ، ج ٢ ص ١٦٣ ، د. إبراهيم أنيس وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، ج ٢ ص٩٧٣ .

[2] ابن منظور ، **مصدر سابق** ، ج ٦ ص ٤٦١٧ .

[3] **كتاب التعريفات** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص ٣١٩ .

[4] هو الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي ، جد الإمام الهادي يحيى بن الحسين ، مؤسس المذهب الزيدي في اليمن ، انظر د. علي محمد زيد، **تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري**، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(هَجَــر) ، وتشير إلى القرية أو المدينة المسوَّرة والبعيدة عن الناس[١] ، وبالتالي فمن المحتمل أن مصطلح (الهجرة العلمية) لدى اليمنيين قد جاء مستوحىً مما أشارت إليه المعاجم اللغوية وكذلك البعد الديني الإسلامي لها ، ثم إن الجذر التاريخي الحِمْـــيَرِيَّ القديم قد جاء مكملاً لكل ذلك[٢] .

حافظ مصطلح (الهجرة العلمية) على حدوده التي رسمها لــه اليمنيــون منــذ القرون الهجرية الأولى ، فهو معدود إذاً من هذه الناحية بين المــصطلحات الجامــدة ، فكما أننا وجدنا إشارات قديمة إليه في القرن الهجري الثالث[٣] فإننا نراه بنفس حــدود دلالته في الكتب التاريخية الحديثة والمعاصرة ، وقد تناولنا في الفصل الأول اثنتين من أقدم الهجر العلمية في اليمن هما : هجرة سناع وهجرة وقش ، والأخيــرة هــي التــي ذكرها ياقوت الحموي[٤] (ت٦٢٦هـــ / ١٢٢٨م) وعرفها بقوله : " وَقَش بلد بــاليمن قرب صنعاء ، وهجرة وقش موضع فيه كالخنقاة يــسكنه العُبَّــاد وأهــل العلــم ... " ويستطرد قائلاً : " وفي اليمن عدة مواضع تقال لها هجرة كذا ... "[٥] ، هذه الإشــارة مهمة جداً ، وذلك لأنها تشير إلى كليهما : التعريف بالهجرة والدور الوظيفي لها ، فهو قد قام بتشبيهها بالخانقاه ولم يقل إنها خانقاه ، وما ذلك إلا لأنه رآهــا مختلفــةً عنــه ، فالخانقاة معروف بارتباطه الكلي بالصوفية كما سنبينه قريباً ، والصوفية منعدمون فــي الهجر العلمية تماماً ، ولا يوجد ربط بين إشارة الحموي إلى سكنى العُبَّاد للهجر العلمية وبين التصوف ، فالهجر العلمية وجدت بشكل أساسي في مناطق انتشار المذهب الزيدي الذي لم يتكيف التصــوف معه ، وبالتالي فمفهوم (العُبَّاد) في مناطق الزيديــة لــيس شبيهاً بمفهومه السائد الذي يذكر قارئه بالصوفية في أقطار العالم الإسلامي الأخــرى ،

---

[1] د. يوسف محمد عبدالله ، أوراق من تاريخ اليمن وآثــاره ، دار التــنوير للطباعة والنــشر ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ج ١ ص ٣٨ .

[2] عبدالرحمن المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والــسادس الهجــريين ، ص ٦٦ ، ٧٠ .

[3] اللُّحجي ، طبقات مُسَلَّم اللَّحجي ، ج ٤ ص ٧٨ ، الأكوع ، المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله فــي اليمن ، ص ٦٠ ، ٦١ .

[4] الحموي ، معجم البلدان ، ج ٥ ص ٣٨١ .

[5] المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

بل حتى في مناطق اليمن التي سنتناولها قريباً في بقية حديثنا عن اماكن التعليم ، ولعل النص الذي أورده أحد أقدم المؤرخين اليمنيين - **مُسلَّم اللَّحْجي** (ت٥٤٥هـ / ١١٥٠م) - واصفاً هجرة وقش يفسر كثيراً مما غمض من نص الحموي حول دورها، يقول مُسلَّم اللَّحْجي[١] : " فصارت هجرةً ، تُؤَدَّى فيها الفرائض ، ويُعْبَدُ الله - فيها - فلا يُعْصى ، ويُتَعَلَّمُ العلم ، ويُحْيَى فيها الدين ، حتى قامت الحجة على أهل العصر مقام الإمام الداعي إلى ربه المُشْهِر سيفه ، مَنْ تاب من أهل البلاد لجأ إليها ، وفر بدينه إلى أهلها ، ومَنْ جهل أشياء أتاها للبحث والسؤال عنه ، ومَنْ نابه بمحلِ ظالمٌ غاشمٌ هرب إليها للأمن ... ومَنْ أهَمَّه أمر معاده ومعاشه أتى متوكلاً على الله فأتاه الله فضله من حيث لا يحتسب ، وتُسُوْمِعَ بها ... فانتهي ذكرها إلى أطراف الآفاق ، فضُرِبَتْ إليها آباط الإبل ، وطُوِيَتْ إليها المراحل ، ونفع الله بها من أراد من خلقه ... " ، وهذا النص الأخير يجعلنا نصل إلى قناعة كبيرة باحتمال انسلاخ مصطلح (الهجرة العلمية) من :

- المعنى اللغوي الصرف لها الذي أشارت إليه المعاجم اللغوية .
- إضافةً إلى المدلول التي حملته اللفظة نفسها في اللغة الحِمْيَرِيَّة اليمنية القديمة .
- إضافةً إلى تعريف الإمام الجرجاني للهجرة مع فارق أن (الكفار) المشار إليهم في تعريفه سيحل محلهم أفراد القبائل اليمنية المتناحرة ، وسيحل محل (دار الإسلام) أرض (الهجرة العلمية) نفسها .

من الواجب علينا مناقشة الظروف التي ولدت فيها (الهجرة العلمية) ، لكي نعرف فيما إذا كان إيجادها ترفاً أم استجابةً لحاجة ملحة ، وتناول هذه الظروف يحتاج إلى نظرة واسعة تشمل التركيبة الاجتماعية اليمنية والظروف السياسية والمذهبية التي عاشتها اليمن في القرون الهجرية الثالث والرابع والخامس ، لأنها المدة التي شهدت تشكل مفهوم (الهجرة العلمية) وبروزها على السطح ، ونظراً لضيق المجال هنا فسأكتفي بإشارة مناسبة إلى تلك الظروف :

(١) مما هو معروف بداهةً عن اليمن عموماً ، والمناطق الشمالية من المرتفعات الجبلية اليمنية الوسطى خصوصاً ، أنها عاشت صراعات سياسية وقبلية دائمة ، بعضها بين القبائل المتعددة حول مصالحها المعروفة والمتمحورة حول أماكن

---

[١] طبقات مُسلَّم اللَّحْجي ، ج ٤ ص ٧٨ .

النفوذ والتواجد ، ومنها ما هو بين القوى السياسية الكبيرة ، كالدولة الصليحية والأئمة الزيدية والنجاحية وغيرها ، وقد أصبح السلاح ملاصقاً لليمني في كل حركاته ، واستوت في ذلك أيام حربه وأيام سلمه ، وتعكس ذلك الرواية التي أوردها بعض المؤرخين في احتجاج السيدة السليحية (ت٥٣٢هـ / ١١٣٧م) أمام زوجها في قرارها نقل مركز حكمهم من صنعاء إلى جِبْلَة ، تقول الرواية : " إن الحرة الصليحية بصنعاء قالت للمكرم : يا مولانا ، استحضر أهل صنعاء ومخاليفها إلى هذا الميدان ، فلما حضروا قالت : أشرِفْ يا مولانا عليهم ، فلم يقع بصره إلا على لمعان السيوف وبريق الأسنة والبيض ، فلما نزل معها إلى ذي جِبْلَة أمرت الرعايا من مخلاف جعفر أن يحضروا ، فقالت : يا مولانا أشرف عليهم ، فأشرف فلم يبصر إلا من يقود كبشاً او يحمل بُراً أو سمناً أو عسلاً ، فقالت : العيش بين هؤلاء أصلح ، فقال المكرم : صدقت ، ثم سكنا جِبْلَة جميعاً "[1] ، ودلالة النص واضحة ، وفي خضم هذه الأجواء المشحونة بالصراع ورائحة الموت كان العلماء يتعرضون لما يتعرض له غيرهم من الأذى والمشقة ، فبرزت الحاجة إلى خلق قناعة عامة لدى الناس جميعاً بإيواء العلماء واحترامهم ، ويتعذر ذلك كثيراً في حالة اختلاط منازلهم بغيرهم .

(٢) شهدت المناطق صراعاً مذهبياً في نهاية القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس بين أبناء المذهب الزيدي نفسه ، وقد تطرقت إلى ذكر ذلك في الفصل الأول ، فقد نشأت بينهم فرقتان رئيسيتان هما : المخترعة والمطرفية، وكان الخلاف الفكري والجدل الكلامي يحتدم بينهما بطريقة استحال فيها صبر بعضهم على بعض ، فبدأت صور الأذى المادي تصل من بعضهم نحو الاخر ، وهو ما ولد حاجة الطرف المجني عليه (المطرفية) إلى تأسيس (الهجرة العلمية) ، وهم بحق رواد (الهجر العلمية) ومؤسسوها الأوائل ، إلا أن الهجر العلمية لم تزل بزوال هذه فرقة (المطرفية) بل انتقل عدواها إلى بقية أفراد الزيدية عموماً .

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٤٠٣ ، الجندي ، السلوك ، ج ٢ ص ٤٨٩ ، ابن الديبع ، قرة العيون ، ص ١٨٨ .

(٣) كانت صور التجاوز للحدود الشرعية التي يقوم بها بعض أفراد القبائل النـاتج عن الجهل المتفشي بينهم مثار قلق وإزعاج دائم للعلماء والعُبَّاد ؛ وكانوا جراء ذلك ينفرون من مساكنة هذه القبائل التي هم من صميم أبنائها ، وقـد يكـون المتجاوزون أبناء عمومتهم ، ووصل نفورهم إلى الخروج عن ديـارهم وبنـاء وتأسيس (الهجر العلمية) لكي يتكون نسيج مجتمعها من مجموعات متجانـسة في طريقة الحياة والسلوك الشخصي الملتزم ، وهو ما يعكسه النص الطويـل السابق الذي وصف به مُسْلِّم اللَّحْجِي هجرة وقش التي كان هو نفسه أحد أحـد سكانها ، وكذلك ما رواه هو نفسه عن خروج الشيخ إبراهيم بن أبي الهيثم بـن كهلان بن محمد المطرفي (توفي أوائل القرن السادس الهجري) من هجـرة مَدَر بسبب شرب بعض أهلها للخمر[١].

لم يكن دور (الهجر العلمية) محصوراً في نشر العلم وإيواء العلماء وطلابهم ، بل كان لها أدوار اجتماعية مهمة ، وهي التي أشار إليها القاضي الأكوع[٢] في تعريفه السابق لها ، ومن ذلك قيام رجال (الهجر العلمية) بالإصلاح بين الناس حين احتـدام الخلافات القبلية بينهم ، هذا إضافةً إلى دورها التوعوي في نشر العلم بين أفراد القبائل وإفتائهم في أمورد دينهم وإمامتهم في مناسكهم التعبديـة ، وهـذه الأدوار هـي التـي رسخت مكانة (الهجرة العلمية) وسكانها في قلوب أبناء القبائل التي تجاورهم .

انعكست المكانة الرفيعة والمنزلة السامية التي احتلتها (الهجرة العلميـة) فـي قلوب القبائل اليمنية من خلال (تَهْجِـيرِهِم) ، ومفهوم (التَّهْجِيْر) هنا له دلالة خاصة أيضاً ، فهو مشـتق من (الهجرة العلمية) ومرتبط بها ومنحدر من مفهومهـا نفـسه ، وهو : " اتفاق ذوي الشأن من رؤساء القبائل وزعماء العشائر على جعل القرية التـي يأوي إليها العلماء والفضلاء وأهل الصلاح والتقوى (هِجْرَةً) بإصدارهم وثيقة تـسمى (التَّهْجِيْر) ، وتتضمن تعهد أعيان القبيلة – أو القبائل – لسكان (الهجرة) من العلـماء والفقهاء التي تقع بين أظهـرهم بحمايتهم ورعايتهم وكفالتهم ... ويعلن هذا (التهجير) في المحافل العامة التي يجتمع فيها القبائل كالأسواق الأسبوعية وغيرها بأن قبيلـة ... أو قبائل ... قد جعلوا قرية .... هجرةً ، أرضاً وسكاناً ... وحينئذٍ تتميـز (الهجـرة)

---

(1) اللَّحْجِي ، طبقات مُسْلِّم اللَّحْجِي ، ج ٤ ص ٩٠ .

(2) الأكوع ، المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن ، ص١٧ ، ١٨.

عن سائر القرى الأخرى التي يسكنها عامة الناس بحصانتها التامة ، فلا يدخل الجنـود بيوتها ، ولا تقام في ساحاتها الألعاب التي تعتمد على الطبل والمزمار ، كما أن أهلهـا مستثنون من التجنيد الإجباري الذي يفرض على القبيلة عند الحـاجة إليه ، وإذا مـس أحدهم ضرٌ لعـدوان نزل به من غير أهل (الهجرة) فإن العقوبة على المعتدي بأربعة أمثالها "[١] ، ولم تكتف الزعامات القبلية بهذا التكريم للعلماء ، بل إنها وفـرت لأهـل (الهجر العلمية) أسباب الرزق ، فأعطتهم زكاة أموالها حينما لا يوجد إمـام أو حـاكم قوي نافذ الأمر في مناطقهم ، فينفقون منها على أنفسهم وعلـى طلبـة العلـم وعلـى الوافدين إليهم ، وفي حال وجود إمام يتقاضاهم الزكاة ويدفعونها إليه فإنهم أحياناً تعطي وجوه (الهجرة العلمية) مثل مقدار الزكاة التي أخذت منهم حتى يعيـشوا فـي كنفهـا ورعايتها مطمئنين ، لا يكدر لهم صفو ، ولا يغير عليهم حال ما داموا متحلين بالصدق والأمانة وحسن الخلق ، ملتزمين بالعدل في أحكامهم بين من يختصم إليهم[٢] .

هذه المميزات التي توفرت للهجر العلمية هي التي كفلت لها الاستمرار قـرون طويلة تؤدي مهمتها العلمية والاجتماعية العظيمة ، ولا تفقد صفتها وامتيازاتها مـا دام أهلها محافظين على الحد الأدنى من التزاماتها ، لذلك وجد ذكر الهجرة العلمية الواحدة على مدار قرون عدة ، وانتشرت على طول المناطق الزيدية كلها ، وبرز من أبناءهـا عدد كبير من رموز الفكر العربي الإسلامي الذين تفاخر بهم اليمن وتتباهى بعطـائهم ومنزلتهم العلمية على أقطار العالم الإسلامي الأخرى .

وقد حصر القاضي إسماعيل الأكوع في كتابه القيم (هجر العلم ومعاقلـه فـي اليمن) معظم الهجر العلمية التي ورد ذكرها في المصادر اليمنية ، ما كان منهـا قـد أسس قبل مدة الدراسة وأثناءها ، وهو الأغلب والأكثر ، وتلك التي أسست بعـد مـدة الدراسة ، فبلغ عددها كاملة ثلاثمائة وسبعة وأربعين هجرة علمية ، وهو عـدد هائـل وكبير ، وقام بالترجمة لأشهر رجالها فكأنه قد ترجم لمعظم علماء الـيمن ، وسـأقوم بالحديث عن هجرتين فقط من هذه الهجـر العلمية ، وأتناول واحداً مـن علمـاء كـل هجرة منهما .

---

(1) الأكوع ، المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن ، ص ٢٠ – ٢٦ ، هجر العلم ، ج ١ ص ٦.

(2) المرجعان السابقان ، نفس الصفحات .

❖ هجرة الظهراوين بشَظَب[1] :

من أشهر هجر العلم في تاريخ اليمن ، حملت أسماء عدة ، منها : هجرة شَظَب، وهجرة بني حَجَّاج ، وهجرة الظهراوين وهو الأشهر ، وهي بلدة في جبل شظب بعزلة بني حجاج من مديرية السودة في محافظة عَمْران ، تقع إلى الشمال من مدينة عَمْـران بنحو ٤٥ كيلومتراً ، وعن صنعاء بمسافة ٩٥ كيلومتراً تقريباً شمالاً ، وهي اليوم خربة مهجورة ، لم يبق منها إلا بيتان مسكونان فقط ومسجدها .

أنجبت هذه الهجرة عدداً من أعيان علماء اليمن ووجوه الفكر الإسلامي وقادتـه فيه ، وإن أردت الاستدلال على ذلك فيكفيني أن أشير إلى الإمام الأكثر شهرة في اليمن ، والمجتهد الأكثر حظوة ، الإمام العلامة محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بـن المفضل الوزير الحسني[2] (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) منها ، ما رأيت أحداً نـال مـن المدح والثناء من علماء اليمن قاطبةً كما ناله هو ، ولا نال رجل من علمـاء منـاطق الزيدية من الشهرة إلى زمنه كما نالها هو ، أوسع العلماء والمؤرخون اليمنيون وغيرهم في ترجمته ، ووددت أن أحصر مدحهم له بيد أن السياق لا يسمح بذلك ، فقـد وصـف بأنه " إمام أئمة الاجتهاد من دون منازع ، مجدد زمانه ، وحامـل لـواء محـاربة التقليد من دون لين ولا هوادة "[3] ، وهو " السيد الحافظ ، خاتمة المحققـين ، المحـيط بالعلوم من خلفها وأمامها، والحري بأن يدعا بإمامها وابن إمامها ، كان سَبَّاقَ غايات ، وصاحب آيات وعلامات ، بلغ من العلوم الأقاصي ، واقتادها بالنواصي ، وله في علوم

---

(1) الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٣ ص ١٣٣٩ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١، ص ٩٧٩ .

(2) ترجم له الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٣ ص ١٣٦٧ ، ابن الرشيد ، **بغية المريد وأنس الفريد** ، صورة عن نسخة بمكتبة جامعة صنعاء ، ق ٦١ ب ، ٦٢ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣١١ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٥٩٩ – ٦١٠ ، عبدالملك حميد الدين، **الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن**، دار الحارثي، الطائف، (د ، ت)، ج ٣ ص ٥ ، عمر رضا كحالة ، **معجم المؤلفين** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ج ٨ ص ٢١٠ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ، ص ٨٩٦ – ٩٠٢ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٥ ، الوزير ، **تاريخ بني الوزير** ، ص ٣٥ ، الوزير (آخر) ، **ترجمة موسعة للإمام محمد بن إبراهيم الوزير** ، مخطوط بالمكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء ، رقم ٢٩ مجاميع ، ق ١٢٦ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ق ٢٥٨ – ٢٦٢ .

(3) الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٣ ص ١٣٦٧ .

الاجتهاد المحل الأعلى ، والقدح المعلى ، بلغ مبلغ الأوائل بل زاد ، وألّف وصنف وأفاد ... كان اجتهاده اجتهاداً كاملاً مطلقاً ... وكان أذكى الناس قلباً ، وأزكاهم لباً ، وكان فؤاده جذوة نار تتوقد ، وهو الخبير الخريت الماهر في كل مقصد "[1] ، وقد وقف الإمام الشوكاني[2] مع ترجمته طويلاً ، ووصفه بما لم يصف به غيره ، وختم وصفه له بقول : " والذي يغلب على الظن أن شيوخه لو جُمِعوا جميعاً في ذات واحدة لم يبلغ علمهم إلى مقدار علمه ، وناهيك بهذا ... والحاصل أنه رجلٌ عرفه الأكابر ، وجهله الأصاغر ، وليس مختصاً بعصره ؛ بل هو كائن فيما بعده من العصور إلى عصرنا هذا ، ولو قلت : إن اليمن لم تنجب مثله لم أبعد عن الصواب " .

كان الإمام ابن الوزير نموذجاً لعلماء اليمن في مجمل الصفات ، فهو رَحّالٌ في طلب العلم، جاب في سبيله أغلب مناطق اليمن – سُنّيّها وشيعيّها – وجلس إلى أكابر علماءها ، تاقت نفسه إلى التلقي عن أشهر العلماء في غيرها فيمم وجهه صوب الحجاز، وهناك قرأ على أشهر علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وبرز بين تلاميذهم بروزاً لفت أنظار الجميع ، اعترف بإمامته وطول باعه واجتهاده المؤيد والمخالف .

كانت أسرة الإمام محمد بن إبراهيم الوزير – ولا زالت – من أكبر بيوت العلم في اليمن – ومعظم رجال عشيرته هم من أعيان الزيدية ، وهو نفسه يمتد نسبه إلى الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين مؤسس مذهب الزيدية ودولتها في اليمن ، وكان المتوقع ألا يخرج به اجتهاده إلى مخالفة وجوه الزيدية وأئمتها – المعاصرين له والسابقين – في الأصول والفروع ، إلا أن ما بلغه من العلم مع توافر الرغبة في اتباع ما ثبت في الشريعة عقيدةً وفقهاً من مصادرها المعتمدة جعلته ينأى بعيداً عن كليهما : عن مسار أهله من الزيدية القائلين بحجية ما رواه علماء آل البيت النبوي وأقدميته على ما رواه سواهم من جانب ، وعما عرفت به المذاهب الفقهية السنية المشهورة من التقيد الكبير في اتباع اجتهادات الفقهاء الأربعة من جانب آخر ، فكان الإمام الوزير – بعد تضلعه التام بعلوم أهل مذهبه وعلوم أهل السنة – رائداً في الدعوة إلى الاجتهاد

---

[1] ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ٢ ، ص ٨٩٦ – ٩٠٢ .

[2] البدر الطالع ، ص ٦٠٩ ، ٦١٠ .

الشخصي بالبحث عن الدليل واتباعه[1] ، والدوران معه حيث دار ، يتضح ذلك من رده على شيخه محدث مكة محمد بن عبدالله بن ظهيرة عندما قال له : " لو قلدت الإمام الشافعي ؟؟ فقال : يا سبحان الله ، لو كان يجوز لي التقليد لم أعدل عن تقليد جَدَّيَّ الإمام القاسم والهادي ، فهما بالتقليد أولى... "[2] .

جلب اجتهاد عليه الكثير من المشكلات ، وتغير عليه أقرب المقربين إليه ، وكان أحد كبار شيوخه – علي بن محمد بن أبي القاسم[3] (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) –

---

[1] يتحدث عن نفسه واصفاً مسيرته إلى أن ألقى رحاله في مراسي الكتاب والسنة : " وقد وهبت أيام شبابي، وزمان اكتسابي لكدورة علم الكلام والجدال ، والنظر في مقالات أهل الظلال حتى عرفت قول القائل :

لقد طُفْتُ في تلك المعاهِدِ كلِّها … وسَيَّرْتُ طَرْفِي بين تلك المَعَالِمِ
فلم أرَ إلا واضعاً كَفَّ حائرٍ … على ذَقَنٍ أو قارِعاً سِنَّ نادمِ

وسبب إيثاري لذلك ، وسلوكي تلك المسالك أن أول ما قرع سمعي ورسخ في طبعي وجوب النظر – أي الاجتهاد – والقول بأن من قلّد في الاعتقاد كَفَرَ ، فاستغرقت في ذلك حدة نظري وباكورة عمري ، ومازلت أرى كل فرقة من المتكلمين تداوي أقوالاً مريضة ، وتقوي أجنحة مهيضة ، فلم أحصل على طائل ، وتمثلت فيهم قول القائل :

كُلٌ يداوي سقيماً من معايبه … فَمَنْ لَنَا بصحيحٍ ما به سَقَمُ

فرجعت إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقلت : لا بد أن يكون فيهما براهين وردود على مخالفي الإسلام ، وتعليمٌ وإرشادٌ لمن اتبع الرسول عليه والصلاة والسلام ، فتدبرت ذلك ، فوجدت الشفاء كله ، دِقَّهُ وجِلَّه ، وانشرح صدري ، وصلح أمري ، وزال ما كنت به مبتلى ، وأنشدتُ متمثلاً :

فألقَتْ عصاها واستقرَّ بها النوى … كما قَرَّ عيناً بالإياب المسافرِ

نظر تفصيل خبر ذلك كله في كتابيه ، **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، دار البشير ، عمان ، ط ٣ ، ١٩٩٤م ، ج ١ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ ، **الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ص ٩ .

[2] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ، ص ٩٠١ ، ابن الرشيد ، **بغية المريد وأنس الفريد** ، ق ٦١ ب .

[3] أحد كبار علماء الزيدية في عصره ، عالم مجتهد محقق ، سكن صنعاء ودرس بها عددٌ من أشهر علماء اليمن في وقته ، ومن أشهر تلاميذه الإمام إبراهيم الوزير ، وكان معروفاً بتمسكه الشديد بأقوال وعقائد جمهور الزيدية ، وهو ما أدى إلى وقوع الخلاف بينه وبين تلميذه ، وهو الذي قام الإمام الوزير بتأليف كتابه الشهير **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم** رداً عليه ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٠٧ ، **ابن المؤيد** ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ، ص ٧٧٨ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧١٧.

الذي كان لا يفتأ يمتدحه ويشير إلى طلابه الآخرين بالسير على نهجه والتأسي بهمته وعزيمته في أيام طلبه للعلم ، أصبح ينال منه وينسبه إلى الهوى والخروج عن الحق ، ودارت المراسلات والنقائض الشعرية بينه وبين المنكرين عليه منهجه الجديد ، وأشهرهم شيخه السابق والإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) الآتي ذكره في هجرة الظفير ، ويتجلى بذلك صورة من أبهى صور الحراك العلمي في اليمن .

كان الإمام محمد بن إبراهيم الوزير – نظراً لعلمه الواسع – ذا قلم سيال ، لذلك فقد ألف كثيراً من الكتب والرسائل ، مازال معظمها كغيرها من عيون تراث اليمن في طي النسيان في صورتها المخطوطة ، ولم يعرف الناس منها سوى ما طبع وهو لا يمثل عشرها ، فقد أورد صاحب (أعلام المؤلفين الزيدية)[1] واحداً وأربعين من مؤلفاته ، وحدد أماكن وجود أغلبها ، وقد حظي هذا الإمام في الفترة الأخيرة باهتمام الباحثين في مجال الفكر الإسلامي والفلسفة الإسلامية ، وقاموا بكتابة عدد من الأطروحات والدراسات الأكاديمية عنه[2] .

---

[1] الوجيه ، ص ٨٢٦ – ٨٣٠ .

[2] من أشهرها دراسة علي بن علي جابر الحربي ، **ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية** ، مكتبة عبدالله عامر ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، ودراسة محمد عبداللطيف علي أبوغانم ، **الإمام محمد بن إبراهيم الوزير ومنهجه في كتابه العواصم والقواصم** ، رسالة ماجستير ، جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، ١٩٩٩م ، ودراسة رزق أحمد الحجر ، **ابن الوزير ومنهجه الكلامي** ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م ، الأكوع ، **الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم** ، دار البشير ، عمان ، ١٩٨٨م ، ص ١٠ وما بعدها ، **أئمة العلم المجتهدون في اليمن** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٢٠٠٢م ، ص ٧ – ١٤٢ .

❖ هجرة الظَّـفِـيْر[1] :

يُعْرَف أحياناً بظفير حجة ، وهو حصن منيع ، وهجرة علمية عامرة شـهيرة ، تقع إلى الشمال من مدينة حَجَّة على مسافة تبلغ حوالي ١٥ كيلومتراً ، يمثـل مركـزاً إدارياً من مراكز مديرية مَبْـيَن بمحافظة حجة ، وجاءت شهرتها من نـاحيتين : مـن ناحية كونها حصناً منيعاً له أهمية استراتيجية كبرى في ميزان القوى اليمنيـة ، ومـن ناحية كونه هجرةً علمية أشعت بنور العلم فأضاءت كثيراً من مناطق اليمن ، وخاصـة تلك التي يغلب على أهلها المذهب الزيدي ، ولم يزدهر العلم فيه إلا من بدايـة المائـة الهجرية الثامنة ، وازادت شهرته منذ أن استوطنه الإمام المهـدي أحمـد بـن يحيـى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) في مطلع القرن التاسع الهجري .

ارتبطت هجرة الظفير – في مدة دراستنا – بتراجم عدد من أكبر علماء اليمن ، ترجم القاضي الأكوع[2] لأربعين علماً منهم ، وكما ارتبط أيضاً بسيرة اثنين من أشـهر أئمة الزيدية ، هما : الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) وحفيده الإمام المتوكل يحيى شـرف الدين (ت٩٦٥هـ / ١٥٥٧م) .

يظل الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن أحمد بن المرتـضى بـن المفضل الحسني[3] (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) هو أهم شخصية في تاريخ هجرة الظفير،

---

(1) الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٣ ص ١٣١٢ ، الحجري، **مجموع بلدان الـيمن وقبائلهـا**، ج ٣ ص ٥٦٧ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١، ص ٩٧٥ .

(2) **هجر العلم** ، ج ٣ ص ١٣١٢ – ١٣٣٧ .

(3) ترجم له الأكوع ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ١٣١٤ – ١٣١٩ ، زبارة ، **أئمة الـيمن** ، ص ٣١٢ – ٣٢٠ ، الزحيف، **مآثر الأبرار**، ج٣ ص ١٠٧٣ ، المرتضى ، **تاج علوم الأدب وقانون كـلام العـرب** ، دراسة وتحقيق د. نوري ياسين حسين الهيتي ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ج ١ ص ١٥ – ٤٨ ، الشرفي، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٤٧٩ – ٥٠٤ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ١٣٩ – ١٤٣ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ٩٠ ، ٩١ ، عمر رضـا كحالـة ، **معجـم المؤلفين** ، ج ٢ ص ٢٠٦ ، د. محمد محمد الكمالي ، **الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي** ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص ٦٧ – ١٤٥ ، المرتضى ، **كنـز الحكماء وروضة العلماء** ، مخطوط بالمكتبة الغربية في الجامع الكبير بصنعاء ، رقم ١١٥ ، ق ٢أ ومـا بعدها ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ، ص ٢٢٦ – ٢٣، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية**، ص ٢٠٦ .

بل أحد أشهر ستة أئمة من أئمة الزيدية في تاريخ اليمن عموماً[1] ، وقد شغل علماء مذهبه بكتبه شرحاً وتوضيحاً وتعليقاً واستدراكاً وتدريساً حتى بعد وفاته بأكثر من خمسة قرون ، ولا زالت كتبه إلى اليوم أهم مناهج التربية لدى جمهور الزيدية وعلمائها ، لا سيما في الفقه والأصولين ، فقد حاز من العلم ما فاق به معظم علماء عصره ، وصفه الوجيه[2] بقوله : " أحد عظماء الإسلام ، وأئمة العترة الكرام ، عالمٌ ، فقيه ، مجتهد مطلق ، عَلَمٌ شامخٌ في شتى الفنون ، أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته الشهيرة الخالدة التي لازالت عمدة المذهب الزيدي ، ومرجعاً للفقه الموسوعي ... " ، وقال آخر : " كان فضله وعلمه السابغ ، وانتفاع المسلمين به النفع البالغ ، ليس لأحدٍ من الأئمة مثله من العناية الإلهية في بركة علمه ومصنفاته التي هي كالطراز المُذَهَّبِ ، وعليها اعتماد المذهب ، الخارجة على طريق علماء الحقيقة والمجاز ، التي هي بالمرتبة الثانية من حد الإعجاز ... "[3] .

كان من نظراء الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وإن كان أكبر منه سناً ، وتربطهما أيضاً قرابة رحم قوية ، فهما يجتمعان في جدهما المرتضى بن المفضل ، وجرت بينهما الكثير من النقاشات والحوارات حول جوانب مهمة من أوجه الخلاف ، وخاصة في علم أصول الدين ، ودارت بينهما الكثير من المكاتبات والرسائل الشعرية والنثرية ما امتلأت به كتب التراجم والتواريخ اليمنية ، وألفا كتباً في سياق ذلك الحراك العلمي والأدبي الرائع[4] ، وكانا قد بلغا من العلم مبلغاً فاقا به جميع الأقران ، وكان الإمام المهدي يتمسك بمذهب آبائه وأجداده بينما خرج عنه الإمام الوزير كما أسلفنا ،

---

[1] أنا القائل بشهرتهم أكثر من غيرهم من خلال ما لاحظته من الانتشار العريض لذكرهم في مصادر تاريخ اليمن وقائمة مؤلفي تراثه ومصادر الفكر العربي الإسلامي فيه ، والخمسة الباقون هم : الإمام المؤسس الهادي يحيى بن الحسين (ت٢٩٨هـ / ٩١٠م) ، الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، الإمام المؤيد يحيى بن حمزة الحسيني (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) ، الإمام المتوكل يحيى شرف الدين (ت٩٦٥هـ / ١٥٥٧م) ، الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد (ت١٠٢٩هـ / ١٦٢٠م).

[2] **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٠٦ .

[3] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ، ص ٢٣٢ .

[4] مما ألفه الإمام الوزير في ذلك السياق كتابيه (قبول البشرى في تيسير اليسرى) و (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) ، وألف الإمام المهدي كتابه (القمر النوار في الرد على المرخصين في الملاهي والمزمار) ، انظر مصادر ترجمتيهما السابقة .

ويبدو أن الموقف السياسي كان منكياً لأوار ذلك الحراك العلمي والنقائض الأدبية ، فقد أعلن الإمام المهدي إمامته بعد وفاة خاله الإمام الناصر صلاح الدين (ت٧٩٣هـ / ١٣٩١م) معارضاً بذلك بيعة الإمام المنصور بالله علي بن الناصر صلاح الدين كما أسلفنا ذكره في الفصل الثاني ، ووقف الإمام محمد بن إبراهيم الوزير مؤيداً للأخير ضده فتسبب ذلك الصراع في هزيمة الإمام المهدي وسجنه سبع سنوات .

كان سجن الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ثم خروجه منه سنة (٨٠١هـ / ١٣٩٧م) ومن ثم تخليه عن دعوى الإمامة فاتحة خير للعلم وأهله ، بل للفكر الإسلامي في اليمن، فقد كان بعد ذلك دأبه التنقل من مكان إلى آخر ، ومن هجرة علمية إلى أخرى ، وكان أينما حل واستقر ينقطع للتأليف والتدريس ، وأثمر قلمه ثروة عظيمة من المؤلفات النافعة في كثير من الفنون ، وما كان باستطاعته أن يؤلف شيئاً من ذلك لو شغل بالإمامة ومتطلباتها[1] .

انتهى المطاف بالإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في هجرة الظفير فاستقر بها ، وتفرغ للتدريس والتأليف ، وأصبح الظفير منذ ذلك الوقت إحدى الهجر العلمية الأشهر علماً والأكثر علماءً وطلاباً ، وقد بلغ عدد مؤلفاته سبعةً وستين كتاباً ، معظمها مازال مخطوطاً ومتناثراً في المكتبات الخاصة والعامة ودور المخطوطات في اليمن وغيرها .

يجدر بنا في آخر حديثنا عن الهجر العلمية أن نشير إلى تجلي فرقين كبيرين بين (القرية العلمية) و (الهجرة العلمية) ، أولهما في مناطق الانتشار ، فـ(القرية العلمية) وجدت في مناطق المذاهب الفقهية السنية ، وهي المنطقة الشاملة لمعظم مساحة اليمن ، بينما انتشرت (الهجرة العلمية) فقط في مناطق انتشار المذهب الزيدي كما أسلفت ، أما الفرق الثاني فهو الفرق الأكبر ، وأقصد به (التهجير) ، فالهجرة العلمية تتمتع بالحصانة وبالتالي لا يجرؤ أحد على التعدي عليها قطعياً ، بينما لا تتمتع القرية العلمية غالباً بأي نوع من الحماية إلا ما يملكه العلماء والفقهاء الذين ينزلونها من مكانة روحية محددة تدفع القوى المجاورة إلى احترامهم وعدم التعرض لهم ، فإذا ما غابت مسألة مراعاة هذه القوة الروحية فإن القرية العلمية قد تتعرض للاعتداء ولا يسلم حينئذٍ من فيها عالماً كان أم متعلماً ، مثال ذلك ما حصل للإمام

---

[1] الأكوع ، هجر العلم ، ج ٣ ص ١٣١٥ .

الشهير يحيى بن أبي الخير العِمْرَاني الشافعي (ت٥٥٨هـ / ١١٦٢م) الذي غادر قريته سَيْر ونزل بذي السفال بعد ما أصابها بعض تبعات صراع القوى المحيطة ، يقول الجندي[1] : " ثم حدث على قومه بسَيْر خوف عظيم وحروب من العرب – أي القوى القبلية – حولهم ، فخرج الشيخ منها إلى ذي السفال " .

سادساً : الأربطة والزوايا والخانقاوات :

الحديث عن التصوف وتاريخ وجوده في اليمن يحتاج إلى وقفة ليس هذا مكانها، ولعلنا نقفها في الفصول الآتية ، غير أنه من الواجب هنا الإشارة إلى أن انتشار التصوف في اليمن قد صاحبه انتشار نوعية جديدة من أماكن التعليم ، هي الزوايا والأربطة والخانقاوات ، وما كان منها في اليمن هو نسخة مطابقة لما كانت عليه مثيلاتها في كل أماكن وجود التصوف والصوفية في كل أقطار العالم الإسلامي ، إلا أن الحياة المذهبية اليمنية لم تكن عاملاً مساعداً لانتشار التصوف في كل أنحاء اليمن ، وبالتالي لم يكن هناك من مجال لانتشار الزوايا والأربطة والخانقاوات في كل مناطقها ، فجزء من المرتفعات الوسطى والشمالية التي غلب على أهلها التمسك بالمذهب الزيدي فكراً وفقهاً لم تحتفِ بالتصوف نهائياً ، فهي – من منطلق تمجيدها للعقل وإطلاقها لسلطانه – نظرت إلى التصوف وكثير مما يرتبط به من الحديث عن الكرامات وغيرها نظرة نفور شديدة ، والمتتبع للمصادر الزيدية يجد ذكر التصوف ورجاله في مناطقها شبه منعدم ، وإن وجد فهو لحالات تعد على أصابع اليد الواحدة على مدار تاريخ الزيدية كله الممتد على مساحة زمنية تفوق الألف عام .

(١) الأربطة والزوايا :

جاء اسم الرباط من المرابطة ، بمعنى ملازمة ثغر العدو ، وأصله أن يربط كل من الفريقين خيله ، ثم صار لزوم الثغر رباطاً[2]، ومع التطور التاريخي للمفهوم اللغوي أصبح الرباط دالاً على البناء المحصن الذي يقام بالقرب من الحدود ويرابط فيه

---

[1] السلوك ، ج ١ ص ٢٩٦ .

[2] ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٣ ص ١٦٥١ ، الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج ٢ ص ٣٧٤ ، د.إبراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط ، ج ١ ص ٣٢٣ .

المجاهدون لمهاجمة الأعداء ودفع خطرهم[1] ، ولم يلبث أن أصبح الرباط مصطلحاً يطلق على المكان الذي ينزل به الصوفية[2] ، ولعل التطور الأخير جاء من زعم الصوفية بأنهم يرابطون في ذلك المكان جهاداً للنفس من منطلق تشابه الغرض بين أصل المعنى والوظيفة التي يؤديها[3] .

كثرت الأربطة والزوايا الصوفية في اليمن في مدة الدراسة ، وكان هناك عدد لا بأس به مما كان أنشئ في القرون السابقة وقام عليها أبناء مؤسسيها وذرياتهم وأتباع طريقتهم ، وكان انتشارها في منطقة تهامة أكثر من غيرها ، إذ جاء ذكر ستة أربطة منها لدى المؤرخ الأهدل[4] وأربعة عشر زاوية[5] ، وجعلها الشَّرْجي سبعة أربطة[6] وإحدى وعشرين زاوية[7] ، أما الأربطة والزوايا في المناطق اليمنية الأخرى فقد كان عددها قليلاً ، منها رباط في منطقةٍ بالقرب من تريم بحضرموت[8] وزاوية[9] ، وآخر في الشِّحْر[10] وعدة زوايا[1] ، وأربعة أربطة في عدن[2] ، وواحد في رَيْمَة[3] ، وآخر

---

(1) د. سعيد عاشور ، **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك** ، دار النهضة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٩٢م ، ص ١٨٦ .

(2) إبراهيم أنيس وآخرون ، **المعجم الوسيط** ، ج ١ ص ٣٢٣ ، المقريزي ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ج٢ ص ٤٢٧ ، (د . ت) .

(3) د. محمد الخطيب ، **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة ، ط ١، ١٩٩١م ، ص ٧٤ ، ٧٥ ،عبدالله العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢١٢ ، المقريزي ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، ج٢ ص ٤٢٧ .

(4) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٦ ، ٤٣ ، ٢٠٨ ، ٣١٢ .

(5) **المصدر السابق** ، ج٢ ص ٧ ، ٢٨ ، ٤٤ ، ٦٠ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٣ ، ٩٩ ، ٢٠٨ ، ٢٢٢ ، ٢٤٩ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،٣٣٨.

(6) الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٢٤٥ ، ٢٩٩ ، ٣١٩ ، ٣٣٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠، ٣٥٤ ، ٣٩٨ .

(7) **المصدر السابق** ، ص ٨٢ ، ٩١ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١١٦ ، ١٩٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٣٣ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٤٣ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٦٩ ، ٣٨٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٦ .

(8) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٤٣٥ .

(9) الشلي ، **السناء الباهر** ، ص ٦ .

(10) الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٢٥٩ .

وآخر في إب[٤] ، ورباطان في صهبان[٥] ، وذكر الشرجي[٦] أن هناك زوايا لآل باوزير بحضرموت.

لم تركز المصادر على ذكر الدور التعليمي للأربطة والزوايا، إلا أن مؤسسيها كانوا في الغالب من المعدودين في العلماء المبرزين ، وهذا يجعلنا نجزم بأن دوراً تعليمياً كانت تمارسه هذه الأربطة وإن كان يقل في تأثيره على غيره من أماكن التعليم الأخرى .

كما أنه من المتعذر القول بأن الحياة العلمية في الأربطة والزوايا كانت تلتزم بمنهج موحد ، بل كانت تخضع في الدرجة الأولى إلى ميول المنشئ أو الشيخ ، فكان الطلبة والمريدون يلتفون حول شيخهم ويلازمونه ، وكل شيخ مع طلابه ومريديه يمثل مدرسةً قائمة بذاتها ، تتسم بأفكار وتيارات فكرية ، ترتبط برباط معين[٧] . وقد تصدر كثير من شيوخ الأربطة للتدريس والفتوى ، واشتغل عليهم كثير من الطلبة سنوات عديدة[٨] ، وكانوا يدرسون الفقه والحديث وغيرهما من العلوم الأخرى بجانب علوم التصوف[٩] .

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٤٢٥ ، الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٢٥٩ .

(2) الأهدل ، **المصدر السابق** ، ج٢ ص ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤١٩ ، ، الشلي ، **السناء الباهر** ، ص ٢٧ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٧٠ ، ٦٨٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٦ .

(3) الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٢٨٦ .

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٠٥ .

(5) الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٣٢٧ .

(6) **المصدر السابق** ، ص ١٧٢ .

(7) **المصدر السابق** ، ص ٧٢ ، ١١٨ ، ١٧٧ ، ٣٣٥ ، ٤٢٢ ، علي بن علي أحمد، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٢٩٤.

(8) الشرجي ، **المصدر السابق** ، ص ١٣٣ ، ٣٣٥ ، الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ١٤٣ ، علي بن علي أحمد ، **المرجع السابق** ، ص ٢٩٤ .

(9) الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١٤٣ ، الشرجي ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٧ ، ١١٨ ، ١٨٨ ، ٢٣٣ ، ٣٤٨ ، ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٤٢٢ .

(٢) الخانقاوات :

الخانقاه[١] كلمة فارسية تعني البيت أو الدار ، وجمعه خوانق أو خانقاوات ، وقد اصطلح عليها في العصر الإسلامي لتطلق على الأماكن التي تعدها رجال الدول – من الملوك والسلاطين والأمراء والموسرين – للزهاد واتباع الطرق الصوفية ومن في حكمهم ، وقد أولى السلاطين الرسوليون عنايتهم بالخوانق في إطار الاهتمام العام الذي حظيت به الصوفية ورجالها في عهدهم ، وبناء أول خانقاه في اليمن يعود إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري في عهد السلطان المظفر الأول الرسولي (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)[٢] ، ثاني السلاطين الرسوليين ، وهو الخانقاه المظفرية[٣] بحَيْس[٤] ، ثم تتابع بعد ذلك بناء الخانقاوات من الأمراء ونساء البلاط الرسولي[٥] .

سار السلاطين المتأخرون على نهج أسلافهم في الاهتمام بالصوفية وبناء الخانقاوات لهم ولمريديهم ، من ذلك نجد أن السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) بنى خانقاه في مدرسته الأشرفيه الكبرى التي أنشأها سنة (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) جنوب حصن تعز ، ورتب فيها شيخاً صوفياً وعشرة من

---

(1) محمد أحمد دهمان ، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** ، دار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص ٦٦ ، مصطفى عبدالكريم الخطيب ، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، ص ١٥٨ .

(2) الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٢٧٢ .

(3) أورد الباحث عبدالله العبادي ملاحظة مهمة حول مصطلح الخانقاه في المصادر التاريخية اليمنية ، يرى فيها أن ما أطلق عليه المؤرخون اليمنيون (دار الضيف) هو نفسه الخانقاه ، واستدل على ذلك بأن بعض المؤرخين أطلقوا اسم (دار الضيف) على منشآت محددة ثم سموها بالخانقاوات في مواضع أخرى من كتبهم ، كما أن مؤرخين يمنيين آخرين أطلقوا على تلك المنشآت والمرافق نفسها اسم الخانقاه فقط ، وهو رأي له وجاهته ، انظر عبدالله العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢١٥ .

(4) مدينة قديمة تقع جنوب مدينة زبيد ، وتبعد عنها بمسافة تقدر بحوالي ٣٥ كيلومتراً ، وصفت بأنها أقدم مدن تهامة على الإطلاق ، وقد أولاها السلاطين الرسوليون عناية خاصة ، فعمروا بها المساجد ، ودعوا علماءها لتولي المناصب الرسمية ، وهي مشهور في اليمن بصناعة الأواني الفخارية المنسوبة إليها ، وهي اليوم مركزاً لمديرية تشملها والمناطق المحيطة بها ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج٢ ص ٣٠١ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ٥٤٦ ، ٥٤٧.

(5) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج٢ ص ١٠١ ، ١٠٦ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٩٤ ، عبدالله العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢١٥ .

المريدين ، وقدر لهم النفقات النقدية والعينية شهرياً وسنوياً ، وتكفل بإطعامهم وتـــأمين المسكن والملبس لهم[١] ، حتى يتفرغوا للعلم والعبادة على حد ســواء ، يــسهموا فـــي النهوض بالحركة العلمية مع بقية المرافق التعليمية الأخرى[٢] .

وما يؤكد الدور العلمي للخانقاه تلك الشروط التي اشترطها الواقفون فيمن تولى أمر الخانقاه ، إذ نصت الوثائق المتوافرة " على شيخ من مشائخ الطريقـــة الـــسالكين المحققين المتصفين بصفة الصوفية ، وعلى عشرة من المريدين السالكين المنقطعـــين ، ويفضل اثنان منهم لمزيد من النفقة وإلى الخانقه المـــذكورة بالمدرســـة مـــن الفقــراء والسالكين ... "[٣] ، كما اشترط بعض الواقفين على شيخ الخانقاه تجنب البـــدع التـــي عُرف بها عموم الصوفية مثل إحداث الغناء أثناء السماع وغيرها ، تقـــول الوثيقـــة : "وعلى الشيخ المذكور أخذ العهود على السالكين وجماعة أتباعـــه لا يعتـــري الخانقـــاه المذكورة للشيخ بدعةٌ ولا لهوٌ يضل عن سبيل الله تعالى ... ولا بأس بسماع مدح مادحٍ أو حادٍ أو مذَكِّرٍ أقوالٍ مما يرغب على دار القرار ويزهد في هذه الدار ... "[٤] ، وهو ما يؤكد أن الخانقاه في العصر الرسولي كان منظماً بدرجة عالية ، وعمله سير وفـــق إطار محدد مرسوم مسبقاً ، وأن ترتيب شيوخ الخانقاوات وتعيينهم كان من الأمور التي يقطع فيها السلطان نفسه[٥].

وتجدر الإشارة إلى أن آخر عهد اليمن بالخانقاه – من خلال المصادر التاريخية اليمنية المتوافرة – كان مع بداية القرن التاسع الهجري ، أن السلاطين الرسوليين المتأخرين جداً وكل سلاطين الدولة الطاهرية قد أغفلوا الخانقاوات ، فلم نعد نسمع عن تلك التي سبق إنشاؤها ولا عن خانقاوات جديدة .

---

(1) **الوقفية الغســـانية** ، وثيقة وقف المدرسة الأشرفية ، ص ١٥ ، ١٦ .

(2) علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٢٩٠ .

(3) **الوقفية الغســـانية** ، وثيقة وقف المدرسة الأشرفية ، ص ١٤ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ١٧ .

(5) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج٢ ص ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٦ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية فـــي تعز**،ص ٢٩٠.

ثانياً : المراكز العلمية

- **المراكز العلمية في المناطق السنية :**

الفرق بين أماكن التعلم والمراكز العلمية كالفرق بين اللبنة والبناء ، فالمركز العلمي عبارة عن مساحة جغرافية محددة ، قد يضم مدينة واحدة أو مجموعة من المدن والقرى ، وفي كل واحدة من هذه المدن والقرى يوجد عدد من أماكن التعلم المختلفة .

لم يُبنَ التمييز بين المراكز العلمية في اليمن في مدة الدراسة وتقسيمها إلى مراكز في المناطق الشيعية والسنية على أساسٍ مذهبي لذاته ، إنما جاء هذا التقسيم بناءً على الاختلاف في طبيعة أماكن التعليم بين المنطقتين ، وهذا الاختلاف لعبت فيه عوامل عدة ، لم يكن البُعد المذهبي إلا أحدها ، وهو ما سبق الحديث عنه ، ومن جانب آخر لا أدعي فخراً إن زعمت أن اليمن بمجمله، وعلى مدار رقعته الجغرافية كان عبارة عن نسيج متداخل من المراكز العلمية وأماكن التعلم ، يستوي في ذلك السهل والجبل ، والهضبة والمنخفض ، بل إن تميزه على غيره من الأقطار الإسلامية جاء من أن النشاط العلمي الذي قادته المناطق غير الحضرية كان أكثر ازدهاراً وأبلغ أثراً من مثيله في المناطق الحضرية.

ولو أردنا حصر كل المراكز التي تركزت فيها أماكن التعليم ومورست فيها كثير من الأنشطة العلمية لخرجنا عن السياق المرسوم لهذه الدراسة ؛ بسبب كثرتها ، لذلك سأكتفي بتناول عينة منها للاستدلال على ازدهاره في غيرها ، ومنها :

(١) تهامة اليمن :

هي اسم يطلق على النطاق الجغرافي السهلي الساحلي الواقع غرب اليمن ، تصوره الخرائط الجغرافية على هيئة شريط طويل يمتد بمحاذاة شاطئ البحر الأحمر ، وهو الجزء الفاصل بين منطقة المرتفعات الجبلية الغربية والبحر الأحمر نفسه ، يتراوح عرض هذا النطاق ما بين ٣٠ إلى ٦٠ كيلومتراً ، أما طوله فهو لا يقل عن ٥٠٠ كيلومتراً بمساحة تقدر بحوالي ٢٠,٠٠٠ كيلومتراً[١] ، وهناك من جعله يمتد كذلك على

---

[1] عبدالرحمن الحضرمي ، **تهامة اليمن** ، مجلة الإكليل ، صنعاء ، السنة الأولى ، العدد ٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٤١ ، ص ١٠٤ – ١١٣ ، د. عوض إبراهيم الحفيان ، **الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية** ، إصدارات جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ٧١ ، د. عبدالعباس فضيح الغريري وآخرون ، **جغرافية**

طول ساحل بحر العرب إلى حدود عُمان[١] ، إلا أننا في دراستنا هذه سنحصر إطلاق هذا المصطلح – كما هو مرجح ومعمول به لدى الجغرافيين المعاصرين – على ما يقع منه موازياً للشواطئ الشرقية للبحر الأحمر فقط .

تميز هذا النطاق بخصوبة أرضه وسهولة تضاريسه ، وكثرة الوديان الزراعية التي تصب مياهها فيه فتجعله غنياً بخصوبة التربة[٢] ، وثرياً بمقومات الحياة البشرية ، فارتفعت فيه الكثافة السكانية ، وانتشرت – تبعاً لذلك – مراكز التحضر فيه ، إذ انتشرت فيه مدن عديدة أمثال زبيد وأبيات حسين[٣] والحُدَيْدَة وحَيْس وغيرها ، ولم تشهد منطقة يمنية من تعدد الخلفيات المذهبية والفكرية للحياة العلمية وما بُنيَ عليه من تعدد في أنشطتها واختلاف أشكالها كما شهدته تهامة بمدنها وقراها ، ولأنه من الصعوبة حصر مجمل النشاط العلمي الذي دار في هذه المنطقة فإننا سنقوم باستعراض شذرات قليلة من أهم ما أشارت إليه المصادر، تاركين مهمة تتبع التفاصيل للباحثين المهتمين بدراسة تاريخ اليمن .

❖ **مدينة زبيد :**

تأتي مدينة زبيد في مقدمة مدن تهامة وأوسعها ذكراً في هذا الباب ، وشهرتها أكبر من أن تحتاج إلى وصف ، وقد كانت زاخرةً – منذ قرون طويلة قبل مدة دراستنا وبعدها – بعدد كبير جداً من العلماء الأعلام ، الذين أصبح بعضهم رموزاً للفكر الإسلامي في مجمله كالفيروزبادي صاحب (القاموس المحيط) ، وكان لهم ذكر حاضر في كتب الطبقات والتراجم التي كتبها أعلام المؤرخين المسلمين في الأقطار الأخرى كابن حجر العسقلاني والسخاوي والسيوطي والفاسي وغيرهم ، وقد استعرضنا كثيراً

اليمن، المكتبة المركزية ، تعز ، ٢٠٠٠م ، ص ٤٣ ، حسين بن علي الويسي ، **اليمن الكبرى** ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٩١م ، ج ١ ص ٣٧ .

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٣١٠ .

(2) د. عوض إبراهيم الحفيان ، **الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية** ، ص ٧٣ ، د. عبدالعباس فضيح الغريري وآخرون ، **جغرافية اليمن** ، ص ٤٤ .

(3) مدينة قديمة ، أصبحت اليوم معدودة ضمن قرى تهامة ، تقع إلى الجنوب من وادي مور وسُرْدُد ، وقد أخربتها القبائل التهامية في بعض هجماتها في آخر القرن التاسع فلم تعمر بعد ذلك ، وموقعها يتبع حالياً مديرية اللُّحيَّة بمحافظة الحديدة ، الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ١ ص ٣٤ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٢٠ .

من صور النشاط العلمي فيها عند حديثنا عن أماكن التعليم من هذا الفصل ، سواءً في معلامات الصبيان أو جوامع المدينة وكـذلك في مدارسها الشـهيرة، لذلك فحاجتنا إلى تناول غيرها أكبر.

❖ مدينة أبيات حسين :

من مدن تهامة الشهيرة بالعلوم مدينة أبيات حسين ، تلك المدينة التي أهدت اليمن عدداً من أبرز أعلامها ، تعددت فيها أماكن التعليم ، فكان ذلك مرتعاً خصباً للمبرزين من أبنائها ، فمارسوا فيها أنشطتهم ، التدريسية والتأليفية وغيرهما ، وقد ترجم القاضي الأكوع[1] لواحد وأربعين منهم ، وهو ما دفع عدداً من رجال اليمن في المناطق الأخرى لزيارتها ، سعياً لطلب العلم إذا كانوا في المراحل العُمْرية الصغرى ، أو حرصاً على التدريس فيها وزيارة علمائها إذا كانوا من العلماء المعروفين في مناطقهم .

ولا تُذكر مدينة أبيات حسين إلا ويتبادر إلى ذهن القارئ والسامع ابنها النجيب الإمام شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله الشـاوري الشَّرْجي الشهير بالمقرئ (ت ٨٣٧هـ /١٤٣٣م)، الذي يُعد بين أشهر شعراء اليمن في عصرها الإسـلامي ، ولم يَحُلْ الشعر بينه وبين أن يبرز في كثير من العلوم بروزاً جعل ذكره كبيـراً فـي المصادر التي تناولت علماء اليمن في القرن التاسع الهجري ، حتى أن الإمام ابن حجر العسقلاني[2] وصفه – كما سـبقت الإشارة – بأنه : " عالم البلاد اليمنية " ، واسـتهل البريهي[3] ترجمته له بقوله : " الإمام العلامة ، فخر اليمن ، وبهجة الـزمن ... كـان إماماً يضرب به المثل في الذكاء ، مرتقياً أعلى ذروة الفضل بلا امتراء ، نادرة الدهر، وأعظم فضلاء العصر ، ملأ بعلمه الصدور والسطور ، وأبان بمشكاة فهمه مـا كـان عويصاً على أعلام الصدور ... " ووصفه الخزرجي[4] بأنه كان يتوقد ذكاءً ، وهو مـا

---

(1) هجر العلم ، ج ١ ص ٣٤ – ٤٨ .

(2) إنباء الغمر بأنباء العمر ، ج ٣ ص ٥٢١ .

(3) طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٠٢ .

(4) العقـود اللؤلؤية، ج ٢ ص ٣١٨ .

أهله ليفوق كثير من أقرانه من علماء عصره ، فصار إماماً في التاريخ الفقه والعربيــة والمنطق والأصول ، وصارت له اليد الطولى في الأدب نظماً ونثراً[١] .

ومن دواعي شهرته أن كان المنافح الأكبر عن السنة النبوية في الفقه والعقائد في اليمن أمام رياح التيار الصوفي الفلسفي ورموزه ، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تُذكر الصوفية في اليمن ولا يذكر معها الإمام إسماعيل المقرئ كرمز لخصومها ولساناً للمعادين لها ، وله في ذلك القصائد الكثيرة التي يزخر بها ديوانه الكبير ، وقد واجه بسبب ذلك محناً شتى ، وطاله التنكيل والتشريد ، ولم تزولْ محنته إلا بانحسار النفوذ السياسي للصوفية في اليمن بوفاة السلطان الرسولي الناصر الأول أحمد (ت٨٢٧هـــ / ١٤٢٣م) .

من أهم علماء مدينة أبيات حسين وأشهرهم يأتي الحسين بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر الأهدل (ت ٨٥٥هـــ /١٤٥١م) ، الذي يُعد أكبر مؤرخي اليمن في القرن التاسع الهجري ، ترجم لنفسه في كتابه (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) ليكون بذلك أول مؤرخ مسلم يكتب سيرته الذاتية – حتى أن الذين اتبعوه في ذلك كانوا يحتجون به كما سنبينه في فصل قادم – وطلب العلم في أكثر من منطقة بتهامة ، فلما برز على أقرانه نال ثقة شيوخه ، حتى أن بعضهم كان يوكل إليه مهمة جواب الفتاوى الواردة عليه وهو لما يزل فتىً يافعاً[٢] ، وكان بعضهم يصرح بأنه هو الذي سيخلفه في مجلسه في حال وفاته[٣] ، وكان من علماء اليمن الأثبات والعدول ؛ وذلك لأنه اتخذ لنفسه نهجاً في الأخذ والتلقي يضمن لعلمه الرصانة والعمق ، إذ يقول عن ذلك : " ومن طريقي أني لا أحب الرواية إلا عن ثقة ، ولا آخــذ عمن دَبَّ ودَرَجَ ، ولا عمن لا أعــرف ديانته ، ولم أختــبر عقيدته ... "[٤] ، وقد حاز من العلوم الكثير ، فهو عمدة في الفقه والأصولين ، والحديث والتفسير وغيرها ، ومن ينظر في الكتب والأمهات التي أوردها في سيرته الذاتية وصرح بأنه درسها على أيدي مشائخه فإنه سيدرك إلى

---

(1) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ ص ٢٩٣ ، الشوكاني ، البدر الطالع ، ج ١ ص ١٥٨ – ١٦١ .

(2) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، تحقيق عبدالله الحبشي ، المجمع الثقــافي ، أبــوظبي ، ٢٠٠٤م ، ج ٢ ص ٢٥٢ .

(3) الأهدل ، المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(4) المصدر السابق ، ج٢ ص ٢٥٥ .

أي مدى من العلم قد بلغت درجة هذا العلم الكبير[١] ، وقد ذكر عدداً من مؤلفاته[٢] ، وسردها محقق كتابه المذكور فبلغت سبعة عشر كتاباً في التفسير والتاريخ وأصول الدين والحديث والرقائق والأدب والشعر وغيرها[٣] .

❖ مدينة حَـرَض :

ومن مدن تهامة المعروفة بالعلم أيضاً مدينة حَرَض ، وهي مدينة وواد ، تقع في الشمال الغربي لمحافظة حَجَّة وتتبعها إدارياً ، وواديها هو أكبر الوديان الشمالية لتهامة[٤] ، وقد عرفت بكثرة العلماء فيها ، ترجم الأهدل[٥] لتسعة وثلاثين من أشهرهم ، منهم يوسف بن محمد بن علي بن عبدالله العامري (ت٨٣١هـ / ١٤٢٧م) ، الذي تحول عن حَرَض ساعياً في طلب العلم إلى زبيد وأبيات حسين ، وبرز في علم الفرائض وعلوم الجبر والمقابلة والمساحة حتى أصبح عمدةً فيها ، وقصده الطلبة من نواحٍ شتى ، ومع ذلك فقد كان شديد التواضع[٦] .

ويأتي الإمام الحافظ والمحدث أبو زكريا عماد الدين يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى العامري (ت ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) في مقدمة علماء حرض وأكثرهم شهرةً على مر العصور ، فهو من مفاخر اليمن وأعلام الحديث فيها ، تتلمذ على يد عدد من خيار العلماء في حرض وأبيات حسين ومكة وغيرها ، ومع أنه كان لايزال صغيراً ومغموراً في عهد المؤرخ الأهدل إلا أنه ذكره عرضاً في ترجمته لآبائه فقال : " ولأبي

---

(1) عبد الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٢٥١ – ٢٥٥ معظم الكتب التي درسها في سيرته ، وأشار في ثناياها إلى أن له إجازات في كتب كثيرة لم يذكرها وأنه قد ذكرها في فهرسته ، وقيامه بجمعها في مؤلف كامل (فهرسته) دليل على كثرتها ، وإن كان هذا الكتاب لم يعرف مكان وجوده حالياً .

(2) **المصدر السابق** ، ج٢ ص ٢٥٥ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٨ ، ٩ من مقدمة المحقق عبدالله الحبشي .

(4) الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٢ ص ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

(5) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٣٦ – ٤١ .

(6) **المصدر السابق** ، ج٢ ص ٣٧ .

بكر هذا ولد اسمه يحيى ، فقيه عارف بالحديث ورجاله ، وقد طلب مني إجازةً فأجزت له مروياتي ومصنفاتي ... "[1] .

وقد حاز الإمام يحيى العامري على القبول لدى كل من عرفه من علماء السنة والشيعة الزيدية، بل إن بعض أئمتهم قد تتلمذ على يديه[2] ، وتجده موصوفاً بعبارات الاحترام في تواريخهم وكتب أسانيدهم ، جاء في ترجمته في (طبقات الزيدية الكبرى) : " الفقيه الحافظ المحدث العلامة ... ناعش سنة سيد المرسلين ، الإمام العالم الحافظ ، الصالح العابد ... "[3] .

وخلاصة القول إن تهامة قد ازدانت في مدة الدراسة وقبلها بأماكن التعليم المختلفة ، من معلامات ومدارس وجوامع ومساجد ، وكانت معظم قراها ومدنها مراكز علم ومنارات هدى دائمة، ولو تمكنا من تجسيم خارطتها الجغرافية ومثّلنا كل قرية أو مدينة علمية فيها بمصباح كهربي بالغ الصغر لأصبحت الخارطة كلها بمثابة مشكاة واحدة من المصابيح لكثرتها ، فقد بلغ عدد ما أشار إليه الأهدل منها – كما أسلفنا – ثلاثةً وسبعين قرية ومدينة ، ولعله لم يشر إليها كلها ، ومع أنه قد رصد كل هذه القرى والمدن ، وأشار إلى كثير من علمائها بالترجمة ، واستعرض معظم أنشطتهم العلمية من تأليف أو تدريس وما في حكمهما ، مع ذلك إلا أن من ذكرهم قد لا يبلغون نصف من قادوا العلم وأنشطته فيها ، فهو قد توفي سنة (ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م) ، أي في منتصف القرن التاسع الهجري ، فهناك مدة قرن كامل لاحق من دراستنا لم يقيض الله تعالى لها المؤرخ الذي يقوم بما قام به الأهدل لنرى أن ما أنجزه أبناء تهامة في مجال خدمة العلوم والفكر الإسلامي عموماً .

(٢) مدينة تعز :

تَعِزُّ مدينة كبيرة في السفح الشمالي لجبل صَبِر الشهير ، تقع إلى الجنوب من صنعاء على بعد مسافة تبلغ حوالي ٢٤٥ كيلو متراً ، لم يكن لها ذكرٌ في المصادر

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٣٨ .

(2) هو الإمام عزالدين ابن الحسن المذكور في الفصل الثاني ، انظر ذلك عند ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج٣ ص ١٦٦٠ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ٣٥١ .

(3) ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج٣ ص ١٦٥٩ ، زبارة ، **المصدر السابق** ، نفس الصفحة ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٨٤٦ .

التاريخية قبل دخول الأيوبيين اليمن في القرن السادس الهجري عندما اتخذها توران شاه الأيوبي مسكناً له ومركزاً لسلطته ، وزادت أهميتها بعد أن اعتمدها السلاطين الرسوليون عاصمةً لهم ، وكان اســمها يوم أن أســست (ذو عُدَيْــنة) ، وكان (تعز) اسماً لقلعتها الحصينة التي تتوسطها ، ثم غلب عليها اسم القلعة ، فصارت المدينة تعرف بتعز ، كما غلب على القلعة اسم (القاهرة) إلى يوم الناس هذا ، وهي اليوم مركز محافظة يطلق عليها اسمها ، تأتي في طليعة المحافظات اليمنية أهميةً لثقلها الديمغرافي وموقعها المتوسط في المرتفعات الجبلية في اليمن[١] .

وكان الأيوبيون ومن بعدهم الرسوليون قد قادوا وشجعوا في هذه المدينة كثيراً من صور الحراك العلمي المزدهر ، فأسسوا بها الجوامع والمدارس والمعلامات وغيرها من أماكن التعلم ، فصارت مركز إشعاع للعلم ، وزارها بسبب ذلك عدد غير قليل من علماء اليمن وطلاب العلم فيه، وجلس عدد كبير منهم للتدريس في مدارسها وجوامعها ، وسأكتفي هنا بعرض بعض نماذج من أماكن التعليم فيها ، وكذلك عدد من أشهر من عرف من علماءها .

تأتي الجوامع والمدارس ودور الضيافة[٢] في مقدمة أماكن التعليم في مدينة تعز، وقد سبق أن تحدثنا عن الجامع المظفري ، وهو من أكبر جوامع تعز إطلاقاً ، وسنأخذ نموذجاً آخر من جوامعها وهو **جامع المِلاح** (الجامع الأشرفي) .

أنشأه سنة (٧٩١هـ/١٣٨٨م) السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)[٣] ، وكان السلطان الأشرف قد رسم له ملامح دوره العلمي منذ تأسيسه، لذلك شكل هيئة علمية تقوم بأموره وتدير النشاط التدريسي فيه ، ولما كان المؤرخ اليمني الخزرجي معاصراً لهذه الأحداث وأحد أعضاء هيئة التدريس المختارة لهذا الجامــع فإننا نجــده يزودنا بســرد للمهام التي أوكلــت إلى أعضاء هذه الهيئة ،

---

(1) تحدث عنها كتاب معاجم البلدان اليمنية بشئ من التفصيل ، انظر الحجــري ، **مجمــوع بلــدان الــيمن وقبائلها** ، ج ١ ص ١٤٥ – ١٥٥ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٢٣١ – ٢٣٣ .

(2) نوع من المرافق الحكومية ، يشبه الدور الوظيفي الذي تؤديه ما تقوم به دور الــضيافة الرسّــمية فــي التاريخ المعاصر ، غير أنها آنذاك – وبمقتضى ثقافة ذلك العصر – كانت تؤدي دوراً تعليمياً كبيــراً ، إذ كانت تعين لها هيئات تدريس من خيرة العلماء ، وتعقد بها جلسات العلم وحلقاته ، وسنذكر مثالاً عليها في السياق القادم .

(3) الخزرجي ، **العقــود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٠٠ .

فيقول: " ورتب السلطان الفقهاء المدرسين في الجامع المبارك الأشرفي ... وأمرهم بالتدريس وجمع الطلبة ونشر العلم ، وكانوا ستة مدرسين : مقرئ لكتاب الله تعالى بالقراءات السبع ، ومحدث بأحاديث رسول الله ﷺ ، ومدرس في الشرع على مذهب الإمام أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن إدريس الشافعي ، ومدرس في الفرائض ، ورتب مع كل وزاحد منهم جماعةً من الطلبة ، ورتب إماماً ومؤذنين ، وقيمين وخطيباً ، ومعلماً يعلم الأيتام القرآن ، وشيخاً صوفياً "[1] ثم يستطرد فيقول : " وكنت أحد المدرسين المرتبين فيه لإقراء القرآن بالقراءات السبع ، فأعجبني ما رأيت من اجتماع العلماء في الجامع المذكور ، واشتغال كل طائفةٍ بما ندبت له ... "[2] .

ومن الجوامع الكبيرة بتعز أيضاً نذكر جامع ثعبات ، أنشأه السلطان الرسولي المجاهد علي بن المؤيد داود (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)[3] في النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، ومع أن هذا التاريخ بعيد عن زمن الدراسة إلا أن الجامع استمر في أداء وظيفته العلمية بشكل طبيعي حتى القرن التاسع ، إذ تذكر المصادر أن الفقيه عمر بن داود بن عبدالله الشعبي (ت بعد ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) عمل مقرئاً للحديث النبوي في جامع ثعبات ، وشغل إلى جانب ذلك مهمة الخطابة فيه[4] ، وكذلك قام الفقيه علي بن محمد الشعبي (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) بتدريس الحديث النبوي الشريف في جامع ثعبات[5] .

أما المدارس فهي تأتي في طليعة مرافق التعليم في تعز ، وقد حظيت هذه النوعية من المباني التعليمية باهتمام فاق غيرها من قبل السلاطين الرسوليين ونسائهم ، وكذلك بقية شرائح المجتمع من الأمراء والميسورين وغيرهم .

---

(1) الخزرجي ، **العقــود اللؤلؤية**، ج ٢ ص ١٧٠ – ١٧٢.

(2) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٧١.

(3) الأفضل الرسولي ، **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية** ، تحقيــق عبدالواحـد عبـدالله الخامري ، من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ٤٨١ .

(4) نقل خبر هذا الفقيه الباحث علي بن علي أحمد عن مخطوطة **تـاريخ الـشعبي** (ت بعـد ٨٠٠هـــ / ١٤٩٧م) ، وهي النسخة التي لم أستطع الحصول عليها ، انظر ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٢٣٥ .

(5) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص٢٣٤ .

وقد قمت بحصر كل المدارس العلمية التي أنشئت في تعز وحدها في عصر الدولة الرسولية منذ عصرها المبكر في القرن السابع الهجري حتى آخر أيامها في منتصف القرن التاسع الهجري فبلغ عددها أربعاً وثلاثين مدرسة ، وهذا العدد بلا شك يعد – بمنطق ذلك العصر – عدداً مهولاً ، وإن كان معظم هذه المدارس قد أنشئت قبل مدة دراستنا هذه إلا أن الأراضي الواسعة الموقوفة عليها قد ضمنت لنشاطها الاستمرار على الوجه الأكمل ، يدلنا على ذلك وجود الإشارات في المصادر التي تدل على قيام علماء القرن التاسع الهجري بالتدريس في مدارس قد مضى على إنشاءها أكثر من قرن من الزمان .

من أمثلة ذلك المدرسة المظفرية التي أنشأها السلطان المظفر الأول يوسف بن المنصور عمر (ت ٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)[١] واستمرت في أداء دورها بشكل يبعث على الإعجاب ، حتى وجدنا من علماء القرن التاسع من يتصدى للتدريس فيها ، منهم الفقيه عبدالله بن أبي بكر التعـزي (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م)[٢] ، والفقيه عبدالعزيز بن علي بن أحمد النويـري (ت٨٢٥هـ / ١٤٢١م)[٣] ، والفقيه محمد بن عمر بن عيسى العماكري (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م)[٤] .

وهناك بتعز أيضاً عدد من المدارس الأخرى التي بنيت في زمن الدراسة ، كانت رديفاً لتلك التي بنيت قبلها ، نذكر منها المدرسة الفرحانية الملحقة بجامع ذي عُدينة[٥] ، ولم تكشف المصادر هوية من نسبت إليه ، وإن كان بعض الباحثين[٦] يرى أنها نسبت إلى جهة فرحان سلامة (ت ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) – زوجة السلطان

---

(1) الأفضل الرسولي ، **العطايا السنية** ، ص ٦٩٢ ، الجَندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ١٧٣ .

(2) ابن حجر ، **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، ج ٢ ص ٣٩١ ، **الذيل على الدرر الكامنة** ، ص ١٩٢ ، **الضوء اللامع** ، ج٥ ، ص ١٧ .

(3) الفاسي ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، ج٥ ، ٤٥٢ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٤٣ .

(4) الأكوع ، **المدارس الإسلامية في اليمن** ، ص ١١٥ ، البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ١٩٣ .

(5) ذكرت في ثنايا تراجم عدد من العلماء والفقهاء الذين عملوا فيها، انظر مثلاً **المصدر السابق** ، ص ٣٩ ، ٨٩ .

(6) علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص٢٧١ ، وعبدالله الحبشي في حاشية **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٩ .

الأشرف الثاني إسماعيل ، وهي أم ولده السلطان الظاهر يحيى (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م)، وقد صرح ابن الديبع[١] أما بانيها فهو السلطان الظاهر يحيى الرسـولي بعد وفاة والدته .

من الفقهاء المبرزين الذين درسوا في هذه المدرسة عبدالرحمن بن محمد النحواني (٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) الذي سبق أن أوردنا – في ذكر المساجد – ما ذكره المؤرخ المعاصر البريهي[٢] في مدحه ، ومنه أنه : " كان إماماً متضلعاً من العلوم النافعة ... قرأ على الإمام رضي الدين الشنيني الأصبحي كتاب المهذب والوسيط والوجيز والبيان ، وجملةً من كتب الحديث ... وقرأ الحديث على الإمام نفيس العلوي وعلى مجد الدين الفيروزبادي ... وكان دأبه التحصيل والتدريس ، واجتمع له من الكتب جملة صالحة ، وكان أبلغ أهل وقته وأفصحهم في الشعر والخطبة ... " ، وممن تصدوا للتدريس في هذه المدرسة أيضاً الفقيه أحمد بن محمد الحرازي[٣] (ت٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) ، والفقيه عبدالرحمن بن أبي بكر بن عيسى الحرازي[٤] (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، والفقيه أحمد بن محمد البريمي[٥] (ت٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) ، والفقيه الطيب محمد بن أحمد بن أبي بكر الناشري[٦] (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، وغيرهم ، وهذا العدد يدل على مدى غنى اليمن – بما فيها – تعز بالعلماء ، ومدى ازدهار النشاط العلمي في هذه المدرسة .

(٣) مدينة عَدَن :

عدن مدينة – كما سبق أن عرفنا بها – ساحلية تجارية قديمة ، وهي أحد أسواق العرب في الجاهلية ، تقوم على شبه جزيرة صخرية بركانية ، محاطة بجبال من جهات

---

(1) **بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** ، ص ١٠٩ ، وكذلك مجهول ، **تاريخ الدولة الرسولية في اليمن** ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥.

(2) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٩٠ ، ٩١ ، الأكوع ، **المدارس الإسلامية في اليمن** ، ص ٢٩١ .

(3) البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ٣٢٥ ، الأكوع ، **المرجع السابق** ، ص ٢٩٢ .

(4) **المرجع السابق** ، ص ٢٩١ ، البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٣٣.

(5) **المصدر السابق** ، ص ٢٦ ، الأكوع ، **المرجع السابق** ، ص ٢٩٢ .

(6) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٤ ص ١٤ ، ج٦ ، ص ٢٩٨ ، الأكوع ، **المرجع السابق** ، ص ٢٢٣ .

ثلاث والبحر من الجهة الرابعة ، تقع إلى الشرق من مضيق باب المندب ، لذلك فهي قادرة على التحكم في الملاحة على الطريق البحري بين بلدان المحيط الهندي ودول الشمال في مصر وحوض البحر المتوسط وأوربا ، لذلك وجدت بها الجاليات التجارية العربية والهندية ، فاستهدفها البرتغاليون لكي يحكموا السيطرة على التجارة العالمية .

كانت السمات العامة لمدينة عدن مصدر قوتها في جذب عدد كبير من الناس لسكناها ، وكل منهم يجد فيها ضالته ، فالتاجر يجد فيها من مقومات الأعمال التجارية ما لم يجده في غيرها من مدن اليمن ، كما أن فرص توافر العمل فيها قد لفتت انتباه الباحثين عن مصدر معيشة لهم فانسابوا نحوها ، واستدعت حالة اليسار التي حظي بها أهلها أن يكون فيهم العالم والفقيه والقاضي، وهو ما اقتضى أن يتجه طلاب العلم إليها من كثير من مناطق اليمن ، ورسخ القناعة بصواب اختيارها موطناً لدى الكثير من اليمنيين أنها كانت أكثر المدن اليمنية استقراراً ، وأقلها نشاطها عسكرياً ، فقد كانت حصتها من الاضطرابات والتمردات التي عرفت بها المناطق اليمنية على مدار تاريخ اليمن ضئيلة ، ومرد ذلك عائد إلى الأهمية الاقتصادية لهذه المدينة بالنسبة للدول القائمة ، فكانت توليها من الاهتمام ما لا توليه حتى لعواصمها في تعز أو المقرانة وصنعاء ، إضافة إلى أن طبيعة تفكير سكان مثل هذه المدن المتحضرة كثيراً ما ينأى عن إقحام نفسه في الصراعات القائمة ، بل إن سعيه لحصر أي خلاف قد ينشأ – مهما كانت أطرافه – يتقدم أي تفكير يتجه نحو المواجهة .

وما يجدر بنا الإشارة إليه هنا هو أن مدينة عدن قد كانت محطة (ترانزيت) لكثير من الحجاج من العلماء وغيرهم في طريقهم من – وإلى – بلدانهم في شبه القارة الهندية ، ومن يركب البحر من أبناء جنوب فارس وخراسان ، وهذا أدى إلى إثراء العلوم بسبب نزول بعضهم وجلوسهم للإقراء في مساجد عدن وغيرها من مدن السواحل اليمنية ، ومثال ذلك نزول الفقيه محمد بن خضر الكـابلي (ت٧٩٤هـ / ١٣٩١م) – القـادم من خراسـان – في عدن وبعد ذلك في زبيد[1] .

أنا أردت بهذه التوطئة أن أفسر كيف أن أشهر علمائها وأبرز فقهائها ليسوا من المتجذرين في نسبتهم إليها ، فهم إما من عشائر حضرموت أو تعز أو زبيد وغيرها ،

---

[1] بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ٢١٥ ، الخزرجي ، **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن** ، ق ١٤٦ – ب ، عبدالله العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ١٥٣.

يتضح ذلك بجلاء تام بمجرد استعراض ألقاب عشائر هؤلاء العلماء ووجوه العلم في مدينة عدن .

لم تركز المصادر كثيراً على تناول أماكن التعليم في مدينة عدن والمرافق التي استوعبت الأنشطة العلمية والتدريسية لرجال العلم فيها ، فقد كانت عبارة عن شذرات وإشارات مجملة متناثرة هنا وهناك ، هذا مع أن المصادر نفسها أطنبت كثيراً في الترجمة للعلماء والفقهاء من المقيمين بها ، وتناولت مجمل أنشطتهم التأليفية والتدريسية، وسردت أسماء أشهر من طلب العلم في عدن ورحل إليها للجلوس إلى هؤلاء العلماء ، حتى مؤرخها المعاصر الطيب بن عبدالله بامخرمة (٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) في كتابة (تاريخ ثغر عدن) الذي خصصه لرصد مجمل الأحداث والأنشطة فيها لم يُولِ هذا الجانب ما يستحقه من الاهتمام .

من مساجد مدينة عدن وجوامعها التي أشارت إليها المصادر نجد جامع أبان بن الحكم العدني الذي تناولنا – في الفصل الأول من هذه الدراسة – نسبة هذا المسجد وبعض نشاطه ، ومنها أيضاً مسجد مسعود ، ومسجد ابن حقس[1] ، ومسجد الزيد ، ومسجد الحَمَّا ، وجامع الملاح[2] ، وكذلك مسجد المدرسة[3] ، وهي إشارة تدعونا إلى التفكير حول ماهية هذه المدرسة ، وكيف أن المسجد نُسِبَ إليها وليس العكس ، وهو ما يوحي بأن ثمة مدرسة بنيت في عدن ، وكان المسجد أحد ملحقاتها ، ولا يكون المسجد ملحقاً إلا ببناء كبير ، قد يفوقه في الحجم والإمكانات ، ولكن من بنى هذه المدرسة ؟ ومتى بنيت ؟؟ وما اسمها ؟ كلها أسئلة لم تشبع المصادر فضولنا بالإجابة عنها ، وقد ذُكِرتْ مدرسة في عدن باسم المدرسة السفيانية[4] ، وكذلك المدرسة الظاهرية ، والمدرسة المنصورية[5] ، ومدرسة رابعة بناها أحد تجار عدن الميسورين يدعى محمد

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج٣ ص ٨١٠ .

(2) العيدروس ، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ص ٤٩ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ١٨٧ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٤٨ ، ٨٥ ، الأكوع ، **المدارس الإسلامية في اليمن** ، ص ٣٣٦ ، وقد نسبت إلى مؤسسها الشريف علي بن سفيان ، انظر بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج٣ ص ٧٩١ .

(5) نسبت الأولى إلى بانيها السلطان الرسولي الظاهر يحيى (ت ٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) ، والثانية إلى السلطان الرسولي المؤسس عمر بن علي (ت٦٤٧هـ / ١٢٤٩م) ، انظر عبدالعزيز بن راشد السنيدي ،

بن أحمد باحنان الحضرمي بسوق الخزف وأوقف على مصالحها فندقاً بعدن وأرضا بلَحْج[1] ، فلعل إحدى هذه المدارس هي التي نُسِب إليها المسجد المذكور أو غيرها ، مع أنني أتوقع أن عدن لم يكن لها أن تضم هذا العدد من المدارس فقط ، فسمعتها العلمية المزدهرة ترسخ الاعتقاد بأن مرافق التعليم وأماكنه - بما فيها المدارس - كانت منتشرة فيها بشكل أكبر مما تناولته المصادر ببعيد .

من أكبر الشخصيات العلمية التي تصدت للتدريس في مدينة عدن في القرنين التاسع والعاشر الهجريين تذكر المصادر القاضي جمال الدين محمد بن مسعود بن سعد بن أحمد أبو شكيل الخزرجي[2] (ت٨٧١هـ / ١٤٦٦م) ، أصله من حضرموت ، كان الده قاضياً بالشحر ، ابتدأ طلب العلم في بلاده حتى أحس بالحاجة إلى الاستزادة فقصد عدن ، وجلس إلى أشهر رجالها ، فأخذ عن القاضي محمد بن سعيد كبن الفقه والحديث والتفسير وغيرهاً ، وكان يحب بسخ الكتب بنفسه ، وامتهن التجارة حرصاً منه على تطييب مأكله ، ولما بنيت المدرسة الظاهرية بعدن رتب فيها معيداً ، وولي القضاء بعدن في عهد آخر سلاطين الرسوليين المسعود ، واستمر فيه حتى بعد قيام الدولة الطاهرية - إلى سنة (٨٦١هـ / ١٤٥٦م) .

وممن اشتهر بالتدريس في مدينة عدن شيخ الإسلام الإمام الشهير محمد بن أحمد بن علي بافضل[3] (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) ، حضرمي أيضاً استوطن عدن بعد

المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية ، ص ٨٠ ، ٤٠٨ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج٣ ص 792، الأكوع ، **المدارس الإسلامية في اليمن** ، ص ٥٧ ، ٣٠٦ .

(1) بامخرمة ، **المصدر السابق** ، ج٣ ص ٧٠٧ .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ٣٣٦ ، الحداد ، **عقود الألماس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس** ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ج٢ ص ٦٥ ، باحنان ، **جواهر تاريخ الأحقاف** ، راجعه ووضع فهارسه وصححه حسن جاد حسن ، مطبعة الفجالة ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، ج٢ ص ١٧٠ ، شنبل ، **تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، ط١ ، ١٩٩٤م ، (د ، ن) ، ص ١٩٣ ، باوزير ، **الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي** ، دار الطباعة الحديثة - مصر ١٣٨١هـ - ١٩٦١م ، ص١٢٣ ،.

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ابن الديبع ، **الفضل المزيد** ، ص ٢٤٣ ، العيدروس ، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر** ، ص ٢٤ ، بافضل ، **صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل** ، مكتبة تريم ، حضرموت ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص ١٣٤ - ١٤٢ ، بافقيه ، **تاريخ الشحر**

أن قدمها سعياً في طلب العلم ، فأخذ عن كبار علمائها أمثال القاضي جمال الدين محمد بن أحمد باحُمَيْش ، فلما توفي شيخه أقيم مقامه في التدريس ، فنشط في ذلك كثيراً ، يقول عنه تلميذه الطيب بامخرمة[1] : " فعمر الله به الدين ، وأحيا به معالمه ، وقرأ على القاضي محمد بن مسعود باشكيل في كتب الحديث والتفسير، وأجازه القاضيان أبو حميش وأبو شكيل ، وأفتى ودرس ، ونشر العلم ، وقصدته الطلبة من أنحاء اليمن لعلمه وفضله وصلاحه ، وبالجملة فلم يكن في الوقت مثله ... وكان متفننا في العلوم حسن المذاكرة موظف أوقاته على العبادة والطاعة لا تلقاه إلا في طاعة من تدريس أو تصنيف أو قراءة قرآن أو ذكر، ومجالسه محفوظة ... انتفع به جمع كثير وصاروا فضلاء ... وبالجملة فلا يأتي الزمان بمثله ، وغالب ظني أنه مجدد قرنه " ، وكتب الطبقات والتواريخ اليمنية تنطق بأن أغلب علماء اليمن في آخر القرن التاسع وبداية العاشر – وخاصة في عدن وحضرموت – هم من طلبته .

ويأتي بعد الإمام بافضل في الشهرة العلمية من علماء عدن الإمام العلامة أبو الطيب عبد الله بن أحمد بن علي الشهير ببامخرمة[2](ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧) ، دخل عدن لطلب العلم ، فقصد القاضي محمد بن أحمد باحميش فقرأ عليه ، وسمع كثيراً من كتب الفقه ، وأقبل عليه القاضي باحميش إقبالا كليا لما رأى من نجابته وذكائه، وأجازه إجازة عامة ، وقرأ النحو على الفقيه ابن أزهر ، وقرأ على القاضي محمد بن مسعود باشكيل كثيراً من كتب الحديث والتفاسير وغيرها ، وأجاز له إجازة عامة في جميع أنواع العلوم ، يقول عنه ابنه الطيب بامخرمة[3] : " ولي قضاء عدن مدة يسيرة فباشره بعفة ، وجد واجتهد فأنصف الضعيف من القوي، وكان في خلقة حدَّة ، فخرج من عدن مختفيا متبرماً من القضاء فقصد الشحر ...ثم رجع إلى عدن وقد تولى قضائها

وأخبار القرن العاشر ، ص ٢٩ ، الكندي ، العدة المفيدة ، ص ١٥٣ ، باوزير ، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ، ص ١٤٢ .

(1) قلادة النحر ، ج٣ ص ٧٨٤ .

(2) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ٣٣٧ ، ابن الديبع ، الفضل المزيد ، ص ٢٣٨ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٥ ص ، ٩ ، العيدروس ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر ، ص ٣٠ – ٣٦ ، بافقيه ، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، ص ٢٥ ، الكندي ، العدة المفيدة ، ص ١٥٣ ، باوزير ، الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي ، ص ١٣٧ .

(3) قلادة النحر ، ج٣ ص ٧٨٢ ، ٧٨٣ .

القاضي عبد الرحمن بن عبد العليم البريهي ... وقرأ عليه جمعٌ ، واستفادوا وصاروا أئمة ، منهم شيخنا الإمام عبد الله بن عبد الرحمن بافضل، والفقيه عمر بن أحمد باكثير ... وكان رحمه الله يصدع بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم " .

وقد برز كثير من أبناء هذا الإمام العلم ، وصاروا يشار إليهم بالبنان ، منهم مثلاً : الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبد الله مخرمة[١] (٩١٠هـ / ١٥٠٤م) ، كان من بارزاً في علوم عدة ، شرعية كالفقه والحديث وعلوم القرآن الكريم والفرائض ، وطبيعية مثل الحساب والجبر والمقابلة ، وذكره أخوه المؤرخ الطيب بامخرمة[٢] لأنه دَرَّسَ الفقه في مدرسة المنصورية بعدن ، كما درس الحديث في المدرسة الظاهرية ، وكذلك الفقيه عبد الله – المعروف بالعمودي – ابن عبد الله بن أحمد بامخرمة[٣] (ت٩٠٤هـ / ١٤٩٨م)، ومحمد بن عبد الله بن أحمد بامخرمة[٤] (ت ٩٠٦هـ / ١٥٠٠م) ، إلا أن أبرزهم وأكثرهم شهرةً وعلماً هو الإمام العلامة ، مؤرخ عدن الأول ، المؤرخ أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)، وصفه المؤرخ الشِّلِّي[٥] بقوله : " علامة علماء الإسلام, وفهامة فضلاء الفقهاء العظام، مالك ناصية العلوم ، وفارس ميدانها ، وحائز قصب السبق في حلبة رهانها " ، ملك زمام الكثير من العلوم فتكاثر عليه طلبة العلم ، وازدادت أعداد المنضمين إلى حلقات درسه ، وقد جذبهم إليه علمه الواسع ، ومعرفته الشاملة, واطلاعه الكبير على ما لم يُجِدْه غيره ، فقد روى أحد تلميذه أنه كان يقول : " إني أقرأ في أربعة عشر علماً، والله أعلم "[٦]، كما أجاد التدريس بطريقة جعلت : " الجماعة من الطلبة وغيرهم يذكرون أنهم لم يروا مثله في التدريس وحل المشكلات في الفقه "[٧] ، وذلك لأنه " كان

---

(1) **النور السافر عن أخبار القرن العاشر** ، ص ٥٧ ، بافقيه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، ص ٧٧، باوزير ، **صفحات من التاريخ الحضرمي** ، مكتبة الثقافة، عدن ، ص ١٣٧ ، (د ، ت) .

(2) **قلادة النحر** ، ج٣ ص ٧٩٢ .

(3) **المصدر السابق** ، ج٣ ص ٧٨٥ ، بافقيه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، ص ٣٥ .

(4) **قلادة النحر** ، ج٣ ص ٧٨٦ .

(5) **السناء الباهر** ، ص ٣٤٩ .

(6) بافقيه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، ص ٢٧٧ .

(7) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة ، العيدروس ، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ص ٢٠٤ .

من أصح الناس ذهناً ، وأذكاهم قريحة ، وأقربهم فهماً ... وكان حسن السيرة والمحاضرة ، لطيف المذاكرة والمحاورة ، وكان كثير الاستحضار لفروع الأحكام التي تخفى على كثير من العلماء الأعلام ، خصوصاً ما في كتب الشيخين وغيرهما من المتأخرين "(١) ، لذلك جزم بعض من ترجم له بأنه كان من محاسن الدهر ، لما جمع الله تعالى فيه محاسن الصفات من : التواضع وحسن الخلق والبشاشة ولين الجانب وكرم النفس والسياسة والصبر والرفق وتحمل أذى الناس وحسن التدريس والمواظبة على الطاعات(٢) .

إن المجال غير المفتوح هنا لا يسمح بالاستطراد في التعريف بكل من قام على أكتافهم النشاط العلمي في عدن في زمن دراستنا هذه ، وذلك لكثرتهم ، وأنا إذ اقتصرت على من ذكرتهم فذلك فقط عينةً تدل على غيرهم ، و كتابا (**تاريخ ثغر عدن**) و (**قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**) وكلاهما للطيب بن عبدالله بامخرمة (٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) يزخران بأخبارهم وتراجمهم، وهو الشاهد من أهلها على جهودهم ، فهو أحد تلاميذ معظمهم ، وقرين للبقية .

وفي الجملة لقد كانت الحياة العلمية في عدن من الازدهار أن جعلت الإمام أحمد بن عمر المُـزَجَّد (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) يقول بعد أن وصل إلى مدينته زبيد قادماً من عدن التي ولي قضائها لمدة : " جئنا من عَدَنٍ إلى عَدَم "(٣) ، وهذه المقولة من شخصية مرموقة في الوسط العلمي اليمني بحجم المُزَجِّد ، وفي مدينة زبيد التي كانت بمثابة قبلةٍ للطلاب ومتجهاً للعلماء والفقهاء دليل على مدى ما قطعته مدينة عدن من شوط طويل في الازدهار العلمي في مدة دراستنا .

(٤) حضرموت :

تأتي حضرموت في مقدمة كبريات أقاليم اليمن مساحةً ، إذ تمثل ما يقرب من ثلث مساحته، إلا أنها منخفضة الكثافة السكانية ، والباحث في تاريخ حضرموت – أو أيٍ من جوانبه الحضارية والعسكرية وغيرها – يواجه مشكلات عدة ، يأتي على رأسها

---

(1) الشِّـلِّي ، السناء الباهر ، ص ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

(2) المصدر السابق ، نفس الصفحة ، العيدروس ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥، بافقيه ، تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

(3) المصدر السابق ، ص ١٣٠ .

قلة المصادر التي تناولته، وقد حرصت كل الحرص على الوصول إلى أكبر عدد ممكن فلم أجد منها ما تناول تاريخها في القرن التاسع الهجري إلا مصدر واحد فقط ، ولم يورد من المعلومات ما تكفي ، أما القرن العاشر فقد وفقت في الحصول على عدة مصادر ومراجع حضرمية ، ومع قلتها إلا أنها أثرت الدراسة بمعلومات قيمة ، نستطيع من خلالها أن نقول أنها مؤشر على أن حضرموت قد كانت – في مدة الدراسة وما قبلها وما بعدها – ميداناً لنشاط علمي ، لا يجعلها أقل من غيرها من مناطق اليمن الأخرى .

ما يعيب المصادر الحضرمية أنها لا تركز على نشاط العلماء العلمي عموماً والتدريسي خصوصاً ، فهي لا تشير إليه إلا بشكل عرضي في تراجمهم ، وخاصة سنوات طلبهم للعلم ، فهي تشير إلى أن العَلَمَ منهم قد دَرَسَ في تريم[1] ، ولكنها لا تذكر أين درس تحديداً ، ولا على أيدي من درس ، وما هو المرفق الذي درس فيه ، أهو مدرسة أم جامع ، وما لفت الانتباه أن تلك المصـــادر لم تكن زاخرةً بذكر المدارس العلمية في حضرموت ، ولعل حضرموت لم تشهد بناء المدارس بالكثرة التي كانت عليها في زبيد وتعز مثلاً ، إلا أن أحد كتب معاجم البلدان الحضرمية المعاصرة[2] قد أشار إلى وجود مدرسة تعود إلى زمن الدراسة .

❖ **مدينة تَرِيم :**

وفيما يأتي سوف أستعرض أكبر الإشارات إلى النشاط العلمي لعلماء حضرموت ، مكتفياً بإشارة واحدة عن كل منطقة حضرمية ذكرتها المصادر ، وفي مقدمة هذه المناطق منطقة تريم ، حيث يُذكر أن هذه المدينة كانت غنية بالمساجد

---

(1) تَرِيم ، مدينة حضرمية قديمة ، يعود تاريخ تأسيسها إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، تقع في نهايـــة وادي حضرموت إلى الشمال الشرقي من مدينة سَيْئون بحوالي ٣٢ كيلومتراً ، وهي من أجمل مـــدن الإقلـــيم ، حتى أن أهل حضرموت يطلقون عليها (الغَنّاء) لكثرة الأشجار التي تحيط بها ، وخاصة النخيل ، وهـــي أشهر مدن حضرموت تاريخياً ، وأكثرها اهتماماً بالعلم ونشره ، والمهم في هذا التعريف التركيـــز علـــى المعلومة التي أدلى مؤرخ حضرموت في القرن العاشر العيدروس عندما قـــال : " وهي قديمة يقال إنهـــا كانت قديم الأيام عامرة جداً ، وأما الآن فهي ضعيفة إلى الغاية " ، انظر **النور السافر عن أخبار القـــرن العاشر**، ص ٧٣ ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلهـــا** ، ج ١ ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، الـــسقاف ، **إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت** ، ص ٤٩٠ وما بعدها ، بامخرمة، **النسبة إلى المواضـــع والبلـــدان**، ق ٨٥، ٨٦ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٢٢٨ – ٢٣١.

(2) انظر السقاف ، **المصدر السابق** ، ص ٥٢٤ .

والجوامع ، وأن عددها فيها قد بلغ ٣٦٥ مسجداً وجامعاً، أي بعدد أيام السنة[١] ، غير أن جامعاً واحداً كان قد استأثر بأغلب إشارات المصادر ، فهي تشير إليه باسم (الجامع) وكأنه كان من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى تخصيص ، ولعله مسجدها الجامع الذي كانت تعقد فيه أغلب مجالس التدريس وحلقاته ، ولم تمدنا المصادر بذكر من بناه، ولعله أقدم مساجد مدينة كلها ، إلا أن أول ذكر له ورد عام (٢١٥هـ / ٧٣٠م)[٢] ، مع أن الشّـلّي[٣] (ت١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م) لم يذكر عمارته – التي لعلها كانت ترميماً وتجديداً لا تأسيساً – إلا سنة (٥٨١هـ / ١١٨٥م) ، وكان السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهـري قد كلف شـخصاً يدعى محمد بن أحمد باسكوته ليقوم بتوسيعه سنة (٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) بعد أن ضاق بالناس فتم ذلك على أحسن وجه[٤] .

من العلماء الذين ولدوا في تريم وأخذوا علومهم الأولى على أيدي كبار مدرسيها نذكر شيخ الإسلام الإمام محمد بن أحمد بن عبدالله بافضل (ت ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) ، إذ تذكر المصادر أنه ولد في تريم ، ثم تلقى العلم فيها ، وجد في الطلب حتى برع في العلوم ، ثم ارتحل إلى عدن بعد ذلك ليصبح أبرز وجوه علمائها[٥] ، وأحد أكبر علماء اليمن الكبار الذين أطلق عليهم كتاب التراجم لقب : شيخ الإسلام[٦] .

ومن علماء تريم الذين اشتهروا فيها وفي غيرها ، ودار على أكتافهم النشاط العلمي والتدريسي فيها نذكر : الشيخ الحسين بن عبدالله العيدروس[٧] (٩١٧هـ / ١٥١١م) ، والعلامة الفقيه محمد بن عبدالرحمن الأسقع أبا علوي[٨] (٩١٧هـ /

---

(1) المقحفي ، معجم البلدان والقبائل اليمنية ، ج١ ص ٢٢٩ .

(2) انظر السقاف ، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت ، ص ٤٩١ .

(3) المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي ، ط٢ ، ١٩٨٢م ، بيروت ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

(4) الشلي ، السناء الباهر ، ص ١١٤ .

(5) العيدروس ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص ٢٤ .

(6) الشلي ، السناء الباهر ، ص ٩٩ .

(7) المصدر السابق ، ص ٨٨ ، ٩٠ .

(8) المصدر السابق ، ص ٩٠ .

١٥١١م) ، والشيخ المقرئ عبدالرحمن بن علي بن أبي بكر[1] (٩٢٣هـ / ١٥١٧م)، وعلوي بن محمد المعلم بن علي باجحدب[2] (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م)، والشيخ الكبير عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله السقاف (ت٩١٦هـ / ١٥١٠م) الذي أطنب في مدحه الشلي[3] كثيراً ، ومما قاله فيه : " كان السيد عبدالله هذا ممن جمع بين الفقه والحديث ... كان صدر المحافل إذا عُقِدت ، وصيرفي المسائل إذا انتُقِدت ، ولد في تريم وتعلم في سوحها العظيم ، وحفظ القرآن الكريم " .

وفي آخر حديثنا عن تريم أعرض مقولتين مهمتين للعيدروس[4] – مؤرخ حضرموت في القرن العاشر – في شأنها ، يقول في الأول : " هي معشر الأولياء ومعدنهم ، ومنشأ العلماء وموطنهم " ، ويقول في الثاني مبالغاً : " يذكر أنها تنبت الصالحين كما تنبت الأرض البقل ، واجتمع بها في عصر واحد من العلماء الذين بلغوا رتبة الإفتاء ثلاثمائة رجل ... " .

❖ مدينة الشِّحْر:

وتأتي مدينة الشِّحْر في المنزلة الثانية بين المدن الحضرمية بعد تريم في النشاط العلمي ، وقد تعرضنا لطرف من ذلك النشاط عند حديثنا عن جامع الشحر كأحد أماكن التعليم في زمن دراستنا هذه ، ويذكر الشِّلِّي[5] أن الفقيه الصوفي عوض بن سالم باهراوة كان الناس يرتحلون إليه من غيرها ، وأن الشيخ الصوفي الإمام عبدالرحمن بن عمر باهرمز (ت٩١٠هـ / ١٥٠٤م) – الذي ولد في شِبَام[6] ونشأ بها وحفظ فيها

---

(1) الشلي ، السناء الباهر ، ص ١٠٥ .

(2) المصدر السابق ، ص ٨٩ .

(3) المصدر السابق ، ص ٩٩ .

(4) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص ٧٤ ، ٧٥ .

(5) السناء الباهر ، ص ٨٦ .

(6) مدينة في قلب وادي حضرموت ، في المنطقة الواقعة ما بين سيئون شرقاً والقطن غرباً ، تقع في فضاء واسع مترامي الأطراف ، وتحفها واحات أشجار النخيل ، وتتميز على غيرها من مناطق اليمن الأخرى بعماراتها الشاهقة الموغلة في القدم ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٤٤٢ ، السقاف، **إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت** ، ص ٢٥٩ وما بعدها ، بامخرمة، **النسبة إلى المواضع والبلدان**، ق ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٨٤٥ .

القرآن الكريم وغيره – قد ارتحل إليه ، ولازمه وأخذ عنه ، فاحتفل به شيخه واعتنى بتربيته ، وأشغله بفن الفقه ، وحفّظه المتون ، فجد في الاشتغال به حتى تخرج .

وعلى وجه الإجمال فإننا نقول : إن حضرموت قد أسهمت في ازدهار العلوم في اليمن بسهم وافر ، وأن رجالها قد جابوا معظم المناطق اليمنية باحثين عن العلم وطالبين له ، متتبعين كل مراكز العلم فيه ، فتتلمذوا على أشهر رجاله ، واستوطنوا مناطق عدة ، فكانوا أبرز رجال العلم فيها ، ومن يلقي نظرة على قائمة علماء مدينة عدن – على سبيل المثال – في القرنين التاسع والعاشر الهجريين فإنه سيرى أن أكثرهم علماً وأوسعهم ذكراً هم في الأصل حضرميون ، وهو ما سبق أن أشرنا إليه .

- **المراكز العلمية في المناطق الشيعية :**

أعيد فأكرر ما ذكرته سابقاً من أن التمييز بين مراكز العلم في المناطق السنية والشيعية وتقسيمها لم يُبنَ على أساسٍ مذهبي لذاته ، إنما جاء التقسيم بناءً على الاختلاف في طبيعة أماكن التعليم بين المنطقتين ، وهذا الاختلاف لعبت فيه عوامل عدة، لم يكن البُعد المذهبي إلا أحدها .

كما أن هناك نقطة مهمة يجب الإشارة إليها ، وهي أن الشيعة في اليمن – كما هو معروف – إما زيدية ، وهم الأكثر ، وإما إسماعيلية ، إلا أن الإسماعيلية بتكتمها المفرط على تراثها ، وحرصها الشديد على عدم وصوله إلى أيدي غير أبنائها يجعل الباحثين يواجهون مصاعب كبيرة في الحصول على الحد الأدنى من المادة العلمية اللازمة للكتابة عنها ، بل إن الصعوبة تصل إلى حد الاستحالة في معظم الأحيان ، ويجعل الإشارة إلى النشاط العلمي لهذه الطائفة – القليلة العدد جداً – غائبةً في الدراسات الأكاديمية الحديثة ، وأن من يتصدى للكتابة حولها لن يعدو أن يكون اعتماده على الإنشاء منه إلى الدراسة الرصينة ، خاصةً فيما يتعلق بتاريخ هذه الطائفة وتراثها من بعد القرن السادس الهجري ، لذلك ستكوّن الإشارة محصورةً فقط في الحديث عن المناطق التي غلب على أهلها الفكر الزيدي وفقهه .

(١) مدينة صنعاء :

تحتل صنعاء منزلةً وجدانيةً كبيرةً في قلوب كل اليمنيين ، فهي لبلدهم بمثابة الرأس للجسد، أو كالأم لأبنائها ، وقد كان الصراع دائماً على السيطرة عليها ، تشهد بذلك المصادر التي تناولت تاريخ اليمن منذ صدر الإسلام ، فمن وضع يده عليها فقد اكتسب قدراً كبيراً من الشرعية أمام خصومه .

وقد تطورت الحياة العلمية في صنعاء على مدار تاريخها ، ولم تتأثر كثيراً بالحروب والنزاعات الدائمة للسيطرة عليها ، يتضح ذلك من أن علماء كبار كانوا يبرزون فيها باضطراد ، منذ صدر الإسلام حتى التاريخ المعاصر ، وكانت المساجد في مقدمة أماكن التعليم فيها ، إذ لم يُعرف فيها - اعتماداً على المصادر - أي نوع من أماكن التعليم الأخرى سوى المدرسة التي بناها الإمام المتوكل شرف الدين سنة (٩٢٦هـ / ١٥١٩م)[١]، وحتى هذه المدرسة لم تتحفنا المصادر بذكر الشيئ الكثير عنها ، فهي تشير إلى بنائها وتحجم عن أي تفاصيل أخرى ، حتى أنها لا تذكر من دَرَّسَ فيها ومن أشهر من تخرج فيها ، وهو العيب الكبير الذي يعتور المصادر الزيدية بشكل عام ، فهي قليلاً ما تشير إلى المكان الذي مارس فيه علماؤها الأفذاذ نشاطهم ، ونراها تكتفي بذكر أن الإمام أو العالم قد دَرَسَ - أو دَرَّسَ - في صنعاء أو صعدة مثلاً ، ونادراً ما تشير إلى المكان الذي درس فيه ، وتترك المهمة صعبةً على الباحث في محاولة الاستقراء للنصوص في المصادر الكثيرة المتناثرة في دور المخطوطات وغيرها لعله يصل إلى بغيته .

من هنا كان المعول على تتبع ما دار في المساجد من أنشطة كونها هي المكان الأول الذي لا مراء حول دوره التعليمي الدائم ، وقد كثرت المساجد في صنعاء بسبب كثرة سكانها ، وقد بلغ عددها في القرن الرابع الهجري (تحديداً سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م) مائة وستة مساجد[٢] ، وهو عدد كبير جداً إذا ما قارناه بالعدد القائم حالياً ، ففي آخر

---

(1) الأكوع ، **المدارس الإسلامية** ، ص ٣٦٥ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٩٦ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٨٥ ، شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٤٠ ، ٤٦ ، شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ٦٠ .

(2) الرازي ، **تاريخ مدينة صنعاء** ، ص ١١٥ ، وقد شكك عبدالرحمن المختار في هذه الإحصائية ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٤٨ .

إحصائية لمساجد صنعاء في أواخر التسعينات من هذا القرن بلغ عددها (١١٢) مائة واثنا عشر مسجداً[١] .

من مساجد صنعاء التي ورد اسمها في المصادر[٢] مقروناً بأسماء العلماء نجد الجامع الكبير ، ومسجد الأجذم[٣] ، مسجد السعدي[٤] ، ومسجد معاذ[٥] ، ومسجد داود[٦] ، ومسجد الزمر[٧] ، ومسجد الزبير[٨] ، ومسجد البستان[٩] ، ومسجد الحسين بن القاسم[١٠] ، ومسجد الخراز[١١] ، وجامع الروضة[١٢] ، ومسجد الأخضر[١٣] ، ومسجد أبو شملة[١٤] ، ومسجد الطبري[١٥] ، مسجد فروة[١٦] ، مسجد الفُلَيْحي[١٧] ،

---

(1) محمد المروني ، **الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء القديم والجديد** ، مطابع اليمن العصرية ، صنعاء ، ط١ ، ١٩٨٨م ، ص٣٦ .

(2) سأكتفي هنا بذكر مواضع ورود اسمها في أشهر المصادر الزيدية وهو **طبقات الزيدية الكبرى** لابن المؤيد لأنه أشمل المصادر الزيدية ، ولم يشمل ذكرها كاملةً أي مصدر آخر .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج٢ ص ٨٩٧ ، ١٠٣٠ .

(4) **المصدر السابق** ، ج١ ص ٨٦ .

(5) **المصدر السابق** ، ج١ ص ١٦١.

(6) **المصدر السابق** ، ج١ ص ٩٩.

(7) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(8) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٩٥٤ .

(9) **المصدر السابق** ، ج١ ص ١٦٦ .

(10) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(11) **المصدر السابق** ، ج١ ص ١٧٠ .

(12) **المصدر السابق** ، ج١ ص ١٧٩ .

(13) محمد المروني ، **الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء** ، ص ٢١ .

(14) **المرجع السابق** ، ص ٢٢ .

(15) **المرجع السابق** ، ص ٥٠ .

(16) **المرجع السابق** ، ص ٦٨ .

(17) **المرجع السابق** ، ص ٧١ .

مسجد النهرين[١] ، ومسجد القزالي[٢] ، ومسجد وهب[٣] ، ومسجد الرونة[٤] ، ومسجد نقم[٥] ، ومسجد سنقر[٦] ، وهذه المساجد الإثنين والعشرين ليست إلا غيض من فيض ، ولعل هناك من المساجد التي لم تذكر صراحةً باسمها ما يفوق المذكورة بكثير في منزلتها والدور الذي لعبته ، ويكفي للتدليل على ذلك أن أشهر جوامعها ، بل أشهر جوامع اليمن على الإطلاق – الجامع الكبير – لم يأتي ذكره إلا بشكل عَرَضي وبسيط في هذه المدة من تاريخ المدينة ، ومع ذلك يظل الجامع الكبير ومسجد الأجذم ومسجد الفُلَيْحي هي أكبر تلك المساجد ذكراً – مع قلة هذا الذكر – فقد وردت شذرات صريحة بذكر طرف من النشاط العلمي فيها[٧] .

❖ **الجامع الكبير :**

من أشهر من أشـــارت إليهم المصادر بأنهم من العلماء الذين تصدوا لإمامة الجـــامع الكبير – وبالتأكيد – التدريس فيه القاضي العلامة مطهر بن كثير الجَمَّل الشهابي[٨] (٨٦٣هـــ / ١٤٥٨م) ، أحد أشهر مدرسي الجامع الكبير بصنعاء في مدة دراستنا ، وقد كان عالماً كبيراً محققاً، وفاضلاً شهيراً ، متفنناً في كثير العلوم ، ولما

---

(1) محمد المروني ، **الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء** ، ص ٧٨ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج٢ ص ٧٢٧ .

(3) **المصدر السابق** ، ج٢ ص ٩٠٢ .

(4) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(5) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(6) **المصدر السابق** ، ج١ ص ٤٦٥ .

(7) وقد ذكر بعض المؤرخين عن تجمع الناس وتنازعهم في الحلق العلمية المنعقـــدة فـــي جوامـــع صـــنعاء ومساجدها ، والتي درس فيها القرآن الكريم وعلوم السنة النبوية المطهرة وغيرها من العلوم الأخـــرى ، وخاصة في شهر رمضان ، بما يعكس مدى اهتمام شريحة واسعة من سكان صنعاء بارتياد المساجد ليس للعبادة فحسب ، بل لكونها مكان التعليم والدراسة ، جوامع صنعاء ، انظر الشهاري ، **وصف صـــنعاء – مستل من كتاب المنشورات الجلية** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنيـــة ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(8) ترجم له أبو الرجال ، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، صورة عن نسخة بمكتبة د. عبدالرحمن الـــشجاع ، صنعاء ، ج ٤ ق ٢٩٤ ، الأكوع ، **هجر العلم** ، ج١ ص ٤٥٠ ، زبارة ، **ملحق البـــدر الطـــالع** ، ص ٢١٢ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ٣ ص ١٢٧ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبـــرى** ، ج٢ ، ص ١١٢٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٣٣ .

زار أحد العلماء الوافدين على صنعاء من خارج اليمن رآه يدرس في الجامع الكبير ، ورأى مدى اجتماع طلاب العلم حوله وكثرتهم ، ورأى من تدفق علمه ومدى إتقانه وسعة علمه ما جعله يقول :

إني رأيتُ عجيبةً في ذا الزمنْ

شاهدتُها في وَسْطِ صنعاءَ اليمنْ

إنْ تسألوني ما الذي شاهدتُهُ :

جَمَلاً بها يُقْري الورى في كلِّ فَنْ

وكذلك الفقيه العلامة يحيى بن محمد بن حسن البها[1] ، الموصوف بأنه : "الفقيه العلامة ، الحبر الصمصامة ، الفاضل العابد ، الزاهد الورع ، أكبر المتقين "[2] ، وهذه الأوصاف جاءت من أحد تلاميذه – ستأتي ترجمته – والتي وإن كان يطغى عليها مشاعر إعجاب التلميذ بشيخه إلا أن عين الرضا مهما بسطت قوة تأثيرها على كاتبها – وهو من كبار العلماء – فلن تخرج به عن الصـــدق في ما يفوق نســـبة ٧٠% من مجمل ما وصفه به ، وقد ذكر أنه كان جامعاً لطريقة العلماء والزهاد وأهل الطـــريقة[3] ، وأردف ذلك بقوله : " وهو كان شـــيخ كثير من الناس "[4] .

ويظل الإمام الكـــبير العلامة صـــارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي الوزيـــر[5] (ت٩١٤هــ / ١٨٠٥م) من أشهر من ذكر من العلماء هنا ، فقد كان ذكره مرتبطاً بعلماء الزيدية في هذه المدة ، فهو تلميذ لأشهرهم في منتصف القرن التاسع الهجري وشيخ لمعظم البارزين منهم في القرن العاشر ، أطنب بعضهم في مدحه

---

[1] لم يحدد المؤرخ تاريخ وفاته ، إلا أن المؤرخ من مواليد مطلع القرن العاشر كما ستأتي ترجمته في علماء هجرة الأبناء من وادي السر .

[2] المقرائي ، **مكنون السر في تحرير تحارير السر** ، تحقيق زيد بن علي الوزير ، مركز التراث والبحوث اليمني، ط١ ، ٢٠٠٢م ، ص ١٢٢ .

[3] المقصود بأهل الطريقة : الصوفية .

[4] **المصدر السابق** ، ونفس الصفحة .

[5] ترجم له أبو الرجال ، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، ج ١ ق ٣٥ ، الأكوع ، **هجـــر العلـــم** ، ج١ ص ١٧٨ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٧٤ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٥٠ ، عبدالملك حميد الـــدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ٢١ ، المقرائي ، **مكنون السر في تحرير تحارير الـــسر** ، ص ١٢٣ ، ابـــن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ، ص ٨٠ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٩ .

فقال[١] : " كان السيد صارم الدين ... مشتغلاً بخويصة نفسه ، حافظاً للإسناد ، وإماماً للزهاد والعباد ، مستدركاً على الأوائل ، جامعاً لأشتات الفضائل ، مطلعاً على أخبار الأوائل والأواخر ... " ، وقد نُكِب في أولاده على يد السلطان الظافر عامر بن عبدالوهاب الطاهري ، حيث قُتل أحدهم في حصاره لصنعاء بحجر المنجنيق ، ونفي آخران إلى تعز ووضعا تحت الإقامة الجبرية حتى ماتا ، وكانت معاناة الإمام صارم الدين إبراهيم لفقدهم أليمة[٢] .

وإذا نظرنا إلى كل من تحدثت المصادر الزيدية عنهم بأنهم من شيوخ صنعاء وعلمائها في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، إذا نظرنا إليهم على أنهم هم شيوخ الجامع الكبير فإن حصته ستكون وفيرة ، وقدمه في خدمة العلم في اليمن عالية ، وهذا هو ما نرجحه ، فلعل المؤرخين لم يحسوا بضرورة الإشارة إلى كونهم من علماء الجامع الكبير لبداهة المعلومة لديهم ، لولا ضيق المتسع لهذه النقطة في دراستنا هذه لأسهبنا في الترجمة لهم والتعريف بجهودهم وتلاميذهم .

❖ مسجد الفُلَيْحي :

لم يُعْرَفْ بالضبط تاريخ إنشاءه ، إلا أن مؤسسه وصاحبه كان حياً في سنة (٧٨٨هـ / ١٣٨٦م) ، فقد ذكر ابن المؤيد[٣] بأنه بنى قبةً على قبر عبدالله بن الإمام يحيى بن حمزة ، ويبدو أن هذا المسجد كان من معاقل العلم الشهيرة في صنعاء ، فقد ذكرت بعض المصادر إن الإمام القاضي المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي الفاسي[٤] (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) قد جلس للتدريس في هذا المسجد سنة (٨٢٦هـ / ١٤٢٤م) في زيارته الثانية لصنعاء[٥] ، مع أنني لم أجد إشارة إلى تاريخ زيارته الأولى لها ، ومن غير المنطقي أن يذهب زائر بحجم القاضي الفاسي ليلقي دروسه في مسجد مغمور، كما كان الإمام المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي (ت٨٧٩هـ /

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ، ص ٨٥ .

(2) عن معاناته ونكبته انظر الزحيف ، مآثر الأبرار ، ج ٣ ص ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ .

(3) **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج٢ ص ٦٥٠ .

(4) أخطأ المصدر في ذكر اسمه بزيادة (محمد) في البداية ، وهو من الشهرة بحيث لا يخفى اسمه .

(5) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١١٣٣ .

١٤٧٤م) من ضمن الذين أجازهم[1] ، وهي قرينة تؤكد شهرة هذا المسجد في تدريس العلوم وتصدر المشهورين للإلقاء فيه .

وفي سنة (٩٢٥هـ / ١٥١٩م) خرج العلامة أحمد بن محمد الهادوي – إمام مسجد الفليحي – على الإمام المتوكل شرف الدين (ت ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م) ودعا إلى نفسه بالإمامة ، غير أنه لم يلق من الأتباع ما يحدث بهم فرقاً في الوضع القائم ، فتمكن الإمام شرف الدين من هزيمته وأسره[2] ، وهذا يؤكد مكانة مسجد الفليحي الكبيرة ، فما كان لإمام مسجدٍ مغمورٍ أن يتصدر الحياة السياسية ويجد في نفسه القدرة على منافسة الإمام القائم .

❖ **مسجد الأجذم :**

وردت إشارة واحدة إلى هذا المسجد ، ذكرها صاحب (طبقات الزيدية الكبرى)[3] ، حيث أشار إلى أن أحد علماء الزيدية الكبار في مطلع القرن التاسع الهجري كان يسكن ويدرس فيه ، وهو العلامة الناصر بن أحمد بن المطهر بن يحيى (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ، وكان أجلُّ تلامذته الإمام الشهير محمد بن إبراهيم الوزير (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، وقد أورد المصدر[4] نفسه نص إحدى إجازاته له مؤرخةً بسنة (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) .

(٢) وادي السِّـر[5] :

يقع وادي السِّرّ على مشارف حوض صنعاء ، ويبعد رأسه عن مدينة صنعاء نفسها حوالي ٥٠ كيلومتراً أما أسفله فلا يبعد عنها سوى ٢٣ كيلومتراً تقريباً ، ويقع الوادي إجمالاً إلى الشمال الشرقي من صنعاء ، ولا تتجاوز مساحته الكلية ٢٠ كيلومتراً مربعاً ، غير أنه مميز بدوام خضرته وكثرة مزروعاته ، وخاصة الأعناب

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، نفس الجزء والصفحة .

(2) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٩٥ .

(3) ابن المؤيد ، ج٢، ص ١١٦٧ .

(4) **المصدر السابق** ، ج٢ ، ص ٨٩٧ .

(5) الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٢ ص ٢٦١ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج١ ص ٧٨٢ ، المقرائي ، **مكنون السر في تحرير تحارير السر** ، ص٦٨ حاشية المحقق رقم ٩ ، الهمداني ، **صفة جزيرة العرب** ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، الواسعي ، **البدر المزيل للحزن** ، ص ١٩ .

بجميع أنواعها ، وهو من أقدم المناطق اليمنية سكناً، إذ أن اسمه واسم ساكنيه قد ورد في نقوش قديمة ، وقد شهد هذا الوادي حياة علمية مزدهرة ، جعلته ينافس أشهر مناطق العلم في اليمن ، واتجهت صوبه أنظار طلاب العلم من أماكن شتى ، تجاوز بعضها حدود اليمن الطبيعية ، كما سنرى ، واستوطنته مجموعة من أعلام اليمن .

وقد حرصت كثير من القوى السياسية اليمنية على السيطرة على وادي السر وبالتحديد حصونه المنيعة ، وخاصةً حصن ذي مرمر الذي سبقت منا الإشارة إليه في الفصل الثاني من هذه الدراسة ، وقد قيض الله لهذا الوادي من يقوم بكتابة تاريخ علمائه في القرنين التاسع والعاشر ، وهو العلامة الفقيه المؤرخ عماد الدين يحيى بن محمد بن حسن بن حميد المقرائي الذي أفرد له مؤلفاً خاصاً به ، وأطلق عليه (مكنون السر في تحرير تحارير السر)[١] ، وقد أبان هذا الكتاب من صور النشاط العلمي وارتفاع أسهم هذا المكان الصغير في مساحته ما يبعث على الإعجاب ، خاصةً عندما نعلم أنه منطقة زراعية غير حضرية، الحياة فيه تعني مواجهة الصعاب في التنقل بين أجزاءه ووديانه الفرعية وحصونه وقلاعه المتناثرة ، ومع ذلك يقول المؤرخ المقرائي[٢] : " إن هذا الوطن سكنه العلماء الفضلاء والأتقياء ، واشتاقت إليه الرحال ، وقصدت لـــ (سره) الرجال، وكان لمن سكنه حل الشبهات وعوائص المسائل الملتبسات ، وكان يطلب منهم كثير من أمور الدنيا والدين ، ويأوي إليهم الضعفاء والمساكين ... "[٣] .

كما أن هذا الكتاب يثير تساؤلاً كبيراً حول نسبة هذا الازدهار العلمي الذي شهده هذا الوادي مقارنةً مع الفترات التي سبقت القرنين المتناولين فيه ، فكما أن الاحتمال قائمٌ بأن هذا الازدهار قد ارتفعت وتيرته في هذه المدة فإن احتمالاً آخر بقدر سابقه – إن لم يكن يفوقه – يفرض نفسه بأن هذا النشاط لم يكن إلا استمراراً للنشاط الذي جرى فيه في القرون السابقة للقرن التاسع الهجري ، وينتصب هذا الاحتمال الأخير بعد معرفتنا بأن مقومات الحياة وعوامل الجذب في هذا الوادي لم تتغير بتاتاً من الناحية الجغرافية .

---

[1] وردت كلمة السِّــرُّ مرتين في عنوان هذا الكتاب ، الأولى المقصود بها السر الـــذي ينـــاقض الجهـــر ، والأخرى المقصود بها اسم الوادي المقصود بالتأليف .

[2] المقرائي ، المصدر السابق ، ص٦٨ ، ٦٩ .

[3] المصدر السابق ، ونفس الصفحة .

بعد حصر أماكن التعليم في هذا الوادي برز نوعان منها بروزاً ملحوظاً ، وهما المسجد والهجرة العلمية ، إذ ورد منها لدى المقرائي تسعة مساجد وست هجر علمية ، ومما لا شك فيه أن هذا المؤرخ لم يأت إلا على ذكر ما اشتهر من المساجد بالدور العلمي والتدريسي على وجه الخصوص ، فهو نفسه يقول : " وكانت مساجد هذه الجهة من أعظم المساجد حياةً وإقامةً ... "[1] .

أما المساجد[2] فهي كما يلي : مسجد الدار ، مسجد الموسم ، مسجد ابن مفتاح ، مسجد دار معكر ويسمى أيضاً مسجد الهادي ، والمسجد المبارك ببني يزيد ، ومسجد بني المرادي ، ومسجد نبهان ، وأما الهجر الست المشار إليها فهي : هجرة الحَنَكَة ، وهجرة شعب زايد ، وهجرة بَهْمان ، وهجرة هَـيْـناء ، وهجرة الأبناء ، وهجرة ذي مرمر .

وسنتناول هنا هجرة من هذه الهجر ومسجداً واحداً لنستدل بهما على ازدهار العلم في هذه الجهة :

❖ **هجرة الأبناء[3] :**

الأبناء هنا اسم المكان وليس بالضرورة أن يكون منسوباً إلى من استوطنه ، فقد ينصرف ذهن القارئ إلى شريحة **الأبناء** الذين ينحدرون من أصول فارسية كما سبقت الإشارة إليهم والتعريف بهم في الفصل الأول عند حديثنا عن جامع صنعاء ، وإن كان ذلك الاحتمال قائماً .

تقع هذه الهجرة في قلب وادي السر من مديرية بني حِشَـيْـش في الشمال الشرقي من صنعاء على مسافة تبلغ ٣٠ كيلومتراً تقريباً ، وهي أشهر الهجر العلمية في هذا الوادي النضر ، " وكان هذا المكان الذي هو الأبناء ... من محاسن بلاد صنعاء ، بل من محاسن بلاد الزيدية ، يَفِدُ إليه الخاص والعام من جميع الأقطار والأنام ... "[4] ، وقد بلغ الازدهار العلمي بهذه الهجرة أن نافست النساء فيها الرجال وتسابقوا

---

(1) المقرائي ، **مكنون السر في تحرير نحارير السر** ، ص ٦٩ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، ١٠١ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٨ .

(3) الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ١ ص ٢١ ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ١ ص ٥٤ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج١، ص ١٨ ، المقرائي ، **مكنون السر في تحرير نحارير السر** ، ص ٦٨ ، ١٣٦ .

(4) الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ١ ص ٢١ ونسبه إلى كتاب مكنون السر إلا انني لم أجد هذا القول فيه .

في تحصيل العلوم ، يقول المقرائي[1] : " وهذه الهجرة من محاسن الجهة، وأهلها فقهاء فضلاء أهل معارف ، ونساهم كرجالهم في الديانة وقراءة[2] القرآن ... " ؛

وقد استفتح القاضي إسماعيل الأكوع كتابه القيم (هجر العلم ومعاقله في اليمن) بهجرة الأبناء، فعرفها واستعرض تراجم عدد كبير من علمائها ، وبلغت التراجم التي ذكرها ثلاثة وخمسين عالماً بعضهم عاشوا فيها بعد فترة دراستنا هذه[3] .

ومن أشـــهر علـــماء هذه الهجــرة وأكــثرهم ذكراً القاضي العـــلامة يحيى بن أحمـــد مُرْغِم (ت ٨٦٥هـــ / ١٤٦٠م) ، عالم فقيه ، عابد زاهد ،[4] أحد أشهر تلاميذ الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـــ / ١٤٣٦م) أحد أشهر فقهاء الزيدية على الإطلاق ، وهو أحد رواة مؤلفه الشهير (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصـــار) ، وكان من وجوه أصحاب الإمام المتوكل المطهر محمد بن سليمان الحمزي المذكور في الفصل الثاني ، وصفه الإمام المتوكل شـــرف الدين بقوله : " هو القاضي العلم الأعبد ، الزاهد ، عماد الدين ... "[5] ، وكتاب (مكنـــون السر) يزخر بتراجم العلماء الكبار من تلاميذه .

ومن علماء هجرة الأبناء أيضاً العلامة محمد بن حسن بن حُمَيْد المقرائي (ت٩١٠هـــ / ١٥٠٥م) ، هو أول من قدم إلى هجرة الأبناء من أفراد أسرته[6] ، وأحفاده إلى يوم الناس هذا من وجوه البلد وأعيان المنطقة ، فقد كان والده من أهل صعدة والمحسوبين في أهل العلم بها ، وستأتي ترجمته في من عُرِف من علمائها ، وقد مُدح كثيراً من قبل المترجمين له ومشائخه الذين أجازوه ، ومدحه إشارة على رسوخ

---

(1) **مكنون السر في تحرير نحارير السر** ، ص١٣٤ .

(2) درج اليمنيون على إطلاق لفظ القراءة للدلالة على التدريس نفسه إجمالاً ، أي أن القراءة فـــي الـــسياق أعلاه المقصود به تعلم القرآن وعلومه بشكل عام لا مجرد تلاوته فقط ، فالقراءة إذاً هنا هي مرادف للتعلم والدراسة .

(3) الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ١ ص ٢١ – ٣٤ .

(4) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٤٠٢ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٨٩ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٣ ص ١٢٠٦ ، المقرائي ، **مكنون السر في تحرير نحارير السر** ، ص ٧٠ .

(5) ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ١٢٠٧ .

(6) المقرائي ، **مكنون السر في تحرير نحارير السر** ، ص ١١٤ .

قدمه وعلو كعبه بين العلماء ، وصفه القاضي أبو الرجال[1] بقوله : " العلامة الفاضل ، المحقق الراسخ ، من مشاهير العلماء ... " ، كما جاء في إحدى إجازات مشائخه له أنه: " هو الأفضل الأكمل ، الأوحد الأمجد ، النبيل الأثيل ، زينة العلم والعلماء ، بدر الدين ، خادم حديث سيد المرسلين ... "[2] .

كان العلامة محمد بن حسن المقرائي كثير الرحلة في طلب ، وقد مات أبوه وهو غائب في رحلة علمية إلى مكة المكرمة ، يشــير إلى ذلك ابنه المؤرخ يحيى المقرائي[3] بقوله في ترجمته له : " وفد من صعدة إلى هذا المكان – أي هجرة الأبناء – بعد أن رجع من مكة المشرفة وغيرها لطلب الكمال في جميع العلوم ؛ لأنه بلغه موت والده ... رجع إلى صعدة فباع ضياعه وأملاكه ودوره ، ورجع بما بقي هناك من كتب والده فاستوطن الأبناء ... " .

لم يتوقف هذا العالم عن تحصيل العلوم ، ولم يحس بتشبعه منها قط ، فقد استمر في التحصيل الذاتي عن طريق القراءة والاستجازة من العلماء الكبار المعروفين، ويجمع الكتب ، ويبذل جهده وماله في تحصيلها حتى بلغ الغاية القصوى ، وكان له مؤلفات في التاريخ والفرائض والفقه وغيرها ، وكان من المهتمين بتحسين مرافق التعليم في هجرة الأبناء ، وبذل في سبيل ذلك نفائس جهده وماله ، وقد شهد له بذلك القاضي محمد بن أحمد مرغم – الآتي ذكره – بأنه هو الذي أقام مسجد قرية الدار بالأبناء ووفر له ما كان يحتاجه من مستلزمات الترميم ، حتى جعله من أكبر مرافق التعليم في وادي السر ، ومما يتجه نحو العلماء للتدجريس والطلاب للتحصيل[4] .

وازدهار العلم في هذه الهجرة جعلها قبلةً لطلاب العلم وأهله من كثير من الجهات ، حتى أن عدداً من أعلام العلماء في مناطق علمية شهيرة اتجهوا إليها إما للجلوس إلى علمائها أو للإقامة والتدريس فيها ، فوصف ذلك أحد المؤرخين بقوله : " وفد هذه الأماكن – يقصد الأبناء – خلق كثيرون واستوطنوها ، وعمروا فيها

---

(1) أبو الرجال ، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، ج ٤ ص ١٧٨ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٩٥٧ ، وممن ترجم له عبدالملك حميد الدين ، **الـروض الأغن** ، ج ٣ ص ٤٢ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٨٢ .

(3) المقرائي ، **مكنون السر في تحرير نحارير السر** ، ص ١١٤ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ١١٦ ــ ١١٧ ، ١١٩ .

العمارات، وتأسسوا فيها بالأنفس والأهل ، من أعيان الأعيان وتراجم أهل تلك الأزمان، ودرسوا وتدارسوا ، وألفوا التأليفات الكبار ، وقصدهم الطلبة والمتحاكمون من جميع الأقطار ، القريبة والبعيدة ... لطلب العلم والحكم والفتياء ، وأحيوا مساجدها حتى اشتهرت وظهرت على الأمصار "[١] .

❖ **مسجد الموسم :**

وهذا المسجد يقع قريباً من هجرة الأبناء السابقة لأنه مبني في نطاقها ، لذلك عُـدَّ علماؤه مع علماء هجرة الأبناء نفسها ، ومن أبرز علماء هذا المسجد القاضي العلامة محمد بن أحمد بن محمد مُرْغِم (ت٩٣١هـ / ١٥٢٤م) ، كان من أعلام الفكر الإسلامي في اليمن عموماً ، بلغ اعتداد الزيدية به أن قال عنه مؤرخهم الكبير القاضي أحمد أبو الرجال[٢] بأنه : " حامي حمى الإسلام ، ولسان الشريعة ، شحاك الأعداء ، وأحد شيوخ الإسلام ، وإنسان علماء الشريعة ، كان عالماً فاضلاً وجيهاً ، له حيطة في الدين " ، وقد نال ثقة شيوخه وأساتذته حتى أفرطوا في الثناء عليه في إجازاتهم له ، ومن ذلك ما ورد في نص إحدى إجازات مشائخه له مكتوبةً في سنة (٨٧٨هـ / ١٤٧٣م) ، إذ يقول عنه شيخه : " هو القاضي العالم ، الأعمل ، الزاهد الورع ، الأكرم ، ناظورة الزمان ، وعين الأعيان ، جمال الإسلام ، ثقة المسلمين والإسلام ... "[٣] .

وقد ذكر المقرائي[٤] في قائمة تلاميذه : محمد بن الحسن المقرائي – والده – ويحيى بن محمد المقرائي – يقصد نفسه – ويحيى بن محمد مرغم ، ومحمد بن يحيى بهران ، وعلي بن عبدالله راوع ، وعبدالهادي السودي ، وأحمد بن محمد بن عقبة ، والحسن بن محمد مرغم ، والمطهر بن محمد تاج الدين ، وكل واحد من هؤلاء ممن يُشار إليهم بالبنان في علماء اليمن في القرنين التاسع والعاشر الهجريين .

---

(1) المقرائي ، مكنون السر في تحرير نحارير السر ، ص ١٠٣ .

(2) أبو الرجال ، مطلع البدور ومجمع البحور ، ج ٤ ص ١٣٨ .

(3) ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ٢ ص ٩٢٢ .

(4) مكنون السر في تحرير نحارير السر ، ص ٧٦ ، ابن المؤيد ، المصدر السابق ، ج ٢ ص ٩٢١ .

(٣) منطقة صعدة :

أنا عندما حددت العنوان بـــ(منطقة صعدة) فأنا أقصدها بالمعنى الحرفي ، فإن المفهوم الجغرافي لـــ(منطقة صعدة) يتسع كثيراً عن مفهوم (مدينة صعدة) أو (صعدة) مجردة من أي لفظ يسبقها ، وذلك أن أقصى شمال المرتفعات الوسطى اليمنية التي يغلب على أهلها التمسك بالمذهب الزيدي - أصولاً وفروعاً - يرتبط ارتباطاً وثيقاً من الناحية الجغرافية والإدارية والوجدانية بمدينة صعدة ، فيصبح من البديهي أن يُعرف كل هذا الإقليم بـــ (منطقة صعدة) ، وهذا المفهوم هو الذي حدا بالقيادة السياسية اليمنية بعد ثورة عام (١٣٨٢هـــ / ١٩٦٢م) أن تجعل من صعدة مركزاً لمحافظة كاملة تشملها وكل المناطق المحيطة بها التي نتحدث عنها .

وحديثنا عن صعدة كونها أحد مراكز التعليم في اليمن في مدة دراستنا لا يعني إلا أننا نقوم باستقطاع جزئية محددةً من تاريخها العلمي الزاهر ، فهي معقل الزيدية الأول ، سياسةً وعلماً ، من الإجحاف أن نقول أن جذوة العلم قد خبت فيها يوماً ما ، فما فتئت صعدة - بمفهوما الجغرافي الواسع الذي أشرنا إليه - تفيض على من حولها من المناطق علماً ونضارةً ، فإذا ما أصاب الإمامة الزيدية الانحسار تحت ضربات أعدائها وخصومها فإن صعدة تظل الملجأ الأخير الذي من النادر أن نرى أحد خصومهم يصل إليها بنفوذه .

تعددت أماكن التعليم في منطقة صعدة ، وكان أشهرها المساجد والهجر العلمية، وهما النوعان اللذان حفل بهما الزيدية بشكل ملحوظ في كل مناطقهم ، لذلك انتشرت حول صعدة الهجر العلمية منذ وقت مبكر من تاريخ اليمن الإسلامي ، وفي مدة دراستنا سنشير إلى بعضها على سبيل الاستدلال على وجودها ودورها ، أما المساجد فلم تشر المصادر الزيدية - كعادتها - إليها بصورة واضحة ، ولكننا نستطيع أن نقول أن المسجد كان نواة الهجرة العلمية ، ومركز كل قرية وحارة في منطقة صعدة ، وحديث المصادر عن رموز علمائها وأدوارهم العلمية والتدريسية ما هو إلا حديث عن أحد ركائز العملية التعليمية التي يعد المكان - المسجد - أحد دعائمها .

❖ **جامع الإمام الهادي يحيى بن الحسين بصَعْدَة :**

سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى أن هذا الجامع قد ورد ذكره في المصادر الزيدية أحياناً على أنه (مسجد صعدة) أو (المشهد المقدس)[1] ، وفي هذا المسجد الجامع تلقى معظم مَنْ ذكرت المصادر أنهم درسوا في صعدة علومهم ، فهو يعسوب مساجدها وعميد أماكن التعليم فيها ، خاصة أن الزيدية تعطيه من المكانة ما يفوق غيره؛ لأنه منسوب إلى مؤسس مذهبها ودولتها في اليمن ، وسنأتي إلى ذكر مجموعة من رموز الزيدية الذين دَرَّسوا أو دَرَسوا فيه في مدة دراستنا هذه .

نذكر هنا من العلماء فقيه صعدة الكبير وحافظ منطقة الجبال في عصره ومحدثها الأول ، الإمام العلامة الحافظ المحدث أحمد بن سليمان الأَوْزَرِي[2] (ت بعد ٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ، أحد مفاخر الزيدية على علماء الحديث من أهل السنة ، وأحد قنوات انتقال العلم بين المذهبين ، كان كثير الرحلة في طلب العلم ، طال عمره حتى تجاوز المائة ، عرفته كثير من مناطق اليمن وغيرها طالباً جاداً ، بلغ من جديته أنه رحل إلى أكثر مدن تهامة كزبيد وأبيات حسين يطلب علم الحديث النبوي وهو يحمل نسخةً من الأمهات الست[3] ، وللقارئ أن يتصور مدى العنت والجهد الذي واجهه في حملها معه عبر هذه المسافات الطويلة ، وكأنه لم يُرِدْ أن يطلب الحديث إلا عليها ، تصحيحاً لها وضماناً لوجودها ، ولم يجعل همه في الحديث وحده ، فقد أخذ على علماء تهامة علم الأصول والفروع ، والنحو والصرف واللغة ، وبلغ من العلم ما جعله شيخاً لأكثر من ثلاثة أئمة من أئمة الزيدية ، ووصفه صاحب (طبقات الزيدية الكبرى)[4] بقوله : " كان الوزري فاضلاً ورعاً ، كاملاً محدثاً ، محققاً ، شيخاً ، إماماً ، زاهداً ، براً تقياً ... رحل إليه العامة والخاصة " ، وقال غيره : " فقيه صعدة وعالمها ، كان فاضلاً عالماً ، معمراً مسنداً ... "[5] ، تتناول المصادر الزيدية ترجمته بكل الإجلال والتعظيم والاحترام .

---

[1] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص٤١٧ ، ٤٤٧ .

[2] ترجم له ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ، ص ١٣٥ ، أبو الرجال ، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، ج١ ص ٧٦ ، الجنداري ، **الجامع الوجيز** ، ق ١٠٦ .

[3] الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٥٥ .

[4] ابن المؤيد ، ج١ ، ص ١٣٦ .

[5] **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

ومن علمائها كذلك القاضي عبدالله بن الحسن بن عطية الدواري[1] (ت٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) وعلماء الدواري من وجوه صعدة وأعيانها ، وهم كذلك من أباب العلم فيها ، أما صاحبنا هذا فقد كان واسطة العقد فيهم ، كان موصوفاً بأنه العالم الفقيه المجتهد ، شيخ المجتهدين ، وأستاذ المبرزين ، كانت إجازاته موضع التقدير والثناء ، يطلبها الأعلام ليزداد بها قدرهم ، كانت له اليد الطولى في تثبيت الإمامة في يد الإمام المنصور بالله علي بن الناصر صلاح الدين المذكور في الفصل الثاني من دراستنا هذه ، كان - هو والأوزري السابق - أبرز العلماء في صعدة ، ومما لا شك فيه أن أبرز العلماء لن يدرسوا إلا في أبرز المساجد ، وهو ما يدفعنا إلى ترجيح أنه كان يتخذ من جامع الإمام الهادي الكبير بصعدة مدرسةً له .

قال فيه الإمام الشوكاني[2] : " كان الطلبة للفنون العلمية يرحلون إليه ، ويتنافسون في الأخذ عنه ، وليس لأحد من علماء عصره ما له من تلامذة ، وقبول الكلمة ، وارتفاع الذكر ، وعِظَم الجاه ، بحيث كان يتوقف الناس عن مبايعة الأئمة حتى يحضر ... " ، ويكفيه من الفخر والمدح أن نعرف أن من تلامذته مفخرة اليمن الكبرى، وإمامها المجتهد المطلق ، الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، صاحب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم) ، وأخيه الإمام الشهير الهادي بن إبراهيم الوزير (ت ٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ، وقد قال فيه الأخير : " كنا بين يديه جماعة من الطلبة يملي علينا من بحر علمه الفرائد المنتقاة ، ويمطر علينا من شآبيب فهمه المستقاة ، وكان العلم في زمنه كالحديقة المزهرة ، ووجوه العلوم الدينية بنثور وجهه ضاحكة مستبشرة ، وكانت ركائب الطلبة تحدي إلى سوحه من أداني الأرض وأقاصيها ، وبلغ في العلم والتعليم وحياطة الدين ما لم يبلغه أحد ، جمع بين محاسن العلم والعمل ... "[3] .

ويأتي في ذكر علماء صعدة في هذه المدة العلامة القاضي حسن بن حُمَيْد بن مسعود بن عبدالله المقرائي (ت٨٥٠هـ /١٤٤٦م) ، ترجم له حفيده المؤرخ يحيى

---

(1) ترجم له زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٢٨٨ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ٣٨٨ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ٥٣ ، المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج١ ، ص ٥٨٩ - ٥٩٤ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٥٧١ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ق ٢١٢ .

(2) **البدر الطالع** ، ٣٨٩ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ، ص ٥٩٢ .

بن محمد بن حسن المقرائي[1] فقال : " كان المذكور مجتهداً جامعاً لفنون العلم من التفسير وما يتعلق به من علم القراءة والإقراء ، وعلمي المعاني والبيان وغير ذلك ، وعلم الحديث وما يتعلق به من معرفة الرجال والجرح ولاتعديل وغير ذلك ، والأصولين والفقه ، والفرائض وعلوم العربية ، والسير والتواريخ ، والطب والنجوم ، وغير ذلك من سائر العلوم العقلية والنقلية ، وله تأليفات وموضوعات واستدراكات وحواشي في جميع العلوم والتواريخ والسير وعلم الأدب والنجوم والطب وغير ذلك ... " .

إن المتفحص لترجمة هذا العَلَم ليجد نفسه أمام هامة سامقة في سماء العلم ، وطود شامخ في دنيا التأليف والرحلة في سبيل تحصيل العلوم ، وإن عدم اشتهاره في هذه المناطق ليمثل دليلاً كبيراً وقرينة واضحةً على أن كثرة أمثاله وتعدد اقرانه ومن هم في منزلته قد كانوا من الكثرة بحيث أن الإشارة لا تقف إلا عند من امتاز عنهم وتطاول قدره عليهم ، إن القاضي حسن المقرائي لم يُعَرَّفْ في كتب الرجال والطبقات عند الزيدية إلا كواحد من غمارهم ، ولولا أن حفيده – وصفه وهو الخبير به – لما تبين لنا من منزلته إلا كما يظهر أذن الجمل للناظر إليه ، إن هذه المنزلة لا تُنال إلا على جسر من التعب ، والرحلة الحثيثة في طلب العلم ، وهو ما أكد عليه المقرائي الحفيد، إذ يقول بعد أن سرد مؤلفات جده المتعددة ، وتناول إجازاته الكثيرة وعلو سنده فيها واتصاله في معظمها بالإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعنه بالنبي ﷺ : " وسافر لذلك وتغرب السنين والأعوام ، وقصد كثيراً من أمصار المؤالفين والمخالفين ، حتى عرف ما عند أهلها من المحقين والمبطلين ... " .

وكان هذا الرجل من أكثر الناس حرصاً على اقتناء الكتب فقد " حصل كثيراً من كتب تلك العلوم فوق خمسمائة مجلد كبار ، منها ما هو بخط يده ، ومنها ما هو من تنسيخه وتملكه ... " ولم يكن حبه لجمع الكتب بدافع الاشتهار بين الناس بامتلاكها ، فهو يقرأها قراءة تدبر ونقد وتأييد ، وينعكس موقفه مما هو فيها في تعليقاته على حواشيها إذ انه : " لم يَخْلُ مجلد منها مما هو بغير خطه عن وضع شيئ من الفوائد

---

[1] مكنون السر في تحرير نحارير السر ، ص ١١٩ ، كما ترجم له ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ، ص ٢٩٩ ، ١٥٩ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٢٩ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ١٤٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٣١٨ .

والتعاليق والحواشي والتنبيهات والاستدراكات بخط يده ، بحيث أن بعض تلك الكتب وُضِعَ فيها بخط يده أكثر من المتن ... " .

❖ **مسجد الصرحة بصَعْدَة :**

لم يُذكر هذا المسجد في المصادر كلها إلا مرةً واحدةً ، لكنه ذُكِرَ مقروناً بأحد أعلام صعدة – بل اليمن عموماً – الكبار ، وأحد أبرز رموز الفكر الإسلامي في اليمن في القرن العاشر الهجري ، ألا وهو القاضي الأجل ، والشاعر الأديب ، الإمام محمد بن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي[1] (ت٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) ، اختلفت بداية هذا العَلَم الإمام عن غيره من الأقران ، فقد كان في بداية أمره تاجراً ، تحتم عليه تجارته الانتقال من مكان إلى مكان ، إلا أن حبه للعلم قاده إلى الجمع بين الغايتين ، غاية التاجر في كسب المال وطالب العلم في تحصيل العلوم ، فكان لا يفوته درس في مكان ينزل به " دخل الحبشة ، ودخل كثيراً من بلاد اليمن ... إذا وفد قريةً فيها قراءة حضر معهم ... وكان يأكل من كسبه ، يمتهن بصنعة الحرير ... "[2] .

قال تلميذه المؤرخ المقرائي[3] مطنباً في مدحه : " سيدي وشيخي الفقيه المبرز المقام ، الإمام الحبر القمقام ... عالم عصره وإمام دهره ، وكان إليه النهاية في حل العقود ، وحكماً فيصلاً في المقصود ، في شامها ويمنها[4] ، وشرقيها وغربيها ، يرجع إليه نحارير العلماء ، ويلتمس منه الأحكام الفقهاء والحكماء ، قد انتشر علمه في تلك الجهات ، وارتفعت تألفاته إلى أعلى الدرجات ... " ، وقد سرد صاحب (أعلام المؤلفين الزيدية)[5] حوالي عشرين كتاباً من مؤلفاته ، في كثير من مجالات العلوم العقلية والنقلية والطبيعية ، وكان لتآليفه المكانة الكبيرة ، ولقيت من الحفاوة ما لم تلقه مؤلفات غيره من العلماء بل حتى الأئمة أنفسهم ، وقصة أنتهاءه من تأليف كتابه الشهير

---

(1) ترجم له زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٤١٨ ، ٤٣٧ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ٧٩٦ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ٣ ص ١١٣ ، ١١٤ ، المقرائي ، **مكنون السر في تحرير نحارير السر** ، ص ٨٣ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ، ص ١١٠٣ – ١١٠٩، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠١٩ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ق ٣٢٠ .

(2) ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج١ ، ص ١١٠٨ ، ١١٠٩ .

(3) **مكنون السر في تحرير نحارير السر** ، ص ٨٣ .

(4) المقصود بالشام هنا جهة الشمال ، اليمن جهة الجنوب ، وهي ترد بهذه الصورة كثيراً في المصادر الزيدية ، فكأن المؤلف يقول : في شمالها وجنوبيها ، ويتضح المعنى هذا من بقية سياق النص المقتبس .

(5) الوجيه ، ص ١٠١٩ – ١٠٢٢ .

– في علم التفسير – الموسوم بـ (**التكميل الشاف لتفسر الكشاف**) شهيرة ، بل هي أكبر الأدلة على احتفاء الحكام في اليمن ، من الأئمة والسلاطين ، بالعلماء المبرزين ، فقد صورت المصادر مظاهر الفرح الكبير والحفاوة البالغة التي أولاها الإمام المتوكل شرف الدين – آخر الأئمة الذين تناولناهم في الفصل الثاني – ورجال دولته بهذا الكتاب وصاحبه ، وذلك سنة (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) ، يقول المصدر[١]: " وجمع ذلك في ثمانية أجزاء تامة ... وسرَّ ذلك إمام زماننا ، وعلماء وقتنا ، وأظهروه ورفعوه في صنعاء اليمن على محمل ، وأُعلِنَ بجلالته وإفادته ، ونودي بذلك ، ورفع التكبير والتسبيح والتقديس والذكر في مساجدها وأسواقها وسائر بقاعها ، وطاف بذلك طوائف من المسلمين ، وزف بالأرتاج والرايات والطبلخانات وغير ذلك ما يوضع للإشعار والإعلان " وزاد مصدر آخر[٢] بأنهم زفوه بالمسيرة المشار إليه وهو محمول في صندوقين ، حتى دخلوا به الجامع الكبير في صنعاء ، وصعد الخطيب وألقى خطبة جعل منها تفسير سورة الفاتحة من هذا الكتاب ، ثم خرجوا وطافوا به على المدارس والقصور[٣] .

وقد استقر المقام بهذا الإمام والعلم الكبير في مسجد الصرحة بصعدة ، ينشر علمه ، ويفيد أمته ومجتمعه حتى وافته المنية في التاريخ المقرون بذكر اسمه[٤] .

وقد ازدهر نشاط الهجر العلمية في منطقة صعدة ، ونافست هذه الهجر مدينة صعدة نفسها في ممارشة النشاط العلمي ، حتى أن بعض أئمة الزيدية في هذه المدة ظهروا من هذه الهجر العلمية ولم يظهر منهم أحد من مدينة صعدة نفسها ، وقد بلغ عدد ما تناوله القاضي الأكوع من الهجر العلمية في منطقة صعدة – في كتابه **هجر العلم ومعاقله في اليمن** – ثمانيةً وعشرين هجرة علمية ، ولما كان الحديث عنها كلها يتطلب دراسة أخرى منفصلة فنحن سنأخذ مثالاً عنها هجرة فللة فقط .

---

(1) المقرائي ، **مكنون السر في تحرير تحارير السر** ، ص ٨٤ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ، ص ١١٠٨ .

(3) لسنا في حاجة كبيرة إلى التعليق على مدى قوة الدفعة المعنوية الهائلة التي اجتحات صاحب الكتاب ، وتلاميذه وزملاءه، وهم يرون أن العلم وحده هو الذي أورث هذا المجد وهذا الفخار ، ولو كان لدينا متسع للإسهاب لقمنا بتحليل هذه الحادثة .

(4) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١١٠٩ .

❖ هجرة فَلَّة[١] :

المشهور في نطقها : فَلّة ، وكانت – ولازالت – هجرة علمية عامرة في بني جُماعة بمحافظة صعدة ، تقع إلى الشمال الغربي من مدينة صعدة بمسافة ١٥ كيلومتراً، وهي معدودة بين أهم معاقل العلم في اليمن ، جزم الأكوع[٢] بأن مؤسسها هو الإمام المؤيد علي بن جبريل (ت ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م)[٣] ، وقد أنجبت هذه الهجرة مجموعة من أعلام الفكر الإسلامي في اليمن ، ترجم القاضي الأكوع[٤] لاثنين وأربعين منهم ، على رأسهم أربعة من أئمة الزيدية ذكرنا ثلاثة منهم في الفصل الثاني هم : الإمام المؤيد علي بن جبريل وحفيده الإمام الهادي عـز الدين بن الحسن وابنه الإمام الحسن بن عزالدين.

وممن قدم إلى هجرة فللة ودَرَّسَ وأقام بها القاضي أحمد بن عبدالله بن الحسن الدواري[٥] ، وهو من العلماء الزيدية المشهورين في كثير من العلوم ، وكان في بداية أمره في مدينة صعدة ، بلده وبلد أباءه ، وقد مررنا على ذكر آباءه هناك ، قدم إلى هجرة فللة مأسوراً من قبل الإمام المؤيد علي بن جبريل لما كان من موقف أبيه القاضي عبدالله الدواري المعارض له ، فقدم إلى فللة ومعه معظم تلاميذه ، وكان مقدمه دفعةً كبيرة للعلوم بها ، فقد استوطنها وقضى فيها بقية حياته حتى توفي بها سنة (٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) .

---

[1] الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٣ ص ١٦١٨ ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٤ ص ٦٣٩، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ، ص ١٢٢٥ .

[2] **المرجع السابق** ، ج ٣ ص ١٦١٨ .

[3] الأكوع ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ص ١٦١٨ – ١٦٢٠ ، انظر ترجمته عند زبارة ، **ملحق البدر الطالع** ، ص ١٨٢ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٧١٥ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٤٦ .

[4] الأكوع ، **المرجع السابق** ، ج ٣ ص ١٦١٨ – ١٦٣٨ .

[5] **المرجع السابق** ، ج ٣ ص ١٦٢٠ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ، ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٢٩٤ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ٥٠ .

وممن درس بهجرة فللة وأقام بها الإمام الهادي عزالدين بن الحسن[١] (ت٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) ، حفيد مؤسسها الإمام الهادي علي بن المؤيد المذكور سابقاً ، وهو واحد من أجلّ أئمة الزيدية وأكبرهم شأناً ، وأكثرهم شهرةً ، وأغزرهم علماً ، جمع علم الزيدية وأهل السنة من خلال تتلمذه على علماء وأئمة مذهبه في مدينة صعدة أمثال علي بن موسى الدواري ، وعلى بعض علماء السنة في اليمن أمثال محدث اليمن وحافظها في آخر القرن التاسع الإمام يحيى بن أبي بكر العامري المذكور في علماء مدينة حَرَضَ ، ، ومصادر الزيدية تزخر بمدحه والثناء عليه[٢] ، حتى قال عنه شيخ الإسلام الإمام الشوكاني[٣] بعد استعرض مساعيه ورحلاته لطلب العلم : " وهو من أكابر أئمة الآل في العلم والعمل ، والكرم وسائر الخصال الشريفة ، وله شغف بالعلم عظيم ، ولديه من التسليم للحق واتباع الدليل ما لم يكن لغيره ... " ، وقد ازدهرت هجرة فللة في عهد الإمام عزالدين ، حتى ذكرت بعض المصادر[٤] بأنه بنى فيها مدرستين : إحداهما لتعليم القرآن الكريم وعلومه والأخرى لطالبي العلم الشريف ، وصار الإمام نفسه " رحلةً للقاصدين ، ومنتجعاً للوافدين ، يأمه طلبة العلم من أكثر الأمصار والبوادي والحضار ... وتوجهت إليه المسائل والرسائل من كل جهة ، ومقته الأعين ، ونطقت بفضله الألسن وحظي من الإقبال عليه بما لم يحظ غيره "[٥] .

ولا يفوتنا الإشارة إلى أن العلامة الحسن بن علي – والد الإمام الهادي عزالدين – كان قد بنى مدرستين سابقتين في هذه الهجرة قبل مدرستي ولده ، وعلى هذا يصبح عدد المدارس في هجرة فللة أربع مدارس ، وكان الحسن هذا من أكابر علماء جهته ، وكان قائماً بالتدريس ونشر العلم في منطقته بما توفر له من زكوات نواحٍ كثيرة من

---

(1) تناولت المصادر والمراجع الآتية أخبار هذا الإمام ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٤٤ ، **اتحاف المهتدين**، ص ٧٣ ، **خلاصة المتون** ، ج ٣ ص ٢٥ ، ٢٦ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢٠٦ وما بعدها، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٠٦ وما بعدها .

(2) انظر مصادر ترجمته السابقة بالإضافة إلى الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ١١٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٤١ .

(3) **البدر الطالع** ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ .

(4) الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٣ ص ١٦٢١ ، الشرفي ، **اللآلي المضيئة** ، ص ٥٠٩ .

(5) الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢١٠ .

منطقة صعدة مما كان يجبى لأبيه الإمام المؤيد علي بن جبريل ، وقد توفي سنة (٨٩١هـ / ١٤٨٦م) فرثاه ابنه الإمام عز الدين بقصيدة تعد من درر قصائد المراثي في الأدب اليمني ، يقول في مطلعها :

مُصابُكَ هَـدَّ الشامخاتِ الرواسيا
وصَـيَّرَ طَرْفَ الفَخْرِ والمَجْدِ باكيا

وبلغ من إعجاب العلماء بها أن انبرى لها أحدهم ليشرحها ، وسمى شرحه (الرسالة الناطقة لشرح معاني الترثية الصادقة)[١] .

---

[١] هو المؤرخ محمد بن علي بن يوسف الزحيف ، مآثر الأبرار ، ج ٣ ص ١٢٥٨ .

الفصل الرابع

نظام التعليم في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

أولاً : نظام التعليم في اليمن في حقبة الدراسة

(من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها)

السمات الرئيسة نظام التعليم في اليمن في حقبة الدراسة :

إن ما يقال هنا هو نفسه ما قيل في الفصل السابق ، فكما أن اليمن – لكونها جزءاً لا يتجزأ من العالم الإسلامي وقطراً من أقطاره – قد شهدت وجود أماكن التدريس المناظرة لتلك التي عرفها العالم الإسلامي[1] ، فهي كذلك قد سارت على نفس منوال الأقطار الأخرى في اعتماد أنظمة التعليم ومتعلقاتها التي عُرِفَتْ فيها ، وسيُلاحَظُ أن ما نقوله هنا هو عينه الذي يقال عن العالم الإسلامي قاطبة ، وبالتالي سنعتمد في حديثنا عن أنظمة التعليم في اليمن في حقبة الدراسة على تلك المصادر التي يعود إليها كل دارسي التاريخ العلمي والحضاري لأي قطر إسلامي آخر ، لكننا سننتقي استدلالاتنا من إشارت المصادر اليمنية .

لكن ثمة أمور هناك يجب التوقف معها قبل الخوض في موضوع هذا الفصل ، ومنها التأكيد على أنه لم يكن هناك ما يمكن أن نسميه حدوداً معينة لأنظمة التعليم المستخدمة ، بل إننا عندما نطلق عليها (أنظمةً تعليميةً) فذلك لا يكون إلا من باب المجاز الذي يساعد على فهم الجزئية التي نسعى إلى تناولها وتوضيحها ، فالمفهوم كان غايةً في البساطة ، خالياً من التعقيد ، سهلاً وقابلاً للتنفيذ ، لا يوجد له أهدافٌ مكتوبة – وإن كانت في مخيلة كل معلم وطالب – وبالتالي لم تُتَّخَذْ معياراً خاصاً تقوم عليه عملية التقويم والتقييم ، ولكنه أُستُخْدِمَ طريقاً لتعليم الآخر من منطلق شيوعه وتناقله عن الأجيال السالفة وانتقاله بصورة شبه متواترة إلى الأجيال الخالفة اللاحقة .

ومما يجدر الإشارة إليه أنه لم يكن لأي سلطة – من حكومة أو إمارة أو ما سواها – أي دور في تحديد معالم هذه الأنظمة أو تسمية لمقرراتها أو رسم لحدودها ، وأن الجهة الوحيدة التي كانت مخولةً بذلك تأكيداً أو تعديلاً هي فئة العلماء (المعلمين)، فهم الذين يعززون وجود المقررات لنجاعتها ، أو يرون أن غيرها أبلغ أثراً وأكثر بركةً وأيسر فهماً منها لكي يتم استبدالها ، وهو ما أعطى للعلم الإسلامي – رغم تشتته بين أيدي السلطات الحاكمة المختلفة في الهوى والميول – حالة عالية ومتقدمة من

---

[1] مع تميز بسيط في تأسيس وامتلاك (الهجرة العلمية) و (القرية العلمية) .

الانسجام الفكري والتوحد في مقتضيات العلم وأساسياته ، جعلت اليمني ينشد الفائدة العلمية في مصر والشام والحجاز ، والمصري يجد بعضاً من ضالته العلمية في مجالس العلم المنعقدة في مدن اليمن وقراها ، ولا يرى في ذلك بأساً ولا نفوراً ، ولم ينظر إلى الاختلاف والتباين في بعض الرؤى والأفكار إلا كصورةٍ حية للتعدد والتكامل وأشكالٍ للتنوع الثقافي المحمود في الغالب.

إن مما يجب التأكيد عليه قبل البدء في الحديث عن نظام التعليم في اليمن خصوصاً – في العالم الإسلامي على وجه العموم – هو تلك المميزات العامة التي حظي بها ، والسمات الرئيسة التي اتصف بها ؛ لأن ذلك يعكس مدى نجاحه ومبلغ إثماره وكبر حصيلته ، مع التأكيد على أن ما نعنيه من سمات ونقصده من مميزات إنما ينطبق على مجمل النظام التعليمي لا على مرحلة معينةٍ منه ، فنحن نستخلصها من النظرة الإجمالية إلى نتائجه ، والفعالية الكبيرة لمخرجاته ، والثراء الواضح لآثاره ، فمن أهم تلك السمات والمميزات :

(١) الغياب الكبير للدوافع المادية وراء مواصلة التحصيل في ظلاله وبروز الدافع الديني :

إنه لم يوجد بصورةٍ رئيسية انعكاساً لرغبةٍ رسمية وتلبيةً لرغبة سلطةٍ قائمةٍ ، ولم يأتِ بشكل أساسي ليحقق حاجة جهةٍ ما بتزويدها بما تحتاجه من كوادر مؤهلةٍ لكي تقوم بتغطية فجوات قائمة في هيكلها ومجتمعها ، بل كان وجوده نابعاً من كون العلم – الذي هو وقوده – جزءاً من تعبد المسلم ، وتحقيق لمطلب رباني مكرس في القرآن والسنة النبوية المطهرة ، وبالتالي كانت حسابات المكسب والخسارة المتوخاة من تحصيله – إن وجدت – في قاع الاهتمام وذيل الطموحات ، وكانت مظنة بلوغ غاية رضا الله سبحانه وتعالى القائمة على بذل الجهد في تنفيذ ما ندب المسلم إليه ، وبذل الوسع من أجل معرفة وإحياء ما شرعه الله ورسوله الكريم ﷺ ، والوعي بمنزلة العالم وأجر الساعي في سبيل العلم درساً وتدريساً ، كان ذلك كله أكبر الدوافع والمحفزات للسعي والتشمير في طلبه ، وهو ما عجزت عن تحقيقه الأنظمة المعاصرة على مستوى واسع ، وأشار إليه الأوائل منهم ولم يغفلوه[١] ، وقد رأينا العلماء

---

[1] الماوردي ، **أدب الدنيا والدين** ، تحقيق مصطفى السقا ، سلسلة الذخائر (١٢٧) ، القاهرة ، سبتمبر ٢٠٠٤م ، ص ٣٧ – ٣٩ ، ابن جماعة ، **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم** ، تحقيق محمد هاشم الندوي ، ١٣٥٣هـ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، وقد نشرته مصوراً دار

يتحاشون المناصب الرسمية والمغانم الدنيوية خوفاً من الدخن في نواياهم وتورعاً وزهداً[١] ، مع أنهم بذلك كانوا يسدون ثغراتٍ يحتاجهم فيها المجتمع ، وشواهد ذلك كثيرة في تاريخ اليمن ، منها أن الإمام أبو الطيب عبدالله بن أحمد بن علي بامخـرمة (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) كان يفر من منصب القضاء حتى ألزمه الطاهريون القيام به في عدن، فتولاه مدةً ثم هرب خلسةً من المدينة بأسرها إلى الشِّحْر ، ولم يعد إلى عدن حتى تأكد له أن شـخصاً آخـر قد أقيم مكانه[٢] ، وكانوا يتواصون فيما بينهم إذا ما رأوا عزيزاً عليهم وقد ظهر منه بوادر السعي في مجاري غيرهم من العلماء وحملة الرسالة العلمية ، من ذلك ما رأيناه من الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) وهو يستنكر على شقيقه وشيخه الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) عندما وجده وقد استحلى البقاء ضمن حاشية الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين (ت٧٩٣هـ /١٣٩١م)، واستحال استنكاره إلى قصيدة يذكره فيها بما يجب عليه من مجافاة السلاطين والابتعاد عنهم ، يقول فيها[٣] :

يا نجـلَ إبـراهـيمَ لا تنـسَ مـا
كـانَ علـيهِ بالتَّحَـلِّي أبُـوكْ

فـإنَّ آبـــاءَكَ لـو شـاهـدوا
بعـض الـذي تفـعلُهُ أنَّـبُـوكْ

مـــا لكَ لا تسـلكُ نَهْجاً وقَـدْ
سَـنَّ لـنا فيْهِ أبُـوكَ السُّـلُوكْ

الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٥ – ١٤ ، ابن القاسم ، **آداب العلماء والمتعلمين** ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٩٨٧م ، ص ٢١ ، ٥٩ ، الشوكاني ، **أدب الطلب** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ١٥ ، ١٧ .

(1) ما نقوله هنا لا ينسحب على حالات كثيرة يرى العالم نفسه مجبراً على القيام بأمور المناصب التي توكل إليه عندما يرى أن استنكافه عن القبول بها سيمثل ثغرةً يؤتى الدين والمجتمع من قبلها ، كأن يتصدى لها بدلاً عنه من هو غير أهل لها أو من أهل الأهواء فيضل غيره بقوة المنصب وسطوة السلطان .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج٣ ص ٧٨٢ ، ٧٨٣ .

(3) الأكوع ، **أئمة العلم المجتهدون في اليمن** ، ص ٧١ ، ٧٢ .

إلى أن قال :

وابعــدْ عــن المُــلكِ وأربــابِهِ
وإنْ هُــمْ يــوماً لَــهُ أهّــلُــوكْ

ولا تَنْــظُرَنْ يَــوماً إلى قــائِمٍ
وانــظُرْ إلى ما قَالَهُ ناصِــحُوكْ

وما يصدق ورعــهم وزهدهم في الدنيا وتقللهم منها الصفات التعبدية الكثيرة التي احتوتها كتب التواريخ والطبقات وهي تتــناول تراجمهم .

بيد أن هذه الميزة لا تتناقض أبداً مع ما سنورده في الأدوار الاجتماعية للعلماء اليمنيين وطلابهم ، مثل تولي بعض المناصب الرسمية التي كانت توكل إليهم ، فإن ذلك كان من صميم ما يقتضيه علمهم بخطورتها ومكانتها من الدين ومن حياة الناس ، كالقضاء وتولي نظارة بعض المدارس ودور العلم الأخرى ، بل لعل تنصلهم من القيام بأمرها يعد مما يجرمه العلم الذي يحملونه ؛ لأنهم بذلك يتركون من الثغرات ما يمكن للعابثين التصدر لها، وهو ما سنناقشه لاحقاً بمشيئته تعالى .

(٢) فاعلية العلماء وواقعية علومهم :

إن ما تقتضيه صفة تجرد طلب العلم والسعي لاكتسابه من أي دوافع مادية وحب تحقيق مكاسب دنيوية عاجلة هو أن يكون هذا العلم حافزاً للعمل الصالح والتمسك بالفضيلة، والتمثل بالمبادئ والقيم التي يدعو إليها هذا العلم ، وألا يكون العلم محصوراً في كونه كَمَّــاً كبيراً من المعلومات تستخرج حين الحاجة إليها فقط ، فليس هناك انفصال أو تنافر بين ما يتعلمه الطالب على المستوى النظري وبين ما يراه من حياة معلميه على المستوى العملي التطبيقي ، وهذا هو ما عرفه المسلمون في علمائهم منذ القرون الأولى لهذا الدين ، وقد أدرك العلماء قبل غيرهم أنهم معنيين بتنفيذ قول الله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ... ﴿٧﴾﴾[1] ، وأنهم إذا لم يكونوا كذلك فإن الفرد منهم سيكون المقصود بما حكاه الحديث الصحيح المشهور

---

[1] سورة الحشر .

القائل : " **يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق اقتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان ! مالك ؟ ألم تكن تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟! فيقول بلى ، قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه** "[1] ، وقوله ﷺ : " **لا تـــزل قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يســـأل عن خمس ... ومـــاذا عَمِلَ فيما عَلِمَ** "[2] ، كما أن نظرة الاحترام التي أعطاها المجتمع للعلماء وطلابهم واتخاذه لهم في موقع القدوة وموضع التأسي جعلهم حريصين على تحقيق هذه النظرة والقيام بمقتضياتها ، وأن يكونوا عند حسن ظن المجتمع بهم ، وكان قول الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه " يا حملة العلم ، اعملوا به ، فإنما العالم من عَلِمَ ثم عَمِلَ ووافق عِلْمُهُ عَمَلَه "[3] بين أعينهم[4] .

تشير المصادر إلى أن علماء اليمن عموماً ، في مدة الدراسة وما قبلها وما بعدها ، كانوا نماذج رائعةً للعالم الذي يوافق علمه عمله ، وكانوا – في الغالب – موصوفين بالعلم والعمل ، وانشرت أوصـافٌ كثيرة تؤكد تحقق ذلك فيهم ، أمثال : " وحيد عصره في العلم والعمل ، ووحيد وقته في الورع والزهد "[5] وكذلك ما وصف به أحدهم من أنه " كان مع سعة علمه عابداً مجتهداً ، مشهوراً بالصلاح والورع ... "[6] ووصف آخر بأنه كان متحرياً

---

(1) البخاري ، **صحيح البخاري** ، ج ٣ ص ١١٩١ ، رقم (٣٠٩٤) ، باب (صفة النار) ، مسلم ، **صحيح مسلم** ، ج ٤ ص ٢٢٩٠ ، رقم (٢٩٨٩) ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويفعله) .

(2) الترمذي ، **سنن الترمذي** ، ج ٤ ص ٦١٢ ، رقم (٢٤١٦) ، باب (القيامة) .

(3) ابن عبدالبر ، **جامع بيان العلم وفضله** ، ، ج ١ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

(4) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والســادس الهجــريين** ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(5) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج٣ ص ٧٦٣ .

(6) **المصدر السابق** ، ج٣ ص ٣٦١ ، ٣٦٢ .

للحلال في مأكله ومشربه ، فكان : " يأكل من كسبه ، يمتهن بصنعة الحرير ... "[١] .

كل النماذج السابقة تحكي تميز النظام التعليمي من خلال تميز مخرجاته وتحقق أهدافه فيها ، وإن لم تكن هذه الأهداف مصوغة على شكل ما هو مستقر في عصرنا إلا أنها كانت ترمي إلى إيجاد العالم العامل بعلمه ، الذي يحيل المبادئ حقيقةً ماثلة .

(٣) التوسع الأفقي والرأسي في تلقي العلوم :

ما أقصده بالتوسع الأفقي في تلقي العلوم هو سعي العالم وطالب العلم إلى دراسة أكثر من علم واحد في آن واحد ، فلم يكن هناك وجود لمعنى التخصص في حدود دلالته القائمة الآن ، ولا انحصار الاهتمام بعلم واحد دون غيره ، وهو ما أوجد في اليمن العلماء الموسوعيين الذين حازوا علوماً كثيرة ، فكان الواحد منهم في مصاف المبرزين في العلم الأول ، وتجده كذلك في العلوم الأخرى يزاحم رجاله ويفحم أهله .

من أمثلة العلماء الموسوعيين في اليمن في مدة الدراسة نجد الإمام علي بن أحمد بن موسى بن علي أبو الحسن الجلاد (توفي في العقدين الأولين من القرن التاسع الهجري) الذي وصف بأنه " كان عارفاً بالفقه والنحو واللغة والقراءات والحديث والفرائض والجبر والمقابلة والحساب والهندسة وغير ذلك ، بارعاً في كل فن ، مفرطاً في الذكاء ، كامل الأدب ، حافظاً لأشعار العرب "[٢] ، ومثله أيضاً الإمام العلامة الصالح وجيه الدين عبدالرحمن بن عمر الحُبَيشي الوصابي الذي وصفه البريهي[٣] بأنه كان " محققاً للفنون كلها كالتفسير والحديث والنحو واللغة والأصول والفروع وسائر العلوم ... " ، وكذلك الإمام أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) الذي وصفه المؤرخ الشِّلّي[٤] بقوله : " علامة

---

[1] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ، ص ١١٠٨ ، ١١٠٩ .

[2] بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج٣ ص ٦٧٩ .

[3] **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٨ .

[4] **السنا الباهر** ، ص ٣٤٩ .

علماء الإسلام ... مالك ناصية العلوم ، وفارس ميدانها ، وحائز قصب السبق في حلبة رهانها " ، وإن كان التفصيل هنا لم يظهر في ماهية هذه العلوم وما عددها إلا أن بافقيه[1] قد بين ذلك – نقلاً عن أحد تلاميذه – أنه حدثهم بقوله : " إني أقرأ في أربعة عشر علماً " ، وهو ما أدى إلى تكاثر طلبة العلم عليه، وازدياد أعداد المنضمين إلى حلقات درسه ، لكننا مع ذلك لا نستطيع أن نعرف ما هي هذه العلوم الأربعة عشرة المذكورة ، فقائمة مؤلفاته قد شملت علم الرجال والحديث والتاريخ بصورة أساسية ، وذلك يفسر أنه لم يؤلف في كل العلوم التي أتقنها .

وهناك من العلماء من يفوق الإمام الطيب بامخرمة في شهرته وإتقانه وكثرة مؤلفاته، وقد تحدثنا عن الإمامين محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) والإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ/ ١٤٣٦م)، وعرفنا أن الأول قد ألف حوالي أربعين كتاباً في كثير من التخصصات ، وألف الأخير سبعة وستين مؤلفاً ما بين كتاب ورسالة في كثير من فروع العلوم ، من العربية والفقه وأصوله ، وأصول الدين وعلم الكلام والشعر وغيرها الكثير .

وأما التوسع الرأسي فالمقصود به التعمق في علوم معينة أكثر من غيرها ، وذلك لا علاقة له بمفهوم التخصص في تاريخنا المعاصر وإن كان شبيهاً به ، غير أن ميول العالم وطالب العلم قد يجعله – بجوار دراسته لعلوم كثيرة – يولي عدداً منها عنايةً خاصة ، فتراه يتوسع فيها ، ويبحث عن دقائق تفصيلاتها ، ويرحل إلى المبرزين من رجالها ، ويسعى إلى الحصول على الإجازات منهم، من خلال لقائه بهم أو عن طريق مراسلتهم إن تعذرت عليه اللقيا .

وقد كثرت في المصادر التاريخية وكتب الطبقات أوصاف تدل على تعمق بعض العلماء في علوم معينة ، مثل : المحدث ، المقرئ ، الشاعر ، المؤرخ ، وكان كل واحد منهم ذا باع طويل في العلوم الأخرى ، بل لعله يفوق من حُسبوا على تلك العلوم كما ذكرنا .

---

[1] تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر ، ص ٢٧٧ .

(٤) عدم وجود سقف زمني معين لمرحلة طلب للعلم :

وهذه السمة المهمة تقتضي التنوع الكبير في المستويات العمرية ، وهو تنوع مشوب بالتفاوت بين أعمار طلاب العلم ، فقد تجد في الحلقة العلمية أو مجلس الإقراء أو الاستماع طالِـبَي علمٍ الفرقُ بين عُمْرَيْهِما كالفرق بين عُمْرِ الوالد وولده ، بل قد يجلس الطالب وأستاذه في موضع التلقي سوياً ويكون الكتف إلى الكتف عند قدوم العلماء والوافدين على البلد ، ومما رسخ هذه الظاهرة أن مقدار العلم الذي يسعى الطالب إلى تحقيقه محدد بحسب رغبته هو ، فقد يحس أحدهم بالتشبع سريعاً بينما يرى زميله أن المراحل مازالت طويلة أمامه كي يجد هذه القناعة ، من هنا وجدنا في المصادر مَنْ طلب العلم لمدة سبع سنوات[١]، وآخرون لمدة أحد عشر عاماً[٢] ، وبعضهم أربعة عشر عاماً[٣] ، وأحياناً أربعين عاماً[٤] ، وقد سبقهم إلى ذلك الإمام عبدالله بن المبارك الذي أجاب على من سأله : إلى متى تطلب العلم ؟ بقوله : " حتى الممات إن شاء الله "[٥] ، وهو نهج رسخه الأثر المشهور " اطلب العلم من المهد إلى اللحد " .

(٥) قناعة المجتمع بوجوب التكفل بتوفير متطلبات التعليم :

نتج عما أشرنا إليه من اتخاذ المجتمع للعلماء وطلابهم قدوةً يتأسى بهم ويرى فيهم الأنموذج الذي يسير على منواله ، نتج عن ذلك سعيه نحو التكفل بتوفير متطلبات الدور التعليمي لهم ؛ وذلك لأنه – من جانب آخر – كان يرى في ذلك تحسيناً لخدمة يقومون بها نحو أفراده من الأجيال الصاعدة ، ولم يكن العلماء أبداً فئةً منعزلة عن المجتمع تتقوقع على نفسها ، وتتكفئ حول أداء

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٢٩ .

(2) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٩٧ .

(3) الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين** ، ج ١ ص ٣٧٦ ، بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ج ٢ ص ٣٠٠ .

(4) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٧٠٥ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ١٦٠ .

(5) ابن عبدالبر ، **جامع بيان العلم وفضله** ، ج ١ ص ٤٠٦ .

واجبها فقط ، بل إن أدوراها الاجتماعية كانت تجعلهم في موقع الصدارة بين القوى المؤثرة اجتماعياً ، حتى صدقت عليها أحياناً مقولة أن " الحكام ملوك على الناس والعلماء حكام على الملوك " ، وهو ما سنحاول تسليط الضوء عليه في الفصل القادم .

إننا عندما نتحدث عن قناعة تكفل المجتمع بتوفير متطلبات التعليم فنحن لا نقصد القناعة التي كانت شائعة بين كل شرائح المجتمع ، فالقناعة وحدها لا تكفي ما لم تكن القدرة المادية كافيةً للتحرك في ظلال هذه القناعة ، ومن هنا فإن الإشارة ستنحصر فقط في تلك الشرائح القادرة على إسقاط تلك القناعة وتطبيقها ، وكانت في المجتمع اليمني ممثلةً في الأئمة والسلاطين وأمرائهم ، وغيرهم من الميسورين كالتجار وغيرهم .

(٦) انتشار العلم كيفاً وانحساره كماً :

جوهر ما أود الوصول إليه هنا هو أن مفاهيم التعليم العام وشيوع التعليم وإلزاميته لم يكن لها ذكر على أرض الواقع ، بل لعله من غير المنطقي الحديث عن وجودها في العقلية القائمة عصرئذ ، وإن وجدت فصور بدائية منها فقط ممثلة في المرحلة الأولى من نظم التعليم التي كانت قائمة ، والمقصود بها المرحلة الأولى الخاصة بتعليم الصبيان الناشئة أبجديات العلوم، وبالتحديد القراءة والكتابة ، كما سنفصله ، ونستشف ذلك من خلال انتشار المعلامات في كثير من مناطق اليمن ، فلم توجد مدرسة تقريباً إلا وبها معلامة للأيتام ومعلم يعلمهم القرآن ، وهو بالأحرى أن يكون لغير الأيتام أوسع وأشمل ، أما المرحلة الثانية فقد كانت مقصورة على ذوي الهمم والقدرات العقلية العالية والإمكانات المادية الميسرة .

إن الظروف التي دفعت طلاب المرحلة الثانية إلى مواصلة تعليمهم أسهمت إلى حدٍ كبير في جعلهم علماء أفذاذ في الغالب ، فقد كان علمهم نوعياً في تعمقهم ، نوعياً في جديتهم ، نوعياً في شموليتهم له .

(٧) ارتفاع يد الحكام والأمراء عن التدخل السلبي في شؤون التعليم :

ما ظهر في التاريخ المعاصر من تحول التعليم وأنظمته إلى عملية سياسية بالدرجة الأولى ، يقوم الحاكم – سواءً كان فرداً أو حزباً أو سلطة متستبدة أو غير متستبدة – بصياغة كل أنظمته وأهدافه نحو تخريج كوادر

تحقق مطالبه وتوفر له القاعدة البشرية التي تقوم عليها سلطته ، هذا المفهوم المشوه كان منعدماً في أحقاب التاريخ المتقدمة في كل أقطار العالم الإسلامي عموماً ، اللهم إلا في حالات محددةٍ لا نستطيع أن نجعلها قاعدة تذكر كتلك التي سعى من ورائها السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي – رحمه الله – إلى اجتثاث جذور الفكر الإسماعيلي ومذهبه من مصر من خلال التشجيع على إنشاء المدراس ودفع العلماء إلى التعليم السني على المذهب الشافعي ، وهذا الأنموذج – وإن وجد غيره – لا يعد إلا الاستثناء الخارج عن القاعدة التي كان مفادها أن العلماء هم الجهة الوحيدة المخولة بتحديد ملامح النظام التعليمي ، وهم الذين يسمون مناهجه ومقرراته ، وذلك لم يكن مبنياً على تآمرٍ واتفاق مبرم منهم ، بل كان يسري مسرى الاتفاق التلقائي والتوارد للأفكار والخواطر والقناعات ، القائم على الإحساس بالحاجة ومصادر الإشباع منها ، وغيرها من صور التواصي وتتلمذ بعضهم على يد بعض .

وقد وردت الإشارة في عنوان هذه الفقرة إلى التدخل السلبي من قبل الحكام حتى يخرج عنها كل الجهود الإيجابية التي بذلها كثير من الحكام المسلمين عموماً بما فيهم حكام اليمن بهدف إعانة العلماء على أداء مهمتهم التعليمية ، كبناء المدارس والأربطة والخانقاوات ، ورصد الرواتب ووقف الضياع والأراضي الزراعية عليها ، وذلك لم يكن مشروطاً بتوجيه دفة العلم وأهدافه نحو وجهة معينة ، وعدم وجود أدنى إشارة إلى عكس ذلك في كل المصادر المتوافرة دليل انتفاء وجودها .

(٨) مجيئ التأثير المذهبي في الدرجة الثانية بقائمة القوى المؤثرة على النظام التعلمي بعد تأثير العلماء :

عدم ذكر هذه السمة والملمح المهم ضمن السمات العامة للأنظمة التعليمية عصرئذٍ يُفَسَّرُ بالتغافل المقصود عنه أو الجهل بمدى تأثيره ، فقد كانت الخلفية المذهبية حاضرة في ذهن الطالب وهو يعزم على الخروج مرتحلاً في طلب العلم ، وقد رأينا ذلك جلياً في الفصل الأول ، فكان طلاب العلم من أبناء الزيدية يُيَمِّمُون وجوههم نحو العراق وفارس حيث يوجد أعلامِ مذهبهم ، وكان العلماء يكثرون من تأليف الشروح للكتب المهمة التي تعمل على تدعيم أسس الفقه والفكر الذي يقوم عليه مذهبهم ، مثال ذلك أن علماء

الزيدية قد أكثروا جداً من شرح (كتاب الأزهار) في الفقه للإمام المهدي أحمد بن يحيي بن المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، حتى أن شروحه قد فاقت العشرين شرحاً واستدراكاً، وهو الأمر الذي قام به علماء السنة من الشافعية مع كتب الإمام أبي إسحاق الشيرازي ، وخاصة كتابه (التنبيه) كما سنرى في الفصول القادمة ، إضافةً إلى ذلك فإن الخلفية المذهبية كانت سبباً لدراسة مقررات إضافية تدرس هنا ولا تدرس هناك ، أو استبدال كتاب – في الموضوع نفسه – بآخر ، ومن أمثلة هذا التأثير أيضاً انصباب اهتمام علماء الصوفية بدراسة كتب الرقائق والمقررات التي تركز على الرياضة الروحية ، وتستهدف تزكية النفس والمجاهدات البدنية ، وتدعو إلى ممارسة حياة الزهد والتقشف ، وتكرس تقديس مقامات أعلامهم في صورةٍ – كانت أحياناً – تتجه إلى الاستهانة بالعقل واتخاذه أداةً للمعرفة(١) .

وهنا يجب الإشارة إلى أمر مهم آخر هو أنه لم يكن ثمة سُـلَّمٍ تعليمي واضح في الحياة العلمية القائمة عصرئذٍ ، وأن هذا الشأن كان شائعاً في مناطق وأقطار العالم الإسلامي قاطبةً ، فلم تشر المصادر المتوافرة إلى شيئ من ذلك بتاتاً ، وإن كان هناك ما يشبه الاتفاق الضمني لدى أفراد المجتمع عموماً والعلماء على وجه الخصوص على أن عمر الشخص وقدراته العقلية ومقدار ما حققه من العلم هو المحدد الرئيس لأمرين مهمين : أولهما : طبيعة ما يجب عليه تعلمه ، وثانيهما : المكان والمرفق التعليمي الذي يجب عليه التلقي فيه .

لم يكن من المنطقي القول بأن ما تحتاج إليه الناشئة من الصبيان هو عين ما يحتاجه من يفوقهم عمراً وعلماً ، وهو ما يبنى عليه اختلاف مكان تلقي الصبيان عن مكان تلقي العلم لأولئك الذين يسبقونهم عمراً وتحصيلاً ، وذلك يقود إلى اختلاف المقررات الدراسية وطـرق التعليم ووســائله، في تسلسل يوصلنا إلى القول بان هناك تمايز ووضوح بين مرحلتين متتابعتين من مراحـل التعليم ، إحداهما تقود إلى الأخرى، وكلا المرحـلتين لهما – ضمناً لا تصريحاً – أهدافهما وغاياتهما .

---

(١) د. توفيق الطويل ، من تراثنا العربي الإسلامي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويـت ، سلسلة عالم المعرفة رقم ٨٧ ، مارس ١٩٨٥م ، ص ١٦٠ – ١٦٣ .

(١) المرحلة الأولى (تعليم الصبيان)

من الضروري هنا استحضار ما تحدثنا عنه في الفصل السابق عن أماكن التعليم، وبالتحديد المعلامات (المكاتب) بأنواعها المختلفة ، فكل تلك المعلامات لم تنشأ إلا لتلبية حاجة المجتمع إلى تعليم الأطفال فيه ، ونحن هنا سنبذل ما أمكن من الجهد لتوضيح ما كان يدور في تلك المعلامات من أنشطة تعليمية وتربوية لنكمل ما تناولناه من الحديث عن وجودها كونها واحدة من أماكن التعليم .

ومن خلال ما تفصح عنه المصادر حول هذه المرحلة نستنتج أنها لم تحظ باهتمام المؤرخين وكُتّاب الطبقات ، فقد قلت الإشارة كثيراً إلى تفصيل ما دار فيها ، وكل ما تطرقت تلك المصادر إلى ذكره هو من قبيل الإشـــارة العرضية في ثنايا تراجم العلماء البارزين والحكام وأبناء الســـلاطين والأئمة .

❖ أهداف المرحلة الأولى :

يأتي في مقدمة أهداف هذه المرحلة إكساب الصبيان أبجديات العلوم اللازمة للعبادة من المناسك التعبدية اليومية كالقرآن الكريم ووكيفية أداء تلك العبادات وأحكامها الأساسية ، وذلك هو من صميم مهام الآباء في المجتمع ، فقد حرص الإسلام كثيراً على تنشئة الأبناء تنشأةً سليمة ، وجعل ذلك مما يؤاخذ عليه الآباء ويحاسبون عليه كحسابهم على مسؤولياتهم الأخرى .

وردت في السنة النبوية المطهرة كثيرٌ من النصوص الصحيحة التي تبين مدى خطورة تعليم الأبناء وجسامة المسؤولية الملقاة على عاتق غير القائمين بها ، منها الحديث الصحيح الذي أورده الإمام البخاري[١] عن النبي ﷺ القائل : " **كـــلكم راعٍ وكـــلكم مســـؤول عـــن رعيته** " وجاء التوجيه النبوي الضمني أكثر وضوحاً في الحديث الصـــحيح الآخر عند قوله ﷺ : " **ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه**

---

(١) **صحيح البخاري** ، ج ٢ ص ٨٤٨ ، رقم (٢٢٧٨) ، باب (العبد راع في مال سيده ... ، وفـــي ج ٢ ص ٩٠٢ رقم (٢٤١٩) ورقم (٢٤١٦) ، وهو عند مسلم ، **صحيح مـــسلم** ، ج ٣ ص ٤٥٩ ، رقـــم (١٨٢٩) ، باب (فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ...) .

يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ... "[1] ، ولعل من أهم وسائل حفاظ الآباء على سلامة فطرة أبناءهم تعليمهم مبادئ الإسلام وتحفيظم القرآن الكريم وأحكام العبادات الأساسية .

ومن الواضح أن المعلم في مرحلة التعليم الأولى كان نظره معلقاً بهدفين أساسيين ويبذل قصارى جهده لكي يبلغهما ويحققهما في من يقوم بتعليمهم من الصبية ، وهما :

- إعداد الصبي لكي يكون قادراً على مواجهة مهامه التعبدية والحياتية فور خروجه من مرحلة الدراسة في المعلامة .
- إكسابه المهارات اللازمة التي تؤهله إلى اقتحام المرحلة التالية بكل جدارة وجاهزية، معداً إياه لكي يكون في مستقبله في عداد العلماء العاملين والفاعلين في المجتمع .

ونستطيع أن نقول أن الغالبية العظمى من المعلمين في هذه المرحلة قد نجحوا إلى حدٍ كبير في تأهيل تلاميذهم ، وهو ما تعكسه كتب التاريخ من تناولها لعدد كبير من العلماء الأفذاذ الذين كانوا في الأساس من مخرجات هذه المرحلة الأساسية .

❖ أهم المقررات الدراسية في المرحلة الأولى :

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم وما ارتبطت به من العلوم اللصيقة به كالتجويد هي أهم المقررات في هذه المرحلة ، وليست الحاجة قائمة إلى البحث عن ما يدعم هذا القول في المصادر ، فمما لا شك فيه أن العلوم طيلة القرون الإسلامية الوسطى كانت تدور حول العلوم الشرعية في الأساس في المراحل الأولى ، فمن غير المعقول أن يغيب القرآن الكريم عن ذلك وهم منها بمنزلة القلب للجسد .

وقد وردت النصوص القرآنية والنبوية الحاثة على تعلم القرآن الكريم وتعليمه ، وأن ذلك من أهم القربات إلى الله تعالى ، فهو القائل جل وعلا : **وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ**

---

[1] مسلم ، **صحيح مسلم** ، ج ٤ ص ٢٠٤٧ ، رقم (٢٦٥٨) ، باب (معنى كل مولود يولد على الفطرة)، الإمام مالك ، **الموطأ** ، تحقيق بشار عواد معروف وآخر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٣م ، ج ١ ص ٥٧٥ ، كتاب (الجنائز) .

ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾[1] ، فقام النبي ﷺ به خير قيام ، وكان القرآن الكريم شغله الشاغل ، يعلمه ويدرسه ويبينه لأصحابه آيةً آيةً ، وسورةً سورة ، حتى إذا ما تعلموها وحفظوها وفهموا ما فيها طبقوا تعاليمها ، ثم انتقلوا إلى غـيرها مع قيامهم بتعليم ذلك لمن خـلفهم من أولادهم ومـن يعولونهم[2] .

كما أن فرضية التعليم في الإســلام وإلزاميته المتمثلة في قول النبي ﷺ : " **طلب العلم فريضة على كل مسلم** "[3] قد جعلت القرآن في مقدمة ما فُرض على المسلم تعلمه ، وهو مما يفهم بداهةً ، وهذا الفهم هو ما أدركه الصحابة عليهم رضوانه الله تعالى وتابعيهم ، وتناقلته الأجيال المسلمة عنهم جيلاً بعد جيل ، وعضدهم في ذلك تصريح النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بأن بعض طرق بلوغ الخيرية في الدنيا والآخرة مربوطة بتعليم القرآن الكريم ، **فهو القائل** : " **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** "[4] ، فكان اهتمام السلف بالقرآن الكريم واضحاً من خلال ما تورده المصادر عن أنهم كانوا يكثرون من تلاوته وتدبر آياته فكان بعضهم يختم تلاوته للمصحف كل شــهر مرة ، وبعضهم في كل عشــرة أيام وآخرون في كل ثلاثة أيام[5] ، ويكفي ما في ذلك من دلالة على تعلقهم به ، وذلك ما جعلهم يكرســون الكثير من وقتهم لتعليمه للناشئة من أبنائهم .

وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب تعليم القرآن الكريم للأبناء ما دام الأب ميسوراً ، وما لم يكن كذلك فإن الوجوب يقع على الأقارب الأدنى فمن يليه حتى تنتهي

---

(1) سورة النحل .

(2) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والســادس الهجــريين** ، ص ١٤٤ .

(3) ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، ج ١ ص ٨١ ، رقم (٢٢٤) ، باب (فضل العلماء والحث علــى طلــب العلم) .

(4) البخاري ، **صحيح البخاري** ، ج ٤ ص ١٩١٩ ، رقم (٤٧٣٩) ، باب (خيــركم مــن تعلــم القــرآن وعلمه)، ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، ج ١ ص ٧٧ ، رقم (٢١١) ، باب (فضل مــن تعلــم القــرآن وعلمه) ، الترمذي ، **سنن الترمذي** ، ص ٦٥٣ ، رقم (٢٩٠٧) ، باب (ما جاء في تعليم القرآن) .

(5) النووي ، **التبيان في آداب حملة القرآن** ، دار الكتب العلميــة ، بيــروت ، ط ١ ، ١٩٨٣م ، ص ٣٠ ، ٣١.

بالحاكم القائم بأمر الناس[1] ، وهو ما جعل تعليم القرآن الكريم وتحفيظه في اليمن كما هو في سائر أقطار العالم الإسلامي إلزامياً؛ لأن معرفة الصبي للقرآن يعني معرفته بالدين الإسلامي الذي ينير له الطريق في حياته ، فهو يبين له الحلال والحرام ، ووجباته نحو ربه ورسوله والمسلمين والمجتمع الذي يعيش فيه ، فإذا تمسك به إلى جانب شيئ من سنة المصطفى ﷺ عاش حياة مطمئنة بعيدةً عن الزيغ[2] ، وتمثل بالأثــر النبوي الخالد : " **تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله** "[3] .

مما زاد من أهمية تعلم القرآن الكريم وحفظه أنه كان أساساً للانتقال إلى المرحلة التالية من التعليم ، وقد رأينا في أئمة التابعين من اشترط حفظه لكي يقبل بتلقي التلميذ على يديه أمثال الإمام الأعشى الذي جاءه إليه أحدهم يقول له : حدثني ، فقال له: أتحفظ القرآن ؟؟ فلما كانت الإجابة سلبيةً قال له : اذهب فاحفظ القرآن ثم هلم أحدثك[4] ، ومنع آخرٌ ابنه من الاشتغال بالحديث وتعلمه إلا بعد قراءة القرآن[5] ، كما أن في تاريخ الأهدل[6] أن الفقيه أبا محمد عبدالله بن أبي بكر بن عمر الخطيب لما شب في قريته وقرأ القرآن خرج في طلب العلم ، فكان حفظ القرآن ودراسته سابقة لكل مهمة تحصيل علمي أخرى .

---

(1) القابسي ، **الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين** ضمن موسوعة الفكر التربوي العربي الإسلامي ، تحليل وتحقيق د. عبدالأمير شمس الدين ، الشركة العالمية للكتب ، بيـــروت ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخـــامس والسادس الهجريين** ، ص١٤٦ .

(2) د. رضوان أحمد الليث ، **الحياة العلمية في بلاد الشام** ، ص ١٣٢ .

(3) **الموطأ** ، ج ٢ ص ٨٩٩ ، رقم (٣) .

(4) الرامهرمزي ، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي** ، تحقيق د. محمد عجاج الخطيـــب ، دار الفكـــر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٤م ، ص ٢٠٣ .

(5) السبكي ، **طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق د. عبدالفتاح الحلو ، ود. محمود الطناحي ، مطبعـــة هجـــر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٩٢م ، ج ٣ ص ٣٢٥ ، عبدالرحمن أحمـــد المـــصنف ، **الحيـــاة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٣م ، ص ٦٣ .

(6) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ص ٣٥٦ ، الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ١٨٠ .

وقد كانت هذه الأعراف التعليمية هي نفسها السائدة في اليمن في مختلف حقبها في العصر الإسلامي بما فيه مدة دراستنا هذه ، فلم يكن يتصدر الفرد للتلقي في العلوم الأخرى إلا بعد إكماله حفظ القرآن وتعلمه ، من ذلك أن الإمام الحافظ أبو عبدالله عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) لم يرحل من قريته إلى زبيد للانطلاق في فضاء العلوم والتلقي على كبار علمائها إلا بعد أن حفظ القرآن[١]، ولم يتعلم الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٧م) شيئاً من العلوم إلا بعد أن حفظ القرآن الكريم وجوده[٢] ، وكان القرآن الكريم هو أول ما قام الإمام المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي (ت٨٧٩هـ /١٤٧٤م) بتعليمه لابن السجان الذي عينه الإمام المنصور بالله الناصر بن محمد (ت٨٦٧هـ / ١٤٦٢م) عليه[٣] .

وقد كان اهتمام اليمنيين بالقرآن الكريم واضحاً ، تعكسه إشارات المصادر التي اوردناها في الفصل السابق بأن المدراس كلها ضمت ضمن قوام هيئة التدريس بها معلماً للقرآن الكريم ، وأيتاماً يتعلمون القرآن على يديه ، كما أنشأ الإمام الهادي عزالدين بن الحسن (ت٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) في هجرة فللة مدرستين : إحداهما لتعليم القرآن الكريم وعلومه[٤] ، وهي دلالةً صريحة بمدى اهتمام اليمنيين بتعليم القرآن الكريم كأحد المقررات الأساسية لتعليم الناشئة .

يأتي تعلم الفرائض التعبدية في المرتبة الثانية من المقررات التعليمية في المرحلة التعليم الأولى في اليمن ، وقد أشرنا إلى أن من أهمية تعلم القرآن الكريم أنه أساس المشاعر التعبدية اليومية الأساسية المتمثلة في الصلاة والتلاوة ، وكان الاهتمام بتعليم هذه الفرائض محط العناية لدى اليمنيين، رئيسهم ومرؤوسهم ، تأتي الإشارة في قصيدة للإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) التي خاطب بها الإمام الزيدي المنصور علي بن الناصر صلاح الدين (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) وهو

---

(1) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٤ ص ٣٢٥ .

(2) المرتضى ، **كنز الحكماء وروضة العلماء** ، ق ٥٨أ ، د. محمد محمد الكمالي ، **الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي** ، ص ٧٢ .

(3) يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٧٦ .

(4) الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٣ ص ١٦٢١ ، الشرفي ، **اللآلي المضيئة** ، ص ٥٠٩ .

ما زال صبياً يحثه فيها على تعلم ما اصطلح الناس على تعلمه في هذه المرحلة ، فذكر حفظ القرآن الكريم واستظهاره غيباً ، وكانت الفرائض[1] في قائمة ما أوصاه بتحري تعلمها قبل مرحلة البلوغ ، تقول الأبيات :

يا ابنَ الإمامِ ومَنْ أعــزَّ بسيفِه
دِيــنَ النبيِّ وشــادَه وحماهُ
كُنْ حَيثُما يهــوى أبــوكَ فإنه
يهواكَ أن تهوى الذي يهواهُ
وتغيّــبِ القــرآن نقــلاً ثابتاً
ولقد فعــلتَ وذاكَ ما تهــواهُ
وخُــذِ الفــرائضَ أولاً بكمالِها
قبلَ البلوغِ وقبلَ طيبِ جناهُ[2]

ومن قبله أوصى الأمير نصير الدين أبي الطامي جياش بن نجاح (ت٤٩٨هـ/ ١١٠٤م) – حاكم زبيد – مؤدب ولده بأن يهتم بتعليمه الصلوات وما يتعلق بها ، إذ يقول في رسالة إليه عندما سلمه إياه : " ... وروّضه بالصلوات في أوقاتها ؛ ليتمرن على أداء مفترضاتها ، وعلمه إسباغ الوضوء من ابتدائها إلى انتهائها ... "[3] .

أما المقرر الثالث في المرحلة التعليم الأولى فهو الخط والكتابة ، ولا يخفى أهمية تعلم الكتابة في الحياة لدى المجتمعات الإسلامية ، فهي وإن لم تكن مطلوبةً لذاتها فهي أساس وجسر مهم لنقل العلوم الأخرى ، فنحن نعرف أن حفظ القرآن للناشئة لا يقتضي معرفتهم التامة للقراءة ، فالحفظ والاسترجاع هما القدراتان العقليتان اللتان يحتاج إليهما الصبي ، وبالتالي يجب أن يكون للكتابة والخط نصيب في المساحة المنهجية في هذه المرحلة[4] ، وتعلم الخط يعني أنه قادم في الخطوة التالية لتعلم الكتابة نفسها ، فهما

---

(1) أرجح هنا أن المقصود بالفرائض هو الفروض التعبدية وليس الفرائض المصطلح الشائع في تصنيف العلوم والذي كان يشار به إلى علم المواريث .

(2) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(3) الجَندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(4) د. محمد عبده السروري ، **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة** ، ص ٥٤٥ .

مكملان لبعضهما ، وإن كنا لم نهتدِ إلى أشارة صريحة بذلك في مدة دراستنا إلا أننا يمكننا الاستضاءة بإشارة سابقة في تلك الرسالة التربوية التي أرسلها الأمير نصير الدين أبي الطامي جياش بن نجاح السابق ذكره إلى مؤدب ولده حين سلمه إليه يقول فيها : " ... وإذا أراد الكتابة فشق قلمه ، وصور له وضع الخط بمثال التصوير في مواضعه ، وعلمه الفرق بين الواوات والقافات ، وعلمه ثلث المختلفات ؛ ليسلم له سلوك الصنعة من الآفات ، ولا تقبل من دواته إلا الإصلاح ، ومن أقلامه غير العُقَدِ الصحاح ... "[1] ، ونحن نستطيع أن نقول إن ما يكلف به المؤدب هو مطابق إلى حدٍ كبير ما يضطلع به معلم الصبيان في المعلامة ، وإن كان هناك من فرق فهو في ما يحتاجه أبناء الأمراء والسلاطين من أساسيات إضافيةٍ لازمةٍ لما هو متوقع لهم من تحمل مهام الحكم والإدارة .

وتأتي الإشارة الثانية[2] إلى كون تعليم الخط والكتابة أحد مقررات مرحلة التعليم الأولى في اليمن في مدة الدراسة لدى أحد المؤرخين المعاصرين هو الإمام إسماعيل المقرئ[3] (٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) في أبيات شعرية يمدح فيها ابن أحد السلاطين ويصف نشاط الصبي في تلقي مبادئ الكتابة والخط وحفظ القرآن الكريم ، تعرض فيها إلى ذكر بعض ما هو متوقع من الصبي إنجازه في المعلامة ، ومنها تهجئة الحروف الكتابة على اللوح ، يقول فيها هذا المؤرخ الشاعر :

فَيَهْنَا ابن إسماعيلَ أن محمداً	تربع في كُتَّابِه ضاحكاً سناً
إذا قال : بسم الله ، قالت له العلا	عليك من الأسما وأسماءه الحسنى
ولما ابتدى يهجو الحروفَ تطاولت	رقاب المعالي نحوه وصغت أذناً
تعوذه بالله وهو يخطها	ويحفظها لفظاً ويفهمها معنى
إذا خطها في اللوح لاحتْ مخائلٌ	بها عنه يثني عن قريبٍ بما يُثنا

---

(1) الجَندي ، السلوك ، ج ٢ ص ٥٠٧ .

(2) قدمت الإشارة السابقة عليها مع تقدمها عن مدة الدراسة لصراحة الإشارة فيها وتفصيل ما أراده الأب من مؤدب ولده في هذا الجانب .

(3) ديوان المقرئ، ص ٢٣٣ .

ولا ندري هل كان الوضع في اليمن شبيهاً بما وصفه ابن جبير[١] - في رحلته الشهيرة - لما رآه فيما سماه بالبلاد المشرقية من أن معلم الخط رجل متخصص لا علاقة له بتعليم شيئ آخر غيره، فهو يقول : " وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد المشرقية كلها إنما هو تلقين ، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها تنزيهاً لكتاب الله تعالى عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو ، وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حده والمكتب على حده ، فينفصل من التلقين إلى التكتيب " وهذا القول شبيه جداً بما قاله ابن بطوطة[٢] أيضاً عما رآه في بلاد الشام ، فهو يقول : " معلم الخط غير معلم القرآن ، يعلمهم بكتب الأشعار وسواها ، ولا يكتبون القرآن على اللواح تنزيهاً له ، فينصرف الصبي من التعليم إلى التكتيب ، وبذلك جاد خطه ؛ **لأن معلم الخط لا يعلم غيره** " ، وقريباً من ذلك ذكر الإمام ابن خلدون[٣] .

وتأتي علوم اللغة العربية الأساسية – كالنحو والصرف والشعر وما يرتبط به من بيان ومعانٍ – من أهم المقررات الرئيسية في هذه المرحلة التعليمية ، لأنها تمثل قاعدة الفهم الواسع لكل ما يمكن للصبي بعد ذلك قراءته ومطالعته في الكتب ، بل إن إتقانها تعد من العوامل المساعدة لفهم القرآن الكريم نفسه واستيعابه ، ومن أمثلة ذلك ما ورد في سيرة الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) فإنه بدأ - فور انتهائه من حفظ القرآن الكريم - في تعلم اللغة العربية على يد أخيه الهادي وأخته الدهماء (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ، وقضى سبع سنوات في صباه في دراسة النحو والصرف والمعاني والبيان حتى فاق أقرانه واشتهر بينهم[٤] ، والإشارة إلى الأقران هنا دليل أن تميز الإمام المهدي لم يقده إلى دراسة ما لا يدرسه غيره في هذه المرحلة .

---

(1) **رحلة ابن جبير** ، تحقيق د. حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ٣٤٢ .

(2) **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** ، دار الشروق العربي ، حلب ، (د ، ت) ، ج ١ ص ٧١ .

(3) **المقدمة** ، دار الجيل ، بيروت ، (د ، ت) ، ص ٥٩٥ .

(4) المرتضى ، **كنز الحكماء وروضة العلماء** ، ق ٥٨أ ، د. محمد محمد الكمالي ، **الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي** ، ص ٧٢ .

❖ **الطرق والوسائل المستخدمة في المرحلة الأولى للتعليم :**

التعامل مع تلاميذ هذه المرحلة التعليمية يستلزم معاملةً خاصةً لا تشبه تلك التي يستخدمها المعلمون مع الطلاب البالغين ، فالمعلم في هذه المرحلة معنيٌّ بتحبيب المعلامة ومجمل الأنشطة التعليمية إلى التلميذ ، فهو – إن أساء التصرف بالشدة مثلاً – قد يجعل الصبي ينفر نفوراً تاماً من التعليم مع احتمال كونه مؤهلاً من ناحية القدرات العقلية والإمكانات المادية لبلوغ مكانة العلماء الأفذاذ ، فيكون المعلم بذلك قد حرم الأمة منه ومن جهوده ، كما أنه بصبره وتشجيعه للصبي يمكنه أن يفجر منه طاقات كامنة لم يشعر بها أبواه ، فيستحث منه كل مَلَكَه ، ويبعث فيه كل موهبة ، من هنا قال السابقون من ذوي الخبرة والاطلاع على أحوال المعلمين والمتعلمين أنه " ليس كل من تَعَلَّمَ يُحْسِنُ أن يُعَلِّمَ "[1] وهي عبارة تملك رصيداً عالياً من الصدق والدقة في وصف العلماء مع العملية التعليمية .

ومن المؤسف له أننا لم نجد في المصادر المتوافرة لهذه الحقبة التاريخية – القرنين التاسع والعاشر الهجريين – من الإشارات والمعلومات ما يكفي لرسم صورة الطرق التدريسية والوسائل المستخدمة من قبل المعلمين في اليمن ، لكننا في ظلال معرفتنا بأن الملامح الإجمالية للعملية التعليمية في العالم الإسلامي عموماً كانت متشابهة إلى حدٍ كبير من ناحية المناهج والأساليب والطرق التدريسية والوسائل المستخدمة ، بل وتشابها إلى درجة التطابق في القطر الواحد من حقبة تاريخية إلى أخرى ، من خلال استحضارنا لهذا الفهم نستطيع أن نستعين ببعض النصوص التي وردت في هذا الشأن في مصادر تناولت مراحل تاريخية سابقة للمدة الزمنية التي نتناولها .

لدينا هنا نصان تربويان مهمان يعودان إلى القرن الخامس الهجري لاثنين من رجال اليمن الكبار ، أولهما للأمـــير نصير الدين أبي الطامي جياش بن نجاح (ت٤٩٨هـ / ١١٠٤م) – حاكم زبيد – وهو النص ذاته الذي اقتبسنا أجزاء منه في الصفحات السابقة ، والنص كُتب بمناسبة تسليمه لابنه إلى المؤدب الذي اختير له ، والنص بكامله هو كالآتي : " الأمانة ديانةٌ ، تَحْرُمُ فيها الخيانة ، والمرء مُرْتَهنٌ بعمله لِمَــقَادِه ، فإن رَاعى فَمَرْعِيٌّ ، وإنْ أضـــاعَ فَمَجْزِيٌّ ، وقــد رأيت انتدابك ... فكن –

---

(1) اللَّحجي ، طبقات مُسْلِم اللَّحْجي ، ج ٤ ص ٢٥١ .

أيدك الله – عند ظني بك ، إني آتيتك بضعةً مني ...فذهبتُ إلى نوط الأمانة بك ، والحازم يوصي بالمال من قِبَلهُ ، وأنا أوصيك بمن اكتسبتُ المالَ له ، فاستصفيتُك ، فاصف ذهنك بوصايتي ، واستكفيتك فيما أثرتك به عن كفايتي ، فخذه بالتعبيس والابتسام ، وعلمه وقار القعود وعدل القيام ، ولا تُسْـئِمْه بطول المكث بين يديك ، ولا ترخي له في الإبطاء إن استأذنك ، ورَوِّضه بالصلوات في أوقاتها ؛ ليتمرن على أداء مفترضاتها ، وعلمه إسباغ الوضوء من ابتدائها إلى انتهائها ، وإذا أراد الكتابة فَسَوِّ قلمه ، وصور له وضع الخط بمثال التصوير في مواضعه ، وعلمه الفرق بين الواوات والقافات ، وعلمه ثلث المختلفات ؛ ليسلم له سلوك الصنعة من الآفات ، ولا تقبل من دواته إلا الإصلاح ، ومن أقلامه غير العُقَدِ الصحاح ، وعلمه كتاب الله ، فإنه الحبل المتين ، ولا ترخص له في نسيانه ، فإنه الخسران المبين ، وعلمه قراءة أبي عمرو ، فإنها أشهر القراءات في البدو والحضر ، واختر له مذهب الشافعي الشيخ محمد بن إدريس – رحمة الله عليه – فإذا بلغني فيه المأمول جزيتك الحسنى بمشيئة الله ، والله يبلغنا وإياك ، ويسعد عقبانا وعقباك ، والسلام الجزيل على المؤدب الجليل ورحمة الله وبركاته "[1] ، وأما النص الثاني فلأنه ورد في مخطوطة قديمة فقد طُمست بعض عباراته ، وبعضها كان من المتعذر قراءتها ، وهو في أصله وصية من الشيخ علي بن حرب أحد أشهر رجال الفرقة الزيدية المُطَرَّفِيَّة – التي ذكرناها في الفصل الأول – وجهها إلى معلمٍ أرسل إليه ابن أخته أحمد بن القاسم الربعي الذي أصبح بعد ذلك ممن لهم ذكر في الوسط العلمي في اليمن في القرن الخامس الهجري ، ومما تمكنا من قراءته من الوصية ما يلي : " إني قد أتيتك بغلام عاقل ، فلا ترده إلي مجنوناً ، إياك أن تفزعه بحيث يستشعر الخوف منك فيُشَرِّدُهُ خوفك، فإنك متى فعلت ذلك لم آمن أن تعلمه .... ، أو تعوده فلا يأمن أن يكون ..... ، اغتنم أوقات نشاطه وإقباله .... إليك، ولا تقع بحالات ضيقه وفتوره ، ولا تغلظ عليه عند ملامه "[2] .

للنصين السابقين أهمية بالغة تكمن فيما تضمناه من إشارة إلى جوانب من متعلقات العملية التعليمية ، فأنا أرى أنهما من الوثائق التربوية التاريخية اليمنية التي تسترعي الانتباه وتستدعي التوقف عندهما ، ولا سيما الأول منهما فقد تضمن إشارةً

---

(1) الجَنَدي ، السلوك ، ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(2) اللُحجي ، طبقات مُسَلِّم اللُحْجِي ، ج ٤ ص ٩٥ .

واضحة إلى بعض جوانب المحتوى الدراسي والمقررات التي كانت معتمدةً آنذاك في مرحلة التعليم الأولى ، فلا أظن كاتبه فيه إلا مقرراً لما كان متعارفاً عليه لا مقترحاً لجديد ، وهو ما دفعنا للاستشهاد به في الصفحات السابقة ، كما أن في النصين كليهما دلالة عظيمة على مدى وعي صفوة المجتمع بأهمية أن يدرك المعلم في المرحلة الأولى من التعليم طبائع تلاميذه من الصبيان ، وما يجب عليه مراعاته سواءً من ناحية أساليب التعامل الثنائي أو طرق التدريس وأساليبه وأدواته .

نخلص مما سبق إلى أن المعلمين في المرحلة الأولى من التعليم – سواءً كانوا معلمين في معلامات أو مؤدبين خصوصيين – كانوا منتهجين أساليب تقتضي اتصافهم بالصبر على التعليم وسعة الصدر وقوة التحمل ، فهم ملزمين بجانبين مهمين :

- **الأول من ناحية أساليب التعامل مع الصبيان :**

الموازنة بين التعبيس والابتسام ، وتحسس مواطن فاعلية الأول ونجاعة الثاني ، وعدم حمل الصبي على الشعور بالملل سواءً بطول المكوث مستمعاً دون تحفيز أو برتابة أسلوب التعليم والطريقة التدريسية ، وتخير أوقات نشاطه وإقباله واستعداده الذهني للتلقي ، وتجنب تدريسه في ساعات فتوره وتضايقة ، وتجنب الغلظة في ملامته ، إضافةً إلى عدم التهاون معه إذا قصر فيما كلف به ، وعدم التهاون لا يقتضي الشدة التي تصل به إلى حد الفزع من المعلم بما يغرس في نفسه الخوف منه ، فمهابة الصبي للمعلم لا تتأتى بتخويفه الذي قد يؤدي إلى شروده من التعليم وتسربه من المعلامة .

- **الثاني من ناحية طرق التدريس :**

المعلم مطالب بأن يبتعد عن استخدام الرموز اللفظية المجردة ، والقيام بكتابة ما يدعو الصبيان إلى تعلمه وحفظه لكي يستحضروه ويسهل عليهم تخيله وتصوره أثناء المذاكرة خارج المعلامة ، وخاصة فيما يستدعي ذلك من العلوم كتدريس الخط والكتابة ، بل إنه مطالب بتفقد أدوات الطالب كالقلم أو ما يستخدمه في ذلك ، وعليه تسوية ما يحتاج إلى تسوية من تلك الأدوات ، كما أن عليه التركيز على إيضاح المتشابهات والتركيز على الفروق بينها بما يساعدهم على التمييز، كالفرق بين " الواوات والقافات " على حد تعبير النص الأول .

وعلى العموم فقد كان المعلمون في اليمن – كغيرها – يبذلون كثيراً من الجهود لتحقيق أقصى درجات التحصيل للصبيان الذي يقومون بتعليمهم ، وقد قضى كثير من المعلمين عقوداً طويلة في التدريس ، ووجدت الإشارات المتعددة في المصادر إلى أولئك الذين ماتوا وهم مازالوا ممارسين لمهنة التعليم[١] ، وتحملوا مشاق تعليم الصبية، وهذا يعزز قناعتنا بأن استشعارهم الأجر المرتبط بهذا العمل كان يفوق كثيراً ذلك الحافز المادي الذي كان يمنح لهم أحياناً ، فقد وصف بعضهم بأنه : " كان صبوراً على تعليم الأحداث والعوام والمبتدئين ... "[٢] كما وصف آخر بأنه : " كان لطيف التأني للمتعلم ، حسن الخلق ... وإذا قعد لا يستحل أن يُحَدِّثَ أحداً ولا يقوم لحاجةٍ ... يمتحن المتعلم محنة بعد أخرى حتى يثق لحفظه لما يتعلم ثقةً صحيحةً "[٣] ، ومعلم آخر " كان يحسن التأديب أو التأدب والترتيب والتدبير في تعليم القرآن وتخريج الصبيان ، ودخل عليه قوم من بلد آخر فأعجبهم طريقته وسرتهم سيرته ؛ فسألوه أن يصحبهم إلى مساكنهم ويؤدب لهم أولادهم ، فأبى عليهم ، واعتذر إليهم في ذلك "[٤] ، فالمعلمين الذين يتحلون بهذه الصفات من الأمانة والحرص لا شك في بلوغهم ما يرمون إليه من النجاح في تحقيق صبيانهم أقصى درجات التحصيل العلمي[٥] .

وإذا ركزنا الحديث عن طرق التدريس المستخدمة آنذاك في هذه المرحلة فإننا سنجد أن طريقة التلقين هي أم الطرق عموماً ، وهو ما كان شائعاً في جميع أقطار العالم لإسلامي عموماً طيلة فترات تاريخية طويلة ، خاصة أن الصبي في هذه المرحلة ليس له من القدرة على الفهم ما تمكنه من هضم هذه العلوم التي تعطى له كلها ، فإننا سنكون مبالغين عندما نتخيل أن الصبيان كانوا يدرسون علوم القرآن الكريم واللغة والفقه وغيرها من العلوم عن فهم ودراية ، وهو ما صرح به ابن جبير واصفاً التعليم في المشرق الإسلامي عموماً ، فهو يقول : " وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(2) يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ١٠٣ .

(3) اللُّخجي ، **طبقات مُسلِّم اللَّحجي** ، ج ٤ ص ٣١٩ ، ٣٢٠ .

(4) **المصدر السابق** ، ج ٤ ص ٢١٥ .

(5) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ١٤٩.

المشرقية كلها إنما هو تلقين "[1] ، بل إن انطباعه هذا جعله يسمي المعلم في المعلامة – المكتب – ملقناً بدلاً عن صفته المشهور بها ، فهو يقول : " وقد يكون في أكثر البلاد الملقن على حده والمُكتِبُ على حده "[2] ، وللمعلمين والمؤدبين العذر في ذلك فالقدرة على الحفظ والاستذكار هي القدرة الشائعة لدى الصبيان ، وهي من الملكات التي تتضح قبل غيرها لدى الإنسان عموماً ، واستغلالها في حفظ المتون الشاملة لبعض العلوم هو استغلال للقدرات قبل فواتها .

❖ أدوات التعليم :

إن الحديث عن أدوات للتعليم فيه شيئ كثير من المجاز ، فهي عبارة عن بعض الألواح الخشبية البالغة البساطة والخالية من التعقيد ، مع بعض القطع الصغيرة من أشجار معينة ، وبعض أشكال من الكلس والحبر يستخدم للكتابة .

كان اللوح الخشبي قائماً كواحدةٍ من أدوات التعلم التي صاحبت طلاب العلم سواءً في مرحلة التعليم الأولى أو الثانية منذ وقت مبكر من العصر الإسلامي[3] ، وقد ورد ذكره في إشارات محددة في المصادر المعاصرة للمدة الدراسة ، والعجيب أنه ذكر كأداة يستخدمها أبناء السلاطين وغيرهم من عامة الناس ، ولا أدري هل كان هناك تشابه بين ذلك اللوحين ، أم أن التشابه كان محصوراً في المسمى فقط ، يذكر المؤرخ الإمام الطيب بن عبدالله باخرمة[4] أن أباه الإمام عبدالله بن أحمد بن علي بن أحمد بامخرمة (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) كان ذكياً منذ صباه وأنه قال : " لما عرضت لوحي على المعلم في سورة الأعراف قرأت ﴿ **قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَسَاءَ** ﴾[5] بالسين المهملة وفتح الهمزة الأخيرة من الإساءة ، فرده عليه ﴿ من أشاء ﴾ بالشين المعجمة وضم الهمزة الأخيرة ، من المشيئة ، فوافق ذلك ما اتفق لإمامنا الشافعي رحمه الله في صباه عند حفظه لهذه الآية " ، فاللوح مذكور هنا صراحة أنه كان مستخدماً في دراسة

---

(1) ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص ٣٤٢ .

(2) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(3) شوقي درهم عبدالله الفضلي ، **الحياة العلمية في إقليم جبلة خلال عهد الصليحيين** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة أسيوط ، ٢٠٠٥م ، ص ١٠٥ .

(4) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج٣ ص ٧٨٢ .

(5) الآية رقم : ١٥٦ .

القرآن وحفظه ، ومن قبله ذكر الإمام إسماعيل المقرئ[1] (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) اللوح كأداة لتعليم القرآن – وغيره – في أبياته الشعرية التي تناول فيها دخول الأمير محمد بن السلطان الناصر أحمد الرسولي المعلامة ، إذ يقول :

ولما ابتدى يهجو الحروفَ تطاولت

رقاب المعالي نحوه وصَغَتْ أذناً

تعوذه بالله وهو يخطها

ويحفظها لفظاً ويفهمها معنى

إذا خطها في اللوح لاحتْ مخائلٌ

بها عنه ينثي عن قريبٍ بما يُثنا

وبالإضافة إلى اللوح يأتي ذكر القلم كأداة من الأدوات المستخدمة ، وقد مررنا على ذكره في نص الأمير جياش بن نجاح السابق ، ولعل الورق لم يكن مستخدماً في هذه المرحلة التعليمية لأنه لم يكن من الوفرة بحيث يستخدم بكميات كثيرة ، فقد وردت الإشارة في القرون السابقة لمدة دراستنا أن بعض العلماء كانوا يستقدمون الورق من مكة ، وكان الورق المعروف آنذاك هو الورق المصري والورق البغدادي[2] .

❖ **الجدول الدراسي اليومي في المرحلة التعليمية الأولى :**

من الصعوبة الجزم بجدول دراسي يومي محدد وثابت للتعليم في المعلامات في اليمن في زمن الدراسة أو قبلها ، والسبب أن المؤرخين المعاصرين لم يولوا هذا الجانب أي اهتمام ، ولم يتعرض أحدهم لذكره صراحةً ، ولعلهم لم يروا فيه ما هو جدير بالذكر لبداهته واتفاق الناس عليه بصورة محددة ، كما أنهم لم يتعرضوا للإشار إليه حتى عَرَضاً في تراجم العلماء المعلمين .

---

[1] ديوان المقرئ، ص ٢٣٣ .

[2] الجَنَدي ، السلوك ، ج ١ ص ٣٢٢ .

(٢) المرحلة الثانية :

نقصد بالمرحلة الثانية تلك المرحلة التي يبلغ الطالب فيها من العمر ما يخرجه عن وصف الصبي جسداً وتفكيراً ، وبالتالي فأماكن التعليم التي تناولناها في الفصل الثالث جميعها – عدا ما ذكرنا أنه كان مخصصاً للصبيان – هي المرافق التي تلقى فيها البالغون من الطلاب كل العلوم السائدة آنذاك ، وفيها تخرج أعلام اليمن ورموز الفكر الإسلامي والعربي فيه .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مخرجات المعلامات كلها من كبار الصبيان – وهم في أعداد كبيرة – لم يكـونوا قادرين على التوجه نحـو أماكن التعليم الخاصة بالمرحلة التالية – المرحلة الثانية – للتلقي على أيدي كبار العلماء ، وكان التسرب كبيراً في هذه الفئة ، والأسباب في ذلك متعددة ومختلفة ، فهناك من كانت القدرات العقلية لديه لا تؤهله إلى المواصلة كبطئ الفهم وضعف الذاكرة ، ومنهم من كانت قدراته الجسدية – من الضعف والمرض – دافعاً للاكتفاء بما حصله في المرحلة الأولى، وكانت القدرات المادية والإمكانات المالية لوالدي الطالب من أهم أسباب التسرب والعزوف عن المواصلة ، فهناك من كان الفقر يدفع آبائهم إلى منعهم من التوجه إلى أماكن التعليم إما لتعذر القدرة على دفع ما يمكن أن نسميها أجور المعلمين – في حال وجودها – وإما للاحتياج الكبير إليهم في الاشتغال بحِرَفِ الآباء ومهنهم كالزراعة مثلاً[١] ، والسبب الأخير هو الذي منع ثلةً من الطلاب المبرزين الذين توفرت لهم معظم مقومات الاستمرار في الدراسة والتحصيل ، وإن كانت همم بعضهم وعزائمهم تحيل هذا العائق الكبير إلى سلم للرقي العلمي وطريق لتنوع التحصيل العلمي ، ومن هؤلاء الإمام محمد بن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) ، فقد كان في بداية أمره تاجراً ، تحتم عليه تجارته الانتقال من مكان إلى مكان ، إلا أن حبه للعلم قاده إلى الجمع بين الغايتين ، غاية التاجر في كسب المال وغاية الطالب في تحصيل العلوم ، فكان لا يفوته درس في مكان ينزل به " دخل الحبشة ، ودخل كثيراً من بلاد اليمن ... إذا وفد قريةً فيها قراءة حضر معهم ... "[٢].

---

(1) المقرائي ، مكنون السر في تحرير نحارير السر ، ص ٢٠ من مقدمة المحقق .

(2) ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الصغرى ، ج١ ، ص ١١٠٨ ، ١١٠٩ .

وأجد من الضروري هنا التذكير بما سبقت الإشارة إليه في السمات العامة للأنظمة التعليمية في مدة الدراسة ، وأقصد به عدم وجود سقفٍ زمنيٍّ محددٍ لطلب العلم، فهذه المرحلة التعليمية هي المقصودة بتلك السمة ، فقد أشرنا هناك إلى أن بعض طلبة العلم قد يشعر بالتشبع سريعاً بينما يرى زميله أن المراحل مازالت طويلة أمامه كي يجد هذه القناعة ، من هنا وجدنا في المصادر مَنْ طلب العلم لمدة سبع سنوات[1]، وآخرون لمدة أحد عشر عاماً[2] ، وبعضهم أربعة عشر عاماً[3] ، وأحياناً أربعين عاماً[4] ، وقد سبقهم إلى ذلك الإمام عبدالله بن المبارك الذي أجاب على من سأله : إلى متى تطلب العلم ؟ بقوله : " حتى الممات إن شاء الله "[5].

❖ **الأهداف :**

لن يكون الحديث عن أهداف المرحلة التعليمية الثانية هنا بمعزلٍ عما سبقت الإشارة إليه من سمات النظام التعليمي عصرئذٍ وأهداف المرحلة التعليمية الأولى ، فقد كان هناك أهدافاً معينةً شائعة اصطلح عليها مجتمع العلماء في بلاد الإسلام عموماً بما فيها اليمن ، ويمكننا أن نصف هذه الأهداف ضمن فئتين هما : أهداف رسمت في مخيلة العلماء المعلمين توخوا تحقيقها في طلابهم ، وأهداف أخرى كانت عالقةً في ذهن الطلاب المتعلمين أنفسهم ، وقد تظافرت هذه الأهداف كلها لتشكل دوافع كافية تحفز طرفي العملية التعليمية لبذل الجهد لبلوغها .

١. أهداف العلماء المعلمين :

مما لا شك فيه أن الرغبة في نيل الأجر الكبير الذي قضى الله سبحانه وتعالى به للعلماء كان أول الأهداف التي بذلوا من أجلها جهودهم التدريسية الكبيرة ، فالنصوص القرآنية والنبوية المرغبة في ذلك الأجر والمنذرة بعقوبة التقاعس عن أداء واجب تبليغ العلم كانت ماثلة أمامهم تدفعهم إلى بذله لغيرهم

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٢٩ .

(2) المصدر السابق ، ج١ ص ٣٩٧ .

(3) الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج ١ ص ٣٧٦ ، بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ج ٢ ص ٣٠٠ .

(4) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٧٠٥ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ١٦٠ .

(5) ابن عبدالبر ، **جامع بيان العلم وفضله** ، ص 115 .

بكل ما توافر لهم من إمكانيات ذاتية ومادية ، من أمثلة ذلك قول الله تعالى : **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾**[1] ، ومنها قول النبي ﷺ : " **نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ثم بلغها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع ...** "[2] وقوله ﷺ : " **من تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا ، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة ...** "[3] ، وقد توجهت همة العلماء المعلمين إلى العناية بطلابهم منذ بداية التلقي على أيديهم إعداداً وتهذيباً وتأديباً ، وصقلاً لنفوسهم ومواهبهم ، ودفعاً للنفس للأخذ بمعالي الأمور والترفع عن سفاسفها ، فشمل الإعداد الروح والعقل معاً ، فكانت أولى أهداف العلماء ومقاصدهم وأرفعها شأناً إصلاح نية طلابهم وتوجيه قلوبهم إلى التجرد في طلبهم للعلم وإخلاص قصدهم فيها لله تعالى وحده لا شريك له ، وتنقية نفوسهم – قدر الاستطاعة – من حظوظها البشرية والأعراض الدنيوية كطلب الجاه والمنصب[4] .

وكان لدى بعض العلماء من الأهداف ما ينصب نحو نصرة المذهب الفقهي والفكري الذي يتبعه ، ولم تكن هذه الشريحة بالواسعة ، ولكنها وجدت في اليمن بسبب التعدد المذهبي القائم فيها ، ولعل هذا الهدف هو الذي حمل أحد علماء زبيد ليتصدى لأحد السلاطين الرسوليين القدامى يلومه أن بنى للشافعية

---

(1) سورة آل عمران .

(2) الحاكم ، **المستدرك على الصحيحين** ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ، ط ١ ، ١٩٩٠م، ج ١ ص ١٦٢ ، رقم (٢٩٤) ، كتاب (العلم) ، الترمذي ، **سنن الترمذي** ، ج ٥ ص ٣٤ ، رقم (٢٦٥٧) ، باب (ما جاء في الحث على تبليغ السماع) ، ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، ج ١ ص ٨٤ ، رقم (٢٣٠) .

(3) ابن ماجه ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٩٢ ، رقم (٢٥٢) ، باب (الانتفاع بالعلم والعمل به) ، الحاكم ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ١٦٠ ، رقم (٢٨٨) و (٢٨٩) ، كتاب (العلم) .

(4) د.أحمد محمد نور سيف ، **من أدب المحدثين في التربية والتعليم** ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ص ٢٣ .

مدرسةً ولم يبنِ للحنفية مدرسةً مثلها[1] ، وذلك لا يتناقض مع ما ذكرناه في السمات للأنظمة التعليمية في التمهيد لهذا الفصل ، فما ذكر هناك هو القاعدة ، وما نورده هنا هو الاستثناء .

ولا نغفل هنا أن العلماء كانوا ينشدون من طلابهم أن يكونوا قادرين على خلافتهم سواءً في مواطن التدريس والفتوى أو في مناصبهم الرسمية التي كانوا يتقلدونها مثل مناصب القضاء ودواوين الإنشاء أو التأديب لأبناء الخاصة كالسلاطين وحاشياتهم ، وفي ذلك قيام بواجب سد الثغرات التي لا ينبغي لغير ذوي العلم والصلاح توليها ، وهو هدف ذو شقين : شق منه مرتبط بالدافع الديني المشار إليه ، وشق يندرج تحت ما يمكن أن نسميه رد الجميل لرجال الدولة والسلاطين في مقدمتهم الذين أنشأوا المدارس وغيرها من مرافق التعليم الأخرى وبالغوا في رعايتها ، ورد الجميل هنا يتمثل في إعداد الكوادر الكافية المؤهلة للقيام بوظائف الدولة المختلفة ، لذلك رأينا أنهم كانوا يوصون بالمبرزين من طلابهم لتعيينهم في المناصب المناسبة لقدراتهم[2] .

ويأتي في قائمة أهداف العلماء من التصدي للتعليم في المرحلة الثانية أيضاً الإسهام الاجتماعي بنشر الأخلاق الفاضلة وبتعزيز أركان الشريعة بنشر علومها بين أفراد مجتمعاتهم، والسعي إلى رفع مستوى الوعي الاجتماعي بمكانة العلم وأهله وضرورة التكفل بتوفير أساسياته ، وهو ما يتضح من أن المتصدين للتعليم كانوا من أهل القدوة الحسنة لغرس الأخلاق الفاضلة في نفوس طلابهم[3] ، وكانت الصفة الغالبة في المصادر التاريخية لمن عُرِفَ بالتدريس هو الفقه والصلاح والعلم المرتبط بالعمل الخير .

---

(1) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ص ٥١ .

(2) كما كان يفعل القاضي محمد بن أسعد العنسي قاضي عدن ، انظر بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ١٥٦ .

(3) د. فاروق أحمد مجاهد ، **التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين** ، ص ٧٢.

٢. أهداف الطلاب المتعلمين أنفسهم :

أما أهداف ودوافع ندب الطلاب أنفسهم لمواصلة التحصيل العلمي التي يجب أن نتصدر الحديث بها هو – كما سبق الحديث عن معلميهم – ابتغاء الأجر الكبير من الله سبحانه وتعالى، فقد علموا مبلغ النذير الذي يواجهه من سعى في طلب العلم لأغراض عاجلة دنيوية، منها قوله ﷺ : " **من تعلم علماً مما يُبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضاً من الدنيا ، لم يجد عَرْفَ الجنة يوم القيامة** ... "[١] ، وكذلك الحديث الصحيح الآخر الذي ورد فيه عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : " **إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه** – وذكر الشهيد – **ثم قال : ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأُتيَ به فَعَرَّفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم، وقرأت القرآن ليقال : هو قارئ** "[٢] .

وهذا الجانب لا يجعلنا ننظر بمثالية مفرطة في أولئك الرجال ، فهم كغيرهم بشر تتنابهم الأهواء وتتنازعهم الغرائز المُحببة في المناصب والشهرة ، وتتدافعهم المطالب الدنيوية والحياتية والحاجة إلى تلمس سبل العيش الرغيد ، فكان فيهم من يعلق في ذهنه شيئ من وهن العزيمة وضعف الإيمان فيرسخ في باله شيئ من التطلع إلى تحقيق المكسب السياسي الدنيوي، كالبحث عن مناصب رسمية أو استكمال شروط إمامة وما في فلكها[٣] ، فقد كان شرط بلوغ رتبة الاجتهاد أحد أهم شروط الإمامة الكبرى لدى الزيدية ، كما كان أيضاً شرطاً تولي بعض المناصب كالقضاء الأكبر لدى غيرهم من أهل السنة ، وهذه الحالات لا تعمم ، ولكن وجودها لا ينكر .

وكان في الطلاب فئة كبيرة لم تجد نفسها إلا في طلب العلم والسعي وراء تحصيله ، وتناهوا في تحمل المشاق التي واجهتهم في سبيله ، من بُعْدِ مكان

---

(1) سبق تخريجه في الصفحة السابقة .

(2) **مسند الإمام أحمد** ، ج ٢ ص ٣٢١ ، رقم (٨٢٦٠) ، الحاكم ، **المستدرك على الصحيحين**، ج ١ ص ١٨٩ ، (٣٦٤).

(3) شوقي درهم الفضلي ، **الحياة العلمية في إقليم جبلة خلال عهد الصليحيين** ، ص ١٠٨ .

التلقي ، وقلة ذات اليد ، والأخبار الاجتماعية والأسرية المشتتة للذهن ، وغيرها من الصعاب ، فرفض بعضهم الاطلاع على كل ما يرده من الرسائل من بلاده حرصاً على ألا يجد فيها من الأخبار ما يكدر صفوه ويضيق بها صدره فيعيق نشاطه في التلقي والتحصيل ، وكان يجمعها عنده حتى إذا ما أحس بأنه قد قضى مأربه من العلم فتحها فوجد في بعضها (ماتت أمك) ، وفي بعضها ما يناسب ذلك مما يضيق به الصدر ، فقال : " لو كنت قرأتها قطعتني عما كنت فيه من التحصيل "(١) ، وحصر آخر – هو يحيى بن عمران بن ثوب اليافعي اليماني – اللذة في شيئين فقط ، هما : طلب العلم والعبادة ، وعبر عن ذلك شعراً فقال :

شَيْئَانِ أَحْلَى مِنْ عِنَاقِ الخُرَّدِ
وأَلَذُّ مِنْ شُرْبِ القُرَاحِ الأَسْوَدِ
وأَجَلُّ مِنْ رُتَبِ المُلوكِ ، عَلَيْهِمُ
وَشْيُ الحَرِيرِ مُطَرَّزاً بالعَسْجَدِ
سُوْدُ الدَّفَاتِرِ أَنْ أَكُوْنَ نَدِيمَها
طُوْلُ النَّهارِ ، وبَرْدُ ظِلِّ المَسْجِدِ
فإذا هُمَا اجتَمَعَا لِشَخْصٍ فَارِغٍ
عَنْ كُلِّ هَمٍّ نَالَ أَبْعَدَ مَقْصَدِ
وعَلا المَفَاخِرَ كُلَّهَا مُتَرَفِّعَاً
وحَوَى المَحَامِدَ في الحَيَاةِ وفِي غَدِ(٢)

وحصر ثالث – هو العلامة الإمام جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحُبَيْشي (ت٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) – لذة الحياة في طلب العلم ، ونقل قناعته إلى ولده شعراً كأنه يحثه على اتباع الأثر ، يقول :

ما لَذَّةُ الخلقِ في الدنيا جميعِهِمُ ولا الملوكِ وأهلِ اللهوِ والطرَبِ

---

(1) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، ج ٤ ص ٣٨٨ – ٣٩٠ .

(2) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٣٧١ .

كَلَذّتي في طِلابِ العلمِ يا ولدي   فالعلمُ معتمدي حقاً ومُكْتَسبي[1]

وهذا هو الفقيه بدر الدين حسن بن علي بن عبدالرحمن الملحاني (ت٨٢٠هـ ١٤١٧م) ينشئ قصيدة يحث فيها ابنه أحمد على العلم والتحصيل ويوصيه بالتعلم وعدم التواني فيه ، وفيها تعبير واضح على مدى ارتفاع منحنى الدافعية الذاتية لدى هذا الفقيه إبان مرحلتي الدراسة والتلقي ، وهي التي أهلته ليصبح واحداً في عداد أعيان علماء اليمن في عصره ، يقول في مطلع قصيدته:

ألا لَيْتَ شِعْرِيَ يا أحمدُ
إذا فاتَكَ العِلْمُ هَلْ تَسْعَدُ
وهَلْ يُفْصَلُ الحُكْمُ في مَحْفَلٍ
إذا أنتَ في الدَّسْتِ مُسْتَرْشِدُ
فإني جَهِدْتُ لَيالِيْ الشَّبا
بِ ومَنْ عَشِقَ العِلْمَ قَد يَجْهدُ
نَهارِيَ في العِلْمِ مُسْتَعْمَلٌ
وفي الليلِ جَفْنِيَ لا يَرْقُدُ
وفي العِلْمِ عِــزٌ لأهلِ التُقى
وجَــاهٌ يُقاسُ بِهِ العَسْجَدُ[2]

❖ المقررات الدراسية :

كانت المقررات الدراسية في المرحلة التعليمية الثانية كثيرة العدد ، متنوعة التخصصات ، وبالتالي فالحديث عنها واسع ومتشعب ، وقد دخل في تحديدها عوامل عديدة ، من أهم تلك العوامل : اجتهاد علماء الإسلام السابقين وأعلام العلوم في القرون الأولى ، فقد كان تحديد بعض هذه المقررات متوارثاً من العالم المعلم السابق إلى خليفته من طلابه ، سواءً كانا من بلدٍ أو قُطْرٍ واحدٍ أو كانا من قطرين مختلفين ، كما كان للاتجاه الفكري للعالم المعلم دوره في السعي إلى إضافة مقررات أخرى يرى هو ضرورتها ، وينظر إليها على أنها جسر يكرس من خلاله رؤاه في طلابه وينقلها إليهم

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩ .

(2) المصدر السابق ، ص ٤٤ .

عبرها ، أو تكون بمثابة المُـمَهِّـد لما يود طرحه عليهم من أفكار واجتهادات خاصة ، كما يأتي العامل المذهبي في قائمة أهم العوامل المحددة للمقررات الدراسية ، وفيما يتعلق ببعض العلوم الشرعية الفقهية والأصولية بالتحديد لارتباطها بمنظومة الأساسيات الأولى التي كانت قاعدة نشوء هذه المذاهب نفسها ، فالملموس أن ثمة قاعدة كانت شائعةً مفادها أن طلبة العلم في المناطق الحنفية لن يبدأوا بدراسة الفقه بغير بمنظار الإمام أبي حنيفة وأبرز رجال مذهبه ، وهو ما ينطبق على أتباع مذهب الإمام الشافعي أو المذهب الزيدي ، أو أولئك الذي يصنفون ضمن مريدي الطرق الصوفية ومن دار في فلكها .

تأتي مقررات أصول الدين وعلم الكلام في المرتبة الثانية بعد المقررات الفقهية التي دخل العامل المذهبي في تحديدها ، فقد كان هناك فوراق كبيرة بين أتباع المذاهب المختلفة في اليمن في هذا العلم ، وهذه الاختلافات هي التي أسهمت في نشوء هذه المذاهب أكثر من مما أسهمت به الاختلافات الفقهية ، ويتضح هذا الأمر بجلاء ووضوح بالغ بين أتباع المذاهب السنية وأتباع المذاهب الشيعية ، والزيدية على وجه الخصوص[١] ، لأن الأخير كان متبنياً عقائد المعتزلة إلى حد الاقتراب من التطابق ، وهو ما جعل أحد أبرز رجال الفكر الزيدي في اليمن – الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) – يقول : " إنهما[٢] فرقة واحدة في التحقيق ... "[٣] ، ولما تعرض في أحد كتبه لذكر علماء الزيدية والعلماء المعتزلة قدم علماء المعتزلة على علماء مذهبه معللاً ذلك بقوله : " لأنهم مشائخ ساداتنا وعلمائنا القادات ... "[٤] ، وموقف أهل السنة من عقيدة المعتزلة معروف ، وقد كان أساساً لصراعات فكرية سابقة ومبكرة ، وكان فيها من مواطن الجدل ما أُلِّفَتْ فيه كثيرٌ من الكتب ، لذلك كان سعي رجال المذاهب المختلفة في اليمن جلياً لترسيخ أصول الدين لدى طلابهم من خلال تسمية المقررات التي تحقق ذلك .

---

(1) سنستثني الحديث عن الإسماعيلية لتعذر الحصول على شيئ من مصادرها.

(2) الضمير هنا عائد على الزيدية والمعتزلة.

(3) المقبلي ، **العَـلَمُ الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ** ، عناية القاضي عبدالرحمن بن يحيـى الإرياني ، مكتبة البيان ، دمشق ، ١٩٨١م ، ص ١١.

(4) **المصدر السابق** ، ص ١٢ .

تبقى نقاط الاتفاق بين معظم العلماء المعلمين في اليمن في مدة الدراسة وما قبلها في ترتيب دراسة المقررات بحسب الأهمية ، فكانت علوم القرآن – مثل التفسير وأسباب النزول والقراءات – والفقه وأصوله والحديث والنحو والصرف وعلوم اللغة والفرائض وأصول الدين ، كانت هذه المقررات تأتي في المقدمة ، ويلي هذه العلوم علوماً أخرى غالباً ما تكون مرتبطةً ببعض العلوم السابقة ، مثل الحساب والجبر والمقابلة والمساحة ، وهي مرتبطة بالفقه والفرائض – أي المواريث – بروابط متينة ، وفي ذيل قائمة المقررات تأتي تلك التي تشبه ما يطلق عليه الآن في المناهج المعاصرة بالمقررات الاختيارية كالطب والفلك والعلوم الطبيعية الأخرى .

سنستعرض هنا أهم عناوين الكتب وأشهرها التي ورودت في تراجم الأعلام من علماء اليمن ، وما ذُكِرَ في نصوص بعض الإجازات العلمية التي حصلنا عليها ، ونحن إذ نسردها فإننا نستطيع أن نعدها بمثابة الجريدة الشاملة للمقررات الدراسية التي لم يخرج عنها ما تم دراسته في اليمن في مدة دراستنا – إلا ما ندر ولم تصل إيدينا إليه – وكثرتها الواضحة لا تقتضي أبداً فَهْمَ إجبارية دراستها كلها ، ولا تقتضي – أيضاً – أن هذه العناوين كانت من التناظر والتكافؤ مع بعضها في الأهمية لدى العلماء والمتعلمين، فما اعتبره هذا العالم بالغ الأهمية قد يعده قرينه – من أهل بلده أو من غيرها – غير مهماً بذلك القدر ، فإلى عناوين المقررات :

أولاً : علوم القرآن :

(١) **النشر في القراءات العشر** للإمام محمد بن محمد الجزري .

(٢) **التيسير في القراءات** للإمام أبي عمر الداني .

(٣) **منظومة طيبة النشر في القراءات العشر** للإمام محمد بن محمد الجزري .

(٤) **منظومة الشاطبية في القراءات** للإمام الشاطبي .

(٥) **الثمرات في تفسير الآيات** للقاضي يوسف بن أحمد بن عثمان الثُّلائي الزيدي .

(٦) **تفسير الواحدي** للإمام أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي.

(٧) **تفسير البيضاوي** .

(٨) **تفسير البغوي** .

(٩) **تفسير النقاش** .

(١٠) **تفسير مفاتيح الغيب** للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي .

(١١) **تأويل القرآن** للسلمي .

(١٢) **الكشاف عن حقائق التنزيل** لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

(١٣) **البرهان في تفسير القرآن** للإمام أبي الفتح الديلمي .

(١٤) **عقود العقيان في الناسخ والمنسوخ من القرآن** للإمام محمد بن المطهر الزيدي .

(١٥) **البيان في الناسخ والمنسوخ من القرآن** للقاضي العلامة عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي النجم الزيدي .

ثانياً مقررات الفقه :

(١) **التجريد في فقه الإمامين الهادي والقاسم** في فقه الزيدية .

(٢) **الانتصار الجامع لمذاهب علماء الأمصار** للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الزيدي .

(٣) **مختصر المزني** في فقه الشافعية للإمام المزني تلميذ الإمام الشافعي .

(٤) **المهذب** للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي .

(٥) **التنبيه** للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي .

(٦) **المجموع الكبير في** فقه الزيدية للإمام زيد بن علي من تُنسب إليه الزيدية .

(٧) **الوجيز** لحجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي .

(٨) **الوسيط** لحجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي .

(٩) **البسيط** لحجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الشافعي .

(١٠) **البيان** للإمام يحيى بن أبي الخير بن سالم العِمْراني الشافعي.

(١١) **البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي** للعلامة يحيى بن أحمد بن مظفر الزيدي .

(١٢) **منهاج الطالبين** للإمام شرف الدين يحيى بن زكريا النووي الشافعي .

(١٣) **الحاوي الصغير** للإمام القزويني الشافعي .

(١٤) **إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي** للإمام شرف الدين إسماعيل المقرئ الشافعي .

(١٥) **الأزهار في فقه الأئمة الأطهار** للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الزيدي .

(١٦) **الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار** للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الزيدي .

(١٧) **العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب** للإمام القاضي أحمد بن عمر بن محمد المُزَجِّد الشافعي .

(١٨) **العزيز** للإمام الرافعي الشافعي .

(١٩) **روضة الطالبين وعمدة المفتين الشهير بـ(الروضة)** للإمام شرف الدين يحيى بن زكريا النووي الشافعي .

(٢٠) **المهمات على الروضة** لجمال الدين محمد بن عبدالرحيم الإسنوي الشافعي .

(٢١) **الكفاية في تحصين الرواية** للإمام الحسين بن عبدالرحمن الأهدل الشافعي .

(٢٢) **معين أهل التقوى على التدريس والفتوى** للإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن أسعد الأصبحي اليماني الشافعي .

ثالثاً مقررات أصول الفقه :

(١) **اللمع** للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الشافعي.

(٢) **معيار العقول في علم الأصول** للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الزيدي .

(٣) **منهاج الوصول إلى تحقيق معيار العقول في علم الأصول** للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى الزيدي.

(٤) **منظومة البرماوية** وتسمى (**النبذة الألفية في الأصول الفقهية**) للإمام محمد بن عبدالدائم بن موسى البرماوي الشافعي .

(٥) **صفوة الاختيار** للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة بن سليمان الزيدي.

(٦) **العقود اللؤلؤية** للإمام إبراهيم بن محمد بن عبدالله الوزير الزيدي .

(٧) **العقد** للفقيه يحيى بن حسن بن موسى القرشي الصَعْدي الزيدي .

رابعاً : مقررات الحديث وعلومه :

(١) **صحيح الجامع** للإمام محمد بن إسماعيل البخاري .

(٢) **صحيح مسلم** للإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .

(٣) **صحيح الجامع** للإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .

(٤) **سنن النسائي .**

(٥) **سنن أبي داود .**

(٦) **سنن ابن ماجه .**

(٧) **موطأ الإمام مالك .**

(٨) **مسند الإمام زيد بن علي .**

(٩) **شفاء الأوام في أحاديث الأحكام** للأمير الحسين بن بدر الدين بن أحمد بن يحيى الزيدي .

(١٠) **أصول الأحكام** للإمام المتوكل أحمد بن سليمان الزيدي .

(١١) **ألفية العراقي** في أصول الحديث للحافظ عبدالرحيم بن الحسين بن عبدالرحمن العراقي .

(١٢) **أمالي أحمد بن عيسى** للإمام أحمد بن عيسى الزيدي العلوي .

(١٣) **أمالي أبي طالب** للإمام أبي طالب الزيدي .

(١٤) **أمالي المؤيد بالله** للإمام الزيدي .

(١٥) **علوم الحديث** للإمام ابن الصلاح .

(١٦) **جامع المختصرات .**

(١٧) **جامع الأصول في أحاديث الرسول** للإمام المبارك بن محمد الشهير بابن الأثير .

(١٨) **تيسير الوصول إلى جامع الأصول** للإمام عبدالرحمن بن الديبع الشيباني .

(١٩) **الأربعين النووية** للإمام شرف الدين يحيى بن زكريا النووي .

(٢٠) **الأربعين السليقية وشرحها** للإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة الحسني الزيدي .

خامساً : مقررات النحو وعلوم اللغة:

(١) **مختصر الحسن بن أبي عُباد في النحو** للحسن بن إسحاق بن أبي عُباد .

(٢) **مختصر إبراهيم ابن أبي عباد في النحو** إبراهيم بن إسحاق بن أبي عُباد .

(٣) **الجمل الكبرى** لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي .

(٤) **الكافي** لأبي جعفر أحمد بن محمد بن الصفار .

(٥) **الكافية** لابن الحاجب .

(٦) **اللمع في النحو** لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي .

(٧) **مقدمة ابن بابشاذ** لأبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري .

(٨) **ملحة الإعراب ونخبة الآداب** لجمال الدين القاسم بن علي بن محمد الحريري .

(٩) **المفصل في صناعة الإعراب** لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري .

(١٠) **الكشاف عن حقائق التنزيل** لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

(١١) **الغاية والمثال في العروض** للفقيه محمد بن الحسن الصمعي .

(١٢) **عنوان الشرف الوافي** للإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ .

(١٣) **ألفية ابن مالك** في النحو للإمام محمد بن عبدالله بن مالك الطائي .

(١٤) **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** في النحو للإمام عبدالله بن يوسف بن هشام المصري .

(١٥) **ضياء الحلوم** للعلامة محمد بن نشوان الحِمْيَري .

(١٦) **التلخيص** في المعاني والبيان للقزويني.

سادساً : مقررات أصول الدين وعلم الكلام :

(١) **الحروف السبعة في علم الكلام والرد على المعتزلة** للإمام الحسين بن جعفر بن محمد المراغي المصري الشافعي .

(٢) **التبصرة** للإمام أبي الفتوح .

(٣) **الانتصار على القدرية الأشرار** للإمام يحيى بن أبي الخير العِمْراني الشافعي.

(٤) **الشريعة** للآجري .

(٥) **كشف الغطاء في عقائد التوحيد والموحدين** للإمام الحسين بن عبدالرحمن الأهدل .

(٦) **التجويد في معرفة معاني التوحيد .**

(٧) **منتهى السول والأمل في علمي الأصول والجدل** لابن الحاجب .

(٨) **مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم** للعلامة أحمد بن الحسن الرصاص الزيدي .

(٩) **الخلاصة النافعة بالأدلة القاطعة** للعلامة أحمد بن الحسن الرصاص الزيدي.

(١٠) **درة الغواص نظم خلاصة الرصاص** للإمام الهادي بن إبراهيم الوزير الزيدي .

(١١) **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم** للإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير.

(١٢) **المعراج شرح المنهاج** للإمام الهادي عزالدين بن الحسن بن الهادي المؤيدي الزيدي .

سابعاً : مقررات السنة النبوية وما في حكمها :

(١) **الأذكار من كلام سيد الأبرار** للإمام شرف الدين يحيى بن زكريا النووي .

(٢) **رياض الصالحين** للإمام شرف الدين يحيى بن زكريا النووي .

(٣) **الحصن الحصين** للإمام محمد بن محمد الجزري .

(٤) **عدة الحصن الحصين** للإمام محمد بن محمد الجزري وهو شرح للسابق .

ثامناً : السيرة والتاريخ والأنساب :

(١) سيرة **ابن هشام** للإمام عبدالملك بن هشام المعافري .

(٢) **عيون الأثر في المغازي والسير** للإمام محمد بن محمد بن سيد الناس

(٣) **بهجة المحافل وبغية الأماثل في السير والمعجزات والشمائل** للإمام الحافظ يحيى أبي بكر بن محمد العامري الشافعي .

(٤) **السلوك في طبقات العلماء والملوك** للإمام محمد بن يوسف بن يعقوب بن حسين الجَنَدي.

(٥) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** للإمام المؤرخ الحسين بن عبدالرحمن الأهدل .

(٦) **الإفادة في تاريخ الأئمة السادة** للإمام يحيى بن الحسين الهاروني الزيدي .

(٧) **الفوائد في زيارة المشاهد** للفقيه صفي الدين أحمد بن أبي بكر البُرَيْهي .

(٨) **تاريخ الرسل والملوك** للإمام محمد بن جرير الطبري .

(٩) **مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار** للعلامة محمد بن علي بن يونس الزحيف الزيدي .

(١٠) **الحدائق الوردية في ذكر أئمة الزيدية** للعلامة حميد بن أحمد بن محمد المحلي الزيدي .

تاسعاً : علوم الصوفية والرقائق :

(١) **الرسالة القشيرية** للإمام عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن أبي طلحة القشيري .

(٢) **إحياء علوم الدين** لحجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي .

(٣) **عوارف المعارف** للإمام السهروردي .

(٤) **بداية الهداية** لحجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي .

(٥) **شرح أسماء الله الحسنى** لحجة الإسلام الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي .

(٦) **المعرفة** للحارث ين أسد المحاسبي .

(٧) **سلافة العارف في شرح عوارف المعارف** للشيخ محمد بن محمد بن علي الكاشغري .

(٨) **اللطائف** للإمام ابن عطاء الله السكندري .

(٩) **اللطائف واجتلاء عويص المعارف** للشيخ طلحة بن عيسى بن إبراهيم الهِتَّار .

(١٠) **روض الرياحين في حكايات الصالحين** للإمام عبدالله بن أسعد اليافعي .

(١١) **التذكرة** للإمام القرطبي .

(١٢) **نشر المحاسن** للإمام عبدالله بن أسعد اليافعي .

(١٣) **المائتي حكاية في مناقب العيدروس الأكبر** عبدالرحمن بن محمد بن الخطيب الشافعي.

عاشراً : مقررات أخرى :

(١) **الكافي في الفرائض** للإمام إسحاق بن يوسف بن يعقوب الصردفي الشافعي.

(٢) **اللامع في الفرائض** للعلامة العصيفري الزيدي .

(٣) **الوافي في الفرائض** للإمام الحسن بن أبي البقاء بن صالح التهامي الزيدي .

(٤) **الجـــبر** للإمام محمد بن موسى الخوارزمي .

(٥) **شرح مختصر الخـوارزمي في الجـبر والمقابلة** للعلامة أحمد بن عمر بن هاشم المزيحفي الزبيدي .

(٦) **منظومة المزيحفية** للعلامة أحمد بن عمر بن هاشم المزيحفي الزبيدي .

(٧) **البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأنصار** للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى .

(٨) **شرح نهج البلاغة** لابن أبي الحديد .

(٩) **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي المالكي.

❖ أنظمة التدريس :

الحديث عن نظم التدريس هنا فيه استعارة للفظة قد تحمل مدلولاً أكبر مما هو مقصود ، وجاء استخدامها في هذه الدراسة من منطلق اصطلاح الباحثين في مجال التاريخ الحضاري والعلمي الإسلامي عليها ، وكذلك الباحثين في الدراسات التربوية والفكر التربوي التاريخي ، ولعل الأحرى بنا هنا استخدام مصطلح (أساليب التدريس) كونه يشير إلى معنى محدد ودائرة أضيق تتمثل في الأساليب والطرق التي استخدمها المعلمون لنقل ما راموا نقله إلى طلابهم من المفاهيم والقيم والمعارف .

وفي هذه الناحية أيضاً نعيد الإقرار بالاستعانة بنصوص وردت في المصادر اليمنية عن الحياة العلمية في اليمن في أحقاب تاريخية سابقة للقرنين التاسع والعاشر الهجريين ، وذلك كون المصادر الخاصة بالدراسة في القرنين المذكورين لم تولِ هذه الجوانب اهتماماً كثيراً قياساً مع تلك الأقدم منها .

وقد كان التشابه كبيراً في أنظمة التدريس التي استخدمها اليمنيون وتلك التي استخدمت في المناطق الأخرى من العالم الإسلامي ، وتعكس الدراسات الحديثة عن الحياة العلمية في بلاد الشام والعراق والحجاز والمغرب هذا التشابه ، فهي في مجملها تجمع على أن نظم الحلقات الدراسية والمناظرات والمذاكرة والمجالس العلمية من سماع وقراءة وفتوى ووعظ وغيرها هي التي كانت شائعةً ومعمولاً بها في كثير من تلك المناطق إن لم نقل فيها كلها .

- **<u>أولاً : نظام الحلقات الدراسية</u>** :

جاء اسمها من شكلها حيث يتحلق الطلاب حول شيخهم الذي يستند إلى أحد سواري المسجد غالباً أو إلى أحد جوانب المنبر ، فيجلس في موضع يمكنه منه رؤية الجميع وتبادل السماع بينه وبينهم ، ويحدد حجم الحلقات التدريسية عدد الطلاب المنضمين إليها ، فالعلاقة بين حجم الحلقة وعدد الطلاب علاقةٌ طردية ، إذ كلما كبر عدد الطلاب كبر حجم الحلقة والعكس بالعكس ، والعامل المؤثر في كثرة الطلاب في الحلقة الواحدة أمور عدة ، منها : مدى أهمية العلم الذي يدرس فيها ، وكونها مفتوحةً أمام كل وارد أو انحصارها في الفئة المنتظمة باستمرار ، وكذلك مدى قبول المعلم فيها لكل قادم مهما كانت الخلفية الاجتماعية التي جاء منها ، وتشكل السمعة العلمية وشهرة المعلم عاملاً كبيراً في تحدد عدد الطلاب في الحلقات التدريسية ، ومما لا شك فيه أن مساحة المسجد لها أثرها الكبير في حجم الحلقة ، فتلك الحلقات المنعقدة في المساجد الكبرى كالجامع الكبير في صنعاء أو مسجد الجَنَد ستكون أكبر من مثيلاتها المنعقد فيما دون هذه المساجد مساحةً وشهرة .

هذا النظام هو أقدم ما استخدم في التدريس والتعليم في تاريخ الإسلام ، إذ تعود إبدايات استخدامه إلى العهد النبوي ، فقد كان النبي ﷺ يستخدمه في تربية أصحابه وتعليمهم امور دينهم ، وخاصةً بعد الهجرة النبوية ، وقد شهد مسجده المبارك كثيراً من حلَقِ التدريس على مدار عشر سنوات تقريباً هي مجمل ما عاشه النبي ﷺ في المدينة المنورة ، وتنوعت أغراض الحلقات العلمية في العهد النبوي ، فكان منها ما هو لتعليم

القرآن الكريم والمناسك التعبدية والسنن ، وكان منها ما هو للذكر[1] ، وكان النبي ﷺ يحث على ارتياد تلك الحلقات ويدعو إلى الجلوس فيها[2] ، منها قوله ﷺ : " **إذا مررتم برياض الجنة فارتعــوا ، قيل وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : حِلَقُ الذكر**"[3].

ولنظام الحلقة التدريسية دور كبير في انتقال علم الصحابة عليهم رضوان الله تعالى في القرن الهجري الأول عند انتشارهم في الأمصار ، فقد ساروا على نهج النبي ﷺ في عقدها بصورة دائمة ، واستمرت هذه الحلقات في الانعقاد على أيدي العلماء جيلاً بعد جيل حتى زمن الدراسة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، بل إن كثيراً مما سنستعرضه من أنظمة التدريس الأخرى كالمجالس كانت تتخذ شكل الحلقة ، وما دفع الباحثين إلى تمييزها عنها هو طبيعة الطرح ومصدره فيها ، حيث كان العالم المعلم فيها يكتفي بدور السامع المراقب للأداء ، في حين أنه في الحلقة التدريسية هو محور النشاط وبقية الحضور سلبيون مستمعون فقط .

الحلقات التدريسية مرتبطة بشخص العالم الذي يلقي العلم فيها ، لذلك قد تنفض بسفره أو موته ما لم يكن هناك من يخلفه من أقرانه أو طلابه ، وقد رأينا أن حلقة الفقيه زيد بن عبدالله اليفاعي (ت بعد ٥١٣هـ / ١١١٩م) استمرت طويلاً في مسجد الجند، وكان بين يديه فيها ثلاثمائة طالب ، ثم انه ارتحل عنها إلى الحجاز مدة طويلة فتفرق تلاميذه إلى نواحٍ شتى من اليمن ، ولم يخلفه أحدٌ من تلاميذه عليها ، فلما عاد من سفره عادت إلى الانتظام مرةً أخرى[4] ، وفي القرن التاسع الهجري روى الإمام المؤرخ الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ / 1451م) أن شيخه الإمام علي بن أبي بكر الأزرق سئل : من سيكون بعدك في مقامك في العلم ؟ فقال : فلان ، لأقل العبيد ،

---

(1) ابن قدامة ، **مختصر منهاج القاصـــدين** ، دار المنـــار ، القـــاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٥م ، ص ١٩ ، ٥٣ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص١٧٢ ، ١٧٣ .

(2) ابن عبدالبر ، **جامع بيان العلم وفضله** ، ج ١ ص ٦١ .

(3) الترمذي ، **سنن الترمذي** ، ج ٥ ص ٥٣٢ ، رقم (٣٥١٠) ، ورقم (٣٥٠٩) ، **مسند الإمام أحمد** ، ج ٣ ص ١٥٠ ، رقم (١٢٥٤٥) .

(4) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٤٩٧ .

يصف الأهدل نفسه[1] ، إذاً فالعلماء الذين لم يتخيروا من طلابهم من يخلفهم من تلاميذهم كانت تتعرض حلقاتهم التدريسية للانقطاع ، وأما أولئك الذين كانوا يحملون هم دوامها فقد كان اختيار الخليفة لهم من بعدهم أحد همومهم .

وقد ارتبط وجود الحلقات التدريسية بكل مراكز التعليم في اليمن المنتشرة في معظم أنحائها ، وكانت أحد روافد الحياة العلمية في اليمن بالعلماء والمدرسين ، ويبدو أن المساجد في الغالب كانت أفضل الأماكن لانعقادها ، وبالتالي نستطيع القول بأنها انتشرت في عموم المدن اليمنية كالجند وزبيد وصنعاء وعدن وتريم والشحر وصعدة وغيرها[2] .

ومن أشهر الحلقات التدريسية التي استمرت مدة طويلة متمحورة حول منشئها ما أوردته بعض المصادر التاريخية في تراجم بعض علماء اليمن في مدة الدراسة ، مثل حلقة الإمام العلامة جمال الدين محمد بن أبي القاسم الضراسي (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) الذي كان محققاً مدققاً في علوم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة وفروعها وكذلك الطب والتشريح ، وقصد حلقته الراغبون من كل صوب حتى أتى حين من الدهر لم يكن فيها بأواسط اليمن مدرس بعلم الفرائض والطب إلا من دَرَسَته ودَرَسَة دَرَسَتِه ، وقد استمر انعقادها ستين سنة كاملة ، كان طوالها باذلاً نفسه للطلبة[3].

وورد في ترجمة الفقيه علي بن محمد بن عمر بن راشد المالكي[4] الشافعي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) أن أباه بعثه إلى زبيد لدراسة كتاب (روضة الطالبين وعمدة المفتين) للإمام شرف الدين يحيى بن زكريا النووي في فقه الشافعية ، فلما وصل إلى زبيد ، وهو شاب حديث السن ، دخل بعض مدارسها العلمية على شيخ بالمدرسة قاعد

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج٢ ص ٢٥٢ .

(2) عبدالرحمن أحمد المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ص ١٧٤ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(4) المالكي هنا نسبة إلى أحد أجداد الرجل المترجم وليس إلى المذهب المالكي المشهور ؛ لأن هذا العالم كان شافعي المذهب.

في وسط حلقة تدريسية وحوله عدد كبير من الطلبة والمناظرين ، فانتظم فيها ليصبح أحد الفقهاء المعدودين في ناحيته[1] .

▪ **ثانياً : نظام المجالس العلمية :**

نقصد بالمجلس المكان الذي يجتمع الناس فيه للحديث والاستماع جلوساً ، وقد اتخذ صفة العلم لأننا لا نقصد به كل مجلس انعقد لمناقشة الأمور العامة والخاصة من شؤون الناس الاجتماعية وغيرها ، وما نقصده بالتحديد هي تلك المجالس التي لم يكن وراء انعقادها من غرض غير نشر العلم والاستماع إلى العلماء أو الأدباء والشعراء ومن على شاكلتهم ، وكثيراً ما تكون المساجد ميداناً لها ، ولعل الأخيرة هي التي وصفت بالبركة ، ووردت الآثار بأن الملائكة تشهدها[٢] .

مع تطور الحياة العلمية في المجتمعات الإسلامية تعددت صور النشاط الفكري والحراك العلمي الثقافي ، فانتشرت ظاهرة انعقاد مجالس العلم حتى باتت تعقد في المدراس ومنازل العلماء وقصور الأمراء ، وخاصةً تلك التي كان محور الحديث فيها يدور حول علوم عقلية وطبيعية متنوعة، أو ما كان فيها شيئ من ارتفاع الصوت كمجالس الشعر والمناظرات[٣] ، أما ما كان محور ما يُلْقى فيها هو العلوم الشرعية المختلفة فقد كان العلماء يفضلون عقدها في المساجد على غيرها ، حتى أن الإمام عبدالكريم السمعاني[٤] (ت٥٦٢هـ / ١١٦٦م) قد أفرد فصلاً خاصاً عن المجالس العلمية في المساجد لأنها خير الأماكن[٥] .

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٩٠ .

(2) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ١٧٥ .

(3) ابن عبدالبر ، **جامع بيان العلم وفضله** ، ج٢ ص ١٦٨ ، ١٦٩ ، د. عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ٧٧ .

(4) **آداب الإملاء والاستملاء** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١م ، ص ٤٢ وما بعدها .

(5) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ١٧٥ .

ونظراً لاختلاف الأغراض التي عقدت من أجلها المجالس العلمية – كما أسلفنا – فسنحاول تناول عدد من أنواعها بقدر ما توفره لنا المصـادر من مادة ، وأهم أنواعها كما يأتي :

١. **مجالس التدريس :**

هذا النوع من المجالس هو الأشهر والأكثر شيوعاً بين المجالس العلمية ، وهو عمدة العلماء المعلمين في نقل معظم علومهم إلى طلابهم ، وقد يعده البعض مرادفاً من مرادفات الحلقة العلمية ، تشير معلومات المصادر إلى أن مجالس التدريس كانت عامة في حقبة ما قبل مدة الدراسة لكل من مر بها ورغب في التلقي من خلالها ، فقد رأينا مجلس الإمام أبي محمد عبدالله بن أبي القاسم المشهور بابن الأبار (ت قبل ٥٦٩هـ / ١١٧٣م) كان يعقد مجالس التدريس في جامع الأشاعر بزبيد فكان الجامع يزدحم بالحضور فمر أحد الشعراء ولم يجد مكاناً للجلوس فيه فقال مخاطباً ابن الأبار :

مَجْلِسُكَ الرَّحْبُ مِـنْ تزاحُمِـهِ ... لا يَسَعُ المـرءَ فيـهِ مقْعَـدُهْ
كُـلٌّ على قَدْرِهِ ينالُ ، فَـذا ... يلْقُـطُ منـهُ وذاكَ يَحْـصُدُهْ[1]

وكان أحد علماء مسجد الجند يعقد مجالسه فيه ، وكان عدد الحاضرين لمجلسه يملأون ما بين المنبر وباب المسجد بكثرتهم[2] ، وكان السبب الرئيس في عموميتها وشيوع الجلوس فيها للمنتظمين وغيرهم أنها كانت تقوم بدور المدرسة قبل ظهور المدارس وانتشارها ، بل إن بعض المؤرخين كان يسمي مجلس التدريس الدائم لعالمٍ ما في مسجدٍ ما بـ(المدرسة) وينسبها إليه ، وهو ما تناولناه في حديثنا عن بدايات ظهور المدارس في اليمن في الفصل السابق .

مع ظهور المدارس النظامية وشيوع بنائها ، ومع انتشار المساجد التي سمى السلاطين الرسوليون هيئات التدريس لها أصبحت مجالس التدريس مميزة عن غيرها من المجالس العلمية – الآتي ذكرها – بانحصار أحقية حضورها ، إلى حدٍ كبير ، في الفئة التي يرى فيهم العالم المعلم أنهم تلاميذه ، وكان انعقاده شائعاً في تلك المدارس العلمية المنتشرة في مناطق كثيرة من اليمن ، وفي تلك المسـاجد المشار إليها كما

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج١ ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

(2) **المصدر السابق** ، ج١ ص ٢٦٣ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٥٠٧ .

رأينا في معرض حديثنا عن جامع المملاح في الفصل السـابق وما كان على شـاكلته.

وقد اشتهرت في مدرة دراستنا مجالس التدريس للإمام الحافظ شيخ المحدثين باليمن نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي الحنفي (ت ٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) ، وفيها تلقى معظم أبناء اليمن علوم الحديث وكتب الأمهات والسنن ، وقد كان مجلسه دائم الانعقاد ، كما كان معموراً بأبناء السنة من الشافعية والحنفية ، وبأبناء الزيدية ورجالها ، وأجاز في مجلسه لعدد من أئمة الزيدية أنفسهم ، كالإمام أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) وغيره ، ولهذا لا نستغرب إن علمنا أن الإمام سليمان العلوي كان قد بعث رسالة إلى الإمام المؤرخ الحسين الأهدل يخبره فيها بأنه – أثناء تحرير الرساله – يُقرئ صحيح البخاري للمرة الخمسين بعد المائتين في مجلسه[1]، وعن جميع تلاميذ الإمام العلوي الذين ترددوا على هذا المجلس التدريسي العامر ترسخ علم الحديث في أغلب أرجاء اليمن ومدنها وقراها وهِجَرها ، ولو كان هذا الإمام الحافظ غير يمني لملأت شهرته الآفاق ، ولضُرِبَتْ إلى مجلسه آباط الإبل من مختلف الأنحاء ، ولكان في سمعته وشهرته يضاهي ابن حجر العسقلاني والجلال السيوطي وغيرهما ، ولن نبالغ إن زعمنا أن معظم رجال اليمن الذي اشتهرت معرفتهم بالحديث من أواخر القرن الثامن حتى نهاية القرن التاسع الهجريين هم تلاميذ هذا المجلس وتلاميذ تلاميذهم ، بل إن شهرة هذا المجلس قد تخطت حدود اليمن فحرص على الجلوس فيها عدد من الوافدين ، ومهما تعددت أسباب زيارتهم لليمن فإن الجلوس إلى علمائها – بمن فيهم الإمام الحافظ العلوي – كان في مقدمة ما عزموا على القيام به، فهذا الإمام العلامة شرف الدين موسى بن مري الغزولي (ت٧٩٥هـ / ١٣٩٢م) قد وفد إلى تعز ، ويمم وجهه شطر هذا المجلس الذي كان أغلب انعقاده في المدرستين المجاهدية والأشرفية ، وعن الإمام العلوي أخذ صحيح البخاري وختمه في ثلاثة وعشرين مجلساً[2] ، وكان يحضر القراءة مع الإمام الغزولي جمع من العلماء الأكابر ،

---

[1] الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٣١٦ .

[2] عند استحضار ما أخبر الإمام سليمان العلوي به الإمام الحسين الأهدل أنه يُقرئ صحيح البخاري للمـرة الخمسين بعد المائتين ، وما ورد هنا من إجازة الإمام العلوي للإمام الغزولي في صحيح البخاري منحـت له بعد دراسته له في ثلاثة وعشرين مجلساً تدريسياً فإننا – وبعملية حسابية بسيطة – نستطيع أن نقول أن قراءة صحيح البخاري مائتين وخمسين مرة ستتم – بهذا المعدل – في خمسة آلاف وسبعمائة وخمـسين

فأجاز لهم الإمام سليمان العلوي جميعاً ، وأرخ في نصها للقراءة والإجازة ، وترجم في ثناياها للمُجَاز[1] .

جاءت الإشارة صريحة إلى مجلسين تدريسيين في تعز في تاريخ البريهي في ترجمة القاضي جمال الدين محمد بن حسين البجلي (ت حوالي ٨١٠هـ / ١٤٠٧م)، أحدهما هو المجلس السابق ذكره ، وأما الآخر فهو مجلس الإمام الفيرزابادي ، يقول البريهي[2] : " ... انتقل لطلب العلم ، فقرأ على جماعة من الأئمة ، وحضر مجلس التدريس للإمام مجدالدين الفيروزابادي والفقيه نفيس الدين العلوي ، فأجازا له ... " .

ومنها كذلك مجلس الإمام المفسِّر يوسف بن أحمد بن محمد الثِّلائي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) الذي كان يعج بالطلبة ، وكان جامع ثلا هو مكان انعقاده ، تروي المصادر أن هذا الجامع كان يمتلئ – رغم اتساعه – بالطلبة ويبقى بعضهم وفي أيديهم كتبهم في نوافذ الجامع بسبب الازدحام[3] .

وكان الفقيه صفي الدين أحمد بن عمر بن جعمان (٨٣٤هـ / ١٤٣٠م) هو أكبر علماء أهله، بل وأكبر علماء قريته بيت الفقيه ، وكان المشار إليه بالفتوى ومجالس التدريس للفقه والحديث ، وقيل أنه كان متفرغاً لذلك ، وقد عاصره بعض المؤرخين المتأخرين وزاروه في مجلس تدريسه فوجدوه على الحال إلى آخر أيامه في سنة[4] .

وكان للعلامة جمال الدين محمد بن عبدالله بن محمد الكاهلي (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) مجلس تدريس دائم ، وكان الفقه محوره في الغالب ، إذ أنه كان من أفقه

مجلساً ، وقد صرح العلوي بأن أول قراءة لصحيح البخاري كانت قد تمت في سنة (٧٦٧هـ / ١٣٦٥م) [انظر الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣١٦] وكانت وفاته في سنة (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) ، فعلى افتراض أنه كتب هذا التصريح في آخر حياته فإنه بذلك يكون قد عقد هذا العدد الكبير من مجالس التدريس في مدة تبلغ ثمانية وخمسين سنة من عمره المبارك ، مع العلم بأن هذا الإمام لم يكن يدرس صحيح البخاري فقط ، بل كان يدرس جميع أمهات الحديث والفقه والعربية وعدد من العلوم الأخرى .

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٨٩ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ١٦١ .

(3) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٠٥ .

(4) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٣٤٨ .

العلماء الشافعية في عصره وسلمت رئاسة الفقه ببلده على الإطلاق ، أجمع أهل وقته على جلالته وبراعته ، وأنه ممن لا يجارى في الفقه ولا يمارى ، فكان المرجوع إليه في المعضلات من المسائل الفقهية ، وكان قد تتلمذ على ثلة من أبرز الفقهاء في اليمن ، كما أنه قد قرأ بمكة على بعض الأئمة هناك ، ثم عاد إلى إب فأقام في تدريس العلوم والفقه خصوصاً مدة طويلة تزيد على أربعين عاماً ، وقد يحضر مجلسه العلمي نيف وأربعون رجلاً من القضاة والفقهاء ، فما بالك من دونهم ، وعرف بأنه كان ثبتاً محققاً للأقوال والوجوه ، وخصوصاً في (التنبيه) و (المهذب) و (الحاوي)[1] .

٢. مجالس السماع :

كانت مجالس السماع في الغالب تنعقد بمناسبة نزول أحد العلماء في البلد ، سواءً كان من أهل القطر أو من خارجه ، فيقوم أهل العلم فيه بعقد المجلس لاغتنام نزول هذا الضيف بين أظهرهم لتلقي علومه عنه ، وكانت المهمة الرئيسية لمجالس السماع تتمحور حول علم الحديث وما يرتبط به من العلوم الأخرى ، وذلك لا يمنع انعقادها لسماع علوم أخرى كالفقه وعلوم العربية وغيرهما[٢] ، وانعقاد مجالس السماع هو من التقاليد العلمية القديمة في كل ديار الإسلام قاطبةً ، وقد عرفه اليمنيون منذ القرن الهجري الثاني ، وكان لعلو كعب بعض علماء اليمن الأوائل في الحديث خصوصاً دوره الكبير في كثرة انعقاد مجالس السماع ، وقد تناولنا في الفصل الأول رحلة عدد من أئمة الإسلام – كالإمامين الشافعي وابن حنبل – إلى اليمن للجلوس في مجالس السماع أمام كبار المحدثين بها مثل معمر بن راشد وعبدالرزاق الصنعاني وغيرهما .

وقد توارث الخلف من علماء اليمن المتأخرين هذا التقليد العلمي عن السلف من اوائلهم ، فكان شيخ محدثي اليمن في القرن السادس الهجري الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن أبي بكر بن حِمْيَر العَرْشَاني (ت٥٥٧هـ / ١١٦١م) يعقد مجالس السماع في معظم المناطق اليمنية التي يزورها ، منها مجلس سماع صحيح البخاري الذي عقده

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٩٤ ، ٩٥ .

(2) عبدالرحمن أحمد المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ص ١٧٩ .

في مدينة إب سنة (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) ، والمجلس الذي عقده في قرية ذي أشْرق لسماع سنن أبي داود وصحيح البخاري وحضره الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني في سنة (٥٥٥هـ / ١١٦٠م) ، كما ازدهرت مجالس السماع التي عقدها في عدن وحضرها جمعٌ من المغاربة والإسكندرانيين[١].

ومما تجدر الإشارة إليه هو أن مجالس السماع تستدعي حضور القلب والذهن أكثر من غيرها ، لأن الملقي للدروس فيها غير مستقر ، فما يمكن أن يكون غامضاً قد يظل غموضه قائماً لمدة ، كما أن طبيعة السماع لا تتيح من الوقت ما يكفي لتدوين الكثير من المعلومات الملقاة ، لذلك كانت حصيلة العلم فيها تختلف اختلافاً كبيراً من طالبٍ إلى آخر بناءً على القدرات العقلية للفهم والإستيعاب المتباينة فطرةً بين الناس .

ومن أشهر من عقد مجالس السماع في مدة دراستنا إمام أئمة اللغة والتفسير والحديث الإمام مجد الدين محمد ابن يعقوب بن محمد الفيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م)[٢] الذي وفد إلى اليمن سنة (٧٩٦هـ / ١٣٩٣م) ، وعقد مجالس السماع[٣] في زبيد وفي تعز ، وحضرها خلق كثير من طلبة العلم ، وكان السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) يرعى مجالسه تلك ويعتني بها وبمن يجلس فيها عناية خاصة ، إذ أنه تكفل بإقامة مائدة عامرة بكل طيب من الأكل والشرب لكل من حضرها ، واحدة في أول النهار قبل البدء فيها وأخرى في آخره ، وجعل الخدم يدورون على الناس أثناء القراءة بمجامر العود والعنبر ، " وكانت العلماء

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٣٠٤ ، ٣٤٢ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ١٧١ ، ١٨١ ، بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(2) السخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، ج ١ ص ٢١٦ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٤ – ٢٩٨.

(3) الفرق بين هذه النوعية من المجالس التي نتناولها ضمن هذه الفئة والمجالس التدريسية السابقة أن مجالس السماع تعقد ضمن إرادة الاستفادة من الوافد الذي لا يرتجي استيطانه لليمن وبقاؤه بها ، أما المجالس التدريسية فهي دائمة الانعقاد ، وبالتالي فصاحبها مستقر في القطر ومستوطن له ، لذلك فإننا عندما نتحدث عن مجالس السماع للإمام مجد الدين الفيرزابادي فإننا نقصد بها تلك التي عقدت إبان التعامل معه كضيف وافد عابر في المدة التالية لوصوله اليمن ، وأما المجالس التدريسية له نفسه فهي تلك التي داوم على عقدها بعد أن رمى عصا الترحال وقرت نفسه باستيطان اليمن والمكوث بها في جوار السلاطين الرسوليين .

... إذا حضروا مجلساً هو فيه لزموا الأدب معه ، فمن كان منهم مفيداً صار بين يديه مستفيداً ، فيكتبون معظم ما يتكلم به ، ويعلقونه في كتبهم "[1].

وممن عقد مجالس السماع من علماء الإسلام العظام الذين وفدوا على اليمن شيخ الإسلام الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) في زيارتيه إلى اليمن ، الأولى سنة (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) على آخر مدة حكم السلطان الأشرف إسماعيل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، والأخيرة في سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) في أوائل مدة حكم السلطان الناصر أحمد الرسولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م)[2] ، وقد أورد الإمام السخاوي[3] – أثناء سرده لأسماء جميع تلاميذ الإمام ابن حجر – أسماء عددٍ كبيرٍ ممن سمعوا عنه الحديث وغيره من العلوم في اليمن ، وممن تبادلوا معه الإجازات العلمية وعقدوا مجالس كثيرة للمذاكرة والمؤانسة .

وعقدت مجالس السماع أيضاً في للإمام المقرئ والمحدث شمس الدين أبا الخير محمد بن محمد بن يوسف الجزري (ت٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) عند زيارته لليمن ووصوله إلى زبيد سنة (٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) أيام سلطنة المنصور الثاني عبدالله الرسولي (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) ، وكان جامع الأشاعر ميدانها كما ذكره الإمام الأهدل[4] .

كما عقدت مجالس السماع للقاضي العلامة عز الدين عبدالعزيز بن علي بن أحمد النويري (ت٨٢٥هـ / ١٤٢١م) وحضرها جماعة كبيرة من فقهاء تعز وغيرهم ، وكان السلطان الناصر أحمد (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) من بين الذين حضروا مجالسه[5] .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٧ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، السخاوي ، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر** ، ج ١ ص ٢١٦.

(3) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٨٦ ، ٩١ ، ١٣٥ ، ١٧٧ .

(4) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٣٢ .

(5) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٤٣ .

وتذكر المصادر عن بعض العلماء – في معرض تراجمهم – بأنهم قد سمعوا كتباً كثيرة ، والإشارة إلى سماعهم تقتضي جلوسهم في مجالس السماع ، أمثال القاضي العلامة جمال الدين محمد بن عمر بن محمد بن صالح البريهي (ت٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) الذي سمع كتب التفسير على الإمام مجد الدين الفيروزابادي ، وكما سمع كتب الحديث على الإمام الحافظ نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي[١] .

ومنهم كذلك الإمام المقرئ عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري (ت٨٤٨هـ/ ١٤٤٤م) الذي سمع كثيراً من العلوم علي أيدي جماعة من أئمة العلم في اليمن ، ذكرت المصادر منهم عمه شيخ الإسلام الإمام شمس الدين علي بن أبي بكر الناشري وشيخ الإسلام الإمام محمد بن أبي بكر الخياط والإمام الحافظ سليمان العلوي والإمام إسماعيل المقرئ، وسمع عدداً من الأئمة الوافدين إلى اليمن كشيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني والقاضي المؤرخ تقي الدين الفاسي المالكي والإمام محمد الجزري وغيرهم[٢] .

٣. مجالس الإملاء :

إن الخدمة التي قدمتها مجالس الإملاء للحضارة الإسلامية عموماً ، والحياة العلمية منها خصوصاً ، كبيرةً جداً ، فهي التي أسهمت بحظٍ وافرٍ في انتشار الكتب عن مؤلفيها أنفسهم أو عن تلاميذهم يوم أن كان النسخ باليد هو الجسر الوحيد للحصول على المؤلفات المتنوعة والمختلفة ، وكان انتقال العلم عن طريقها أرسخ وأثبت ، فالتعلم فيها يتم عن طريق حضور العقل والأذن بدرجة أكبر مما يستلزمه حضورهما في التعلم عن طريق السماع وحده ، كما أن بقاء الوثيقة المكتوبة بيد الطالب تعينه على الاستذكار في أي وقت شاء ، إضافةً إلى أنه يستطيع أن يمنح من لم يحضر مجلس الإملاء فرصة التعلم بنقل ما تم كتابته ، وقد عده بعض العلماء أحد أقسام السماع نفسه ، وجعلوه أرقى طرق التلقي[٣] .

---

[1] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٤٠ .

[2] المصدر السابق ، ص ١١٦ .

[3] ابن الصلاح ، **مقدمة ابن الصلاح** ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ص ٨٧ .

ومن المؤكد أن طبيعة مجالس الإملاء تختلف عن مجالس التدريس ومجالس السماع ، فهي تستلزم البطء في العرض كي يتمكن الطالب المُسْـتَملي من متابعة شيخه المُملِي ، أما إذا كان العدد الحاضر كبيراً فإن الاحتياج سيكون مُلِحاً إلى من يبلغ كلام الشيخ إلى من لا يبلغه صوته ، وقد روت بعض المصادر بأن بعض المحدثين في العراق وغيرها مجلسهم كان به ما بين خمسة أو ثمانية مسـتملين يبلغ كلٌ منهما الآخر ليصل البـلاغ إلى آخـر المجلس ، بل إن أحـد العلماء كان في مجلسه نحو عشـرين شخصاً يبلغون كلامه إلى الحضـور الكبير الذي جاء لكتابة ما يمليه عليهم[١] .

ويعد القرنان الخامس والسادس الهجريين بداية انتعاش مجالس الإملاء في جميع الأقطار الإسلامية وخاصة في بلاد الشام والعراق[٢] ، وكان اليمن في ذلك مواكباً لغيره من الأقطار الإسلامية ، فقد كان بعض علمائه يخصصـون الخميس والجمعة للإملاء فقط ، والبعض الآخر خصـص يوماً واحـداً[٣] ، في حين جعلت بقية الأيام للمجالس العلمية الأخرى[٤] ، لذلك اشتهرت فيها الكتب المسماة بـ (الأمالي) ومعظمها في الحديث ، وهي تسمية تشير في أول ما يتبادر الذهن عند قراءتها إلى ما كان العلماء يملونه على طلابهم أو ما يستملونه من غيرهم من كبار العلماء ، وقد ورد ذكر كتب الأمالي كثيراً في المصادر الزيدية على وجه الخصوص ، منها (أمالي أحمد بن عيسى) و (أمالي أبي طالب) و (أمالي المؤيـد بالله) و (أمالي ظفر بن دعي) وغيرها[٥] .

وممن عقد مجالس الإملاء من علماء اليمن في القرنين التاسع والعاشر الهجريين نذكر الإمام العلامة نور الدين علي بن أبي بكر الأزرق (ت٨٠٩هـ /

---

(1) السمعاني ، آداب الإملاء والاستملاء ، ص ٨٤ ، ٨٩ .

(2) المصدر السابق ، ص ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ .

(3) المصدر السابق ، ص ٢٣ ، ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ١ ص ٤٤٧ .

(4) عبدالرحمن أحمد المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسـادس الهجـريين ، ص ١٨٠ .

(5) ابن المؤيد ، طبقات الزيديـة الكبـري ، ج ١ ص ٤١٧ ، ٤١٨ ، ج ٢ ص ٧٣٧ ، ج ٣ ص ١٢٠٢ ، ١٢٧٣ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، المرجع السابق ، ص ١٨١ .

١٤٠٧م) أحد أكبر علماء تهامة ، وهو العالم الأفضل في أبيات حسين في فروع العلم المختلفة ، كان موصوفاً بانه كثير المطالعة لمبسوطات المذهب الشافعي ، كثير الحفظ لغرائبها ، حافظاً لكثير من حكايات العلماء والصالحين في اليمن ، حتى قال عنه أقرب تلاميذه غلأيه وأكثرهم التصاقاً به – الإمام الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) – أنه : " لو شاء أن يملي من حفظه من ذلك كراساً وأكثر في مجلس واحد لكان سهلاً عليه ... "[1] ، فافتراض الأهدل أن لشيخه القدرة على الإملاء لكَمٍّ كثير من المعارف في مجلس واحد بما يملأ الكراسة أو أكثر فيه دلالة على أن مجالس الإملاء كانت قائمة كواحدة من المجالس العلمية الشائعة ، ولعل شيوعها هو سبب عدم ذكرها في المصادر ، لأنه في مقام الحديث عن البديهي المعروف .

وكان الفقيه علي بن بدر بن أحمد الثقفي من طلاب الإمام الحسين الأهدل نفسه الذين وردت الإشارة إلى استفادتهم من إملاءه ، فبعد أن قرأ على الأهدل الفرائض وبحث في علمها وحسابها ، حصل تفسير البغوي وصحيح الإمام مسلم إملاءاً في مجلسه بأبيات حسين في تهامة[2] .

ولما تناولت بعض المصادر مظاهر الحفاوة التي حظي بها الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) عندما نزل اليمن في ضيافة السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، فكان مما ذكروه أن العلماء اليمنيين – ومعهم الكثير من الطلاب والتلاميذ – قد جلسوا بين يديه بلا ترفع ولا تأفف ، وأنهم إذا حضروا مجلساً هو فيه لزموا الأدب معه ، فمن كان منهم مفيداً صار بين يديه مستفيداً ، فيكتبون معظم ما يتكلم به ، ويعلقونه في كتبهم[3] ، وهذا شاهد واضح على اعتماد الإملاء في أوساطهم .

---

[1] الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ١٥٩ .

[2] المصدر السابق ، ج ٢ ص ٩٩ .

[3] البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٩٧.

٤. مجالس الإفتاء :

اتجه الناس في العالم الإسلامي كله إلى العلماء والمبرزين من طلابهم ليسألوهم عما يجهلونه من امور دينهم ، وذلك امتثالاً للأمر الرباني الذي يأمر كل المسلمين بعدم استمراء الجهل والبقاء على العمى في ما يظهر لهم في مواقف حياتهم اليومية التي تستدعي التوقف عند حدود الشرع الحنيف ، فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٧﴾[1] ، وكان علماء اليمن يتصدرون للإفتاء أينما حلُوا ، ويقومون بتوجيه الناس الوجة الصحيحة في العبادة والاعتقاد ، وسنتطرق إلى هذه المهمة بشيئ من التفصيل في حديثنا عن علاقاتهم وأدوارهم الاجتماعية في فصلٍ قادم .

المتتبع لتراجم علماء اليمن عموماً يجد أن كثيراً منهم قد وُصِفَ بأنه كان مفتياً ، أو أنه كان عمدة الفتوى في بلده ، وذلك يجعلنا نرجح أنهم كانوا يعقدون مجالس للاستماع إلى أسئلة الناس والرد عليها ، ويأتي الحديث عن مجالس الإفتاء ضمن المجالس العلمية باعتبار أن طلاب العلم الذين حضروها وإن لم يكونوا معنيين بأجوبة مشائخهم على الفتاوى المطروحة عليهم من باب الاحتياج إلى معرفة الحكم للتنفيذ إلا أنهم كانوا يجعلون منها تطبيقات عملية لكيفية إنزال مشائخهم قواعد الفقه وأدلته على الوقائع الاجتماعية والحياتية اليومية ، كما أنهم بلا شك كانوا يرقبون من خلالها طرق استنباط الأحكام واستقراء النصوص للحكم على ما لم تأت الإشارات إليه صريحةً في تلك النصوص قرآنيةً كانت أو نبوية .

من العلماء اليمنيين الذين أسبغت عليهم المصادر صفة المفتين الإمام العلامة نور الدين علي بن أبي بكر الأزرق (ت٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) أحد أكبر علماء تهامة ، وهو العالم الأفضل في أبيات حسين في فروع العلم المختلفة ، وكانت مشاركته في الفقه من القوة أنْ ألَّفَ فيه أكثر من أربعة كتب كبيرة سيرد ذكرها في الفصول القادمة بمشيئته تعالى ، كان " مرجع الفتوى إليه من كل جهة قريبة وبعيدة ، من الجبال والتهائم ، كزبيد وصنعاء وعدن ، والبلاد الشامية وبلاد العجم ، تأتيه المسائلُ من هذه الجهات ، وتقبل فتواه فيها ، وينقطع النزاع ... وكان – رحمه الله تعالى – مع كثرة

---

[1] سورة الأنبياء .

اطلاعه على النصوص ومآخذ الوجوه قد يفتي بخلاف ترجيح الرافعي والنووي إذا كان قد رجحه غيرهما وظهر له وجه ترجيحه أو مصلحة تترتب عليه ... "[١] .

ومنهم كذلك شيخ الإسلام الإمام إسماعيل بن محمد بن عمر الحِبَّاني الحضرمي (ت٨٣٤هـ / ١٤٣٠م) الذي كان بلغ النهاية في تحقيق عدد من العلوم ، منها : الفقه والتفسير والأصولين والنحو واللغة ، واشتهر بالفتوى ، وقصد من أجلها من جميع الجهات اليمانية ، ولا سيما حضرموت ، وانتشرت فتاواه واشتهرت ، وقد اطلع المؤرخ الإمام أبو محمد الطيب بن عبدالله بامخرمة على بعضها فقال : " وانتشر عنه الفتاوى المشهورة ، من طالعها وتأمل مسلكه في تنقيح أجوبيتها وتحريرها وعدم اقتصاره على حكاية المعتمد من الطريقتين أو القولين أو الوجهين أو غير ذلك حتى يأتي بجميع ما في المسألة من الخلاف بين الأصحاب ، ثم في آخره يختصر ما بسطه أولاً ، فيقول : فتمخض من هذا – أو فتلخص ، أو فتحصل ، أو نحو ذلك – كذا وكذا .. "[٢] ولعل مثل هذا الجهد الذي بذله هذا العالم قد صدر عن كثير من كثير الفقهاء المفتين ، غير أن المؤرخين اليمنيين درجوا على عدم التفصيل في شأن فتاواهم ، إذ أن أكثر ما أشاروا إليه بخصوص العشـــرات من الفقهاء العلماء أنهم " أفتوا ودرسوا " ، وهو عين ما ذكره الإمام بامخرمة في آخر ترجمة الإمام الحِبَّاني الحضرمي نفسه ، إذ قال : " وبذل نفسه في بلده وحيثما كان للتدريس والفتوى ابتغاء وجه الله تعالى ... "[٣] ، فلو لم يكن قد فصل عنه في بداية الترجمة لما عرفنا براعته في الفتوى .

وممن اشتهروا بالقعود في مجالس للفتوى الإمام أبو الطيب عبدالله بن أحمد بن علي بن أحمد بامخرمة (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م)[٤] ، الذي كان على دراية واسعة بالفقه على مذهب الإمام الشافعي ، وله في ذلك إجازات عامة من أكبر أئمة عصره باليمن ، منهم القاضي محمد بن أحمد باحُمَيْش (ت٨٦١هـ / ١٤٥٧م) والقاضي محمد بن مسعود باشُكَيْل (ت٨٧١هـ / ١٤٦٧م) والإمام عبدالرحمن بن عمر

---

[1] الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ١٦٠ .

[2] بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ص ٦٩٢ .

[3] المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

[4] بامخرمة المذكور هنا هو والد الإمام المؤرخ أبو محمد الطيب بن عبدالله بامخرمة صاحب (قلادة النحر) و (تاريخ ثغر عدن) ، وقد لزم التنويه تحاشياً للخلط .

باهُرْمز (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م) ، وقد جمعت فتاواه وتم ترتيبها على أبواب الفقه[١] .

أما الذين أصبغ عليهم المؤرخون اليمنيون لقب (المفتي) ، والذين وردت الإشارات في تراجمهم أنهم أفتوا دون إيراد شيئ من التفصيل فهم كثيرون جداً ، وذلك يعني بالضرورة أنهم مارسوا الفتوى ، سواءً جلسوا لها في مجالس خاصة ضمن حلقات التدريس وعقب الصلوات ، أو من خلال استقبال أسئلة المستفتين في رقاع وما شابهها ، فهم قد قاموا بمهمة مجالس الإفتاء التي كانت أحد أهم المجالس العلمية والتي أفاد منها عامة الناس – على وجه العموم – والطلاب منهم على وجه الخصوص ، وستورد هنا أسماء عينة من أولئك الفقهاء الذين أشرنا إليهم ، منهم الفقيه صفي الدين أحمد بن عمر بن جعمان (٨٣٤هـ / ١٤٣٠م)[٢] المفتي في بيت الفقيه ابن عُجَيْل ، والفقيه العالم عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن نُشَابة (ت بعد ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)، كان المفتي المعتمد في قريتهم (عريش ابن عسكر) بالقرب من حرض[٣] ، ومنهم الفقيه العلامة جمال الدين أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن مبارز (ت٨٦٨هـ / ١٤٦٣م) " مفتي زبيد وعالمها "[٤] ، والفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن شيخ الإسلام الطيب بن أحمد بن أبي بكر الناشري (ت٨٧٨هـ / ١٤٧٣م) " أحد فقهاء زبيد ومفتيها "[٥] ، والفقيه العلامة شمس الدين علي بن إبراهيم الزيلعي (ت٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) " أحد المفتين بزبيد "[٦] ، و " فقيه زبيد ومفتيها "[٧] الإمام العلامة إسماعيل

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٢ ، ٧٨٣ .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٣٤٨ .

(3) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٤٢ ، ٤٣ .

(4) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٢٢ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٣٤ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٦ ص ١٤٠ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣٢٠ ، بامخرمة ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٢٩ ، ابن الديبع ، **المصدر السابق** ، ص ١٤٩ .

(6) **المصدر السابق** ، ص ١٥٣ ، السخاوي ، **المصدر السابق** ، ج ٥ ص ١٦٠ ، بامخرمة ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٢٩ .

(7) **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٤٩ ، ابن الديبع ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٣ .

بن إبراهيم بن بكر (ت٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) ، والأديب الشاعر العلامة "مفتي تعز "[١] حسن بن عبدالرحمن الصباحي (ت٨٩٨هـ / ١٤٩٣م) ، والإمام العلامة جمال الدين أبو النجباء محمد بن الصديق الصائغ (ت٩٢٠هـ / ١٥١٤م) الذي " أقام بزبيد ينشر العلم تدريساً وإفتاءً ، ويقصد بالفتوى من الجهات البعيدة ... "[٢] .

٥. مجالس الوعظ والذكْـر :

عند حديثنا عن مجالس الوعظ والذكر يحضرنا ما استصدرنا به هذا الفصل عند حديثنا عن السمات العامة للأنظمة التعليمية عصرئذٍ ، وخاصةً ما ذكرناه عن الغياب الكبير للدوافع الدنيوية المادية وراء السعي في طلب العلم وتحصيله ، فقد اتصف علماء الإسلام على مر العصور بالصلاح والترفع عن الدنايا ، وتجنب السير فيما يخالف تلك المبادئ والمُثُل الرفيعة التي يدعو الإسلام إليها ، وكانوا دائماً موضع الاحترام الكبير بسبب ذلك من قبل كل الشرائح الاجتماعية الأخرى ، كما منزلة العالم وطالب العلم ترتفع في المجتمع تبعاً لأمرين مهمين : أولهما مدى كثرة الحصيلة العلمية التي حازها، وثانيهما مدى التزامه بالسلوك القويم وشدة اتباعه للتعاليم الإسلامية .

وكان العلماء يتصدرون لوعظ الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر امتثالاً للأوامر الربانية والنبوية التي تجعل ذلك في مقدمة مهامهم ، وكانت هذه المجالس من طرق تلقي العلم على أيديهم .

ومن أمثلة مجالس الوعظ المنعقدة في مدة الدراسة تلك التي درج على إقامتها الفقيه صارم الدين داود بن أبي بكر بن محمد بن علي بن بشر (معاصر للمؤرخ البريهي = القرن التاسع الهجري) ، وهو المعروف بإجادته الوعظ والخطابة ، حتى وصفه المصدر بأنه " كان واعظاً مصقعاً ... "[٣] ، وكان – أحياناً – يعتلي منبر الجامع الكبير بمدينة إب ليلقي مواعظه[٤] .

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٥٥ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٠١ .

(2) بامخرمة ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٩٥ ، ابن الديبع ، **الفضل المزيد** ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ ، العيدروس ، **النور السافر** ، ص ٩٧ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٨٠ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٨٠ ، ٨١ .

كما كان الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف بن حفيص الأموي القرشي الشهير بمعوضة (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) مشهوراً بوعظه ، وكان مسجد بني شَيْبَةَ في قرية الجـرز من وادي مَوْر بتهامة هو ميدان مجالسه الوعظية ، إذ كان موصوفاً بصفاء الذهن ، وحسن الصوت بالقرآن الكريم ، وكان خطيباً واعظاً مؤثراً ، وكان بخطابه يشجي القلب ، لا يكاد يسمعه أحد إلا رق لصوته أو بكى ، وربما بكى هو على المنبر[١] .

وكان المقرئ تقي الدين عمر بن عيسى الخطيب (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) واعظاً فصيحاً ، شأنه التواضع ، يطيل مجالسة الأخيار والخشوع والخضوع ، ولما كان خطيباً في مدينة إب ، فقد أكثر من مواعظه التي كان لكلامه ووعظه فيها في القلوب موقع ، وكان قريب العبرة حسن الصوت كثير الصمت ، وكان إذا صعد المنبر أتى بوعظ توجل منه القلوب وتجري به العيون باللفظ الرقيق والمعنى الدقيق[٢] .

ومنها أيضاً المجالس الوعظية التي كانت تقوم فيها أسماء بنت كمال الدين موسى الضجاعي (ت٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) بوعظ النساء وتأديبهن في مدينة زبيد كما وصفه المؤرخ العيدروس[٣] وذلك بعد أن قرأت في القرآن الكريم والتفاسير وكتب الحديث ما جعلها تتصدر لهذه المهمة النبيلة .

أما مجالس الذكر – وقد تسمى بحلقة الذكر في بعض المصادر – فقد اشتهر بها الصوفية أكثر من غيرهم ، فقد كانت هذه المجالس تنعقد باستمرار في كل المناطق التي وجدوا فيها ، ومن طبيعة هذه النوع من المجالس أنها لا تنعقد إلا في الليل وطرفي النهار ، وكانت تتنوع مادتها وموضوعاتها بين ترديد الأوراد من الأدعية المأثورة وتلاوة القرآن وتناول بعض المسائل العلمية ومناقشتها ، وهذا يؤكد لنا أن هذه المجالس لم تكن عامة لمن يحب ارتيادها من الناس ، بل كانت محددةً للخاصة ، سواءً كانوا من شريحة العلماء وطلابهم أو من رجال الصوفية ومريديهم ، وكان انعقادها يتراوح في الانعقاد ما بين المساجد والزوايا أو منازل بعض العلماء ، ومن أقدم مجالس الذكر في تاريخ اليمن العلمي في العصر الإسلامي تلك المجالس التي عقدها رجال المطرفية من

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٥٠ .

(2) المصدر السابق ، ص ١١١ .

(3) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص ٣٨ ، ٣٩ .

الزيدية في القرن الخامس والسادس الهجريين ، كمجلس أحمد بن الريان المنعقد في منزله مع مشائخ طائفته ليلاً ، يذكرون الله تعالى فيها مع إضافة شيئ من المسائل العلمية لمناقشتها ، ومنها مجالس الذكر التي سنها الحسن بن زايد الجنبي المطرفي في مسجد سناع وسار على نهجها الكثير من أهل الهجر العلمية في مناطق الزيدية(1) .

وكانت هناك مجموعة من الأذكار المعتمدة لدى الصوفية ، بعضها من استُقِيَ من المأثورات النبوية وبعضها من وضع أعلامهم ، منها ما ذكره البريهي(2) أن الشيخ (ولي الله تعالى) محيي الدين أبو حفص عمر بن محمد العرابي الشَّاوَري (ت٨٢٧هـ/ ١٤٢٣م) أَلَّفَ ذِكَراً ، فلما استحسنه المتصوفون في كل بلد نصبوا أنفسهم لقراءته في مجالس الذكر التي درجوا على عقدها ، فكانوا يتلونه من الصبح إلى طلوع الشمس ومن المغرب إلى العشاء ، بعد كل صلاة من هذه الأوقات .

ومن مجالس الذكر التي كانت تُعقد في مدة دراستنا هذه نذكر المجلس الذي دأب على عقده الفقيه عفيف الدين عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عمر الأصبحي الشنيني (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) بين المغرب والعشاء وبعد صلاة الصبح في قريته ، وكان يداوم على حضوره أولاده وتلامذته ، وكان التلاوة تغلب على فقرات هذا المجلس(3) .

ومن قبله كان الفقيه السابق ذكره أحمد بن محمد بن يوسف بن حفيص المعروف بمعوضة القرشي الأموي (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) يداوم على حضور حَلَقَة الذكر التي كانت تقام دوماً في في مسجد بني شيبة الذي كان إماماً فيه(4) .

أما مجالس الذكر التي كان يعقدها الشيخ صارم الدين داود بن صالح المصنف (ت٨٣٥م / ١٤٣١م) فقد كانت على وجه من الغرابة في مكان انعقادها ، فهو يتخير كل ليلة موضعاً خالياً من الناس ، وكان يسير بجماعة من أهل بلده كانوا من مريديه

---

(1) اللَّحجي ، طبقات مُسلِّم اللَّحجي ، ج ٤ ص ٢٨ ، ٥٠ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ص ١٨١ .

(2) طبقات صلحاء اليمن ، ص ٤١ .

(3) المصدر السابق ، ص ٤١ .

(4) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٥٠ .

فيمنعون أنفسهم النوم ، ويقومون بالصلاة والذكر والدعاء ، كما كان يخرج بالليل من المساجد إلى المقابر ومعه جماعة يجهرون بالذكر[1] .

وكان للقاضي العلامة جمال الدين محمد بن عمر بن محمد بن صالح البريهي (ت٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) مجلس ذكر يؤمه معه أولاده ودَرَسَته ويختمون فيه القرآن الكريم كاملاً ، واستمر انعقاده حتى وفاته[2] ، وقد تحدثت بعض المصادر عن مجالس الذكر والاستغراق التي كان يعقدها الشريف الفقيه عبدالرحيم بن عبدالله بن مهنا (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، وداوم على عقدها عمراً طويلاً إذ هو من المُعَمَّرين الذين عاشوا أكثر من مائة سنة[3] .

- **ثالثاً : نظام المذاكرة والمناقشة :**

هذا النوع من نظم التدريس والتعلم تتخذ غالباً الشكل الثنائي ، وهو ما يجعلنا نتردد في احتسابها مجالساً ، خاصةً إذا ما استحضرنا التعريف السابق للمجلس بأنه المكان الذي يجلس فيه الناس للحديث والاستماع ، وعموماً كان لهذا النوع من النُظُم دور كبير في دراسة العلماء للقضايا المثيرة للنقاش فيما بينهم ، وخاصةً أصحاب المذهب الواحد ، إذ يخرجون من النقاش والمذاكرة برؤىً متفق عليها فيما بينهم ، ويتلقاها عنهم تلاميذهم خالصة في صورةٍ نهائية ، سواءً حضروا معهم النقاش أو لم يحضروه ، كما أن له دوراً محورياً في حفظ العلوم الشرعية الأخرى عموماً والسنة المطهرة على وجه الخصوص ، وذلك من خلال اختبار قوة الحفظ بين طلبة العلم أنفسهم ، فإن الواحد منهم يمكنه أن يتأكد من حفظه لمسألةٍ أو كتابٍ أو متنٍ ما بمذاكرة ذلك ومناقشته مع من هو أحفظ منه من زملاءه ، لذلك فقد أولى المحدثون والمشتغلون به عنايتهم الخاصة بالمذاكرة لأنهم رأوا فيها فوائد عديدة لخدمة

---

(1) أزعجت هذه الطريقة – خاصة الأخيرة في المقابر – الناس فاعترض على هذه الجماعة أحد أكبر فقهاء مدينة إب ، متعللاً بتنبيههم للنائمين وإفزاعهم الأطفال بأصواتهم العالية ، فأفتى بعدم جواز ما يفعلون ، وطلب من متولي البلد الإعانة على منعهم فأجابه إلى ذلك ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٦٥ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ١٤٠ .

(3) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٨١ .

السنة النبوية حفظاً وفهماً وتذكراً واستحضاراً[1] حتى قال أحدهم : " القلوب تُرَبٌ ، والعلم غراسها ، والمذاكرة ماؤها ، فإذا انقطع عن الترب ماؤها جف غراسها " ، وقال آخر : " إنما مثل صاحب الحديث بمنزل السمسار ، فإذا غاب عن السوق خمسة أيام تغير بصره "[2] أي فقد قدرته على تقدير ثمن الأشياء ، بل إن بعض السابقين من علماء السلف – وهو الإمام الحافظ المُزّي – قد جعل المذاكرة حياة للعلم وفي تركها إماتته ، وعبر عن ذلك شعراً حيث قال :

مَـنْ حـازَ العِـلْمَ وذَاكَـرَهُ
حَسُنَتْ دُنيـاهُ وآخِـرَتُه

فَـأدِمْ للعِـلْمِ مُـذاكَـرَةً
فَحَـياةُ العِـلْمِ مُذَاكَـرَتُه[3]

كما أن هناك دوراً آخر لعبته هذه الصورة التعليمية ، وهو ترسيخ العلاقات الثنائية بين العلماء وتكريسها لترمي بظلال الود والوئام على العلاقات فيما بينهم في الغالب ، وقد كان العلماء يستغلون مرور بعضهم على مناطق بعض فيستضيفونهم في منازلهم ، وهناك كانت تعقد معظم المناقشات والمذاكرات ، بل وحتى طلب الإجازات العلمية في نهايتها أحياناً .

من أهم ما أوردته المصادر في هذا الشأن ما روى الإمام المؤرخ الحسين الأهدل[4] أن شيخه الإمام العلامة نور الدين علي بن أبي بكر الأزرق الهمداني (ت٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) أحد أكبر علماء تهامة قد كان " حسن المحاورة ، كثير المسامرة بالليل ، بحيث يسأم جميع من حضر وهو يزيد في الحديث والروايات

---

[1] د. أحمد محمد نور سيف ، **مجالس المذاكرة وأهميتها في حفظ السنة ونقدها** ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، ص ١٢ .

[2] الخطيب البغدادي ، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** ، تحقيق د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣هـ ، ج ٢ ص ٢٧٨ .

[3] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٣ ص ١٦٣٥ .

[4] سيلاحظ كثرة اعتمادنا على تاريخ الإمام الأهدل ، وذلك أنه كان أفضل مؤرخي عصره في اليمن في إيراد التفاصيل التي هي غنية بشواهد ما نبحث عنه وقرائنها ، والباحث محكوم بمظنة توافر المادة العلمية، أنى توفرت له فهو مجبر على الوقوف عليها ، وليس هو الحاكم فيها باختياره .

والمذاكرة ... "[1] ، وكذلك ذكر عن شيخه الآخر العلامة أبي بكر بن علي الحاذري (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) أنه " كان منصفاً في المذاكرة ، ويؤثر المذاكرة في علم الرقائق مع من وجد ، له ذوقاً في ذلك ، حتى كنت إذا ذاكرته - في حال قراءتي عليه - يكاد يؤثر ذلك على القراءة ، وإذا ذكرت له نكتاً من علم التصـــوف أعجبه ذلك كثيراً "[2] .

كما روى الأهدل أيضاً ما جرى بينه وبين الإمام محمد بن علي بن عبدالله بن إبراهيم الخطيب الموزعي الشهير بابن نور الدين (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) عندما نزل بمدينة أبيات حسين - وهي موطن الأهدل - فاستدرك الأهدل بنزوله فيها ما فاته من التتلمذ على يديه عندما رحل هو إلى بلدته مَوْزَع فلم يجده فيها ، يقول الأهدل[3] : " ولم يتفق لي الأخذ عن ابن نورالدين وقت رحلتي إلى مَوْزَع حتى وفق الله وصوله إلى أبيات حسين ... فنزل عندي في بيتي ، فأخذت عليه (اللَّمَع) قراءة متقنة كما وصف في إجازته ، وهي عندي بخطي تخص وتعم بحمد الله تعالى " ، ومع لفظ القراءة والإجازة هما اللذين وردا هنا ، وأن لفظ المذاكرة والمناقشة لم يرد في هذا النص إلا أن معرفتنا بأن الإمام الأهدل كان - في الأصل - قد حصل (اللمع) في سنوات طلبه الأولى ، وربما عدة مرات ، حتى حفظها غيباً كما ذكرها عن نفسه[4] ، فإننا سندرك أن جو المناقشة والمذاكرة هو الجو الذي ساد قراءة الكتاب المذكور التي دارت بين الإمامين في تلك الليلة المشار إليها .

ويذكر الإمام الأهدل - أيضاً - أنه اجتمع بالفقيه أبي بكر بن الطيب بن دعسين وتذاكرا معاً فرسخ الانطباع لدى الأهدل عن مدى فضل رفيقه وقوة حفظه مع انتقاده في أشياء رآها فيه ، إذا يقول : " وهو فقيه محقق عارف بالتصوف ، اجتمعت به وذاكرته فرأيته فاضلاً كاملاً ، كثير التلاوة والذكر ، حافظاً للأذكار وكلام الأئمة والصوفية ، زاده الله وإيانا من فضله ، إلا أنه كان يحفظ تائية ابن الفارض

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ١٦١ .

(2) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٨٠ .

(3) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٦٠ .

(4) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٥٩ .

ويستنسخها، غير عالم بقبح ما فيها من الإتحاد ... "[١] ، كما اجتمع الأهدل نفسه بآخر هو الفقيه أبو بكر بن مشمر الأشعري فجرت بينهما المذاكرة والمناقشة ، يقول : " فوجدته فقيهاً نبيهاً حسن القابلية للحق ... "[٢] ، كما أنه – أي الأهدل – اجتمع باثنين مع علماء بني جعمان أهل القرية العلمية المباركة قرية بيت الفقيه ، وهما : إبراهيم بن عبدالله بن جعمان محمد بن يحيى بن جعمان فذاكرهما كثيراً ، وخاصة في الفقه[٣] .

ولما نتذكر ما عُـرِفَ به سلاطين بني رسول من العلم والفضل والمشاركة الكبيرة للعلماء ومجتمعهم في كثير من أنشطتهم وفعالياتهم فإننا لا نستغرب إذاً إن وجدنا أحد هؤلاء السلاطين – وهو السلطان الظاهر يحيى الرسولي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) – يقوم بدعوة علماء تهامة للقاءه في مدينة المَهْجَم أثناء خروجه لقتال بعض الخارجين عليه في تهامة ، فقام الإحسان إلى العلماء الوافدين عليه والحفاوة بهم ، وعقد معهم جلسة مذاكرة ومناقشة ، ليس بصفته سلطاناً خرج للقتال بل بصفته عالماً من العلماء[٤] .

وهذا الإمام المؤرخ ابن الديبع (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) يتحدث – أثناء ترجمته لبعض علماء وصاب – عن الفقيه بدر الدين حسن بن عثمان المنبهي (من شيوخ ابن الديبع) قد استفاد من مذاكراته معه فوائد جمة[٥] ، كما أنه مدح الفقيه إبراهيم بن محمد الريمي بأنه كان " صاحب شهرة حميدة ومذاكرة مفيدة ... "[٦] .

وقد أفاد الإمام الطيب بن عبدالله بامخرمة (ت٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) بأنه صَاحَبَ الشيخ محمد بن حسن المعلم بن محمد باعلوي وجلس إليه كثيراً ، وكانت المذاكرة تنعقد بجلوسهما ، فيتدارسون القرآن الكريم[٧] ، كما وُصِفَ شيخ الإسلام

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٣٦١ .

(2) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٣٦٢ .

(3) المصدر السابق ، ج ١ ص ٣٤٨ .

(4) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٣٤ .

(5) ابن الديبع ، نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية ، تحقيق أحمد راتب حموش ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ص ٢٢٣ .

(6) المصدر السابق ، ص ٢٢٤ .

(7) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ص ٧٠٢ .

الإمام جمال الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن علي بافضل الحضرمي (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٨م) بأنه " كان متفنناً في العلوم ، حسن المذاكرة ، ومجالسه محفوظة "[١] .

❖ **صور تلقي العلم :**

هناك اشتراك بين حديثنا السابق حول أنظمة التدريس وحديثنا هنا عن صور التلقي ، وترتفع درجة الاشتراك في الصورة الأولى – السماع – إلى درجة أنهما يتفقان لفظاً ويتشابهان معنىً ، فمجلس السماع الذي تحدثنا عنه كان من جانب رؤيتنا إلى العالم المتكلم في المجلس كونه مُرْسِلاً ، أما حديثنا هنا فهو – وإن كان يتناول المكان والنشاط السابقين ذاتهما – يشير إلى دور طالب العلم كنه مستَقْبِلاً ، ويتضح ذلك من خلال شيوع عبارات (أخذ عن ، حدثنا ، أنبأنا ، وروى عن ، سمع ...) في المصادر من كتب التاريخ والطبقات وكتب الجرح والتعديل .

وصور تلقي العلم التي كانت مستخدمة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين هي نفسها التي كانت مستخدمةً في العالم الإسلامي من قِبَلِ المحدثين والفقهاء والمؤرخين وغيرهم منذ القرون الهجرية الأولى ، وإن كان هناك من تطوير فيها فهو في شمولها لعلومٍ كثيرةٍ أخرى غير تلك التي كانت قائمة في تلك الحقبة المبكرة .

١. **السماع :**

هو سماع لفظ الشيخ إملاءً أو تحدثاً ، سواءً كان من حفظه أو من كتاب ، وهو أرفع الطرق عند الجمهور[٢] ، وتمتع الطالب بالسماع المباشر من شيخه هو المسوغ الوحيد له أن يقول – أثناء الخوض في مسائل العلم في مجال التدريس أو النقاش أو الفتوى أو غير ذلك – سمعت ، أو حدثنا فلان ، أو أخبرنا ، أو أنبأنا ، تلك الألفاظ التي اصطلح عليها العلماء المسلمين .

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٤ .

(2) ابن الصلاح ، **مقدمة ابن الصلاح** ، ص ٨٧ ، السيوطي ، **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي** ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، ط ٢ ، ١٩٧٢م ، ج ٢ ص ٨ ، القاضي عياض ، **الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع** ، تحقيق أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة، ط ٢ ، ١٩٧٨م ، ص ٦٩ ، ابن كثير ،**الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د ، ت) ، ص ١٠٩ .

وكان منشأ هذه طريقة التلقي هذه عند المحدثين ، حيث كانوا دقيقين في استخدامها وفي التعبير عنها أثناء نقل ما تعلموه عن طـريقها إلى طـلابهم ، بحيث أنهم باتوا يفرقون بين لفظـتي (أخبرنا) و (حدثنا)[١] ، ثم ما لبثت هذه الطريقة أن شاعت حتى شملت معظم العلوم النقلية والعقلية الطبيعية .

وقد اعتمد اليمنيون السماع كواحد من أهم معابر التلقي والتحصيل العلمي لديهم، وتوارثته أجيال العلماء جيلاً بعد جيل ، فنراهم – من خلال المصادر – يتلقون العلوم المختلفة سماعاً عن مشائخهم ، وقلما وجدت ترجمة لأحدهم لا تتضمن الإشارة إلى ألفاظ السماع المعروفة ، ولما كانت طريقة السماع تأتي في الصدارة بين صور التلقي الأخرى فقد كان العلماء يتمايزون بكثرة مسموعاتهم ، ويبحثون عن كثرتها عن طريق الرحلات العلمية الداخلية أو الخارجية ، فكان العالم منهم بعد ذلك يتحدث عن (مسـموعاتي ومقـروءاتي) ، ويتحدث الطالب أنه أسـتجاز من شيخه " كثيراً من مسموعاته "[٢] .

والأمثلة على السماع في حياة علماء اليمن كثيرة جداً ، سواءً ما كان منها في أوان طلبهم العلم وتحصيلهم له أو ما كان منها في مرحلة نضجهم العلمي والجسدي عند قدوم المبرزين من أقرانهم من العلماء اليمنيين وغيرهم ، وتزخر المصادر بعددٍ عزيزٍ من الإشارات إليها ، ولعلنا هنا نكتفي بعيِّنَة منها ، فنذكر ما أوردته المصادر عن سماع الفقيه عفيف الدين عبدالله بن أبي بكر البريهي (ت بعد ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) للحديث عن الإمام مجد الدين الفيروزابادي والإمام نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي وإجازتهم له[٣] ، ومثله سماع الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) لكتب السنن والشمائل وأمهات الحديث النبوي الشريف من جماعة من أشهر محدثي عصره في اليمن ومكة المكرمة ، منهم شيخ الحرم المكي جمال الدين محمد بن عبدالله بن ظهيرة القرشي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) ومحدث اليمن في عصره الإمام نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي (ت ٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) وشيخ محدثي

---

(1) د. عبدالرحمن الشجاع ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع ، ص ٨١ .

(2) الجندي ، السلوك ، ج ١ص ٢٣٧ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٤١ .

صنعاء الحافظ شرف الدين حسين بن محمد العلفي (ت أوائل القرن التاسع الهجري / أوائل القرن الخامس عشر الميلادي)[1] .

وهذا الإمام المؤرخ بدر الدين أبي عبدالله الحسين بن عبدالرحمن الأهدل[2] (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) يورد - أثناء عرضه لمحطات طلب العلم في مسيرة حياته - أنه سمع كتابي الغزالي (بداية الهداية) و (منهاج العابدين) وبعضاً من تفسير الواحدي على شيخه الفقيه العلامة علي بن آدم الزيلعي (ت العقد الأول من القرن التاسع الهجري / العقد الأول من القرن الخامس عشر الميلادي) ، كما سمع كتاب (اللطيفة المرضية الشاذلية) و (عيون الحقائق) من شيخه الفقيه المتصوف علي بن عمر القرشي ، وسمع منه أيضاً كتاب (اللطائف) لتاج الدين بن عطاء السكندري .

ولن نبالغ إن قلنا : إن المعلومات التي أوردها الإمام المؤرخ ابن الديبع[3] (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) في سيرته الذاتية التي حررها عن نفسه وعرض فيها مدى اعتماد طالب العلم - في اليمن وخارجها - على السماع بصورة كبيرة جداً في تلقي العلم ، لن نبالغ إن زعمنا أن فيها الكفاية في الاستشهاد عن أي إشارات أخرى ، ولعلنا نقول : لو حرر كل عالم سيرته الذاتيه أو أننا وجدنا مجلدات العلماء التي حصروا فيها إجازاتهم التي حصلوها وتراجم مشائخهم الذين تلقوا عنهم لوجدناها تزدان بشواهد السماع ، فقد جاء في السيرة الذاتية المذكورة أن ابن الديبع سمع صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي ومطأ مالك والشفاء للقاضي عياض وعمل اليوم والليلة لابن السني والشمائل للترمذي والرسالة القشيرية وجميع مؤلفاته ومصنفاته، سمع ذلك كله عن شيخه الإمام العلامة المحدث زين الدين أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) ، وكذلك سمع صحيحي البخاري ومسلم مرةً أخرى في مجلس الفقيه العلامة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي القاسم بن جَعْمَان (ت٨٩٧هـ / ١٤٩١م) ، كما سمع بمكة المكرمة على شيخه المؤرخ

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٠ ، ابن الرشيد ، **بغية المريد وأنس الفريد** ، ق ٦١ ب ، ٦٢ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ، ص ٨٩٦ - ٩٠٢ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٥ ، الوزير ، **تاريخ بني الوزير** ، ص ٣٥ ، الوزير (آخر) ، **ترجمة موسعة للإمام محمد بن إبراهيم الوزير** ، ق ١٢٦ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ق ٢٥٨ - ٢٦٢ .

(2) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ .

(3) **بغية المستفيد** ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

الشهير شمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي المصري (ت٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) كثيراً من صحيحي البخاري ومسلم ، ومن كتاب (مشكاة المصابيح) للإمام التبريزي وجملةً من (ألفية الحديث) للحافظ العراقي ومن شرحها له المسمى بـ (فتح المغيث بشرح ألفية الحديث) .

لو استعرضنا قائمة المقررات التي درسها الإمام ابن الديبع الشيباني وحصلها وجعلت منه محدث اليمن الأبرز في عصره وأحد أكبر المحدثين في تاريخ اليمن على الإطلاق فإننا سنلاحظ أنه تلقاها كلها بطرقٍ محصورة ما بين السماع عن مشائخه - بالدرجة الأولى - ثم بالقراءة عليهم بنفسه أو بقراءة غيره من الزملاء - في المقام الثاني .

٢. **القراءة على الشيخ (العرض) :**

وتكون بقراءة الطالب على شيخه من كتابٍ ما أو مما يحفظه ، أو بسماعه من يقرأه على الشيخ وهو حاضر ، ويكون الكتاب المقروء إما أحد مؤلفات الشيخ أو من مروياته أو مما يعرفه من مذهبه أو علومه ، ويكون الشيخ في هذه الحالة متابعاً للطالب القارئ من خلال نسخةٍ للكتاب ذاته في يده أو معتمداً على حفظه له[١] ، وقد تسمى هذه الطريقة لدى المحدثين بطريقة العَرْض[٢] ، كما أن هناك ضربٌ آخر من القراءة تقع بقراءة الشيخ نفسه من كتابٍ ما أو من أصل حفظه وجميع طلبته بين يديه يستمعون إلى قراءته[٣] ، وغالباً ما ينحصر الضرب الأخير في قراءة الشيخ لمؤلفاته هو ، والنوع الأول هو الأكثر شيوعاً والأعم استخداماً .

كانت القراءة ملازمة للعلماء في مسيرتهم التعليمية ، منذ مراحل الطلب الأولى إلى آخر مراحل التدريس والتعليم ، وكانت تمثل الدعامة الأخرى - بعد السماع - التي يرتكز عليها النشاط العلمي التدريسي عموماً ، بل إن البعض عدها الأفضل عند

---

(1) ابن الصلاح ، **مقدمة ابن الصلاح** ، ص ٨٩ ، ٩٠ ، السيوطي ، **تدريب الراوي في شرح تقريب النووي** ، ج ٢ ص ١٢ ، القاضي عياض ، **الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع** ، ص ٧٠ ، د. عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ٨٥ .

(2) ابن الصلاح ، **المصدر السابق** ، ص٨٩ .

(3) د. رضوان أحمد الليث ، **الحياة العلمية في بلاد الشام** ، ص ١٦١ .

العلماء[1] ، وقد اعتمدها علماء اليمن كما اعتمد عليها غيرهم منذ القرون المبكرة للعلم فيها ، ومن متقدميهم الفقيه أحمد بن الحسين الأكوع (من علماء القرن السادس الهجري) والإمام أبو الحسن علي العرشاني (ت٥٥٧هـ / ١١٦١م) وغيرهما[2] .

وتأتي الإشارة إلى القراءة كواحدة من صور تلقي العلم في اليمن في مدة الدراسة بأن تشير إلى أن العالم يقوم باستقراء الطلاب كتباً معينة كالإمام علي بن محمد بن أبي القاسم (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) الذي كان يقرئ الطلبة في جميع علوم الاجتهاد وفي الأمهات الست والتفسير[3] أو باللفظ الصريح أن الطالب قد قرأ على شيخه كتاب كذا وهي الأشهر والأكثر وروداً في المصادر .

ولعلنا نكرر هنا شيئاً مما ذكرناه عن السماع ، فقلما ترد ترجمة لعلماء اليمن في مصادر الدراسة إلا وفيها إشارة أو أكثر إلى القراءة على الفقهاء والمشائخ ، وهو ما يقودنا إلى اليقين بأن اليمنيين قد عولوا عليها كثيراً كقناة يتلقى الطالب من خلالها علم أساتذته .

من الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها قراءة الفقيه صفي الدين أحمد بن حسن بن إبراهيم بن يحيى البريهي (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) صحيح البخاري على المحدث الكبير الإمام الحافظ نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي وضبط نسخته من لفظه ، وقرأ عليه أيضاً صحيح مسلم وسنن الترمذي في مدينة تعز ، فكان بعد ذلك كثير الإقراء ، وما قرأ عليه أحد من الطلبة إلا انتفع بقراءته عليه ، وكان دأب هذا العالم الإقراء ليس في الحديث فقط ، فقد اشتهر بإقراءه في كتب الفقه كالوجيز والوسيط للغزالي والمنهاج للنووي والحاوي للقزويني ، ومن حسن إقراءه للطلبة أن كتبه كانت من أحسن الكتب ضبطاً ، وكانت كتبه كلها مُحَشَّاة معدومة النظير في ضبطها وحسنها[4] .

وهذا القاضي العالم وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد النحواني (ت٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) ترد في ترجمته أنه قرأ كثيراً من الكتب الفقهية على كبار الفقهاء في بلده ،

---

[1] د. صبحي الصالح ، **علوم الحديث ومصطلحه** ، دار العلم للملايين ، بيـروت ، ط ١٠ ، ١٩٧٨م ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

[2] الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ١١٦ .

[3] زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٠٧ .

[4] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٨٦ .

منها أنه قرأ على الفقيه داود بن عبدالله الحرازي بوصاب كتاب (التنبيه) للشيرازي والفرائض ، كما قرأ على الإمام صفي الدين أحمد الأصبحي الشنيني كتب (المهذب) للشيرازي ، و (الوسيط) و (الوجيز) الغزالي ، و (البيان) لابن أبي الخير العمراني ، وقرأ أيضاً عليه جملة من كتب الحديث[١] .

واعتاد طلبة العلم على قراءة صحيح البخاري طوال شهر رمضان كل عام على الإمام العلامة صفي الدين أحمد بن عبدالله الكاهلي (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ، وقلَّ من قرأ عليه إلا انتفع به ، وكانت القراءة عليه تتنوع بين قراءة على الطلبة أو قراءته هو بنفسه عليهم حتى وفاته[٢] .

وكان الإمام المقرئ أبو بكر بن عبدالله اللحجي (ت٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) قد كثر طلابه الذين قرأوا عليه العلوم التي أجادها وشارك فيها ، كعلوم اللغة والنحو والقراءات والفقه ، وكان أغلبهم من الباحثين عن علم القراءات لديه ، منهم الإمام المؤرخ الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) الذي قال : " كان لي أخذٌ عليه ، قرأت عليه كتاب (التيسير) في القراءات لأبي عمرو الداني قراءة بحث وتصحيح ... "[٣] .

ويتحدث الإمام ابن الديبع[٤] (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) عن نفسه أنه قرأ القراءات السبع – مفردةً ومجموعة – على خاله العلامة جمال الدين أبي النجا محمد الطيب بن إسماعيل بن مبارز (ت٨٦٨هـ / ١٤٦٣م) ، كما قرأ (كتاب الزبد) في الفقه للإمام شرف الدين البارزي علي العلامة تقي الدين أبي حفص عمر بن محمد بن معيبد الأشعري (ت٨٨٧هـ / ١٤٨٢م) ، وقرأ – أيضاً – على العلامة جمال الدين أبي أحمد محمد الطاهر بن أحمد بن عمر بن جَعْمَان(ت٩٠٠م / ١٤٩٥م) كتاب (منهاج الطالبين) للنووي وكتاب (الحاوي الصغير) في الفقه للنجم القزويني ، ومختصره (تيسير الفتاوي من أسرار الحاوي) للبارزي ونظمه لابن الوردي ، ثم قرأ كتاب (الأذكار) للنووي ، و (الشمائل) للترمذي ، و (عدة الحصن الحصين)

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٩٠ .

(2) المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(3) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ١٣٩ .

(4) بغية المستفيد ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

للجزري على العلامة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي القاسم بن جَعْمَان (ت٨٩٧هـ / ١٤٩١م) ، وأخيراً قرأ كتاب (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) للحافظ ابن حجر ، وبعضاً من كتاب (عيون الأثر) في السيرة لابن سيد الناس ، وبعضاً من كتاب (رياض الصالحين) للنووي ، وثلاثيات البخاري ، وما لا يحصى من الأجزاء والمسلسلات ، وهذا الكم الكبير من الكتب التي قرأها ابن الديبع على مشائخه ترسخ في الذهن أن القراءة حازت مكانة مرموقة في النظام التعليمي السائد عصرئذٍ في اليمن وغيرها من أقطار العالم الإسلامي ، فهو لم يقرأ في اليمن فحسب بل قرأ على علماء المسجد الحرام بمكة المكرمة .

وإذا كان الإمام ابن الديبع قد جمع لنا هذا الكم الكبير من إشارات قراءة الطالب على مشائخه في سيرته الذاتية فهو قد أهمل عدداً آخر من قراءاته الأخرى ، أو لعله واصل قراءاته – بعد تحريره لترجمته الذاتية المذكورة – على أقرانه من العلماء بعد أن أصبح في مصافهم بل ومن أشهرهم ، فهو يذكر في كتاب آخر له أنه قرأ على العلامة حسن بن عثمان المنبهي (آخر القرن التاسع الهجري) عدة كتب من مسموعات الفقه والفرائض[١] .

ويتناول الإمام المؤرخ أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة الحضرمي (ت٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) في تاريخه القيم (**قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**) القراءة كواحدة من أهم وسائل تلقي العلم في اليمن عموماً وفي عدن وحضرموت على وجه الخصوص ، فمن النادر أن يترجم لعالم إلا ويذكر أهم قراءاته ، كما ذكر طرفاً من القراءة التي باشرها كثير من الطلبة عليه نفسه ، منها ما ذكره عن أخيه الأصغر محمد بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩٠٦هـ / ١٥٠٠م) حيث يقول:" رحل إلى عدن لطلب العلم في سنة (٨٩٢هـ / ١٤٨٦م) ، فقرأ عليَّ (التنبيه) جميعه ، قراءة فهم وتثبيت ، وقرأ غير ذلك من الكتب الفقهية والنحوية ... وقرأ على أخيه شيخنا الفقيه أحمد قليلاً ... "[٢] .

وقبل اختتام الحديث عن القراءة والسماع كصورتين رئيسيتين لتلقي العلم في اليمن – وغيرها – في مدة الدراسة وقبلها ، يجب التوقف عند نقاط تتناول

---

(1) ابن الديبع ، **نشر المحاسن اليمانية** ، ص ٢٢٣ .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٦ .

جوانب مهمة عنهما ، من ذلك أن الحديث عنهما لا يكون منفصلاً ، بكلمات أخرى أقول : إن السماع يترافق مع القراءة كما تترافق القراءة مع السماع أيضاً ، وهو وضع يجعلنا ننأى بما قد يخطر في بالنا من سلبية الطالب حين السماع أو سلبية الشيخ حين القراءة ، وذلك لأن الطرفين كليهما كانا يتوقفان عند نقاط معينة يريان فيها ما يستدعي التوقف ، فقد يسمع الطالب من شيخه ما يستنفر فيه الذهن فيدفعه إلى طلب الإذن بالتعليق والاستدراك والمداخلة ، كما أن الشيخ قد يرى أن المسألة التي يقوم الطالب بقراءتها غامضة ، ويحتمل وقوع اللبس في فهما على الطالب السامع والقارئ فيوقف القراءة حتى يتم توضيحها ، أو يقوم بتوضيح ما يدرك أنه مشكلة علمية بوزن معين، كأن تكون محتويةً على معنى كبير أو دقيق[1] .

وهناك جانب آخر في الحديث عن السلبية والإيجابية عند السماع والقراءة ، فإن الشيخ لم يكن وحده المحور الرئيسي فيهما ، بمعنى أن هناك شكلاً من أشكال تبادل الأدوار ما بين السماع الذي هو لفظ الشيخ والقراءة على الشيخ التي هي لفظ الطالب ، فأحياناً يكون السماع بلفظ أحد الطلاب قراءةً وبقية زملاءه يستمعون إليه ، فيسمى ذلك استماعاً على الشيخ بقراءة الزميل ، وفي القراءة أحياناً قد يشترك اثنان من الطلاب في قراءة كتاب واحد[2] ، وهذا أدعى إلى تجاوز الملل والسأم الناتج عن طول الوقت الذي يقضيه طرفا القراءة في المجلس ، ثم إن في هذا التنوع فرصةً للتغيير ، بحيث أن الشيخ قد يقرأ كتاباً أو أكثر على طلابه ثم يكلف من يراه من طلابه بقراءة غيره عندما يشعر بالتعب أو أي ظرف آخر يستدعي الراحة والتوقف ، وقد يحبذ الشيخ قراءة أحد طلابه على قراءته الشخصية إذا ما توافرت لديه مهاراتُ جهورية الصوت وسلامة اللغة وإجادة القراءة ، فقد ذكر ابن سمرة (ت٥٨٦هـ / ١١٩٠م) أن الفقيه أسعد بن مسروق بن فتح بن مفتاح قد سمع سنن الترمذي على شيخه أبي بكر بن سالم بقراءته هو[3] ، كما سمع جماعة من الطلاب على القاضي أثير الدين بقراءة زميلهم إبراهيم بن

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٤٥ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٧٤ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٧٣٦ ، ٧٣٧ .

(2) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١٥٢ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٢٣٣ ، الجندي ، السلوك ، ج ١ ص ٣٥٢ .

أحمد القريطي (ت بعد ٥٨٢هـ / ١١٨٦م)[1] ، وذكر ابن الديبع[2] (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) عن نفسه انه سمع صحيحي البخاري ومسلم وبعضاً من كتاب (الإرشاد مختصر الحاوي) للإمام العلامة شرف الدين إسماعيل ابن المقرئ بقراءة غيره بين يدي الفقيه العلامة برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن أبي القاسم بن جَعْمَان (ت في أواخر القرن التاسع الهجري / أواخر القرن الخامس عشر الميلادي) .

كانت القراءة أيضاً وسيلةً فاعلةً في التدريب على مهارة القراءة السليمة وتقويم اللسان ، حتى لو كان موضوع القراءة بعيداً عن اللغة ، كأن يكون في الفقه أو الأصول أو التاريخ أو بعض العلوم العقلية ، وكانت العلاقة على ما يبدو طردية بين كثرة القراءة على العلماء وبين إجادة القراءة وإتقانها، فكلما زادت مرات القراءة والسماع ارتفع منحنى الإتقان فيها ، وقد عبر بعض العلماء في إجازاتهم التي منحوها لطلابهم عن ارتياحهم إلى مستوى إتقان هؤلاء الطلاب من خلال ألفاظ المدح لهم ، كالقائل في معرض نص إجازةٍ علميةٍ : " بقراءته قراءة من كان واقفاً على معانيه دقيقة وجليلة "[3] ، أو الآخر القائل عن نفسه : " قرأت (كتاب الزبد) في الفقه ... قراءة بحث وتحقيق وفهم وتدقيق "[4] .

٣. الوَجَادَة :

المقصود بها أن يتبنى العالم نصاً قرأه في كتاب ، أو تعليقاً على مسألةٍ وجده في ورقةٍ أو أوراقٍ ، دون أن يأخذ محتواها عن كاتبها مباشرةً ، ولعله لا يعرفه أو لم يسمع منه ولم يقرأ عليه ، فيرويه عن كاتبه دون أخذ الإذن أو طلب الإجازة منه ، معبراً عن ذلك بقوله : " وجدت بخط فلان ... " أو " قال فلان .... "[5] ، وذلك لكي

---

(1) بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ج ٢ ص ٧٧ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ١٩٦ .

(2) **بغية المستفيد** ، ص ٢٣٠ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٧٤ .

(4) ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٣٠ .

(5) د. منير الدين أحمد ، **تاريخ التعليم عند المسلمين** ، ترجمة سامي الصفار ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨١م ، ص ٦٥ ، القاضي عياض ، **الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع** ، ص ١١٦ ، ١١٧ ، د. عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ٨٨ .

يوحي إلى سامعه أنه لا ينقل ذلك عن كاتبه ولم يسمعه أو يقرأ عليه ، وقد قال بعض العلماء أن من يروي علم غيره وصله عن طريق الوجادة دون أن يستجز من كاتبه قائلاً : " أخبرنا فلان ... " أو " عن فلان ... " فقد وضع نفسه في قائمة المُدَلّسين[١] .

تعد الوجادة واحدة من أبهى صور الأمانة العلمية لدى المسلمين ، وما يقال عنها يقال عن القراءة والسماع أيضاً ، ولكنه في شأنها أوضح وأشد جلاءً ، وقد فتح اعتماد العلماء المسلمين لها واحدةً من طرق نقل العلوم وتلقيها الأبواب مشرعةً للسعي الذاتي لجمع العلوم المختلفة عن طريق الاطلاع على الكتب والشروح المختلفة التي يتعذر على أهل العلم وطلبته الوصول إلى مؤلفيها للسماع المباشرة عنهم والقراءة عليهم ، وخاصة عندما تقف الإمكانات المادية والمسافات الجغرافية الطويلة والأوضاع الاجتماعية والأسرية عائقاً يمنعهم من الرحلة والسعي إلى أولئك العلماء المؤلفين للكتب المهمة في العلوم المختلفة .

المطلع على أوجه النشاط العلمي في تاريخ اليمن الإسلامي يدرك الدور الكبير الذي لعبته الوجادة في انتشار العلوم وشيوع استنساخ الكتب وعرضها على مؤلفيها ، وبالتالي لم يتعد شيخ الإسلام الإمام الشوكاني[٢] (ت١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) الصواب عندما زعم أن أكثر علوم أهل الديار اليمنية مأخوذ عن طريق الوجادة لعدم توافر شيوخ الكتب الوافدة إلى اليمن .

سنتعدى تعميم النظرة التي عبر عنها الإمام الشوكاني متلمسين ما صرحت به المصادر المتوافرة عن علماء يمنيين من حقبة دراستنا هذه بأنهم قد رووا نصوصاً عدة وجادةً ، منها ما ورد عن المؤرخ الفقيه الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) متحدثاً عن نفسه بألفاظ تؤكد الاعتماد على الوجادة في رواية العلم ونقله ، يقول الأهدل[٣] : " ووجدت بخط الفقيه محمد بن يوسف المزجد أنه وجد بخط الإمام محمد بن إسماعيل الحضرمي ... ما معناه : أنه حج فرأى الغزالي في حال التجريد

---

(1) القاضي عياض ، **المصدر السابق** ، ص ١١٧ .

(2) **أدب الطلب** ، ص ١٠٧ .

(3) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٢١٠ ، ٢١١ .

فجعل يمشي خلفه والغزالي يفر منه حتى بعد عنه ، فلما رأى أنه لا يرجع عنه قرأ هذه الآية المذكورة[١] ؛ م انصرف عنه " .

ومن أمثلة الوجادة أيضاً ما رواه الإمام المؤرخ الأهدل[٢] نفسه في تاريخه عن نفسه ، إذ يقول : " **ووجدت** بخط بعض الفقهاء الأخيار فضيلة حسنة لذرية الشيخ علي الأهدل وذرية الشيخ أحمد بن الجعد وذرية الفقيه عمر بن رشيد ... أنهم لا يعرضون على النار[٣] ، وهي مروية عن الفقيه الإمام قطب الدين إسماعيل بن محمد الحضرمي بإسناد متصل في **وجادة** بخط الفقيه أحمد بن وهاس عن خط الفقيه أحمد بن يعقوب بن الفاضل ... " ، وله وجادة أخرى قال فيها : " ووجدت تعليقه بخط شيخنا ابن الأزرق على الجَندي أنه توفي سنة تسع وثلاثين وسبعمائة ، فيكون موته بعد موت الجَندي ؛ لأن الجَندي مات سنة اثنتين وثلاثين – يقصد وسبعمائة – والله أعلم ، وقد تقدم تاريخ وفاته ، هكذا صحت فصحت الوجادة عن شيخنا رحمه الله تعالى "[٤] .

ولما كانت وفاة الإمام المحدث أبي إسحاق إبراهيم بن عمر بن علي العلوي (ت٧٥٢هـ / ١٣٥١م) متقدمة فإن ابنه المحدث الإمام الحافظ نفيس الدين سليمان بن عمر العلوي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) لم يدركه طويلاً ، لذلك فإن روايته عن والده كانت بالإجازة والوجادة في الغالب ، ولم يكن منها بالسماع إلا شيئاً يسيراً في الصغر[٥] .

---

(1) الآية المشار إليها في النص هي قوله تعالى : " ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين " .

(2) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٢٦٦ .

(3) وهذا كلام باطل لا يمكن حتى مناقشته ، ومع أن الإمام الأهدل كان حازماً في التعامل مع مرويات بعض غلاة الصوفية في عهده سواء فيما يتعلق بعقائدهم في الحلول والاتحاد أو الشطح في ادعاء الكرامات وغيرها إلا أنه قد فاته أن يمحص مثل هذه الوجادة ، وربما أن السبب كون جده علي الأهدل متضمن فيها ، والله أعلم ، رحمه الله تعالى .

(4) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٢٨٤ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٣١٥ .

وللمؤرخ الأهدل وجادات متعددة نثرها في كتابه المنقول عنه[1] ، وذلك لا يعني أن غيره من علماء اليمن في عصره لم يعولوا على الوجادة أو لم يأخذوا بها ، إلا أنهم – على الراجح – لم يؤكدوا على ذكرها بسبب شيوع استخدامها ، أو لعلهم كانوا يعبرون عنها بألفاظ القراءة والأخذ والرواية وغيرها ، كما أن الذين وضعوا كتب في التواريخ والتراجم منهم قليلون بالقياس إلى غيرهم، ومن يدري؟ ربما لو أنهم كتبوا في هذا العلم لوجدنا في كتاباتهم العديد من الإشارات التي تتناول الوجادة وما في حكمها .

❖ **الإجازة العلمية :**

هناك عدة تعريفات للإجازة في اللغة والاصطلاح ، تناولتها المعاجم وكتب التعريفات وشبيهاتها ، نذكر أهمها ، ففي اللغة تُعَرَّفُ الإجازة بأنها مأخوذة من جواز الماء الذي يُسقاهُ المال من الماشية والحرث ، فيقال منه : استجزت فلاناً فأجازني ، إذا سقاك ماءً لأرضك وماشيتك[2] ، وينحدر من هذا المصدر الفعل السداسي استجاز ، بمعنى طلب الإذن[3] ، وحدود دلالة الإجازة في الاصطلاح معين بكونها إذنُ الشيخ للراوي شِفاهاً أو كتابةً أو رسالةً أن يروي عنه حديثاً أو كتاباً أو كتباً ، أو ما صح من مسموعاته ، من غير أن يسمع ذلك منه مباشرةً أو يقرأه عليه[4] .

والإجازة العلمية لها مكانة كبيرة في الأوساط العلمية بالمجتمعات الإسلامية ، وقد عدها كثير من الباحثين في مجال الحياة العلمية للأقطار الإسلامية بوصفها واحدةً من صور التلقي وطرق التدريس ، وهم بذلك يتبعون أعلام علم الحديث الذين جعلوها

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ج ٢ ص ٢٧٥ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، .

(2) ابن فارس ، **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ج ١ ص ٤٩٤ ، ابن منظور ، **لسان العرب** ، ج ٢ ص ٥٢٩ ، الفيروزآبادي ، **القاموس المحيط** ، ج ٢ ص ١٧٦ .

(3) الرازي ، **مختار الصحاح** ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ١٩٨٦م ، ص ١١٧ .

(4) الخطيب البغدادي ، **الكفاية في علم الرواية** ، تحقيق عبدالحليم حسن محمود ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٢م ، ص ٤٦٦ – ٤٩٥ ، ابن الصلاح ، **مقدمة ابن الصلاح** ، ص١٠٥ ، ١٠٦ ، القاضي عياض ، **الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع** ، ص ٨٨ ، ابن كثير ، **الباعث الحثيث** ، ص ١٢١ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٢٠ .

إحدى طرق حمل الحديث ونقله[1] ، إلا أن هناك رأياً آخر ينظر إليها كصورة من صور الشهادات المعتمدة الممنوحة من العلماء لطلابهم أو لمن طلبها من غيرهم بشروط معروفة سنتناول بعضها .

اختلف كبار علماء الإسلام الأوائل – وخاصة الفقهاء والمحدثين والإمام الشافعي منهم – وعددٌ ممن جاء بعدهم في جوازها واعتمادها طريقاً لاستحقاق الرواية للعلم ونقله ، حيث قال قائلهم : " لو جازت الإجازة لعُطِّــلَت الرحلة " وبلغ ببعضهم التشديد في رفضها إلى الإنكار على المعتمدين لها فقالوا : " إن من قال لغيره : أجزت لك أن تروي عني ما لم تسمع فكأنه يقول : أجزت لك أن تكذب علي "[2] ، إلا أن الجمهور قد ذهب إلى اعتمادها وجواز العمل بها وبمقتضياتها[3] .

وظاهر الأمر أن الفئة التي لم تعتمد الإجازة لرواية العلم كانت تتخوف من عدم أهلية المُجاز ، فقد يكون مجروح العدالة أو من غير أهل العلم الجديرين بحمله ، ولتعذر التحقق من ذلك كون كثير من الإجازات تصدر دون لقاء المجيز بالمُجاز ، ولعلهم صادفوا من حملهم على اتخاذ ذلك الحكم ، وعكسه هو الذي جعل غيرهم لا يتردد عن منح الإجازة العلمية للكثير ممن طلبوها ، ومجمل القول أن الإجازة في القرون الهجرية الأولى في الغالب لم تكن تمنح إلا لعالمٍ – أو طالب علمٍ – معروف بأهليته وعدالته ، فلم نجد في المصادر أن هناك من تراجع عن إجازة كان قد منحها ، أو تعبيراً من عالمٍ عن عدم رضاه تجاه إساءةٍ لمقتضيات إجازةٍ علميةٍ منحها لغيره .

وقع الاختلاف بين علماء أصول الحديث ومصطلحه حول تصنيف الإجازة بين طرق تحمل الحديث ونقله وروايته ، فمنهم من وضعها في المرتبة الثالثة بعد السماع والقراءة ، ومنهم من جعلها في المرتبة الخامسة ، إذ قدم عليها السماع والقراءة والمناولة والكتابة ، ومما لا شك فيه أنها جاءت – من ناحية الترتيب التاريخي للاستخدام – بعد السماع والقراءة لأنها مرتبطة بوجود المدونات ، والتدوين جاء لاحقاً

---

(1) الخطيب البغدادي ، **الكفاية في علم الرواية** ، ص ٤٦٦ – ٤٩٥ ، القاضي عياض ، **الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع** ، ص ٨٨ – ١٠٧ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٢٠ .

(2) ابن الصلاح ، **مقدمة ابن الصلاح** ، ص ٩٩ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٩٨ ، ٩٩ .

لاعتماد المحدثين على السماع والقراءة ، بل إنها لم تعتمد إلا بعد ظهور المسانيد الموثوقة التي قرئت على أصحابها وقوبلت على نسخهم[1] .

وقبل الخوض في موضوع الإجازات في الحياة العلمية لدى اليمنيين يجب التنويه إلى أمور ثلاثة مهمة :

- **أولها** : أن الإجازات إذا كانت قد بدأ العمل بها لدى المحدثين فحسب فإن العمل بها في مدة الدراسة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين قد شمل كل العلوم القائمة تقريباً ، الشرعية منها كالقراءات والفقه والتفسير ، واللغوية كالنحو والأدب والتصريف ، والطبيعية العقلية كالطب والفلك والحساب والمساحة وغيرها[2] .
- **ثانيها** : أن أغراضها تطورت من حمل الحديث وروايته ونقله في بداية الأمر إلى الإجازة في التدريس والفتوى والقضاء وغيرها من الأغراض ، كما أنها لم تكن مكفولةً للمنتسبين إلى الأماكن النظامية للتدريس كالمدارس ، بل كانت من اختصاص العلماء وصلاحياتهم ، يمنحونها لمن يرون ، سواءً كان منتسباً إلى تلك المرافق التعليمية أو لم ينتسب [3] .
- **ثالثها** : وهو الأهم ، أن الإجازات كان غرض منحها سامياً وعالياً ، إذ كان الهدف منه يتمثل في الحرص على ضبط الرواية وضمان نشر الحقائق العلمية سليمةً غير مشوهة ، كما أنها كانت دليل قدرة المُجاز له على رواية العلم المُجاز به ، إلا أنها انحدرت كثيراً لتصبح شهادة باللقاء والسماع دون أي دلالة على تعمق حاملها أو معرفته بما حُدد له ، واستمر التدهور في دواعي منحها حتى أصبحت من الأمور الفخرية التي تمنح لمستحقها وغير مستحقيها ، وأضحت وسيلةً للمهاداة والتقدير العلمي والاعتراف بعمل الآخرين ، فرأينا في المصادر

---

(1) القاضي عياض ، **الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع** ، ص ٦٨ ، د. محمد عبداللطيف الفرفور ، **أدب الإجازات عند المسلمين** ، مجلة الفيصل ، السعودية ، العدد ٧٩ ، محرم ١٤٠٤هـ ، ص ٦٨ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢٢٨ .

(2) د. مريزن عسيري ، **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي** ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ص ٢٤٩ ، د. محمد عبدالحميد عيسى ، **تاريخ التعليم في الأندلس** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، ص ٤١٤ .

(3) عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢٣٠ .

كثيراً من العلماء والفقهاء يمنحون إجازاتهم لزملائهم وأقرانهم من كبار العلماء والفقهاء ، وغدت الإجازة تطلب بالمراسلة[1] .

وقد بذل اليمنيون جهوداً قصوى في سبيل نيل العلوم وبلوغ أعلى الدرجات فيها، وكان حرصهم على الإجازة كبيراً ، وكانوا يرون فيها دلالة على لقائهم لمانحها وجلوسهم بين يديه ، بل إنهم كانوا يعدونها بمثابة شهادة استحقاق صفة الإحاطة بالعلم الذي أجيزوا به ، ولم نجد في المصادر ذلك النوع من الإجازات الذي منح تقديراً أو مهاداةً ، وكان المجيزون يمهرون الإجازات بخطوطهم أو بتوقيعاتهم ، ويحرصون أشد الحرص على وضع تاريخ تلك الإجازات ، وهذه الإجازات هي التي روت لنا - بصورة غير مباشرة - سلاسل الأسانيد العالية التي كان كثير من علماء اليمن يتمتعون بها في كثير من العلوم ، فقد وُجِدَ في علماء اليمن في مطلع القرن التاسع من لم يكن بينه وبين الإمام البخاري صاحب الصحيح إلا ثمانية رجال ، وهي أعلى درجات العلو في الإسناد في هذه الحقبة التاريخية في العالم الإسلامي قاطبةً .

وقد تحدث السابقون من المحدثين عن أركان الإجازة وأنواعها (أي أقسامها) ، فأما الأركان فهي أربعة محصورة في : المُجيز والمُجاز له والمُجاز به ولفظ الإجازة ، ولم يقع الاختلاف والجدل حولها ، بينما تعددت أقوالهم في أنواعها ، فهناك من عدها تسعة[2] ، وغيره قال بأنها سبعة[3] ، والبعض الآخر جعلها أربعةً فقط[4] ، ولسنا هنا بصدد التفصيل فيها ، وما يهمنا فقط هو الحديث عما كان معمول به من أنواعها في اليمن ، وهي الأربعة الأنواع الآتية :

النوع الأول : الإجازة من معين لمعينٍ :

ويقصد بها أن يجيز الشيخ لشخصٍ معينٍ كتاباً يسميه ويحدده ، كأن يقول مثلاً : أجزتك أن تحدث عني بهذا الكتاب أو هذه الكتب ، وهذا النوع هو أعلى أنواع

---

(1) د. محمد عبدالحميد عيسى ، **تاريخ التعليم في الأندلس** ، ص ٤١٤ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص٣٢١ ، ٣٢٢ .

(2) الأهدل ، **النَفَس اليماني في إجازة القضاة بني الشوكاني** ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م ، ص ٢٥٤ .

(3) ابن الصلاح ، **مقدمة ابن الصلاح** ، ص ٩٨ - ١٠٥ .

(4) ابن كثير ،**الباعث الحثيث** ، ص ١١٩ ، ١٢٠ .

الإجازات وأقواها ، وسماها البعض بأنها (إجازة المناولة) [(1)] ، من أمثلتها تلك الإجازة التي كان طرفاها اثنين من أقطاب العلم في تاريخ اليمن ، واكتملت فيها جميع أركان الإجازات على شروط المحدثين ، كما أنها من أطول الإجازات التي روتها المصادر اليمنية ، وهي إجازة المحدث الكبير نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) - شيخ المحدثين باليمن في القرن التاسع الهجري - التي منحها للإمام الشهير المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) الذي سبق ذكره في الحديث عن الهجر العلمية في الفصل الثالث من هذه الدراسة ، ونص هذه الإجازة كما رواها المجاز له شخصياً كما يأتي :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافي مزيده ، لا نحصي ثناءً عليه ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد النبي المي ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرايته وأصهاره ، كلما ذكرهم الذاكرون وغفل عن ذكرهم الغافلون ، وبعد : فإنه شرفني الله تعالى ورحل إليَّ وقدم عليَّ إلى بلدي تَعِز المحروس - مستقر المملكة اليمنية الرسولية ، عمرها الله بالعلم الشريف - الشريف سيدنا الإمام حقاً والمجتهد صدقاً ، الفائق على أقرانه من الأغصان النبوية والأفنان المصطفوية ، المؤيد بالتأييد الإلهي ، المختار لله تعالى ، الموفق في اجتهاده ، جمال العترة النبوية : محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن محمد العفيف بن المفضل الحسني السُّنِّي بحمد الله تعالى ، وسمع من لفظي ، وقرأ عليَّ ثلث كتاب **(الجمع بين الصحيحين)** - صحيح البخاري ومسلم رحمة الله عليهما - جمع الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن حميد الأزدي الحميدي ، الأندلسي ، الظاهري المذهب ، من كبار تلامذة ابن حزم ، مولده في سنة عشرين وأربعمائة ، أجمع العلماء أنه لم يكن في العماء له نظير في براعته وعفته وورعه ، وتوفي سابع عشر من ذي الحجة (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) ، وأجزته باقي الكتاب لأهليته لذلك ودينه وأمانته وعلمه وبراعته ، وسمع معه ما ذكرته الفقيه الصالح النبيه صالح بن قاسم بن سليمان بن محمد الحنبلي ثم المعمري القادم معه وآخرون من بلادنا ، وأخبرتهم أني قرأته على شيخي الإمام الحافظ المجتهد المقدم على مقرئي كتاب الله تعالى أبي الحسن موفق الدين علي بن أبي بكر بن محمد بن شداد المقرئ الهمداني ، ومولده سنة

---

(1) ابن كثير ،**الباعث الحثيث** ، ص١١٩ .

(٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) ووفاته في شهر شوال سنة (٧٧١هـ /١٣١١م) قال : أنا الشيخ الإمام الحافظ المجتهد أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخي السعدي ، ومولده في سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٩م) ووفاته سنة (٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) ، قال : أنا والدي الإمام الحافظ المجتهد أبو الخير ، ومولده في سنة (٦١١هـ / ١٢١٤م) ووفاته في (٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) قال : أخبرنا الحافظ أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن علي بن عبدالعزيز الفشلي ، قال أنا الإمام برهان الدين أبو الفرج نصر بن علي الحصري البغدادي ، عرف بالبرهان ، بروايته عن أبي الفتح عبدالباقي بن أحمد الحنفي ، عرف بابن البطي ، بروايته عن الحميدي .

وأرويه عن والدي الإمام الحافظ أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوي الحنفي ، إجازةً منه لي في سنة (٧٥٢هـ / ١٣٥١م) ، قال : أنا الإمام أحمد بن أبي الخير بسنده ، قال والدي رحمه الله : أخبرنا الإمام الحافظ أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي والشيخ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي وغيرهما قالا : أخبرنا الشيخ المسند علي بن أحمد البخاري عن الإمام أبي محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم بروايته عن الإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي بروايته عن المصنف الحميدي .

وأرويه عن والدي عن الذهبي قال : قرأته على أبي الفهم بن أحمد السلمي ، قال : أنا أبو محمد بن قدامه ، قال الذهبي : وقرأت على أبي سعيد الحلبي عن عبداللطيف بن يوسف ، قالا : أنا أبو الفتح محمد بن عبدالباقي عن الحميدي .

وأجزته – أي الإمام محمد بن إبراهيم الوزير – وصاحبه جميع رواية صحيح الإمام الحافظ المجتهد المُقلَّد ، المتبع لكتب الله وسنة رسول الله ﷺ بالجامع الصحيح المسند من أمور سيدنا رسول الله ﷺ وأيامه ومغازيه ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي رحمه الله تعالى ، وأخبرته أني قرأته جميعاً على الشيخ الصالح العابد الناسك ، شرف الدين أبي عمران موسى بن مر بن رباح الغزولي الحنفي الدمشقي ، الزُبَيْدي المنسوب إلى القبيلة المعروفة ، رحمه الله، وقد قدم علينا ديارنا إلى تعز المحروس من البلاد اليمنية في خامس ربيع الأول من سنة (٧٩٥هـ / ١٣٩٣م) وتم ذلك في ثلاثة وعشرين مجلساً ، آخرها يوم الخميس ثاني وعشرين شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، ومولده في سنة

(٧٤١هـ / ١٣٤٠م) ، وتوفي عندنا في تعز المحروس في المدرسة المجاهدية في ليلة الأحد من شهر جمادى الأول من سنة (٧٩٥هـ / ١٣٩٣م) ، وكأنه لم يصل إلينا إلا لنأخذ طريق الحجاز عنه محققةً فلله الحمد .

ووالدي رحمه الله وآخرون قالوا : أخبرنا بالجامعِ الصحيحِ المنكورِ - الذي هو أصح الكتب بعد القرآن العزيز عند جماهير العلماء - الشيخُ الصالحُ الكبيرُ ، مُلْحِقُ الأصاغر بالأكابر ، والأحفاد بالأجداد - بعد أن استدعي به إلى مدينة دمشق المحروسة - أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن علي بن حسن بن بيان ، عرف بابن الشحنة ، الحجار ، وهو المعمر الذي أجمع علماء مصر والشام على الأخذ عنه لقرب سنده ، وعلو مشايخه ، ومولده سنة (٦٢٤هـ / ١٢٢٧م) ، وفاته في خامس وعشرين صفر من سنة (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) وبلغ عمره ١٠٦ رحمه الله تعالى ، قال : أنا الشيخ الصالح الحسين بن المبارك بن عمران بن مسلم الزبيدي - بفتح الزاي - ومات في صفر سنة (٦٣١هـ / ١٣٣٠م) ومولده في سنة (٥٤٥هـ / ١١٥٠م)، قال : أنا الشيخ الصالح أبو الوقت عبدالأول بن علي بن شعيب الصوفي الهروي السجزي ، ولد في سابع ذي القعدة في سنة (٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) ومات في ذي القعدة سنة (٥٥٣هـ / ١١٥٨م) قال : أنا الشيخ الفقيه أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل بن الحكم الداوودي الشافعي ، ولد في شهر ربيع الآخر سنة (٣٦٤هـ / ٩٧٥م) ومات في شوال سنة (٤٦٩هـ / ١٠٧٧م) ، قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه الحموي السرخسي ، ومولده في سنة (٢٩٣هـ / ٩٠٥م) ومات في ذي القعدة لليلتين بقيتا منه سنة (٣٨١هـ / ٩٩٢م) قال : أنا الشيخ الصالح محمد بن يوسف بن مطر الفربري بفربر ، ولد في سنة (٢٣١هـ / ٨٤٥م) ومات سنة (٣٢٠هـ / ٩٣٢م) ، قال : أنا الشيخ الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي مولاهم ، ومولده بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة (١٩٤هـ /٨٢٠م) وتوفي ليلة السبت ، هي الفطر بعد صلاة العشاء وذلك سنة (٢٥٦هـ / ٨٧٠م) .

قلت : فبيني وبين البخاري سبعة رجال ، وللمجاز له ثمانية رجال ، وهذا غاية العلو في وقتنا ، قال مشائخنا : ليس على وجه الأرض أعلى من هذا السند ، وإنما كان كذلك لأن كلاً من المشائخ عُمِّرَ مائة أو قريباً منها أو زيادةً عليها[1] .

وأجزته أيضاً رواية صحيح مسلم بن الحجاج بن مسلم بن الورد بن شاهنشاه القشيري ، ورواية سنن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ورواية جامع الإمام أبي عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة بن سلمة بن الضحاك الترمذي ، وكتابه الشمائل ، ورواية سنن الإمام أبي عبدالرحمن النسائي ، وصحيح أبي حاتم بن حبان ، وابن خزيمة ، ومسند الشافعي ، وأبي حنيفة ، وغير ذلك .

وسمع من لفظي الأربعين للإمام الحافظ القطب أبي زكريا يحيى بن شرف النووي في مجلس واحد ، وأجزته بحق سماعه لذلك من لفظه هو وصاحبه صالح المذكور بروايتي لها قراءةً على شيخي الإمام موفق الدين علي بن أبي بكر بن محمد بن شداد بروايته عن جبريل عن الحريري عن المؤلف .

وأجزت الشريف المذكور رواية جميع ما أرويه من سائر العلوم الدينية ، فليروِ ذلك عني موفقاً مسدداً ، بتاريخ يوم الثلاثاء ثامن ذي القعدة سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٤م)، وكان ذلك في منزلي من مدينة تعز المحروس حرسها الله ، وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي العلوي الحنفي ، خادم السنة

(1) علق الإمام محمد بن إبراهيم الوزير على هذه المعلومة القيمة بقوله : هو كما قال النفيس العلوي ، فإني قد وقفت على إجازة الفقيه العالم المحدث شهاب الدين أحمد بن سليمان الوزري الصعدي للإمام الأعظم أمير المؤمنين الناصر لدين الله محمد بن علي بن محمد بن علي بن منصور بن يحيى بن منصور بن المفضل كتب الحديث فوجدت هذه الإجازة أعلى إسناداً وأقدم ميلاداً ، فإن بين الفقيه الأوزري وبين البخاري أحد عشر رجلاً ، وللمجاز له اثني عشر رجلاً ، وطريق الفقيه أحمد الأوزري – نفع الله به – طريق الفقهاء بني مطير ، وقد حققت ذلك فوجدته كذلك ، وكذلك وقفت على إجازة الأوزري – رحمه الله – لحي السيد العلامة جمال الدين علي بن محمد بن أبي القاسم الهادوي رحمه الله تعالى فوجدت بين الفقيه الأوزري وبين البخاري أحد عشر رجلاً ، وبين المجاز له وبين البخاري اثني عشر رجلاً ، وهذا سند صحيح منه إلى البخاري والله أعلم ، انظر الوزير ، **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، ج ١ ص ٣٠ .

النبوية ، لطف الله به وغفر له وتاب عليه ، وصلى الله على محمد وآله وصحبة وسلم تسليماً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل »[1] .

تعد هذه الإجازة الطويلة أفضل النماذج للإجازات العلمية ليس في مدة الدراسة وحسب ، بل في التاريخ العلمي لليمن في العصر الإسلامي ، فهي كاملة الأركان ، المجيز فيها معروف وهو الإمام نفيس الدين سليمان العلوي ، والمجاز له محدد وهو الإمام محمد بن إبراهيم الوزير ، والمجاز به معين وهو كل كتب الحديث المنصوص عليها في متن الإجازة وسائر العلوم الدينية التي يرويها المجيز ، ولفظ الإجازة واردٌ بالنص المكتوب بيد المجيز شخصياً بحسب تصريحه في نهايتها ، بل إنها بالغة الدقة في تحديد أنها لم تُمنح إلا بعد عناء الدراسة والقراءة والاستماع لمدة تبلغ حوالي سبعة عشر يوماً متواصلة ، ومن مظاهر دقتها أنها حددت أن صور تَلَـقِّي المجاز له كان بعضها سماعاً بلفظ الشيخ نفسه ، وبعضها قراءةً عليه ، وأنه لم يكن المجاز الوحيد بها ، فله زميل جاء معه بالإضافة إلى من حضر المجالس الثلاثة والعشرين من أبناء مدينة تعز نفسها ، ولم ينس المجيز أن يؤرخ الإجازة حتى تكتمل لتمثل واحدةً من أهم الوثائق التربوية في تاريخ اليمن الإسلامي .

وإجازة أخرى قريبة الشبه من إجازة الإمام الحافظ سليمان العلوي للإمام محمد الوزير صدرت عن الإمام العلوي نفسه للإمام العلامة شرف الدين موسى بن مري بن رماح الغزولي الحنفي الدمشقي (ت٧٩٥هـ / ١٣٩٢م) الذي قد سبقت الإشارة إليه ، إذ أجازه الإمام الحافظ سليمان العلوي في صحيح البخاري بمدينة تعز - في المدرسة المجاهدية - بعد حضوره القراءة ومشاركته فيها لمدة طويلة انعقد فيها ثلاثة وعشرون مجلساً تدريسياً ، وقد ضمن المجيز في نص الإجازة تاريخ القراءة والإجازة ، وترجم في ثناياها للمجاز له[2] .

---

[1] هذا نهاية الإجازة التي منحها نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي للإمام محمد بن إبراهيم الوزير في كل أمهات الحديث الشريف وكل العلوم الشرعية التي يرويها عن مشائخه بسنده إلى مؤلفيها، المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٦ - ٣١ .

[2] البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٨٩ ، إلا أن المصدر لم يتطرق إلى ذكر هذا التاريخ .

النوع الثاني : الإجازة لمعينٍ في غير معينٍ :

وهي إذن الشيخ لطالبٍ معينٍ برواية كل مسموعاته أو مروياته دون أن يحددها أو يسميها ، وهذا النوع جائز ومعمول به لدى العلماء[١] غير أنه أقل قدراً من النوع الأول ، ومن أمثلتها الجزء الأخير من إجازة الإمام العلوي لابن الوزير السابقة ، لأنه قال له فيها : " وأجزت الشريف المذكور رواية جميع ما أرويه من سائر العلوم الدينية ، فليروِ ذلك عني موفقاً مسدداً "[٢] ، فالمجيز هنا لم يحدد ما هي هذه العلوم الدينية التي يرويها ، ومما لا شك فيه أنها كانت معروفة ومحصورة بالنسبة للشخص المجاز له .

ومن أمثلة هذا النوع من الإجازات في تاريخ اليمن في مدة دراستنا تلك الإجازة العامة غير المعينة بعلم معين التي منحها الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبدالله الريمي (ت ٧٩٢هـ / ١٣٩٠م) للفقيه جمال الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن منصور الأصبحي الشنيني بعد طول ملازمة واجتهاد وقراءة عليه ، حتى أصبح أجَلَّ تلامذته ، يقول المصدر : " ولم يزل الفقيه جمال الدين يلتقط فوائد الإمام الريمي مجتهداً بالقراءة والتحصيل إلى أن ورد عليه أمر والده برجوعه ... ففعل بعد أن ودع الإمام الريمي واستجاز منه ، فأجاز له إجازة عامة "[٣] .

وهذا الفقيه عماد الدين إدريس بن إسماعيل بن عبدالرحمن بن عمر البريهي (ت٨٠٣هـ / ١٤١٠م) أجيز إجازات عامة في كل مقروءات ومسموعات الفقهاء من أهاليه آل البُرَيْهي في الفقه والحديث والتفسير[٤] .

ومن أمثلتها أيضاً إجازة الإمام الحافظ نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) للقاضي جمال الدين محمد بن محمد بن عمر الصعبي (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) في الحديث على وجه الإجمال ، فدرس بذلك وأفتى واشتهر حتى لقبه الناس بـ (مجد الدين)[٥] لما أحدث من أثر في ناحيته[٦] .

---

(1) ابن كثير ،الباعث الحثيث ، ص ١١٩ .

(2) الوزير ، **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، ج ١ ص ٣٠ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٤٩ ، ٥٠ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ١٤٠ .

(5) قيل ان الإمام سليمان العلوي هو من لقبه بذلك ، انظر **المصدر السابق** ، ص ١٣٧.

(6) **المصدر السابق** ، ص ١٣٧ .

وقد منح الإمام المؤرخ الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) إجازة عامة في جميع مروياته ومصنفاته للإمام الحافظ المؤرخ المحدث أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م)(1) ، وكما هو واضح أنها كانت إجازة لمعين في غير معين .

النوع الثالث: الإجازة لغير معينٍ في غير معينٍ :

وهي تنعقد بإذن الشيخ لأهل بلدٍ أو عصرٍ معينٍ برواية كل مسموعاته أو مروياته دون أن يحددها أو يسميها ، ومنها في مدة دراستنا تلك الإجازة المنظومة التي أجاز فيها الإمام الحافظ والمحدث المؤرخ وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الديبع (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) لأهل عصره ومن أدرك حياته بأن يروي عنه فقال :

أَجَزْتُ لِمُدْرِكِي وَقْتِي وَعَصْرِي
رِوَايَةَ مَا تَجُوْزُ رِوَايَتِي لَـهْ
مِنَ المَقْرُوْءِ وَالمَسْمُوْعِ طُـراً
وَمَا أَلَّفْتُ مِنْ كُـتُبٍ قَلِـيْلَةْ
ومَا لِيْ مِنْ مُجَازٍ مِنْ شُيُوخِي
مِنَ الكُتُبِ القَصِيْرَةِ والطَّوِيْلَةْ
وأَرْجُو اللهَ يَخْتِمَ لِيْ بِخَـيْرٍ
وَيَرْحَمَنِي بِرَحْمَتِهِ الجَـزِلَةْ(2)

النوع الرابع : الإجازة بالمكاتبة :

وهي واقعة بكتابة الشيخ إلى أحد طلابه شيئاً حدثه وهو حاضر أو غائب ثم يجيزه في روايته عنه ، وهذا النوع انتشر في العالم الإسلامي بما فيها اليمن بعد انتشار الكتب وشيوعها ، فهي أحدث من سابقيها ، فقد صار الشيخ يكتب الإجازة للطالب أو

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٣٨ .

(2) ابن الديبع ، نشر المحاسن اليمانية ، ص ٣٤ .

العالم الآخر مثله في بلده المقيم فيه ثم يرسلها إليه[١] ، ومن أمثلتها الإجازة التي كتبها القاضي عبدالله بن محمد بن عبدالله الناشري للإمام المؤرخ الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) وبعثها إليه في موضعه بأبيات حسين[٢] .

ومن أمثلة الإجازة بالمكاتبة أيضاً ما رواه الإمام المؤرخ الأهدل[٣] أن الفقيه إبراهيم بن محمد بن علي بن عُجَيْل (٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) قد كتب إليه يطلب الإجازة في كتب معينة وفي سائر مروياته ، فأجاز له ، وكتب له الإجازة بخطه وبعثها إليه ، كما أنه – الأهدل – قد حصل عن طريق المكاتبة على إجازتين من الإمام الحافظ نفيس الدين سليمان العلوي ، إحداهما إجازة على الخصوص في أمهات الحديث والأخرى على العموم في جميع مروياته ، وقد كتبها في كراسة بعثها إلى المجاز[٤] .

كما أن الفقيه أبو بكر بن يحيى بن أبي بكر بن أحمد بن موسى بن عُجَيْل قد حصل على إجازة عن طريق المراسلة – المكاتبة – مع عالم فارسي اسمه الفقيه محمد البرارة من أهل مدينة تدعى هيرام ، والإجازة كانت في بعض مقروءاته في كتب الإمام النووي رحمه الله[٥] .

وممن حصلوا الإجازات العلمية عن طريق المكاتبة القاضي جمال الدين محمد بن سعيد بن علي بن محمد كِـبِّن (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) أحد قضاة مدينة عدن المشهورين ، إذ ورد في ترجمته أنه : " استجاز من خلق عظيم بالمكاتبة وغيرها ... "[٦] ، كما ورد فيها أيضاً أنه : " استجاز من عدة شيوخ بالمكاتبة من دمشق ومصر والقاهرة ... "[٧] .

---

(1) ابن الصلاح ، **مقدمة ابن الصلاح** ، ص ١١١ ، د. عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ٨٧ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٢٠٢ .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٢٤١ .

(3) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٢٩٦ .

(4) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٣١٥ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٣٠٠ .

(6) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٠٠ .

(7) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

❖ تعليم المرأة في اليمن :

حديث الباحث في تاريخ اليمن العلمي في عصرها الإسلامي عن تعليم المرأة يولد الشجون والإحساس بالحسرة ، ولعل ما يشعر به الباحث هنا هو الشعور نفسه الذي يشعر به أولئك الذين يبحثون في التاريخ العلمي لمعظم الأقطار الإسلامية الأخرى في قرون التاريخ الإسلامي المتعاقبة .

موطن الغصة يكمن في أن ذلك العدد الكبير من العلماء الأعلام والرجال الأفذاذ الذين صاغوا صوراً مشرقةً للحضارة الإسلامية لم يهملوا فقط التعريف بعدد كبير من أقرانهم من العلماء الذين عاشوا في مناطق مختلفة من اليمن من خلال حصر المؤرخين منهم اهتمامهم بالترجمة إما لرجال الإقليم الذي يعيشون فيه (التاريخ المحلي) أو بالترجمة لرجال المذهب والطريقة التي ينتمون إليها ، بل امتد إهمالهم إلى التقصير المفرط في رصد تفاصيل كثيرةً عن أنشطتهم الجديرة بالاحترام والرصد والتدوين ، سواءً بدافع سوء تقدير المهم والأهم من سيرهم وجهودهم ، أو بالميل إلى الاختصار في وضع التصانيف التاريخية وكتب الطبقات ، فلم نجد من مصادر التاريخ اليمنية كلها عبر أكثر من عشرة قرون مصدراً واحداً يسترسل في التعريف برجال العلم في اليمن بطريقة تشبه طريقة الحافظ ابن عساكر الذي وضع لدمشق تاريخاً تعدى عدد مجلداته السبعين مجلداً .

أود من خلال ما سبق التمهيد لحديثي عن شريحةٍ عريضةٍ من أبناء اليمن أصابهم التغييب ، ولا أقول الغياب ، إذ الفرق شاسع بينهما ، وهذه الشريحة المقصودة هي شريحة النساء ، والتغييب واقع فقط في مستوى الحضور على صفحات معظم المصادر التاريخية وأغلب كتب السير ، أما في أرض الواقع فالشذرات من تراجم النساء التي تسربت إلى عدد قليل من تلك المصادر لتمثل جُزُرَاً بالغة الصغر في محيط هائل من التراجم الرجالية تكفي للدلالة على الحضور القوي والتأثير اللافت للنظر لهذه الشريحة الاجتماعية في تاريخ الحياة العلمية في اليمن .

يواجه الباحث صعوبة بالغة تصل إلى حد الاستحالة في الحصول على مادة علمية كافية لتوضيح معالم الوجود النسائي – بمستوياته العمرية المختلفة – في أماكن التعليم ومرافق التدريس ، فلم توجد معلومة واحدة في مجمل المصادر التي تم الحصول عليها تشير إلى طرق تعليم الفتاة في المرحلة التعليمية الأولى وسماته وخصائصه ،

وهل كان الاختلاط قائماً أم كان تعليمها منزلياً منفرداً، بل إن السؤال يبرز بقوة حول ما إذا كان هناك تعليم لها من حيث الأساس في هذه المرحلة أم لا ، وهو ما نرجح استبعاده بقوة لوجود النماذج اللآتي ذكرها قريباً .

عندما وقفت بعض المصادر عند تراجم المبرزين والأئمة من علماء اليمن وتناولت تراجمهم بشيئ يسير من التفصيل أفصحت عن معلومات بالغة الأهمية بخصوص الوجود النسائي في الوسط العلمي اليمني ، وما يؤسف له أن هذه المعلومات لم تأت إلا بشكل عرضي وهامشي ، ولم تكن تلك المعلومات بعينها هي المقصودة بالإبراز والعرض ، إنما جاء ذكرها من باب تبيين أن الأوساط التي جاء منها أولئك المبرزين والأئمة كانت تزخر بالعلم وأهله ، وهذا هو السبب الرئيس في عدم تناول تلك المصادر لمن لم تكن له علاقة من النساء بصورة أو بأخرى بأولئك المترجم لهم ، فكل المعلومات النسائية هي تخص قريبات أولئك العلماء من أخوات وبنات وأمهات وقريبات من الدرجات القريبة في الرحم والقربى .

المتوقع – في أضيق الحدود – أن العلماء كلهم هم الفئة التي اهتمت بتعليم بناتهم وتدريسهن في المنازل على أضعف التقديرات إن لم يكن يحضرن دروس المعلامات ثم الدروس والمجالس العلمية العامة معهم ، فإذا قبلنا بهذا الحصر الضيق فإنه من المفترض أن نخرج منه بحصيلة كبيرة من العالمات اليمنيات ، قد يفوق عددهن الرجال أو ينقصن عنهم بقليل ، هذا مع استبعاد أن بقية الفئات الاجتماعية اهتمت بتعليم فتياتها ، فأين هذه الأعداد ، قام الخزرجي في طبقاته (طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن) بالترجمة لعدد لا بأس به من هؤلاء النساء إلا أن أغلبهن كُـنَّ من نساء البلاط الرسولي ، وهن – وإن اشـتهرن بأعمال الخير والصلاح وإنـشاء المرافق التعليمية العديدة – لم يشتهرن بالعلم ولم تكن أغلبهن من أهله أصلاً .

سنستعرض ما توافر لدينا من النماذج التي أشرنا إليها من قريبات العلماء والأئمة بحسب رواية المصادر التاريخية المتوافرة ، ومن خلالها سنرى أن هذه النماذج أثبتت من الجدارة العلمية ما يجعلها أهلاً للترجمة والإبراز لتميز أدوارها العلمية ، ومن خلالها سنرى أنها حَصَّلَتْ العلم بطرق التلقي ونظم التدريس نفسها التي تحدثنا عنها آنفاً، من قراءة وسماع وإملاء وإجازة وغيرها ، والفارق بينها وبين ما سبق تناوله قائم في أماكن التلقي ، فمعظمهن تلقين العلم في منازل أقربائهن ، والقلة القليلة منهن هي

التي تعاملت مع مجتمع العلماء الآخرين ، وإن وجد ذلك فبواسطة الزوج أو الولد أو من هو في مقام المحرم لهن ، وسيتخذ حديثنا عنهن صورة الترجمة الموجهة إلى إبراز علمهن وكيف وصلن إليه .

من هذه النساء العالمات اليمنيات نذكر الشريفة الفاضلة العالمة صفية بنت المرتضى بن المفضل بن منصور بن العفيف الحسنية (ت٧٧١هـ / ١٣٦٩م) ، ترجم لها أبو الرجال[1] فقال عنها : " السيدة الكاملة فضلاً وعلماً ، وبركة وحلماً ، وزهداً ومجداً ، وشرفاً ونبلاً وعقلاً ... جمعت العلم إلى العمل ، وبلغت في مدارك العلوم منتهى الأمل ... اشتغلت بالعلم من أوان الحداثة ، ودرست على والدها قراءة محققة ، وحققت وحصلت بالقلب والقلم ، وفاقت في الفقه والأصول والعربية والإخباريات ، ولم يكن لها شغل غير العلم والاجتهاد فيه " ، وهذه الجهود التي وصفها المصدر أهلتها للتأليف ، فألفت وأفتت ودَرَّسَتْ ، وكانت تراجع كبار الأئمة عندما يصلون بلدتها وتذاكرهم وتناقشهم ، ومنهم الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) الذي عقب على ما رآه من علمها ورجاحة عقلها بقوله : " صفية بنت المرتضى فائقة لنساء زمانها ، خارجة عن النظراء والأشباه لها "[٢] ، وقد قيل أنها لم تتزوج إلا بعد الثلاثين من عمرها ، وتزوجت بأحد أكبر رجال علم الكلام ، ويدعى بالسيد محمد بن يحيى القاسمي ، ليس حباً في الزوج والزواج نفسه ، بل لكي تقرأ عليه علومه ، وكانت تفوقه في النحو والعربية ، فأخذ كل منهما عن صاحبه[٣] .

وممن وصفت بالعلم وعدت بين العلماء من أهل اليمن السيدة الفاضلة زينب بنت الإمام أحمد ابن أبي بكر بن علي الناشري (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، وقد سبقت ترجمة أبيها في الفصل الثالث عند الحديث عن قريتهم (الناشرية) ضمن القرى العلمية في اليمن ، انتقلت بالزواج من بيت أبيها الإمام العالم الكبير إلى بيت ابن عمها

---

[1] أبو الرجال ، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، ج ٢ ق ١٥٤ ، ١٥٥ .

[2] زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٢٥٨ .

[3] أبو الرجال ، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، ج ٢ ق ١٥٥ ، زبارة ، **المرجع السابق** ، ص ٢٥٩ .

العالم أيضاً أبي بكر بن محمد بن علي الناشري ، وقد ترجم لها الإمام السخاوي في الضوء اللامع[1] .

برز في بيت الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) السابق ذكره وترجمته عند الحديث عن هجرة الظفير العلمية في الفصل الثالث امرأتان من فضليات النساء وأعلمهن في تاريخ اليمن ، الأولى أخته الدهماء بنت يحيى المرتضى (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٤م) والثانية ابنته فاطمة بن أحمد ، أما الدهماء فقد وصفت بأنها صاحبة العلوم الواسعة والتصانيف النافعة ، لها مؤلفات في الفقه والفرائض ، وأخرى في أصول الدين وعلم الكلام سنستعرض مؤلفاتها في فصل قادم بمشيئته تعالى ، واشتهرت بالتدريس في مدينة ثلا ، وقضت فيه معظم حياتها حتى الوفاة[2] ، أما السيدة الفاضلة الشريفة العالمة العاملة فاطمة بنت الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى فيكفينا دلالة على مبلغ علمها وعلو كعبها في العلوم أنها تلميذة أبيها وهو أحد أبرز أعلام الفكر الإسلامي عموماً ، وخاصةً في الفقه وعلم اللغة والكلام ، تلقت عنه معظم علومه ، وبلغت المنزلة التي جعلته يقول – بعد مراجعتها ومناقشتها في مسائل دقيقة – : " إن فاطمة ترجع إلى نفسها في استنباط الأحكام "

ونِساؤُنَا فَاقَتْ أئِمةَ غَيْرَنا
في الفَضْلِ والتَّدْرِيسِ والأخْلاقِ[3]

ولما تزوجها الإمام المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي (ت٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) كانت مرجعه – مع علمه الغزير – في المشكلات ، وكان إذا أشكلت عليه وعلى أصحابه مسألة في مجلسه خرج يحلها عندها ، فيقول أصحابه : هذا ما هو منك، هو من خلف الحجاب[4] .

---

(1) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٢ ص ٣٩ ، عبدالله الحبشي ، **معجم النساء اليمنيات** ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(2) أبو الرجال ، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، ج ٢ ق ١٠١ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٠٨ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٢٥٩ ، المرتضى ، **كنز الحكماء وروضة العلماء** ، ق ٥٨ أ ، الوزير ، **تاريخ بني الوزير** ، ص ٣٠٦ .

(3) عبدالله الحبشي ، **معجم النساء اليمنيات** ، ص ١٤٩ .

(4) أبو الرجال ، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، ج ٤ ق ٦ ، الوزير ، **تاريخ بني الوزير** ، ص ٣٠٧ ، عبدالله الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ١٤٩ .

أما أسماء بنت كمال الدين موسى الضجاعي (ت٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) فقد ترجم لها العيدروس[١] ضمن كبار علماء اليمن في القرن العاشر ، ووصفها بأنها من عالمات النساء بمدينة زبيد، وعدد العلوم التي قرأتها ، فذكر القرآن الكريم والتفاسير وكتب الحديث ، ثم ذكر أنها كانت تعقد مجالس الوعظ والتذكير للنساء ، فتعظهن وتؤدبهن ، وكان لقولها وقعاً في النفوس ، وربما توسطت بين العامة والسلطان فتقبل شفاعتها فيهم[٢] .

وآخــر من نختتم به هي السيدة الفاضلة الشريفة شمس الحور بنت الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٩٤هـ/ ١٤٨٩م) التي لم تختلف عن سابقاتها ، وما يميز ترجمتها أن الإشارة جاءت صريحة في ترجمة أبي الرجال لها إلى تحديد مَنْ مِنْ الأقارب الذي كان يمكنه تدريس الفتاة ، يقول أبو الرجال[٣] عنها : " لها مطالعة في الكتب ومحاجاة حسنة ومحاسن من أبيها وعمها – الإمام محمد بن إبراهيم الوزيــر– وممن خالطها من العلماء من الأخوال والأعمام والإخوان... "، وبغض النظر عن تأصيل هؤلاء لحصــر تدريــس الفتاة في هذه القــرابة إلا أنها كانت كما يبــدو الســائدة والمعمول بها .

---

(1) النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص ٣٨ ، ٣٩ .

(2) عبدالله الحبشي ، معجم النساء اليمنيات ، ص ١٥ .

(3) مطلع البدور ومجمع البحور ، ج ٢ ق ١٤٤ ، الوزير ، تاريخ بني الوزير ، ص ٥٥ ، عبدالله الحبشي ، المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

الفصل الخامس

العلاقات العامة للركائز البشرية للحياة العلمية في اليمن في مدة الدراسة وأدوارهم في الحياة اليمنية العامة

❖ الركائز البشرية للحياة العلمية :

أجد أنه من الأهمية بمكان إيضاح مدلول عبارة (الركائز البشرية للحياة العلمية) في العنوان السالف ، فأقول : إنهم كل الأفراد الذين لعبوا دوراً في التعليم في اليمن في مدة الدراسة وأسهموا فيه بصورة أو بأخرى ، وأردت بهذه التسمية إيجاد اسم جامع لهم أصطلح عليه أنا ومن يقرأ معي هذه الدراسة ، بحيث يكون شاملاً لكل أطراف العملية التعليمية المُرْسِلَة - المُلْقِيَة - والمُسْـتَقْبِلَة - المُـتَلَقِيَة - حتى أولئك القائمون على النواحي الإدارية في أماكن التعليم المسـتخدمة .

بيد أنه من الضروري جداً تفصيل الحديث بشكل كافٍ عن هؤلاء الأفراد الذين اصطلحنا على إطلاق بالتسمية المشار إليها في العنوان عليهم ، وتسهيلاً لتناولهم تعريفاً ووصفاً لأدوارهم سنقوم بتصنيفهم إلى ثلاث شرائح طبقاً لموضعهم من العملية التعليمية كونهم مُلْـقِين أو مُتَـلَـقِّين أو إداريين في أماكن الدراسة ، وهذه الشرائح الثلاث هي:

أولاً : العلماء (المدرسون) :

تمثل هذه الشريحة دائماً - في كل زمان ومكان - حجر الزاوية في الحياة العلمية ، وإن اختلفت مسمياتها من مكان إلى آخر ومن زمان إلى غيره ، واحتل أفرادها على مر القرون التاريخية الإسلامية أرفع المكانة ، وحظوا بالاحترام الكبير من بقية أفراد المجتمع المسلم ، بل كان الحكام أنفسهم يجلونهم حباً فيهم أو هيبةً لهم - إلا ما ندر - وذلك لتأثيرهم الهائل على كل الشرائح الاجتماعية الأخرى ، وهنا نتذكر المقولة الشائعة : " **الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك** " ، وإن كانت هذه المنزلة قد فقدت كثيراً من تأثيرها وتدنت حظوظها من الاحترام في العصور المتأخرة إلا أنهم في زمن الدراسة كانوا هم صفوة المجتمع وأصحاب التأثير الذي قد يكافئ تأثير الملوك والسلاطين إن لم يَفُقْهُ .

لم يكن العلماء المدرسون على مستوى واحد في الحصيلة العلمية والخبرة التدريسية والمراحل العُمُرية، وبالتالي تباينت أدوارهم التعليمية طبقاً لذلك ، وتعددت وظائفهم العلمية ، وهذا الاعتبار يدفعنا إلى تقسيمهم إلى فئاتٍ بناءً على نوعية عملهم التعليمي الذي مارسوه واضعين في بالنا الفئة التي تلقت العلم عنهم ، سواء من حيث

مستواها العُمُري أو المكانة الاجتماعية التي تشغلها الأسر التي ينتمون إليها ، فنستطيع أن نقسمهم كما يلي[1] :

١) معلمو المرحلة الأولى :

والحديث عن معلمي المرحلة الأولى في الحياة العلمية في اليمن في القرنين التاسع والعاشر الهجريين يدعونا إلى تناوله في محورين هما : (معلمو المعلامات) و(المؤدبون) باعتبار أن هاتين الفئتين قاما بدور مماثل مع فروق معينة سيأتي ذكرها، وتفصيل ذلك فيما يلي :

- **معلمو المعلامات :**

هم من أسمتهم المصادر بالمعلمين ، ومعلمي الصبيان ، ومعلمي الأيتام ، الذين أشرنا إليهم في الفصل السابق بأنهم من اضطلع بمهمة تعليم الصبيان أبجديات العلوم الأساسية الأولى في المعلامات وإعدادهم لكي يكونوا قادرين على مواجهة مهامهم التعبدية والحياتية فور خروجهم من مرحلة الدراسة في المعلامة ، وكذلك إكسابهم المهارات اللازمة التي تؤهلهم لاقتحام المرحلة التالية بكل جدارة وجاهزية، معدّين إياهم لكي يكونوا في مستقبلهم في عداد العلماء العاملين والفاعلين في المجتمع .

إن جلالة الدور المناط بمعلمي المعلامات جعلهم يمثلون أهمية خاصة في منظومة الحياة العلمية في اليمن ، فقد كان بإمكانهم تحبيب الصبيان في العلوم ودفعهم إلى السعي لاكتساب المزيد منها أو صرفهم عن مجرد التفكير في الاستمرار بعد تعدي مرحلة التعليم في المعلامة .

لم تصرح المصادر المتوافرة بالمؤهلات المطلوب توافرها في معلمي المعلامات إلا أننا نستطيع أن نستشف ذلك من خلال ما كان مناطاً بالصبي تعلمه في هذه المرحلة من إجادةٍ لتلاوة القرآن الكريم ومعرفةٍ بأساسيات فقه العبادات ، بالإضافة إلى تعلم الخط والحساب وبقية ما ذكرناه في الفصل السابق ، فهذا كله يقتضي الإدراك بأن معلم الصبيان كان على قدرٍ كافٍ من العلم بالقرآن الكريم وعلوم اللغة والفقه ، ولا ننسى أهمية اتصافه بالتقى والورع وسمو الأخلاق لأن فاقد الشيئ لا يعطيه .

---

[1] مع حرصنا – غالباً – على استخدام التسميات التي أطلقتها عليهم المصادر المتوافرة نفسها .

ونشير هنا إلى أن المعلم المتخصص في تدريس فنٍ واحد قد وجد بصورة أو بأخرى ، وهو ما تدلنا عليه إشارات متعددة في بعض المصادر المتوافرة إلى معلم القرآن الكريم ومعلم الخط وغيرهما .

■ **المؤدبون :**

ما المؤدبون إلا رديف لأولئك الذين يعلمون الصبيان في المعلامات باعتبار أن من يجلس بين أيديهم للتلقي هم الصبيان ، غير أن ثمة فوراق تكمن في مؤهلات المؤدبين والأوساط الاجتماعية التي ينتسب إليها تلامذتهم ، وكذلك في الأهداف التي يتوخى المؤدبون تحقيقها في أولئك التلاميذ ، فالمؤدب هو معلم بالدرجة الأولى إلا أن تميزه في الأداء والخبرة والسمعة والسلوك الحسن والحصيلة العلمية الكبيرة أهّـله إلى أن يختص بتعليم أبناء الخاصة من السلاطين والملوك أو الأئمة ، أو رجال الدولة من الأمراء والوزراء والقادة ، أو التجار والوجاهات الاجتماعية والقبلية ، وبالطبع تختلف أهداف التعلم عند أبناء هذه الشرائح عن تلك الأهداف التي يرنو من هو دونهم لبلوغها، وإن كان هناك اتفاق في عدد لا بأس به منها .

يروي البريهي[1] في ترجمة رضي الدين أبي بكر بن محمد الصبري (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م) بأنه كان فقيهاً نحوياً ومشاركاً في سائر العلوم ، وقـرأ وسمع الحديث على جماعة من أئمة وقته فجعله السلطان الناصر أحمد (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) معلماً لأولاده ومؤدباً لهم ، فدلالة النص واضحة أن اطمئنان السلطان إلى مسـتواه العلمي العالي هو الذي أهله ليصطفيه مؤدباً لأبناءه ، ومن قبله قام والده السلطان الأشرف إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) بتعيين العلامة جمال الدين محمد بن أبي القاسم المَقَدْشي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) مؤدباً لأولاده الذين يصغرون عن السلطان الناصر ، بمن فيهم يحيى بن الأشرف الذي أصبح سلطاناً وتلقب بالظاهر فيما بعد ، وقد وصفت المصادر[2] المقدشي بأنه كان محققاً مدققاً لعلم النحو والأدب وغيرهما .

---

(1) طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٠٦ .

(2) المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

وكان المقرئ الفقيه جمال الدين محمد بن إبراهيم الساودي (ت٨٦١هـ / ١٤٥٦م) قد أوعز إلى الإمام المنصور بالله الناصر بن محمد (ت٨٦٧هـ / ١٤٦٢م) أن يستدعي تلميذه الفقيه المقرئ مفضل بن عمران الحرازي (ت بعد ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) من تعز إلى صنعاء ليجعله مؤدباً لولده ، فتم ذلك ، ورتب له الإمام ما يكفيه، واستمر في أداء عمله حتى وفاته[1] ، وهذا الأسلوب هو ما سار عليه جميع الخاصة في اختيار المؤدبين .

ومن البداهة إدراك ان الأحوال المادية - وبالتالي - المعيشية للمؤدبين كانت أفضل حالاً مما هو عليه عند معلمي الصبيان في المعلامات ؛ لما يغدقه عليهم آباء تلامذتهم من العطاء لقاء جهدهم ، أو الهدايا عند الشعور بالتحسن في مستوى تحصيل الأبناء .

وهناك أمر مهم تجب الإشارة إليه ، وهو أن هناك خلطاً قد وقع لدى بعض المؤرخين - والعامة أيضاً - في إطلاق التسميات السابقة على معلمي المرحلة الأولى بفئتيهم ، فكان البعض يطلقهما على الشخص نفسه ، ولعل مرد ذلك إلى التشابه الكبير في طبيعة الدور الوظيفي الذي قاموا به ، وسأكتفي بإيراد مثل واحد لهذا الخلط ، وهو ما ورد في (طبقات صلحاء اليمن)[2] ، حيث نجد المؤرخ المعاصر البريهي (ت٩٠٤هـ /١٤٩٨م) يورد نصاً - على لسان أحد العلماء متحدثاً عن بعض ذكريات طفولته - فيقول : " رأيت في النوم شخصاً جاءني فأطعمني شيئاً فانتبهت وأنا أتكلم كأفصح الناس ، وزالت العجمة التي كانت بلساني ، فجئت إلى والدي وقصصت له ما رأيت ففرح بذلك وأدخلني إلى **المؤدب** ليعلمني القرآن العظيم ، فعلمني شهراً فلم يُفتح عليَّ شيئاً ، فعذرني **المعلم** عن القراءة تلك الساعة إلى وقت آخر فنمت مهموماً " ومن خلال هذا النص يتضح أن المتحدث ومعه المؤرخ قد أطلقا التسميتين على معلم المعلامة وجعلوه المعلم والمؤدب ، ولعل ما أورداه من خلط كان موجوداً عند غيرهم آنذاك .

---

[1] البريهي، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٦ .

[2] المصدر السابق ، ص ٢٤٣ .

٢) معلمو المرحلة الثانية :

الحديث عن معلمي المرحلة الثانية في اليمن في مدة الدراسة يعني الحديث عن عموم علماء اليمن ، فقد كانوا – كلهم وبلا استثناء – معلمون تزدحم جداول أعمالهم اليومية بالمهام التدريسية والعلمية ، في صورها المختلفة من إملاء وإلقاء ومذاكرة وتأليف ووعظ وفتوى وغيرها من المهام، والمتتبع لأخبارهم في المصادر التي تناولت أنشطتهم الحياتية يصل إلى قناعة بأن ما قدموه للمجتمع من خدمات تدريسية لم يكن صادراً عن إحساس منهم بأنها من فضول الأعمال ولا من نوافل العبادات ، بل كانوا يقضون أغلب سني حياتهم فيها باعتبارها من أوجب الواجبات عليهم ، وأنهم لم يكونوا أكثر من مؤدين لما يفرضه عليهم العلم الذي يحملونه .

ونظراً لاختلاف الاهتمامات لدى طلاب العلم وتعدد الميول وتنوعها عندهم فقد تباينت مستويات إجادتهم لفروع العلوم المختلفة عندما غدوا في عداد العلماء ، ففي حين تجد الفرد منهم عمدةً في الفقه والفتوى تجد غيره حجة في القراءات وعلوم التفسير ، وتجد ثالثاً إماماً في الحديث ورجاله ومصطلحاته ، وهكذا دواليك ، وانبنى على ذلك تصدرهم لتدريس العلوم التي أجادوها أكثر من غيرها ، وتبع ذلك تفرع الألقاب والتسميات التي أطلقت عليهم ، واشتقت هذه التسميات من العلوم التي تصدروا لتدريسها وارتبطوا بها ، ولا يعني ذلك انعدام العلماء المميزين الذين بلغوا من الإجادة حد الاجتهاد في معظم فروع المعرفة العلمية الشرعية وغيرها ، وبالتالي قاموا بتدريس معظم العلوم التي أحاطوا بها للمتلقين عنهم من الشرائح الاجتماعية المختلفة .

ثمة أمر لا ينبغي أن نغفل الإشارة إليه ، وهو أن كثيراً من فئات ومسميات معلمي المرحلة الثانية قد ارتبطت بشكل كامل ووثيق بأماكن التعليم التي شاعت وانتشرت في مناطق اليمن التي لم ينتشر فيها المذهب الزيدي ، أي تلك المناطق التي خضعت لسيطرة الدولة الرسولية ومن بعدها لسيطرة الطاهريين ، وهي من الناحية الجغرافية تشغل معظم مساحة اليمن الطبيعية ، وكانت أماكن التعليم فيها ما بين مدارس علمية وأربطة وخانقاوات ومساجد ، أما المناطق التي كان للزيدية فيها الحضور القوي، فكراً ومذهباً وسيطرةً ، فقد كانت الهجَر العلمية هي الشائعة كأمكنة للتعليم ، وقد تماهت فيها فئات المعلمين حتى كادت تنمحي وتندمج في فئة واحدة فقط ، ولا نكاد نجد

فيها مسميات المعلمين المشتقة من وظائفهم التدريسية ، بل جاءت ألقابهم لتشير إلى فروع العلوم الشرعية التي أجادوها – تحصيلاً وتدريساً – أكثر من غيرها .

سنقوم هنا باستعراض أشهر فئات معلمي المرحلة الثانية في الحياة العلمية باليمن في مدة الدراسة ، متوخين عدم الإطناب في تفصيلات تعريف مهامهم ، وهم كالآتي :

- **الفقيه :**

الفقيه هو ذلك الشخص العالم الذي يتصدر تدريس العلوم الشرعية من تفسيرٍ وحديثٍ وفقهٍ وأصولٍ ، وعلوم اللغة من نحوٍ وصرفٍ وغيرها[١] ، مع التأكيد على أنه لم يكن هناك قالب ثابت لوظائف الفقيه في المدارس العلمية في اليمن في مدة الدراسة ، وأن وضع الفقيه فيها كان امتداداً لما كان عليه من قبلها ، وكثيراً ما كان الواقفون – من الحكام وغيرهم – يقومون بوصف المهام المطلوب تنفيذها من قبل الفقيه ، فكانت المهام المذكورة في صدر التعريف تزيد أحياناً ، وتنقص أحياناً أخرى حتى تكاد تنحصر في تدريس الفقه فقط .

تدل الوثائق الوقفية التي تضمنت بعض الوصف لمهام الفقيه على الأهمية الكبيرة التي احتلها الفقهاء في المؤسسات التعليمية في اليمن في مدة الدراسة ، فهي تبين – من خلال وصفها لطبيعة المسؤوليات التي تقع على عاتقهم – أنهم كانوا أعمدة العملية التعليمية كاملةً ، وأن المدرسة أو الهجرة العلمية لم تكن تكتسب سمعتها وتتجه نحوها أنظار طلاب العلم في المناطق الأخرى إلا بسبب المكانة العلمية التي يتمتع بها فقيهها ، ومن هذه الوثائق التي تناولت المهام المتعددة التي تقع على عاتق الفقيه وثيقة مدرسة جوهر بمدينة تعز ، ففيها : " وعلى فقيه ، يدرس العلم الشريف في المدرسة المذكورة على مذهب الإمام أبي عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي رضي الله عنه وأرضاه ، يقرئ الطالبين المرتبين في فنون العلم الفقهي ، فروعاً وأصولاً ،

---

(١) القلقشندي ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، (د ، ت)، ج ٥ ص ٤٣٦ .

ويقريهم الحديث النبوي والتفسير والفرائض والوعظ والرقائق ، وبالنحو واللغة، ويقرأون عليه سماعاً واستماعاً "[١].

نخلص إلى القول بأن مصطلح (الفقيه) وإن كان قد جاء مشتقاً – من الناحية اللغوية – من الفقه إلا أنها لا تقتضي اقتصار اهتمام حامله على هذا الفرع من العلوم ، بل إنه كان لصيقاً بمعظم علماء اليمن في كل قرون تاريخها الإسلامي المتأخرة ، مع أن هؤلاء العلماء كانوا مبرزين في فروع العلوم الشرعية المختلفة أكثر من إجادتهم للفقه نفسه .

- **المعيد :**

تأتي منزلة المعيد في الدرجة الثانية بعد الفقيه ، إذ هو مساعده ويده اليمنى ، فهو الذي يقوم بمهمتين : أولاهما استباقية للدرس بقيامه بالتوطئة له قبل أن يلقيه الفقيه بنفسه ، في صورة أشبه ما تكون بالتحضير المسبق ، وثانيهما لاحقة ، وذلك بأن يعيد الدرس بعد انصراف الفقيه من إلقائه وتدريسه ، لكي يفهمه الطلبه ويحسنوه ، خاصةً ما استعصى فهمه وصعب إدراكه ، ولا أظن اسمه مشتقاً إلا من إعادته للدرس ، وهو ما قرره الإمام ابن جماعة[٢] وغيره[٣] .

تناولت المصادر اليمنية وكثير من وثائق أوقاف أماكن التعليم اليمنية[٤] اسم المعيد كواحد من أعضاء الهيئات التدريسية فيها ، فلم يذكر المدرس الفقيه إلا وتبعه المعيد ، ولم تبتعد وظيفته الموصوفة فيها عما مارسه نظراؤه في أقطار العالم الإسلامي الأخرى ، ويبدو أن المعيدين كانوا في الأصل من الطلبة المتفوقين والمبرزين في أدائهم وتحصيلهم ، وهو ما جعل منهم لاحقاً فقهاء وعلماء معروفين[٥] .

---

(1) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الجوهرية ، ص ٦١ .

(2) **تذكرة السامع والمتكلم** ، ص ٢٠٤ .

(3) السبكي ، **معيد النعم ومبيد النقم** ، تحقيق محمد علي النجار وآخرون ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٤٨م ، ص ١٠٨ ، القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج ٥ ص ٤٦٤ .

(4) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الجوهرية ، ص ٦١ .

(5) علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، السنيدي ، **المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية** ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

▪ المُحَدِّث :

اشتقاق اسم المحدث من علم الحديث جاء مفصلاً عليه بدون زيادة ولا نقصان ، مختلفاً بذلك عن الفقيه الذي تجاوز اهتمامه وتدريسه حدود علم الفقه ، فقد كان المحدث مشتغلاً بالحديث لا بغيره ، وهو ما عبر عنه كبار العلماء المسلمين الذين قاموا –في بعض مؤلفاتهم – بتعريف المصطلحات الشائعة في الأوساط العلمية الإسلامية ، فقد عرف القلقشندي[1] المحدث بأنه " من يتقن أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بطريقة الرواية والدراية ، والعلم بأسماء الرجال وطرق الأحاديث والمعرفة بالأسانيد ونحو ذلك" ، وقد جعل الإمام السبكي[2] شروط استحقاق حمل هذا اللقب العلمي أكثر صعوبة، فهو يصرح بأن المحدث هو " من عرف الأسانيد والعلل وأسماء الرجال ، والعالي والنازل ، وحفظ مع ذلك جملةً مستكثرة ، وسمع الكتب الستة ... وضم إلى هذا القدر ألف جزء من الأجزاء الحديثية ، هذا أقل درجاته ، فإذا سمع ما ذكرناه ، وكتب الطباق ودار على الشيوخ وتكلم في العلل والوفيات والأسانيد ، كان في أول درجات المحدثين، ثم يزيد الله من شاء ما شاء " .

كان المحدث في أماكن التعليم في اليمن في مدة الدراسة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين يقوم بما يقوم به نظراؤه في أقطار العالم الإسلامي الأخرى ، وتناولت بعض وثائق أوقاف المدارس الإسلامية في مدة الدراسة جوانب من مهام المحدث ، واشترطت عليه أن يكون ثابت الرواية صحيح السند ، وأن يقوم بتدريس الطلبة الحديث النبوي ليأخذوا العلم عنه سماعاً واستماعاً في كل يوم بكرةً وعشياً بما سهله الله تعالى ، وأن يكون دائم البحث والاجتهاد في فنه هو وطلبته[3] ، وهو ما أضفى صبغةً من الجدية العالية على أداء المحدث والمتلقين عنه .

▪ قارئ الحديث :

يستوقفنا – عند ذكر معلمي الحديث – وجود هذه الوظيفة الثانوية لوظيفتهم الأساسية داخل الأماكن التعليمية في مدة الدراسة ، وفي الحقيقة أن هذا الوضع جاء

---

(1) صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٦٤ .

(2) معيد النعم ومبيد النقم ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(3) الوقفية الغسانية ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٣٩ ، وثيقة جامع ثعبات ص ٩١ ، وثيقة المدرسة الأفضلية ص ١٠٤ .

امتداداً لما كان عليه في فترات سابقة لمدة دراستنا كما تحكيه بعض وثائق الأوقاف على المدارس والجوامع المتوافرة لدينا[1] ، فقد كان معلمو الحديث النبوي الشريف من كبار العلماء يقومون بها بأنفسهم أو تناط بالمبرزين من تلاميذهم ، وتتمثل هذه الوظيفة بإسماع الحديث النبوي للمتطوعين والمحبين لسماعه من العامة وغير الطلبة المنتظمين في الحلقات والمجالس العلمية الدائمة[2] ، وهو ما يعكس صورة من صور تنظيم الأداء التدريسي الذي يفصل بين المتفرغين للتحصيل الذين حققوا قدراً لا بأس به من العلم وبين أولئك العابرين أو بالأحرى غير المنتظمين في الاستماع والجلوس للتحصيل ، وفي ذلك تحقيق لمبدأ أحقية الجميع في التعلم وعدم احتكار تحصيله[3] .

- **المقرئ :**

وقد يعرف بأنه مدرس القراءات وشهرته بالمقرئ أكثر شيوعاً ، وهو الشخص الذي يتصدر لتدريس القرآن الكريم ومعه جميع علومه المرتبطة به مثل التجويد وعلوم الوقف والابتداء على طريقة المشائخ القراء السبعة أو العشرة المشهورين في أنحاء العالم الإسلامي قاطبةً ، وهكذا عرفه القلقشندي[4] .

وقد ارتبط المقرئ بالحياة العلمية في اليمن على مر القرون الإسلامية ، ولم تخل هيئة تدريسية من مدرس للقراءات وتجويد القرآن العظيم[5] ، وهو ما يدل على اهتمام اليمنيين بالقرآن وعلومه دراسةً وتدريساً ، واشتهر فيها عدد كبير من القراء الذين تولوا تدريس القراءات ، وتزخر التواريخ اليمنية بتراجمهم[6] .

---

(1) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة مدرسة سلامة ، ص ٧٧ .

(2) من أمثال ذلك ما في **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأفضلية ، ص ١٠٣ ، وثيقة جامع ثعبات ص ٩١ .

(3) علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٥٣٢ .

(4) **صبح الأعشى** ، ج ٥ ص ٤٦٤ .

(5) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأشرفية ، ص ١٤ ، المدرسة الظاهرية ، ص ٣٩ .

(6) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، الحبيشي ، **تاريخ وصاب** ، ص ٢١٤ ، الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ص ٢ ص ٦٩ .

- **مدرس النحو واللغة :**

ظهر معلم النحو واللغة في المدارس العلمية في اليمن مع انتشار المدارس العلمية منذ القرن السابع الهجري برعاية الرسوليين ، وكان وجوده لازماً للهيئات التعليمية في عهدهم ومن بعدهم ، وقامت بعض وثائق الأوقاف بتناول شروط تعيينه في تلك المدارس ، إذ اشترطت أن يكون " عارفاً بأصوله وفروعه ، بصيراً بأدلته ، مستحضراً نصوصه ، ذاكراً لشواذه وغوامضه ، مفيداً للطلبة ... يصلح من ألسنتهم ركيكها ، ويجلو عن صدورهم شكوكها ، عارفاً باللغة ، بارعاً فيها ، ناقلاً لفصيحها ، مستعملاً لصحيحها "[١] .

- **شيخ الخانقاه :**

لم تكن الخانقاوات معروفة في اليمن حتى العصر الرسولي ، كما أنها لم تكن ملحقةً بالمنشآت التعليمية كلها ، وبعضها كان منفرداً عنها ، وقد أشرنا إليها في الفصل الخاص بأماكن التعليم ، إلا أننا هنا بصدد الحديث عن الرجل الأول فيها ، وهو ما كان يدعى بشيخ الخانقاه ، وكما أن وجود الخانقاه يقتضي وجود الشيخ فإنه كذلك يستلزم وجود المريدين من الطلبة الصوفية الذين سيتولى الإشراف عليهم ويقوم بتربيتهم[٢] ، كما أنه يعد المسؤول الأول عن جميع الأعمال التي تتعلق بالخانقاه التي طلبها الواقفون، ومراعاة الشروط المحددة له سلفاً من قبلهم ، مثل عدم إتيانه ومريديه للبدع التي كثيراً ما تنتشر في أوساطهم كالنفخ في المزامير والضرب على الدفوف[٣] ، ولزم شيخ الخانقاه " الاستقامة على سنن طريقته من مراعاة التسلك والتبتل والانقطاع إلى الله عز وجل ، وعلى أتباعه التأسي بهديه والاستنان بسننه ولا يخالف رأيهم رأيه على مقتضى السلوك والإرشاد ، يوقرون كبيرهم ويرحمون ضعيفهم ، رحماء بينهم ... "[٤] .

---

(1) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(2) علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٥٢٠ ، **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأشرفية ، ص ١٧ ، المدرسة الأفضلية ١٠٥ .

(3) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأشرفية ، ص ١٧ .

(4) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأفضلية ص ١٠٥ ، عبدالعزيز بن راشد السنيدي ، **المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية** ، ص ١٩٢ .

ثانياً : طلبة العلم :

إذا حصرنا أطراف العملية التعليمية في الحياة العلمية في اليمن – سواءً في مدة الدراسة أو امتداداتها السابقة لها واللاحقة – في طرفين اثنين ، فإننا سنجد أن طلبة العلم هم أحد هذين الطـرفين ، ويقف – بطبيعة الحال – المعلمون في الطرف الآخر ، وعلى هذا الأساس فإن العملية التعليمية برمتها تصبح غير ذات جدوى بدون الطلاب ، ولكي يتم تناول هذه الشريحة بشكل سَلِسٍ فإنه من الممكن تقسيمها إلى فئتين بناءً على المستويات العُـمْرية والعقلية لهم ، وفئتين أخريتين بحسب تفرغهم للتحصيل العلمي من عدمه ، فأما الفئتان المصنفتان بحسب المستويات العُـمْرية والعقلية للطالب فتأتي على هذا النحو :

١) طلاب المرحلة الأولى (الصبيان) :

لعل الحديث هنا يتقاطع مع ما سبق أن أوردناه في الفصل الرابع أثناء تناول المرحلة الأولى من النظام التعليمي في اليمن في مدة الدراسة ، ومما لا جدال حوله أن هذه الفئة هي التي مثلت المادة الخام الأولية التي امتحنت بعوامل متشابكة من ظروف المادة والفراغ والصحة ، واعتبارات الحاجات الحياتية والقدرات العقلية وغيرها لتفرز أرقام طلبة العلم الصحيحة القادرة على مواصلة طريق التلقي والتدرج في سلم العلماء في المرحلة الثانية .

وقد صنفت هذه الفئة بناءً على اعتبار المستوى العُمْري لطالب العلم ونوعية ما يتلقاه من قشور العلوم وأبجدياتها وأولياتها الأساسية ، ومن خلال العنوان يتضح أن هذه الفئة محصورة بسقفٍ عمريٍّ لا يتجاوز أكثر من مرحلة المراهقة في الغالب ، ودون أن ننسى أن هناك من قفزت بهم هممهم ومواهبهم العقلية إلى الفئة التالية مع أنهم – من الناحية العمرية – كانوا في عداد هذه الفئة ، من المحتمل – كما سبقت الإشارة في الفصلين السابقين – أن السواد الأعظم ، إن لم نقل كل ، الصبيان في المجتمع قد كانوا بصورة أو بأخرى ضمن هذه الفئة ، سواء استمر بهم المقام للدراسة إلى غاية ما يحدده المعلمون أم انقطعوا بعد قضاء مدة معينة منها .

وقد كانت المعلامات : سواءً تلك التي ألحقت بالمساجد وأفنيتها ، أو تلك المحسوبة على المدارس العلمية التي بناها الأمراء والسلاطين والوجهاء ، كانت تلك المعلامات هي أماكن التلقي والدراسة لهذه الفئة .

٢) **طلاب المرحلة الثانية (البالغون) :**

كل من جلس للتلقي في غير المعلامة فهو مصنف ضمن هذه الفئة ، بمعنى أنهم طلبة العلم الذين قد بلغوا من العمر ما يخرجهم عن وصف الصبي جسداً وتفكيراً في الغالب ، وإذا أخذنا في بالنا أن كبار العلماء من أعلام اليمن ورموز الفكر الإسلامي والعربي فيه مهما بلغوا من السن والنضج والعلم فإنهم كانوا على استعداد دائم للجلوس في موضع التتلمذ عند ورود من يشعرون بحاجتهم إلى علمه فإننا سنقول : إنهم كانوا – من هذه الناحية – مدرجون ضمن هذه الفئة مع اعتبار خصوصيتهم أنهم لم يكونوا كذلك إلا في مواقف محصورة ومحدودة .

كان طلبة العلم الذين جلسوا بين يدي العلماء والفقهاء والمحدثين والمقرئين وغيرهم في المدراس والهجر العلمية والحلقات المسجدية ومجالس العلم والزوايا والأربطة هم قوام هذه الفئة بشكل رئيسي ، وإذا كان طالب العلم في المرحلة الأولى يتعداها في مدة زمنية لا تطول فهذه المرحلة قد تمتد به إلى مستوى عمري متأخر ، يحدد نهايتها الظروف الموضوعية المعيشية والصحية والاجتماعية ، كما تدخل فيها العوامل الذاتية والنفسية كالقدرات العقلية والطمع في استزادة التحصيل وعلو الهمة وقوة العزيمة .

وإذا انتقلنا إلى الحديث عن فئتي طلبة العلم المصنفين بناءً على التفرغ التام للتحصيل والتلقي العلمي من عدمه فتأتي على النحو الآتي :

١) **طلبة العلم غير المتفرغين :**

كان السواد الأعظم من طلبة العلم في اليمن في مدة الدراسة يعتمدون على مصادرهم الخاصة في تمويل مسيرتهم الدراسية ، إذ كان البعض منهم يعمل في التجارة أو الزراعة بالتوازي مع طلبه للعلم الشريف[1] ، وهو ما يدعونا بجلاء إلى التسليم بأن عدداً كبيراً من الطلبة لم يكونوا متفرغين تماماً للتحصيل ، ولا ننسى

---

[1] من أمثلة ذلك قصة محمد بن يحيى بهران (ت٩٥٠هـ / ١٥٤٣م) الذي كان يمارس التجارة بالإضافة إلى تحصيله في كل منطقة ينزلها ، أو صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزير (ت٩١٤هـ / ١٥٠٥م) الذين كان يتحدث كان سكناه متردداً ما بين وادي السر ومدينتي صنعاء وصعدة ، كان يتناول في أشعاره نصائح للفلاحين وهو في موقع الخبرة بمهنتهم بما يقود إلى توقع ممارسته لهـا بـصورة أو بـأخرى ، المقرائي ، مكنون السر في تحرير تحارير السر ، ص ١٢٤ .

التذكير بما سبقت الإشارة إليه من أن هناك من أوقف مسيرة طلب العلم بسبب الظروف المادية الصعبة التي كانت تعانيها أسرهم ، مع أن شروط التحصيل الموضوعية والذاتية والنفسية كانت كلها مواتية للمواصله .

٢) طلبة العلم المتفرغون :

لم تظهر هذه النوعية من الطلاب إلا في المدارس العلمية والمساجد التي سارت على منوالها في إنجاز مهمتها التعليمية والتي ظهرت على مساحة واسعة من اليمن طيلة العصر الرسولي وامتد نشاطها – وإن كان بوتيرة أقل – إلى العصر الطاهري ، فقد جرت العادة أن تكون مهمة تعيين المدرسين لفروع العلم المختلفة التي أشرنا إليها في مستهل هذا الفصل مقرونةً بتعيين الطلبة الذين سيتم تفريغهم تماماً للتلقي والتحصيل العلمي ، وتقوم أوقاف المدرسة أو المسجد بمؤونتهم ودفع تكاليف معيشتهم ومتطلبات دراستهم ، وذلك جنباً إلى جنب مع أساتذتهم ومعلميهم ، ولم تكن أعدادهم ثابتة دائماً ، بل كانت متغيرةً من مدرسة إلى أخرى ، وفي حين أن بعض المصادر حددت عددهم مجملاً دون تفصيل[١] نجد أن وثائق بعض الأراضي الزراعية الموقوفة على المدارس العلمية قد فصلت لكل مدرس عدداً محدداً من الطلبة ، فهذه وثيقة المدرسة الظاهرية – على سبيل المثال لا الحصر – ترتب عشرة طلاب لدراسة الفقه الشافعي وخمسة طلاب لدراسة الحديث النبوي الشريف ، ومثلهم لدراسة القراءات العشر ، إضافةً إلى خمسة عشر يتيماً لتعلم القرآن الكريم على يدي معلم مخصص لهم ، وتعهدت بصرف مبلغ معين من المال يكفي الجميع ، بالطبع لكل فرد منهم على حدة[٢] ، وجاءت بعض الإشارات إلى أن بعض المدراس كانت تصرف مستحقات عينية – لا مالية – للطلبة المرتبين فيها ، مثل الكسوة وتوفير كل المواد الأساسية اللازمة للدراسة والتحصيل كالورق والمداد والكتب[٣] .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٥٤ .

(2) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(3) الأكوع ، **المدارس الإسلامية في اليمن** ، ٢٥٧ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٩٤ .

٣) مريدو شيخ الخانقاه (الطلبة الصوفية) :

يتساوى قيامنا بإدراج هذه الفئة ضمن الفئة السابقة – فئة طلبة العلم المتفرغة للتحصيل – مع جعلنا إياها فئةً قائمةً بذاتها ، فإن نظرنا إليها من ناحية كونها متعَهَّدةً بالرعاية والعناية من قبل الواقفين والمنشئين للمدارس والخانقاوات فهي تدخل في إطار فئة طلبة العلم المتفرغين ، أما إذا نظرنا إليها من منطلق أنها فرغت للعبادة أكثر من تفرغها لطلب العلم – كعادة المتصوفة – فإننا سنجعلها فئة إضافية خامسة ، ولم تكن هذه النوعية من الطلبة موجودة في كل المدارس العلمية سوى تلك التي ألحق بها خانقاه، كما أنهم وُوُجِدوا في أربطة الصوفية المتناثرة في أماكن عدة أشرنا إليها في فصل سابق ، واشترط الواقفون على هذه الفئة تجنب البدع التي كثيراً ما تنتشر في أوساطهم كالنفخ في المزامير والضرب على الدفوف[1] ، ولزوم التأسي بهدي شيخهم والاستنان بسننه ، وألا يخالف رأيهم رأيه على مقتضى السلوك والإرشاد ، وأن يوقروا كبيرهم ويرحموا ضعيفهم[2] .

ثالثاً : شاغلو الوظائف الإدارية والدينية وما في حكمهما :

في البداية يجب التنويه إلى أن المقصود بشريحة شاغلي الوظائف الإدارية والدينية وما في حكمهما هو أولئك الذين أنجزوا وظائف مرتبطة بالمدراس العلمية والمساجد التي شكلت لها هيئات تدريسية مشابهة للمدراس العلمية ، إلا أن هذه الوظائف لا ترتبط بالعملية التدريسية بصورة مباشرة ، وإن كانت تستهدف تقديم خدمات وتسهيلات علمية وحياتية متعددة يأتي المعلمون وطلبة العلم في تلك المدارس والمساجد في طليعة المستفيدين منها ، وهذا يقودنا إلى التأكيد على أن هذه الوظائف لم تكن سائدةً في كل أماكن التعليم على المساحة الجغرافية اليمنية كلها ، بل كان وجودها واضحاً – صفةً ومسمىً – في أماكن وجود المدارس العلمية كما سبقت الإشارة ، أي أن هذه الوظائف تكاد تنعدم في الهجر العلمية حيث ندرت المدارس العلمية .

وهنا سنقوم باستعراضٍ مختصرٍ لأهم الوظائف الإدارية والدينية المشار إليها في العنوان أعلاه ، وهو – من باب أولى – حديث عن شاغليها :

---

(1) الوقفية الغسانية ، وثيقة المدرسة الأشرفية ، ص ١٤ ، ١٧ .

(2) الوقفية الغسانية ، وثيقة المدرسة الأفضلية ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

١) الناظر :

هو المسؤول الإداري الأول عن المنشأة التعليمية ، لذلك فقد تولى هذه الوظيفة بعض الواقفين على المنشآت أو المؤسسون أنفسهم ما لم ينشغلوا بأمور أخرى ، وكانت المسؤولية على الناظر كبيرة تستلزم منه بذل الجهد الكبير للحفاظ على المدرسة وملحقاتها وهيئة التدريس فيها وطلبة العلم المعينين بها ومصادر دخلها وارداتها وضبط مصروفاتها ، مستعيناً بعدد من المساعدين في الوظائف الإدارية والدينية الأدنى.

يتضح خطورة الدور الذي يقوم به الناظر من خلال إدراكنا أن أي تهاون أو تقاعس عن القيام بواجب النظر الدقيق والصحيح في شؤون المنشأة قد يؤدي إلى تفرق العلماء وطلابهم عن المدرسة وبالتالي توقفها عن أداء واجبها التعليمي الذي أنشئت من أجله ، وهو ما حدا بعض الواقفين المدركين لهذا الجانب أن يوصي بتولي النظر من بعده على المدرسة التي أنشأها الأصلح والأرشد من ذريته ذكوراً وإناثاً أبداً ما تناسلوا، ثم من بعدهم الأصلح والأرشد العدل التقي الثقة الأمين من مواليه الذكور ثم من بعدهم حكام المسلمين أو متوليي القضاء الأقربين إلى موضع وجود هذه المنشأة[١] .

أشارت وثيقة المدرسة الجوهرية إلى جانب آخر من جوانب مسؤولية الناظر ، تتمثل في قيامه بدور رقابي على أرباب الوظائف المعينين في المنشأة وملاحظة اتباعهم لشرط الواقفين ، ويبدو أن ذلك كان يشمل أداء المعلمين والطلبة وغيرهم ، وبالمقابل إيصال الحقوق المادية والعينية المرصودة إلى أصحابها بانتظام[٢] .

٢) النائب :

أشارت بعض وثائق الأوقاف[٣] إلى وجود هذه الوظيفة الإدارية ، ويبدو أن الذين استحدثوها هم أولئك الواقفون الذين لم يمكنهم ظروفهم من متابعة المنشآت التعليمية التي بنوها بأنفسهم ، لذلك فإن وصف المهام التي يفترض على النائب القيام بها ينطبق إلى حدٍ كبير على الناظر نفسه .

---

(1) **الوقفية الغسانية** ، ص ١٨ ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٤١ ، وثيقة المدرسة الجوهرية ، ص ٦٥.

(2) السنيدي ، **المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية** ، ص ١٨٨ .

(3) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة المؤيدية ، ص ٧٧ ، وثيقة المدرسة الياقوتية بذي السفال ، ص ١٦٥.

٣) الإمام :

من البديهي أنه لا يوجود ارتباط مباشر للإمام بالمدرسة ما لم يكن المسجد واحداً من أهم مرافقها العمرانية ، ووجود المسجد ملحقاً بالمدرسة لا يعني بالضرورة أن المصلين به هم فقط المرتبطون بالمدرسة فقط ، فهو عامٌ لكل من قصده للصلاة ، إضافةً إلى أن وجود الإمام أساسي للمساجد والجوامع إجمالاً ، سواءً كان لهذه المساجد والجوامع دور تربوي رديف للمدارس العلمية أم لا .

ومن البديهي أن ما يشترط في الإمام هنا هو عين ما يشترط في الأئمة في أي مكان آخر ، فمن اللازم عليه إجادة تلاوة القرآن الكريم مع حفظه له عن ظهر قلب ، وتتحدث بعض التواريخ والوثائق الوقفية[1] عن اشتراط حسن الصوت في الإمام ، ودوام ملازمته للمسجد في جميع الصلوات المفروضة بأوقاتها ، إضافةً إلى الصلوات النافلة كالتروايح وليلة النصف من شعبان والخسوف والكسوف ، وعدم إطالة الصلاة ، وتجنب ما تكرهه الجماعة ، مع معرفةٍ بفروض الوضوء وسننه وفروض الصلاة وسننها ، ومحافظة على طهارة الثوب والبدن .

٤) أمين المكتبة :

وعرف أيضاً بحافظ الكتب أو خازن الكتب ، وقد جاء اسمه في وثائق أوقاف المدراس كواحد من هيئاتها المعينة من قبل الواقف ، كما جاء اسمه مشتقاً من طبيعة الوظيفة التي قام بها ، وهو من جانب آخر قرينة قوية تشير إلى كون خزانة الكتب قد لازمت المدارس والمساجد كرافد من روافد مصادر العلم الأخرى ، وفي النص الآتي مثال على حدود مهمة حافظ الكتب التي رسمتها الوثائق ، " وعلى حافظ للكتب الموقوف بها على طلبة العلم الشريف ، لا يمنعها مستحقها ، ولا يعطيها غير مستحقها، فإذا طلب الطالب كتاباً أعاره وقدر له مدةً يعلم انقضاء الحاجة من الكتاب فيها ، ثم يطلبه عند انقضاء المدة ، ويفتقدها – أي الكتب الموقوفة في خزانة الكتب – عن الآفات التي تعرض للكتب كالعث والأرضة ونزول الماء وغير ذلك ... "[2] .

---

[1] الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٣١٧ ، **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة المؤيدية ، ص ٧٦ ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٣٨ ، وثيقة المدرسة الجوهرية ، ص ٦٢ وغيرها .

[2] **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٤٠ .

٥) القَـيِّم :

من خلال النظرة العامة إلى مجمل المهام التي اضطلع بتنفيذها القَـيِّم يتضح لنا أنه كان مكافئاً للفراشين في تاريخنا المعاصر ، فمن واجبه تنظيف المسجد أو المدرسة من داخلها وخارجها ، وفرش ما تحتاجه المدرسة أو المسجد من البُـسُط والحُصُر ، وإشعال المصابيح والشماع فيهما عند الحاجة وإطفائها عند الاستغناء ، وحفظ آلة المدرسة من البُـسُط والحُصُر والفرش والقناديل والمصابيح والأسقية[١] ، ومما سبق نخلص إلى أن وجود القَـيِّم مهم جداً للمسجد والمدرسة ، وأنهما بدونه يستحيلان إلى ما يشبه الإسطبلات التي لا تليق بالبشر ؛ لذلك فقد كان – كما تحكي المصادر[٢] – في مقدمة من يتم تعيينهم ، ونظراً لكثرة التكاليف التي يقوم بها القيم ولأن بعضها تحتاج إلى جهود عضلية كبيرة فإن بعض المدارس الكبيرة قد عين لها قَـيِّمَيْن[٣] .

هذه هي مجموعة من الوظائف الإدارية التي ارتبطت بصورة غير مباشرة بحياة العلماء وطلابهم في المدارس والمساجد الرديفة لها ، ولا يعني ذلك أنه لم يكن هناك غيرها ، فقد تناولت المصادر وظائف إدارية ودينية أخرى يمنعنا من ذكرها ارتباطها بالحياة العلمية بشكل أقل من سابقتها ، والوظائف الأخرى هي : المؤذن ، وقارئ القرآن ، وقيم الساقية أو النازح .

❖ العلاقات العامة للركائز البشرية وأثرها على الحياة العلمية:

لم تكن الركائز البشرية إجمالاً ، والعلماء وطلبة العلم منهم على وجه الخصوص ، يتسمون بالسلبية في تعاملهم مع بقية أفراد مجتمعهم من الحكام والسلاطين والأئمة والأمراء أو عامة الناس وسوادهم ، كما أنهم لم يكونوا أبداً فئةً منعـزلة تتقوقع

---

(1) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٣٩ ، وثيقة المدرسة الجوهريـة ، ص ٦٢ ، ٦٣ ، وثيقة المدرسة المؤيدية ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، وثيقة جامع ثعبات ، ٩٠ ، ٩٢ ، وثيقـة مدرسـة الياقوتيـة ، ١٦٥، ١٦٦ .

(2) الخزرجـي ، **العقـود اللؤلؤيـة** ، ج ١ ص ٢٣٣ ، ٢٨٥ ، ج ٢ ص ٥٧ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، **العسـجد المسبوك** ، ٢٧٢ ، ٤٠٩ ، ٤٣٢ ، ٥٠٥ .

(3) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأشرفية ، ص ١٣ ، وثيقة المدرسة الظاهريـة ، ص ٣٩ ، وثيقـة المدرسـة الأفضلية ، ص ١٠٢ .

على نفسها ، وتتكفئ حول أداء واجبها فقط ، فقد جعلتهم أدوراهم الاجتماعية والعلمية والدينية والجهادية والتوعوية في موقع الصدارة بين القوى المؤثرة ، حتى صدقت عليهم أحياناً مقولة : " إن الحكام ملوك على الناس والعلماء حكام على الملوك " كما أسلفنا الإشارة ، وبالتالي كانت لهم علاقات واسعة ومتعددة مع مختلف شرائح المجتمع اليمني نفسه من جانب ، ومع أقرانهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى من جانب آخر .

وفيما يلي سنتناول أهم هذه العلاقات في عدد من المحاور لكي تساعدنا على تسلسل الطرح وتسهيل المتابعة ، وذلك على النحو الآتي :

☒ **الرحلات العلمية :**

يقول ابن خلدون[1] : " إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارةً علماً وتعليماً وإلقاءً ، وتارةً محاكاةً وتلقيناً بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطةٌ على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين ، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها ، فيجرد العلم عنها ، ويَعلَمُ انها أنحاء تعليم وطرق توصيل ، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات ، ويصحح معارفه ويميزها عن سواها ، مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم ، وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية ، فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال " ، ويقول طاش كبرى زاده[2] في التأكيد على ضرورة الرحلة والسفر في سبيل طلب العلوم : " ويسافر – أي طالب العلم – في طلب الأستاذ إلى أقصى البلاد الشاسعة ، ولو مسح الأرض كلها بقدمه وضرب آباط الإبل في طلبه لكان أحق وأولى ... " ،

---

(1) **مقدمة ابن خلدون** ، حققها وشرحها وعلق عليها د. علي عبدالواحد وافي ، سلسلة مكتبة الأسرة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ج ٣ ص ١١٢٠ .

(2) **مفتاح السعادة ومصباح السيادة** ، مراجعة وتحقيق د. كامل كامل بكري وآخر ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ٢٠ .

هذان نصان يعكسان مدى قناعة كبار العلماء وأعلام الفكر الإسلامي بأهمية الرحلة العلمية ، وليس إلا امتداداً للقناعة الراسخة لدى عموم الأمة بضرورتها ، ونحن نوردهما هنا عطفاً على ما سبق سرده – في الفصل الأول – من دلائل لزومها لكل جاد في تحصيل العلوم وعازم على السبق في مضمارها .

ولعلي أكرر هنا ما سبقت أن أشرت إليه من أن رسوخ القناعة بأهمية الرحلة في طلب العلم لدى اليمنيين قد كان له دوره الكبير في خروج عدد كبير من أبرز علماء المذاهب المختلفة في اليمن ، فقد سارعوا إلى القيام بالرحلات العلمية ، وسعوا وراء تنويع المعرفة عندهم أينما كانت ، غير مبالين بما يعترضهم من المشقة والعناء في سبيل الحصول عليها[1] ، وجابوا أشهر مراكز العلم في دار الإسلام ، وجلسوا إلى علمائها ، وأخذوا من كل شيخ خير ما عنده علماً وأسلوباً ، وقضى بعضهم سنوات عديدة في التلقي والأخذ عن الشيوخ ، فلما عادوا إلى اليمن بعد رحلة طويلة وغيبة مديدة عادوا وهم أكثر علماً ، وأوسع أفقاً ، وأغزر معرفةً ، إضافةً إلى ما حملوه معهم من التصانيف المفيدة ، وضروب من التآليف النفيسة التي جمعوها خلال رحلاتهم ، وتَجَمَّعَ الطلبة حولهم طالبين الأخذ عنهم ، فتصدوا لتدريسهم ونفعهم ، وظهر تأثيرهم واضحاً في ميدان العلوم عامة ، والعلوم الشرعية بشكل خاص ، وأسهموا في بيان ورسم صورة اليمن وكيانها العلمي والحضاري مساهمةً فعالة[2] ، فذاع صيت عدد منهم في الأقطار ؛ فجعلنا نلحظ أن اليمن – بسببهم – كانت متجهاً لطلبة العلم من غير اليمنيين أيضاً.

وقد جرت عادة طلبة العلم اليمنيين أن يبدءوا بالأخذ عن شيوخ بلدانهم التي يعيشون فيها داخل اليمن ، ثم يرتحلون للأخذ عن المبرزين من علماء اليمن في المدن والمراكز العلمية الأخرى ، فلما يحسون بالتشبع من علومهم ، تتوق أنفسهم للاستزادة فوق ما تعلموه ، وترنوا نفوسهم للتعمق في دراسة ما أحاطوا به من العلوم التي أجادوها ، فلا يجدون بُغْيَتَهم ومُتَنَفَّسَهم في تحقيق ذلك وبلوغه إلا بالرحلة والسعي على

---

(1) علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز** ، ص ٣٠٧ .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٠٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٤٠٠ ، د. أحمد العليمي ، **أعلام مدرسة الحديث في اليمن وجهودهم في حفظ السنة** ، ص ٧١- ٨٦ ، الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين** ، ج ٦ ص ١٣٤ .

طريقة مشائخهم ، عندها يكون قرارهم بمغادرة اليمن لمُدَدٍ غير محصورة بسنين محددة، إنما يحددها بلوغ الهدف الذي خرجوا من أجله .

ولتسهيل تناول الموضوع سأقسمه إلى عناوين ثلاثة ، أتناول الرحلة العلمية الداخلية لطلبة العلم في اليمن أولاً ، ثم الرحلات العلمية الخارجية لهم ثانياً ، وأخيراً الوافدون من العلماء إلى اليمن ، وذلك كما يلي :

(١) الرحلة العلمية الداخلية لطلبة العلم اليمنيين :

تزخر المصادر التاريخية وكتب التراجم اليمنية بمئات الأمثلة على هذا النوع من الرحلات العلمية ، بل إننا نقول مطمئنين أنه لم يكن أحد في عداد العلماء من لم يرحل طالباً للعلم إلى مناطق يمنية عدة ، وسنقوم هنا بسرد عدد من أشهر هذه الأمثلة للدلالة على ثبات ظاهرة الارتحال عندهم ، وللتأكيد على وجود نماذج أخرى كثيرة ومماثلة .

من ذلك نذكر الرحلات العلمية الداخلية للإمام المجتهد محمد بن إبراهيم الوزير (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) الذي وصف بأنه نشأ في طلب العلم ببلدته هِجْرة الظهراوين من شَظَب ، تتلمذ في أول أمره علي يدي أخيه الأكبر الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ، ثم تنقل بين مدن اليمن يسعى للقاء العلماء وينهل من فيض علومهم ، درس في صعدة عل يدي ثلة من وجوه علمائها في الأصولين والفقه واللغة والأدب وغيرها ، وساح في الهجر العلمية المحيطة بصعدة كهجرة فَلَّلة الزاخرة برموز العلم وأعلام الفكر والسياسة ، ورحل إلى ثِـلا ووقف عند إمامها الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ووقف يسائله ويراجعه ويباحثه مدة طويلة ، وفي مدينة صنعاء كان تتلمذه على عدد كبير من العلماء ، ونال إجازات من بعضهم أوردها صاحب (طبقات الزيدية الكبرى)[١] ، ولما نزل إلى مدينة تعز طلب علم الحديث وقرأ الأمهات كلها على محدث اليمن وحافظها في عصره الإمام نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) وأجازه فيها بإجازة شاملة تناولنا نصها الكامل في الفصل السابق[٢] .

---

[1] ابن المؤيد ، ج ٢ ، ص ٨٩٧ – ٨٩٨ .

[2] زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣١١ ، ابن الرشيد ، **بغية المريد وأنس الفريد** ، ق ٦١ ب ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٥ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٦ ص ٢٧٢ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٥٩٩ – ٦١٠ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ، ص ٨٩٦ – ٩٠٢ .

وهذا الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) الذي وصفته بعض المصادر[1] بقولها : " كان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين ، اشتغل بالعلوم ، وتفنن بالمنطوق منها والمفهوم ، تمهر في المنثور والمنظوم ، وكانت له اليد والطولى في جميع العلوم وصنف في كثير من الفنون كالحديث والتصوف والنحو والصرف والحساب والطب والأدب والفلك وغير ذلك ... " لم يبلغ هذه المنزلة الكبيرة إلا بعد رحلة طويلة وعناء ومشاق في سبيل طلب العلم وتحصيله ، ابتدأ مسيرته في بلاده حضرموت فحفظ القرآن الكريم ومعه الكثير من المتون في القراءات والنحو الفقه والأصول ، اتجه صوب الشِّحْر فتتلمذ فيها على يدي شيخها الأبرز العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بافضل (ت٩١٨هـ / ١٥١٢م) ، وكانت مدينة عدن وجهته الثانية حيث لازم أشهر علمائها كأبي الطيب عبدالله بامخرمة (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) والإمام محمد بن أحمد بافضل (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) مدة طويلة ، ثم رحل إلى زبِيد وتتلمذ على عدد من أكابر علمائها ، وأخذ العلوم الشرعية عن الإمام العلامة المؤرخ الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت ٨٥٥هـ /١٤٥١م) في بعض قرى تهامة ، ثم عاد إلى زبيد مرةً أخرى بعد أن ارتحل إلى الحرمين للحج والتحصيل العلمي ، وبها تزوج ابنة شيخه الإمام حمزة بن عبدالله الناشري (ت٩٢٦هـ / ١٥٢٠م)[2] .

لما عاد الإمام محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي من هذه الرحلة الطويلة الغنية جداً بالجد والتحصيل استقر في مدينة عدن للإقراء والتدريس ، وقصده الطلبة من حدب وناحية في اليمن ، وقربه الأمراء الطاهريون وخاصة حاكم عدن مرجان الظافري وأحسن إليه كثيراً ، فلما توفي خرج الإمام إلى الهند حيث توفي بها[3].

---

[1] العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٣٣ .

[2] **المصدر السابق** ، ص ١٣٣ – ١٤٠ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٨ ص ٢٥٣ ، الشِّلّي ، **السنا الباهر** ، ص ٢٠٩ – ٢١٤ ، عمر رضا كحالة ، **معجم المؤلفين** ، ج ٦ ص ٣١٥ ، ابن العماد ، **شذرات الذهب** ، ج ٨ ص١٧٦ .

[3] العيدروس ، المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، الشِّلّي ، **المصدر السابق** ، ص ٢١٣.

ومن العلماء الراحلين في طلب العلم الفقيه أحمد بن علي بن سليمان بن زُغَيْب (ت٩٣٤هـ / ١٥٢٨م) كانت بداية تحصيله العلمي في بلاد الأهنوم[١] ، فلما عزم على الرحلة العلمية اتجه نحو صنعاء ، فمكث بها أربعة عشر عاماً ، قضاها كلها في الجد والتلقي وتحصيل العلوم على أغلب شيوخها ، وكان أشهر أساتذته بها الإمام المنصور محمد بن علي الوُشَلي السراجي (ت٩١٠هـ / ١٥٠٤م) ، لذلك كان من جملة رجاله في حروبه من السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري كما بيناه في الفصل الثاني ، وقد تنقل بعد ذلك ما بين حَجَّة والهجر العلمية في محيطها طالباً ومعلماً[٢] .

وهذا الإمام المحدث والفقيه العلامة المؤرخ عبدالرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) رحل من زبيد – بعد أن تشبع بعلوم من تتلمذ على أيديهم بها – إلى قرية بيت الفقيه[٣] لزيارة العلماء من آل جَعْمَان والسماع منهم والقراءة عليهم ، فكانت رحلته مثمرة وحافلة بتلقي العلوم الشرعية النفيسة ، وقد أورد

---

[1] سلسلة جبلية وعرة مأهولة بالسكان ، تنتشر الحصون المنيعة في جميع أرجائها ، تقع جغرافياً ضمن منازل قبيلة حاشد الهمدانية إلى الشمال الغربي من صنعاء مع أن أغلب سكانها من قبائل بكيل الهمدانية ، وهي من الاتساع أن قُسِّمَتْ إلى مديريتين ضمن مديريات محافظة عَمْرَان هما : مديرية المَدان ومديرية شهارة ، وقد كانت مزدانة بالهجر العلمية إلى عهد قريب ، وكانت متجه الطالبين للعلوم الشرعية وقبلتهم في جبال اليمن الشرقية حتى قال أحدهم في وصفها :

للحربِ فيها والقــراءةِ والـصلاةِ   مَتَارسٌ ومدارسٌ وجوامعُ

الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ١ ص ٩٥ – ٩٩ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج ١ ص ١١٤ ، ١١٥ .

[2] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

[3] غدت اليوم مدينة ، تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة الحُدَيْدَة ، وتبعد عنها بحوالي ٦٧ كيلومتراً ، وهي تنسب إلى الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل (ت٦٩٠هـ / ١٢٩١م) ، ولها ذكر كبير في تاريخ اليمن العلمي ، وهي اليوم مركزٌ لمديرية تحمل اسمها ، وتتبع محافظة الحديدة ، وتربة أرضها خصبة ، لذلك فهي تشتهر بزراعة عدد من المحاصيل الزراعية في مقدمتها الفواكه والخضروات والحبوب ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، ج ٣ ص ٦٣٦ ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ٢ ص ١٢٢١ .

في سيرته الذاتية التي حررها عن نفسه أنه سمع وقرأ بها أكثر من أحد عشر كتاباً في الحديث والفقه والعربية والرقائق وغيرها[1] .

ومما يلقي في الروع رسوخ الرحلة العلمية الداخلية لدى أبناء اليمن من أتباع المذهب الزيدي ترديد عبارة : " ولم يزل متنقلاً من هجرة إلى هجرة للقراءة .... " في مواضع عدة من مصادر تراجمهم[2] .

(٢) الرحلة العلمية الخارجية لطلبة العلم اليمنيين :

إذا كانت الرحلة العلمية داخل الإطار الجغرافي لقطر اليمن قد قام بها جميع حملة العلم في اليمن ، تقريباً ، فإن هذا النوع – الرحلة الخارجية – كان فيه شيئ من الخصوص ، فقد كان أقل انتشاراً من سابقه ، وذلك يعود إلى جملة من الأسباب ، منها: غنى اليمن بعلماء أفذاذ شعر إزاء وجودهم كثير من الطلبة بالاكتفاء والتشبع من نهل علومهم ، إضافةً إلى أن العوائق والروابط الاجتماعية كانت حاجزاً أمام البعض منهم ، كما أن الإمكانات المادية المالية والصحية كان لها دور كبير في إحجام البعض عن القيام بالرحلة العلمية الخارجية .

قد يتبادر إلى ذهن البعض – بعد ذكر ما سبق – أن نماذج الرحلة الخارجية كانت قليلة لدى حملة العلم اليمنيين ، وذلك غير صحيح ، فالمصادر تشير إلى عدد كبير من هذه الرحلات ، وإن كانت هذه النماذج تقل كثيراً عن النوع السابق إلا أنها مازالت من الكثرة بمكان تؤكد به رسوخ القناعة لدى هذه الشريحة .

من نماذج الرحلة العلمية الخارجية رحلة الفقيه علي بن أحمد بن سالم الزبيدي (ت٨١٨هـ / ١٤١٥م) إلى مصر والشام ، حيث أخذ عن جماعة من علماء العصر البارزين ، ثم رجع إلى مدينة زبيد ، وتولى التدريس في بعض مدراسها حتى وفاته[3] .

وممن ارتحل من العلماء إلى خارج اليمن لتحصيل العلم الإمام الحافظ شيخ الإسلام جمال الدين أبو حامد محمد بن أبي بكر الخياط (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) الذي

---

(1) ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ١٨٠ ، ١٨٢ .

(3) ابن حجر ، **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، ج ٣ ص ٨٢ ، الفاسي ، **العقد الثمين** ، ج ٦ ص ١٣٤ .

ارتحل إلى الحجاز وجلس إلى العلماء في مكة المكرمة ، سواء من أهلها أو المجاورين بها ، ثم تتلمذ على من كان منهم في المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ، وهناك ربطته علاقة أكيدة بعدد كبير من الأقران الذين جمعته بهم زمالـــة الطلـــب وصـــحبة التلقي، وجمع بالحرمين من الكتب النافعة ما وصفته بعض المصادر[1] ، ولما عاد إلى اليمن اســتكمل مســيرة الطلب فبرز في الحديث والفقه حتى جعله البعض حافظ اليمن ومحدثها بعد شــيخه الإمام نفيــس الدين سليمان بن إبراهيم العلـــوي (ت٨٢٥هــــ / ١٤٢٣م) وترجمت له كتب الطبقات بصفته شيخ الإسلام وحامل لواء السنة باليمن في عصره وحافظ البلاد اليمنية[٢] ، يقول البريهي[٣] في ترجمته : " كــان شــيخ العلـــوم وإمامها ، ومن في يديه زمامها ، له فيها الباع المديد ، والشأو البعيد الذي ليس عليـــه مزيد ... كمل له معرفة جميع العلوم من الحديث والتفسير والفقه والنحو ، وكان يسمى الباقر لسعة علمه وفهمه واستنباطه وحفظه ، والتفرد بزيادة المتخصص لتحقيـق علــم الحديث ، سُلمت له الرئاسة فيه فكان لا يُمارى بشئ منه " ، لذلك كان مجلـــسه حـــافلاً بالعلماء والمتعلمين ، ويسعى الجميع للاستجازه منه .

وهذا الفقيه المقرئ الشهير عثمان بن عمر بن أبي بكر الناشري (ت ٨٤٨هــ / ١٤٤٥م) الذي جمع علم القراءات للسبعة القراء المـــشهورين قبـــل بلوغـــه ســـن العشرين، وتزعم هذا العلم في عصره باليمن وألف فيه الكتب النفيسة التي سنأتي إلـــى ذكرها في الفصل القادم ، ذكرت بعض المصادر أنه جمع إجازاته وهي بخط المُجيزين أنفسهم – التي حازها في مرحلة طلب العلم – في مجلد ووقفه على أهله ، وبه خطوط جماعة كثيرين من علماء عصره بمصر والشام وبيت المقدس وغيرها – إلـــى مـــصر والشام والقدس[٤] .

---

(1) ابن فهد ، **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ، ص ٢٧٤ .

(2) المصدر السابق ، ص ٣٠٠ – ٣٠٦ ، الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٤٠١ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ابن حجر ، **إنباء الغمر بأنباء العمـــر** ، ج ٤ ص ٣٤ ، ٣٥ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٧ ص ١٩٤.

(3) المصدر السابق ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(4) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

ومنها أيضاً قيام الفقيه شمس الدين علي بن محمد الحضرمي (ت٨٦٦هـ / ١٤٦١م) بالسفر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة للحج والزيارة وجلس إلى كثير من العلماء هناك ، ثم أنه لما قضى منسكه سافر إلى مصر فقرأ على فقهائها طرفاً من العلوم ، واستجاز الكثير منهم في رواية مسموعاتهم ومروياتهم[١] .

ومنهم أيضاً الإمام المحدث والفقيه العلامة المؤرخ عبدالرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) الذي رحل إلى مكة المكرمة أكثر من مرة ، وهناك تتلمذ على عدد من أكبر علمائها والمجاورين بها ، في مقدمتهم الإمام المؤرخ الشهير شمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي المصري (ت٩٠٢هـ / ١٤٩٦م) الذي سمع منه كثيراً من كتب الحديث والفقه أوردها في ترجمته الذاتية[٢] .

(٣) العلماء والطلبة الوافدون على اليمن :

كانت عوامل الجذب العلمية في اليمن للعلماء والطلبة غير اليمنيين كثيرة ومتعددة ، فالبيئة العامة اليمنية في مجملها – رغم ما شابها من صراعات دموية شبه دائمة – بيئة تعطي العلوم وحملتها مكانة سامية تبعث على الشعور بالأمان والسكينة والاطمئنان إلى توافر المناخ المناسب لجني الفائدة العلمية ، كما أن كثرة العلماء اليمنيين المميزين وبلوغ شهرتهم إلى خارجها كانت أحد عوامل الجذب هذه ، وأضف إلى ذلك العلاقات الثنائية التي ربطت علماء يمنيين مع بعض نظرائهم من خارجها ، فكانت الدعوات توجه إليهم لزيارة اليمن ، ولعل الأولى أن نذكر في مقدمة هذه العوامل تشجيع السلاطين والحكام والأئمة اليمنيين للعلماء إجمالاً ، وحفاوتهم البالغة التأثير بكل وافد من خارجها ، إضافة إلى ما سبق فإن كثرة أماكن التعليم ووفرتها وانتشارها في أنحاء اليمن شجع على زيارتها والأخذ على أيدي رجالها ، ولعل التنوع المذهبي القائم في اليمن كان عاملاً – ثانوياً – من عوامل الجذب أيضاً ، وأخيراً نذكر أن الموقع الجغرافي لليمن على الطريق الجنوبية للحج – وخاصةً السهول الساحلية منها – قد لعب دوراً مهماً في مرور العلماء عليه في طريقهم إلى الأراضي المقدسة .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٣٣ ، ٣٣٤ .

(2) ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

جاءت الفائدة العلمية كبيرةً جداً لوفود العلماء على اليمن حتى لو كان وفودهم عليها على سبيل المرور فقط إلى غيرها ، فقد تبادلوا الإجازات العلمية مع العلماء اليمنيين وطلبتهم ، كما أنهم أحضروا معهم من الكتب ما يحتاجون إليه للأغراض العلمية كالتدريس والاطلاع ؛ فمثل ذلك إثراءً لخزائن الكتب اليمنية الموجودة في أماكن التعليم المنتشرة ، سواءً مما أهدي إليهم منها أو مما استنسخوه .

واللافت للنظر أن الوافون إلى اليمن في مدة الدراسة هم عدد من أكابر رموز الفكر الإسلامي على الإطلاق ، وجلهم ينطبق عليهم الوصف المعاصر بأنهم كانوا شخصيات موسوعية، فتجد الواحد منهم – رغم شهرته وتعمقه في فرع معين من العلوم – مشاركاً وبقوة في أغلب ما عرف من العلوم والمعارف آنذاك ، ونظراً لكثرة عددهم فأننا سنتناول – كأمثلة ونماذج – أشهرهم وأوسعهم صيتاً ، فنذكر في مقدمتهم إمام أئمة اللغة والتفسير والحديث الإمام مجد الدين محمد ابن يعقوب بن محمد الفيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) [1] (صاحب القاموس المحيط) الذي وفد إلى اليمن سنة (٧٩٦هـ / ١٣٩٣م) عبر ميناء عدن ، وسيأتي ذكر مظاهر الحفاوة التي استقبله بها السلطان الرسولي الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) .

كان علماء اليمن – كسلاطينهم – يعرفون للمجد الفيروزابادي[2] قدره ، وينزلونه منزلة عالية سامية ، كيف لا وقد أصبح معظمهم – إن لم نقل كلهم – من تلاميذه ، وكان من مفاخر الفرد منهم أن يكون ممن سمعوا أو قرأوا عليه ، يتضح ذلك من خلال حديثهم عنه وترجمتهم له ، قال أحدهم : " كان رحمه الله في العلم بالمحل الأعلى والمكان الأسنى ، إماماً كبيراً متضلعاً من العلوم ، له في كل فنٍ من ذلك مصنفات جيدة وبسطة ، ويده طولى في التصنيف ، وله قوة قريحة مطاوعة ، وقدم في العلوم راسخة قارعة ، يفوق أبناء جنسه فلا يكاد أحد يضاهيه ، بل لا يدانيه ، وفضائله

---

(1) السخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، ج ١ ص ٢١٦ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٤ – ٢٩٨ ، السيوطي ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م ، ج ١ ص ٢٧٤ .

(2) هكذا اصطلح كثير من مؤلفي المصادر على اختصار تسميته كلما ورد اسمه عندهم ، انظر مثلاً السخاوي، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، ج ١ ص ٢١٦.

في ذلك أكثر من أن تحصر ، يشهد بها وينطق بصحتها ما دوَّنَ من مصنفاته وتواليفه ورسائله ونظمه ونثره ، وعلى الجملة فكان أحد أعيان الزمان ، والمشار إليه بالبنان في البيان ، وممن سحب على سحبان ذيل النسيان "[١] .

كان دخول المجد الفيروزابادي على اليمن فتحاً علمياً ، فقد أفاض على أهلها من علمه الغزير ، ولما عُرِفَ من تواضع العلماء فقد جلسوا بين يديه بلا ترفع ولا تأفف ، وكان السلطان الأشرف السابق ذكره يرعى مجالسه العلمية ويعتني بها وبمن يجلس فيها عناية خاصة ، إذ أنه تكفل بإقامة مائدة عامرة بكل طيب من الأكل والشرب لكل من حضر درسه ، واحدة في أول النهار قبل القراءة عليه وأخرى في آخره ، وجعل الخدم يدورون على الناس أثناء القراءة بمجامر العود والعنبر ، " وكانت العلماء ... إذا حضروا مجلساً هو فيه لزموا الأدب معه ، فمن كان منهم مفيداً صار بين يديه مستفيداً ، فيكتبون معظم ما يتكلم به ، ويعلقونه في كتبهم "[٢].

ومن علماء الإسلام العظام ورموز العلوم الشرعية الكبار الذين وفدوا على اليمن في مدة الدراسة الإمام الحافظ والمحدث الشهير شيخ الإسلام[٣] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المصري (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، زار اليمن مرتين ، الأولى سنة (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) على آخر مدة حكم السلطان الأشرف إسماعيل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، والأخيرة في سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) في أوائل مدة حكم السلطان الناصر أحمد الرسولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) [٤] .

التقى ابن حجر في زبيد ثم في تعز بكثير من علماء اليمن ، وتلقوه بقدرٍ من الحفاوة والإكرام قد يفوق ذلك الذي عملوه من قبله للمجد الفيروزابادي ، وفي مقدمتهم

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٤ – ٢٩٨ ، .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٢٩٧.

(3) هناك مقدمة لطيفة مطولة للسخاوي حول معاني المشهور من مصطلحات أهل العلوم الشرعية في وصف بعضهم ، كشيخ الإسلام والمحدث وغيرهما ، السخاوي ، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، ج ١ ص ١٤ وما بعدها .

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، السخاوي ، **المصدر السابق**، ج ١ ص ٢١٦ ، .

الفيروزابادي نفسه[1] والإمام إسماعيل المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ، وقد أورد الإمام السخاوي[2] – أثناء سرده لأسماء جميع تلاميذ الإمام ابن حجر – أسماء عددٍ كبيرٍ ممن سمعوا عنه الحديث وغيره من العلوم في اليمن ، وممن تبادلوا معه الإجازات العلمية وعقدوا مجالس كثيرة للمذاكرة والمؤانسة .

تلقى الإمام ابن حجر العسقلاني كثيراً من علوم أهل اليمن عموماً ، وزبيد وتعز على وجه الخصوص ، على وجوه علمائها ، يدل على ذلك قول السخاوي[3] : " ورجع من اليمن – وقد زادت معارفه ، وانتشرت علومه ولطائفه – مع المحمل الذي جهزه السلطان الأشرف صاحب اليمن إلى مكة ...."وما جاء في وصفه للإمام ابن المقرئ من أنه ما رأى في اليمن أذكى منه ، وقوله في موضع آخر : " ما أعلمُ أعلمَ منه ولا أفصح في الشعر ... "[4] ، يدل على طول مناقشةٍ ومذاكرةٍ وتبادلٍ للعلوم بالقدر الذي جعله يلمس هذه الصفات في الإمام ابن المقرئ ، وقد تضمن ديوان الأخير بعض المساجلات واللطائف الشعرية التي تبادلها مع الإمام ابن حجر ، منها قول ابن المقرئ:

قلْ للشهابِ بنِ عليٍّ بنِ حَجَرْ
سُوراً على مَوَدَّتي مِن الغِيَرْ
فَسُورُ وُدّيْ منكَ قد بَنَيْتُهُ
من الصفا والمَرْوَتَينِ والحجر.[5]

فأجابه الإمام الضيف بقوله :

عوَّذْتُ سورَ الوُدِّ منكَ بالسُّوَرْ
فهو على العلياء بالحكمِ حَجَرْ

---

[1] كان الفيروزابادي قد سبق الإمام ابن حجر في زيارة اليمن والنزول على أهلها بسبع سنوات تقريباً ، لأن الفيروزابادي قدمها سنة ٧٩٦هـ والعسقلاني سنة ٨٠٣هـ .

[2] المصدر السابق ، ج ١ ص ٨٦ ، ٩١ ، ١٢٥ ، ١٧٧ .

[3] المصدر السابق ، ج ١ ص ٨٩ .

[4] المصدر السابق ، ج ١ ص ٨٧ .

[5] ديوان المقرئ ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن**، ص٣٠٦ .

يا مَنْ رقى في المَجْدِ أنهى غايةً
بالحقِّ أغثتَ مَنْ بقى ومَنْ غَبَرْ

يا أيها القاضي الذي مُرادُه
يأتي به حُكْمُ القضاء والقَدَرْ[1]

حمل الإمام ابن حجر معه كثيراً من الكتب إلى اليمن ، وهو بذلك أسهم في رفد مكتباتها بالجديد ، سواءً أهداه أم باعه ، فقد أشارت بعض المصادر إلى أنه أهدى للسلطان الأشرف كتاب (خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الأصفهاني في أربع مجلدات كبيرة ، وكذلك من تذكرته الأدبية نسخة مكونةً من أربعين مجلداً لطيفاً ، فأغدق عليه السلطان من العطاء الكثير[2] .

والنموذج الثالث للعلماء الوافدين على اليمن يُذكر الإمام المقرئ والمحدث شمس الدين أبا الخير محمد بن محمد بن يوسف الجزري (ت٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) ، أشهر علماء القراءات في القرن التاسع الهجري في العالم الإسلامي قاطبةً[3] ، كانت له الحظوة الكبيرة عند كل الناس – حكاماً ومحكومين – أينما حل وحيثما نزل ، كان رحّالاً في طلب العلم ، لم يترك بلداً من دار الإسلام وغيرها يومذاك إلا ودخله ، عددها بعض المؤرخين فكانت قريب عشرين بلداً[4] ، وكان دخوله اليمن في إطار هذه الرحلات العلمية ، وقيل أن مشائخه يفوقون على ثلاثمائة شيخ ، يأتي في مقدمتهم عدد من أشهر علماء الإسلام كالإمام ابن كثير والسبكي والأسنوي .

---

(1) **ديوان المقرئ** ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن**، ص٣٠٦ .

(2) السخاوي ، **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، ج ١ ص ٩١ .

(3) بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ٢٢٩ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن**، ص٣٤٥- ٣٤٧ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٧٥٧ ، ابن الجزري ، **غاية النهاية في طبقات القراء** ، نشره ج . براجستراسر وبريستل ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٣٣م ، ج ٢ ص ٢٤٧ ، طاش كبري زاده ، **مفتاح السعادة** ، ج ١ ص ٣٩٢ ، العليمي ، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، النجف الأشرف ، العراق ، ١٩٦٨م ، ج ٢ ص ٤٥٤ (بدون ناشر) ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٩ ص ٢٥٥ ، السيوطي ، **طبقات الحفاظ**، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ج ٣ ص ٨٥ .

(4) البريهي ، المصدر السابق ، ص٣٤٦ .

وصل الإمام ابن الجزري إلى زبيد سنة (٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) أيام سلطنة المنصور الثاني عبدالله الرسولي (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) الذي أحسن إليه أيما إحسان، وعقدت له مجالس العلم في أكبر مساجدها ، وحضر بين يديه كبار علمائها ، كان طلبة العلم الذين حضروا حلقته يوصفون بأنهم " خلائق كثيرة "[١] ، وأغلب ما قرأوا عليه وسمعوا منه الحديث النبوي الشريف وعلوم القرآن الكريم والقراءات منها خصوصاً ، وتلقفته منازل العلماء بكل ترحاب ومحبة ومسودة، فكان بينه وبينهم المطارحات والتساؤلات والعلمية ، ونُظمتْ خلالها بينهم البديعيات الشعرية واللطائف النثرية ، منها ما أنشأه الإمام ابن الجزري في الإمام إسماعيل المقرئ – السابق ذكره – يمدحه لما لقيه منه من الإجلال والتقدير :

أشتاقُ للبيتِ العتيقِ وزمزمٍ

ومَقَامِهِ والرُّكنِ والتقبيلِ

والآنَ بالشَّرَفِ العَـلِيِّ ليَ الهنا

لمَّا خُصِصتُ بِحِجْرِ إسماعيلِ

فأجابه الإمام ابن المقرئ بقوله :

وما حِجْرُ إسماعيل لولا محمدٌ

تداركه حجراً معداً لذي حجرِ

ولا غَرو إن آخاه والعِرقُ واحدٌ

ألستَ ترى كُلًّا يُقالُ له المقري

خَلَفْتَ رسولَ الله ، أنت مُحَمَّدٌ

وأنتَ ابنه وابن ابنه طيبُ الذِّكْرِ

بُحُرُ علومٍ أغرقَ البحرَ مدُّها

فكفكَفْتَهُ بالجَزْرِ خوفاً على البرِّ

فَمِنْ أجلِ هذا البَرِّ بالبَرِّ خيرِهم

محمدٍ وهو البحرُ يُعرفُ بالجَزْري[٢]

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن، ص٣٤٦ .

(2) المصدر السابق ، ص ٣٨٤ ، ديوان المقرئ ، ص ٣٨٤ ،.

انتقل الإمام ابن الجزري من مدينة زبيد إلى تعز فما إن وصلها إلا والفقهاء والعلماء وطلبة العلم قد اجتمعوا للترحيب به والقراءة عليه ، فاجتمع منهم بمجلسه من نسخ كتابه الشهير (الحصن الحصين) – وهو في الحديث – نحو مائة وخمسين نسخةً فانشرح صدره وحمد الله على ذلك ، وقرأ عليهم كتابه الأشهر (النشر في القراءات العشر) وكتب الصحاح الحديثية[١] ، ولم يغادر اليمن إلا وقد أحدث فيها نقلةً بل قفزةً عملاقة في علوم القراءات ، وساح طلابه في أنحاء اليمن ينشرونها ، فلا تجد من علماء القراءات في القرن التاسع الهجري في اليمن إلا وهو من تلاميذ ابن الجزري أو من تلاميذ تلامذته .

وقد عدد المؤرخ البريهي[٢] الوافدين إلى اليمن من علماء غيرها خلال القرن الهجري التاسع فقط فبلغوا سبعة عشر عالماً ، مع أنه اقتصر على ذكر الأعلام الكبار المشهورين دون سواهم ، غير طلبة العلم المغمورين الذين لو حصروا لبلغوا المئات .

وقد طال المقام ببعض العلماء الوافدين إليمن دون أن يكونوا قد عزموا على استيطانها ، وتنقلوا من مدينة إلى أخرى حتى وافتهم المنية فيها قبل عودتهم ، وهو دليل استطابة نفوسهم واطمئنانها لقضاء بعض الوقت بين أهل اليمن ، كالشيخ المقرئ الزاهد صفي الدين أحمد بن محمد بن يوسف الدمشقي (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) الذي اجتمع في مكة بالإمام المقرئ عبدالله الشنيني (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) فاستفاد كل منهما من صاحبه وتحابا في الله محبةً أكيدة ، فسافر الدمشقي إلى اليمن معه وتنقل في كثير من مدنها وقراها العلمية ، مثل تعز وإب ووصاب وزبيد وشَنِيْن[٣] وغيرها ، حتى أن أحد أبنائه قد جاء يستعجل عودته إلى بلاده ، ومع أنه عزم على العودة إلا أن تباطئه استمر حتى مات في تعز سنة (٨٢٢هـ / ١٤١٩م)[٤] .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٣٨٤ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٣٨٤ – ٣٥٢ .

(3) قرية في قاع السحول جنوبي المخادر بمحافظة إب وهي من أعمالها ، كانت في القرن التاسع إحدى قرى العلم المشهورة في اليمن ، وخاصة أن مدرسة علمية كانت قد بنيت فيها ، المقحفي ، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ١ ص ٨٧٩ .

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

☒ **علاقات العلماء مع بعضهم :**

في هذا المحور والمحاور القادمة سيكون الحديث متمركزاً حول العلماء ، ويمتد لتناول علاقاتهم مع بقية فئات المجتمع وشرائحه المختلفة ، ونحن بذلك سنكون قد شملنا معظم العلاقات القائمة بين بقية من ضمهم مصطلح الركائز البشرية للحياة العلمية في اليمن في مدة الدراسة .

نظراً لوجود أكثر من مذهب فكري وفقهي في اليمن نجد أنفسنا ملزمين بالتنويه إلى وجوب أن يرسخ في الذهن أن كثيراً من الخلافات الفكرية والتباينات الثقافية والتنوعات الفقهية التي ثار حولها الخلاف والتنافر بين أبناء المجتمع المسلم في اليمن وغيرها من الأقطار لم تكن مبنيةً إلا على الجهل بحقيقة كثير من تلك الخلافات ، ولذلك نجد أن أكثر المنخرطين والمتورطين فيها هم من أولي الحصيلة العلمية المتدنية، وبالأحرى الغوغاء من جهلة الناس وسواد العوام الذين يدفعهم الانفعال الموجه أو التلقائي إزاء نقاط ومواقف بعينها إلى الخلاف والتنافر ، أما العلماء – إلا ما ندر – فإنهم نظروا إلى أن الخلاف يكفل التكامل لا التعارض والتصادم، ومن هذا المنطلق فإن اختلاف المرجعيات الفكرية والبيئات المذهبية لم تكن عوامل قطيعة بينهم ، وإن كان ففي حدود ضيقة ، وكانت تسودهم أجواء الوئام والتواد ، ووضعوا الأمور في نصابها ، وجعلوا لمواطن الخلاف والجدل مواضعها ومواقفها ، وعاضد بعضهم بعضاً في مواقف عديدة .

نضرب مثلاً لما سبق الموقف الذي أيد فيه الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) المعتزلي العقيدة الشيعي الولاء والانتماء ، أيد الإمام إسماعيل المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) الشافعي المذهب والسني الهوى والأشعري المعتقد ، وذلك في الصراع الفكري الكبير الذي دارت رحاه بين المتصوفة من أتباع طريقة ابن عربي القائلين بوحدة الوجود – من جانب – والإمام المقرئ وتلامذته وعدد من العلماء من أقرانه من جانب آخر ، وسجل التاريخ بعض هذه المواقف سنأتي على ذكرها بمشيئته ، وقد تناول بعض الباحثين القصائد التي تراسل بها هذين العالمين الجليلين ، ومنها القصيدة التي جاء فيها قول ابن المقرئ :

أيملكُ طرفي دمع عينيه قانياً

وقد حلت الأشواق منه العواليا

فهــلا كففتم عن رحى كف أدمعي

أما قد علمتم أن فيها الدواليا

إلى أن قال :

لئن كان إسماعيل بالشوق قد رضي

فإن ابن إبراهيم قد كان راضيا

إمام هدىً تُروى أسانيد فضله

يُنسقها نسق الكعوب عواليا

مجالسه تشفي الصدورَ فمن يَـزُغْ

يرى الداء في هجرانها والدواهيا

هو الرأس والهادي لآل محمد

فلا زال للسرب الرسولي هاديا

له فِطَنٌ تُعدي الجليس فكم جلّت

لذي حيرةٍ ذهناً وروته صاديا

لقد زارني مشياً على بُعْدِ داره

فكيف تراني!! ليث لو كان جاريا

ولما أتى بالكُتْبِ منه رسولُه

تناولتُ منها باليمين كتابيا

أبا المرتضى خذها قوافٍ جلّـوتُها

لكم ، بل على الأعداء حتفاً قواضياً[1]

---

[1] ديوان المقرئ، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، الهادي الوزير ، هداية الراغبين إلى مذاهب العتـرة الطـاهرين ، تحقيق عبدالرقيب بن مطهر حجر ، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية ، صـعدة ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م ، ص ٢١ ، ٢٢ من مقدمة المحقق .

وإذا كان والوداد والألفة والحميمية قد حملتها أبيات القصيدة السابقة بين هـذين العالمين ، فإن الأبيات التالية تعكس التأييد الذي دعما به بعضهما بعضاً في الخلاف المشار إليه آنفاً ، فقد بلغت الإمامَ الهادي الوزير قصيدةُ ابن المقرئ التي نظمها في إنكار بدع الصوفية التي أحدثوها في مساجد زبيد ، والتي قال في مستهلها :

برغمِ سنة خيرِ العَجْمِ والعَربِ
أضحت مساجدنا للهوِ والطربِ
ما كان – صلى عليه اللهُ – يأمرُنا
بضرب دفٍّ ولا زَمْـرٍ ولا قَصَبِ
بل سد عن مَزْمَرِ الراعي مسامعه
صوناً لها ولنا عن هذه اللُّعَبِ[١]

فانبرى الإمام الهادي ينظم هذه الأبيات تأييداً له ، وشداً من أزره ، وقياماً بواجب نصرة الحق ، يقول فيها :

وافى إلينا نظامٌ غير مؤتشبِ
أغنى وأقنى لذي التقوى من النشبِ
قد أوضح السنةَ الغراءَ صاحبُه
وقام بالقسط لم يعجز ولم يَهَبِ
وأظهر الدين حتى لا خفاءَ به
ديناً ومَـيَّزَ بين الصدق والكَذِبِ[٢]

ووجدنا أيضاً أن علماء السنة وفقهاؤها من الشافعية لم يجدوا حرجاً في الجلوس بين يدي أئمة الزيدية بصنعاء وغيرها للتتلمذ عليهم في شتى العلوم التي برزوا فيها[٣]، والأمر ذاته كان قائماً من الجانب الآخر ، بل إن بعض أعلام الزيدية – هو الفقيه الحسن بن محمد الشَظَبي (ت٨٣٤هـ /١٤٣٠م) – قد جمع علوم قومه بصنعاء ثم

---

(1) ديوان المقرئ ، ص ٤ .

(2) الهادي الوزير ، هداية الراغبين إلى مذاهب العترة الطاهرين ، ص ٢٢ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٦ ، ١٧٣ ، ١٧٤ .

ثم توجه إلى تعز فاحتفى به علماؤها وأحسنوا إليه كثيراً حتى أَلِفَ العيش بينهم ، واتجه إلى استجماع بقية العلوم مثل الحديث والقراءات السبع والفقه الشافعي ، ثم انقطع للتدريس في بعض المدارس العلمية بتعز إلى أن عُدَّ من علمائها[1] .

وقصة تلقي علماء اليمن المختلفي المذهب الفقهي والفكري عن بعضهم والسعي لاكتساب الإجازات العلمية من الطرفين راسخة في المصادر ومراجع الشيعة والسنة ، حتى إنك تحس وكأن شيئاً من التنافر لم يكن له وجود يُذكر في مواقف التحصيل والدراسة عندهم ، وذلك على جميع المستويات ، حتى أن الإمام أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) وهو أحد أشهر أئمة الزيدية على مر تاريخها – علماً وفقهاً وسياسةً – قد توجه إلى تعز لأخذ الحديث عن الإمام المحدث والحافظ الكبير نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) ، واستجازه في كل مروياته من أمهات الحديث النبوي المشهورة بالكتب الستة الصحاح والسنن الحديثية الأخرى[2] ، وكان الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) قد سبقه إلى المحدث نفسه واستجازه في الكتب ذاتها[3] .

إذا كان هذا هو شأن علماء المذاهب المختلفة فما بالنا بأبناء المذهب الواحد والإقليم الواحد، لقد كان الحب العظيم والأخوة الراسخة هي التي تحكم علاقتهم ببعضهم، يفرح الواحد منهم بسماعه لنزول أحد العلماء في بلدته فيسعى لاستضافته ، وإنزاله بين أهله وعياله ، في صورةٍ هي أعلى صور الإخاء والمودة ، ويعقدون مجالس المذاكرة ، ويمنحون الإجازات لبعضهم بعضاً ، وكانوا يعبرون عن عظمة تلك العلاقات التي ربطت بينهم في ثنايا كتبهم[4] ، حتى قيل في وصف علاقة ربطت اثنين من علماء مدينة عدن : " كان بينهما من التواد والتناصف ما هو مشهور ، حتى كأنهما روحان في جسد واحد ... "[5] .

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٢٧ .

(3) قد سبق ورود نص إجازة العلوي الشاملة لكتب الحديث التي منحها للإمام محمد بن إبراهيم الوزير في الفصل السابق.

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٧٣ .

(5) العيدروس ، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ص ٢٤ ، ٢٥ .

كما كانوا يتقدمون لعقد المصالحات بين بعضهم إذا ما وجدت ، وهي نادرة جداً، وينبرون لإزالة مظاهر الشحناء والمراء إذا احتدمت بين بعض زملائهم ، ومن أشهر ذلك تلك المصالحة التي عقدها محمد بن علي الكناني بين الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) وبين شيخه العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم (ت٨٣٧ هـ / ١٤٣٣م) ، وكذلك بينه وبين الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى بعد المناظرات والنقائض الشعرية التي ثارت بينهم(١).

ومما لا خلاف عليه أن هذا الحب والود القائم بين العلماء لا يؤدي إلى عدم إنكارهم لما يرونه من مجانبة بعضهم للصواب في مواقف محددة يقومون بها ، بل إن هذا الإنكار يعد من مقتضيات المحبة الراسخة بينهم ، حتى لو أدى ذلك الإنكار إلى مراسلات أو مقابلات بينهم تعقد فيها المناقشات والمناظرات ، وقد تنظم فيها القصائد من الطرفين لإثبات صواب الموقف أو خطئه ، مثال ذلك أن الإمام إسماعيل المقرئ – المذكور آنفاً – قد أرسل إلى الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن إبراهيم الخولاني (ت٨٣٥هـ / ١٤٣١م) يستقبح ما فعله في الإسماعيلية الذين ظهروا في منطقة وصاب – كما سيأتي تفصيله قريباً – وذلك لأنه قتل منهم كثيراً وأمر باسترقاق أولادهم ونسائهم دون ان يستتيبهم ، فجرى بينهما جدال ومكاتبات ورسائل كثيرة ، قام الإمام ابن الديبع الشيباني لاحقاً بجمعها في مصنف كامل أصبح مفقوداً لما يؤسف له ، إلا أنه قد تحدث عن صفته وطبيعة محتواه في كتاب آخر(٢) .

ومما يحسُن إيراده في علاقة العلماء ببعضهم أن المناظرات والجدل العلمي كان ينشب بينهم إذا ما وقع الخلاف حول بعض مسائل العلم ، وكان ذلك لا يفسد ما بينهم من حسن الصحبة وصفاء العلاقة ، من ذلك أن خلافاً وقع بين القاضي الفقيه عبدالله بن محمد بن حسن بن حسن بن عَبْسَيْن (ت٩٠٧هـ / ١٥٠١م) والإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق (٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) حول بعض مسائل الفقه ، وطال الخلاف حتى اشتهر بين الناس ، فجاء ابن عَبْسَيْن إلى الأخير بالكتب التي تؤكد صحة قوله ؛ فقام الإمام محمد بَحْرَق إلى المنبر وخطب قائلاً : " ألا إن المسألة التي

---

(١) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٠٧ .

(٢) ابن الديبع ، **نشر المحاسن اليمانية** ، ص ٢٤٧، ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

اختلفت فيها أنا والقاضي ابن عَبْسيِّن وجدت الحق فيها معه ... "[١] وهو موقف يدل بوضوح مدى سمو العلاقة بينهما وخاصة تواضع الإمام محمد بحرق .

أما عن علاقة علماء اليمن بالعلماء الوافدين عليهم فقد كانت أصدق تمثيل وأحسن تطبيق لكرم الضيافة ، حيث بالغوا في الحفاوة بمقدمهم وإحسان استقبالهم وتوفير كل متطلبات الراحة لكي يأنسوا في المقام بينهم ، وتعمدت تلك العلاقات حتى بعد غياب هؤلاء الوافدين وعودتهم إلى بلدانهم ، وظل التواصل بالرسائل والقصائد قائماً ليعكس مدى تجذر هذه العلاقات ورسوخها ، وفيما مضى في الحديث عن الوافدين على اليمن كابن حجر والجزري وغيرهما ما يكفي للاستدلال على ذلك .

☒ **علاقات العلماء مع طلابهم :**

إن العلاقة التي ربطت العلماء بطلابهم كانت أشبه بعلاقة الأبوة أكثر منها بعلاقة التتلمذ والمشيخة ، فكانوا يبذلون جهوداً كبيرة في إيصال ما لديهم من العلوم إليهم ، مقدرين بذلك ما يبذله هؤلاء الطلاب من وقتهم ومالهم وجهدهم وصحتهم في سبيل الترقي بين مدارج العلوم وميادينها ، حتى أن بعض العلماء قد تفرغ تفرغاً كاملاً للتدريس والتعليم والتأليف[٢] .

ومع أن الله قد ابتلى العلماء – في الغالب – بضيق ذات اليد حتى كادت أن تصبح صفةً لازمة لهم إلا أنهم صرفوا كثيراً مما كانوا يحصلون عليه من الأموال على طلابهم ، ويقدمونهم على أنفسهم ، ولكأنهم كانوا من رعيتهم الذين سيُسألون عنها ، وإذا ما تولى عددٌ منهم شيئاً من أمور الأوقاف على المدارس العليمة والجوامع الكبيرة حرصوا أشد الحرص على أن يصرفوا كل ما يجعله الواقف حقاً لهم – مقابل رعاية الوقف – على طلبتهم ، دعماً لهم ، وتسهيلاً للصعاب التي تواجههم ، وتحفيزاً لهممهم ، من أمثلة أولئك العلماء المقرئ عفيف الدين عبدالله بن عمر بن منصور الصراري (ت٨٠٤هـ / ١٤٠١م) الذي كانت تحمل إليه الزكاة والصدقة فيصرفها على وجوهها وينال المستحقين من طلبته منها ، بل كان يعطي طلابه كل ما شرطه الواقفون له لقاء تدريسه ، واعتمد على ربع أرض قليلة كانت له وما كان يحصل عليه من نسخه للكتب

---

(1) العيدروس ، النور السافر ، ص ٤٤ .

(2) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٩١ .

والمصاحف[1] ، ومثله الفقيه عمر بن عيسى العماكري (توفي العقد الأول من القرن التاسع الهجري / العقد الأول من القرن الخامس عشر الميلادي) الذي كان يتورع أن يقبض العطاء من الملوك أو أن يأكل من طعامهم ومع ذلك كان لا يأكل مما شرطه له الواقفون وينفقه على طلبته[2] .

وسعى الميسورون من العلماء إلى توفير متطلبات الدراسة لطلابهم ، كالذي رتب بمدرسته عشرين طالباً ليدرسهم بنفسه ، وقام بكفايتهم صبحاً وعشيةً ووفر لهم المسكن اللازم ، وزاد فضله إلى إكرام الضيف وإجازة الوافد[3] ، وقام آخر بجعل ريع ومحاصيل كل ما يملكه من أراضي النخيل وما تتناسب مع زراعة الحبوب على نفعه وطلابه على حدٍ سواء ، ووفر لهم الكتب الجليلة التي بلغ مجموعها زيادة على ألف مجلد ، كلها بالشراء أو الاستنساخ[4] .

وضرب عددٌ آخر من العلماء أروع الأمثلة في رعاية الطلاب وتشجيعهم على البحث والدراسة والتحصيل على حساب راحتهم ووقت نومهم ، ووجدنا فيهم من قام بزيارة الطالب الذي غاب عن الدرس لمرض أو علة إلى بيته وإعادته للدروس التي ألقاها في يومه حتى لا يفوته شيئ منها كالإمام عبدالله بن محمد بن حسن بن عبسين(ت٩٠٨هـ / ١٥٠٢م)[5] ، وكان بعضهم بعد أن يقضي معظم نهاره في التدريس والتعليم والتوجيه والفتوى لا يرد أحداً من طلابه إذا ما طرق بابه قاصداً تلافي ما فاته من المسائل العلمية ، منهم الفقيه المقرئ الصراري – السابق ذكره آنفاً – الذي كان لا يمر عليه وقت في النهار غالباً إلا وهو يقرأ فيه أو يحصل شيئاً من كتب العلم أو ينسخ كتاب الله تعالى ومع ذلك كانت قراءة جماعة من الدَرَسَة عليه ليلاً لما لم يتسع لهم النهار[6] ، وقام الإمام المحدث نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٩١ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ١٩٣ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٥٤ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٢٤٧ .

(5) الشِلي ، **السنا الباهر** ، ص ٥٤ .

(6) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٩١ .

(ت٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) بترك حلقته العلمية وهب لاستقبال طالبين جديدين على المدرسة الأشرفية واحتفى بهما وأمر بهما إلى بيته وأضافهما دون سابق معرفة[١] ، وبالتأكيد أن مثل هذه المعاملة المتناهية في العناية كانت تغرس في نفوس الطلبة من الروح المعنوية ما يجعلهم في غاية الطموح وعلو الهمة لكي يكونوا عند حسن ظن أساتذتهم ومشائخهم .

ومن مظاهر عناية العلماء بطلابهم أيضاً أنهم كانوا يختارون من أثبت جدارة في التحصيل وحقق قدراً كبيراً من العلم ليصبح معيداً معهم في المدارس والمساجد والجوامع التي يدرسون بها ، وكان بعض العلماء يستنيبون المبرزين من الطلاب ليشغلوا مكانهم في موضع التدريس إذا ما انشغلوا بأمور طارئة ، غير أن بعضهم كان يتوسم في بعض طلابه النجابة والفطنة والذكاء والحرص على الترقي في منازل العلماء فيوليه عنايةً فائقة ويعده حتى يصبح قادراً على خلافته في مجلسه ومكانته ، وصرح بعضهم بذلك عندما سئل عمن سيخلفه في التعليم والتوجيه[٢] .

وأهم ما تميزت به العلاقة بين العلماء وطلابهم أن العالم لم يجد غضاضة أو حرجاً في أن يقوم بتزويج تلميذه الذي يرى فيه من الدين والخلق والأمانة بابنته أو أخته[٣] ، بل إن بعضهم لم يصبر حتى يتقدم الطالب لخطبة البنت حتى يبادر هو بالإشارة إليها أو عرضها عليه[٤] .

☒ **علاقات طلبة العلم بالعلماء :**

نستطيع القول أن العلاقة التي ربطت العلماء بطلابهم والطلاب بمشائخهم كانت من الجانبين خير مثال على أقوى العُرى وأنصع العلائق ، ذلك لأنها كانت مجردةً من مظنة السعي وراء تحقيق مكاسب آنية عاجلة ، فهي وإن وجدت ففي أضيق الحدود ، خاصةً أن أعداداً كبيرة من الطلبة والعلماء كانوا إلى الفقر أقرب منه إلى الغنى ، وكما

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٠٩ .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٢٥٢.

(3) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٢ ، العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٣٧ ، الشلي ، **السنا الباهر** ، ص ٢١٠ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٣٧ .

(4) البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ٧٩ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٤٦٣ .

أن العلماء كانوا يتعاملون مع الطلبة بما ينبئ عن العطف والبذل والرفق والتواضع والكرم فإن الطلبة قد منحوهم كل التقدير والإجلال والاحترام ، وكان شعور الطلبة بالعجز عن الإيفاء بحق هؤلاء العلماء دائماً ، فيستحيل ذلك إلى صور متعددة من التعبير عن عمق ذلك الشعور وعن صدق تلك العلاقة ، وسنكتفي بذكر أنموذج واحد – مع وجود العديد من النماذج – تَمَثَّلَ في مَدْحِ تلميذٍ منهم – وهو الشيخ سراج الدين عمر بن عبدالرحمن بن محمد باعلوي (ت٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) – لشيخه ، وهو شيخ الإسلام الإمام جمال الدين محمد بن أحمد بافضل الحضرمي (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٨م)، فَضَمَّنَ قصيدته من المعاني ما يعكس مدى المحبة الطاغية التي بذلها لشيخه ، يقول في ثناياها :

وتدريسُه في كل فَنٍّ مؤسَّسٌ
بتعليلِه يا صاحِبَيَّ والدلائلِ
ويُرْفِقُ بالقاري البليدِ كأنَّهُ
لهُ أمٌّ تُدي مشفقاً بالمسائلِ
كبحرٍ خِضَمٍّ في العلومِ قد امتلى
وفاضَ على الجنباتِ فوقَ السواحلِ
هو الشيخُ والأستاذُ والنورُ والهدى
وخيرُ مُجيبٍ عن جميعِ المسائلِ
إمامي وأستاذي وشيخي وسيدي
ومحبوب قلبي صادقاً غير هازلِ
غزيرُ الحيا، كلَ الحجا حازَ والصفا
مَلِيْحُ الحَلا شَيْخ الشُيُوخ الأفاضلِ[١]

☒ <u>علاقة طلبة العلم مع بعضهم :</u>

لما تكون العلاقة بين البشر علاقة تنأى عن الحسابات المادية والدنيوية فإن الروابط بينهم تكون أقوى بكثير مما هي عليه في حال وجود روابط مصالح عاجلة غير

---

(1) العيدروس ، النور السافر عن أخبار القرن العاشر، ص ٢٦ .

روابط الإخاء وما شابهها من علائق الرفقة في طلب والعلم ونظيراتها ، لذلك تعكس لنا المصادر – ولو بإشارات قليلة عابرة – مدى صلابة العلاقة التي قامت بين طلبة العلم في اليمن ، فتمر السنون وتتعاقب الأيام دون أن تنال من قوة أخوتهم ، الأمر هذا من البديهي إدراكه ، فمثل هذه العلاقات تدوم وتُجمع الأجيال على سموها وعلوها ، وما يلمسه الإنسان في عصرنا هذا مع تعقيداته وتشابك الحسابات في الحياة المعاصرة يعد امتداداً لما كان عليه الوضع بين طلاب العلم في العصور المتقدمة ، بما فيها المدة التي نتناولها بالدراسة في القرنين الهجريين التاسع والعاشر .

من ذلك ما ذكره المؤرخ البريهي عن العلاقة الشخصية التي ربطته بالقاضي الأجل عفيف الدين عبدالله بن محمد الحبيشي (ت٨٥٨هـ / ١٤٥٤م) منذ أيام التلقي والتحصيل العلمي ، يقول البريهي : " واتفق بيني وبينه مودة عظيمة بعد أن صحبته في حال طلب العلم ... " ثم أشار إلى ما كانت بينهما من المراسلات الأخوية ، الشعرية والنثرية ، بما يعكس عمق الآصرة ورسوخ العلاقة بينهما[1] .

وهذا الإمام المحدث والمؤرخ ابن الديبع (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) يتحدث عن علاقة مشابهة ربطته بالفقيه العلامة عماد الدين يحيى بن عمر بن عثمان الذيابي ناتجة عن معاشرة الطلب وزمالة الدراسة والتلقي ، يقول : " واتفقت بيني وبينه – أي الفقيه يحيى بن عمر الذيابي – صحبة وأخوة في الله عز وجل في أيام البداية والاشتغال بالعلم الشريف "[2] ، ثم أنه أورد في مدحه قصيدة جميلة ، يخيل لقارئها بأنها في مدح رجل عظيم ذو سلطان ووجاهة لا زميل من الأقران ، يقول في فيها :

بِرَبِّكَ يا طرسي[3] إذا جئتَ منبَراً

بمدرسةِ الضُّنْجُوْجِ[4] دارِ الأحبَةِ

---

[1] طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٧٣ .

[2] نشر المحاسن اليمانية ، ص ٢٢٥ ، ٢٣٢ .

[3] قال محقق شر المحاسن اليمانية ، ص ٢٢٦ في الحاشية أن : الطرس هو الصحيفة ، أو أنها فقط تلك التي محيت ثم كتبت أو ما تم التي كتبت .

[4] الضُّنْجُوْج هو اسم واحدة من أشهر المدارس العلمية في اليمن في مطلع القرن العاشر الهجري ، ولا يعني ذلك أنها لم تكن عامر بالعلم من قبل ، وقد كان الممدوح في القصيدة نازلاً للتدريس فيها ، وجاء

لدى المنظرِ الشرقي بشوقٍ يماني

عليه عمادُ الدين تاجُ الأئمةِ

فقبّلْ بساطَ الأرضِ من بابِ قبلةٍ

إلى المنظرِ المذكورِ تقبيلَ خدمةِ

مواضعُ سجّادٍ وحيثُ تلاوةٍ

وترتيلُه للذِّكْرِ بعدَ الفريضةِ بمدرسةِ

وباطنُ أقدامٍ خُطاها تكرَّرَتْ

هناكَ فقبِّلْها تَــنلْ كلَّ رفعةِ

وقُلْ جئتُ من عندِ الرُمَيْلي[1] مُبارداً

مُحِبُكُمُ الدَّاعي شروطَ المحبةِ

بَعَثني إليكَ الآنَ يا أرفعَ الورى

مقاماً وأوفاهمْ بِشَرْطِ الأُخُوَّةِ

يَخُصُّكَ بالتسليمِ في الصُّبْحِ والمَسَا

ويهوى اللقا في كلِّ يومٍ وليلةِ

ولكنْ أعاقَتْهُ المُعيقاتُ ، والقضا

على الآدَميْ يجري بحكمِ المَنِيَّةِ

وفي قلبِه شوقٌ إليكمْ ولوعةٌ

بأحشائِهِ زادتْ على كلِّ لوعةِ

فيا نِعْمَ يحيى مَقْصِدَ الناسِ كلِّهِمْ

دَوامَ المَدى فيما بدا من مَهَمَّةِ

اسمها مستعاراً من اسم القرية التي بنيت بها في منطقة وصاب ، ابن الديبع ، **شر المحاسن اليمانية** ، ص ٢٠٨ ، وقد أشار إليها الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٥١٧ .

[1] الواضح من السياق أن المشار إليه بهذا الاسم هو المادح ، ولعل ابن الديبع كان ينادى بــه بــين أقرانــه كالممدوح يحيى الذنابي .

أتمَّ الورى عقلاً وأسْمَحَهُمْ يدا
وأكْمَلُهُمْ عندَ الأمورِ المُلمَّةِ

وأوسَعُهُمْ حِلْماً وأقوى تَوَكُّلاً
وأعرَفُهُمْ باللهِ ربِّ البريَّةِ

مُهَذَّبُ أخلاقٍ ومحمودُ سيرةٍ
وجامعُ أوصافِ الحَيَا والمُرُوَّةِ

له خُلُقٌ سَهْلٌ ولَطفٌ ورحمةٌ
يُشَابِهُ أخلاقَ النَّبيِّ المُثَبَّتِ[1]

نقول مطمئنين بأن ما قيل في النموذجين السابقين ينطبق على معظم – إن لم نقل كل – العلاقات الرابطة بين طلبة العلم في اليمن في مدة الدراسة ، ويدعم ذلك أننا لم نجد أي إشارة في المصادر التي توافرت لنا تتحدث عما يناقض اضطراد سير العلاقة بالنمط الذي أشرنا إليه في النموذجين المشار إليهما .

☒ علاقات العلماء مع الحكام والسلاطين والأئمة :

الحديث في هذا المحور طويل ومتشعب ، فعلاقة العلماء وطلبتهم بالحكام والسلاطين والأئمة كانت على أنماطٍ متنوعة وأشكالٍ مختلفة ، وتناول هذا الجانب بالتفصيل يحتاج إلى دراسات مكتملةٍ ومقتصرةٍ عليه ، وذلك لاتساع المجال فيه وكثرة ما أورد المؤرخون حوله من إشارات في مصادرهم ، ولا تخفى خطورة المكانة التي يحتلها هؤلاء السلاطين والأئمة في حياة الناس ، الدينية والدنيوية ، وهذا ما حدا ببعض العلماء إلى الاهتمام بهم ومحاولة تهذيب أدائهم وسد ثغرة فساد بطاناتهم ، وصدق السابق في الأثر القائل : " إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن " ، فبصلاح الحاكم أو السلطان أو الإمام يكون صلاح الناس ، ويستطيع المصلح من العلماء بلوغ غايته من خلال توجيه ذوي السلطة ممن ذكرنا في زمن قصير ، ولعله لا يبلغ تلك الأهداف والغايات ولو بذل في سبيل بلوغها سني عمره .

---

[1] ابن الديبع ، شر المحاسن اليمانية ، ص ٢٢٦ .

بيد أنه من المهم الإشارة إلى أن العلاقة بين العلماء والحكام لم تتخذ شكلاً واحداً أو تسير على نمط محدد باتجاه واحد ، وكانت عدد من العوامل تتدخل لتشكل نوع العلاقة بين العالم والحاكم ، بعضها متعلق بالعالم كزهده ونفوره من الحكام مهما كان صلاحهم ، أو أثرته لنفسه ونوازعها الأرضية وتوجهه إلى أبواب السلاطين لمنادمتهم وتدبيج القصائد والمدائح في حقهم ، أو اتخاذه مواقف التأييد لبعض الأطراف السياسية المتصارعة على الحكم فيناله من جراء ذلك ما يناله من التنكيل والمصادرة والقتل أحياناً ، وبعضها متعلق بالحاكم نفسه كأن يكون على قدر عالٍ من العلم والمعرفة والحكمة ، أو أن يتخذ موقف المحايد في مواطن الخلاف الفكري والمذهبي ، أو يميل إلى طرف دون آخر ، هذه العوامل وغيرها جعلت المواقف تتشابه وتتباين ما بين تارة وأخرى ، لذلك سنتناول صوراً من العلاقة بين العلماء والحكام في عدة محاور لتصنيف أشكالها بيسر وشمول ، وذلك على النحو الآتي :

- **مواقف العلماء من التعامل مع الحكام :**

سبقت الإشارة إلى أن العلاقة بين العلماء والحكام لم تتخذ شكلاً واحداً أو تسير على نمط محدد باتجاه واحد ، وذلك عائد إلى أسباب عدة أشرنا إلى بعضها ، ومما لم نذكره أن نظرة العالم إلى أهمية اقترابه من بلاط الحكام والسلاطين والأئمة أو ابتعاده عنه وحسن تقديره لدوره في ذلك الباب جعل العلماء يتخذون مواقف متعددة ، فنستنتج رؤية فئةٍ منهم لوجوب سد الثغرة التي تنفذ منها بطائن السوء إلى بلاط الحكام فيجدون في أنفسهم القناعة بوجوب التردد الدائم عليهم لأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وقضاء ما يلزم من مصالح الناس وإيصال مطالبهم التي حُجبوا عن إبلاغها إلى هؤلاء الحكام ، وذلك في وجود فئةٍ أخرى استجازوا المخالطة الدائمة أو شبه الدائمة للحكام والسلاطين ولكن لدوافع قد تختلف عن أسباب مخالطة الفئة الأولى لهم ، وفئةٍ أخرى لا يرغبون في مخالطة الحكام والسلاطين أو قبول عطاياهم وعروضهم لتولي المناصب المتعددة لهم ، وتفصيل الحديث عن هذه الفئات[1] كما يلي :

---

[1] جاءت فكرة التقسيم إلى ثلاث فئات بالشكل المشار إليه من عبدالرحمن أحمد المختار للجزئية هذه نفسها من علاقة العلماء بالحكام في دراسته ، انظر **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٤٦٨ ، ٤٧٢ .

(١) الفئة الأولى :

وهي الفئة التي أدركت – كما أشرت – خطورة المكانة التي يحتلها هؤلاء الحكام السلاطين والأئمة في حياة الناس ، الدينية والدنيوية ، فندبت نفسها – فردياً وعلى غير اتفاق مسبق – للاهتمام بهم ومحاولة تهذيب أدائهم وسد ثغرة فساد بطاناتهم ، وزيارتهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومن هؤلاء العلماء القاضي الفقيه أحمد بن أبي بكر الناشري (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) الذي كان ينكر على السلطان – فمن دونه – كل منكر أو تعسف بالعامة يصدر عنهم ، ولما تولى القضاء في زبيد كان شديداً في قول الحق حتى ضاق منه غلمان السلطان ، فجرى له معهم وقائع متعددة ، ولم يتسامح معهم في شيئ[1] .

وهكذا كان الإمام أبو الطيب عبدالله بن أحمد بن علي بامخرمة (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) في تعامله مع رجال الدولة الطاهرية ، ملوكاً وأمراءً ، ففي عهد أول ملوكهم ، الملك المجاهد علي بن طاهر (ت٨٨٣هـ / ١٤٧٨م)، كان شديد الإنكار على أي مظهر يرى فيه مجافاة للشريعة ، ولما تولى القضاء في عدن – على كره منه – " باشر الوظيفة بنزاهةٍ تامةٍ ، وصَدْعٍ بالحق ، وإقامة العدل ، واجتهادٍ في إيصال الحقوق ، وإغلاظٍ للظلمة من الأمراء والوزراء وغيرهم ، وقمعهم عن الظلم ، وتحكيم الشرع فيهم ... "[2] ، فما وَسِعَ الملك المجاهد إلا أن كان " كثير التعظيم له ، والاغتباط به ، والامتثال لأمره ، والانقياد له ، والتأدب معه ... "[3] .

وكان القاضي الفقيه عبدالله بن محمد بن حسن بن عَبْسَيْن (ت٩٠٧هـ / ١٥٠١م) من أشهر من يمكن الإشارة إليهم في فَهْمِ الواجب المناط بهم في تهذيب أداء الملوك والأمراء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعدم مداهنتهم على ما يبدر عنهم من أخطاء ، فقد وُصِفَ بأنه كان " طارحاً للتكلف ،

---

(1) ابن الديبع ، **الفضل المزيد** ، ص ٣٧٣ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٣٩ .

(2) العيدروس ، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ص ٣١ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر ، ينكر على الملوك والـوزراء ... "[١] ، لا يمنعه جفوة السلطان من التردد عليه وأمره ونهيه ، حتى أنه استدعى الـسلطان نفسه للمثول بين يديه في قضية رفعها عليه أحد التجار بعد أن امتنع عن دفـع ثمن بضاعة اشتراها ثم رأى إعادتها بدعوى اكتشاف العيب فيهـا ، وبالفعـل انتزع حق التاجر منه[٢] .

ولما اضطرت الظروف الاقتصادية المتردية والمتدهورة التي مرت بها الدولة الطاهرية بعد أن جمدت الأساطيل البرتغالية مجمل النشاط التجاري فـي المحيط الهندي في مطلع القرن العاشر – كما سبق توضيحه في الفصل الثـاني – لجأ السلطان الطاهري الظافر الثاني عامر بن عبـدالوهاب (ت٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) إلى أموال الأوقاف وإيراداتها ، فوضـع يـده سـنة (٩١٨هـ / ١٥١٢م) على نصفها وضمها إلى خزينة ديوانه ، فوقع العجـز فـي حقـوق المستحقين لها ، وأنكر عليه الفقهاء والعلماء ذلك فلـم يرعـوِ وأصـر علـى مخالفتهم والاستيلاء على ما قرره من أوقافهم ، فتوجهوا للدعاء عليـه، وهنـا عقب بعض المؤرخين المعاصرين له بأن انهيار دولته وسقوطه قتيلاً بعد هـذه الحوادث بخمس سنوات تقريباً لم يكن إلا نتيجة لسطوه على الوقـف وتجـرأه عليه[٣] .

(٢) الفئة الثانية :

هي تلك التي استجازت المخالطـة الدائمـة أو شـبه الدائمـة للحكـام والسلاطين ، ولكن دوافع اتخاذ هذا الموقف كانت عديدة ، منها رؤية الـبعض منهم أن الوجود في مثل هذه المواضع أدعي لجلب الخير للنـاس ودرء الـشر عنهم الذي قد يصدر عن الحكام في أحيان غفلتهم وتزيين البطانة لهم جوانـب من الأعمال التي يتضرر الناس منها ، والبعض الآخر لم يرَ بأساً من المخالطة للحكام والأخذ من عطاياهم ، وخاصةً الأدباء والشعراء منهم ، وكـان بعـض

---

(1) الشـلي ، **السنا الباهر** ، ص ٥٤ ، العيدروس ، **المصدر السابق** ، ص ٤٤ .

(2) الشـلي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ ، العيدروس ، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ص ٤٤.

(3) الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٩٢ .

السلاطين يتخذون منهم ندماء دائمين لهم ، وبلغ بعضهم درجة الوزارة عندهم ، وهذه الفئة غالباً ما كانت عطايا الحكام والسلاطين هي مصادر دخلهم ومـدار معيشتهم ، وجدير بالإشارة القول هنا أن هذه الفئة كانت ضئيلةً وقليلة العدد إذا ما قورنت بالفئة السابقة واللاحقة .

من أمثلة العلماء الذين حملوا هذه النظرة وعرف عنهم كثرة مخـالطتهم للسلاطين نذكر الأديب الفقـيه أبو الحـسن علي بن محمـد بـن إسـماعيل الناشـري (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) كان أوحد زمانه وفريـد أقرانـه، حسن المحاضرة كثير المحفوظات عارفاً بالأخبار والتواريخ والأنساب ، مشاركاً فـي كثير من العلوم لأنه قرأ جل مسموعات الفقه والنحو بزبيد، وسمع كثيـراً مـن الحديث ، لكن غلب عليه الشعر فمدح السلاطين ووزرائهم وأمرائهم ، واختص بالسلطان الأشراف إسماعيل الرسولي ، فأجيز الجوائز السنية[١] .

ومنهم أيضاً العلامة جمال الدين محمـد بـن أبـي القاسـم المقدشـي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) الذي قيل عنه بأنه خـالط ملوك الوقت – الرسـوليين – فنال منهم الإحـسان ، كما وُصِفَ بأنه كان " كثير الصدقة وأفعـال الخيـر وحسن الظن بجميع الناس ... "[٢] .

ويُذكر أيضاً القاضي موفق الدين علي بن أحمد الناشري (ت٨٨٦هـ / ١٤٨١م) الذي كان بينه وبين الـسلطان المنـصور عبـدالوهاب الطـاهري (ت٨٩٤هـ / ١٤٨٩م) صحـبة وملازمه ، وتواصل ذلك مع ابنه الـسلطان الظافـر الثاني عامر بن عبدالوهاب (ت٩٢٣هـ / ١٥١٧م) الـذي ربطتـه بالقاضي علي الناشري محبة أكيدة حتى قال المؤرخ المعاصـر بامخرمـة[٣] " وحصل بينهما اتحاد عظيم ، وأحبه الظافر حباً شديداً وأبقى على أسبابه فاتـسع جاهه ... " .

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٧٣ ، الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن** ، ج ٣ ص ٩٢ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٥ ص ٢٩٠ ، ابن حجر ، **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، ج ٢ ص ٤٤١ ، ابن العمـاد ، **شذرات الذهب** ، ج ٧ ص ٩٨.

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٣ .

(3) **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٤٦ .

وأخيراً نذكر الفقيه بدر الدين حسن بن عبدالرحمن الصباحي (ت٨٩٨هـ / ١٤٩٢م) الذي تتلمذ على أكبر علماء زبيد في العلوم الشرعية كالفقه والحديث والعقلية كالفرائض والجبر والمقابلة ، وأجازوه للإفتاء والتدريس فمارسهما مدة ليست بالقصيرة في مدينة زبيد، ثم تصدر للفتوى في تعز حتى صار المعتمد فيها ، وهو مع ذلك شاعر مفلق ذو قريحة جيدة ، استوزره السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالواهاب الطاهري - المذكور آنفاً - فانقطع عن التدريس والإفتاء بسبب ذلك[١] .

(٣) الفئة الثالثة :

هي الفئة التي رغبت تماماً عن مخالطة الحكام والسلاطين والأئمة ، ورأت في ذلك تورعاً عن الشبهة وتنزيهاً للعلم الذي تحمله من أن يقف على عتبات القوم مهما كان السبب والدافع ، بل وكانت ترفض أخذ العطايا الممنوحة لهم ، وإن أخذتها صرفتها في وجوه الخير من الطلبة وغيرهم .

نماذج هذه الفئة كثيرة في مدة الدراسة ، نذكر منهم الفقيه الصالح شمس الدين يوسف بن عمر العطاب (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) كان من علماء مدينة إبّ ونحوييها وشعرائها وزهادها الكبار ، استدعاه السلطان الناصر أحمد الرسولي لمقابلته فرفض الوقوف بابه ولا طمعت نفسه بقبض شيئ من أسبابه[٢] .

وهذا القاضي العالم الصالح وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد النحواني (ت٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) كان مع تصدره للقضاء يرفض الوقوف على أبواب الحكام وينفر من ذلك جداً ، وقد قال ناصحاً غيره في ذلك :

اقنعْ تَعِزُّ ، ولا قناعةَ في تَعِزْ[٣]

إلا إذا استبدلت عنها أرضَ عِزْ

---

[1] بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٥٥ ؛ البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

[2] البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٨ .

[3] تعز الأولى فعل عكسه : تذل ، و تعز الثانية اسم المدينة اليمنية الشهيرة التي اتخذها الرسوليون عاصمةً لهم ، والفقيه هنا يعرض بها باعتبارها منزل السلطان وموطن عرشه ، لذلك تجد الأولى كلمةً (فعل) معربةً قابلة للتصريف ، وتجد الثانية اسماً غير منصرف .

لا خيرَ في فخرٍ يُنالُ بذِلَّةٍ
والخيرُ في خَفْضٍ إذا هو جَا بِعِزْ

فإذا قنعتَ ولم تكن تأتيْ إلى
الملكِ العزيزِ[١] فإنكَ الملكُ المُعزْ[٢]

وهذا الإمام المجتهد الشهير محمد بن إبراهيم الوزير (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) الذي سبقت الإشارة إلى استنكاره على شقيقه وشيخه الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) عندما وجده وقد استحلى البقاء ضمن حاشية الإمام الزيدي الناصر صلاح الدين (ت٧٩٣هـ /١٣٩١م) ، واستحال استنكاره إلى قصيدة يذكره فيها بما يجب عليه من مجافاة السلاطين والابتعاد عنهم ، يقول فيها :

يا نجلَ إبراهيمَ لا تنسَ ما
كانَ عليهِ بالتَّحلِّي أبوكْ

فإنَّ آباءَكَ لو شاهدوا
بعضَ الذي تفعلُهُ أنَّبُوكْ

ما لكَ لا تسلكُ نَهْجاً وقدْ
سَنَّ لنا فيهِ أبوكَ السُّلُوكْ

إلى أن قال :

وابعدْ عنِ المُلكِ وأربابِهِ
وإنْ هُمْ يوماً لَهُ أهَّلُوكْ

ولا تَنْظُرَنْ يَوماً إلى قائمٍ
وانظُرْ إلى ما قَالَهُ ناصِحُوكْ[٣]

---

(1) المقصود بالملك العزيز هنا الحاكم كائناً من كان ، وهو لا يقصد حاكماً من الحكام بعينه ، والعزيز والمعز ألقاب لبعض الخلفاء الفاطميين .

(2) المصدر السابق ، ص ٩١ .

(3) الأكوع ، أئمة العلم المجتهدون في اليمن ، ص ٧١ ، ٧٢ .

هذا مع العلم أن الإمام الناصر المذكور كان أحد أعلام الفكر الإسلامي في اليمن وأحد أشهر الأئمة الزيدية ، وذلك لم يشفع لدى الإمام الوزير أن يعذر أخاه في مصاحبته .

- **مواقف الحكام من العلماء ونظرتهم إليهم :**

ما أثبتته المصادر التاريخية أن أغلب حكام اليمن كانوا على قدر كبير من المعرفة ، وأنهم حازوا نصيباً كبيراً من العلوم ، وحصلوا على إجازات من كبار العلماء فيما أخذوه عنهم من فروع المعرفة الشرعية والطبيعية ، ولا ننسى أن شرط بلوغ منزلة الاجتهاد هو أحد أهم شروط الإمامة لدى الزيدية ، وأن سلاطين بني رسول كانوا ينافسون العلماء في عصرهم في التأليف ، وهو ما حدا ببعض الباحثين أن يؤلف كتاباً تحت عنوان (حكام اليمن المؤلفون المجتهدون)[(1)] ، وأغلب حكام وسلاطين هذه المدة التي نتناولها بالدراسة جاءوا في مقدمة من أشير إليهم في الكتاب المذكور .

أردت أن أصل – من خلال ماسبق – إلى أن أقرر بأن الخلفية العلمية المتوافرة لهؤلاء الحكام أكسبتهم القدرة على تقدير العلماء واحترامهم وإجلالهم أكثر مما لو لم يكونوا كذلك ، وذلك هو الغالب في علاقتهم بهم ، ووجدنا في المصادر صوراً كثيرة لهذا الاحترام والتقدير والتشجيع ، كما لا يجب أن نعمم هذا السلوك على تعاملات الحكام مع العلماء ، فقد حدث بين الطرفين أحياناً – كأفراد من الجانبين – مواقف تضرر منها العلماء وشُرِّدَ بعضهم وصودروا وقتلوا ، ولكن ذلك يظل في حكم الشاذ والنادر جداً ، وسنستعرض هنا جوانب من أهم صور علاقة الحكام بالعلماء في مدة الدراسة :

(١) احترام العلماء ومعاملتهم بإحسان :

كان السلاطين والأئمة يُجِلُّون العلماء ويُكِنُّون لهم الاحترام ، وهو ما كانت تعكسه سلوكياتهم معهم ، فكانت إشارات المصادر تدل على صور متعددة لهذا الاحترام والتقدير ، وكان الغالب على معاملة الحكام للعلماء بأنها معاملة حسنة إلا ما ندر ، ووصل الأمر ببعضهم أن صاهروا الفقهاء والعلماء[(2)] وذلك يأتي في أعلى صورة الاحترام والتقدير.

---

(1) هو عبدالله محمد الحبشي ، والكتاب واحد من مراجع دراستنا هذه .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٠٠ .

ومن أمثلة الإحسان إلى العلماء إسقاط ما يوجب تحصيله من الأموال لمتعهدي إيراداتها على الأراضي المزروعة ، وذلك أن كثيراً من العلماء كان يقتاتون من ريع أراضيهم التي يزرعونها بأنفسهم أو تحت إشرافهم كما سيأتي تفصيله ، لهذا قال المؤرخ الحبيشي : " وكانت العادة قديماً وحديثاً بأن جميع فقهاء وصاب وغيرهم لا يسلمون لأرباب الدولة شيئاً قط ، احتراماً لجانبهم ورعاية لحقهم وفقههم وعلمهم ... وكذا كل من تفقه من الرعايا سومح فيما عليه ... "[1] ، وذلك ينطبق على كل العلماء في المناطق الأخرى ، لذلك يروي الأهدل[2] أن السلطان الناصر أحمد الرسولي (ت٨٢٧هـ /١٤٢٣م) كان لا يأخذ على أراضي علماء بيته من آل الأهدل شيئاً ، إجلالاً وتقديراً لهم ، إلا ما قدموه هم بأنفسهم على سبيل الهدية ، وأن هذه العادة قد سار عليها خلفاؤه السلاطين المنصور عبدالله (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) والأشرف الثالث إسماعيل (ت٨٣١هـ / ١٤٢٧م) والظاهر يحيى (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) .

وقد تناولت بعض المصادر أسماء مجموعة من العلماء الذين كانوا محط احترام السلاطين وإحسانهم ، منهم الفقيه الصوفي إسماعيل الجبرتي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) الذي حاز مكان عظيمة عند السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي حتى غدا من ندمائه وجلسائه ، وكان السلطان يجله ويكرمه حتى لكأن كلمته لا تُرد عنده[3] ، ومثله محمد بن محمد المزجاجي (ت٨٢٩هـ / ١٤٢٥م) الذي كان ضمن الصوفية الذين قدمهم السلطان الناصر أحمد ، وكان المزجاجي محظياً عنده فكان يلازمه وينادمه ، ويحضر معه جميع ما يصنع[4] .

ومن العلماء الذين اختصوا بصحبة السلطان المنصور عبدالله الرسولي من ستأتي الإشارة إليهم كالإمام ابن المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) والفقيه عبداللطيف بن محمد الغزالي الهتار (ت٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) وقد علت منزلة

---

(1) الحبيشي ، **تاريخ وصاب** ، ص ١٨١ .

(2) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٢٥٠ .

(3) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ١٥٦ .

(4) ابن حجر ، **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، ج ٣ ص ٣٨٠ .

الأخير لدى المنصور حتى شملت نعمته كل دور أسرته وباتت محترمة مصونة ، يلجأ إليها الخائفون فيأمنوا[١] .

وقد وكانت المعاملة الحسنة للعلماء تمتد حتى بعد وفاتهم ، وذلك من خلال المشي في جنائزهم وحضور القراءة عليهم ، وذلك ما تميز به السلاطين الطاهريون على غيرهم ، حيث تذكر بعض المصادر أن الملك المجاهد علي بن طاهر (ت٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) صلى على الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن أفلح (ت٨٦٠هـ / ١٤٥٥م) بالجامع الكبير في مدينة زبيد ، ومشى أمام جنازته[٢] ، كما حضر القراءة على قاضي القضاة الإمام القاضي جمال الدين محمد بن أبي الفضل الناشري (ت ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) ومعه عدد من أكبر أمرائه ، بل إنه أقام أحدهم – علي بن سفيان والي مدينة زبيد – في مقام من يتقبل التعازي فيه مع أهله بعد أن عزاهم هو بنفسه[٣] .

(٢) تواضع الحكام مع العلماء والجلوس بين أيديهم للتلقي :

لم يأنف السلاطين والأئمة من الجلوس بين يدي العلماء المبرزين للتلقي بعد أن تولوا مناصبهم وعروشهم ، وهذا الخلق الرفيع جاء من كونهم في الأصل علماء نالوا قسطاً وافراً من العلوم المختلفة قبل الوصول إلى مصاف السلاطين والأئمة ، وبالتالي أوجدت هذه الخلفية لديهم حرصاً على الفائدة ، وخاصةً إذا كان العالم وافداً يرتجى من الجلوس بين يديه تعلم الشيئ الجديد ، وكان التلقي عنه أمثال هؤلاء العلماء في مجالسهم العلمية التي تعقد للعامة وأحياناً في قصورهم .

فهذا السلطان الأشرف إسماعيل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) كان موصوفاً بمحبة العلم والعلماء ، فقد كان آخذاً بنصيحة والده السلطان الأفضل (ت٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) الذي قال : " ينبغي للملك أن يعتني بسائر العلوم دقيقها

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٠٧ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد**، ص ١٢٨.

(2) ابن الديبع ، **قرة العيون** ، ص ٤٠٩ .

(3) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٢٥ .

وجليلها ، ويعظم شأنها ويحث عليها ... "[1] فأكثر من الجلوس بين أيديهم ، وكان أكثر جلوسه أمام علماء زبيد ، إذ أخذ الفقه على يدي الفقيه علي بن عبدالله الشاوري (ت٧٩٨هـ / ١٣٩٥م) ، وتلقى النحو على إمام النحاة واللغويين في اليمن في عصره العلامة الفقيه عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد الشرجي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، قرأ عليه السلطان عدداً من أهم ما تداوله أهل اليمن من كتب النحو مثل مختصر الحسن بن أبي عباد ومقدمة طاهر ولُمَع ابن جني وجُمَل الزجاجي ، وقيل أن ابنه السلطان الناصر أحمد الرسولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) كان يحضر هذه المجالس معه[٢] ، وقد أتقن النحو بما جعله يشير على شيخه بتأليف بعض الشروح والمختصرات التي اشتهرت لاحقاً[٣].

كما سمع السلطان الأشرف نفسه صحيح البخاري مرات عديدة ، أكثرها على الإمام إسماعيل بن المقرئ في قصره[٤] ، وسمعه مرة أخرى على القاضي مجد الدين الفيروزابادي في مجلس الحديث المنعقد في زبيد سنة وصوله إليها[٥] .

ومن بعد السلطان الأشرف نجد ابنه السلطان الناصر أحمد (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) معدوداً بين السلاطين العلماء الذين جلسوا بين أيدي العلماء بتواضع الطلبة أسوةً بأبيه كما أشرنا ، وتتحدث المصادر عنه أنه حضر قراءة القاضي العلامة عز الدين عبدالعزيز بن علي بن أحمد النويري (ت٨٢٥هـ / ١٤٢١م) مع جماعة كبيرة من فقهاء تعز وغيرهم[٦] .

---

(1) الأفضل الرسولي ، **نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء** ، دراسة وتحقيق نبيلة عبدالمنعم داود ، مكتبة الثقافة ، مكة المكرمة ، ص ٦٨ (د، ت) .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٦٩ ، الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن** ، ج ٢ ص ١٣٩ ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٣١٤ ، السيوطي ، **بغية الوعاة** ، ج ٢ ص ١٠٧ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج٤ ص ٣٢٥ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ١٠٧.

(3) بامخرمة ، **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(4) **ديوان ابن المقرئ** ، ص ٨٣ .

(5) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢٣٥ ، **العسجد المسبوك** ، ص ٤٩٠ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٧٩٩ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ١٠٧.

(6) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤٣ .

كما أن السلطان المنصور الثاني عبدالله الرسولي (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) – الذي عرف بالتدين وملازمة الجماعات بمسجد الأشاعر بزبيد[١] – كان معتاداً على ارتياد حلقات العلم فيه ، ومنها سماعه على الإمام المقرئ محمد بن محمد الجزري عندما نزل زبيد في سنة (٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) شيئاً من الحديث في المجلس الذي عقده بمسجد الأشاعر[٢] .

وفي عهد الدولة الطاهرية كان الملك المجاهد علي بن طاهر (ت٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) يستدعي الفقيه أحمد بن عبدالله بلعس اليافعي (ت٩١٠هـ / ١٥٠٤م) إلى قصر دار السعادة بعدن ، كما أن الملك نفسه كان يحضر مجالس القراءة في الحديث التي يعقدها الفقيه اليافعي كل جمعة في المسجد الجامع ، وربما أقام بمقصورة المسجد يسمع الحديث حتى صلاة العصر[٣] .

(٣) دعم الحركة العلمية عمرانياً ومالياً :

بات كالحقيقة الراسخة تاريخياً أن الرسوليين والطاهريين هم واسطة العقد لحكام اليمن اهتماما بإنشاء أماكن التعليم ودور التدريس في معظم المناطق التي كانت سيطرتهم تمتد إليها ، يشهد بذلك العدد الكبير من النصوص التاريخية المعاصرة لهم والآثار الباقية لأطلال هذه المنشآت ، ونحن لما نقول (الرسوليين والطاهريين) فنحن لا نقصد السلاطين أنفسهم فحسب ، بل الإشارة تشمل نساء قصورهم وأمراءهم الذين نافسوا السلاطين في إنشاء المدارس العلمية والعناية بها .

لم يقف الأمر عند إنشاء المدارس ودور العلم الأخرى ، بل إن عملية الإنشاء لم تكن تبدأ إلا وقد حدد لها مؤسسها مصدر تمويل الطاقم الذي سوف يرتبون للعمل بها وللطلاب الذين سيتم تعيينهم للدراسة فيها ، ويدلنا على كثرة هذه المنشآت الخبر الذي ورد في بعض المصادر أن السلطان الأشرف الثاني إسماعيل قام بعملية ترميم

---

(1) ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٠٦ .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٣٢ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٤٦ .

(3) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٩١ .

وتجديد دور العلم بزبيد سنة (٧٩٣هـ / ١٣٨٩م) فشملت هذه العملية خمساً وستين منشأةً ما بين مسجد ومدرسة[١] .

وقد أفرد ابن الديبع[٢] صفحتين في تاريخه ليعدد مآثر السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب التي تنوعت ما بين مدرسة وجامع ، غير ما قام بترميمه من المدارس القديمة التي كانت من منشآت الرسوليين .

(٤) التشجيع برصد الجوائز وإغداق العطاء على إنجازات العلماء :

للحوافز المتنوعة التي رصدها حكام اليمن وسلاطينها وأئمتها للعلماء وتلاميذهم لقاء كل إنجاز علمي يحدثونه دورها الهائل في تسابقهم نحو نيل ذلك الشرف ، ولعل مكمن التطلع إلى نيل تلك الجوائز لم يكن كامناً في قيمتها المالية الكبيرة بقدر ما أن قيمتها المعنوية كانت هي الماثلة أمامهم لما ينبني عليها من علو القيمة بين أفراد المجتمع وسمو المكانة بين الأقران .

وقد أورد المؤرخون عدداً من الإشارات إلى طبيعة تحفيز السلاطين والأئمة للعلماء والحفاوة بمنجزاتهم العلمية ، من ذلك أن الإمام مجد الدين الفيروزابادي أهدى للسلطان الأشرف إسماعيل كتاباً كان قد حمله إلى مجلسه في أطباق فملأها له السلطان دراهماً[٣] ، غير ما كان منه من الحفاوة البالغة منه التي أشرنا إليها سابقاً من أنه أعطاه برسم الضيافة ألف دينار وأغدق عليه عطائه أضعاف ذلك[٤] ، وأقر له من الأسباب ما جعله يعيش بحبوحة من العيش ، فبلغت كتبه فقط قيمة تفوق الخمسين ألف مثقال من الذهب[٥] ، وقد وصفه الإمام ابن حجر[٦] بأنه كان متلافاً للمال مسرفاً من كثرة إنفاقه ، ولا يهمنا في هذه الإشارات إلا دلالاتها التي تؤكد

---

(1) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، العسجد المسبوك ، ص ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** ، ص ٩٩ – ١٠٠ .

(2) **قرة العيون** ، ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .

(3) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٧٩٩ .

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٧ .

(5) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٧٩٩ .

(6) **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، ج ٣ ص ٤٨ .

مدى تشجيع السلاطين للعلماء ، فليس من المعقول أن هذا العطاء الكبير الذي حازه الفيروزابادي كان نادراً لم يمنح لغيره .

ونذكّر هنا أيضاً بما سبقت الإشارة إليه من أن السلطان الأشرف نفسه قد منح الإمام ابن حجر العطاء الكثير بحسب تعبير السخاوي[١] عندما أهداه كتابين هما (خريدة القصر وجريدة العصر) للعماد الأصفهاني في أربع مجلدات كبيرة وتذكرته – أي تذكرة ابن حجر – الأدبية المكونة من أربعين مجلداً لطيفاً .

وكان السلطان الناصر الرسولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) مثل أبيه الأشرف في تقديم الجوائز الكبيرة للعلماء على كتبهم التي يقومون بتأليفها، فقد روى المؤرخ الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) أنه أجازه بألف دينار على كتابه الشهير (عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي) وأجرى له المرتبات[٢] .

ولما فرغ المؤرخ عبدالرحمن بن علي بن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) من تأليف كتابه (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) وقف عليه السلطان الظاهري الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب فطلب حضوره إلى مجلسه ، وناقشه في جوانب من الكتاب ونبهه إلى جوانب أخرى كان غافلاً عنها بما ينبئ عن وعي وعلم رفيع لديه ، وهو ما شجع ابن الديبع أن يقوم بكتابة تاريخه المختصر – المفقود – المسمى بـ (العقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر) ، ولما بلغ السلطان الظافر خبر الكتاب الجديد أجزل العطاء للمؤلف ، يقول ابن الديبع: " ثم حصلت في هذا التاريخ تحصيلاً عظيماً ، وتقدمت به إلى مولانا السلطان وهو إذ ذاك بمحروسة المقرانة مقيماً ، وقدمته إليه فأثابني بثواب عظيم عليه ، وأفاض عليه من مواهب كرمه ما يقصر صوب الغمام عن غزير ديمة ، ولم أزل عنده في روض أريض وجود فائض عريض حتى أذن لي في الرجوع إلى وطني ، وخلع خلعة نفيسة وأكرمني ، وتصدق علي بدمنة سلطانية بمدينة زبيد للسكنى ، وأعفى لي قطعة نخل بوادي زبيد .... "[٣] .

---

(1) **الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر**، ج ١ ص ٩١ .

(2) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

(3) ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٣٢ .

وكان أئمة الزيدية من أكثر حكام اليمن تشجيعاً للعلم وأهله ، وليس ذلك بغريب عليهم وهم المجتهدون فيه ، ودعمهم للعلماء وطلبة العلم هو ما ساروا عليه وعُرفوا به ، من ذلك ما أوردته بعض المصادر الزيدية من أن العلامة محمد بن علي الزحيف نظم قصيدة فريدة ذكر فيها وجوب طاعة الأئمة ومدح القبائل التي تؤيدهم ، فاحتفى بها الإمام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن (ت٩٢٩هـ / ١٥٢٣م) وأمر بها فطيف بها على أكثر المناطق تقرأ على الناس حتى قرئت في الجامع بمدينة صنعاء[1] .

وفي سنة (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) على عهد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين (ت٩٦٥هـ / ١٥٥٧م) أكمل الإمام العلامة محمد بن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) كتابه الشهير الموسوم بـ (التكميل الشاف لتفسر الكشاف) فكان يوم اختتام تأليفه مشهوداً ، يقول المصدر[2] : " وجمع ذلك في ثمانية أجزاء تامة ... وسرَّ ذلك إمام زماننا ، وعلماء وقتنا ، وأظهروه ورفعوه في صنعاء اليمن على محمل ، وأُعلِنَ بجلالته وإفادته ، ونودي بذلك ، ورفع التكبير والتسبيح والتقديس والذكر في مساجدها وأسواقها وسائر بقاعها، وطاف بذلك طوائف من المسلمين ، وزف بالأرتاج والرايات والطبلخانات وغير ذلك ما يوضع للإشعار والإعلان " وزاد مصدر آخر[3] بأنهم زفوه بالمسيرة المشار إليها وهو محمول في صندوقين ، حتّى دخلوا به الجامع الكبير في صنعاء ، وصعد الخطيب وألقى خطبة جعل منها تفسير سورة الفاتحة من هذا الكتاب ، ثم خرجوا وطافوا به على المدارس والقصور، لسنا في حاجة إلى التعليق على مدى قوة الدفعة المعنوية الهائلة التي تملكت صاحب الكتاب ، وتلاميذه وزملاءه، وهم يرون أن العلم وجده هو الذي أورث هذا المجد وهذا الفخار ، ولو كان لدينا متسع للإسهاب لقمنا بتحليل هذه الحادثة .

---

(1) لا نتغافل عن أن القصد السياسي كان أحد الدوافع قائماً وراء هذا التصرف غير أن القرائن الأخرى عنده وعند غيره – كما في المثال الثاني – تثبت أن الزيدية هم من فرسان العلوم وروادها ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢٦٤ ، ١٢٦٥.

(2) المقرائي ، **مكنون السر في تحرير تحارير السر** ، ص ٨٤ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ، ص ١١٠٨ .

(٥) الحفاوة بالعلماء الوافدين إلى اليمن :

لو استحضرنا ما تم استعراضه سواءً عند الحديث الرحلات العلمية للوافدين على اليمن أو عند تناول تشجيع الحكام للعلماء فإننا سنواجه تلك النماذج المميزة بحق من مواقف السلاطين الرسوليين في التعامل مع العلماء الوافدين ، فقد تناهوا في الحفاوة بهم وحسن استضافتهم ، فالسلطان الأشرف إسماعيل قد بالغ في استقبال الإمام مجد الدين الفيروزابادي وأعطاه رسم ضيافة يبلغ ألف دينار[١] ، كما أغدق عليه عطائه أضعاف ذلك ، وأنزله في دار تليق به وبمنزلته ، وجلس إليه يسمع صحيح البخاري[٢] ، وأقر له من الأسباب ما جعله يعيش بحبوحة من العيش ، فبلغت كتبه فقط قيمة تفوق الخمسين ألف مثقال من الذهب[٣] .

لم يقف الأمر بالسلطان الأشرف إسماعيل عند ذلك الحد من الرعاية للمجد الفيروزابادي، بل منحه من الثقة ما لا مزيد عليه عندما قام بخطبة ابنته لنفسه وتزوجها ، ثم عينه في منصب هو أعلى منصب يصل إليه العلماء في اليمن آنذاك، وهو (قاضي القضاة)[٤] ، وفي منتصف سنة (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) فرغ الفيروزابادي من تأليف كتابه (الإصعاد إلى درجة الاجتهاد) فحُمِلَ إلى باب السلطان الأشرف مرفوعاً بالطبول والمغاني ، حضر سائر الفقهاء والقضاة والطلبة وساروا أمام الكتاب وهو ثلاثة مجلدات يحمله ثلاثة رجال على رؤوسهم ، فلما دخل على السلطان وتصفحه أجازه بثلاثة آلاف دينار[٥] .

---

(1) ذكر الخزرجي أن المبلغ الذي أمر به السلطان الأشرف للمجد الفيروزابادي كان أربعة آلاف درهم لكي يستعين به للوصول إليه في زبيد ، وفي زبيد أعطاه مثلها ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢١٨.

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٧ ، الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(3) الشوكاني ، البدر الطالع ، ص ٧٩٩ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٧٩٨ ، ٧٩٩ .

(5) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢٤٤ ، وقد سبقت إشارة الإمام الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٧٩٩ ، عن أن السلطان الأشرف أجاز المجد الفيروزابادي عن كتاب أهداه إليه بأن ملأ الأطباق التي أحضره فيها ذهباً ، ولا أدري هل المقصود في الروايتين هو الكتاب نفسه أم أنهما كتابان مختلفان .

ولما قدم الإمام ابن حجر العسقلاني المصري (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) لزيارة اليمن مرتين ، الأولى سنة (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) والأخيرة في سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م)[١] لقي من الحفاوة والاهتمام والرعاية من السلطانيين الرسوليين الأشرف إسماعيل وابنه الناصر أحمد ما جعله ينظم في مدحهما غرر القصائد التي يزدان بها ديوانه ، منها أربع قصائد في مدح الأشرف[٢] وواحدةٌ في مدح الناصر ، قال في الأولى:

الأشرفُ الملكُ بنُ الأفضلِ
ابنِ المؤيد حامي المُلْكِ داودُ

المانحُ الفضلَ صفواً فيضَ راحتِهِ
والغيثُ إن جادَ ثَغْبانٌ ومكدودُ

والمانعُ السرحَ حيث الأرضُ من دَمِ مَنْ
عاداه في خدِّها المغبرِّ تَسوْرِيدُ

نامَ الرعايا وقلبُ البرقِ يخفِقُ مِن
رُعبٍ به ، وبطرفِ النجمِ تَسْهيدُ

....
..........................[٣]

يا مَنْ تَطَوّلَ جُوداً : ها بضاعتُنا
عَرْضُ المدائحِ ، والتقصيرُ موجودُ

وإلى عُلاكَ قطعتُ البحرَ في سَفَرٍ
يُواصلُ القلبُ رأساً فيه تنكيدُ

نَظَرتَ نحوي بعينِ العَطفِ مِنْ كَرَمِ

---

(١) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، السخاوي ، **المصدر السابق**، ج ١ ص ٢١٦ .

(٢) عدد أبيات الأولى خمسون بيتاً ، والثانية تسعة وأربعون بيتاً ، والثالثة واحد وأربعون بيتاً ، والربعة أربعة وأربعون بيتاً .

(٣) المقصود بالخط المنقط أن هناك بيتاً أو أكثر قد تم تجاوزه لعدم احتواءه على شاهد الاستدلال ووجهه .

فاسمعْ مديحاً له في الصدقِ توكيدُ

إن كنتُ بالحُسْنِ لم أطلقْ قوافيَهُ
فبِالكَلالِ لِذِهْني اليومَ تَقْييدُ

....

....

طَوِّقْ بِحَلْيِ الندى عُنُقي يكُنْ لكَ مِنْ
نَظْمي وسَجْعِي على الأوراقِ تَغْريدُ

ودُمْ مليكاً على الجدِّ ترتعُ في
ربيعِ عَدْلِكَ شاةُ القومِ والسِّيدُ[1]

وقال في قصيدة أخرى :

مولايَ نحوكَ قد رفعتُ قضيتي
وحُزِمْتُ منكَ بِنُجْحِ قصدي فاقضِ لي

إني قصدتُ حِماكَ أوّلَ مرةٍ
فَلَقِيتُ عِزّاً زالَ معْهُ تَذَلُّلي

ورحلتُ عنك لِسانُ شُكريَ عامِرٌ
وحقائبي مملوءةٌ وأنا المَلي

فلقدْ قَصَرْتُ على عُلاكَ مدائحي
لمّا تَلَقّتْني بِباعٍ أطْولِ

ونظمتُ في مدحي لِمُلْكِكَ مُعْجَماً
لأكونَ في دُنْيايَ لستُ بِمُبْهَمِ

ورجايَ تشريفي بمَرْسومٍ به
غَضَبُ العدوِّ إذا بدا ورِضى الوَلي

---

[1] ابن حجر ، **ديوان ابن حجر العسقلاني** ، تحقيق د. صبحي رشاد عبدالكريم ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، ط ١، ١٩٩٠م ، ص ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، والقصيدة تتكون من ٥٠ بيتاً .

لأفوزَ بالغُنمَيْنِ : جاهِكَ والندى

ويكــونُ فَرْضي كامــلاً بِتَنَفُّلي

لا لَــوْمَ إنْ أسألْ نداكَ عَلَيَّ بلْ

كلُّ المَــلامِ عليَّ إنْ لــمْ أسألِ

حاشى مَكَارِمَكَ الغريبةَ أن أرى

مِنْ ما أُرَجَّى مِنْكَ غَيْرُ مُؤَهَّلِ[1]

وأما قصيدته التي نظمها في مدح السلطان الناصر أحمد فقد جاء فيها :

الناصرُ الملكُ بنُ الأشرفِ المعروفِ

عُـرقاً بِمِفْـضالٍ ابــنِ مِفْـضالِ

....

....

من آلِ غسّــانَ ساداتُ الملوكِ وما

يُقَــالُ في غَيْرِهِمْ : ساداتُ أقيالِ

فــفي مدائــحِ حســانٍ ونابــغةٍ

فيــهمْ غــرائبُ من بأسٍ وأفضالِ

هُمْ مَهَّدوا الشامَ مِنْ ظُلمٍ ومَنْ ظَلَمٍ

من قبلُ واليمنُ الآنَ اغتدى تالي

....

....

زِنْتُمْ ، عَلَوْتُمْ ، حَمَيْتُمْ ، جُدْتُمْ كَرَماً

أضــأتُمُ وهُــديتُمْ سُــبلَ ضُــلاّلِ

شاركتُمُ الزُّهْرَ في أسنى الصِّفاتِ وقدْ

فُقْــتُم بِقُــرْبٍ وإفصاحٍ وإشْــكَالِ

علــوتُــمُ زُحَــلاً قَــدْراً لأنَّكُــمُ

---

(1) ابن حجر ، ديوان ابن حجر العسقلاني ، ص ١٢٩ ، ١٣٠.

بالحـــاءِ أردتُــمْ والميـــمِ والـــدالِ

كلُّ المُلوكِ ملوكُ الأرضِ دونَكـــمُ

في الجُودِ والنَّسَبِ العالي الذَّكي الغالي

....

....

والآنَ يا مـــلكَ العلـــيا قصدتُكَ في

جَبْرِ انكساري وفي إصلاحِ أحوالي

مولايَ هلْ أشتكي ما قدْ علِمْتَ به

أمْ أكتفي بالذي قد لاحَ من حالي

قدْ ضَعْضَعَ الدهرُ حالي عِندما نُهِبَتْ

بالشـــامِ أيـــامَ تيمـــورلنكَ أموالي

وبعدها بَلَغَتْ مني الحوادثُ مِنْ

يَدِ ابن عجـــلانَ ما لاقاه أمثالي

وقدْ قَصَدتُ بـــأن أحيا بِظِلِّـــكُمُ

فكان ما كان من خوفٍ وأهوالِ

وعُدْتُ مُستَنْصِراً في الحادثاتِ بِكُمْ

فأنتَ – حاشاكَ – أن ترضى بإهمالي

مالٌ تَمَزَقَ في نَهبٍ وفي غَرَقٍ

إن فاتَ مالي ســـألقى مِنكَ آمالي

ملأتَ طَـــرْفي وكفِّي هَيْبَةً وغنىً

حتى تَفَـــرَّغْتُ للأمداحِ يا مالي[1]

لم يكن عرض هذه الأجزاء الطويلة من القصائد هنا إلا محاولة لاستعراض مـــا حوتها من مشاعر الاحترام والتقدير التي حملها الإمام ابن حجر لهـــذين الـــسلطانين ،

---

[1] ابن حجر ، ديوان ابن حجر العسقلاني ، ص ١٤٣ ، ١٤٤، ١٤٥ ، ١٤٦ ، الأكوع ، أعراف وتقاليـــد حكام اليمن في العصر الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص ٤٠ ، ٤١ .

وكذلك لاستبيان مدى الامتنان الذي كان يكنه لهما هذا العالم الجليل ، ومن اللافت للنظر أيضاً أن القصائد – خاصة الأخيرة – قد تضمنت إشارات إلى أن الإمام ابن حجر كان يمر بظروف مالية متردية عند زيارته الثانية لليمن ، سواءً بسبب نهبها في بلاد الشام أو تعدي ابن عجلان حاكم الحجاز عليه أو الغرق الذي تعرض له بعض ماله، وهذا الظرف العصيب يجعل الإحسان الذي لاقاه ذا طعم آخر ، يختلف عنه لو حظي به في رخاء وسعة، فلم يكن إذاً غريباً من الرجل أن يمدحهما بهذه القصائد .

وفي النموذجين السابقين ، نموذج استقبال الرسوليين للمجد الفيروزابادي وابن حجر العسقلاني ، فيهما ما يكفي للدلالة على أن حكام اليمن كانوا يحسنون إلى العلماء الوافدين على بلادهم في إطار احترامهم للعلم وأهله .

(٦) قبول شفاعتهم في الخارجين حينما تتقرر عقوبتهم :

من البديهي أن يُنزل الحاكم المنتصر العقوبة البالغة والشديدة في حق الخارجين عليه والمتمردين على سلطته حين تقع يده عليهم ، وهذه الحقيقة ماثلة بين عيني المغلوب والغالب على السواء ، لذلك كان المغلوب يسعى للبحث عمن يقيه من العقوبة التي هي نازلة به لا محالة ، فكان العلماء عموماً والمتصوفة منهم على وجه الخصوص يفتحون صدورهم وبيوتهم لحماية المستجيرين بهم معتمدين في ذلك إلى المكانة الكبيرة والاحترام الشديد التي أولاها إياهم الحكام ، ثم يتقدمون بشفاعاتهم إليهم ليعفوا عن هؤلاء المستجيرين ، فكانت طلباتهم وشفاعاتهم ما تستجاب على الأغلب ، وكان الحكام من السلاطين وغيرهم إذا ما أرادوا التعبير للعلماء عن احترامهم لهم جعلوا بيوتهم محترمة ، وصفة (محترمة) هنا يُقصد بها أنها محصنة من أن يدخلها جنود السلطان لقبض كل من استجار بها .

وممن أشارت المصادر إلى أن بيوتهم صارت محترمة بأمر السلاطين الفقيه عبداللطيف بن محمد الغزالي الهتار (ت٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) الذي علت منزلته لدى السلطان المنصور عبدالله الرسولي (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) حتى شملت ذمته كل دور أسرته وباتت محترمة مصونة ، يلجأ ليها الخائفون فيأمنوا[١] .

ومن قبله كان الفقيه إسماعيل بن إبراهيم بن عُجَيْل (توفي في مطلع القرن التاسع الهجري / مطلع القرن الخامس عشر الميلادي) ذا دنيا واسعة ، ولأنه كان

---

(١) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٠٧ ، عبدالله قائد العبادي، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ١٢٨.

ذا جاه عريض عند السلاطين فمن دونهم من رجال الدولة ، فقد كان كثيراً ما يشفع عندهم في نوائب أهل بلده المعازبة الذين كان الخروج على الحكام ديدنهم كما اتضح في الفصل الثاني[١] .

وقد جاء وصف عدد كبير من العلماء اليمنيين – في كتب التراجم – في مدة الدراسة بما يؤكد تمتعهم بالقبول لدى الحكام ونفاذ الكلمة عندهم إذا ما شفعوا في أمر ما أو توسطوا للعفو عن بعض الخارجين ، كقول بعض المصادر[٢] : كان " مجاب الكلمة ، مسموع القول ، مقبول الشفاعة .... " ومثلها العديد من النماذج .

(٧) قبول توسطهم لحل الخلافات الناشئة بين الحكام والأمراء وزعماء القبائل:

من المعلوم أن الخلافات بين الحكام ومن دونهم من الأمراء وزعماء القبائل ليست كخلافات غيرهم ، فما في أيديهم من إمكانات القوة والمال تجعل حدة الصراع بينهم متعدي الضرر إلى غيرهم من عامة الناس ، ومن هنا كان العلماء يرون أن استمرار حلقات الصراع بين بعض هؤلاء الأخيرين مع الحكام يقود إلى سفك الدماء واستحلال المحرمات ؛ فكانوا كثيراً ما يندبون أنفسهم للقيام بواجب التوسط لفك الصراعات ومحاولة حلها .

فمن ذلك ما قام به الشيخ الفاضل جمال الدين محمد بن عبدالله بن أحمد الخولاني (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) من التوسط لفك الارتباط بين قبيلتين عظيمتين في أواسط اليمن هما بَعْدان – وشيخها الجلال بن محم السَيِّري – والشوافي – وشيخها علي بن الحسام الزاهر – وقد دارت بينهما حروب متعددة تضرر فيها رعية الجانبين ، فكان في وساطة العالم المذكور نهاية لتلك الصراعات وحقن للدماء وصلاح لأحوال العباد[٣] .

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٣٤٧ .

(2) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٠٠ .

(3) المصدر السابق ، ص ٧٧ .

ومن ذلك أيضاً قيام المقرئ العلامة شمس الدين يوسف بن يونس الجُبائي (ت٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) بالتوسط بين السلاطين الطاهريين وأهل بلاد صَبِر[١] وما والاها عندما كثرت الصراعات بينهم وتشعبت الفتن وكثرت ، فسعى لإصلاح ذات البين وأمَّنَ العباد بالصلح بين الطرفين ، فأحبه لذلك السلاطين وقربوه وأعلوا مرتبته حتى استقام بدرجة الوزارة لهم ، ثم جمع بينها وبين قضاء الأقضية[٢] .

ومن ذلك أيضاً قيام عدد من العلماء – ومعهم بعض وجوه الدولة ورجالها – بالتوسط لحل الخلاف الناشب بين السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب وأبناء عمومته وأخواله من أمراء البيت الطاهري حول العرش بعد أن أتت الحرب بينهم على أغلب مجهودات الدولة وإمكاناتها – كما سبق بيانه في الفصل الثاني – فقضت المصالحة على أن يقسم الأمير يوسف بن عامر خمسين يميناً بالوفاء والمحافظة على القيام بحق البيعة للسلطان الظافر على أن يحلف السلطان مثله على الوفاء للأمير بوعده تأمينه على حياته وأن يطلق يد الأمراء من أخواله في بعض المناطق المساماة في المصدر وأن يمنحهم أربعين ألف دينار من خراج عدن كل عام[٣] .

(٨) إنزال الأذى ببعض العلماء على أيدي الحكام :

مما لا شك فيه أن مواقف تلك الفئة من العلماء التي كان لها نصيب من الإسهام في الحياة السياسية – كتولي بعض المناصب المهمة القريبة من الحكام – قد أوجدت لدى المتضررين من وجودهم أو من تصرفاتهم من الحنق عليهم ما

---

(1) اسم جبل شامخ جداً بالغ الكبر والضخامة هرمي الشكل وإن كان سطحه غير منتظم ، ، تقع مدينة تعز عند سفوحه الشمالية ، ترتفع قممه ٣٠٠٠ متر عن مستوى سطح البحر ، وهو محاط بالمنحدرات السحيقة، ومع ذلك تنتشر القرى السكنية على معظم مساحته وقممه ، وهي من الكثرة أن تم تقسيمها إلى ثلاث مديريات (مديرية الموادم ، مديرية المِسْراخ ، مديرية مَشْرَعة وحَدْنان) ، وتغطي جوانبه المدرجات الزراعية المتنوعة وبخاصة البن والحبوب والفواكه ، الحجري، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٣ ص ٤٦٢ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، ج ١ ص ٨٩٤ .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(3) ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ ، العيدروس ، **ديوان محجة السالك وحجة الناسك** ، نقلاً عن محمد ربيع المدخلي، **الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية**، ص ٧٧ ، ٧٨ .

جعلهم يمدون إليهم أيادي السوء والأذى حين حانت لهم الفرصة ، كما نال العلماء الذين أيدوا بعض الحكام في صراعهم مع غيرهم الأذى الكبير عند هزيمة من ساندوهم ، أقل ما واجهوه الإقامة الجبرية حتى الممات بعيداً عن الأهل والأقارب لبعضهم كما سيأتي .

ومما يلفت النظر أن آل العلوي[1] من علماء المذهب الحنفي في المناطق المجاورة لمدينة زبيد قد تكررت لهم النكبات على أيدي السلاطين الرسوليين مع أنهم كانوا يقدمونهم ويولونهم المسؤوليات المتعددة في دولتهم ، فهذا الفقيه عبدالرحمن بن محمد بن يوسف العلوي الحنفي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) كان ممن ترقى كثيراً في خدمة السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) وتنقل في البلاد متولياً لمنطقة بعد أخرى ، فلما نقل حاسدوه وأعداؤه عنه ما ليس فيه إلى السلطان غضب عليه فاعتقله وتركه في السجن مدة ، ثم لما لم يجد ما يؤكد تلك الدعوى عليه أطلقه وقربه مرةً أخرى[2] .

ومنها نكبة الفقيه إسماعيل بن عبدالله بن عبدالرحمن العلوي (ت٨٣٥هـ / ١٤٣١م) على يدي السلطان الظاهر يحيى الرسولي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) الذي كان من جملة بطانة السلطان الناصر أحمد – أخي السلطان الظاهر يحيى – وابنيه من بعده المنصور عبدالله (ت٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م) والأشرف الثالث إسماعيل (ت٨٣١هـ/ ١٤٢٧م) ، بل تولى لهم الوزارة وكان نافذ الكلمة لديهم ، ويبدو أن الفقيه كان له علاقة بالسجن الذي تعرض له السلطان الظاهر يحيى سنة (٨٢٢هـ / ١٤١٩م) على يد أخيه السلطان الناصر أحمد[3] ، لذلك ما إن تولى مقاليد الحكم وأزمته في سنة (ت٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م) حتى بادر إلى مضايقة الفقيه إسماعيل بن عبدالله العلوي مما اضطره إلى الفرار من وجهه حتى

---

(1) لا يوجد بين هذه العشيرة وبين آل البيت النبوي رابط رحم ، فهم ينسبون إلى أحد أجدادهم يدعى (علياً) وليست نسبتهم إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه مما قد يتبادر إلى الذهن ، انظر الهادي الوزير ، **هداية الراغبين إلى مذاهب العترة الطاهرين** ، ص ٢٠.

(2) بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ١٢٠ ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٦٨ .

(3) يحيى بن الحسين، **بغية الأماني**، ص ٥٦٥ .

جاوز حدود اليمن كلها إلى مكة المكرمة ، وهي حالة تعكس مدى خوف وتوقعه لما سيناله منه .

صادر السلطان الظاهر يحيى أموال الفقيه إسماعيل بن عبدالله العلوي وتتبع أثره وهدم منزله ، ومد يد الأذى إلى أقاربه إذ هدم بيوتهم وقبض على أخيه أحمد بن عبدالله الحضرمي وقتله سنة (٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) متهماً إياه بأنه هو المتسبب في تهريب أخيه إسماعيل[1] ، وقد علق أحد الباحثين على هذه الحادثة فقال : " ومهما تكن الأسباب فإن ما أقدم عليه السلطان الظاهر يعد نقطة سوداء في تاريخ الدولة الرسولية ، وإن كان هذا الفعل لا يستغرب من الظاهر ، إذ سبق وأن سمل عيني أخيه حسين الأشرف حين خروجه على السلطان الناصر ... "[2] .

أوردت بعض المصادر إشارات إلى أن بعض العلماء كانوا ينتقلون من منطقة إلى أخرى فراراً أو خوفاً من جور السلطان ، ولم تحدد هذه المصادر نوعية ذلك الجور ، ولعله لا يعدو أن يكون زيادة في ضرائب الأراضي المزروعة أو قسوة في جبايتها ، من ذلك انتقال الفقيه عفيف الدين ناجي بن محمد الشرقي اليمامي (ت٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) من تهامة إلى وصاب " من جور سلطان الوقت "[3] .

ويجب ألا نغفل الإشارة إلى أن أكثر العلماء تضرراً من الحكام في آخر مدة الدراسة – مطلع القرن العاشر الهجري – هم علماء الزيدية ، وذلك على يدي السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري (ت٩٢٣هـ / ١٥١٧م) في إطار صراعه مع أئمة الزيدية بالصورة التي أوضحناها في الفصل الثاني من دراستنا هذه ، وذلك أن هؤلاء العلماء كانوا يقفون بقوة في وجه السلطان ويحشون

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣١٧ ، ٥٣٠ ، ابن أسير ، **الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد** ، نسخة مصورة عن معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، تحت رقم (٧٣ تاريخ) ، ق ١٩١ – ب ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١١٠ ، مجهول ، **تاريخ الدولة الرسولية** ، ص ٢٢٥ ، يحيى بن الحسين، **بغية الأماني**، ص ٥٦٨ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٤٠٤ ، ٤٠٥ .

(2) عبدالله قائد العبادي ، **المرجع السابق**، ص ٤٠٥ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٨ ، ٣٩ .

أبناء القبائل للوقوف مع أئمتهم في مقاتلته[١] ، وكانوا يرون ذلك من واجباتهم ، فنكل السلطان الظافر الثاني بهم ، وشتتهم في البلاد قبيل سقوط دولته على أيدي المماليك الجراكسة[٢] ، وقد حمل عدداً منهم معه إلى تعز وغيرها ووضعهم تحت الإقامة الجبرية ، وألزم بعضهم السير في ركابه في السلم والحرب[٣] ، لذلك كان الحديث عن استقصاد العلماء الزيدية عموماً وآل البيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم خصوصاً من أهم محاور الرسالة التي أرسلها الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين إلى حسين الكردي زعيم المماليك الجراكسة قبل دخولهم إلى الأراضي اليمنية يحرضه على محاربة السلطان الظافر[٤] .

وفي الأخير نقول : إذا كانت القاعدة الشائعة تصرح بأنه : " لكل قاعدة شواذ، وأن الشاذ لا يُقاس عليه " فيجب هنا التأكيد على أن ما صدر من الحكام في حق الفقهاء والعلماء مما ذكرناه هنا لا يعدو – من حيث قلة الحدوث – أن يوصف بأنه حالات شاذة ونادرة ، فلا ينبغي أن نحملها أكثر مما تحتمل وألا نعطيها غير حجمها الطبيعي التي أعطته لها المصادر ، فهي غيضٌ أمام فيض الإحسان والاحترام الكبير الذي بذله الحكام للعلماء والفقهاء وطلابهم ، والأمانة العلمية وحدها هي التي تحتم على الباحث ذكر جوانب السلب بقدر ما يذكر من جوانب الإيجاب وإلا لما أشرنا إليها لضآلة حجمها في منحنى العلاقة القائمة بين الطرفين – العلماء والحكام.

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ١٠٠ .

(2) شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٢٦- ٢٨ ، شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ٢٥ – ٢٩ ، يحي بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٤٢ ، عبدالعظيم خطاب ، **قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية** ، ص ٢٠٩ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ١٠٠ .

(3) يحيى بن الحسين، **غاية الأماني**، ص ٦٤٩ ، ٦٥٠ .

(4) شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٢٦- ٢٨ ، شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ٢٥ – ٢٩ ، يحي بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٦٤٢ ، عبدالعظيم خطاب ، **قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية** ، ص ٢٠٩ .

❖ دور العلماء في الحياة اليمنية العامة :

مع تسليمنا بالتأثير القوي للحكام والسلاطين والأئمة على شرائح المجتمع المختلفة ودورهم الفاعل في تحديد طبيعة حياتهم اليومية وطريقة سيرها ، رغم ذلك إلا أن العلماء كان لهم التأثير الثقافي الأبلغ والحضور الفكري الأكبر والدور الاجتماعي الأبرز تظل واضحة لكل متابع ، بل كما رأينا أن تأثيرهم كان قائماً – بصورة تبادلية – حتى على السلاطين أنفسهم .

ولم يكن تأثير العلماء وحضورهم فقط موجوداً في ناحية واحدة من مناحي الحياة العامة اليمنية ، بل كان شاملاً لكثير من جوانبها ، وسنتطرق هنا لعدد من أهم هذه الجوانب التي أسهم العلماء فيها بصورة أو بأخرى :

☒ **أدوار العلماء الاجتماعية الخيرية :**

كان العلماء والفقهاء هم ملاذ عامة الناس ، يفزعون إليهم في المهمات ، ويقصدون أبوابهم في الملمات ، يتجهون إلى المبرزين منهم عندما توصد في وجوههم أبواب الحكام وتقف دونهم تعقيدات الحُجَّاب والأمراء ، كما كان العلماء والفقهاء بحق أكثر الناس إحساساً بمعاناة الفقراء والمساكين ، وأعمق إدراكاً لمواطن الحاجة إليهم ، فتجد الفقير والمسكين والجائع لا يرى له مأوى غير بيوت الميسورين من العلماء أو المتولين منهم لمسؤوليات الصدقات والأوقاف ، وهم من جانب آخر مقصد العامة إذا أهمهم أمرٌ وافتقدوا فيه إلى المشورة والرأي الصائب ، وغير ذلك الكثير من أشكال التعاضد والتكافل .

كان انشغال العلماء والفقهاء – من جانبهم – كبيراً بمشاركة أفراد المجتمع الهموم والآلام ، فتجدهم يتفقدون الأرامل والأيتام والمساكين ، ويبادرون إلى رعايتهم ، ويسعون في حاجة المحتاج حتى تقضى حاجته ، ومع المديون حتى يقضى دينه ، وهم في ذلك متجردون محتسبون الأجر من ربهم ، وذلك هو عين ما تمليه عليه علومهم التي حملوها[١] ، وتواصلت جهودهم في خدمة الناس وتربيتهم وتوعيتهم – كما سيأتي – وتدريس أبنائهم ، فاكتسبوا بذلك تقديراً واحتراماً وإجلالاً جعل الناس ينزلون عند

---

(١) عبدالرحمن أحمد المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ص ٤٤٨ ، ٤٨١ .

رأيهم ، ويتقبلون كلمتهم بالتعظيم والتفخيم ، ويحتفون بمقدمهم ، ويبذلون قصارى الجهد للوقوف معهم في مواقفهم بعد أن رأوا فيهم نوراً للمجتمع ورموزاً لتكافله .

بالنظرة إلى طبيعة ما سنتناوله في هذه الجزئية نقول : لعل الأحرى بهذا العنوان أن يُصاغ على نحو (علاقة العلماء بعامة الناس) حتى ينسجم مع طبيعة العناوين السابقة – من جهة – وعنوان الفصل إجمالاً من جهة أخرى .

تعددت الإشارت الواردة في المصادر إلى أدوار العلماء الاجتماعية الخيرية في عون الناس في مدة الدراسة ، وتجنباً للإسهاب والإطالة سنستشهد بعدد محدود منها ويكفي ما فيها للدلالة على توافر غيرها ، منها ما ورد في بعض المصادر[1] أن الفقيه إسماعيل بن إبراهيم بن عُجَيْل (توفي في مطلع القرن التاسع الهجري / مطلع القرن الخامس عشر الميلادي) كان ذا دنيا واسعة ، كما كان له جاه عريض عند السلطان فمن دونه من رجال دولته ، لا يكاد يخلو الأمر من الشفاعات عندهم في نوائب وأهل بلده .

وهذا الفقيه الصالح وجيه الدين عبدالرحمن بن عبدالصمد الصميري (ت٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) "كان يصنع الأوفاق والطلسمات[2] لقضاء الحوايج وفك المحبسين ، ورزق مالاً كثيراً وجاهاً عند أرباب الولايات ... وأقبلت الدنيا عليه فجاد بها ولم يمسك منها شيئاً ، ووفد الفقراء والمساكين والشعراء فيعطيهم العطايا النافعة ..."[3] .

وكان الفقيه تقي الدين عمر بن محمد الحبشي كثيراً ما يسعى عند السلطانين الطاهريين علي وعامر ابني طاهر لقضاء حوائج الناس[4] ، وبذل مثله الفقيه جمال الدين محمد بن علي الحداد (ت٨٩١هـ / ١٤٨٦م) جاهه عند السلطانين الطاهريين

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٣٤٧ .

(2) لم أهتدِ إلى معناها في هذا السياق ، وأستبعد أن تكون مما اشتهر السحرة بفعله ، فالسحر إحدى الموبقات السبع التي لا ينبغي للمسلم العادي فعله فما بالنا بهذا العالم الذي وصف بالصلاح والاستقامة .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٠٤ .

(4) المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

علي بن طاهر والمنصور عبدالوهاب بن داود لقضاء حوائج الناس ، وذلك لأنه كان مسموع الكلمة عندهما[1] .

☒ **تولي بعض المناصب الدينية والإدارية :**

كان العلماء وطلابهم أكفأ شرائح المجتمع تأهيلاً وإعداداً واستعداداً للاضطلاع بالمهمات والمناصب الدينية بدرجة أساسية وغيرها من المواقع الإدارية بدرجة ثانوية ، إلا أن أغلبهم كان يحجم عن القبول بتولي كثير من هذه المهام تورعاً وزهداً فيها ، كما سبقت الإشارة في علاقتهم الحكام والسلاطين بهم ، وكان إحجامهم إزاء الوظائف الإدارية أكبر منه إزاء الوظائف الدينية المتمثلة في القضاء والتدريس الرسمي (في المدارس العلمية والجوامع الكبيرة) والإمامة والخطابة وغيرها .

وكان السلاطين يتخيرون كبار العلماء وأشهرهم لتولي المناصب الكبيرة – كقضاء الأقضية – والوزارة الكبرى ، بل وجُمِعَ المنصبين لعدد منهم[2] ، ويتركون لهم الصلاحية في اختيار ما دون ذلك من الوظائف الأدنى ، كالقضاء في المدن والبلدان الصغرى ، ولذلك انتشر لقب (القاضي) بين العلماء ووضح ذلك في كتب التراجم والمصادر التاريخية[3] ، كما كان السلاطين يندبون المبرزين من العلماء ذوي الخبرة التدريسية للتعليم في المدارس التي أنشأوها .

وقد كان عدد من العلماء ذوو شخصيات إدارية ن وامتلكوا من الصفات والمهارات ما أهلتهم لأن يعينهم السلاطين في مناصب مختلفة المستويات ، فهذا القاضي أبو القاسم بن عمر بن أبي القاسم بن معيبد الشكيري (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٧م) الذي كان له اجتهاد في طلب العلم منذ صغره ، حتى أنه حفظ عدداً من متون أمهات الفقه والنحو ، وله قراءة على أئمة عصره في الحديث واللغة ، اختاره السلطان الناصر الرسولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ليتولى أمر الاستيفاء وهو من مناصب إدارة الأموال

---

(1) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ص ٧٥١ .

(2) الأكوع ، أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي ، ص ٢٨ ، ٢٩ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣١ ، ٣٣ ، ٤١ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، .

السلطانية الخطيرة ، فدبر قوانينه تدبيراً حسناً ، وبلغ ما لم يبلغه غيره بوظيفته ، وهو مع ذلك جارٍ على الشريعة المطهرة ومجاهداً لمصالح المسلمين(١) .

وهذا الفقيه عبدالرحمن بن محمد بن يوسف العلوي الحنفي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) كان ممن ترقى كثيراً في خدمة السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) وتنقل في البلاد متولياً لمنطقة بعد أخرى ، وكان كثير الصدقة على أقاربه وجيرانه وغيرهم ، وكان لا يُسأل شيئاً فيرد سائله خائباً(٢) .

وهذا الفقيه عبدالله بن محمد الهبي (ت ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) ، كان كثيراً ما يتولى شؤون قسم الصدقات التي يتصدق بها السلطان المجاهد علي بن طاهر (ت٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) بزبيد ، تارة مستقلاً وتارة مشاركاً لغيره ، ولما عزم السلطان المجاهد على تفقد أوقاف بزبيد ووجد غالبها مع من لا يستحقه ، أمر الفقيه عبدالله المذكور وغيره من أقرانه العلماء بأن يباشروا ضبط أوضاع الوقف وأن يواسوا به بين جموع عشائر الفقهاء الكبار الذين انقطعوا عن الاسباب وتفرغوا للتدريس والتوجيه والتثقيف لعامة الأمة ، وأمرهم أن يرتبوا لكل واحد منهم ما يناسب حاله ، ففعلوا ذلك ، وحصل به النفع العام ، ولما نجح الفقهاء والعلماء المكلفين – ويتقدمهم عبدالله بن محمد الهبي المذكور – في إنجاز مهمتهم اصطحبهم السلطان المجاهد علي بن طاهر معه إلى تعز ليفعلوا بأوقاف تعز والجبال ما فعلوا بأوقاف زبيد(٣) .

☒ **الإسهام في التثقيف الديني والتوعية الدائمة :**

لعل هذه المهمة الخطيرة هي المهمة الأم والرئيسية التي يجب أن يضطلع العلماء بها ، بل هي عين ما صرحت به الآية الكريمة " وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(2) بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ١٢٣ ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٦٨ ، ٦٦٩ .

(3) **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٤٨ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٧٣.

إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾[1] وعده علماء السلف من فروض الكفاية على الأمة ، ومرمى ذلك وغايته هو تفقيه الناس وتوعيتهم والأخذ بيدهم ليعبدوا ربهم على بينة .

وكان علماء اليمن في مدة الدراسة على وعي كامل بهذه المسؤولية الجسيمة ، وقاموا بها خير قيام ، وذلك أنهم كانوا يتعبدون الله تعالى بأداء هذا الجانب قبل أن يكون إسهاماً في الحياة اليمنية العامة ، ونكاد نقول إنهم كلهم قد أسهموا بصور شتى في التثقيف الديني والتوعية الدائمة ، وما التدريس والتعليم الذي تحدثنا عنه كثيراً في الفصول الماضية إلا واحداً من أنشطة هذا التثقيف وهذه التوعية ، ولكننا هنا نخصص هذا العنوان لما كان منه موجهاً لعامة الناس وسوادهم .

المتتبع لكتب التراجم اليمنية والمصادر التاريخية الأخرى يجد كثيراً من العلماء وقد وردت في ثنايات تراجمهم إشارات إلى كونهم جلسوا لتدريس عامة الناس وإمامتهم في المناسك التعبدية وإفتائهم ووعظهم وإرشادهم ، وتعد هذه الأنشطة أوضح صور التثقيف الديني والتوعية العبادية .

فهذا الفقيه العلامة البليغ رضي الدين أبو بكر بن يوسف بن إسحاق ابن المستأذن (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) اشتهر بالوعظ وحسن الصوت وسرعة العبرة فعين خطيباً في جامع عدن ، فكانت ترق لمواعظه القلوب وتخشع لها الأفئدة[2] ، ومثله الفقيه المقرئ تقي الدين عمر بن عيسى الخطيب (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٦م) كان لكلامه ووعظه في القلوب موقع ، إذا صعد المنبر أتى بوعظ توجل منه القلوب وتجري به العيون، باللفظ الرقيق والمعنى الدقيق[3] .

☒ الأمر بالمعروف وإنكار المنكر على العامة والسلاطين والمبتدعة :

من الثابت أن أحد أسباب خيرية هذه الأمة قيامها بالأمر بالمعروف ونهيها عن المنكر ، مصداقاً لقوله تعالى : " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

---

(1) سورة التوبة .

(2) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٢٩ .

(3) المصدر السابق ، ص ١١١ .

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ... ﴾[1] ، وكان حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم : " **من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان** "[2] بين أيديهم يدفعهم إلى الوقوف الإيجابي من المنكرات التي رأواها تُقترف من قبل بعض أفراد المجتمع ، سواءً كانوا من العامة أو السلاطين وأعوانهم أو بعض المبتدعة المحسوبين على شريحة العلماء أنفسهم.

ومن المنكرات التي التي جاء ذكر وقوف العلماء في وجه مقترفيها بدعة صلاة الرغائب في شهري رجب وشعبان ، وهي اثنتا عشرة ركعة بين العشائين من أول خميس من رجب ومن شعبان ، وتتلى فيها آيات مخصوصةً وتسابيح معينةً[3] ، وقد شاعت في زبيد وتعز وما حولهما ، وأسهم في شيوعها تشجيع بعض العلماء المتصوفة لها ، فتصدى لهم عدد من الفقهاء ، واشتهر منهم الفقيه الشافعي الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) ، فكشف عن بطلان هذه البدعة ، وأنها ليست من الدين في شيئ ، وألف في ذلك رسالة أسماها بـ (إنكار صلاتي الرغائب في رجب وشعبان) ، وأيده في محتواها العلماء الكبار كسليمان بن إبراهيم العلوي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) إمام محدثي اليمن بعد أن أرسل إليه الأهدل نسخةً منها فأثنى عليه وارتضى الرسالة[4] .

وفي مطلع القرن التاسع الهجري (بداية القرن الخامس عشر الميلادي) وصل إلى منطقة وصاب رجل من العلماء يُدعى الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن إبراهيم الخولاني (ت٨٣٥هـ / ١٤٣١م) واستوطن المكان ، ولما أحبه أهل البلد اشتكوا إليه

---

[1] سورة آل عمران .

[2] مسلم ، **صحيح مسلم** ، ج ١ ص ٦٩ ، رقم (٤٩) ، باب (بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ...)

[3] انظر تفصيل خبرها عند محمد عبدالسلام الشقيري ، **السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨م ، نقلاً عن عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٤١٠ .

[4] الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن**، ج٢ ص ١٥٧، عبدالله قائد العبادي، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٤١٠.

بدع الإسماعيلية الذين بناحيتهم وما يظهرونه من فساد العقيدة وسوء السلوك ، فاستدعى بعضهم للاستبانة عما لديهم فلم يقروا ولم ينكروا ، فأعلن النفير في كل من حوله من البلاد وأخرج القوم من حصنهم ، فوصل إلى يده من الكتب ما تبين له سوء المعتقد وفساده ؛ فأمر بقتل الكثير منهم ، كما أمر باسترقاق أولادهم ونسائهم دون أن يستتيبهم، فلامه الإمام إسماعيل المقرئ على الاستعجال بإنزال هذه العقوبة القاسية بهم دون استتابتهم ، واستقبح فعله وكاتبه بذلك ، فأصر الفقيه الخولاني على صحة موقفه في المكاتبات والرسائل الكثيرة التي جرت بينهما كما سبق أن أوضحنا[1] ، وهذه الحادثة وما بني عليها يبين أن العلماء لم تمنعهم الصداقة والأخوة القائمة بينهم من قول الحق وتوجيه اللوم والعتاب ، فكما أن الإمام المقرئ لا يقر الإسماعيلية في سوء العقيدة والسلوك إلا أنه لا يسعد بتجاوز الشرع في التعامل معهم وينكر على من قام بذلك .

يظل موقف العلماء من الفقهاء والمحدثين من الفتنة التي علا شأنها في مطلع القرن التاسع الهجري باستلام السلطان الناصر الرسولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) لمقاليد الحكم في البلاط الرسولي الذي كان المتصوفون – من أتباع التيار الفلسفي الصوفي القائلون بوحدة الوجود وغيرها من العقائد التي تضمنتها كتب ابن عربي المتصوف المشهور – قد احتووه وكسبوه إلى صفهم ، فقربهم منه واتخذ منهم بطانته ، وأسند إلى أحد رموزهم ، وهو القاضي أحمد بن أبي بكر الرداد (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، القضاء الأكبر في اليمن كله ، فزادت وطأتهم على الفقهاء والمحدثين ، الذين لم يستكينوا في الإنكار عليهم ، والتصدي لما كانوا يمارسونه من البدع مثل عقد مجالس السماع ودق الدفوف والطبول في المساجد مع النفخ بالمزامير فيها .

ومن الأهمية أن نورد هنا جهود أكبر العلماء الذين لم يهنوا في الوقوف في وجه تلك البدع المنكرة وهذا التيار رغم أن المتصدر له هو السلطان الناصر نفسه ومعه قاضي القضاة أحمد بن أبي بكر الرداد ، وقد كانوا مدركين لما في ذلك من الخطورة عليهم ، إلا أن استشعارهم خطورة السكوت عنه والمسؤولية التي في أعناقهم وسيسألون عنها جعلتهم يستصغرون ذلك كله ، ونذكر منهم الفقيه أحمد بن إبراهيم العسقلي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) الذي أنكر عليهم استباحتهم عقد مجالس السماع بما

---

[1] ابن الديبع ، **نشر المحاسن اليمانية** ، ص ٢٤٧، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

فيها من الاختلاط الفاحش وغيره ، وألَّف قصيدة تتجاوز أبياتها ثلاثمائة بيت رد فيها عليهم ، وأشار فيها إلى أدلة الكتاب والسنة على تحريم آلات اللهو من الغناء والدف والشبابة واختلاط النساء بالرجال .

ومنهم القاضي الفقيه أحمد بن أبي بكر الناشري (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) الذي كان عمدةً في الفتوى ، فقيهاً مجتهداً ، مشاركاً في كثير من العلوم ، وكان الإنكار على المتصوفة المذكورين ديدنه حتى من قبل أن يعظم شأنهم ، وانتهج في وقوفه ضدهم المناظرات والتأليف الوعظ والتنفير ، فصبوا عليه جام غضبهم ، وسعوا إلى التخلص منه ، فسعوا به إلى السلطان بكل ممكن ، ومنعوه من الفتوى ، وراموا إخراجه من زبيد ، وإعدام صورته منزلته وهيبته تماماً ، فلم يفت ذلك في عضده ، وواصل حتى لقبه الإمام السخاوي بـ (ناصر السنة وقامع البدعة)[1] .

ويعد الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) هو أشد علماء اليمن على هذا التيار الصوفي الفلسفي ، إذ قاد ما يمكن أن نسميه جبهة الفقهاء والمحدثين ، وعضده في ذلك تلاميذه وزملاؤه وأصدقاؤه ، حتى أن بعض علماء المذاهب الشيعية الأخرى قد عضدوه وأيدوه في هذه الحملة كما أسلفنا من قبل ، ، ولم يثنه أنه بذلك يصلى نفسه بنار السلطة وجبروت المتنفذين في أوج سطوتهم ، وقد استهدفوا شخصه بمحاولة تصفيته واغتياله عندما هاجم جنود السلطان منزله بمدينة زبيد لولا أنه فر منهم إلى خارج المدينة قاصداً قرية بيت الفقيه ، فزاد ذلك من إنكاره عليهم ، فأقام ما استطاع من المناظرات مع من وجده من رجالهم ، وألف أكثر من رسالة وكتاب في بيان ذلك ، منها رسالتان في الرد على المتصوفة أتباع ابن عربي ، وكتاباً آخر وسمه بـ (مرتبة الوجود ومنزلة الشهود) ، ونظم غرر القصائد في التشديد عليهم وفضح عقيدتهم ، منها القصيدة – التي سبق إيرادها – التي يقول في مطلعها :

---

(1) **الضوء اللامع** ، ج ١ ص ٢٥٨ ، الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج٢ ص ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ابن حجر ، **إنباء الغمر بأنباء العمر** ، ج ٢ ص ٥٢٥ ، ، ابن قاضي شهبة ، **طبقات الشافعية** ، تحقيق د. الحافظ عبدالعليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ج ٤ ص ١٠ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٤١٣ ، ٤١٤ .

برغمِ سنة خيرِ العُجْمِ والعَربِ
أضحت مساجدُنا للهوِ والطربِ

ما كان – صلى عليه اللهُ – يأمرُنا
بضربِ دفٍّ ولا زَمْــرٍ ولا قَصَبِ

بل سدَّ عن مَزْمَرِ الراعي مسامعَه
صوناً لها ولنا عن هذه اللُّعَبِ

فضحتمونا وصيرتُم مساجِدَنا
وهي المصونةُ كالحاناتِ للعبِ

شوَّشْتُمُ الدينَ ، غَــيَّرتُمْ محاسِنَه
فَعَلْـــتُمُ فيه فعلَ النارِ في الحطَبِ[١]

وهي مكونةٌ من ١٦٩ بيتاً ، وله قصيدة أخرى جاءت في مجملهـــا فـــي ٢٤٢ بيتاً[٢] يقـــول فيها :

فقد حدثت بالمسلمين حوادثٌ
كبارُ المعاصي عندها كالصغائرِ

حَوَتْهُنَّ كُتْبٌ حارب اللهَ رَبُّها
وغَرَّ بها من غَرَّ بين الحواضرِ

تجاسرَ فيها ابن العُرَيْبي واجترى
على اللهِ فيما قال كل التجاسرِ

فقال بأن الربَّ والعبدَ واحدٌ
فربيَ مربوبي بغير تغايرِ[٣]

---

(1) ديوان المقرئ ، ص ٤ ، ٥ .

(2) د. طه أبو زيد ، ابن المقرئ حياته وشعره ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(3) ديوان المقرئ ، ص ١٠ – ١٩ .

ولما قام الفقيه المتصوف محمد بن محمد بن القاسم المزجاجي (ت٨٢٩هـ / ١٤٢٦م) بتأليف كتابه (هداية السالك إلى أسنى المسالك) للرد على ابن المقرئ وللدعوة إلى مذهب التصوف على طريقة ابن عربي ، قرأه الإمام ابن المقرئ ، وكان بينهما سابق محبةٍ وصداقةٍ ومودةٍ ، فنظم قصيدةً ثالثة مكونةً من ٢٤٦ بيتاً في الإنكار عليه ، يقول في مطلعها :

هو اللهُ من حَبْلَيْ وَرِيدِكِ أقربُ
فأين الحيا – يا شيخُ – أين التَّهَيُّبُ

أتحسبُ – جهلاً – أنَّ عذْرَكَ واضحٌ
بتقليد زنديق[١] على اللهِ يكذبُ

فواللهِ ما ينجو ولا يفلحُ امرئٌ
له مذهبٌ والمصطفى الطُّهْرُ مذهبُ

أترغبُ عن دينِ النبيِّ وترتضي
لنفسكَ ديناً غيره وتُصَوِّبُ؟[٢]

إلى أن قال – مشيراً إلى الكتاب المذكور وإلى الصداقة والود القديم بينهما – وأنه سيهجره ويعاديه تقرباً إلى الله :

وطالعتُ في تصنيفِه فوجدتُه
بتعظيمِ من يزري على اللهِ يتعبُ

ويثني بخيرٍ عمنِ الكفرُ دينُه
ويستجلبُ الحمقى إليه ويجتذبُ

فعاديتُه في اللهِ مِنْ بعدِ ما مضى
لنا زمنٌ وهو الصديقُ المُحببُ

---

(1) لعله يقصد ابن عربي مؤسس هذا المذهب ، أو لعل المقصود به الكرماني واضع بذرة المذهب هذا في اليمن ، وكان معاصراً للمقرئ ، أو ربما كان المقصود القاضي أحمد بن الرداد ، فكلا الخيرين كان له دور في استمالة المزجاجي إلى المذهب الصوفي المتفلسف .

(2) ديوان المقرئ ، ص ٤١ .

وجانبتُه إذْ لمْ يكنْ ليَ مَخلَصٌ

من اللهِ إلا هجرُهُ والتَّجَنُّبُ

وما كنتُ أرضى هجرَهُ وفراقَه

ولكن رِضَى الباري أهمُّ وأوْجَبُ[1]

وقد توفي القاضي ابن الرداد سنة (٨٢١هـ / ١٤١٨م) فعد موته فرجاً عظيماً لأهل السنة من الفقهاء والمحدثين ، إذ انقشعت الظلمة عنهم ، ويبدو أن السلطان الناصر الرسولي في هذه المدة قد وعى خطورة موقفه المؤيد للصوفية على شعبيته ، فقد كان المؤيدون للصوفية يقلون كثيراً عن غيرهم ، فبدأ في إصلاح كثير مما أفسدته الأيام الماضية ، غير أنه لم يأخذ على أيدي المتصوفة ، وإنما أفسح المجال أمام معارضيهم ، يدل على ذلك أن الجفوة الشديدة التي كانت بينه وبين الفقهاء ورأسهم الإمام ابن المقرئ قد زالت ، وحدث بينهما تزاور ، ومدحه ابن المقرئ ، إلا أنه توفي – أي السلطان – بعد ذلك بسنوات قصيرة سنة ٨٢٧هـ / ١٤٢٣م[2] .

اشتدت حملة الفقهاء على المتصوفة في عهد السلطان المنصور الرسولي (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) بدعم من السلطان نفسه الذي كان على النقيض من أبيه في موقفه منهم ، فضعف أمر المتصوفة كثيراً وتتبع السلطان دعاتهم ، وحزم الفقهاء أمرهم فأصدروا فتوى شرعية ، وحكموا فيها بردة كل من ارتضى مقالات ابن عربي عن الإسلام ، وقضوا بإقامة حكم الردة على أصر على منهم ، وصادق السلطان المنصور على الفتوى فتبرأ الكثير من المتصوفة من عقيدتهم وبرأوا منها ، ودونت توبتهم في منشور ، وتلاه الفقيه المحدث موسى بن محمد الضجاعي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) على منبر جامع زبيد ، وقرئ أيضاً في منابر كثير من مساجد اليمن[3] .

---

(1) ديوان المقرئ ، ص ٤٧ .

(2) المقرئ ، شرح الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة ، تحقيق عبدالرحمن عبدالله الحضرمي ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص ١٧ – ٢٣ .

(3) الأهدل ، تحفة الزمن بتاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٣٣٨ ، عبدالله قائد العبادي ، الحياة العلمية في زبيد ، ص ٤١٢ .

لما لم يحكم السلطان المنصور سوى ثلاث سنوات تقريباً فقد حاول محمد الكرماني (ت٨٤١هـ / ١٤٣٧م) العودة إلى إقامة دعاوى ابن عربي فتصدى له الفقهاء أنفسهم ، ومعهم الفقيه المؤرخ الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) أحد أشهر تلاميذ الإمام إسماعيل المقرئ ، إذ اقتحم ميدان الرد والإنكار عليهم ، وألف كتابه (كشف الغطاء عن التوحيد وعقائد الموحدين ، ونكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين ، وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين) ، وله في بعض تفاصيل عقيدتهم كتاب (القول النضر ، في الدعوى الفارغة بحياة أبي العباس الخَضِر) ، وله أيضاً كما يقول عن نفسه : " قصيدة في الحث على العلم وتعيين ما يعتمد من العلم ، لكتب من الشرع والتصوف ، وبيان حكم الشطح ، والنص على مروق ابن عربي وابن الفارض وأتباعهما من الملحدين ... وشرحها في قدر ثلاثين ورقة "[1] .

وخاتمة القول في شأن صراع الفقهاء والمحدثين مع الصوفية أتباع مذهب ابن عربي أنه كما كان صورةً من صورة الحراك العلمي والفكري الكبير في اليمن آنذاك إلا أنه أبان عن جلَدٍ لدى العلماء في الصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ إذ لم يفت طول الوقت ومروره من عضدهم ، ولم تفلح الصعوبات التي وضعها المتنفذون من الصوفية في طريقهم من زرع الإحباط في نفوسهم ، وإذا كانت أغلب فصوله قد دارت في زبيد وما حولها من قرى تهامة ومدنها إلا أن فقهاء المدن اليمنية الأخرى كان لهم كِفلٌ منه ، وقد سبق أن أشرنا إلى تأييد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير الزيدي للإمام ابن المقرئ ، وأصدر فقيه تعز الأكبر الإمام أبي بكر بن محمد بن الخياط (ت٨٠١هـ / ١٣٩٨م) فتاوى عدة في شأنهم ، وألف كتاباً للرد عليهم[2] ، كما أنكر الإمام جمال الدين محمد بن علي بن عبدالله بن إبراهيم الخطيب الموزعي الشهير بابن نور الدين (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) على القاضي ابن الرداد شرائه لكتب ابن عربي ومطالعته فيها ، فأحضره – وهو يومئذٍ قاضي القضاة – إلى زبيد وجمع أغلب الفقهاء ورجال الصوفية في مجلس حافل وطلب الخطيب للمناظرة ، فلما غلبه

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن بتاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص٢٥٦ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٤١٧ .

(2) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١١ ص ٧٨ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٢٠ .

الخطيب همَّت الصوفية بالفتك به ، فحماه أحد الأمراء ، ولما عاد إلى موزع ألف كتابه (كشف الظلمة عن هذه الأمة) في الرد عليهم[١] .

هذا وقد أوردت المصادر عدداً من المنكرات التي كانت تظهر من حين إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى في مدة الدراسة ، كما تحدثت عن جهود العلماء في مواجهة هذه المنكرات والتصدي لها وللمبتدعين والظلمة من الأمراء أينما ظهروا ، فهذا الإمام إسماعيل المقرئ يطلع على أمير للسلطان الرسولي في زبيد يدعى الزنبول ، كان يستبد بالناس ويتخذ العسف والجور سبيلاً لجمع الضريبة وإزعاجهم ، فعزم ابن المقرئ على قمع هذا المنكر بإبطال الضريبة نفسها ، فحرر طلباً منظوماً – إلى السلطان بإعفاء الناس المقصودين منها ، يقول في طلبه :

البحرُ أنتَ وهذا العالَمُ السمكُ
فإن تخلَّيْتَ عنهمْ ساعةً هلكوا

هُمُ الرعايا العبيدُ الطائعونَ هُمُ
وأنتَ أنتَ المُطاعُ السيدِ الملكُ

فلا تَكِلْهُمْ إلى مَنْ ليسَ يرحمهم
ولا يرى هلْكَهُمْ أمراً به دَرَكُ

فأنت أكرمُ ، يا مَنْ لم يَخِبْ أملٌ
في فضلِه كلما مُدَّتْ له شَبَكُ

أمهلتَهُمْ وفعلتَ الخيرَ أجمعَهُ
ولم يكن منكَ تعنيفٌ ولا نَهَكُ

فامنُــنْ بأخرى ، وسامحهم ، وحُطَّ ولا
تترك عوائدَكَ الحُسْنَى وإن تركوا

فلما وقف السلطان على طلبه قبل شفاعته وحقق طلبه[٢] .

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٧٠ ، ٧١ ، ٣٦٠ ،البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٧٢ .

(2) ديوان المقرئ ، ٣٦ ، شرح الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة ، ص ١٩ ، ٢٠ .

تحكي لنا التـواريخ المتوافرة عدداً من المواقف التي انبرى فيهـا العلمـاء – أفراداً وجماعات – للإنكار على مقترفي المنكرات[1] دون خوف أو وجل ، وكثيراً مـا وُصِفَ العلماء بالصدوع بكلمة الحق دون أن يخافوا لومة لائم أو يهابوا صـولة ظـالم وجولة جبار ، أمثال القاضي الفقيه أحمد بن أبي بكر الناشري (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) الذي – كما سبق ذكره – قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون خوف ، وكـان ينكر على السلطان فمن دونه ، ولما تولى القضاء في زبيد كان شديداً في قـول الحـق حتى ضاق منه غلمان السلطان ، فجرى له معهم وقائع متعددة ، ولم يتسامح معهم فـي شيئ ، فلما كثر ذلك عليه عزل نفسه[2] ، ومثله الفقيه أبو محمد عبدالله بن محمد بـن عثمان العمودي (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) صاحب الخُرَيْبَة بوادي دوعن[3] ، حيث أقام هناك يدعو الناس لإقامة الشريعة وإطفاء البدع والمنكـرات القائمـة ، فتـسلط عليـه المبتدعون وحاربوه وهدموا بيته وأحرقوا كتبه ، فلم يهن ولم يستكن ، فزاد أذاهم لـه حتى اضطروه للخروج عنهم إلى مدينة ذمار[4] ، ويصل الأمر منتاه عند الفقيه محمـد بن أبي بكر الناشري – أخي أحمد بن أبي بكر السابق ذكره – فقد قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون خوف من متنفذ ولا مراعاة لظالم فأدى ذلـك إلـى استـشهاده عندما قام قام أحد المتضررين منه باستدراجه إلى مقبرة مهجورة بمدينة حيس ثم قتلـه فيها[5] .

---

[1] إنكار المنكر يقتضي – بداهةً – الأمر بالمعروف ، فمن نهى عن التهاون في أداء الصلاة مـثلاً فهـو – صرح أم لم يصرح – يأمر بأدائها في وقتها ، ومن نهى عن الابتداع فهو يأمر بالتزام السنة المطهرة .

[2] الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٩٢ .

[3] هي تصغير لـ (خربة) ، مدينة كبيرة مشهورة بوادي دوعن من حضرموت ، تقع بالجانب الغربـي من الوادي ويسكنها كثير من العلويين وبعض القبائل الحضرمية ، وقد عد المقحفي أشـهر عـشائرها ، السقاف ، **إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت** ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، المقحفي ، **معجم البلـدان والقبائـل اليمنية** ، ج ١ ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ .

[4] باعلوي ، **البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة** ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م ، ص ١١٨ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٩٢ ، باحنان ، **جواهر تاريخ الأحقـاف** ، ج٢ ص ١٦١ ، شـنبل ، **تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل** ، ص ١٧٥ .

[5] الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص٧٢ ، ٧٣ .

☒ **الاشتراك في صد البغاة والغزاة :**

مما أجمع عليه علماء الأمة في كل العصور أن جهاد الطلب[١] فرض كفاية يسقط عن سائر الأمة إذا قامت به طائفةٌ منها ، وأما جهاد الدفع[٢] فهو فرض عين على كل مسلم عندما يغتصب المشرك الكافر من أرض الإسلام شبراً واحداً ، وقد توقف جهاد الطلب منذ قرون ، ولم يطل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) إلا وقد أصبحت الأمة في موضع الدفاع عن حياضها ، وقد تعرضت لهجمات كثيرة من قبل التتار والمغول ومن قبلهم – ومن بعدهم – الحملات الصليبية المتكررة .

علِمَ فقهاء اليمن وعلماؤها هذه الفرضية فتعين عليهم الوقوف يداً واحدة في حال حصول دواعي الجهاد ، وقد كان العدو البرتغالي الصليبي هو المتربص بالسواحل اليمنية – مع غيرها من السواحل الإسلامية في الهند والخليج العربي والقرن الأفريقي – وذلك في مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) ، وكان أول ظهور لطلائع أسطوله على شواطئ جزيرة سقطرة في سنة (٩١٣هـ/ ١٥٠٧م) حيث وقع الصدام بين الأسطول المتطور وأهالي الجزيرة ، فتم للبرتغاليين احتلالها بعد أن استماتت الأهالي – يتقدمهم حاكم الجزيرة – في الدفاع عنها ، فاستشهد الحاكم مع ٢١٧ رجلاً من أتباعه ، وإن كانت المصادر لم تعينا بإيراد إشارات تذكر العلماء ضمن هؤلاء الأهالي إلا أنه مما لا شك فيه أنهم كانوا في عدادهم ، فليس من المعقول أن يكون الأهالي أكثر إقداماً منهم ، ولعل المقاومة الشديدة التي لاقاها البرتغاليون هي التي دفعتهم – مع أسباب أخرى تتعلق بموقع الجزيرة وطبيعتها الجغرافية – إلى الأنسحاب المبكر منها[٣] .

---

(1) يقصد به أن تطلب بجيش الإسلام العدو في أرضه لتحقق مصلحةً للأمة والرسالة السماوية الخاتمة ، كما جرى في مرحلة الفتوحات الإسلامية في القرون الأولى ، أو ما جرى على أيدي العثمانيين الأتراك في البلقان والجنوب الشرقي لقارة أوربا في القرون الوسطى .

(2) المقصود به أن تقوم برد الجيش المغير على ثغور الأمة ودار الإسلام ، لذلك ففرضيته عينية ، لأن الخوف من العدو في هذه الحالة قائم أن يعيث في الأرض الفساد وينتهك حرمات المسلمين .

(3) الثقفي ، **موقف المماليك ودول الخليج العربي من النفوذ البرتغالي** ، ص ١٤٨ ، أحمد شيبان ، **الوجود المملوكي في اليمن** ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، بافقيه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، ص ٨٢ ، بامطرف ، **الشهداء السبعة** ، ص ٤٦ .

وقد سبقت الإشارة في الفصل الثاني إلى أن البرتغاليين بقيادة زعيمهم أفونســو دالبوكيرك Afonso Da Lbuquerque قد عزموا على وضع يدهم على مدينة عدن في مطلع ســنة (٩١٩هـ / ١٥١٣م) ، وأرادوا مباغتة المدينة وأهلها ، فعلم واليها الطاهري مرجان الظافري[١] بهم ، فتكاتف مع علماء المدينة وأهاليها للدفاع عن المدينة ، وتعاهدوا على أن رد العدو عنها أو الاستشهاد دونها ، وكانت خطتهم تتمثل في إغلاق أبواب المدينة وعدم المبادرة بأي عمل دفاعي ما لم يبدأه البرتغاليون بالهجوم ، ولم يتردد البرتغاليون في نصب سلالم اقتحم عدد كبير منهم بواسطتها الأسوار ، ونفذوا إلى داخل المدينة ، وكان السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب وقتئذٍ في زبيد ، فأمر بالقنوت في الصلوات الخمس وخطبة الجمعة ، واجتمع طلبة العلم ومشائخهم في المساجد والمدارس للدعاء وقراءة صحيح البخاري دعماً للمجاهدين في عدن[٢] ، غير ما أرسله السلطان من الإمدادات ، وكان الاستبسال الكبير الذي أبداه الجميع في الدفاع عن المدينة ، كفيلاً باستحقاق النصر على البرتغاليين ، وكافياً لردهم على أعقابهم مهزومين[٣] ، وقد روى الفقيه المحدث المؤرخ الطيب بامخرمة

---

(1) الطاهري : نسبةً إلى الدولة الطاهرية التي يقوم بحكم عدن باسمها ، والظافري : نســبةً إلــى الســلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب آخر حكام الدولة الطاهرية الذي سبق تناولنا له ؛ لأنه كان أحد مواليه.

(2) يبدو أن السلطان كان يرى أنه لن يدرك المدينة أو أنه كان واثقاً من منعتها وحصانتها ، فلم نــره يبــادر للحضور بنفسه أو إرسال حملة إمداد عاجلة ، وكما يظهر أن عقيدته كانت تملي عليه أن الاجتماع لتلاوة القرآن (كانت تقرأ أربع ختمات يومياً إضافةً إلى عشرين ختمة في كل جمعة ، ثم قراءة سورة الملــك) والقنوت في جميع الصلوات ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والدعاء عقيب ذلك ، يبدو أنه كان يفهم أن ذلك وحده – على افتراض صحته وثبوته من ناحية الفقه والسنة النبوية – كافٍ لمواجهة مثل ذلك الأسطول .

(3) ابن الديبع، **قرة العيون**، ص ٤٥٧ ، ٤٥٨، **الفضل المزيد**، ص ٣٤٥ ، غسان الرمال ، **صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر** ، ص ١٣٣ ، ١٣٥ ، بافقيــه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشــر** ، ص ١٠٢ ، د. محمد عبدالعال أحمد ، **البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليــه** ، ص ١١١ – ١١٩ ، بامطرف ، **الشهداء السبعة** ، ص ٥١ ، ٥٣ .

(ت٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) وهو أحد شهود المعركة والمشتركين فيها أن بعض الفقهاء من زملاءه شاهد قتلى البرتغاليين الذين وجدهم في طريقه فقط فوجدهم تسعة[1] .

في سنة (٩٢٩هـ / ١٥٢٣م)[2] وصلت طلائع حملة برتغالية مكونة من سبع سفن تحمل حوالي أربعمائة مقاتل إلى شاطئ الشحر بساحل حضرموت ، كان حاكم المدينة يدعى مطران بن منصور ، رجلاً باسلاً شجاعاً ، وكان منذ حكم المدينة نيابة عن السلطان يشرك الفقهاء والعلماء وتجار المدينة في إدارتها ، فلما علم بوجود البرتغاليين أحاط معاونيه علماً بهم وقرروا الاستماتة في صدهم والجهاد في سبيل الله دفاعاً عن أرضهم ، وكان أكبر معاونيه ستة أشخاص ثلاثة منهم هم أكابر علماء المدينة وفقهائها ، وأسفرت المعركة عن استشهاد الأمير ومعاونيه الستة فتم دفنهم في موضع واحد ، عُرِفَ بقبر الشهداء السبعة ، واستشهد معهم عدد كبير من المدافعين عن المدينة – قيل أنهم بلغوا سبعمائة شهيد – في ملحمة من أكبر ملاحم التاريخ اليمني ، ومع ذلك فشل البرتغاليون في احتلال المدينة بسبب وصول نجدة كبيرة للمدينة اضطرتهم للانسحاب .

وأشهر من استشهد يومئذٍ هو الفقيه الإمام أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بافضل (ت٩٢٩هـ / ١٥٢٣م) الذي وصفه بعض المؤرخين بأنه " قاتل قتال الأبطال وفعل الأفاعيل في هجماته ... "[3] ، وكان هذا العالم الكبير على فقهه وعلمه العزير قوي الذهن شريف النفس ، سخياً كثير الصدقة وفعل الخير ، محباً للصالحين والفقراء ... كثير المواصلة لهم ، مواظباً على الطاعة، ولم يزل كذلك حتى استشهد[4] .

---

(1) **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٨١٣ ، في هذا الخبر الأخير دلالتان ، الأولى : اشتراك الفقهاء في المعركة بفاعلية ، فالراوي والناقل للخبر كلاهما منهم ، والثانية : شدة ضراوة المعركة التي دارت بين الطرفين .

(2) بافقيه ، **تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، بامطرف ، **الشهداء السبعة**، ص ٦٥ – ٧٩ .

(3) بامطرف ، **المرجع السابق** ، ، ص ٧٦ ، نقلاً عن محمد بن هاشم ، **تاريخ الدولة الكثيرية** .

(4) العيدروس ، **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، ص ١٢٧ ، ١٢٨ ، الشِّلّي ، **السناء الباهر** ، ص ٢٠١ .

❖ الأوضاع المالية والمعيشية للركائز البشرية للحياة العلمية :

يجب أن ندرك في بداية الحديث عن هذا الجانب من حياة العلماء وطلابهم ومن كان معيناً لهم في أداء رسالتهم العلمية والتعليمية أن ما ينطبق على الناس من الغنى والفقر والعسر واليسر في المعيشة ينطبق أيضاً عليهم ، وأن حياتهم جميعاً لم تكن على نمط واحد ولم تَسِرْ على أسلوبٍ محددٍ ثابتٍ ، كما أن الشواهد تدل بوضوحٍ على أن العلماء لم يسعوا يوماً للتكسب من علمهم وعرضه على من يدفع لهم أكثر ، وأنهم بذلوه لكلِ طالبٍ له ، بل وبذل عددٌ كبيرٌ منهم زهرة أموالهم لطلابهم – كما سبق أن تناولناه – عن طيب خاطر محتسبينه عند الله تعالى .

ومن الملحوظ أيضاً أن الفقر كان له وجود قوي في حياة كثير من العلماء والفقهاء وطلابهم ، ويبدو أن مرد ذلك إلى زهدهم وتورعهم من الإيغال في التقرب إلى الحكام والسلاطين ، وكثرة انهماكهم في العلم تدريساً وتحصيلاً وتأليفاً بما صرفهم عن أن يبذلوا الجهد اللازم لاحتراف المهن التي تضمن لهم العيش الكريم الميسور .

ولا نغفل الإشارة إلى فئةٍ من العلماء قد نذرت نفسها لتدريس العلم بشكل كامل حتى قاربوا ما يمكن أن نسميه – بلغة عصرنا – التفرغ العلمي ، وخاصة أولئك الذين انقطعوا للتعليم بطلب من مؤسسي المدارس العلمية الذين أوقفوا على العاملين بها ما يكفي لتغطية تكاليف عملهم ومعيشتهم .

وقد أسهم الحكام والأئمة والأمراء والقادة والميسورون من وجوه المجتمع بحظ وافر في التأثير الإيجابي على الحالة المعيشية لفئةٍ محدودةٍ من كبار العلماء والمبرزين من الفقهاء ببذلهم العطايا والجوائز التشجيعية وإقطاعهم الأراضي الزراعية لهم ، وتكليفهم القيام بنظارة الأوقاف وتصريف صدقاتهم .

ويظل العلماء الذين رأوا أن مكمن قوتهم في أداء مهامهم ووظائفهم وعند إنكار المنكر على الحكام ومن دونهم في اعتمادهم على مصادر الدخل الخاص الذي لا يرتكن على جود الآخر وعطاياه ، يظل هؤلاء هم الفئة الأكثر عدداً والأبلغ أثراً في حياة المجتمع وفي فكر طلابهم ، بل ولعلهم الأكثر احتراماً وتعظيماً ، وكان مصدر دخلهم متنوعاً ومختلفاً بحسب الإمكانات المادية والمهارية ، فمن كان لديه أرض استصلحها وزرعها وتعهدها بنفسه أو بالإنابة عنه ، ومن كان له مالاً عينياً تاجر به وبذل الجهد

في أن يضرب أروع مثال على صدق التاجر وأمانته ، ومن كان لديه مهارة حسن الخط وإجادة الضبط للكتب والرسائل امتهن نسخ الكتب وضبطها وعاش من ريعها .

فممن اعتمد على نسخ الكتب وبيعها مصدراً لقوته نذكر الفقيه الصالح شمس الدين يوسف بن عمر العطاب (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) كان من علماء مدينة إبّ ونحوييها وشعرائها وزهادها الكبار ، اجتهد في العبادة وطلب الحلال لا يقتات إلا من أجرة يده في تحصيل الكتب ونسخها ، استدعاه السلطان الناصر أحمد الرسولي لمقابلته فرفض الوقوف بابه ولا طمعت نفسه بقبض شيئ من أسبابه[١] .

ومنهم الفقيه أبو بكر بن علي الحائري (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) ، قيل عنه أنه: " كان عابداً ورعاً متعففاً عن الناس ، غالب أوقاته ينسخ الكتب بأجرة "[٢] ، ومثله الإمام العلامة صفي الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد البريهي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٣م) الذي وصفه بعض تلاميذه فقال : " ما رأت عينُ أهلِ وقْتِه أزهدَ منه في يقظةٍ ولا منام ، ولا عاينَتْ أكثرَ اتّباعاً منه لشرائعِ الإسلام المتلقاةِ من الشارع عليه أفضل الصلاة والسلام ... عاشَ - رحمه الله تعالى - على طريقة السـلف الصالح من الاشـتغال بالعلم والعمل به ... بذلَ نفسـه للطلبة ، وانزوت عنه الدنيا "[٣] كان حريصاً على تنزيه نفسه عن التكسب من أي مصدر غير جهده وعمل يده ، فقد وهبه الله قدرةً على الكتابة بخط حسن ، فكان يقضي معظم وقته في نسخ المصاحف وكتب الحديث والفقه ، وجعل معظم قوته من أجرته على تحصيلها[٤] .

ومنهم الفقيه المقرئ عثمان بن أحمد السلامي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) كان ذا عبادة وزهد وورع ، دأبه تعليم القرآن الكريم وتدريسه ، مع تنزُّهٍ عن الشبهات في المطعم والملبس ، فكان " دأبه النساخة ، ومعظم قوته منها "[٥] .

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٠٨ .

(2) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ١٨٠ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(4) المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(5) المصدر السابق ، ص ١١٠ .

ومن العلماء الذين جمعوا بين أكثر من عمل كالزراعة والتجارة ونسخ الكتب للاعتماد عليها في معيشتهم مع كونهم مسؤولين على تصريف الزكاة والصدقات على مستحقيها يأتي المقرئ عفيف الدين عبدالله بن عمر بن منصور الصراري (ت٨٠٤هـ / ١٤٠١م) الذي كانت تُحمل إليه الزكاة والصدقة فيصرفها على وجوهها وينال المستحقين من طلبته منها ، بل كان يعطي طلابه كل ما شرطه الواقفون له لقاء تدريسه، واعتمد على ريع أرض قليلة كانت له وما كان يحصل عليه من نسخه للكتب والمصاحف مع أنه كان يسكن بيتاً صغيراً هو وأولاده ، وقد عرض عليه السكنى في الدور الكبار فأباها[١] .

ومثله الفقيه عمر بن عيسى العماكري (توفي العقد الأول من القرن التاسع الهجري / العقد الأول من القرن الخامس عشر الميلادي) الذي كان يتورع أن يقبض العطاء من الملوك أو أن يأكل من طعامهم ومع ذلك كان لا يأكل مما شرطه له الواقفون وينفقه على طلبته[٢] .

وكان للقاضي جمال الدين محمد بن مسعود باشُكَيْل (ت٨٧١هـ / ١٤٦٧م) شيئ من حطام الدنيا يتسبب فيه بالتجارة والتيسر ويستعف به عن الحاجة إلى الناس مع كونه كان في بداية أمره معيداً بالمدرسة الظاهرية بعدن ، وكأنه أراد أن يستقل عن الارتكاز على ما يصرفه له الناظر على المدرسة مع أنها كانت تحت رعاية السلطان الظاهر الرسولي[٣] .

أما القاضي العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر البريهي (٨٣٦هـ / ١٤٣٣م) والفقيه موفق الدين علي بن عطية الدُمْلُوِيّ (٨٣٦هـ / ١٤٣٣م) فقد كانا لا يلتفتان إلى أهل الرئاسة والوجاهة ، ولا يداهنان حفاظاً على حقوق مفترضة لهما ، وكان غالب عيشهما من التجارة التي احترفاها مع الصدق والأمانة وتجنب الخيانة ،

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٩١ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ١٩٣ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٣٣٦ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٢٤ ، باحنان ، **جواهر تاريخ الأحقاف** ، ج٢ ص ١٧٠ ، الحداد ، **عقود الألماس بمناقب العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس** ، ج ٢ ص ٦٥ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٠ ص ٥٠ ، شنبل ، **تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل** ، ص ١٩٣ .

وصانهما الله تعالى من الظَلَمَة وكفهم عنهما طول عمرهما ، وكفاهما الله بما رُزِقاه من البيع والشراء عن التعرض لأوقاف المدراس[1] ، وكانا من الاستقامة إلى حد أن وُصِفَ أحدهما في المصادر بأنه : " كان كثير الصدقة سراً وجهراً ، يدفع الزكاة إلى مستحقيها ، لا يتطفل عن ذلك ولا يؤخره ، فقيل له : التاجر الصدوق ، لجريه على القاعدة الشرعية ، واحترازه عما لا يجوز في البيع والشراء مما يتغافل عنه غيره من أهل المعاملات والربا والصرف ، مع حسن سيرةٍ وأمانةٍ وديانةٍ وورعٍ ظاهر ... "[2] .

إن النماذج والأمثلة التي أوردناها هنا لا تحملنا على الجزم بأنه لم يكن في العلماء والفقهاء من يعتمد على ما حدده الواقفون لأراضيهم على المدارس العلمية والجوامع الكبيرة التي عُرِفَتْ بالنشاط التعليمي ، فقد أمدتنا وثائق الأوقاف التي تمكنا من الحصول عليها بمعلومات تفصيلية مهمة عن الأجور التي حُددتْ لمن تم ترتيبه وتعيينه فيها ، ليس فقط من العلماء المدرسين بها بل والطلاب والقائمين على الجوانب الإدارية بها ، ولم تكن تلك الأجور على قدر واحد في جميع المدارس ، بل هي متنوعة ومختلفة من مدرسة إلى أخرى ، ويحدد ذلك مساحة الأرض الموقوفة وموقعها وخصوبتها ومعدل محصولها .

فقد كان مدرس الفقه – على سبيل المثال – في بعض المدارس التي أنشاها سلاطين بني رسول – كما تحكي الوثائق – يتقاضى مرتبين : شهري وسنوي ، منها ما هو عيني ومنها ما هو نقدي وقد يجمعاً معاً ، فهو في المدرسة الأشرفية يتقاضى في غرة كل شهر ثلاثة وثمانين زَبَــدْياً[3] وثلث زَبْدي وخمسين ديناراً ، وله كسوةٌ سنوية

---

[1] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ .

[2] **المصدر السابق** ، ص ١٠٤ .

[3] **الزَبــدْي** : مكيال عُرفي يمني ، يختلف من مدينة إلى أخرى كالزَبــدْي التعزي – نسبة إلى مدينة تَعِــزّ – والزَبــدْي السنقري بمدينة زبيد ، ويمكن تقريب مقاديره كالآتي :

1. الزَبــدْي التعزي للحبوب :

كان مقداره في أوائل عصر الدولة الرسولية ما يساوي = ٨ أرطال مصرية من الحبوب ، وهو مقدار يكفي الفرد الواحد لمدة شهر ، ثم تمت الزيادة فيه حتى أصبح = ١٤ رطــلاً مــصرياً ، وبما أن الرطل المصري منذ عهد الدولة الفاطمية وبعده = ١٤٠ درهماً (الــدرهم = ٣,١٢٥ جم) فإن الرطل = ٣,١٢٥×١٤٠ = ٤٣٧,٥جم ، وعليه فإن الزبدي التعزي = ٤٣٧,٥ ×١٤ = ٦١٢٥ جم = ٦,١٢٥ كجم تقريباً .

عبارة عن مقطع بياض[1] بالإضافة إلى مائة دينار[2] ، في حين أنه كان يتقاضى مائتي زَبْــدي في المدارس الظاهرية والمعتبية والأفضلية[3] ، وأما مدرس الحديث الذي تم تعيينه في المدرسة الأشرفية فيُصرف له مرتباً شهرياً قدره أربعون زبدياً وثلثا زبدي بالإضافة إلى عشرين ديناراً ، وله في السنة مقطع بياض وأربعون ديناراً[4] ، وكان نظيره في المدرسة الظاهرية يتحصل على مائتي زبدي شهرياً[5] ، وفي جامع ثعبات مائة وعشرين زبدياً[6] ، وفي المدرسة الأفضلية مائة زبدي فقط[7] .

II. الزَبْــدي السنقري الزبيدي للحبوب :

كان في العهد الأيوبي يساوي ٢٤٠ درهماً ، ثم توالت الزيادات عليـه حتـى قـرر مقـداره السلطان الأشرف الثاني سنة (٧٨٧هــ / ١٣٨٥م) بـ (٥٠٠ درهماً) وهو ما يعـادل ٥٠ اوقية ، حيث أن الوقية تعادل ١٠ دراهم تامة ، ، وبما أن الدرهم يـساوي ٣,١٢٥ جـم فـإن الزبدي الزبيدي = ٥٠٠×٣,١٢٥ = ١٥٦٢,٥ جم = ١,٥٦٢ كجم .

III. الزَبْــدي الخاص بكيل السوائل :

ذكر الخزرجي أن مقداره ١٢ رطلاً ، والرطل = ٢٠ أوقية ، وبما أن الأوقية = ١٠ دراهـم فإن الرطل = ١٠ × ٢٠ = ٢٠٠ درهماً ، = ٦٢٥جم ، وعليه فالزبدي لمكيل السوائل = ٦٢٥ × ١٢ = ٧٥٠٠ جم = ٧,٥ كجم .

الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ١٠٥ ، الخزرجـي ، **العقـود اللؤلؤيـة** ، ج ٢ ص ١٥٤ ، ٢٥١ ، **الوقفية الغسانية** ، وثيقة جامع ثعبات ، ص ٩١ ، فالتر هنـتس ، **المكاييـل والأوزان الإسـلامية** ، ترجمة د. كامل العسلي ، منشورات الجامعة الأردنية ، ط ٢ ، (د ، ت) ، ص ١٢ ، ٣١ نقلاً عـن عبدالله قائد العبادي ، الحياة العلمية في زبيد ، ص ٣٩٠ ، **الموسوعة اليمنيـة**، مؤسـسة العفيـف الثقافية ، صنعاء ، ط ٢ ، ٢٠٠٣م ، ص ٢٧٩٢ ، ٢٧٩٣ .

[1] يقصد به قطعة من القماش الأبيض المناسب للبس الرجال ، وهي لغة دارجة مازالت شـائعة إلـى يـوم الناس هذا .

[2] **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأشرفية ص ١٥ .

[3] **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٤٠ ، وثيقة المدرسة المعتبية ص ٥٥ ، وثيقة المدرسة الأفضلية ص ١٠٤ .

[4] **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأشرفية ص ١٥ .

[5] **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٤٠ .

[6] **الوقفية الغسانية** ، وثيقة جامع ثعبات ص ٩١ .

[7] **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأفضلية ص ١٠٤ .

بالعودة إلى قائمة الوظائف التعليمية والإدارية والدينية في المدارس العلمية ورديفاتها من الجوامع والمساجد التي سبق الحديث عنهم في مطلع هذا الفصل سنجد أن كل فرد منهم كان مكفول المعيشة إلى حد كبير من قبل المنشئين لهذه المنشآت التعليمية وإن تباينت واختلفت مقادير ما كانوا يتقاضونه ، وأنهم كانوا أكثر حظاً وأحسن عيشاً من غيرهم ، وكثرة عدد تلك المنشآت يجعلنا نخمن أن عدد المستفيدين منها من العلماء والفقهاء والطلاب كان كبيراً أيضاً .

ويجب التأكيد أخيراً على بعض ما أشرنا إليه في بداية حديثنا عن أحوال العلماء المعيشية من أن للحكام دور إيجابي كبير على حياة العلماء والفقهاء ، وذلك ما تميز به السلاطين الرسوليون على غيرهم ، ويمكننا أن نحصر ذلك الدعم في أمرين مهمين ، أما أولهما فهو إعفاء أراضيهم من الخراج المفروض على أمثالها ، وقد مر معنا هذا الأمر عند الحديث عن احترام الحكام للعلماء من هذا الفصل ، ويمكننا أن نقرأ تلك الخاصية التي منحها الحكام للعلماء بأنها جاءت نتيجة رفض الكثير من العلماء أخذ العطاء المالي المباشر كما أن تفسيرها يحتمل ما سبق ذكره من أنها إحدى صور التعبير عن احترام العلماء وإجلالهم ، ومما لم نذكره أن إعفاء الأرض المزروعة من الخراج كما كان ممنوحاً لكل عالم وفقيه فقد كان – أيضاً – ممنوحاً لكل من يحفظ القرآن الكريم مهما كانت أرضه كثيرة الخراج[1] ، ولا يجري ذلك على ما كان مملوكاً لهم قبل الإعفاء فقط بل يشمل كلما اكتسب من بعده ، وتظل هذه المسامحة متوارثة بين أفراد أسرة الفقيه والعالم طوال مدة حياتهم[2] ، وترصد هذه المسامحة وتسجل في الديوان العام[3] .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٧٤ ، الحبيشي ، **تاريخ وصاب** ، ص ١٢٩ ، ١٨١ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٥٤١ .

(2) الحبيشي ، **المصدر السابق** ، ص ١٨١ ، عسيري ، **أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية** ، ص ٤٤ .

(3) الحسيني ، **ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب** ، نسخة مصورة بمكتبة القاضي إسماعيل الأكوع ، صنعاء عن نسخة مخطوطة في الأمبروزيانا بإيطاليا ، رقم H ١٣٠ ق ٩ – أ ، المندعي ، **الزراعة في اليمن في عصر الدولة الرسولية** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، إربد ، الأردن ، ١٩٩٢م ، ص ٢٠٢ .

وأما الأمر الثاني الذي أثر من خلاله الحكام – بصورة إيجابية – على حياة العلماء والفقهاء فهو إغداق العطاء لهم ومنحهم الجوائز التشجيعية على كل إنجاز يحققوه ، وقد استعرضنا بعضاً من ذلك فيما مضى من هذا الفصل ، ومما لم نذكره هناك من النماذج أن السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) قد أجاز الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبدالله الريمي باثني عشر ألف دينار عندما قدم له كتابه (التفقيه في شرح التنبيه) في فقه الشافعية[١] ، وأنه جمع من المال في عهد السلطان الأشرف الثاني – وأبيه السلطان المجاهد من قبله – ما لم يجمعه أحدٌ من الفقهاء غيره[٢] .

وهذا الإمام إسماعيل المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٢م) نال من السلاطين الرسوليين الكثير من العطاء في مناسبات مختلفة ، ذكرنا بعضها من قبل ، ومنها أن السلطان الظاهر يحيى (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) قد أغدق عليه من الصلات والهبات ما حسده عليها كثير من أقرانه ، إذ وهب له أكثر من أربعين ألف دينار على قصيدة واحدة – ذات أربعين بيتاً – نظمها في مدحه ، أعطاه ألف دينار عن لكل بيت فيها ، وغيرها من الهبات الأخرى[٣] .

ونختم بالقول : إن هناك من العلماء من لم يكن له مصدرٌ دخلٍ ثابتٍ أبداً ، وأنه كان عالةً على ما يُصرف لقاء تولي أمور شيئ من الأوقاف ونظارتها ، ويتضح ذلك من مما رواه بامخرمة[٤] من أن الفقيه عبدالله بن محمد الهبي (ت٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) الذي كان كثيراً ما يتولى شؤون قسم الصدقات للسلطان المجاهد علي بن طاهر (ت٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) بزبيد ، قد تفقد أوقافاً بزبيد بأمر السلطان فوجد غالبها مع من لا يستحقه ، فقام بضبط أوضاع الوقف ، وواسى به بين جموع عشائر الفقهاء الكبار الذين انقطعوا عن الاسباب وتفرغوا للتدريس والتوجيه والتثقيف لعامة الأمة ، ورتب لكل واحد منهم ما يناسب حاله فحصل به النفع العام .

---

(1) الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٤٤٩ .

(2) المصدر السابق ، ص ٤٦٣ ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ١٨٣ .

(3) **ديوان المقرئ** ، ص ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٥٤٦ .

(4) **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٤٨ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٧٣.

الفصل السادس

اهتمام علماء اليمن بالعلوم الشرعية ومصنفاتهم فيها

من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

تمهيد :

إن موضوع هذا الفصل – والذي يليه – يعد أهم جانب في هذه الدراسة عموماً، فهو يتناول بشكل مباشر إسهام علماء اليمن في دراسة العلوم وتطويرها ، وهو الذي يعرض للإنتاج العلمي والتأليفي لهم ، فهو إذن يتحدث عن أثر اليمنيين في الفكر العربي والإسلامي وبالتالي في الفكر الإنساني عموماً ، وكأن هذا الفصل مرصد يرقب اهتمام أولئك العلماء بالعلوم السائدة في العالم الإسلامي عصرئذٍ ، دراسة وتصنيفاً وتدريساً ، ثم إنه عبارة عن ببليوجرافيا شاملة لجميع مؤلفات علماء اليمن وحكامها – من السلاطين والأئمة – من بداية القرن التاسع الهجري حتى دخول العثمانيين في أواسط القرن العاشر الهجري .

ثمة خصائص لطبيعة اهتمام العلماء اليمنيين بالعلوم وبطبيعة مصنفاتهم فيها ، يجب تناولها للفت الانتباه إليها ، فكما أنهم قد صنفوا كتباً تحتوي على أفكار ذاتية غير مستقاة من كتب أخرى كانوا قد اطلعوا عليها إلا أنهم – في الغالب – انشغلوا بما انشغل به غيرهم من علماء العالم الإسلامي ، وذلك بالشرح والاختصار لكتب الأوائل السابقين من مجتهدي الفكر الإسلامي ، أو كتابتها ثانيةً بطريقة تختلف عن طريقة مصنفيها الأوائل ، كأن يقوموا بتحويلها إلى منظومات شعرية تسهل على طلبة العلم حفظها واستيعابها ؛ لأن الشعر يسهل حفظه قياساً مع النثر وغيره ، أو القيام بإعادة ترتيبها بما يسهل على القارئ هضمها .

ونحن في هذا الفصل سنأتي إلى الحديث عن اهتمام العلماء اليمنيين بالعلوم الشرعية وما ارتبط بها من العلوم اللغوية والأدبية ، وهي علوم يقوم بينها وبين العلوم الشرعية من الصلات القوية ما يجعل الصعوبة قائمة تحول دون الفصل بينها ، فالعالِمُ لا يمكنه اقتحام العلوم الشرعية ما لم يتقن اللغة وآدابها ؛ لأن الشريعة جعلت اللغة العربية وعاءً لنصوصها وقناة لنقل علومها وتدوين أسسها وتفصيلات دقائقها .

(١) علوم القرآن الكريم :

مما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد كان له مكان له الصدارة في اهتمام المسلمين عموماً ، أفراداً وجماعات ، على مدار التاريخ الإسلامي ، وذلك أن الاهتمام به ودراسته هو أحد أفضل الأعمال التعبدية قبل أن تكون واحدة من مجالات العلوم السائدة ، فقد أدرك المسلمون جميعاً أنهم مأمورون بالعناية به تلاوة وتعلماً وتعليماً ، فهو دستور الأمة وعروتها الوثقى التي تجتمع حوله كل طوائفها ، فمهما اختلف المسلمون حول كثير من القضايا فلم – ولن – يختلفوا حوله ولا حول علم قراءاته ، فالقرآن الكريم هو منار الأمة ونورها وهداها كما جاء في قوله تعالى : **قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝**[1] وجاء اهتمام المسلمين بالعناية به وتدبره من منطلق الاستجابة لأوامر الله سبحانه وتعالى التي جاءت في كثير من الآيات القرآنية الكريمة ، كقوله تعالى : **إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝**[2] وقوله تعالى : **وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ** ... ۝[3] وقوله سبحانه : **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝**[4] وجاءت نصوص الأحاديث النبوية الشريفة تحث المسلمين على قراءة القرآن الكريم وتعليمه للناشئة وإقراءهم ، كقوله ﷺ : " **يقال لصاحب**

---

[1] سورة المائدة .

[2] سورة فاطر .

[3] سورة النمل .

[4] سورة محمد .

القرآن : اقرأ وارقَ ورتل كما كـــنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها "[١] ، وقوله أيضاً : **" خيركم من تعلم القرآن وعلمه "**[٢] .

ومما يأتي مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٣] أنه قد قيض لخدمة القرآن الكريم في كل قرن من القرون في الشرق والغرب رجالاً مخلصين اعتنوا بحفظه ، ومعرفة أوجهه وقراءته ، وضبط نظمه ، وكيفية أدائه ، ومعرفة وقوفه ، وشرح معانيه ، وبيان أحكام ترتيله ، وتوضيح قراءاته ورواياته وطرقه[٤] ، ابتدأت سلسلة هؤلاء الرجال من عهد الصحابة عليهم رضوان الله تعالى جميعاً وكثير من رجال التابعين ومن يليهم في القرون التالية ، وقد اتخذت عنايتهم بالقرآن الكريم أشكالاً عدة ، ابتداءً من تلقيه وحفظه والعمل به ، إلى استحداث عدد من العلوم المتمحورة حول كتاب الله عز وجل ، منها ما هو متصلٌ به اتصالاً كلياً مثل علوم القراءات والتفسير والناسخ والمنسوخ وغريب القرآن وإعجازه وأسباب النزول وما شابه ذلك من العلوم التي اصطلح العلماء على تسميتها بعلوم القرآن الكريم، ومنها ما ارتبط به بصورة غير مباشرة ، مع كونه الأساس المتين لما سبق من العلوم الأولى، ومما ارتبط بالقرآن الكريم من العلوم بصورة غير مباشرة علوم اللغة والنحو وأصول العقيدة والفقه والمواريث والوصايا والتاريخ والبلاغة من بيان ومعانٍ وبديع

---

(1) الترمذي ، **سنن الترمذي** ، ج ٥ ص ١٧٧ ، رقم (٢٩١٤) ، باب (أنه الذي ليس في جوفه من القرآن كالبيت الخرب) ، أبو داود ، سنن أبي داود ، ج ٢ ص ٧٣ ، رقم (١٤٦٤) ، باب (استحباب الترتيـل في القرآن) .

(2) البخاري ، **صحيح البخاري** ، ج ٤ ص ١٩١٩ ، رقم (٤٧٣٩) ، باب (خيركم مـن تعلـم القـرآن وعلمه) ، ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، ج ١ ص ٧٧ ، رقم (٢١١) ، باب (فضل من تعلـم القـرآن وعلمه) ، الترمذي ، **سنن الترمذي** ، ص ٦٥٣ ، رقم (٢٩٠٧) ، باب (ما جاء في تعليم القرآن) .

(3) سورة الحجر .

(4) ابن الجزري ، **التمهيد في علم التجويد** ، تحقيق غانم قدوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ص ٥١ – ٣٢٧ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٢٩ .

وغيرها[1] ، ولن نتناول هنا من علوم القرآن الكريم إلا ما كان لعلماء اليمن إسهام في العناية بها والتصنيف فيها ، وفي مقدمتها :

☒ **علم القراءات :**

علم القراءات هو أحد أكثر العلوم ارتباطاً بالقرآن الكريم وخدمةً له ، فهو العلم الذي يتناول قراءته بحسب رواية الصحابة رضوان عليهم له عن رسول الله ﷺ بطرق مختلفة في بعض ألفاظه ، وكيفية الحروف في أدائها[2] ، وللظروف التي نشأ في ظلالها علم القراءات قصة تبدأ جذورها في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وتلقيه للقرآن الكريم وحياً من ربه بواسطة جبريل الأمين عليه السلام ، فقد جاء في الأثر أن ابن عباس رضي الله عنهما نقل عن النبي ﷺ قوله : " **أقرأني جبريل على حرف فراجعته ، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف** "[3] ، وقال ﷺ أيضاً في موضع آخر : " **إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منها** "[4] ، ولما انتشر الصحابة – عليهم رضوان الله تعالى – في الأمصار مع حركة الفتوحات الإسلامية اتخذهم الناس مصدراً للعلم الشرعي عموماً وعلوم القرآن الكريم وأحكامه ووجوه تلاوته خصوصاً ، إذ قـــرأوه عليهم ولقنوه إياهم كما تلقوه عن النبي ﷺ ؛ فتعددت أوجه القراءة ، وبدأ الخلاف بين المتلقين في الأمصار المختلفة ، ولما كانت أعداد القراء من الصحابة قد بدأت في النقصان – موتاً واستشهاداً – رُفِع الأمر إلى الخليفة عثمان بن عفان ﷺ فأمر بكتابة القرآن الكريم من المصحف الذي جُمِعَ في زمن خليفة رسول الله أبي بكر الصديق ﷺ ، وساعده في ذلك زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين ، وجعل منه نسخاً بعدد الأمصار الكبرى ، وأمر باجتماع المسلمين

---

(1) السيوطي ، **الإتقان في علوم القرآن** ، مكتبة المعارف ، الريـــاض ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ج ٢ ص ٣٥٠ – ٣٥٧ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢٣٤ .

(2) ابن خلدن ، **مقدمة ابن خلدون** ، ج ٣ ص ٩٣٣ .

(3) البخاري ، **صحيح البخاري** ، ج ٣ ص ١١٧٧ ، رقم (٣٠٤٧) ، باب (بدء الخلق) ، مسلم ، **صحيح مسلم** ، ج ١ ص ٥٦١ ، رقم (٨١٩) ، باب (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف) .

(4) البخاري ، **المصدر السابق** ، ج ٥ ص ٢٥٤١ ، رقم (٦٥٣٧) ، باب (ما جاء في المتأولين) ، و في ج ٤ ص ١٩٢٣ ، رقم (٤٧٥٤) ، مسلم ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٥٦٠ ، رقم (٨١٨) ، بـــاب (بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف) .

عليها ونبذ ما عداها ، وبعث مع كل مصحف قارئاً توافق قراءته أهل المصر في الأكثر الغالب[1] .

وقد أولى التابعون وتابعوهم في كل الأمصار القرآن الكريم عناية كبيرة ، وبرزت فيهم طائفة حصرت كل اهتمامها في دراسته وضبطه وتعليمه وإقرائه حتى غدوا أئمة يُرحل إليهم ، وكثرت أعدادهم ، فلمع من بينهم – أيضاً – اسم عدد محدد ، صارت تنسب إليهم قراءات ترتبط بأسمائهم ، فكانت قراءة عاصم وقراءة نافع وغيرهما ، وقد قيل أن من اشتهر منهم فاقوا الخمسة والعشرين قارئاً ، ولما كانت أواخر القرن الثالث الهجري قام أحد أبرز علماء القراءات – وهو أبو بكر بن موسى الشهير بابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ / ٩٣٥م) [2] – باختيار سبعة منهم ، رأى – وهو الإمام في القراءات – أنهم متميزون " بصحة النقل وإتقان الحفظ والأمانة على تأدية الرواية واللفظ "[3] ، وأن قراءاتهم قد استوفت شروط القبول ، وتمتعت بالسند الصحيح المتواتر ، وكان لها وجه شائع في اللغة العربية ، ووافقت قراءتها ما كان مخطوطاً في المصاحف العثمانية[4] ، وزاد بعضهم ثلاثاً أخرى فأصبحت عشر قراءات انعقد

---

(1) علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٣٠ ، القيسي ، **الإبانة عن معاني القراءات** ، تحقيق عبدالفتاح إسماعيل شلبي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ط ١٩٨٥م ، ص ٣٤ ، ٧٢ – ٧٤ ، الناشري ، **الشرح على متن الدرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر** ، تحقيق عبدالرزاق علي إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٩م ، ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ .

(2) شيخ صنعة القراءة ، سمع الحديث وقرأ القرآن الكريم على شيوخ عصره ، ثم تصدر لإقراء فأخذ عنه جمع من الطلاب في القراءات حتى قال ابن الجزري : " ولا أعلم أحداً من شيوخ القراءات أكثر تلاميذاً منه ، وأما اختياره للقراء السبعة الكبار المشهورين فقد ضمنه في كتابه (القراءات السبعة) ، انظر ابن الجزري ، **غاية النهاية في طبقات القراء** ، ج ١ ص ١٣٩ – ١٤٢ ، الذهبي ، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، تحقيق بشار معروف وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ج ١ ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١.

(3) ابن خالويه ، **الحجة في القراءات السبع** ، تحقيق د. حسن عبدالعال سالم ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧١م ، ص ٣٧ ، ٣٨ ، القطان ، **مباحث في علوم القرآن** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ٩ ، ص ١٣٧ ، ١٧٤ .

(4) ابن الجزري ، **النشر في القراءات العشر** ، صححه علي محمد الصباغ ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، (د ، ت) ج ١ ص ٩ ، د. سيد رزق الطويل ، **في علوم القراءات** ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص ٣٢ ، ٥٤ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢٣٦ .

الإجماع عليها بين سائر علماء الأمصار ، وعُدَّتْ القراءات دونها شاذة لا تصح القراءة بها[١] .

وكان اليمنيين كغيرهم من الأمصار الكبرى قد استقبلوا نسختهم من المصحف الشريف على عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ ، وأولوا القرآن الكريم عنايتهم واهتمامهم ، ولم يختلف حول تعلمه ودراسته أبناء المذاهب المختلفة ، ولعله العلم الشرعي الوحيد الذي لم يكن بين أبناء اليمن خلاف حول أحكام تلاوته ومبادئ تجويده وإن وجد فهو تعدد لأوجه القراءة وإثراء لأحكامها نتج عن التعمق في دراسته ، فقد تعددت أوجه تلاوته لديهم تبعاً لما كان يدور في الأوساط العلمية في الأقطار الإسلامية الأخرى ، وذلك بحكم الصلات الوثيقة بين العلماء اليمنيين وطلابهم مع أقرانهم في تلك الأقطار وما بني عليها من التأثير والتأثر .

وكان اهتمام اليمنيين بدراسة القراءات يتطور من قرن إلى آخر ، وانتشرت بينهم في القرون السبعة الهجرية الأولى قراءات معينة أكثر من غيرها ، وكان في مقدمتها قراءة أبي عمرو بن العلاء ، التي جاءت الرويات التاريخية مشيرةً إلى أن اليمنيين أكدوا على المربين ومعلمي الصبيان أن يعلموها لأبنائهم من الصغر[٢] ، وكانت قراءة نافع برواية تلميذه قالون منتشرةً في أوساط علماء القرآن الكريم في صنعاء وما حولها[٣] .

كان اهتمام علماء اليمن في مدة الدراسة بالقرآن الكريم وقراءاته كبيراً ، وقد استعرضنا في الفصول الثالث والرابع والخامس كثيراً من أمثلة لأماكن التعليم ومناهج تعلم القرآن الكريم والقراءات ومعلميه بين أعضاء الهيئة التعليمية في أماكن التعليم ، بل لقد جاء ذكر مدارس مخصصة للقراء في زبيد وغيرها[٤] بما يعكس مدى الاهتمام

---

(1) الزرقاني ، **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، تصحيح الشيخ أمين سليمان الكردي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٥م ، ج ٢ ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، القطان ، **مباحث في علوم القرآن** ، ص ١٧٩ ، ١٨٤ ، ١٨٥.

(2) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

(3) اللُحَجي ، **طبقات مُسلَّم اللُحَجي** ، ج ٤ ص ٢١٩ ، وهي الغالبة هناك حتى اليوم .

(4) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٢٣ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٢١٠ .

الذي أولاه اليمنيون لهذا العلم الشريف في مدة الدراسة من بداية القرن التاسع حتى أواسط القرن العاشر الهجريين[1] .

وإذا ألقينا نظرة على كل وثائق أوقاف المدارس العلمية في العهد الرسولي المبكر والأخير فإن واحداً من العناصر التي لم تهملها أي وثيقة واحدة منها هو وجود مدرس يضطلع بتدريس القرآن الكريم وعلم القراءات وتعيين طلبة يقرأون عليه هذا العلم ، غير معلم الأيتام الذي كان تعليم القرآن الكريم لهم من أهم المهام الموكلة إليه ، وهو ما عكس تقدم علوم القرآن الكريم عموماً والقراءات خصوصاً في تلك المدة ، ومدى الازدهار الذي شمل هذا العلم المهم كنتيجة حتمية لعناية الحكام والواقفين والعلماء والطلاب به فكان حفظ القرآن شائعاً بين أوساط اليمنيين حتى وردت بعض الإشارت التاريخية التي تحكي عن وجود ثلاثمائة وستين حافظاً في أسرة واحدة فقط ، كانوا يجتمعون في مسجدهم في أوقات الصلاة فيختمون بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر[2] .

وقد كثر علماء القراءات في اليمن في مدة الدراسة حتى بلغوا عدداً يستحق إفرادهم بالدراسة وحدهم ، وسنأتي إلى ذكر عدد منهم ، فنذكر في أوائل القرن التاسع الهجري الفقيه عبدالله بن محمد بن علي الصراري (ت٨٠٤هـ / ١٤٠١م) الذي طلب العلم واجتهد في التحصيل واستجاز عدد كبير من علماء عصره ، وبرز كواحد من اشهر المدرسين للعلم الشريف ، فدرس في عدد من المدارس الرسولية كالأفضلية وغيرها ، وإليه انتهت الرئاسة في علم القراءات ، فأخذ عنه كثير من الطلبة هذا العلم فأجازهم فيه وفي غيره[3] .

وممن آلت إليه رئاسة علم القراءات في مدينة زبيد عند مطلع القرن التاسع أيضاً المقرئ أبو بكر بن علي بن نافع الحضرمي (ت٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) الذي

---

(1) استقصى الباحث عبدالله عثمان علي المنصوري جهود اليمنيين خلال الثمانية الأولى للهجرة في العناية بالقراءات ودراستها وتدريسها وأشهر رجال القراءات اليمانيين ومراكز هذا العلم ، انظر عبدالله عثمان علي المنصوري ، **علم القراءات في اليمن من صدر الإسلام إلى القرن الثامن الهجري** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣م ، ص ٦٠ – ٢٤٥ .

(2) الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٥٢ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، الأكوع ، **المدارس الإسلامية** ، ص ١٩٢ .

وصفه ابن الجـــزري بأنه : " شيخ القراء بمدينة زبيد "[١] ، أخذ عن الإمـــام المقـــرئ علي بن شداد[٢] ، وجلس للإقراء ، فســمع عليه جمــع مــن معاصـــريه مــن زبيــد وغيرها[٣] .

واشتهر من العلماء بالاهتمام الكبير بعلم القراءات الفقيه الحنفي أبي بكــر بــن البرهان الضجاعي (ت في مطلع القرن التاسع الهجري) ، فقد كانت له مشاركة كبيرة في علم القراءات والتصنيف فيها ، حيث جاءت الرواية التاريخية تحكي عنه أنه وضع كتباً في هذا العلم بلغ ثلاثين جزءاً وأسماه (مقدمة في القراءات الـــسبع)[٤] ، وزعــم البعض أنه كتبه بالذهب والفضة وأوقفها على مسجد الأشاعر بزبيد[٥] .

وممن برز في علم القراءات والتجويد الفقيه المقرئ رضي الدين أبو بكر علــي بن المقرئ (٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ، ذكر بعض المؤرخين أنه رحل في طلــب علــم القراءات إلى بعض نواحي تعز ، واجتهد فيها حتى برز في القراءات الـــسبع وتجويــد القرآن الكريم ، ودرّس فيهما[٦] ، ومثله كان المقرئ صفي الدين أحمد بن أبي بكر بن متبع العودي (ت حوالي ٨١٠هـــ / ١٤٠٧م) مجيداً للقراءات السبع ، انتفع به محبي هذا العلم من الطلبه ، فتخرج على يديه عدد منهم[٧] .

---

(1) ابن الجزري ، **غاية النهاية في طبقات القراء** ، ج ١ ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

(2) الإمام المقري أبو الحسن موفق الدين علي بن أبي بكر بن محمد بن علي بن شداد الحميري (ت٧٧١هــ / ١٣٦٩م)، فقيه مقرئ نحوي لغوي محدث محقق مدقق في هذه العلوم كلها ، وإليه إنتهت الرئاسة فـــي هذه العلوم في اليمن ، خصوصاً علم القراءات ، وكان تفقهه وأخذه عن جمع من كبـــار العلمـــاء ، كـــان مبارك التدريس ، ما قرأ عليه أحدٌ إلا انتفع به ، وإليه انتهت الرحلة في علمـي الحـــديث والقـــراءات ، وقصده الطلبة من أقطار النواحي ، انظر ، الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن** ، ج ٣ ص ٧٦ ، الـــشرجي ، **طبقات الخواص** ، ٢٣١ ، بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ص ٦٣٣ ، ٦٣٤ .

(3) ابن الجزري ، **غاية النهاية في طبقات القراء** ، ج ١ ص ١٨٢ ، ١٨٣.

(4) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١١ ص ٢٨ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٤ .

(5) الحبشي ، **المصدر السابق** ، الصفحة نفسها .

(6) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٦٠ .

(7) **المصدر السابق** ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

ومنهم أيضاً العلامة المقرئ وجيه الدين عبدالرحمن بن هبة الله بن عبدالرحمن الملحاني (ت بعد ٨١٥هـ / ١٤١٢م) الذي برز في القراءات السبع بدراسته لها على عدد من مقرئي بلده، وأخذ أيضاً في النحو واللغة وغيرهما ، وعُين إماماً في المدرسة الأشرفية الجديدة بمدينة تعز، فلم يكتفِ بالإمامة فيها فقط ، بل دَرَّسَ بها وانتفع بعلمه – والقراءات على وجه الخصوص – عدد كبير من الطلبة[١] .

ومنهم أيضاً المقرئ شرف الدين أبو القاسم بن محمد السهامي (٨١٧هـ / ١٤١٤م) ، وهو أحد تلاميذ المقرئ علي بن شداد ، وأخذ عن غيره أيضاً ، أجاد القراءات السبع حتى أصبح المشار إليه فيها بمدينة زبيد ، جلس للتدريس بها فأفاد كثيراً من الطلاب الزبيديين والوافدين إليه من غيرها[٢] .

وكان في القراء اليمنيين أيضاً المقرئ تقي الدين عمر بن أبي بكر الكلالي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) ، قيل في وصفه بأنه كان مقرئاً ناسكاً ، برع في القراءات السبع ، وأجاد التلاوة مع حسن صوته وقدرته على التدريس فيها ، وبذل نفسه للطلبة فأقرأهم القراءات السبع مع اشتغاله بأعمال الزراعة ومباشرتها بيده وقيامه بحق إمامة الجامع الكبير بمدينة إب حتى وفاته[٣] .

ومنهم أيضاً المقرئ الإمام جمال الدين محمد بن يحيى بن محمد الهمداني الأسختي المشهور بالشارقي صاحب صعفان ببلاد حراز (ت٨٢٠هـ / ١٤١٧م) الذي أجاد القراءات والنحو حتى قصده الطلاب من الآفاق البعيدة والقريبة ، وكثر تلاميذه ، وكان فيهم من وفد إليه من خارج اليمن كالمقرئ أحمد بن سعد بن مسلم الأريحي الدمشقي القادم من بلاد الشام ، والمقرئ علي النخلي ، واشتهر تلاميذه ونودوا بالمقرئين إذ اشتهر منهم : المقرئ أحمد الشويظي ، والمقرئ علي الأبْـيَنِي ، والمقرئ عبدالرحمن الملحاني السابق نفسه ، والمقرئ سعيد السورقي[٤] .

وقام الإمام العلامة صفي الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد البُرَيْهي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) بجمع مسائل في القراءات وعلق عليها تعاليق

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٠٥ .

(2) المصدر السابق ، ص ٢٩٨ ، الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٥٢ .

(3) البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٤٢ ، ٤٣ .

نافعة جمعها من كتب كثير لينتفع بها الطلبة[1] ،غير أن الكتاب لم يـصلنا ، ولا حتـى اسمه وعنوانه .

ومن أعلام المقرئين باليمن في فترة الدراسة أيضاً الإمام العلامة المقرئ صفي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد البريهي (ت٨٣٣هـ / ١٤٣٠م) الذي تلقى القراءات السبع عن مجموعة من مقرئي عصره أمثال المقرئ عبـدالرحمن الملحاني والمقرئ عثمان النجراني وغيرهما ، كما تلقى الحديث عن الشريف تقي الدين الفاسي المالكي المؤرخ وعن حافظ اليمن ومحدثها الإمام نفيس الدين سـليمان العلـوي حتى صار إماماً فيهما – أي في القراءات والحديث[٢] .

غير أن القفزة العظمى في تطور علم القراءات في اليمن كان في نهايـة العقـد الثالث من القرن التاسع الهجري عندما نزل على اليمن واحد من أشهر علماء القراءات على الإطلاق على مستوى العالم الإسلامي ، ألا وهو الإمام المقرئ شمس الدين أبـو الخير محمد بن محمد بن يوسف الجزري (ت٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) ، الـذي كـان رحّـالاً في طلب العلم ، لم يترك بلداً من دار الإسلام وغيرها يومـذاك إلا ودخلـه ، عددها بعض المؤرخين فكانت قريب عشرين بلداً[٣] ، وكان دخوله اليمن في إطار هذه الرحلات العلمية ، وكان وصول الإمام ابن الجزري إلـى زبيـد سـنة (٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) أيام سلطنة المنصور الثاني عبدالله الرسولي (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) الـذي أحسن إليه أيما إحسان ، وعقدت له مجالس العلم في أكبر مساجدها ، وحضر بين يديه كبار علمائها ، وكان طلبة العلم الذين حضروا حلقته يوصفون بأنهم " خلائق كثيرة "[٤] ، سمعوا عنه أغلب مؤلفاته في علم القراءات مثل (تحبير التيسـير) ومنظومة (طيبة النشر في القراءات العشر) و (تقريب النشر في القراءات العشر) و (النـشر فـي القراءات العشر) ، فنشروا – هم وتلامذتهم – هذا العلم في جميع أرجاء الـيمن بعـد ذلك ، وألفوا فيه الكثير من الكتب كما سيأتي .

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٩٩ .

(2) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(3) المصدر السابق ، ص ٣٤٦ .

(4) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

فممن أخذ علم القـراءات عن الإمام ابن الجـزري نذكر المقرئ أحمـد بـن محمد الأشعري (ت٨٤١هـ / ١٤٣٧م) الذي لازمه وسمع منه أغلب مؤلفاته ، ذكر المعاصرون له من المؤرخين أنه : " حقق القراءات السبع ، وأخذ تمام العشر على ابن الجزري وغيره ، وهو الآن المرجوع إليه في القراءات ورسم المـصاحف "[١] ، وقـد جلس لإقراء القراءات في زبيد ، واشتهر طلابه وبرز عدد منهم ، يأتي فـي مقـدمتهم الفقيه المقرئ المشهور عثمان بن عمر الناشري الآتي ذكره ، واسـتجازه فـي علمـه العلماء من خارج اليمن[٢] .

ومن تلاميذ الإمام ابن الجزري أيضاً القاضي المقرئ جمال الدين عبـدالله بـن محمد بن علي الناشري (ت٨٤١هـ / ١٤٣٧م)[٣] ، حفظ القـرآن الكـريم وحفـظ منظومة الشاطبية في القراءات ، وأخذ القراءات السبع على المقري الكبير علـي بـن محمد الشرعبي (ت٨٧١هـ / ١٤٦٦م) وأحمد بن محمد الأشعري ، وأتم الثلاث تمام العشر على الإمام ابن الجزري لما نزل زبيد ، ولما رحل إلى مكة أخذ القراءات هناك مرةً أخرى عن طريق أشهر علمائها والنازلـين بها ، ودرّس في هـذا العلم وفي الفقه أيضاً ، حيث رُتب مدرساً له في المدرسة المؤيدية بتعز وبعض مدارس زبيد[٤] .

ومن أشهر تلاميذ الإمام ابن الجزري وأشهر علماء القراءات في الـيمن فـي القرن التاسع الإمام المقرئ عفيف الدين عثمان بن عمـر الناشـري (ت٨٤٨هــ /

---

(1) ابن أسير ، **الجوهر الفريد** ، ق ٢٠٠ – ب .

(2) ابن فهد ، **معجم الشيوخ** ، تحقيق محمد الزاهي ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٨٢م ، ص ٨٤ .

(3) خرج من قرية الناشرية عدد من أبرز رجال الفكر الإسـلامي في اليمن ، أطلق بعض المؤرخين علـى عدد منهم لقب (شيخ الإسلام) ، وتولى منصب (قاضي قضاة اليمن) منهم خمسة رجال ، وهـم مـن مفاخر اليمن على مدار قرون ، ونورد هنا ما ذكر المؤرخ البريهي في ترجمة الإمام المقرئ عفيف الدين الناشري الآتي ذكره عنه وعن أهل بيته ، إذ يقول : " صاحبنا الفقيه المقرئ عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري ، واسطة بيت معمور بالأئمة الأجلة ، التي تطلع سماؤه أهِـلَّةً بعد أهِـلَّة ، سُلِّمتْ لهم الـسيادة والإفادة ، مشهود لهم بالعلم والزهد والعبادة :

قومٌ لهمْ مِنْ كُـلِّ عِلـمٍ مَـشْرَبٌ ... وجَلالُهمْ وكَمـالُهمْ مَـشْهورُ
وجَمَالُهمْ فوقَ الورى ، ولِصَدرِهم ... مِنْ فَيْضِ عِلْمِ العالمِينَ صُدُورُ

انظر البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١١٤ .

(4) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٥ ص ٥٨ ، الأكوع ، **المدارس الإسلامية** ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

١٤٤٤م) ، مدحه المؤرخون بكونه إماماً في البلاغة وحسن المحاضرة والفطنة والذكاء وجودة الفهم ، حفظ القرآن الكريم وتلقى علم القراءات السبع على المقرئ أحمد الأشعري قبل أن يتجاوز العشرين من عمره ، تلقى عدداً من العلوم الأخرى كالنحو والحديث والفقه والأصول على عدد من أشهر العلماء كشيوخ الإسلام الإمام ابن حجر العسقلاني والإمام علي بن أبي بكر الناشري والإمام الطيب بن أحمد الناشري والإمام جمال الدين بن الخياط والإمام المحدث نفيس الدين العلوي والإمام إسماعيل ابن المقرئ والإمام المقرئ علي بن محمد الشرعبي[١] ، وقد مضى ذكر معظم من سبق مرات عدة في الفصول السابقة ، وما منهم إلا من اشتهر بلقب شيخ الإسلام وهو ما انعكس على هذا الرجل ، فكان تميزه في العلوم ، ولما وفد الإمام محمد بن الجزري إلى زبيد جمع عليه العفيف عثمان الناشري علم القرءاءت العشر ، وقرأ عليه كتباً كثيرة وأجازه فيها، وقد اشتهر بالتدريس ، فرتبه السلطان الظاهر يحيى الرسولي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) مدرساً بالمدرسة الظاهرية والمرشدية بتعز ، ثم انتقل إلى التدريس في المدرسة الأسدسة بمدينة إب .

صنف الإمام عفيف الدين عثمان الناشري عدداً من الكتب في علم القراءت بما يثبت جودة علمه وتعمقه فيه ، ومن أشهر كتبه (إيضاح الدرة المضيئة في قراءة الثلاثة الصحيحة المرضية)[٢] وهو شرح على كتاب (الدرة المضيئة) لشيخه الإمام ابن الجزري ، وله أيضاً كتاب (الدر الناظم لرواية حفص عن عاصم)[٣] وكتاب

---

[1] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١١٥ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٦ ص ١٣٤ .

[2] منه عدة نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية التابعة لوزارة الأوقاف ، وهي تحت أرقام (١٥٤٩ ، ١٥٦٧ ، ١٦٠٦ قراءات) ، انظر الرقيحي ، **فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ، شارك في الفهرسة عبدالله محمد الحبشي وعلي وهاب الآنسي ، نشر وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية اليمنية، ط ١ ، ١٩٨٤م ، ج١ ص ٢٤ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي، ط ٣ ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٨ .

[3] منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية التابعة للهيئة العامة للآثار والمخطوطات ودور الكتب تحت رقم (٢٣٥٦ قراءات) ، انظر الرقيحي ، **المرجع السابق** ، ج١ ص ٤٤ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٢٣ .

(الهداية إلى تحقيــق الرواية)[1] وكتاب (الدر المكنون في رواية الدوري عن حفص وقالون)[2] وكتاب (نفائس الهمــزة في وقف هشام وحمــزة)[3] .

وكان للفقيه بدر الدين حسن بن محمد بن سعيد الشظبي (٨٣٥هــ / ١٤٣٠م) مشاركة في علم القراءات نتج عنها مصنفه فيها الموســوم بـــ (الزراري المسفرة نظم الدرة) نظم بها كتاب (الدرة المضيئة) في علم القراءات للإمام محمد بن الجزري[4].

كما كان الفقيه المقرئ عفيف الدين جعفر بــن الهمــام الــشرعبي الجبــري[5] (ت٨٣٦هــ / ١٤٣٢م) على معرفة تامة في القراءات السبع بتتلمذه علــى المقــرئ جمال الدين الشارقي ، واستقر في دِمْنَات القُحَاف من جبل حَبَشِي بتعز ، وتخــرج بــه جماعة من طلبة علم القراءات ، ومنهم من برز فيه وطار صيته حتــى فــاق شــيخه كالمقرئ الشهير شمس الدين علي بن محمد الرفدي الشرعبي[6] .

ومن علماء القراءات المشهورين بصنعاء في مدة الدراسة نذكر المقرئ العلامة جمال الدين محمد بن إبراهيم الساودي الخولاني (ت٨٦١هــ / ١٤٥٦م) ، قرأ فــي علم القراءات فأجاد السبع منها ، وجمع معها الحديث والنحو والأصول على جماعة من أئمة عصره وأجازوا له ، قيل عنه : " كان وحيد عصره ، ومقرئ مــصره ، وفريــد دهره في بلده ... اتفقوا على أنه لم يكن في زمنه بصنعاء وذمار وصعدة وغيرها مــن

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٩ مجاميع) ، انظر الرقيحي ، **فهــرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ، ج١ ص ٢٦١ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في الــيمن** ، ص ٢٣ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة الملك سعود تحت رقم (١٢١٢) ، ونسخة أخرى بالمكتبة المركزية لجامعة صنعاء تحت رقم (٩٣ مجاميع) ، انظر الحبشي ، **المصدر الــسابق** ، ص ٢٣، عبــدالله قائــد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢٤٣ .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٩٣ مجاميع) ، انظر الرقيحي ، **فهــرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ، ج ١ ص ٨٣ ، الحبشي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٨.

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٢٢ ، الحبشي ، **المصدر السابق** ، ص ٢١ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٢ ص ١١١ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٣٤٦.

(5) نسبةً إلى قبيلة وليس إلى المذهب الاعتقادي ، انظر البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٦٠ .

(6) **المصدر السابق** ، ص ٢٦٠ .

تلك الجهات العليا من يماثله ويدانيه في علم القراءات السبع "(١) ، وفدت عليه الطلبة من جهات عدة فأفادهم في كل علومه ، وصنف في القراءات كتاباً حافلاً في ثلاثة مجلدات كبيرة ، وأسماه (فكاهة البصر والسمع في معرفة القراءات السبع)(٢) ، ووضع كتباً مختصراً في قراءة نافع وأبي عمرو بن العلاء .

ومن أشهر علماء القراءات – أيضاً – في اليمن في مدة الدراسة يأتي المقرئ العلامة شمس الدين علي بن محمد الرفدي الشرعبي (ت٨٧١هـ / ١٤٦٦م) الذي يُعدُّ من أشهر المقرئين اليمنيين عموماً في القرن التاسع الهجري ، تلقى هذا العلم على عدد من أكبر رجاله وأئمته في اليمن ، وجلس إلى أقرانهم في مصر والمدينة المنورة ومكة المكرمة ، وهو معدود في تلاميذ الإمام الشهير شمس الدين محمد بن محمد الجزري ، إذ لازمه في مدة وفادة إلى اليمن – المشار إليها سابقاً – فأجازه في القراءات العشر ، فكان العمدة في تدريسها ، وأصبح محور علومها ، ويكفي للدلالة على ذلك قول المؤرخ البريهي(٣) ، وهو معاصر له ، يقول : " كان وحيد عصره في علم القرآن وما أشكل منه ... حتى لم يبق بمدينة تعز وما قاربها مقرئ إلا من دَرَسَته أو دَرَسَةِ دَرَسَتِه... كان جهوري الصوت ، لافظاً ، حافظاً ، ثبتاً ، محققاً ... " ، ولم يكتفي علم القراءات فقط ، فقد كانت مشاركته قوية في الحديث والتفسير ، وكان من أشهر الخطباء وأبلغهم في اليمن ، لذلك فقد رتب خطيباً في أكبر مساجد الجامعة بمدينة تعز – حاضرة الدولة ، فدام على الخطابة فيه أربعين سنة ، وكان " إذا وعظ وجلت القلوب لوعظه ، وشفيت الصدور ببليغ لفظه ، وأسكبت الدموع وحصل الخشوع ... "(٤) .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤.

(2) من المجلد الثاني نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، وهي تحت رقم (٦ قراءات) ، ومن المجلد الأول نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٥٥٧) ، ونسخة أخرى بالمكتبة الأخيرة نفسها تجمع المجلدين الثاني والثالث معاً ، وهي تحت رقم (١٥٥٨) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٣٠ ، الرقيحي ، **فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ، ج ١ ص ٦٢ ، ٦٣ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٤.

(3) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤٢ .

(4) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

ولما كان الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْـرَق (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) من أكثر علماء اليمن تأليفاً ، ومن مفاخرها في سعة المعرفة وجودة التصنيف[١] فقد ترك – ضمن موروثه التأليفي – مصنفات في القراءات ، هما كتابا (مختصر النهاية للناشري) و (شرح الجزرية)[٢] .

وكما عُرِفت الزيدية ورجالها بكثرة اشتغالهم في العلوم العقلية والفلسفية كعلم الكلام وغيره ، وكذلك في علوم الفقه والتفسير ، إلا أن عطاؤهم – على الأقل من وحي المصادر التاريخية اليمنية الزيدية وغيرها – قد قلَّ إلى حد غريب في علوم القراءات في مدة دراستنا ، إذ لم يُشِرْ صاحب (طبقات الزيدية الكبرى) إلا إلى العلامة علي بن إبراهيم بن علي العابد (ت٩٣٣هـ / ١٥٢٧م) الذي أخذ علم القراءات السبع على علماء بيت الفقيه ابن عجيل بتهامة[٣] .

وهناك عدد كبير آخر من المقرئين اليمنيين الذين يمكن وصفهم – من خلال تراجمهم – بأنهم كانوا أقل شهرة وإجادة في علم القراءات ممن ذكرناهم ، فقد انتشرت في كتب التواريخ والتراجم اليمنية أخبارهم ، وتم حصر ما يزيد عن عشرين مقرئاً آخر غير المذكورين هنا ، وفي الإشارة مواضع تراجمهم ما يكفي للعودة إليها[٤] .

إن هذه الثلة الكريمة من علماء القراءات في اليمن هم في الحقيقة المقرئين المشار إليهم في هذا العلم في القرن التاسع – في الغالب – إذ لم يقيظ الله تعالى لرجال

---

(1) وصفه المؤرخ محيي الدين عبدالقادر العيدروس في **النور السافر** ، ص ١٣٣ فقال : " كان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين ، اشتغل بالعلوم ، وتفنن بالمنطوق منها والمفهوم ، وتمهر في المنثور والمنظوم ، وكانت له اليد الطولى في جميع الفنون ... ما رأيت أحداً من علماء حضرموت أحسن ولا أوجز عبارة منه .

(2) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٣٦ ، الشِّلِّي ، **السنا الباهر** ، ص ٢١١ ، ولم أهتدِ إلى الكتاب المشار إليه بـ (النهاية) للناشري ، وأي العلماء الناشريين المنسوب إليه ، وأما الجزرية فهي منظومة (طيبة النشر في القراءات العشر) للإمام محمد الجزري .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٨٩ .

(4) ابن الديبع ، **نشر المحاسن اليمانية** ، ص ٢٠٦ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٧٩ ، العيدروس، **النور السافر** ، ص ١٣٣ – ١٤٠ ، الشِّلِّي ، **السنا الباهر** ، ص ٢١١ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ١١١ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٩، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢١٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

☒ التفسير :

التفســير في اللغة هو الكشـف والإيضاح والتبيين ، وهو المعنى الـوارد في قـوله تعالى : ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[1] ، أما معنى التفسير في الاصطلاح الشرعي فهو : " توضيح معنى الآية وشأنها وقصتها وسـبب نزولها بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة[2] ، وقد اتسع المعنى الاصـطلاحي لتصبح دلالة (التفسير) التي ينصرف إليها ذهن القارئ والسـامع أنه " علم يبحث عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية "[3] .

والمعروف أن النبي ﷺ هو أول من بَيَّنَ لصحابته – رضوان الله عليهم أجمعين – معاني القرآن ومدلولات ألفاظه كجزء من مسؤوليات قيامه بواجب تبليغ رسالته ، وامتثالاً لقـول الله تعالى : ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4] ، فكان الصحابة إذا أخذوا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، ولم يكتفوا بما كان يبادر النبي ﷺ إلى بيانه وإيضاحه من معاني الآيات وتفاسيرها في المناسبات المختلفة ، بل كانوا يلقون عليه الأسئلة المباشرة عما كان يعنُّ لهم من الاستفسارات حول ما يتلونه من كتاب الله الكريم[5] .

تدافعت أجيال المسلمين المتلاحقة عبر قرون طويلة للاهتمام بالقرآن الكريم ، وكما سبق توضيح دواعي اهتمامهم بعلم القراءات فإن تلك الدوافع هي نفسها التي ارتكز عليها انصرافهم إلى الاهتمام بالتفسير باعتباره أحد العلوم اللصيقة بالكتاب الكريم بصورة مباشرة ، وينبغي الإشارة إلى أن الاهتمام بدراسة التفسير كانت أوسع

---

(1) سورة الفرقان .

(2) الجرجاني ، **كتاب التعريفات** ، ص ٨٧ .

(3) الزرقاني ، **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، ج ١ ص ٣٣٤ .

(4) سورة النحل .

(5) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسـادس الهجـريين** ، ص ٢٣١ .

بكثير من الاقتصار عليه أو التأليف والتصنيف فيه ، فمن غير المعقول أن يكـــون هناك طالب علـــم لم يكن التفســـير في مقدمة العلوم التي درســـها ، إلا أن الخوض في هذا العلم والإســـهام في الكتابة فيه تســـتلزم إتقان علوم أخرى تمثل أدوات أســـاسية وشـــروط أولية ، وبدونها يصبح العمل ضرباً من العبث في حقل لا يجوز فيه الخوض لكل عابث ، وأهم هذه العلوم علم اللغة والنحو التصريف وعلوم البيان والمعاني وأصول الفقه والقراءات[1] .

استشعار العلماء لخطورة الكتابة للتفاسير ووجود احتمالية الخطأ في اجتهاد استخراج الأحكام والمعاني بما يُذهب الفكر بعيداً عن مراد الله تعالى في الآيات جعل العديد منهم يكتفي بدراسة التفاسير المتوافرة والاحتفاظ بالرؤى الشخصية حوله للذات والطلاب المتلقين عنهم ، وانصرفوا عن التصنيف فيه مع امتلاكهم لنواصي كل العلوم المشروط توافرها لدى المفسر ، وهذا هو التعليل الذي يأتي وراء قلة المصنفات في هذا العلم مقارنة مع غيره من العلوم الشرعية الأخرى .

كان الصحابيان الجليلان عبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس ﷺ أشهر الصحابة في نقل التفسير وإشاعته تدريساً بين التابعين في الأمصار التي حلوا فيها ، وكان ابن عباس أشهر الاثنين وهو المعروف بحبر الأمة وترجمان القرآن ، وعلى يديه تتلمذ عدد من أبناء اليمن ونقلوه إلى أرضهم ، وبرزت في هذا العلم أسماء بعضهم بشكل لافت ، وفي مقدمة هؤلاء طاووس بن كيسان[2] (ت١٠٥هـــ / ٧٢٣م) ووهب بن منبه[3] (ت ١١٤هـــ / ٧٣٢م) ، وجاء معمر بن راشد (ت١٥٢هـــ / ٧٦٩م)

---

[1] د. محمد حسين الذهبي ، **التفسير والمفسرون** ، مكتبة وهبة ، القـــاهرة ، ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ج ١ ص ١٦ ، ١٧ .

[2] خليفة ، **الطبقات** ، دار طيبة ، الرياض ، ط ٢ ، ١٩٨٢م ، ص ٢٨٧ ، ابن سعد ، **الطبقات الكبـــرى** ، ج٥ ، ص ٣٤٩ – ٣٥٢ ، ابن أبي حاتم ، **الجرح والتعديل** ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أبـــاد الدكن ، الهند ، ودار الكتب العلمية ، بيروت ، ج ٤ ص ٥٠٠ ، ، اليافعي ، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٧م ، ج ١ ، ص ١٨٠ ، العامري ، **غربـــال الزمـــان** ، ص ١٠٠ ، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب** ، ج٢ ، ص ٢٣٥ ، النووي ، **تهذيب الأسماء واللغات** ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦م ، ج١ ، ص ٢٣٩ .

[3] خليفة ، **الطبقات** ، ص ٢٨٧ ، ابن سعد ، **الطبقات الكـــبرى** ، ج٥ ، ص ٣٥٣ ، ابـــن أبـــي حـــاتم ، **الجرح والتعديل** ، ج ٤ ، ص ٢٤ ، اليافعي ، **مرآة الجنـــان** ، ج ١ ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ ، العـــامري ،

إلى اليمن ونزلها – كما سبق بيانه في الفصل الأول – ونقل إلى اليمن علم التفسير الذي كان قد تلقاه على علماء البصرة ، وكان الأخير هو صاحب أول محاولة للتأليف في التفسير ، وجاء تفسيره معتمداً على المأثور من الحديث الشريف وأقوال السلف من الصحابة والتابعين ، وأسهم المحدثون اليمنيون – من تلاميذ من سبق ذكرهم– كعبدالرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ / ٨٢٦م) في نشـــر علم التفســـير على طريقة معمـــر بن راشد فصنف (تفسير القرآن العظيم)(١) ؛ ولذلك كان التفسير المشهور آنذاك هو التفسير بالمأثور(٢) ، ثم توالى اهتمام اليمنيين بعلم التفسير بنسب متفاوته على مدار القرون التالية ، وظهر التفسير بالرأي خاصة عند الزيدية متأثير بالنزعة الاعتزالية ، إلا أن اهتمامهم بالتأليف فيه – إجمالاً – كان أقل بكثير من اهتمامهم بالتأليف في غيره .

وفي مدة دراســـتنا كان الاهتمام بهذا العلم الشريف قد ازداد مقارنة مع ما كان عليه من قبل – دراسة وشرحاً وتصنيفاً – فتكررت الإشارة في تراجم العلماء إلى دراستهم ومشاركتهم في التفسير ، وأقبل عليه طلاب العلم ، وكان التفسير مادة أساسية لدى كل المعلمين في المدارس والهِجَرِ والقرى العلمية في أرجاء الساحة اليمنية ، وتعددت تصانيفهم فيه ، وغلب على تصانيفهم الشروح والحواشي والمختصرات على التفاسير المعتمدة من علماء المسلمين خارج اليمن ، هذا بالإضافة إلى تفاسيرهم المستقلة ، وبرزت لديهم ظاهرة التأليف في مجال تفسير الآيات القرآنية المتعلقة بالأحكام .

وقد تم بيان قائمة المقررات الدراسية الأساسية التي غلب على طلبة العلم في اليمن دراستها على أيدي العلـــماء ، ومن التفاســـير التي لقيت عناية كبـــيرة من العلـــماء وطلبتهم يأتي تفســـير (الكشـــاف عن حقائق التنزيل) لجار الله أبي القاسم

غربال الزمان ، ص ١١١ ، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب** ، ج ٤ ، ص٣٣٢ ، ٣٣٣ ، النووي ، **تهـذيب الأسماء واللغات** ، ج ٢ ، ص ٤٤٥ .

(١) نشرته مؤخراً مكتبة الرشد بالرياض ، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٩م بتحقيق مصطفى مسلم محمد.

(٢) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ، ص ١٢٨ ، الحبشي ، **مصادر الفكـــر الإســـلامي فـــي الـــيمن** ، ص ١٣ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخـــامس والـــسادس الهجـــريين** ، ص ٢٣٢، ٢٣٣ .

محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ / ١١٤٣م) الذي انتشرت دراسته وشروحه في كثير من مناطق اليمن ، واعتنى به علماء الزيدية بشكل خاص لاتفاقهم مع الزمخشري في العقيدة الاعتزالية ، وكذلك (تفسير النقاش) الذي اعتنى به طلبة العلم في المناطق السنية بشكل أوسع ، ودرسه طلبة العلم حتى أن بعضهم كان يستحضره غيباً[١] ، ويأتي ذكر (تفسير الواحدي) - أيضاً - كواحد من التفاسير التي اعتنى بها اليمنيون كثيراً ، ودرسها أغلب علمائهم منذ القرن السادس الهجري ، واستمرت العناية بها حتى مدة دراستنا ، وورد اسمه في كثير من تراجم العلماء وإجازاتهم العلمية .

فمن العلماء الذين اهتموا بعلم التفسير في القرن التاسع الهجري يُذكَرُ الفقيه برهان الدين إبراهيم بن علي بن إبراهيم البريهي (٨٠١هـ / ١٣٩٩م) الذي وصف بأنه كثير التلاوة للقرآن العظيم ، وكانت له مشاركة في علم التفسير[٢] ، ومنهم أيضاً الإمام العلامة الحافظ المحدث شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن علي العَسْقَلي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) ، كان من متعدد المواهب ، واسع الاطلاع ، كانت مشاركة قوية في عدد من العلوم ، فهو فقيه نحوي لغوي مفسر محدث ، والغالب عليه الفقه والحديث والتفسير ، فكان أغلب مفسري تهامة ومحدثيها وفقهائها - في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري حتى أوائل القرن التاسع - من تلامذته ، وكانت له معرفة تامة بالرجال والتواريخ والسير أصول الدين[٣] .

وكان للإمام العلامة القاضي جمال الدين محمد بن عمر العوادي (ت٨١٠هـ / ١٤١٧م) يد طولى ومشاركة قوية في التفسير والحديث والفقه ، وذلك أنه كان من أنجب تلاميذ الإمام المفسر الكبير مجد الدين الفيروزابادي الشيرازي[٤] .

---

(1) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ١٥٧ ، ٢٣٤ ، الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ١ ص ٢٤٢ ، **العقد الفاخر الحسن** ، ق ١٠٠ - أ .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٨٧ .

(3) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٤٧ .

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٥١ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ .

أما واسطة العقد بين العلماء المفسرين في اليمن في مدة الدراسة فهو الإمام اللغوي المفسر المحدث مجدالدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) ، الذي استوطن اليمن حتى توفي بها فعد في أهلها، وأغلب المفسرين في مدينتي تعز وزبيد - ومن هاجر إليهما لتحصيل العلوم - هم تلاميذه ، وقد تضمنت تراجمهم الإشارة إلى تتلمذهم عليه كواحدة من شواهد تميزهم، وأوردت المصادر وكتب الببليوجرافيا كثيراً من مؤلفاته بما يبين علو كعبه على كل علماء اليمن ، بل على علماء عصره عموماً ، فمن مصنفاته في التفسير كتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)[1] وهو في ستة مجلدات كبيرة ، وله في التفسير أيضاً (تنوير المقباس في تفسير ابن عباس) ، وكتاب (الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم) ، وكتاب (حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص) ، وكتاب (تفسير فاتحة الكتاب) ، وكتاب (شرح قطبة الخشاف في شرح خطبة الكشاف)[2] ، وله أشعار تدل على إلمامه بالتفسير ، منها ما قوله :

أَلا إِنَّمَا القُـرْآن تِسْـعَةُ أَحْرُفٍ
أَتَيْتُ بِهَا في بَيْتِ شِعْرٍ بلا خَلَلْ
حَـلالٌ حَـرَامٌ مُحكَمٌ مُتَشَابِهٌ
بَشِـيْرٌ نَذِيْرٌ قِصَّةٌ عِظَةٌ مَـثَلْ[3]

ومنهم أيضاً الإمام محمد بن علي بن عبدالله بن إبراهيم الخطيب الموزعي الشهير بابن نور الدين (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) بارعاً في التفسير ، وصنف فيه كتاباً

---

(1) طبعه المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالأزهر الشريف - بتحقيق محمد علي النجار - ضمن إصداراته في قائمة أمهات كتب التراث الإسلامي في العام ١٩٦٣م ، ومازالت طبعاته تتتابع عن المجلس نفسه .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٥ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٠ ص ٨١ ، حاجي خليفة ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ج ٢ ص ١٧٤٧ ، ١٠٨١ ، الفاسي، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين** ، ج ٢ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥.

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٨ .

يعد من أفضل مؤلفات اليمن في فيه ، وسماه (تيسير البيان في أحكام القرآن)[1] ، وقد وصفه الأهدل[2] – تلميذ ابن نور الدين الموزعي – فقال : " " وهذا الكتاب نسيج وحده، وفريد عقده " .

ومن أعلام الزيدية في التفسير الإمام العلامة يوسف بن أحمد بن عثمان العيني الثلائي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) ، كان له في التفسير مصنفات نفيسة ، اعتمدها الزيدية ضمن مقرراتهم الدراسية طيلة قرون ، وأهمها في التفسير كتاب (الثمرات اليانعة من آي القرآن المجتناة من كلام الرحمن)[3] في تفسير آيات الأحكام ، وهو الذي استخرج منه الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) كتابه ، (منهاج الخيرات في اقتطاف نفائس الثمرات)[4] ، وللإمام يوسف أيضاً كتاب (التيسير في التفسير)[5] .

---

[1] منه نسختين خطيتين في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٦٠ تفسير) و (٢٦٧ تفسير) ، كما أورد علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٤٩ أن أحمد محمد يحيى المقري قد قام بتحقيقه، ونال به درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ، ونقل من المقدمة قول المصنف ابن نور الدين : " استخرت الله الحكيم العليم في تصنيف صغير حجمه ، خفيف حمله ، كثير نفعه ، كبير قدره ، يكون تنبيهاً للطالبين على منهاج العلماء السالفين في استخراج الأحكام ومعرفة الحلال والحرام ليعلموا صنعهم ويقتفوا أثرهم ، بسابق فضل الله عليهم ورحمته لهم ... " الموزعي ، **تيسير البيان في أحكام القرآن** ، ص ٢- ٣ .

[2] **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٦٠ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

[3] وقد حقق جزءاً منه محمد محفوظ زين العابدين ونال به درجة الدكتوراه من جامعة الأزهر ، ومن الكتاب نسخ مخطوطة عديدة منها في مكتبة الجامع الكبير الغربية اثنا عشر مجلد تحت أرقام (٢٦ – ٣٥ تفسير) و (٩٩ تفسير) و (٢٤١ فقه) ، وفي مكتبة الجامع الكبير الشرقية سبعة مجلدات لم يورد المصدر أرقامها ، ومنها نسختين بمكتبة محمد بن عبدالملك المروني ، وأخرى بمكتبة العلامة مجد الدين المؤيدي بصعدة ، وأخرى في مكتبة يحيى رواية بصعدة أيضاً ، ونسخة أخرى في مكتبة جامع المدان بمحافظة حجة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١١٧٣ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٦.

[4] الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

[5] ابن المزيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١٢٧٩ .

من العلماء اليمنيين الذين حققوا علم التفسير وأشير إليه كأحد العلوم التي برزوا فيها يأتي شيخ الإسلام العلامة الإمام إسماعيل بن محمد بن عمر الحبَّاني الحضرمي (ت٨٣٤هـ / ١٤٣٠م) الذي قال عنه المؤرخ بامخرمة : " كان فقيهاً إماماً جامعاً لفنون العلم ... كانت له اليد الطولى في الفقه والنحو واللغة والتفسير والحديث والأصولين ، وبلغ في تحقيق هذه العلوم النهاية ..."[١] .

ومن أعلام الزيدية أيضاً – واليمن عموماً – في التفسير العلامة علي بن محمد ابن أبي القاسم الهادوي (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) الذي كان من أعمدة أهل مذهبه في التفسير ، وله فيه كتاب شهير بينهم هو كتاب (تجريد الكشاف مع زيادة نُكَت لطاف)[٢]، وصفه الإمام الهادي عزالدين بن الحسن بأنه أحسن التفاسير ، ولابن أبي القاسم تفسير آخر مختصر ، أكثر اختصاراً من سابقه سماه (الدر الشفاف المنتزع من الكشاف)[٣] ، وقيل له أيضاً كتاب (التفسير الكبير) في ثمانية مجلدات ، ولعله الأول نفسه[٤] .

ومن المشتغلين بالتفسير في مدة الدراسة أيضاً المقرئ الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن أحمد أحمد بن محمد بن سالم (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٦م) ورد في ترجمته أنه تلقى الكثير من العلوم على عدد من أبرز علماء اليمن في عصره ، وقد ذَكَرَ – في معرض بعض إجازاته لتلاميذه – أن مشائخه في فنون العلم نحو خمسين شيخاً ، وكانت أبرز العلوم التي برز فيها القراءات السبع والتفسير والحديث واللغة والفقه والأصولين وغير ذلك[٥] .

---

(1) **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٦٩٢ .

(2) منه ثلاث نسخ مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت أرقام (٤٥ ، ٤٧ ، ٢٥٠ تفسير) ، ونسخة أخرى في الأمبروزيانا B٤٥ ، ونسخة بقلم ابن المؤلف في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي في صعدة باليمن ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٧ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧١٧ ، ٧١٨ .

(3) منه نسخة مخطوطة في مجلدين في خدابخش ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٧١٨ ، ابن المؤيد، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٧٧٩ .

(4) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٧ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٧١٧ .

(5) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٦٧ .

ومِمن اهتموا بالتفسير من علماء القرن التاسع الهجري القاضي جمال الدين محمد بن سعيد بن علي بن محمد كِبِّن الحضرمي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) ، وقد نتج عن اهتمامه بالتفسير تصنيفه لكتاب (الدر النظيم في الكلام على بسم الله الرحمن الرحيم)[١] ، وكان غالب حديث الشيخ المتصوف محمد بن حسن المعلم بن محمد باعلوي (ت٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) – بحسب إفادة المؤرخ بامخرمة[٢] – في غرائب القرآن الكريم .

ومن المفسرين الأحناف الذين استوطنوا مناطق الزيدية وعدوا في رجالها العلامة عبدالله بن محمد بن أبي القاسم العكي النجري (ت٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) ، عرفت عنه رحلته إلى مصر في سنة (٨٤٨هـ / ١٤٤٤م) حيث تتلمذ فيها هناك على أيدي نخبة من أفاضل العلماء المصريين المبرزين في علوم شتى ، فبرز في كثير من العلوم ، منها : المعاني والبيان والمنطق وعلم الوقت (الفلك) ، وله في علم التفسير كتاب (شافي العليل في شرح الخمسمائة آية من التنزيل)[٣] .

ومن المفسرين أيضاً الإمام الحافظ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) ، فقد ورد في بعض كتب الببليوجرافيا[٤] ذكر كتاب له في التفسير، هو كتاب (الطريق الواضحة إلى أسرار الفاتحة) ، واشتهر للإمام حمزة بن عبدالله بن محمد الناشري (ت٩٢٦هـ / ١٥١٩م) منظومة في غريب القرآن[٥] .

في سنة (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) على عهد الإمام المتوكل يحيى شرف الدين (ت٩٦٥هـ / ١٥٥٧م) أكمل الإمام العلامة محمد بن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي (ت٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) كتابه الشهير في التفسير الموسوم بـ (التكميل الشاف لتفسر الكشاف) ، وقد ورد في الفصل الخامس مظاهر الاحتفال البهيجة التي أقيمت بمناسبة الفراغ من تأليفه ، وأنه كان يوماً مشهوداً ، يقول

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٧٠١ .

(2) **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٠٢ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٣٦ – ٦٣٩ .

(4) منه نسخة مخطوطة في المتحف البريطاني تحت رقم (١١٥٨) ، وأخرى بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم (٣٨٩٣) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(5) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٢١ .

المصدر[١] : " وجمع ذلك في ثمانية أجزاء تامة ... وسرّ ذلك إمام زماننا ، وعلماء وقتنا ، وأظهروه ورفعوه في صنعاء اليمن على محمل ، وأُعلِنَ بجلالته وإفادته ، ونودي بذلك ، ورفع التكبير والتسبيح والتقديس والذكر في مساجدها وأسواقها وسائر بقاعها ، وطاف بذلك طوائف من المسلمين ، وزف بالأرتاج والرايات والطبلخانات وغير ذلك ما يوضع للإشعار والإعلان " وزاد مصدر آخر[٢] بأنهم زفوه بالمسيرة المشار إليها وهو محمول في صندوقين ، حتى دخلوا به الجامع الكبير في صنعاء ، وصعد الخطيب وألقى خطبة جعل منها تفسير سورة الفاتحة من هذا الكتاب ، ثم خرجوا وطافوا به على المدارس والقصور .

وللإمام ابن بهران في التفسير أيضاً كتاب (التفسير الجامع بين الرواية والدراية) جمع فيه بين تفسير الزمخشري وتفسير ابن كثير[٣] .

وهناك عدد آخر من العلماء الذين اشتغلوا بالتفسير ، وكانت مشاركتهم فيه دون من ورد ذكرهم ، وقد انتشرت تراجمهم في المصادر ، وإن كانوا لم يختصوا بالتفسير وحده إلا أنه كان من العلوم التي عدت في أطار ما حققوه وأجادوه وندبوا أنفسهم لتدريسه ودراسته ، ومن أشهرهم الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحُبَيْشي (ت٨٠٢هـ / ١٣٩٩م)[٤] ، الفقيه جمال الدين محمد بن حسن بن الشمس (ت٨١٣هـ / ١٤١٠م)[٥] ، الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف بن حفيص المعروف بمعوضة القرشي الأموي (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م)[٦] ، والقاضي جمال الدين محمد بن أبي بكر بن عمر بن صالح بن أبي الرخاء (٨٢١هـ / ١٤١٨م)[٧] ، والشيخ وجيه الدين عبدالرحمن بن إبراهيم بن أبي بكر بن إبراهيم بن مسبح

---

(1) المقرائي ، مكنون السر في تحرير تحارير السر ، ص ٨٤ .

(2) ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ٢ ، ص ١١٠٨ .

(3) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١١٠٦ .

(4) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٨ .

(5) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٤٩ .

(6) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٥٠ .

(7) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٥١ ، ٢٠٢ .

(ت٨٢٤هـ / ١٤٢١م)[1] ، وشيخ الإسلام الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر بن محمد بن صالح الهمداني الشهير بالخياط (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م)[2] ، والقاضي جمال الدين محمد بن عبدالصمد بن أبي بكر العريقي السكسكي البَرْحِي (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)[3] ، والفقيه العلامة عفيف الدين عبدالله بن علي السراج الحنفي (ت٨٤٣هـ / ١٤٣٩م)[4] ، والعلامة شرف الدين أبو القاسم بن علي المعروف بابن زبيدة (ت٨٥٧هـ / ١٤٥٣م)[5] ، والمقرئ العلامة شمس الدين علي بن محمد الرفدي الشرعبي (ت٨٧١هـ / ١٤٦٦م)[6] وغيرهم كثير .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٦٤ .

(2) المصدر السابق ، ص ٢٣٠ ، ٢٣١ .

(3) المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(4) المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

(5) المصدر السابق ، ص ٣١٣ .

(6) المصدر السابق ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) علم الحديث :

الحديث في اللغة عكس القديم ، وهو من التحديث والإخبار ، وفي المصطلح هو خَبرٌ نُسِبَ إلى النبي ﷺ قولاً أو فعلاً أوسكوتاً منه عند أمرٍ يعاينه ، وفي مصطلح علوم الشريعة هو العلم الذي يُقتدرُ به على معرفة أحوال أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وجه الخصوص كالاتصال والإرسال ونحوهما ، ويطلق على معلومات وقواعد مخصوصة[1] .

جاء اهتمام المسلمين بالحديث النبوي الشريف لأنه المصدر الثاني للتشريع ، وهو جزء من الرسالة السماوية التي كلف النبي ﷺ بتبليغها ، فهو رديف للقرآن ومفسر له ومكملٌ لما لم يرد ذكره أو تفصيله فيه ، وجاء الأمر بالأخذ به في صريح القرآن الكريم في مثل قوله تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝﴾[2] ، وتوارث المسلمون الاهتمام بالحديث ، ابتداءً بجيل الصحابة والتابعين ، وكان فيهم من حفظ معظم – إن لم نقل جميع – أقوال النبي ﷺ وأفعاله ، وكانت أمهات المؤمنين في مقدمة من أُخِذَ عنهم أحاديثه عليه الصلاة والسلام .

وكان لتفرق الصحابة في الأمصار بعد اتساع رقعة دار الإسلام دوره في انتشار رواية الحديث ، وكثر المشتغلون بدراسته وروايته ، فرافق ذلك الخوف من ضياع بعضه أو نسيانه ، وكذلك برزت الخشية من الوضع فيه والكذب وإدخال فيه ما ليس منه ؛ فجاءت بواكير التدوين في منتصف القرن الهجري الأول حلاً للتخوف الأول، واستمرت عملية التدوين خلال القرنين الثاني والثالث حتى لم يبق حديث إلا وقد اشتملت عليه إحدى الأمهات الحديثية أو المسانيد أو السنن كما اصطلح أهل التخصص على تسميتها ، وقد اعتدلت علم الحديث لليتخذ شكله النهائئ ، فكان علم (أصول الحديث) وهو علم الدراية بالحديث الذي يتناول ما اختلف فيه وعلله وناسخه ومنسوخه

---

[1] القنوجي ، **أبجد العلوم** ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٦١ ، الكافيجي ، **المختصر في علم الأثر** ، تحقيق د. علي زوين ، دار الرشيد ، الرياض ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ص ١١٠ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢٤٨ .

[2] سورة الحشر .

وغريبه[١] ، جاء (رواية الحديث) ليختص ببحث كيفية اتصال الأحاديث بالرسول عليه الصلاة والسلام من حيث أحواله ورواته ضبطاً وعدالةً ، ومن حيث السند اتصالاً وانقطاعاً[٢] .

وكانت لليمن ورجال العلم فيها دور كبير وأساسي في حفظ الحديث النبوي الشريف وصيانته من فترة مبكرة ، ولقد أوضحنا طرفاً من ذلك في الفصل الأول ، حيث قدم إلى اليمن عدد من أكبر المحدثين للجلوس بين يدي المحدثين اليمنيين للتلقي عنهم ، وفي مقدمة من قدم إليها يأتي الإمام الشافعي والإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري .

وأول يمني نال قصب السبق في تدوين الحديث هو المحدث همام بن منبه[٣] (ت١٣٢هـ / ٧٤٩م) ، وهو بذلك يكون أول من دَوَّنَ الحديث من التابعين على مستوى العالم الإسلامي وليس اليمن وحدها ، وسبق بذلك جمهور المحدثين في التصنيف ، وقد وصلت صحيفته كاملةً كما رواها ودونها همام عن أبي هريرة ﷺ[٤] ، ونقلها الإمام أحمد بتمامها في مسنده ، ونقل عنها الإمام البخاري عدداً من الأحاديث في أبواب متفرقه من صحيحه[٥] ، والعثور على صحيفة همام بن منبه قد بددت القول الشائع بأن بداية تدوين السنة النبوية كانت في مطلع القرن الهجري الثاني ، وقد سبق أن أشرنا في الفصل الأول أن المحدث الشهير معمر بن راشد (ت١٥٢هـ / ٧٦٩م) قد استوطن اليمن ونشر علم الحديث بها ، ولا ننسى الإشارة إلى أبي قرة موسى بن

---

(1) القنوجي ، **المرجع السابق** ، ص ٣٩٧ ، د. صبحي الصالح ، **علوم الحديث ومصطلحه** ، ص ١٠٧ – ١١٣ .

(2) القنوجي ، **المرجع السابق** ، ص ٣٦١ .

(3) ابن سعد ، **الطبقات الكبرى** ، ج٥ ، ص ٣٥٣ ، النووي ، **تهذيب الأسماء واللغات** ، ج ٢ ، ص ٤٣٨ ، اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج١ ، ص ٢١٦ ، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب** ، ج ٤، ص ٣٣٢ ، ٣٣٣ .

(4) نشرت مكتبة الخانجي بالقاهرة طبعتها الأولى عام ١٩٨٥م بعد أن قام رفعت فوزي عبدالمطلب بتحقيقها وشرحها وتخريج أحاديثها من المصادر التي نقلت عنها .

(5) محمد عجاج الخطيب ، **السنة قبل التدوين** ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٣٥٦ .

طارق الزبيدي[١] (ت٢٠٣هـ / ٨١٨م) صاحب (سنن أبي قرة) التي كان قال عنها الجَنَدي[٢] : " ولم يكن أهل اليمن يعولون في معرفة الآثار إلا عليه ، وذلك قبل دخول الكتب المشهورة " ، ولا ننسى (**المُصنَّف**) تلك الموسوعة الحديثية الضخمة التي كتبها شيخ الأئمة الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ / ٨٢٦م) قبل أن تُؤلَّف الأمهات والسنن المشهورة[٣] .

مما سبق يتضح لنا أن مدرسة الحديث النبوي في اليمن ممتدة الجذور عميقة الأساس ، وأسبقيتها التاريخية وريادتها هي التي جذبت إليها أشهر المحدثين والفقهاء للدراسة على أيدي علمائها الأوائل ، وممن رحل إلى اليمن لذلك الغرض يذكر علماء الحديث وأصحاب الطبقات سفيان الثوري وسفيان بن عيينه وعبدالله بن المبارك والإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين ونعيم بن حماد وعلي بن المديني والإمام الشافعي وغيرهم[٤] ، ولم ينتهِ اهتمام اليمنيين بالحديث بانقراض جيل الرواد ، بل كان اهتمامهم به في اضطرد عبر القرون المتعاقبة .

وفي القرنين التاسع والعاشر الهجريين – والقرنين اللذين سبقاهما – كان اهتمام اليمنيين بالحديث الشريف وعلومه واضحاً ، إذ نال عندهم عناية عظيمة ، وبلغ من عنايتهم به أن أسست المدارس العلمية المتخصصة في تدريسه على أيدي السلاطين الرسوليين ، وعنيت بتدريسه عددٌ من المساجد كمدرسة الحديث المنصورية بزبيد[٥] ، وكان مدرس الحديث وقارئه من أعمدة الهيئات التدريسية في دور العلم وأماكنه التي

---

(1) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٦٩ ، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب** ، ج ٤ ، ص ١٧٨ ، الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(2) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

(3) قام بتحقيقه ونشره حبيب الرحمن الأعظمي عن المكتب الإسلامي ببيروت ، وصدرت طبعته الثانية عام ١٩٨٣م ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص٣٥٥ .

(4) الرامهرمزي ، **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي** ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب**، ج ٤ ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(5) د. أحمد العليمي ، **أعلام مدرسة الحديث في اليمن وجهودهم في حفظ السنة** ، ص ١٢٤ ، الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٥٤٣ ، الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ١ ص ٨٢ ، ١١٣ ، ج ٢ ص ٥٧ ، ٥٩ ، ١٠٦ ، ٢٦٠ .

عرفها اليمنيون عصرئذ[1] ، بل خصص – في كل مدرسة أو جامع – عدد من الطلبة يكون اهتمامهم منصباً على تحصيل علوم الحديث – وبدرجة أقل – العلوم الشرعية الأخرى[2] .

وكان بعض العلماء يخصص أشهراً معينة في السنة لا يدرس فيها غير الحديث النبوي وعلومه ، وكانت شهور رجب وشعبان ورمضان هي التي كانت تخصص لهذا العلم، وكان السلاطين الرسوليون يشاركون طلبة العلم في الحضور ، ويستمعون إلى مجالس العلم والذكر[3] ، وكانت مجالس الحديث تعقد عند نزول العلماء الوافدون إلى اليمن ، سواءً كان مرورهم في طريق الحج أو زيارة لها ، وقد تمت الإشارة في الفصل الخامس إلى أن بعض السلاطين كانوا يحضرون للعلماء الوافدين كما حصل مع الفيروزابادي وابن الجزري وابن حجر العسقلاني ، فمن النادر أن ينزل اليمن عالماً محدثاً دون أن تعقد له مجالس علمية يدرس فيها علومه لأبناء اليمن من العلماء والفقهاء والطلبة ، وكان لذلك نتيجة طيبة ، إذ كثرت رواياته وتعددت طرقه لديهم ، وتشجع كثيرون للاشتغال به[4] .

تنوعت صور اهتمام اليمنيين – علماء وطلبة – بالحديث الشريف وعلومه ، وكانت أغلب أشكال عنايتهم به تنحصر في المطالعة والتدريس أكثر من التأليف ، وكأنهم اكتفوا بما ألفه غيرهم من علماء المسلمين وأعلام المحدثين ، فكانت المؤلفات في هذا العلم قليلة مع أن دراسته كان جزءاً مهماً من تراجم العلماء وإجازاتهم التي حصلوا عليها ، وأغلب ما صُنِّفَ في اليمن في علم الحديث في المدة التي نتناولها في

---

(1) سبق أن أوضحنا ذلك في الفصل الخامس بالتفصيل .

(2) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأشرفية ، ص ١٣ ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٣٩ ، وثيقة المدرسة المعتبية ، ص ٤٦ ، وثيقة مدرسة جوهر ، ص ٦٣ ، وثيقة المدرسة الأفضلية ، ص ١٠٣ .

(3) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢٣٥ ، **العسجد المسبوك**، ٤٩٠ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٠.

(4) البريهي ، **المصدر السابق** ، ٣٣٩ وما بعدها ، ، الشعبي ، **تاريخ الشعبي** ، ق ٤٩ – أ نقلاً عن علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٥٦ ، الحبشي ، **حياة الأدب اليمني في عهد بني رسول** ، ص ١٠٥ .

دراستنا هذه هو من باب الشروح لبعض الأمهات أو جمع للأحاديث المتعلقة بالأحكام أو اختصار للأمهات وإعادة ترتيب محتوياتها بما يسهل حفظه للطلبة[١] .

دخلت كل أمهات الحديث النبوي والسنن والمسانيد إلى اليمن بطرق مختلفة ، منها ما هو بالشراء من قبل التجار أو الحجاج اليمنيين ، ومنها ما أهدي إلى بعضهم من أقرانهم من العلماء ، ومنها ما تم استنساخه في اليمن ، ومنها ما اشتراه الملوك والسلاطين أو أهدي إليهم أيضاً ، ومنها كا تم استجلابه كجزء من مستلزمات إنشاء المدارس العلمية وخزائن الكتب المرتبطة بها ، إلا أن الأمهات الست والصحيحين – على وجه الخصوص – حظيا بعناية خاصة واهتمام بالغ ، فكانا في صدارة مناهج الحديث في المدراس العلمية المختلفة[٢] ، وتعود أقدم إشارة إلى دراسة صحيح البخاري في اليمن إلى منتصف القرن الرابع الهجري[٣] ، واحتفى به طلبة العلم حتى حفظه بعضهم عن ظهر قلب ، وأكثروا من سماعه بشكل لافت ، حتى ورد الخبر أن هناك من سمعه أكثر من مائة وخمسين مرة[٤] .

وسنأتي في تراجم بعض المشتغلين بالحديث والمهتمين به إلى ذكر مصادر الحديث الأخرى – غير الصحيحين – ونرى أن كل هذه الكتب قد كان الاهتمام بها كبيراً ، فدُرِسَتْ ودُرِّسَتْ في كثير من المدارس ، ووضع على بعضها الشروح والاختصارات[٥] ، وكان باليمن عدد من العلماء الذين كان لهم سند عالٍ في رواية هذه الكتب ، سواء من أهلها أو من النازلين بها .

فمن أوائل من نذكره من المهتمين بالحديث في اليمن في مدة الدراسة يأتي الفقيه أحمد بن موسى بن عمران الشافعي (ت بعد ٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) الذي تصدر لتدريس الحديث في كثير من مدارس زبيد كالشمسية والسابقية ، وألف في الحديث مختصراً لكتاب (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) للإمام تقي الدين السبكي المتوفى

---

(1) الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٤ .

(2) **الوقفية الغسانية** ، وثيقة المدرسة الأشرفية ، ص ١٣ ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٣٩ .

(3) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٢١٩ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٨١ .

(4) الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن** ، ج ٢ ص ١٢٥ – أ ، ابن حجر ، **الذيل على الدرر الكامنة** ، ص ٢١٩ .

(5) علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٥٨ .

سنة (٧٥٦هـ / ١٣٥٥م) الذي ناقش فيه آراء ابن تيمية وابن القيم حول حديث شد الرحال[١] ، ومنهم أيضاً الفقيه عمر بن داود بن عبدالله الشعبي (ت٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) الذي تولى تدريس الحديث في جامع ثعبات طيلة حياته[٢] .

ومن المحدثين اليمنيين في مدة الدراسة العلامة الحافظ شرف الدين حسين بن محمد القُرَشِي العُلْفِي (كان حياً في مطلع القرن التاسع الهجري) ، وصفه المصدر بأنه شيخ الحديث بصنعاء في زمنه ، ومن أشهر تلاميذه الإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، وكان يُرحلُ إليه من أرجـاء اليمن لطلب الحديث[٣].

ومنهم العـلامة صـلاح بن جـلال الدين بن محمد بن الحسـن المعـروف بابن الجلال (ت٨٠٥هـ / ١٤٠٢م) ، فقد قام بتكملة كتاب (شفاء الأوام في أدلة الأحكام) الذي صنفه الأمير الحسين بن بدر الدين بن أحمد بن يحيى الزيدي (ت٦٦٢هـ / ١٢٦٣م) ولم يتمه ، وهو أشهر كتب الحديث عند الزيدية على الإطلاق، إذ أنه أصبح معتمدهم في دراسة الحديث منذ القرن السابع حتى اليوم في على مدار ثمانية قرون[٤] .

وكان للإمام الموسوعي الكبير شيخ الإسلام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفـيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) اهتما بالحديث – ضمن اهتماماته الواسعة – وصنف فيه كتباً نفيسة ، منها : كتاب (مطالع الأنوار) شرح فيه (مطالع الأنوار) للإمام أبي الفضائل الصغاني ، كما شرع في شرح صحيح البخاري وَعَنْوَنَه بـ (منح الباري بالسيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري) وأنجز منه أربعة وعشرين جزءاً ، وبلغ فيه كتاب الصيام ، وكان يتوقع تمامه في ثلاثين مجلداً ، وله في الحديث النبوي الشريف أيضاً كتاب (الصلات والبشر في الصلاة على

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٨٥ ، الشعبي ، **تاريخ الشعبي** ، ق ٤٩ – أ نقلاً عن علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٦٢ ، الأكوع ، **المدارس الإسلامية في اليمن** ، ص ١٥٦ .

(2) الشعبي ، **تاريخ الشعبي** ، ق ٤٩ – أ نقلاً عن علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٦٣ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٠ .

(4) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيديـة** ، ص ٣٩٠ ، ٤٩٩ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٥ .

خير البشر) ، وكتاب (الوصل والمنى في فضل منى) ، وكتاب (تسهيل طريق الوصول إلى الأحاديث الزائدة على جامع الأصول) ، وكتاب (الدر الغالي في الأحـــاديث العوالي)[1] ، وهذه المصنفات ليست كل جهوده في خدمة الحديث النبوي والسنة المطهرة ، إذ أن جهوده التدريسية فيه – وفي غيره من العلوم – كانت ذات أثر كبير ، ولذلك نرى أن المحدثين اليمنيين في القرن التاسع الهجري إنما هم من تلاميذه وتلاميذ الإمام الحافظ نفيس الدين العلوي .

ومنهم أيضاً القاضي وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد النحواني (ت٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) الذي عقد المجالس العلمية – مع ممارسة القضاء في الجَند – لتدريس الحديث النبوي في جامع ذي عدينة الكبير بمدينة تعز ، واستقام في تدريس الحديث النبوي مدة طويلة[2] .

أما شيخ شيوخ المحدثين اليمنيين وحافظ البلاد ومسندها الأكبر فهو الإمام الحافظ المحدث نفيس الدين أبو الربيع سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي العلوي[3] (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) ، كان هو وقرينه الإمام مجدالدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي فَارِسَي علم الحديث في اليمن بلا منازع، ولكن أغلب جهود الإمام الفيروزابادي كانت منصبة على التأليف والتصنيف ، بينهما كانت جهود الإمام نفيس الدين العلوي مكرسة للتدريس ونشر الحديث النبوي والسنة المطهرة ، ويُعزا إلى هذا الإمام انتشار وشيوع أخذ الزيدية للحديث النبوي ودراسة أمهاته المشهورة ، فعنه أخذ عدد من أكبر رجال الزيدية وبعض أئمتها ، وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الخامس من هذه الدراسة ، ويكفي هذا الإمام فخراً أنه ما من عالم يمني اشتهر في القرن التاسع والعاشر الهجريين بعلم الحديث والاشتغال به إلا وهو من تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه .

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ ســادات الـيمن** ، ج ٢ ص ٣٧ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨، البريهــي ، **طبقــات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٠ ص ٨١ ، الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين** ، ج ٢ ص ٤٩٤ – ٢٩٧ .

(2) البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ٩٠ .

(3) نسبته (العلوي) جاءت إلى أحد أجداده كان يُدعى علي بن راشد ، فهو ليس علوي هاشـــمي قرشـــي ، وإنما هو يمني محض من قبائل عك التهامية اليمنية ، انظر ابن حجر ، **إنباء الغمر** ، ج ٣ ص ٢٨٦ .

كان سنده عال في الحديث النبوي ، فقد تضمن نص الإجازة العلمية الطويلة – التي أوردنا نصها كاملاً في الفصل الرابع – والتي منحها الإمام العلوي للإمام محمد بن إبراهيم الوزير بأن سند صحيح الإمام البخاري الذي يرويه يمتد عبر ثمانية رجال فقط إلى مصنفه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري نفسه ، وهي أعلى درجات العلو في الإسناد في هذه الحقبة التاريخية في العالم الإسلامي قاطبةً ، وقد علل لذلك هناك بما لا حاجة إلى إعادة تفصيل ذلك هنا .

وقد أطنب المـؤرخون في مدحه وإطـرائه عند الـترجمة له ، فقال بامخـرمة[1] عنه أنه : " شيخ مشائخ المحدثين في عصره ... " ، وأنه " أعرف أهل عصره بالحديث وطرقه وفنونه ومتونه ... " ، وقال عنه البُرَيْهي[2] : " الإمام العلامة الحافظ ، قطب العلماء الراشدين ، ونهاية المسترشدين ، ولي الله ، والمحدث عن سيدنا رسول الله ... كان رحمه الله مالك أزمة المعارف والطرائف ، الحائز فضيلتي التالد والطارف ، أحيا به من العلوم دارسها ، وأعمر به معالمها ومدارسها ، وفك ما استعجم من الأحاديث فشرحها ، وأبان ما استبهم من العلوم فاوضحها ، فهو في العلم كوكبه المنير ، وصوبه العذب النمير ... " ، وقال عنه شيخ الإسلام الإمام ابن حجر[3] العسقلاني – وكان قد لقيه في زيارته لليمن – : " عني بالحديث وأحَبَّ الرواية ... وكان محدث بلده ... ونِعْمَ الرجل كان " .

وكان للإمام الحافظ سليمان العلوي أخٌ يكبره في السن ، وردت ترجمته على أنه إمام علامة محدث حافظ ، هو جمال الدين محمد بن إبراهيم العلوي (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ، كان من أعلام المذهب الحنفي في اليمن وأئمة الحديث فيه ، وشيوخه في الحديث هم بعض شيوخ أخيه نفيس الدين سليمان العلوي ، وله زيادة على مشائخ أخيه، اشتهر بمدينة زبيد بمعرفة الحديث كشهرة أخيه في مدينة تعز والجبال ، وعكفت عليه الطلبة ، فأفاد وأجاد ، وعلى الرغم من أنه ابتلي في آخر عمره بداء الجذام إلا أن طلبته لم ينصرفوا عنه ، بل استمرت أفواجهم في القدوم عليه والجلوس بين يديه ،

---

(1) قلادة النحر ، ج ٣ ٦٨٠ ، ٦٨١ .

(2) طبقات صلحاء اليمن ، ٢٠٧ .

(3) إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٢٨٦ .

وكان من أصحاب السند العالي أيضاً[١] ، وقد خلفه في رئاسة علم الحديث ومجلسه بزبيد العلامة عفيف الدين عثمان بن علي الأحمر (ت٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) ، لأن معرفته بالحديث كانت قوية بتتلمذه على الإمامين النفيس العلوي والمجد الفيروزابادي[٢]، وخلف الأحمر بعد وفاته على رئاسة الحديث والتصدر لتدريسه في زبيد أيضاً الإمام العلامة كمال الدين موسى بن محمد الضجاعي (ت٨٥١هـ / ١٤٤٧م)[٣] .

ووصف القاضي العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد البُرَيْهي (ت٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) بأنه كان مجوداً في علم الحديث بعد أن تلقاه على الإمامين الحافظين نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي ومجد الدين الفيروزابادي[٤] .

وقام القاضي والمحدث العلامة عز الدين محمد بن حمزة بن المظفر (ت٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) بالاهتمام بالحديث على طريقة أهل مذهبه من الزيدية ، فوضع كتابه (منهاج الأبرار) في شرح الأربعين السليقية[٥] ، وهي من مجموعات الأحاديث التي اعتنى بها أئمة الزيدية وعلماؤها ، فكان هذا الشرح مما استحسنه العلماء ، وقد جمع فيه ابن المظفر بين شرحي الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) الحسني والإمام المؤيد يحيى بن حمزة الحسيني (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) للأربعين السليقية ، وقد قال الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) في تقريض كتاب (نهاج الأبرار) ثلاث أبيات قال فيها :

انظُرْ إلى سرٍّ عظِيمٍ

سَارَ في أبْناءِ حَمْزَة

شَرَحُوا الحَدِيْثَ الأرْبَعين

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٩٨ .

(2) المصدر السابق ، ص ٣٠٩ .

(3) المصدر السابق ، ص٣١٠ .

(4) المصدر السابق ، ص ٩٩ .

(5) ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ٢ ص ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، الوجيه ، أعلام المؤلفين الزيدية ، ص ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، وقد اختلفوا في تاريخ وفاته .

والكُلُّ اسْـمُ أبِيْهِ حَمْـزَةَ

هَـذَا ابْنُ حَمْـزَةَ يا فَتَى

ثُمَّ ابْنُ حَمْزَةَ وَابْنُ حَمْزَةَ[١]

وقد قام العلامة علم الدين قاسم بن يوسف بن معوضة (ت في مطلع في القرن التاسع الهجري) بشرح (منهاج الأبرار) بكتاب سماه (ذخيرة الأخيار المنتزع من منهاج الأبرار)[٢] .

ويعد الخليفة الأول – في مدينة تعز خصوصاً – للإمام نفيس الدين سليمان العلوي هو تلميذه وقرينه شيخ الإسلام الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر بن محمد بن صالح الهمداني الشهير بالخياط (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ، فقد كان ذا معرفة قوية في كثير من العلوم مثل الحديث والتفسير والفقه والنحو ، " وكان يسمى الباقر لسعة فهمه واستنباطه وحفظه ، وتفرد بزيادة المتخصص لتحقيق علم الحديث ، وسلمت له الرئاسة فيه فكان لا يمارى بشيئ منه ... وكان يتكلم على معنى الحديث ورجال الإسناد بكلام نافع بمحضر شيخه الإمام نفيس الدين فيصوب كلامه ، ونقل عنه المحققون من الفوائد في حياة الإمام نفيس الدين أشياء كثيرة ... "[٣] ، وهو الذي خلفه بعد موته بتدريس الحديث النبوي في مدينة تعز ، وانفرد بشغل مجلسه ، فتزاحمت عليه الطلبة ، وكان يحضر عنده جمع كثير ، فكان مجلسه حافلاً جامعاً بالعلماء والمتعلمين على حدٍّ سواء، وقد مدحه كل من عرفه ، وقد قيل أن السلطان الناصر الرسولي أحمد (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) سأل الإمام المقرئ الشهير شمس الدين محمد بن محمد الجزري – لما وفد على اليمن – : من رأيت كاملاً[٤] من علماء اليمن ؟ فقال :

إنَّ الإمامَ فتى الخَيَّـاطِ أفْضَلُ مَنْ

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٩٥ ، ٨٩٦ .

(2) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٥ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣١ .

(4) الكمال هنا نسبي ومجازي بالقياس مع الأقران ، أما الكمال البشري في معناه الصريح فلم يتصف به غير خير الخلق وأشرف المرسلين عليه صلوات ربي وسلامه .

رَأَيْتُ فِي اليَمَنِ الفَيْحَاءِ مِنْ رَجُلٍ

قُلْ عَنْهُ واسمَعْ بِهِ وانظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْ

مِلءَ المَسَــامِعِ والأَفْوَاهِ والمُقَلِ(١)

وقد خلفه في رئاسة علم الحديث وإقامة مجالسه في مدينة تعز تلميذه النجيب الفقيه المحدث شمس الدين علي بن محمد الشعبي (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م)(٢) .

ومن تلاميذ الإمام نفيس الدين سليمان العلوي المبرزين أيضاً يُذكرُ الإمام العلامة المقرئ والمحدث صفي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد البريهي (ت٨٣٣هـ / ١٤٣٠م) ، وكان قد تتلمذ في الحديث النبوي أيضاً بمكة المكرمة على يدي الشريف تقي الدين الفاسي المالكي المؤرخ حتى صار إماماً فيه وفي القراءات(٣) .

ومنهم أيضاً المقرئ المحدث الفقيه وجيه الدين عبدالرحمـن بن أحمد بن محمد بن سالم (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٦م) الذي عُرِفَ بكثرة مشائخه لسعيه الكبير للتلقي والتحصيل حتى بلغوا نحو خمسين شيخاً ، وقد عُدَّ الحديث النبوي الشويف بين العلوم التي برز فيها وتخرج به على يديه العديد من الطلبة(٤) .

ومن المحدثين في اليمن آنذاك أيضاً الإمام المؤرخ والمحـدث الحسين بـن عبدالرحمن الأهدل (٨٥٥هـ / ١٤٥١م) صاحب كتـاب (الكفايـة فـي تحـصين الرواية) وكتاب (التنبيهات على التحـرز في الروايـات) ، ولـه أيـضاً كـتاب

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣١ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٢٣٦ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ١٠٠ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(مصباح القاري لجامع صحيح البخاري)[١] وكتاب (عدة المنسوخ من الحديث) وكتاب (ناسخ الحديث ومنسوخه)[٢] .

ومنهم كذلك الفقيه الأديب والمحدث شهاب الدين أحمد بن عمر بن أحمد المنقش (ت٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) ، كان على معرفة أكيدة بالأدب وله يد قوية في الحديث ، وكان يتصدر لتدريسه في مدينة زبيد ، وقد صنف فيه مختصراً لصحيح الإمام البخاري ، وجعله مثل المسندات ، يذكر الصحابي ثم يذكر جميع ما رواه من الأحاديث[٣] ، ثم جعله باسم السلطان الظاهر يحيى الرسولي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) ونسبه إليه[٤] .

ومن محدثي اليمن الكبار في القرن التاسع الهجري يأتي الإمام المحدث الحافظ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشَرْجي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) ، فقد كان رئيس هذا العلم في تهامة على وجه الخصوص ، كان مبرزاً فيه مجيداً له ، ومشاراً إليه فيه بعد وفاة أئمة المحدثين الزبيديين والتهاميين كمحمد بن إبراهيم العلوي وعثمان الأحمر وغيرهما ممن أشرنا إليهم آنفاً[٥] - ويكفيه فخراً أن المحدث الحافظ أبا زكريا يحيى بن أبي بكر العامري - الآتي ذكره - ومحدث القرن العاشر ومؤرخه الإمام الحافظ عبدالرحمن بن الديبع الشيباني هما من تلامذته ، ومع أنه صب معظم جهوده في

---

[1] ذكرها السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٣ ص ١٤٥ ، ومن الكتاب الأخير نسخة أصيلة بخط المؤلف نفسه في مكتبة مشرف عبدالكريم المحرابي بتعز ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٧ .

[2] من الكتابين الأخيرين نسخ في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١١٨٨ كتب حديثة) ، انظر الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

[3] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٠٩ .

[4] هذا من الخداع والغش الذي لا يليق بالعلماء ، فلعله من المقبول - إلى حد ما - أن يتقرب الشخص إلى الملك أو السلطان بالمديح أو ما شابهه ، أما بالتأليف والتصنيف ونسبة العمل إليه فهو كمن ينسب ولده إلى غيره ، ويكفي للتدليل على فداحة الأمر أن من جاء لاحقاً وعاش في قرون متأخرة - كأمثالنا - سيتوهم أن السلطان الظاهر الرسولي كان مصنفاً لهذا الكتاب بالفعل ، ومثل هذه الإشارات قد تقود إلى التشكيك في المصنفات الكثيرة جداً في شتى فروع المعرفة المنسوبة إلى السلاطين الرسوليين الأوائل .

[5] بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٥١ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٨١ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ابن فهد ، **لحظ الألحاظ** ، ٢٥٩ .

الحديث في المجال التدريسي إلا أنه ترك مصنفين نفيسين فيه ، أولهما هو مجموع أسماه (الفوائد في الصِّلاةِ والعوائد)[١] ، وأما الثاني فهو (التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح)[٢] ، وقد ذكر في مقدمته دوافع قيامه بتأليفه ، ثم أوضح أسلوبه وطريقته في تصنيفه ، وقد ختم مقدمته بإيراد سلسلة سنده المتصل بالإمام البخاري رحمه الله[٣] .

ويعتبر الإمام الحافظ المؤرخ أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) ، شيخ المحدثين في اليمن وأبرز حفاظها في عصره – النصف الثاني للقرن التاسع الهجري – على الإطلاق[٤] ، غلب عليه علم الحديث فأتقنه وعرف طرقه وعلومه ، قرأ عليه الحديث خلق كثير من أنحاء اليمن كلها ، من تهامتها وجبالها ، حتى أن بعض أئمة الزيدية تتلمذوا على يديه في الحديث[٥] ، وبادلوه من الاحترام والإجلال ما لم يبذلوه لغيره ، وله في الحديث كتاب (الرياض المستطابة فيمن روى في الصحيحين من الصحابة[٦])[١] .

---

(1) طبع في القاهرة سنة ١٣٤٤هـ في ٩٩ صفحة ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٧.

(2) طبع عدة طبعات ، وعني بشرحه جماعة من العلماء كشيخ الأزهر الإمام عبدالله الشرقاوي (ت١٢٢٧هـ ١٨١٢م) الذي شرحه بكتاب (فتح المبدي) ، وأخر طبعة له هي الصادرة عن المكتبة الإسلامية بالقاهر سنة ٢٠٠٣م ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة خدابخش تحت رقم (٤١٣) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** .

(3) الشرجي الزبيدي، **التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح** ، المكتبة الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ، ص ٨ – ١٣ .

(4) هو تلميذ للمحدث الحافظ الشرجي مع أنه من أقرانه لذلك فقد توفيا في سنة واحدة ، هو أيضاً يُعَدُّ من تلاميذ تلاميذ الإمامين نفيس الدين العلوي ومجد الدين الفيروزابادي .

(5) اشتهر منهم بذلك الإمام الهادي عز الدين بن الحسن (٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) ، وقد سبق الحديث عنه في الفصلين الثاني والثالث في دراستنا هذه .

(6) طبع في الهند سنة ١٣٠٣هـ ، ثم طبعته مرة أخرى مكتبة المعارف ببيروت عام ١٩٨٣م ، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم (٣١٥ حديث) ، وفي دار الكتب أيضاً نسخة أخرى تحت رقم (٣٧٥ حديث) ، ومنه نسخة ثالثة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٦٦٦) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٨ .

وقد نَجَبَ من تلاميذه في الحديث – وإن سبقه وفاةً – الإمام المحدث الحافظ أبو بكر بن عبدالرحمن بن شَرَاحِيل باشَرَاحِيل الحَضْرَمي (ت٨٨٨هـ / ١٤٨٣م) ، فقد كان من أقرب تلاميذ المحدث الإمام العامري وأكثرهم التصاقاً به ، قرأ عليه في الحديث كثيراً حتى صار فيه ماهراً ، فكان معرفة الحديث هي الغالبة عليه مع مشاركته في غيره من الفقه والنحو ، صنف كتاباً واحداً على صحيح البخاري وصحيح مسلم والموطأ على غرار كتاب (مشارق الأنوار) للقاضي عياض ، وقد عَنْوَنَه بـ (مفتاح السنة) ، وقد وصِفَ بأنه " كتاب مفيد في فَنِّه ... "[٢] .

وقد ترك الإمام العلامة إبراهيم بن أبي القاسم بن إبراهيم جعمان (ت٨٩٧هـ / ١٤٩١م) مصنفات تدل على حسن اشتغاله بالحديث النبوي الشريف ، وأهمها كتاب (شرح بلوغ المرام من أحاديث الأحكام)[٣] وصاحب بلوغ المرام هو الإمام ابن حجر العسقلاني ، وله كتاب (عمدة المتحصنين بعدة الحصن الحصين)[٤] والعدة هو أحد كتب إمام المقرئين شمس الدين محمد بن محمد الحزري .

وكان شيخ الإسلام الإمام أبو عبدالله جمال الدين محمد بن أحمد بن علي بافضل الحَضْرَمي (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٨م) يشتغل بالحديث النبوي وغيره من علوم الشريعة وتدريسها في مدينة عدن ، وأغلب علماء عدن وحضرموت في النصف الثاني من القرنين التاسع والعاشر الهجريين من تلامذته وتلاميذهم ، وله مصنفات متعددة ، منها في علوم الحديث كتاب موضوع على (تراجم البخاري) ، يذكر فيه وجه مناسبة

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٥١ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٨١ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٠ ص ٢٢٤ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ٣٥١ .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٤٧ .

(3) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١ ص ١١٧ .

(4) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٦٣ تصوف) ، ونسخة أخرى في مكتبة الجامع الكبير الشرقية ، تحت رقم (٥٦ مجاميع) ، كما أن منه نسخة ثالثة في المكتبة التيمورية تحت رقم (٥١٠) ، ونسخة رابعة في الأمبروزيانا بإيطاليا تحت رقم (٦٧٨) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٩ .

الترجمة للحديث ، وفيه فوائد جمة[1] وله أيضاً كتاب (سر الأسرار في تحرير أذكار الأذكار)[2] جعله مختصراً لكتاب (الأذكار من كلام سيد الأبرار) للإمام النووي .

وللشيخ الفقيه عمر بن عبدالله بن إبراهيم بن أحمد باجَمَّال (ت٩١٦هـ / ١٥١٠م) كتاب في الحديث هو (الكتاب الجامع في أحاديث الشافع)[3] ، وكما أن العلامة الفقيه الشهيد أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بافضل الحَضْرَمي (ت٩٢٩هـ / ١٥٢٣م) قد اعتنى بالحديث واشتغل به ، وصنف فيه كتاباً جامعاً في أوراد الليل والنهار سماه (مشكاة الأنوار)[4] .

ومن المحدثين في اليمن في مدة الدراسة أيضاً الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، وهو من ذوي الإجادة في العلوم المتعددة ، وله مصنفات في كثير من فروع المعرفة ، وله في الحديث النبوي والسنة المطهرة عدد من المصنفات ، منها : كتاب (الأسرار النبوية في اختصار الأذكار النووية)[5] ، وله كتاب (تجريد المقاصد عن الأسانيد والشواهد) ، وهو مختصر لكتاب شيخه الإمام الحافظ السخاوي (المقاصد الحسنة في الأحاديث الدائرة على الألسنة)[6] .

ومنهم أيضاً العلامة أبو عبدالله الحسين بن أبي بكر بن إبراهيم النُّزَيْلي (ت بعد ٩٣٩هـ / ١٥٣٢م) صاحب كتاب (العَلَم الشامخ في معرفة منسوخ الحديث والناسخ) وقد انفرد بذكره الحبشي[7] .

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٤ .

(2) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأحقاف لمخطوطات بتريم – حضرموت تحت رقم (١٢ مجاميع) رقم التسلسل ٦١٠، نظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٩ .

(3) الشلّي ، **السنا الباهر** ، ص ٩٧ .

(4) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٢٦ .

(5) **المصدر السابق** ، ص ١٣٥ .

(6) الشلّي ، **السنا الباهر** ، ص ٢١١ مع أن الحبشي لم يذكره ضمن شروح المقاصد الحسنة وشروحها ، انظر الحبشي ، **جامع الشروح والحواشي** ، ج ٣ ص ١٧٩٠ .

(7) **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٦٠ ، وذكر أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة غمضان بصنعاء، ونسخة أخرى بمكتبة بوهار في الهند تحت رقم (٤٦٥) .

وفي بلاد الزيدية برز عدد من خيار الأعلام الذي اشتغلوا بدراسة الحديث وتدريسه ، يأتي في مقدمة الجميع الإمامين المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) والهادي لدين الله عزالدين بن الحسن (ت٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) ، فالأول منهما جلس بين يدي الإمام نفيس الدين العلوي وارتاد مجلسه واستجازه ، وله في الحديث كتاب (الأنوار في صحيح الآثار الناصة على مسائل الأزهار) ويسمى أيضاً (الأنوار من كلام النبي المختار)[١] ، والآخر قرأ على الإمام الحافظ يحيى بن أبي بكر العامري[٢] ، وهناك عدد كبير من علماء الزيدية ورجالها أخذوا عن هذين الإمامين العالمين بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

وكان الإخوان الإمامان الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ومحمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) من العلماء الذين كانت لهم علاقة وطيدة بالحديث والمحدثين ، فهما من تلاميذ النفيس العلوي ، ولهما منه إجازات مشهورة ، وأخذ الحديث عنهم كثير من أبناء عشيرتهم وغيرهم في صنعاء وصعدة ، فأما الهادي فلم يُعرف له أثر تأليفي في الحديث ، وأما أخوه إبراهيم فله في مصطلح الحديث كتاب (تنقيح الأنظار في علوم الآثار)[٣] ورسالة في التعقيب على الإمام ابن حجر العسقلاني في علم الحديث[٤] .

ومنهم أيضاً الإمام صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي الوزير (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م) وهو من رموز الزيدية وفرسان علومها ، كان

---

(1) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٦٤ مجاميع) ، ونسخة أخرى مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢٠١٦) ، ومنه نسخة ثالثة في مكتبة ورثة المرحوم يحيى علي الذارحي ، ونسخة مصورة في مكتبة مركز بدر العلمي خطت سنة ١٠٧٦هـ بصنعاء ، وأخرى في مكتبة الأستاذ محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، ونسخة سادسة في مكتبة العلامة عبدالرحمن شايم بصعدة أيضاً ، ونسخة سابعة في مكتبة العلامة محمد بن حسن المتميز ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٠٧ .

(2) قد سبق تناول ذلك في الفصول الثاني والثالث والخامس .

(3) منه نسختان مخطوطتان في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقمي (٣٨ ، ٨٦ حديث) ، انظر الحبشي، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٧ .

(4) منها نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٤٧ مجاميع) ، انظر **المرجع السابق**، نفسه نفس الصفحة .

الحديث النبوي الشريف من العلوم التي كانت له يد فيها ، وله في علوم الحديث كتاباً عنوانه (الفلك الدوار المحيط بأطراف دليل المختار)[١] .

في بلاد الزيدية أيضاً اشتهر بعلم الحديث الإمام العلامة محمد بن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) ، وقد انعكست معرفته بالحديث على مصنفاته في الفروع المعرفية الأخرى ، فنراه عندما صنف كتاب (تنقيح القلوب والأبصار للاهتداء إلى كيفية اقتطاف أثمار الأزهار) في الفقه يقوم بتخريج أحاديثه واستدلالاته فيه إلى الأمهات الحديثية كما يفعل المحدثون ، كما أنه صنف في الحديث النبوي الشريف كتباً منها : كتاب (جواهر الأخبار في تخريج أحاديث البحر الزخار)[٢] ، ويعد كتابه (المعتمد من حديث سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد)[٣] أكبر ذخائره في الحديث ، فقد جمع فيه الأمهات الحديثية الست المشهورة ، اختصر فيه كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول) لابن الأثير على غرار كتاب (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) للحافظ ابن الديبع الشيباني ، غير أنه رتب محتواه على أبواب الفقه[٤] .

ومنهم أيضاً الإمام العلامة فخر الدين عبدالله بن القاسم بن الهادي بن إبراهيم العلوي (ت٩٦٠هـ / ١٥٥٢م) ، فقد كان جامعا لعلوم عديدة ، كان الحديث من ضمنها ، لذلك جاء في وصفه من قبل أحد تلامذته قوله : " وأما علمه فلم أرَ أعلم منه ... وأما اللغة والحديث والفقه واستحضار مسائلة فهو – وإمامنا – أوحد من رأيت من أصحابنا الزيدية ... "[٥] .

ونختم بذكر الإمامين المحدثين والمؤرخين الكبيرين الإمام الحافظ وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الشهير بابن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) وأبو

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٨١ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، وقد طبع مؤخراً وصدر بتحقيق محمد بن يحيى سالم عزان عن دار الحكمة اليمانية .

(2) منه نسختان مخطوطتان في مكتبة آل الهاشمي ، ونسخة أخرى بمكتبة جامع شهارة ، كما أنه طُبع ضمن كتاب البحر الزخار نفسه ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٠٧ .

(3) منه نسخة مخطوطة الأمبروزيانا A37 في مجلدين كبيرين ، انظر **المرجع السابق** ، ص ١٠٢١ .

(4) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٠٦ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٦٢٨ .

محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) ، فأما ابن الديبع فهو حافظ القرن العاشر بلا منازع ، ودرسه على يدي الإمام الحافظ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشَّرْجي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) والإمام الحافظ محمد بن عبدالرحمن السخاوي بمكة المكرمة[1]، ومفخرته في مصنفات الحديث كتاب (تيسير الوصول إلى جامع الأصول) الذي درسه واشتغل به العلماء في اليمن وخارجها مدة طويلة ، وألفوا على غراره عدداً من الكتب ، وذلك أنه يُعَدُّ البوابة التي يستطيع الراغب في علم الحديث من خلالها أن يلج إليه ، وفيه غنى تاماً عن الكتاب الأم (جامع الأصول) للإمام ابن الأثير الذي جمع فيه كل الأمهات الحديثية ، وله أيضاً كتاب (تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث)[2] وكتاب (التحفة اللطيفة في نظم أحاديث البعثة الشريفة) ، كما صنف أيضاً (التأييد في مختصر التقييد في رواة السنن والمسانيد) وجمع الأحاديث القدسية في مصنف واحد[3] ،

---

(1) يقول ابن الديبع عن ذلك في ترجمة الذاتية التي كتبها لنفسه : " ثم من الله علي بصحبة شيخنا الإمام العلامة المحدث ، بقية أهل اليمن ، زين الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي – كان الله له – فأخذت عليه علم حديث رسول الله ﷺ وكان هو المرشد إلى ذلك – جزاه الله عني خير الجزاء – فقرأت عليه صحيحي البخاري ومسلم وسنن أبي داود والترمذي والنسائي وموطأ الإمام مالك والشفا للقاضي عياض وجميع مؤلفاته ومصنفاته وما لا يحصى من الأجزاء والكتب اللطيفة ، وبه تخرجت وانتفعت ... وهو الذي علمني صنعة التأليف والتصنيف والترصيف والتصفيف ، وارتحلت في حياته إلى بيت الفقيه ابن عُجَيْل لزيارة الفقهاء بني جعمان ... ثم حججت الحجة الثالثة في سنة (٨٩٦هـ / ١٤٩١م) ... فمن الله علي بلقاء الشيخ الإمام حافظ العصر ، مسند الدنيا ، فريد الوقت ، شمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي المصري الشافعي فيها ، فصحبته وانتفعت به وأخذت عليه علم الحديث النبوي ... " . ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٢٩ – ٢٣١ .

(2) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٠٧ حديث) ونسخة في مكتبة برلين تحت رقم (١٢٣١) ، ونسخة ثالثة في برنستون تحت رقم (١٤٦٩) ، وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٢٤هـ ، ثم طبع مرة أخرى في القاهرة أيضاً سنة ١٣٤٧هـ ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٦١ .

(3) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٨٩ حديث) ، ونسخة في مكتبة قار يونس تحت رقم (٨٧٠) انظر **المرجع السابق** ، الصفحة نفسها .

وقام كذلك بوضع كتاب (مصباح مشكاة الأنوار من صحاح أحاديث النبي المختار)[1] .

وأما المحدث الأخر الطيب بن عبدالله بامخرمة الحضرمي العدني (ت٩٤٧هـ/ ١٥٤٠م) فقد كان أبرز علماء عدن في النصف الأول من القرن العاشر ، ونقل عنه أحد تلامذته أنه قال أن إجادته في العلوم تشمل أربعة عشر علماً ، كان الحديث النبوي واحداً منها ، وله في الحديث كتاب (شرح صحيح مسلم) قيل أنه يتشابه كثيراً مع شرح الإمام النووي ، وله في علم الحديث كتاب (رجال مسلم)[2] غير أن هذين المصنفين – للأسف الشديد – يُعدّان من ضمن روائع التراث اليمني المفقودة .

ونشير هنا إلى أن علماء اليمن قد كانت لهم – في إطار الاهتمام بالحديث النبوي الشريف – عناية خاصة بالأربعينات في الحديث[3] ، فكان بعضهم يقوم بجمع أربعين حديثاً في موضوع معين ، تتقاطع فيما بينها في الغالب في وحدة الرواة أو وحدة الموضوع الذي تعالجه أو ما سوى ذلك ، ومن علماء اليمن الذي كتبوا فيها نذكر إمام المحدثين اليمنيين الإمام نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢١م) ، فقد جمع أربعين حديثاً من مرويات الإمام علي بن أبي طالب ﷺ[4] ، كما

---

(1) منه نسخة مخطوطة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم (٨٢ حديث) ، ونسخة في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بمدينة تريم – حضرموت تحت رقم (٤٤٠) انظر المرجع السابق ، الصفحة نفسها .

(2) العيدروس ، النور السافر ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، الشّلي ، السنا الباهر ، ص ٣٤٩ – ٣٥١ .

(3) أورد الإمام النووي في مقدمة الأربعين النووية الشهيرة دواعي انتشار هذا النوع من التصنيفات في الحديث فقال : " روينا عن علي بن أبي طالب وعبدالله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي الدرداء وابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهم أجمعين من طرق كثيرة بروايات متنوعات أن الرسول ﷺ قال : " من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء " وفي رواية " بعثه الله فقيهاً عالماً " ... واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه " النووي ، **الأربعين حديث النبوية** ، مكتبة المجلد العربي ، القاهرة ، (د ، ت) ، ص ٣ ، ٤ ، ٥ .

(4) مخطوط صغير ، منه نسخة في مكتبة الأستاذ عبدالله الحبشي ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٦.

صنف كتباً جمع فيه أربعين حديثاً حول فرضية الجمعـــة[١] ، وخرَّجَ له الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني أربعين حديثاً من مروياته أطلق عليها (الأربعين المهذبة) [٢] .

ومنهم أيضاً الإمام العلامة صفي الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد البريهي (ت٨٢٥هـــ / ١٤٢٢م) الذي جمع أربعينية حديثية سماها (الأربعين النافعة في بيان رحمة الله والواسعة)[٣] .

ومن أصحاب العناية بالأربعينات القاضي العلامة جمال الدين محمد بن عمر بن محمد بن صالح البُرَيْهي (ت٨٣٦هـــ / ١٤٣٢م) ، إذ ذُكرَ في ترجمته أنه جمع أربعين حديثاً في المعجزات والكرامات التي صحت لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك أربعين حديثاً أخرى في مناقب الخلفاء الأربعة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم جميعاً[٤] .

وللإمام المحدث الحافظ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي (ت٨٩٣هـــ / ١٤٨٧م) أربعينية في الحديث عنوانها (المخـــتار من مطالـــع الأنـــوار) ، نقل الحبـــشي[٥] – عن المؤرخ زبارة في وصفها أن الشرجي " أورد عقب كل حديث حديثاً في الطب وفائدة من كتاب الله وغيره وحكاية لطيفة رويت عن النبي صلى الله عليه وسلم " .

ومنهم أيضاً اثنان من العلماء الناشريين هما : الفقيه جمال الدين محمد بن عبدالســـلام الناشـــري (ت٩٠٦هـــ / ١٥٠٠م) الذي جمع أربعين حديثاً في فضل التوسعة[٦] ، والإمام حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري (ت٩٢٦هـــ / ١٥٢٠م) ، فقد صنف كتاب (الأربعون التهليلية) ، ولم يفصح المصدر عن موضوعها[٧] .

---

(1) منه نسخة خطية مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٧٣ مجاميع) ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٦ .

(2) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٣ ص ٢٥٩ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٩٩ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ١٤٠ .

(5) **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٨ .

(6) **المرجع السابق** ، ص ٥٩ .

(7) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٢١ .

ونختم حديثنا عن الحديث وعلومه لدى علماء اليمن في مدة الدراسة بتناول إحدى أشكال اهتمام اليمنيين به ، وهو حفظ أسانيدهم وطرق روايتهم له ، إذ أن المحدثين في اليمن – كغيرهم في بقية أقطار الإسلام – كان حرصهم على سلامة الحديث وروايته وإسناده نابعة من علمهم بأهميته ، فقد وردت في المصادر عددٌ من أقوال أئمة العلوم الشرعية والمحدثين التي تبين أهمية هذا الجانب في دراسة الحديث النبوي الشريف وعلومه ، من ذلك ما قاله عبدالله بن طاهر أن : " رواية الحديث بلا إسناد من عمل الذِّمّيّ ، فإن إسناد الحديث كرامة من الله عز وجل لأمة محمد ﷺ "[١] ، وقال ابن حزم : " نقل الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبي ﷺ ... خص الله عز وجل به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضاً جديداً على قديم الدهور "[٢] ، وفي هذا الباب يقول الإمام عبدالله بن المبارك : " لولا الإسناد لقال من شاء ما شاء "[٣] .

وقد أدرك العلماء والمحدثون اليمنيون تلك المعاني الدالة على أهمية هذا الجانب في علم الحديث الشريف ، وعلموا أن الإسناد جزء لا يتجزأ من روايته ورواية كل الأجزاء والكتب والأمهات والسنن والحديثية ، فاشتد حرصهم على تحصيل الأسانيد العالية من حُفّاظ عصرهم ، كما اشتدت عنايتهم بضبط الرواية وتلقيها من أفواه مشائخهم لحفظ سلسلة الإسناد ؛ وقاموا بتدوين اتصالهم بالشيوخ ووصف طرق أخذهم عنهم بالسماع كان أو بالإجازة ، وأطلقوا عليها (المشيخات[٤]) أو (المعاجم[٥]) أو

---

(1) السمعاني ، **آداب الإملاء والاستملاء** ، ص ٦ .

(2) ابن حزم ، **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر وآخر ، دار عكاظ ، جدة ، ١٩٨٢م ، ج ٢ ص ٢٢١ .

(3) السمعاني ، **آداب الإملاء والاستملاء** ، ص ٧ .

(4) مفردها مشيخة ، وتطلق على الكراريس التي يجمع فيها الإنسان شيوخه بالسماع أو الإجازة ، ويكون ترتيب ذكر الشيوخ فيها أبجدياً ، وقد أصبح المحدثون المتأخرون يستعملون مصطلح (الثَّبَت) بدلاً عنه، الكتاني ، **فهرس الفهارس والأثبات** ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط ٢ ، ١٩٨٢م ، ج ١ ص ٦٧ – ٧١ ، ابن حجر ، **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس** ، تحقيق د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ج ١ ص ١٠ ، ١١ من مقدمة المحقق ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٢٦٤ .

(5) قيل أن المعاجم مرادف للمشيخات ، والفارق بينهما أن المعاجم يكون ترتيب المسموع من العلم فيها على أسماء الكتب لا على الترتيب الأبجدي لأسماء الشيوخ ، عبدالله قائد العبادي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(كراســات المشائخ والأسانيد) ، وقد امتد اهتمامهم بمحتواها حتى أضحى يشمل كل طرق تحصيلهم للعلوم كلها وليس الحديث وحده ، ويبدوا أن وجودها لدى كل عالم كانت من الأهمية بمكان إلى درجة البداهة ، فكانت الإشــارة إليها لا تأتي إلا عرضاً[١].

من المشيخات التي نذكرها هنا مشيخة الإمام الحافظ نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢١م) ، وهي التي قال ذكرها السخاوي – بعد استعراضه لشيوخه بقوله : " وخلق تجمعهم مشيخته "[٢] ، وترك القاضي جمال الدين محمد بن سعيد بن علي بن محمد كِـبُّن الحضرمي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) ثَبْتاً في تراجم الشيوخ والأسانيد[٣] .

وهناك أيضاً (**معجم**) الإمام الحافظ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) الذي ضمنه تراجم لشيوخه الذي أخذ عنه بالسماع[٤] .

ووردت الإشارة لدى المؤرخ البريهي[٥] في ترجمته لشيخ الإسلام الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر بن محمد بن صالح الخياط (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) بأن له كراسة جمع فيها مشائخه وأسانيده وأنسابه .

وكان للإمام العلامة الفقيه قاضي القضاة جمال الدين محمد الطيب بن أحمد بن أبي بكر الناشري (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) – وهو أحد أشهر علماء اليمن وقضاتها – مشيخة جعلها في كراس ، وشمل فيها كل مشائخه وأساتذته لما كثروا ، واحتفظ بمشيخته هذه لديه ، وقد أشار إليها تلميذه المؤرخ البُرَيْهي في ترجمته له[٦] .

وقد وردت الإشارة كذلك إلى وجود (**معجم**) للإمام الحافظ وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الشهير بابن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)

---

(1) **المرجع السابق** ، نفس الصفحة.

(2) السخاوي ، الضوء اللامـــع ، ج ٣ ص ٢٥٩ ، وذكره الحبشي ، **مصادر الفكــر الإســلامي في اليمن** ، ص ٥٦ باسم (مسانيد العلوي) وذكر أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٨٦ مجاميع) .

(3) **المرجع السابق**، ص ٥٧ .

(4) **المرجع السابق** ، نفس الصفحة ، الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٧ .

(5) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣٠ .

(6) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٨ .

جمع فيه شيوخه وأسانيده[1]، ولعله هو نفســه المسمى (أسانيد ابن الديبع عن شيخه الشرجي عن نفيس الدين العلوي)[2] .

وكانت الزيدية حريصة جداً على الاحتفاظ بمعرفة الإسناد في علومها ، والحديث من بينها، وألفت في ذلك كتباً خاصة حوتها ببليوجرافيتها ، من ذلك – في مدة دراستنا – مشيخة الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) حوت إجازاته وأسانيده[3] ، ومثلها كذلك مشيخة الإمام عزالدين بن الحسن بن الهادي بن علي بن المؤيد (ت٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) التي جمعت مسنداته وأسماء مشائخه وإجازاتهم[4]، وكذلك كان مثلها مشيخة العلامة علي بن الإمام المتوكل يحيى شرف الدين[5] .

وفي الجملة فقد كانت عناية اليمنيين بالحديث النبوي كبيرة ، وبصور متعددة ، وما أوردناه هنا ليس ألا طرفاً من أخبار المبرزين فيه ، ومن أكدت المصادر عنايتهم الخاصة بالحديث النبوي والسنة المطهرة ، دراسة وتدريساً وتأليفاً ، وهناك أعداد كبيرة من العلماء وردت الإشارة – هامشيةً – إلى عنايتهم بالحديث وعلومه ، وأخبرتنا بدراستهم له وقراءتهم فيه على أيدي رجاله وأئمته الحفاظ ، وأشهر من تم حصرهم وعرضنا عن ذكرهم هنا هم حوالي خمسة وعشرين عالماً في مصادر الدراسة[6] .

---

(1) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٦١ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٨٦ مجاميع) ، انظر **المرجــع الســابق** ، نفس الصفحة .

(3) ومنها نسخة خطية ضمن مجموع بمكتبة المرتضى الوزير ، بهجرة بيت السيد فــي وادي الــسر ببنــي حشيش ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٧٢ .

(4) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٧١ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ١٦٧ .

(6) انظر تراجمهم وطرفاً من أخبارهم لدى الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٩٩ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٥٤ ، ٦٤ ، ١٢٥ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٢٨٤ ، ٣١٣ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٧٩ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ .

الفقه :

الفقه في اللغة هو الفهم ، وفي الاصطلاح هو العلم الذي يختص بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية[١] ، وهو التصديق بالقضايا الشرعية المتعلقة بكيفية العمل تصديقاً حاصلاً من الأدلة التفصيلية التي نصت في الشرع على تلك القضايا .[٢] .

وللفقه مكانة عالية في حياة كل المسلمين بلا استثناء ، ومعرفة أسسه وما يرتبط منه بلوازم الحياة اليومية فرض عين على كل فرد ، ولعله المشار إليه في الحديث الشهير : " **طلب العلم فريضة على كل مسلم** "[٣] ، والفقه هو الذي يترتب عليه تنظيم أحوال الفرد المسلم والمجتمع المسلم وسلوكهم وتعاملاتهم وعباداتهم على مقتضى مراد الله تعالى وبحسب نصوص القرآن والسنة المطهرة وما رافقهما من مصادر أقرها فقهاء الشريعة وأجمعت عليها الأمة .

وإذا كان تعلم أبجديات العبادة والمعاملات مما تَعَيَّنَ على كل مسلم فإن الله تعالى قد افترض (كفايةً لا عيناً) على الأمة والمجتمع – ككل – القيام بالتعمق في دراسة الفقه بتفصيلاته ، وتظل الأمة ملزمةً به ما لم تتصدر طائفةٌ منها للقيام به ، وهذا المعنى هو الذي تشير إليه الآية الكريمة : ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[٤] وهذه الطائفة هي المنتدبة للقيام بمهمة تعليم باقي الأمة القدرَ

---

[1] الجرجاني ، **كتاب التعريفات** ، ص ٢١٦ ، الفيرزابادي ، **القاموس المحيط** ، ج ٤ ص ٢٩١ .

[2] القنوجي ، **أبجد العلوم** ، ص ٤٥٨ .

[3] ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، ج ١ ص ٨١ ، رقم (٢٢٤) ، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم) .

[4] سورة التوبة .

المفروضَ عليها من التعلم ، ورغب النبي ﷺ المسلمين في أن يكونوا في عداد هذه الشريحة أو الطائفة فقال ﷺ : " **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** "[1] .

وفي ظل الحاجة العلمية الخاصة والجماعية إلى الفقه اتجه كثير من أبناء اليمن للتعمق في دراسته حتى أن المُطَّلع على المصادر من كتب التراجم والتواريخ ليكاد يجد صفة (**الفقيه**) لازمة لمعظم علماء اليمن – إن لم نقل: كلهم – حتى لو كان لهم اهتمام كبير بغير الفقه أيضاً ، فقد كان الفقه يدرس بعناية كبيرة في كل المراحل التعليمية .

ولا ننسى أن التدافع المذهبي في اليمن كان واحداً من العوامل التي أذكت جذوة هذا العلم فجعلته دائم الحضور في ذهن العالم والمتعلم ، وكانت رغبة الإسهام في نصرة المذهب تبرز في مخيلة الكثير من المتصفين بالعلم والطالبين له ، إلا أن تبلور القناعة ورسوخها بأن زمن الاجتهاد قد ولى وأغلق بابه جعل التقليد يطغى بشكل مذهل في تلك الفترة من تاريخ اليمن ، فلا تجد من الكتب الفقهية المصنفة عصرئذ إلا ما هو اختصارات وشروح وحواشٍ على أمهات الكتب الفقهية المذهبية الشائعة ، ولا نستطيع أن نستثني من ذلك الزيدية الذين كانوا دائمي الدعوة إلى الاجتهاد وجعلوه شرطاً أساسياً للإمامة – على المستوى النظري – إلا أنهم لم يخرجوا في الغالب على ما أقره أسلافهم في القرون الماضية .

وعلى العموم فقد احتل الفقهاء في مدة دراستنا مكانة عالية لدى الحكام والعامة، وكان الجميع يقربونهم ويولونهم احتراماً خاصاً ، وقد استعرضنا بعض صور تلك العناية في الفصل الخامس ، ومنها أن السلاطين كانوا يعفون أراضي الفقهاء من الخراج الذي يفرض على غيرها من أراضي المزارعين .

ظروف نشأة المذاهب والفرق الإسلامية وأسبابها :

إننا في لحظة التأهب للحديث عن الفقه وأصول الفقه ، وعن علم الكلام وأصول الدين ، واهتمام علماء اليمن وأوساطها العلمية بها ، وما صنفه اليمنيون فيها ، في تلك اللحظة نجد أنفسنا مجبرين على الوقوف – وقفةً تمهيديةً عابرةً – توطئ للتسلسل الذي

---

[1] ابن ماجه ، **سنن ابن ماجه** ، ج ١ ص ٨٠ ، رقم (٢٢٠) ، ورقم (٢٢١) ، باب (فضل العلماء والحث على طلب العلم) . البخاري ، **صحيح البخاري** ، ج ١ ص ٣٩ ، رقم (٧١) ، باب (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ، مسلم ، **صحيح مسلم** ، ج ٢ ص ٧١٨ ، رقم (١٠٣٧) ، باب (النهي عن المسألة) .

جرت عليه الأمور والأحداث لكي تستقر الأوضاع المذهبية والعقائدية على الشكل الذي استقرت عليه في مدة دراستنا ، من بداية القرن التاسع الهجري حتى وقوع اليمن تحت السـيطرة العثمانية في منتصف القرن العاشر الهجري .

نقول : لقد قضى الله سبحانه وتعالى أن يكون الاختلاف والتنوع سرّين من أسرار الحياة وسُـنَّتينِ من سننه السرمدية التي وضعها في هذا الكون وقضى بسريانهما ، فكانا أبرز سمات الوجود الإنساني ومن أوكد ضرورات الاجتماع البشري وأصوله ، وعلى المستوى الإنساني فإن الاختلاف والتـنوع لا يعدان فقط من أصول الاجتماع البشري ، بل إنهما أيضاً مما تدعو إليه الفطرة وتقتضيه الطبيعة الإنسانية ، فهما من ظواهر الوجود التي أودعت في الإنسان ، فمن وجهة نظر الإسلام أنه لولا سنتي الاختلاف والتنوع لاستحالت الحياة ، وبغيابهما يفقد الإنسان جزءاً عزيزاً من مكانته التي كرمه الله بها، إذ سوّاه ونفخ فيه من روحه ، ثم منحه العقل وعلّمه البيان وفضله على كثير من المخلوقات ، واستخلفه في الأرض وسخّر له ما في الكون جميعاً ثم هيّأ له مبادئ الروابط السامية التي تمكنه من الترفع عن كل تسفل ، وتدعوه إلى التعاون مع نظيره في عمارة الكون وتدبير المصالح وتبادل المنافع .

ومن صور التنوع والاختلاف لدى البشر التنوع الاجتماعي والديني والثقافي ، ومما يمكن إدراكه أن الإنسان كلما ارتقت قدراته الاستيعابية ، وكان واعياً بحقيقة الاختلاف باحثا في الكون مكتشفاً لأسراره ، كلما اتسعت دائرة علمه ومعارفه وخبراته، ومن شأن ذلك أن يثري الحياة الإنسانية على كل أصعدة مستوياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ومما يترتب على ذلك أيضاً التنوع والاختلاف في ثقافاتهم .

وقد أسهم في تطوير الحضارة الإسلامية أنواع عديدة من العناصر والأجناس والأديان المختلفة التي انضوت تحت نطاق نفوذها ، فساهمت في إثرائها ثقافات متعددة، لأن الجميع شارك بثقافته في تشييدها وازدهارها ، وكل ترك له بصمة في ناحية من النواحي الحياتية فيها ، وهذا التعدد في الإسهامات الثقافية من شأنه أن يغني أي حضارة ويعززها وينميها ، وعلى النقيض من ذلك ، الحضارة التي تقوم على لون واحد أو شكل واحد أو صورة واحدة تعد حضارة فقيرة .

لا يمكن فهم ظاهرة نشوء المذاهب والفرق في المجتمع الإسلامي بمعزلٍ عن استحضار مفهومي التنوع والاختلاف السابق ذكرهما باعتبارهما أساسي تفسير وتعليل بروز الظاهرة ووجودها ، ولا شك أن اختلاف الناس في امتلاك قدرات التفكير والفهم

والاستيعاب ، وتمايزهم في توافر عدد من المَلَكَات والمواهب المختلفة ، وتنوع أهوائهم ورغباتهم الشخصية والجماعية القائمة على أسس الأنساب والمطامع وحب جلب المصالح والحماس لتحقيق الغايات والمرامي المتنوعة ، لا شك أن ذلك كله كان حاضراً بقوة في وصف ولادة الفرق والمذاهب .

يظل هناك عاملان أساسيان لهما أبلغ الأثر في نشوء المذاهب والفرق الإسلامية، هما : العامل الثقافي بكل ما يندرج تحته من تفصيلات دقيقه سنأتي على ذكر أهما ، والعامل السياسي بكل تعقيداته .

دور العامل الثقافي قديم ، تبدأ جذوره من تباين مستويات الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين – باعتبارهم قنوات نقل الإسلام إلى الأجيال التالية بالصورة المباشرة ، كما في عصر التابعين ، أو بالصورة غــير المباشرة مع الأجيال التالية للتابعين – في الفهم الاستيعاب أولاً ، وفي مقدار الحصيلة العلمية التي تلقوها عن النبي ﷺ ثانياً ، فمن المعلوم أنهم كانت لهم مصادر رزقهم التي يطلبونها ، لأنهم لم يكونوا في يسر وفسحة من المعيشة ، فمنهم التاجر الذي يغدو إلى الأسواق ويمسيها طلباً لقوته وقوت عياله وما يجهز به نفسه للغزوات الكثيرة ، ومنهم من كان منهمك في إصلاح نخله ومزارعه ، وكانوا جميعاً – مع كل ما هم فيه من شدة وضيق – حريصين كل الحرص على ألا يضيع أحد منهم فرصة في الجلوس إلى النبي ﷺ والاستفادة منه إذا وجد أدنى فراغ مما هو فيه ، وكان بعضهم أوفر حظاً في هذا الجلوس من بعض ، وذلك لقلة مشاغلهم لعدم توافر مجالات ثابتة لهم للعمل والتكسب ، أو لارتباطهم برسول الله ﷺ بخدمته وما إليها ، فكانوا أكثر سماعاً من النبي ﷺ ، ومن هؤلاء أنس بن مالك خادمه ﷺ وأبو هريرة رضي الله تعالى عنهما .

ومن المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتى ويحضر فتواه بعض الصحابة دون بعض ، وكان يقضي ويحضر قضاءه بعضهم دون بعض ، وكان ربما أمر بأمر أو نهى عن فعل في غير موقفي الفتوى والقضاء ، ويحضر ذلك بعضهم دون بعض ، فلا يعقل أن يحيط أحدهم بكل ما صدر منه ﷺ ، وهو ما أدركه الصحابة – رضوان الله عليهم – فلم ينكر على بعضهم ، مقدمين الثقة الكبيرة القائمة بينهم في غيرة الجميع على الدين وحرصهم على تبليغه ، فلما فتحت البلدان ومُصِّرتْ الأمصار تفرق الصحابة فيها ، واستقر مقام كل مجموعة منهم في مصر ، فكانت تنزل النازلة

بأهله أو يبرز في مواقف حياتهم ما يستدعي السؤال ، فيفتي فيها من نزل بينهم من الصحابة ، وربما كانت هذه الفتوى مستندة إلى عموم أو اجتهاد شخصي ، حتى لو كانت المسألة قد ورد فيها نص يخصها غاب عمن أفتى هذه الفتوى ، وتلقف علم الصحابة أجيال من أبناء الأمصار المختلفة ، فتباينت مواقفهم وتنوعت تبعاً لذلك .

وبعد انقراض عصر الصحابة سار على نهجهم طوائف من التابعين الذين تتلمذوا على أيديهم ، فظلوا يفتون بما استقر عند من أدركوه من الصحابة وتعلموا على يديه ، ومن هنا طغت آراء ابن عمر على فتاوى من بالمدينة من التابعين ، وكذا الحال بالنسبة لأهل مكة مع ابن عباس وبالنسبة لأهل الكوفة مع الإمام علي وابن مسعود رضي الله عنهم ، فلم يكن أهل المصر يخرجون عن فتوى من رووا عنه إلا نادراً ، وامتد النهج نفسه عند ظهور جيل ما بعد التابعين كأبي حنيفة بالعراق وابن جُرَيْج بمكة، ومالك بن أنس الأصبحي بالمدينة ، وعبدالرحمن الأوزاعي بالشام ، والليث بن سعد بمصر ، إذ جرى هؤلاء الأئمة على نفس طريقة من سبقوهم ، وهنا بذرت نويات المذاهب الفقهية والفكرية في المجتمع الإسلامي ، فنمت واستحالت أشجاراً باسقة صمد معظمها رغم مرور الزمن وتقادم الأيام .

إلى هنا كان الاختلاف قائماً في أبهى صوره الإيجابية ، فقد كان اختلاف تنوع وتعدد ، ولم يحمل في طياته أشكال الخلاف والتناقض ، بل اقترن الرأي مع مغايره في تناسق وانسجام ، وأجمع المسلمون – بداهةً – على قبول تعدد آراء الأئمة والعلماء المجتهدين ، فتعددت مدارس العلم في كل جانب من جوانب المعرفة ، فكانت مدارس المفسرين والمحـدثين والأصوليين والفقهاء ، وتجاوز التعدد مجالات العلوم الشرعية وآفاقها إلى غيرها لنرى مدارس النحاة والأدباء والمؤرخين وغيرهم .

أما العامل السياسي فكان له دوره في نشوء الفرق والمذاهب بشكل أقل من أن يوصف بالتأثير المباشر رغم قوته ، فقد كان الموقف السياسي هو الدافـع الرئيس وراء نشوء فرق الشيعة – من ناحية كونها مذهب فكري وفقهي لا من ناحية كـونها مجموعة مسلمة لها رؤاها في الفكـر السياسي – وبالمثل فإن الكلام نفسه ينطبق على الخوراج الذين تجمعوا في البداية حول موقف سياسي أصبح فيما بعد مشروعاً متكاملاً أو شبه متكامل ، ومع مرور السنين وتتابع الأحداث ، أصبحت الآراء الفكرية والفقهية المرتبطة بالفرق ذات المشاريع السياسية ، وكذلك آراء العلماء وكبار الفقهاء والمحدثين مذاهب ومدارس لها شخصياتها الاعتبارية على أرض الواقع ، وجاءت الأجيال

لتتحمس لهذا المذهب والفرقة أو تلك ، وبلغت الحماسة حد التعصب ، واعتمدت الدول بعض المذاهب حتى صارت مرتبطة بوجودها ، وسارت في ظلالها ، تتمدد مع امتدادات سيطرتها وتنحسر بانحسارها ، إذ – على سبيل المثال – ارتبط المذهب الحنفي بالدولة العباسية والمذهب المالكي بالكيانات السياسية القائمة في المغرب والأندلس كلها .

ومما يجدر الإشارة إليه هنا إلى أن كثير من أوجه الاختلاف والتنوع بين المذاهب والمدارس والفرق كان مرده – بالإضافة إلى ما سبق – إلى اختلافات في الفهم اللغوي والدلالي – الحقيقي والمجازي – لبعض العبارات أو المفردات الواردة في النصوص القرآنية والنبوية وتأويلها ، أو في تقييم أدلة الأحكام الحديثية من ناحية القوة والضعف واستحقاق بلوغها درجة الاستدلال بها ، أو اشتراط البعض لصحة الدليل شروطاً لا يقرها البعض الآخر ، أو مدى اتساع وضيق مساحة التأويل الظاهري الصريح والباطني المتضمن للنصوص القرآنية والنبوية ، وكذلك مشروعية القياس والالتفات إلى العلل والمقاصد الكامنة وراء نصوص الأدلة ، وذلك كله يأتي مرتكزاً على قاعدة تفاوت قدرات الناس في الفهم والاستيعاب والاستنباط مع افتراض سلامة النية لدى الجميع في الغيرة على الدين والسعي لخدمته والتعبد بها .

غير أن اشتغال أتباع كل مذهب بجمع أقوال إمام مذهبهم وكبار علمائه ، ووضع أصول المذهب وتقعيد قواعده قد أسهم في توسيع دوائر الخلاف إلى أن أصبحت مواطن الاتفاق قليلة جداً ، ونشأ في إطار ذلك الخلاف حول القواعد العامة فنتج عن ذلك اختلاف كبير في الفروع نفسها ، واتسعت دوائر الخلاف أكثر حتى شملت أتباع المذهب الواحد والفرقة الواحدة ، فبرزت في ثنايا بعضها مدارس يدعو بعضها إلى الأخذ بما قام عليه الدليل ولو لم يكن هو (مشهور المذهب) ، ودعا بعضها الآخر إلى الأخذ به ولو خالف الدليل .

خارطة المذاهب الفقهية في اليمن في مطلع القرن التاسع الهجري :

مع إطلالة القرن التاسع الهجري كانت خارطة الفرق والمذاهب في اليمن قد تشكلت واتخذت أبعاداً شبه محددة في ملامحها الفقهية والفكرية والعقيدية ، وقد تناولت مجموعة من الدراسات الحديثة الحياة المذهبية في اليمن في مرحلة ما قبل مدة دراستنا بشكل يتضمن الكثير من التفاصيل ، وقد تمت الإشارة إلى أشهرها في الفصل الأول

من هذه الدراسة ، وفي تلك الدراسات المتخصصة ما يغنينا عن تكرار تناول الكثير من محتواها هنا ، ولأن السياق والحدود الزمانية للدراسة لا يتيحان الحيز الكافي لتفاصيل كثيرة .

أهم ما يمكن التأكيد عليه هنا هو أن الفِرَق المذهبية والفكرية التي صمدت واستقرت راسخة في أرض الواقع اليمني في مطلع القرن التاسع الهجري هي فرقتان رئيستان : السنة والشيعة ، فقد انعدمت الإشارة تماماً إلى الخوارج ، حتى أن المطلع على المصادر اليمنية المتوافرة يلحظ اختفاء ذكرهم وعدم حصول أي تتناول لفكرهم ولو من باب كونه تراثاً كان قائماً في اليمن ، وقد انحصر وجود أهل السنة – من الناحية الفقهية – تحت لافتتي (المذهب الشافعي) و (المذهب الحنفي)[1] ، وإن كانوا

---

[1] كان مذهب الإمام مالك بن أنس الأصبحي – ومعه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان – أقدم المذاهب الفقهية السنية حضوراً في اليمن ، ويبدو أن من عوامل ذلك الحضور القديم أن للإمام مالك رحم في اليمن ، فهو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي – من ذي أصبح وهي بطن من حِمْيَر إحدى أشهر القبائل اليمنية الكبرى – وقد أشارت أقدم المصادر اليمنية إلى تتلمذ عدد من كبار علماء اليمن على يدي الإمام مالك في المدينة وأخذهم العلم عنه ، وإن كانت لم تصرح بكون أكثرهم تبنوا مذهبه الفقهي وقاموا بنشره ، ومن البديهي أنهم مثلوا جسوراً وقنوات انتقل عبرها فقهه إلى اليمن ، ومن أشهر من وردت الإشارة إلى تتلمذهم على يدي مالك الإمام أبو قرة موسى بن طارق الزبيدي (ت٢٠٣هـ / ٨١٨م) صاحب (سنن أبي قرة) التي كان قال عنها الجَنَدي : " ولم يكن أهل اليمن يعولون في معرفة الآثار إلا عليه ، وذلك قبل دخول الكتب المشهورة " ، وأكثر الإشارات صراحة إلى الشخصية التي حملت مذهب الإمام مالك بن أنس – بعد تلقيها إياه مباشرةً عنه – وتبنت نشره في اليمن هي شخصية الإمام علي بن محمد بن أحمد التباعي الحِمْيَري (يرجح أن تاريخ وفاته كان في أواخر القرن الثاني أو في بداية القرن الثالث الهجريين) ، يقول عنه الجندي : " وكان هذا عليٌّ ممن أدرك الإمام مالك بن أنس وأخذ عنه، وعنه انتشر مذهبه في اليمن ... ومن ذريته فقهاء وصاب الذين يعرفون بالتباعيين " ، وقد أدى ظهور حملة فقه الإمام الشافعي ونشاط دعاة الشيعة من الزيدية والإسماعيلية في أواخر القرن الثالث الهجري إلى انحسار مذهب الإمام مالك حتى خفت ذكره ، وهو ما يؤكد أن رجاله كانوا من القلة بحيث لم يحفظوه ويعملوا على نشره بالقدر الذي يضمن تجذره وترسيخه كما حظيت به المذاهب الأخرى ، ولا يُغفل تأثير فقدان هذا المذهب لمكانته الكبيرة التي كان يتمتع بها في بلاد الحجاز وانتقال غلبته على منبري مكة المكرمة والمدينة المنورة إلى المذهب الشافعي فتجفف بذلك المنبع الذي كان يفترض به رفد قواعده بالعناصر الجديدة ، ولهذا لم يأتِ القرن الخامس الهجري إلا وقد أصبحت الإشارات إلى وجوده نادرة ، وتعود آخر الإشارات في المصادر إلى وجود مالكية في اليمن إلى القرن السابع الهجري ، وانظر ابن سعد، **الطبقات الكبرى** ، ج ٥ ص ٢٨٧ ، ابن الجوزي ، **المنتظم** ، ج ٩ ص ٤٢ ، الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ج ٨ ص ٤٨ ، اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج ١ ص ٢٩٠ ، العامري ، **غربال الزمان** ، ص ١٦١، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب** ، ج ٤ ص ٦ ، ١٧٨ ، الذهبي ، **تذكرة الحفاظ** ، صححها وعلق عليها

على غير انسجام أو اتفاق من الناحية العقائدية إلى حدٍّ ما ، إذ تنازعتهم العقيدة الحنبلية[1] والأشعرية ، وأضافت بعض عقائد الغلاة من الصوفية بعداً ثالثاً للتنوع بينهم ، كما سيأتي بيانه قريباً ، وأما الشيعة فقد مثلتهم – من الناحية الفقهية والعقائدية – الزيدية والإسماعيلية ضمن امتداد قديم يبدأ من النصف الثاني للقرن الثالث الهجري، غير أن الحصول على مصادر الفقه والعقيدة عند إسماعيلية اليمن يعد من المتعذر ، فقد

عبدالرحمن ابن يحيى المعلمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د ، ت) ، ج ١ ص ٢٠٧ ، طاش كبري زاده ، **مفتاح السعادة** ، ج ٢ ص ٢١٨ ، الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٧، ج ٢ ، ٣٤٤ ، ٥١٣ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٦٩ ، ٧٤ ، ٧٩ ، الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٢٧٢ ، د. أيمن فؤاد سيد ، **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري** ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ص ٥١ ، د.عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، المقدسي ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٧م ، ص ٩١ ، ابن المجاور ، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز – المسماة تاريخ المستبصر** ، اعتنى بتصحيحه أوسكر لوفجرين ، دار التنوير ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٦م ، ص ١٣٢ .

[1] عُرِفَ مذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني بأنه أقل المذاهب الفقهية السنية الشهيرة انتشاراً ، ولذلك لكونه آخر المذاهب الأربعة ولادة وظهوراً ، ولعدم توافر دعم الدولة بتمكين العلماء من أتباعه من شغل مناصب القضاء وتصدرهم للفتوى كما حصل ذلك للمذهب الحنفي – مثلاً – إلا أن ما ميز هذا المذهب عن غيره هو ارتباطه بآراء الإمام أحمد في العقيدة وعلم الكلام والتي مثلت – في الغالب – أغلب نقاط الالتقاء والاتفاق على العقيدة بين أهل السنة والجماعة ، وقد انعدمت الإشارة إلى المذهب الحنبلي – من ناحية كونه مذهباً فقهياً – في اليمن في كل المصادر اليمنية المطبوعة والمخطوطة التي تمكنا من الحصول عليها ، بالرغم من أن الإمام أحمد بن حنبل نفسه قدم إلى اليمن وتتلمذ على يد طائفة من كبار علماء الفقه والحديث فيها سبق بيانه في الفصل الأول من هذه الدراسة ، إلا أن عقيدة الحنابلة كانت هي عماد دفاع أهل السنة – والذين كان أغلبهم شافعية – عن مواقفهم في الأصول تجاه خصومهم ومنافسيهم من المعتزلة الزيديين ابن سمرة ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٠ ، ١٨١ ، الجَندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣٤٥ – ٣٤٨ ، ج ٢ ، ص ٣١٨ ، أبو زهرة ، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د ، ت) ، ص ٥٢٨ ، د.عبدالرحمن الشجاع، **المرجع السابق** ، ص ١٨١ ، ٥٢٩، د. محمد رضا الدجيلي ، **الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري** ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص ٢٧ ، أحمد عبدالله عارف ، **مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ص ١٥.

عجزنا في الحصول شيئ من مصادرها بسبب ما طبعت هذه الفرقة به نفسها من التكتم الشديد وعدم السماح بوصول تراثها – على وجه الإجمال – إلى أيدي غير أبنائها .

ويجدر الإشارة إلى أهل السنة – من الناحية الديمغرافية – هم أغلب سكان اليمن، والشاغلين لأغلب مساحته الجغرافية ، أما الشيعة فإن الإسماعيلية يعدون أقل اليمنيين عدداً وأقلهم انتشاراً جغرافياً ، وأضعفهم تأثيراً في مجريات الأمور العامة إبان فترة الدراسة ، ولتسهيل تناول هذه المذاهب فإننا سنقوم بالحديث عنها تحت العناوين الآتية :

١. المذهب الحنفي :

سبق أن ذكرنا أن المذهب الحنفي والمذهب المالكي قد تزامن ظهورهما – تقريباً – في أرض اليمن ، غير أن المذهب الحنفي كان له حضوراً أقوى بطبيعة كونه المذهب الرسمي للدولة العباسية ، فكان قاضي القضاة في بغداد لا يولي القضاء إلا من كان حنفياً مثله ، كما كان أغلب عمال العباسيين أحناف أيضاً[1] ، وذلك كان له أبلغ الأثر في انتشار هذا المذهب ، ليس في اليمن وحدها ، بل في كثير من أقطار العالم الإسلامي ، ودور الدول الكبير في انتشار المذاهب والاتجاهات المرغوبة لديها قد أدركه المؤرخ اليمني ابن سمرة[2] فعبر عنه قائلاً : " وللدول في طي العلوم ونشرها وإظهارها تأثيرات معجزة ، في تمكينات موجزة ، والدليل على ذلك أن مالك بن أنس كان يحدثهم عن ربيعة الرأي ، فكان الناس يستزيدونه من حديث شيخه ربيعة ، فقال لهم ذات يوم : ما تصنعون لربيعة وهو نائم في ذلك الطاق ؟؟ فأتوه ونبهوه وقالوا له : أنت ربيعة الذي يحدث عنك مالك ؟؟! قال : نعم ، قلنا له : كيف حظي بك مالك ولم تحظ أنت بنفسك ؟ فقال : أما علمتم أن مثقالاً من إمْرَةٍ – وقيل : مثقالاً من دولة – خير من حِمْلِ علم ؟؟!! " .

---

(1) أبو زهرة ، **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، ص ٣٨١ ، أحمد تيمور ، **نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة الحنفي ، المالكي ، الشافعي ، الحنبلي ، وانتشارها عند جمهور المسلمين** ، دار القادري، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ٥١ ، د.عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ١٧٩ .

(2) **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٧٩ ، ٨٠ .

لم يكن الدور الرسمي هو العامل الوحيد في انتشار المذهب الحنفي في اليمن ليصبح القرن المذهب الأكثر انتشاراً بها حتى أواخر القرن الرابع الهجري ، بل كان لبعض علماء اليمن جهودهم الفعالة في حمل فقهه ونشره بين أبنائها[١] ، فجاءت إشارات المصادر لتؤكد على أن المساجد في صنعاء وصعدة وزبيد وغيرها كانت في القرن الرابع الهجري وبعده في أيدي علماء أحناف[٢] .

ثبتت أسس المذهب الحنفي في اليمن مدة من الزمن حتى كاد يشملها ، ولما دخلها الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرَّسِّي (ت٢٩٨هـ / ٩١٠م) في سنة (٢٨٤هـ / ٨٩٧م) كان معظم اليمنيين أحناف[٣] ، فكان جداله ومناظراته مع أهل السنة بين صنعاء وصعدة تدور مع علماء مذهب أبي حنيفة على وجه الخصوص لأنه كان المتغلب هنا ، ومنها المناظرة الشهيرة التي جرت بين الإمام الهادي في صنعاء – يوم دخلها – مع سبعين من فقهاء الحنفية بها والتي ذكر المصدر أنه استطاع من خلالها استمالتهم وإدخالهم في مذهبه[٤] ، وكان لبروز الزيدية على الساحة في أواخر القرن الثالث الهجري دوره المهم في التأثير على حضور المذهب الحنفي في المناطق الشمالية من المرتفعات الجبلية بما فيها صنعاء وصعدة ، فمع أن التلازم بين فقه الزيدية وفقه الإمام أبي حنيفة كان كبيراً حتى أن هناك من قال إن الزيدية في الحقيقة معتزلة في الأصول وحنفية في الفروع – كما سيأتي بيانه – إلا أن علماء الزيدية وأئمتها دأبوا على أن يعزوا نقاط الاتفاق الكثيرة في فقه المذهبين إلى أن الإمام أبي حنيفة كان يكثر التردد على الإمام جعفر الصادق والأخذ عنه ، وبالتالي فالمذهب الحنفي هو الآخذ عن أسلافهم وليس العكس .

مهما يكن الأمر ، فإن المذهب الزيدي قد حل بالتدريج محل المذهب الحنفي في كثير من المناطق المذكورة ، وطغى مذهب الإمام الشافعي على أغلب المناطق الأخرى

---

(1) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(2) المقدسي ، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، ص ٩١ ، ابن المجاور ، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز** ، ص ٨٨ .

(3) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٧٤ ، ٧٩ ، د. أيمن فؤاد سيد ، **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري** ، ص ٥١ .

(4) يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ٤١ .

في نهاية القرن الرابع الهجري لينزوى – تبعاً لذلك – المذهب الحنفي في مدينة زبيد وما حولها ، واستقر هناك ، لذلك نجد أحد مؤرخي القرن التاسع الهجري يقول : " وأما أعمال زبيد فأهل واديها – وادي رِمَع – جُلُّهم حنفية المذهب "[١] ، ولم يبق له في اليمن وجود إلا هناك[٢] إلى يوم الناس هذا بعد مرور أكثر من ألف سنة من المدة التي نتحدث عنها .

ومع انزواء المذهب الحنفي في مناطقه المشار إليها إلا أن المصادر التاريخية المتوافرة تشير إلى أن علماءه مثلوا أنداء ونظراء للفقهاء الشافعية في مرحلة ما قبل القرن التاسع الهجري ، وكانت مكانة المذهبين السنيين متكافئة هناك ، ورعت طوائف المجتمع وكل الزعامات السياسية هذه المكانة ولم يتجاوزوا إحداها لحساب الأخرى مهما كان تعاطفهم وميلهم موجوداً نحو إحداها[٣] .

أسهم علماء المذهب الحنفي في الحياة العلمية في اليمن خلال هذه الفترة بشكل واضح وفاعل ، وهو دليل على بروز شريحة مجتهدة من علمائه في التحصيل العلمي الكبير وفي حماستهم لحمل فقه الإمام أبي حنيفة النعمان ، واستمرت منابع فقهه محتفظة بحيويتها وقائمةً بدورها في تجديد رفده بالعناصر البشرية القائمة عليه والحاملة له ، وفي مقدمة هذه المنابع المدارس التي كانت مختصة بالمذهب الحنفي ، وكان عددها

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٢٨٩ .

(2) ابن المجاور ، ، **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز** ، ص ٨٨ ، د.عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ١٧٩ ، حسن أحمد السمين ، **المذهبان السني والشيعي في اليمن في القرنين الرابع والخامس الهجريين وأثرهما على الحياة السياسية والاجتماعية** ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٣٠١ .

(3) عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد** ، ص ٢١٠ ، ٢٢٧ ، الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٥٠٧ ، ٥١٠ ، ٥١٣ ، ج ٢ ص ٤٩ ، ٥٣٧ ، الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ١١١ ، ١١٦ ، ، الزبيدي ، **نفائس النفائس فيمن أنشأ وعمر من المساجد والمدارس** ، ق ٢ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٧٦، ٧٧ ، حسن أحمد السمين ، **المذهبان السني والشيعي في اليمن** ، ص ٣٠٢ ، الأكوع ، **المدارس الإسلامية في اليمن** ، ص ٢٤ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٢٦٠ .

ست مدارس ، والتي توارث التدريس والقيام بنظارتها أسر حنفية عريقة على مدار قرون ، وقد رصدها بعض الباحثين وتتبع أهم العلماء الذين تولوا التدريس فيها[1] .

ومع وجود تراجم لعلماء الحنفية في اليمن في بعض المصادر اليمنية وغيرها إلا أن أحداً من أبنائها لم ينبرِ للتصنيف في طبقاتهم أو ينتدب نفسه لكتابة تراجمهم ، وهو ما أدى إلى غمط كثير من حقهم في الشهرة وسعة الذكر ، وجاءت تراجم بعضهم بسبب تتلمذ طلبة العلم من غير الحنفية عليهم عندما تميزوا في علوم كثيرة شرعية كالحديث والفقه وعامة كالعلوم الطبيعية والتطبيقية ، حتى أنهم كانوا يتدارسون الفقه في غير مذهبهم ، كالفقه الشافعي مثلاً – وأتقنه بعضهم حتى جلس بين يديه طلبة العلم المريدين له[2] ، وكثيراً ما وصفتهم المصادر التي ترجمت لهم بالفقهاء والعلماء .

ومن أشهر من وردت تراجمهم واقترنت نسبتهم إلى المذهب الحنفي في مدة دراستنا يأتي الفقيه العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان ، ترجمه الأهدل الشافعي[3] فقال : " كان فقيها كبيراً يقصده الفقهاء من نواحٍ شتى ، ويقرأون عليه في المذهبين – أي الحنفي والشافعي – ... " ، ومنهم كذلك الفقيه والمفسر الكبير أبو بكر ابن علي الحداد (٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) الذي كان شيخ الحنفية باليمن في عصره ، وصنف مؤلفات في فقه مذهبه ، منها أنه " شَرَحَ القدوري شرحين ، كبير وصغير ، وشَرَحَ (النسفية) ، وشَرَحَ (قيد الأوابد) و(وبداية المبتدي) ، وصنف تفسيراً للقرآن الكريم ، وهو من مشائخ بعض رجال الحنفية الأعلام في القرن التاسع الهجري كمحمد بن شوعان الآتي ذكره[4] .

ومن أئمة الحنفية أيضاً والبارزين في مدينة زبيد الفقيه العلامة علي بن أحمد بن موسى الجلاد الحنفي (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ، كان عارفاً بالفقه والنحو واللغة

---

(1) عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ١٨٩ – ١٩٣ .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٥٦٣ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٠٨ .

(3) الأهدل ، **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(4) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٣١٤ .

والقراءات والحديث والفرائض والجبر والمقابلة والحساب والهيئة ، وصف بأنه كان بارعاً في كل فن منها ، مفرط الذكاء ، كامل الأدب ، حافظاً لأشعار العرب[1] .

ومنهم الفقيه العلامة عفيف الدين عثمان بن إقبال القُرتُبي (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ، كان موصوفاً – من قبل بعض معاصريه – بأنه جامع بين العلم والعمل والزهد والورع ، باذلاً نفسه للطلبة ، ولهذا كثر تلامذته[2] ، ومن المؤكد أن غالبيتهم من طلبة العلم الأحناف .

ومن فقهاء الحنفية كذلك الفقيه الكبير العلامة الحنفي جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عمر بن عبدالله بن شوعان (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ، أحد أبرز تلاميذ الفقيه القرتبي السابق ، كان متعدد العلوم ، له مكانة كبيرة بين أقرانه من العلماء ، الحنفية والشافعية ، لذلك امتدحوه بعلمه وديانته ، قال عنه الأهدل[3] – وهو من معاصريه– : " وكان ابن شوعان فاضلاً بالفقه والقراءات والأصول وعلم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة ، والديانة والزهد والورع ، سمع الحديث على سليمان العلوي ، وقرأ القراءات المقرئ محمد العدني والمقرئ أبي القاسم السهامي " .

ومن تلاميذ الفقيه ابن شوعان فقيه حنفي آخر يدعى الفقيه السراج[4] ، أصل بلده جَبَرْت في الحبشة ، إلا أنه قدم منها – وهو صاحب حصيلة علمية فقهية وأصولية – إلى اليمن فاستوطنها " فأكمل تفقهه بابن شوعان ، واجتهد وبحث وحقق ، أصلاً وفرعاً ، ودَرَّسَ وأفاد ، وجمع بين العلم والعمل والصلاح ، وله كرامات ومكاشفات ... "[5] .

وقد تحدث المؤرخ الأهدل عن مقابلته لفقيه حنفي في مدينة أبيات حسين، كان قد نزلها في صحبة القاضي يوسف العراف وزير السلطان الظاهر يحيى الرسولي ، وهذا الفقيه الحنفي هو الفقيه العلامة عفيف الدين عبدالله بن علي بن السراج

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٠٠ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٧٩ .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٤١٤ .

(3) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٤١٤ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٣ .

(4) لم يذكر الأهدل اسمه كاملاً ولا تاريخ وفاته ، إلا أنه تحدث عنه بوصفه واحداً من معاصريه .

(5) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٤١٤ .

السلامي ، وهو تلميذ لابن شوعان والفقيه السراج الجبرتي الحنفيين السابقة تراجمهم ، وعنه نقل الأهدل – شفاهة – تراجم عدد لا بأس به من الفقهاء الأحناف المعاصرين له والذين لم يكن على معرفة بهم ، قال عنه الأهدل[1] : " وممن تفقه عليه – أي على الفقيه السراج الجبرتي السابق – الفقيه عفيف الدين عبدالله بن السراج السلامي ، وتفقه أيضاً العفيف هذا على ابن شوعان ، وهو يُدَرِّسُ في بلده ، فحقق المذهب – يقصد المذهب الحنفي – زاده الله من الخير ، قدم علينا في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وثمامائة صحبة القاضي يوسف العراف وزير الملك الظاهر وأفادني ذكر هؤلاء الجماعة رحمهم الله تعالى ، وهو الآن يُدَرِّسُ الحنفية بقرية السلامة بمسجد الفقهاء بني الزيلعي نفع الله بهم " ، ووصفه البريهي الشافعي[2] بأنه كان أوحد أهل زمانه في تحقيق علم الفقه والتفسير ، غير أنه لم يصنف فيهما ، وكان جهده منصباً في التدريس، وكانت له فيه براعة حمده عليها من عرفها فيه .

وكان من بين أبناء الحنفية بأعمال زبيد بيت علم يدين له اليمنيون بالفضل – من بعد الله تعالى – في انتشار علم الحديث النبوي الشريف وشيوع دراسته في أرجاء اليمن في مطلع القرن التاسع الهجري ، وهذا البيت العلمي هو بيت (آل العلوي) ، ونسبتهم (العلوي) لا تعود إلى النسب الشهير المتصل رَحِماً بالإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فهم ينتسبون إلى جدهم علي بن راشد بن بولان بن عبس العكي اليماني الحنفي[3] ، وقد أنجب هذا البيت لليمن العديد من العلماء والوزراء ، وكلهم نالوا حظاً واسعاً من العلم والديني والدنيوي ، ومن أشهر شخصياتهم في مدة دراستنا الفقيه العلامة الأديب وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي العلوي الحنفي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، وصفه بامخرمة[4] بقوله : " أوجه أهل عصره جلاله ورياسة ونباهة ونفاسة ... ترقى في الخدمة السلطانية والمباشرات

---

[1] تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ١ ص ٤١٤ .

[2] البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٨٤ .

[3] الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ١ ص ٤٠٦ ، ابن حجر ، إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٢٨٦ .

[4] قلادة النحر ، ج ٣ ص ٦٦٨ ، تاريخ ثغر عدن ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

الديوانية ، وشد في سائر الجهات اليمانية ... ولم يزل عنده – أي السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) – مجللاً معظماً مسموع الكلمة ... له نظر في كثير من العلوم ، ومشاركة في المنثور والمنظوم ، ومن محاسن شعره القصيدة البديعة التي أودعها سائر فنون البديع ، وشرحها شرحاً شافياً ، وله عدة قصائد في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومدحه عدة من فضلاء الشعراء... " ، وقد وصفه شيخ الإسلام الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني بقوله : " لسان البلاغة ، ومعدن الفصاحة ... " ، وعُرف بأنه من البارعين في الأدب نثراً ونظماً[١] .

وكان للوزير عبدالرحمن العلوي مآثر واسعة ، وأدوار في رعاية المذهب الحنفي باليمن ، منها ما أورده بامخرمة[٢] أيضاً في ترجمته ، إذ قال : " ... ومن محاسنه الدينية المدرسة التي أنشاها بزبيد ، ورتب فيها إماماً ومؤذناً ومقيماً ومدرساً وطلبة على مذهب الإمام أبي حنيفة ، ومدرساً وطلبةً على مذهب الإمام الشافعي ، وأوقف على الجميع وقفاً جيداً يقوم بكفايتهم ، وكانت عمارته للمدرسة سنة خمسه وتسعون وسبعمائة، يقال أنه لما عزم على عمارة المدرسة اشترى أرضاً وحفر فيها بئراً للماء ، ثم استعمل من الأرض المذكور آجراً ، ونقل منها الطين إلى المدرسة ، فكان عمله الآجر والطين من تلك الأرض ، لحترازاً منه أن يدخل في عمارتها شيئاً لا يملكه ، وهذا شيء لم يسبقه إليه أحد ، ومن محاسنه التي فاق بها أبناء جنسه وكثير من غيرهم أن مأكوله وملبوسه ونفقات أهله وأقاربه وعمارة بيوته وأراضيه وجميع ما يتصدق به من غلة أرضه التي يملكها ، لا يستعمل في ذلك شيئا من غيرها أبداً ، وكان كثير الصدقة على أقاربه وجيرانه وغيرهم ، لا يسأل شيئاً فيرد سأله خائباً ؛ رحمه الله ...".

وأما من أشرنا إليه بأنه صاحب الفضل في انتشار علم الحديث النبوي الشريف وشيوع دراسته في أرجاء اليمن في مطلع القرن التاسع الهجري من آل (العلوي) فهو العَلَم الذي سبق أن تناولنا له ضمن علماء الحديث من هذا الفصل ، وهو شيخ شيوخ المحدثين اليمنيين وحافظ البلاد ومسندها الأكبر ، الإمام الحافظ المحدث نفيس الدين أبو

---

(1) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٤ ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، وسيتم تناول أعماله التصنيفية في الفصل القادم ضمن اهتمام اليمنيين باللغة العربية وآدابها وتصنيفهم فيها .

(2) قلادة النحر ، ج ٣ ص ٦٦٨ ، ٦٦٩ .

الربيع سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي العلوي (٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) ، كان – هو وقرينه الإمام الفيروزابادي – فَارِسَي علم الحديث في اليمن بلا منازع ، ويُعزا إلى هذا الإمام انتشار وشيوع أخذ الزيدية للحديث النبوي ودراسة أمهاته المشهورة ، فعنه أخذ عدد من أكبر رجال الزيدية وبعض أئمتها ، ويكفي هذا الإمام فخراً أنه ما من عالم يمني اشتهر في القرن التاسع والعاشر الهجريين بعلم الحديث والاشتغال به إلا وهو من تلاميذه أو تلاميذ تلاميذه .

وقد أطنب المؤرخون في مدحه وإطرائه عند الترجمة له ، فقال بامخرمة[١] عنه أنه : " شيخ مشائخ المحدثين في عصره ... " ، وأنه " أعرف أهل عصره بالحديث وطرقه وفنونه ومتونه ... " ، وقال عنه البُرَيْهي[٢] : " الإمام العلامة الحافظ ، قطب العلماء الراشدين ، ونهاية المسترشدين ، ولي الله ، والمحدث عن سيدنا رسول الله ... كان رحمه الله مالك أزمة المعارف والطرائف ، الحائز فضيلتي التالد والطارف ، أحيا به من العلوم دارسها ، وأعمر به معالمها ومدارسها ، وفك ما استعجم من الأحاديث فشرحها ، وأبان ما استبهم من العلوم فاوضحها ، فهو في العلم كوكبه المنير ، وصوبه العذب النمير ... " ، وقال عنه شيخ الإسلام الإمام ابن حجر العسقلاني[٣] – وكان قد لقيه في زيارته لليمن – : " عنى بالحديث وأَحَبَّ الرواية ... وكان محدث بلده ... ونِعْمَ الرجل كان " .

وإيرادنا لترجمة هذا العلَم ليس بمسوغ كونه محدثاً ، وإنما لما عرف عنه أنه كان فقيها ، له معرفة كبيرة بفقه الإمام أبي حنيفة وفقه الإمام الشافعي معاً ، حتى أنه كن يفتي فيهما ، لذلك قيل عنه : " وكان رحمه حنفي المذهب ، وقد يفتي بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ؛ لتحقيقه المذاهب كلها ، فهو عالم محقق ، وفوائده التي نقلتها عنه العلماء كثيرة ولا تنحصر في مجلد ... "[٤] .

---

(1) قلادة النحر ، ج ٣ ٦٨٠ ، ٦٨١ .

(2) طبقات صلحاء اليمن ، ٢٠٧ .

(3) إنباء الغمر ، ج ٣ ص ٢٨٦ .

(4) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ٢٠٧ .

وكان للإمام الحافظ سليمان العلوي أخٌ يكبره في السن ، لا يقل عنه منزلة ومعرفة بالمذهب الحنفي والحديث النبوي ، غير أن شهرته كانت دون شهرة أخيه بكثير ، وقد وردت ترجمته على أنه إمام علامة محدث حافظ ، وهو جمال الدين محمد بن إبراهيم بن عمر بن علي العلوي (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ، وشيوخه في الحديث وغيره هم بعض شيوخ أخيه نفيس الدين سليمان العلوي ، وله زيادة على مشائخ أخيه(١) .

ومن كبار الشخصيات العلمية الفقهية الحنفية أيضاً الإمام المحدث الحافظ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشَّرْجي الحنفي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) ، فقد كان رئيس هذا العلم في تهامة على وجه الخصوص ، كان مبرزاً فيه مجيداً له ، ولا يستبعد بروزه في الفقه أيضاً ، وإن غلب عليه الحديث كسلفه الإمام نفيس الدين العلوي(٢) ، ومن قبله كان جده الإمام العلامة الحافظ أبو عبدالله عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الشرجي الحنفي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) واحداً من أبرز رجال المذهب الحنفي في اليمن في عصره(٣) .

تلك من وردت عنهم معلومات لا بأس بها من رجال الفقه الحنفي في اليمن في مدة الدراسة ، وهناك غيرهم من وردت أسماؤهم مع إشارات عابرة إليهم في كتب التراجم والتواريخ اليمنية ، ولعلهم كانوا نظراء لمن تمت التوسعة في الترجمة لهم أو يفوقون بعضهم ، ومنهم الفقيه المتصوف محمد الأصغر بن طلحة بن عيسى الهتار الحنفي الشهير بالغزالي (ت٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) ، و، والفقيه إسماعيل بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد العلوي ، وأخوه الفقيه أحمد بن عبدالله العلوي ، والفقيه المتصوف محمد بن محمد بن القاسم المِزْجاجي الحنفي (ت٨٢٩هـ / ١٤٢٥م) ، والفقيه حسن بن عمر المُزَيْحِفي الحنفي المشهور بالفقير (ت بعد ٨٢٠هـ / ١٤١٧م) ، والفقيه عبيد بن الوجيه بن الأحمر الأشعري الحنفي (ت٨٣٠هـ / م) ، والفقيه عبيد الله بن علي العواجي الحنفي (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ، ، الأديب الشاعر الفقيه وجيه الدين

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٨ .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٥١ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٨١ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، ابن فهد ، **لحظ الألحاظ** ، ٢٥٩ .

(3) بامخرمة ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٦٦٩ .

عبدالرحمن بن أبي بكر الشويهر (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، وقاضي الحنفية في زبيد الإمام العلامة الصديق بن علي المطيب (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) ، والفقيه العلامة جمال الدين محمد بن علي المطيب إمام مقام الحنفية في جامع زبيد الكبير (ت٩٠٧هـ / ١٥٠١م) ، والفقيه عفيف الدين عبدالعليم بن أبي القاسم بن عثمان بن إقبال القُرْتُبي الحنفي (ت٩٠٧هـ / ١٥٠١م) ، والفقيه العلامة سراج الدين عبداللطيف بن محمد بن يحيى الجهمي المصباحي الحنفي (ت٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) ، ومفتي الحنفية بزبيد الفقيه العلامة عفيف الدين عبدالمجيد بن عبدالعليم القُرْتُبي (ت٩٠٩هـ / ١٥٠٣م)، والفقيه إسماعيل بن علي العجل الحنفي (ت٩١٢هـ / ١٥٠٦م)[١] .

٢. المذهب الشافعي :

تتلمذ الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت٢٠٤هـ / ٨١٩م) على أيدي عدد من علماء اليمن عندما قدمها طلباً للعلم ، وكان أشهر من جلس إليهم من أبنائها هشام ابن يوسف وأبو حنيفة بن سماك وإسحاق الدَّبَري ومحمد بن خالد الجَنَدي ومطرف ابن مازن الكناني[٢] ، لذلك نشأت عواطف المحبة والتعاطف بين الجسانبين ، وافتخر اليمنيون بهذه العلاقة ، إلا أن هذه العلاقة لم تترجم إلى الأخذ بفقه الإمام الشافعي إلا في النصف الثاني من القرن الثالث وبداية القرن الرابع الهجريين عندما برزت أخباره في بعض كتابات المؤرخين[٣] .

وأول البارزين من فقهاء الشافعية باليمن في مطلع القرن الرابع الهجري هو الفقيه موسى ابن عمران بن محمد الخداشي ، إلا أن الإمام أبو محمد القاسم بن محمد ابن عبدالله الجُمَحي القرشي (ت٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) يعد المؤسس الفعلي للمذهب

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٧ ، ٣٤٩ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٢٥ ، العيدروس ، **النور السافر** ، ص ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٨ .

(2) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢١٦ ، ١٣٤ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .

(3) **المصدر السابق** ، الجزء نفسه ، ص ١٤٩ ، ابن فرحون ، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، (د ، ت) ، ج ١ ص ٦٢ ، الأنسي ، **اتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباء الزمن** ، تحقيق إسماعيل الجرافي ، ملحق مجلة كلية الآداب ، منشورات جامعة صنعاء ، ربيع الثاني ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١٦ .

الشافعي في اليمن والناشر الحقيقي له[1] ، مع أن المذهب كان موجوداً قبله ، لذلك يقول ابن سمرة[2] : " وكانت الشفعوية وكتبها وشيوخها قبل القاسم بن محمد القرشي وأصحابه غير مشهورة في اليمن " .

وقد مر المذهب الشافعي بمراحل متعددة ، تناولها بعض الباحثين وجعلها بعضهم ثلاث مراحل[3] ، وعدها آخرون ست مراحل[4] ، كان خلالها يتجذر في الأرض اليمنية ويزداد رسوخاً عليها ، حتى غدا – مع وصول الأيوبيين في منتصف القرن السادس الهجري – المذهب الرسمي للدولة في اليمن مدة طويلة من الزمن .

وقد برز من أبناء اليمن من حملة المذهب الشافعي طوال المدة الممتدة بين ظهوره في اليمن ومدة دراستنا ابتداءً من القرن التاسع الهجري ، إذ بذلوا جهوداً كبيرة في نشره وتعليمه ، وصنفوا الكثير جداً من المصنفات في فقهه وأصوله ، وحاز بعضهم من الشهرة والمكانة ما جعله معدوداً بين أبرز رجاله على مستوى العالم الإسلامي قاطبة ، وأشهرهم – بعد المؤسسين – الإمام أبو عبدالله جعفر بن أحمد بن محمد المَحَابي (ت٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) وولده أبو بكر ، والفقيه أبو محمد الحسن بن محمد بن أبي عقامة (ت٤٨٠هـ / ١٠٨٧م)[5] ، والإمام أبو أسامة زيد بن عبدالله اليفاعي الشافعي (ت بعد ٥١٣هـ / ١١١٩م)[6] ، و الإمام أبو الخير يحيى بن أبي الخير بن سالم بن أسعد العِمْراني (ت٥٥٨هـ / ١١٦٢م)[7] ، الإمام جمال الدين محمد بن عبدالله الريمي (ت٧٩٣هـ / ١٣٩٠م) .

---

(1) الجَندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(2) **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٨٧ .

(3) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٢٦٥ – ٢٨١ .

(4) حسن أحمد السمين ، **المذهبان السني والشيعي في اليمن** ، ص ٣٠٥ – ٣١٨ .

(5) الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن** ، ص ١٠٤.

(6) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ .

(7) الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٢٦٣ ، السبكي ، **طبقات الشافعية الكبرى** ، ج ٧ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، الحسيني ، **طبقات الشافعية** ، حققه عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٢م ، ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ابن العماد ، **شذرات الذهب** ، ج ٤ ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء**

وقد تنوعت المصادر التي اعتمد عليها الفقهاء الشافعية في مراحل ماقبل مدة الدراسة ، إذ ابتدأوا بالتعويل على أمهات كتب الأصول والفقه الشافعي القديمة التي اعتمد عليها رجال المذهب مثل (الرسالة) للإمام الشافعي نفسه ، و (مختصر المزني) وشرحه لابن ملامس اليمني[١] ، ثم انتقلوا إلى الاعتماد على كتب ومؤلفات الإمام أبي إسحاق الشيرازي (ت٤٧٦هـ / ١٠٨٣م) كـ (المهذب) و (التنبيه) في الفقه، وكذلك كتاب (اللمع) وشرحها في أصول الفقه ، إضافة إلى كتب أخرى مثل (النكت) و(التبصرة) و (المعونة) في الخلاف والجدل ، وكان الكتاب الذي استحوذ على جل الاهتمام وأصبح محور الدراسة والفتوى هو الكتاب الأول (المهذب)[٢] ، بل إن المتتبع لأدوار علم الإمام الشيرازي في اليمن واضطلاعها بنشر الفقه الشافعي وترسيخ وجوده فيها مع صبغة المذهب برؤاه الخاصة ليقول : كان الأحرى بأن يسمى هذا المذهب بمذهب الشيرازي .

وقد لقيت كتب الإمام أبي إسحاق الشيرازي منذ دخولها اليمن قبولاً كبيراً وانتشاراً واسعاً ، وحظيت بعناية العلماء والطلاب ؛ فانطلقوا يتنافسون في دراستها تعليماً وشرحاً وتعليقاً ، بل ذهب بعضهم إلى حفظها عن ظهر قلب[٣] ، وقام آخرون إلى نظم شيئ منها شعراً لتسهيل حفظها على الطلبة[٤] .

ومما زاد من ترسيخ المذهب الشافعي كذلك دخول طائفة من كتب المذهب غير اليمنية إلى اليمن ، وتلقف العلماء والطلبة لها بالدراسة والتحقيق والتعليق ، وفي مقدمتها الكتب الشهيرة لحجة الإسلام الإمام محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ / ١١١١م) كـ (الوسيط) و (البسيط) و (الوجيز) و (إحياء علوم الدين) ،

اليمن ، ص ١٧٤ ، ١٨٢ ، ١٨٥ - ٢٠٩ ، عادل الفقيه ، **ابن أبي الخير العمراني ومنهجه في كتاب البيان** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٣م ، ص ١٨٨ - ٢٠٣ .

(1) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(2) **المرجع السابق** ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(3) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٤٤ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٧٥ ، ١٧٨ .

(4) الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٤٦٣ .

فاعتمدها اليمنيون ضمن مقرراتهم الدراسية حتى مدة دراستنا كما لاحظناها في قائمة المقررات في الفصل الرابع من هذه الدراسة .

وقد حظي المذهب الشافعي بانتشار واسع في اليمن حتى كاد يشملها ، ولم يخرج من أهل اليمن في مدة دراستنا عن الأخذ به سوى بعض المناطق الجبلية الشمالية الممتدة فيما بين مدينتي ذمار وصعدة ، مع أنها لم تصفُ تماماً للزيدية ، إذ تخللتها جُزُرٌ – إن صح التعبير – من المناطق التي دان أهلها بالإسماعيلية فكراً وفقهاً واعتقاداً ، بعضها على مرمى حجر من مدينة صنعاء .

ومن أهم علماء الشافعية في مدة دراستنا الذين اشتغلوا بالفقه واعتنوا به وصنفوا فيه نذكر الفقيه العلامة محمد بن عمر بن علي الشعبي (ت في القرن التاسع الهجري)، وقد برع في الفقه بعد هجرته في طلب العلم إلى بلاد الشام ، ودراسته على ثلة من فقهائها ، وهو أول من أدخل منظومة الحاوي الشهيرة بـ (البهجة الوردية) إلى اليمن، بعد أن قرأها على ناظمها العلامة عمر بن مظفر الوردي (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٨م) ، وهي منظومة في حوالي خمسة آلاف بيت ، ولم تشتهر في اليمن عن طريق غيره ، وهو الذي أجازها لكثير من الفقهاء اليمنيين[١] .

ومنهم أيضاً الفقيه صفي الدين أحمد بن حسن بن إبراهيم بن يحيى البريهي (٨٠١هـ / ١٣٩٨م) الذي كان على معرفة جيدة بكتب الخراسانيين – حسب تعبير المؤرخ البريهي[٢] – كـ(الوجيز) و (الوسيط) ، وكان دأبه الإقراء بهما وبـ (المنهاج) للنووي و (الحاوي) للقزويني ، ومن حسن إقراءه للطلبة في الفقه أن كتبه كانت من أحسن الكتب ضبطاً ، وكانت كتبه كلها مُحَشّاة معدومة النظير في ضبطها وحسنها .

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٣٩ .

(2) ذكر البريهي ، المصدر السابق ، ص ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ أن هذا العالم سكن في بيت الإمام أحمد بن محمد البريهي المشهور سيف السنة (ت ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) فأقام المسجد المبارك وأحيا آثار الإمام ، وأحيا مسجده وحفظ كتبه من الضياع ، وجدد ما تشعث منها وصانها ، فانظر كيف بقيت هذه الكتب متداولة في أيدي العلماء وطلابهم على مدار ما يزيد عن مائتي سنة ، كما قام ابن عمه الفقيه برهان الدين إبراهيم بن علي بن إبراهيم البريهي (٨٠١هـ / ١٣٩٩م) من بعده بتجديد آثار جامع الإمام سيف السنة وتوسيعه وإتقان بنائه وإحكامه .

ومنهم أيضاً الفقيه المقرئ العلامة جمال الدين محمد بن عمر المسلمي البريمي (ت٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) الذي وصف بأنه أصبح أكبر شيوخ (الحاوي الصغير) في اليمن – بتلقيه عن شارحه الشيخ الإمام جمال الدين محمد بن حسين بن علي السراج بصنعاء ، وكان في أغلب أيامه متردداً بين جبلة وبريم يقرئ ويفتي ؛ فانتفعت به الطلبة ، وإن كان قد غلب عليه لقب (المقرئ المطلق)[١] .

ويعد الإمام العلامة نور الدين علي بن أبي بكر الأزرق (ت٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) أحد أكبر علماء تهامة ، بل وعلماء الشافعية اليمنية في عصره ، وكان هو العالم الأفقه في مدينة أبيات حسين في فروع العلم المختلفة ، وقد كانت له مشاركة في التصنيف في علوم عدة كالتاريخ والفرائض والرقائق ، إلا أن الفقه كان الطاغي عليه، وله فيه شرحان لكتاب الشيرازي (التنبيه)، أما الأول فأسماه (التحقيق الوافي في شرح التنبيه على مذهب الشافعي)[٢] ، وهو في نحو ثلاثة أجزاء ، والثاني هو (المحقق) في جزئين ، وصفه الأهدل[٣] – تلميذه – بأنه " شرح محقق كاسمه ... " ، كما أنه اختصر (المهمات على الروضة) لمحمد بن عبدالرحيم الأسنوي ، وله كتابٌ آخر في الفقه أسماه (نفائس الأحكام)[٤] ، جعله خمسة أقسام ، القسم الأول في المسائل الفقهية المخرجة على المسائل النحوية ، والقسم الثاني في المسائل الفقهية المخرجة على المسائل الأصولية ، والقسم الثالث في المسائل الفقهية المخرجة على المسائل اللغوية ، والقسم الرابع في المسائل التي تناقض فيها كلام الرافعي والنووي ، وهذه الأربعة مأخوذة من تصانيف للأسنوي ، والثلاثة الأقسام الأولى بديعة جداً ، والخامس في مسائل ملتقطة من كتب المذهب على ترتيب أبواب الفقه ، انفرد رحمه

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٥ ، ٦٢ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الأحقاف – جامع المحضار بمدينة تريم في حضرموت تحت رقم (٦٢٧) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢١٦ .

(3) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٥٨ .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٢٥٨) ، وأخرى في مكتبة برلين تحت رقم (٤٩٨٠) ، انظر الحبشي ، مصادر **الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢١٦ .

الله بجمعها ، وهي أكثر من نصف الكتـاب ، وهـذا الكتـاب مفيـد جـداً للمبتـدئين والمنتهين[1] .

وكان الإمام عفيف الدين عبدالله بن محمد الكـاهلي الـشافعي (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م) أستاذ جيل كامل من الفقهاء الشافعية في شتى أنحاء اليمن ، وقد بـرز فـي الفقه لتتلمذه على أيدي عدد من أئمة الفقه في زبيد وغيرها ، فكانـت معرفتـه بالفقـه كبيرة، وخاصة بـ (التنبيه) و (المهذب) للإمام الشيرازي ، ولا يكاد يوجد له نظير في معرفتهما من أقرانه ومشائخه ، وقد اشتغل بتدريس الفقه وغيره فـي مدينـة إب ، وكذلك تصدر للفتوى طوال عمره[2] ، وأفضل تلامذته هو ابنه العلامة جمـال الـدين محمد بن عبدالله بن محمد الكاهلي (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ، كان من أفقـه العلمـاء الشافعية في عصره ، سلمت إليه رئاسة الفقه ببلده على الإطلاق ، وقل مـن وصـف بالفقيه فيها وهو ليس من تلامذته ، " كما أجمع أهل وقته على جلالته وبراعته ، وأنـه ممن لا يجارى في الفقه ولا يمارى ، فكان المرجوع إليه في المعضلات من المـسائل الفقهيات ، والمعول عليه في حل مشكلات الفروع ، وله في ذلك الباع الأطول ، إذ هو الأوحد الأجل الأكمل "[3] وكان قد تتلمذ على ثلة من أبرز الفقهاء في اليمن ، منهم أبوه الإمام عفيف الدين عبدالله بن محمد الكاهلي وخاله الإمام صفي الدين أحمد بن حـسن البريهي والفقيه رضي الدين أحمد الأصبحي الشنيني وشيخ الإسلام الإمام رضي الدين الخياط ، كما أنه قد قرأ بمكة على بعض الأئمة هناك ، منهم الإمام محمد بـن عثمـان المراغي والإمام منصور بن حسن بن علي الكازروني وغيرهما ، فبرز بـين أيـديهم حتى استحق ثنائهم عليه ، وكان من التميز أن أثنوا عليه وطمعوا في اجتذابه للإقامـة معهم بمكة ، غير أنه لم يطق استمرار البعاد عن اليمن ، ، فعاد إليها وأقام ببلـده فـي تدريس العلوم والفقه خصوصاً مدة طويلة تزيد على أربعين عاماً ، " وامتحن بالقـضاء في مدينة إب فسار في الناس سيرة السلف الصالح ، وسلك طريقة الحق النير الواضح، فلم يدع له الحق صاحباً ... "[4] حتى صدق فيه قول القائل :

---

[1] الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٥٨ .

[2] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٨٧ ، ٨٨ .

[3] المصدر السابق ، ص ٩٤ .

[4] المصدر السابق ، نفس الصفحة .

تَــوَلاهَــا وَلَيْــسَ لَه عَــدُوٌ
وفَارَقَــها وَلَيْــسَ لَه صَــدِيقُ

وكان يحضر مجلسه العلمي نيف وأربعون رجلاً من القضاة والفقهاء ، فما بالك بمن دونهم، وقد عُـرِفَ الإمام الكاهلي بأنه كان ثبتاً محقـقاً للأقـوال والوجـــوه ، وخصوصاً في (التنبيه) و(المهذب) و(الحاوي)[1] .

وفي الظفر بعزلة بردان بمعشار حصن بردان فـي نـواحي مدينـة إب كـان القاضي جمال الدين محمد بن عبدالله الخطابي (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) فقيهاً مميزاً ، تلقاه على جلة من الفقهاء الكبار في تعز وإب وغيرهما بـالاحترام والتقـدير ، وكـان يحفظ كتاب (التنبيه) ويداوم على مطالعته وتصويره واستنباط المسائل منه حتى سمي بين أقرانه بـ (التنبيهي)[2] .

وهذا القاضي وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن حسن البريهي (ت٨١٧هـ/ ١٤١٤م) كان فقيهاً عارفاً بـ (الحاوي) معرفة جيدة ، وشرحه في مؤلف خـاص ، كما شرح (المنهاج) و(الوجيز) ، واختصر (التفقيه شرح التنبيه) للإمام الريمـي في ثلاثة مجلدات[3] .

ومن أكبر فقهاء الشافعية في القرن التاسع أيضاً القاضي العـالم وجيـه الـدين عبدالرحمن بن محمد النحواني (ت٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) ، جاء في ترجمته أنـه قـرأ كثيراً من الكتب الفقهية على كبار الفقهاء في بلده ، منها أنه قرأ على الفقيـه داود بـن عبدالله الحرازي بوصاب كتاب (التنبيه) للشيرازي ، كما قرأ على الإمام صفي الدين أحمد الأصبحي الشنيني كتب (المهذب) للشيرازي نفسه ، و (الوسيط) و (الوجيز) للإمام الغزالي ، و (البيان) للعمراني ، كما قرأ أيضاً عليه جملة من كتب الحـديث ، لذلك فقد برز هذا الرجل كواحد من أبرز فقهاء طبقته ، ونصب للتدريس وهو لما يبلغ الثانية والعشرين من عمره بعد ، وتولى القضاء في مدينة ذي جبلة والجَنَـدِ وأعمالهـا وبعض الجهات الأخرى المحيطة بمدينة تعز[4] .

---

[1] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٩٤ .

[2] **المصدر السابق** ، ص ٧٠ ، ٧١ .

[3] **المصدر السابق** ، ص ٨٨ .

[4] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٩٠ .

وجمع الإمـــام العلامة صفي الدين أبو العباس أحمد بن أبي بكر بن أحمد بـــن محمد البريهي (ت٨٢٥هـــ / ١٤٢٢م) كتاباً فـــي المـــسائل المـــشتبهة والخـــــلاف المتناظر على كتاب (التنبيه) للشيرازي وعنونه بـــ (النظائر) ، وكان معرفاً بحفظه لكتاب (التنبيه) غيباً ، كما قام بشرح خطبة أرجوزة (البهجة الوردية)[١] التي سبقت الإشارة إلى أنها نُظمت من قبل العلامة عمر بـــن مظفـــر الـــوردي (ت٧٤٩هــــــ / ١٣٤٨م) في حوالي خمسة آلاف بيت لتحتوي على مجمل ما في كتـــاب (الحـــــاوي الصغير) للإمام القزويني في فقه الشافعية ، وهي الأرجوزة نفسها التي عُرِفَ الإمـــام العلامة صفي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد البريهي (ت٨٣٣هـــ / ١٤٣٠م) بأنه كان ذا معرفة جيدة بها حتى أنه انبرى لتأليف شرح لها أطلق عليـــه (التعليق) ، غير أن المنية اخترمته قبل أن يتمه[٢] .

ومنهم كذلك الفقيه شهاب الـــدين أحمـــــد بـــن محمـــــد الربيعـــي الـــشـــافعي (ت٨٣٢هـــ / ١٤٢٨م) كتاباً في مناسك الحج سماه (هدايـــة الـــسالك إلـــى مقاصـــد الناسك) ، نقل فيه مسائل نفيسة غريبة ، وفروعاً من الفقه مفيدة ، وكان معاصروه من العلماء وغيرهم يجلونه ويعظمونه ، وكان هذا العالم ينظم الفوائد لتحفظ ، من ذلك أنـــه أنه نظم في باب العقود اللازمة والجائزة في الفقه ما نقله عن كتاب (الرونق) للإمـــام أبي حامد الإسفرائيني ، فمما نظمه قوله :

جَمِيْعُ عُقُودِ الفِقْهِ ضَرْبانِ لا سُوَى
أَبُو حَامِدٍ في الرَّوْنِقِ الكُلَّ قَدْ حَوَى[٣]

ومن فقهاء الشافعية أيضاً الإمام العلامة شرف الدين قاسم بـــن عمـــر الـــدمتي (ت٨٣٢هـــ / ١٤٢٨م) إماماً فاضلاً ، قرأ في كثير من العلوم على يد المبرزين مـــن علماء اليمن والوافدين عليها ، غير أنه كان مشهوراً بمعرفة الفقه وتحقيقـــه وتدقيقـــه ، فكانت ترد عليه الفتاوى من جميع الجهات فيشفي بالجواب ، ويجود العبارة ، ولا يقنع السائل العارف إلا بجواب هذا الفقيه مع كثرة الفقهاء بالبلد (تعز) ، وكان باذلاً نفـــسه

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٩٩ .

(2) المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

(3) المصدر السابق ، ص ٢١٣ .

للطلبة ، وكان معدوداً في الصلحاء والعلماء والفقهاء والمحــدثين ، وكــان ورعــاً لا يستحل أن يأخذ شيئاً مما قرر له من الوقف إلا إذا قام بما شرط عليه الواقف ، وتــرك موته فراغاً كبيراً في صفوف شريحة العلماء لمسها الطلاب والعامة ، لذلك اشتد أسف الناس عليه ورثاه بعضهم – يدعى عبدالله بن داود بن منصور – بمرثاة جليلة قال فيها:

مَــوتُ الأئمَــةِ ثَلْمَةُ الإسْــلامِ
لا ثَلْمَةٌ تَطْــرَا كَمَوْتِ إمَــامِ

فَإِذَا سَمِعْتَ بِمَوْتِ حَــبْرٍ فَابْكِهِ
وابْكِ الأَنَامَ ونُحْ على الإسْلامِ

....

....

أوَ ما تَرَى الآفَاقَ كَيْفَ تَكَدَّرَتْ
لَمَّا قَضَى لإمَامَــنا بِحِمَــامِ

قَاسِمَ حُــزْتَ العِلْمَ ثُــمَّ قَسَمْتَهُ
فَجَزَاكَ رَبُّكَ أَوْفَرَ الأَقْسَامِ[١]

ومنهم أيضاً الفــقيه العــلامة تقي الدين عمــر بن محمد بن معيبد الأشــعري الشهير بالفتى (ت٨٣٣هــ / ١٤٢٩م) ، الذي كان من أكبر فــقهاء زبيد في عصره، حتى وصفه أحد معاصريه من الفقهاء المــؤرخين بقوله : " وهو من أشهر العلماء بهذا العصر ... "[٢] ، تلقى العلم بجلوسه بين يدي أكبر من بناحيته مــن الفقهــاء ، كــان موصوفاً بالاجتهاد ، وقد كثر طلابه من زبيد وغيرها ، فكان باذلاً نفسه لهم ، صــنف كتباً في الفقه منها (النكيتات الخفيات على المهمات) ضمنه ثلاثمائة اعتراض ، وقــد عارضه فيها بعض العلماء من أقرانه[٣] ، كما أن له في الفقه أيضاً كتــاب (مهمــات

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢١٤ .

(2) الواصف له هو المؤرخ البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ٣١٤ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٤ .

المهمات)[1] الذي اختصر فيه كتاب (مهمات الروضة) للإمام عبدالرحيم بن الحسن الأسنوي (ت٧٧٢هـ / ١٣٧٠م) على روضة الإمام النووي في فروع الشافعية ، وقد وضع ابن معيبد مهماته في جزء واحد ، استوعب فيه جميع ما في مهمات الإسنوي ، والتقط زبدها ومعانيها ، كما قام - أيضاً - بتصحيح ألفاظ (الوجيز) للإمام الغزالي ،، وضمنه جملة من الأقوال والوجوه ومراتب الخلاف ، وجعله جزءاً مفيداً للطالب المستفيد[2] ، ووضع كتاباً آخر في الفقه هو (الإبريز الغالي على وسيط الغزالي)[3] ، وأضاف بامخرمة[4] إلى مؤلفاته كتاب (أنوار الأنوار) الذي اختصر فيه كتاب (الأنوار) ليوسف بن محمد لأردبيلي ، كما صنف العلامة الفتى بن معيبد كتاب (الإلهام لما في الروض من الأوهام) في التعقيب على شيخه الإمام إسماعيل المقرئ في كتاب (الروض) كما سيأتي قريباً ، وله في الفقه أيضاً كتاب (تقريب المحتاج إلى زوائد شرح النحوي على المنهاج) ، وكتاب (جواهر الجواهر) وهو مخلص لكتاب (جواهر البحر الوسيط) للقمولي ، وله كذلك كتاب (الصفاوة إلى زوائد شرح العجالة)[5] ، وكتاب (المسائل الصريحة في عبارات الإرشاد الصريحة)[6] .

ومن فقهاء الشافعية في اليمن الذين أسبغت عليهم بعض المصادر صفة (المفتين) شيخ الإسلام العلامة الإمام إسماعيل بن محمد بن عمر الحِبَّاني الحضرمي (ت٨٣٤هـ / ١٤٣٠م) الذي بلغ النهاية في تحقيق عدد من العلوم ، منها : الفقه والتفسير والأصولين والنحو واللغة ، واشتهر بالفتوى (الفقه) ، وقصد من أجلها من جميع الجهات اليمانية ، ولا سيما حضرموت ، وانتشرت فتاواه واشتهرت ، وقد اطلع

---

[1] سماه بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٤٦ : (مختصر المهمات) ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٢٦٧) ، وأخرى في مكتبة الأوقاف بالموصل ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٧ .

[2] ابن الديبع ، **نشر المحاسن اليمانية** ، ص ٢٢٤ .

[3] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

[4] **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٤٦ ، وهو كذلك لدى البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ٣١٥ .

[5] ورد هذا الكتاب والأربعة التي سبقته لدى الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٧ .

[6] منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأحقاف للمخطوطات - جامع تريم بحضرموت تحت رقم (٣١٣٢) ، وأخرى بمكتبة الإسكندرية تحت رقم (٢٨٢٧) ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

المؤرخ الإمام أبو محمد الطيب بن عبدالله بامخرمة على بعضها فقال : " وانتشر عنه الفتاوى المشهورة ، من طالعها وتأمل مسلكه في تنقيح أجوبيتها وتحريرها وعدم اقتصاره على حكاية المعتمد من الطريقتين أو القولين أو الوجهين أو غير ذلك حتى يأتي بجميع ما في المسألة من الخلاف بين الأصحاب ، ثم في آخره يختصر ما بسطه أولاً ، فيقول : فتمخض من هذا - أو فتلخص ، أو فتحصل ، أو نحو ذلك - كذا وكذا .. "[1] .

ومن أبرز فقهاء الشافعية في اليمن على وجه العموم الإمام الفقيه والأديب الشهير إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله المقري الشاوَري (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) كان مجتهداً بارعاً في العلوم الفقهية، وله فيها تصنيفات مفيدة ، منها (روض الطالب)[2] الذي اختصر فيه كتاب (الروضة) للإمام النووي ، وله أيضاً (إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي)[3] اختصر فيه كتاب (الحاوي الصغير) للإمام القزويني وفيه زيادة قيود وألفاظ مفيدة مدرجة نبه عليها في دقائق أفردها له ، ثم شرحه شرحاً متوسطاً متقناً في مجلدين أسماه (التمشيه)[4] ، وقد تضمن الشرح الأخير شرحاً لكتابيه (الروض) و(إرشاد الغاوي)[5] ، ووضع أيضاً شرحاً آخر على الإرشاد أسماه (إخلاص الناوي شرح إرشاد الغاوي)[6] ، وله أيضاً (منظومة في دماء الحاج)[1] .

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٩٢ .

(2) منه نسخة مخطوطة في شستربتي تحت رقم (٤٩١٢) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٠ .

(3) طبع سنة ١٣٢٠هـ ، انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٤٨٥ فقه) ، وأخرى بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٣٠١) ، ومنه نسختان في مكتبة العبيكان بالرياض تحت رقمي (١٧٥) و (١١٨٥) ، وأخر بمكتبة الاسكندرية تحت رقم (١٣ فقه) ، وقد طبع مؤخراً ، انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(5) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٥٨ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٠٢ - ٣٠٧ .

(6) منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٥٢٥ فقه) ، وأخرى بالمكتبة الظاهرية في دمشق تحت رقم (٥ فقه شافعي) ، ومنه نسخة أخرى في شستربتي تحت رقم (٣٤٢٢) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٠ .

وقد اعتنى الكثير من الفقهاء الشافعية بكتبه عناية كبيرة ، وخاصة كتاب (إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي) ، وتمثلت عنايتهم به في الاعتكاف على دراسته وتدريسه ، وقام بعضهم بشرحه والتصنيف حوله ، منهم العلامة كمال الدين موسى بن زين العابدين بن أحمد بن أبي بكر الرداد (ت٩٢٣هـ / ١٥١٧م) ، الذي وضع عليه شرحين ، أولهما كتاب (الكوكب الوقاد شرح الإرشاد) ، وهو كتاب ضخم جاء في نحو أربع وعشرين مجلداً ، ، قيل عنه أنه " كتاب جليل لم يصنف مثله في كثرة الجمع والفوائد ... "[٢] ، كما وضع عليه – على كتاب إرشاد الغاوي – شرحاً لم يرد عنوانه[٣] .

وممن اعتنى بكتاب (إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي) للإمام إسماعيل المقرئ يُذكر الفقيه أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بافضل (ت٩٢٩هـ / ١٥٢٣م)، فقد ورد في قائمة مؤلفاته كتاب (نكت على الإرشاد) جاء في مجلدين ، كما أنه صنف كتاباً آخر في شرح كتاب (الروض) للمقرئ نفسه ، وأسماه (نكت على روض المقرئ) في مجلدين لطيفين[٤] ، ومنهم أيضاً الإمام أحمد بن عمر المُزَجَّد ، الذي قام بنظم (إرشاد الغاوي) في منظومة طويلة بلغت خمسة آلاف وثمانمائة وأربعين بيتاً ، وأسماها (تحفة الطلاب في منظومة الإرشاد)[٥] ، وللعلامة تقي الدين عمر بن محمد بن معيبد الشهير بالفتى (ت٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) كذلك منظومة حوت كل كتاب (الإرشاد) لشيخه الإمام المقرئ[٦] .

وكان أبرز فقهاء الشافعية في مدينة عدن في النصف الأول من القرن التاسع الهجري هو القاضي جمال الدين محمد بن سعيد بن علي بن محمد كِبّن (ت٨٤٢هـ

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٢ مجاميع) ، وأخرى بمكتبة الأوقاف ببغداد ، انظر مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٢٢٠ .

(2) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٠٨ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

(4) الشّلي ، **السنا الباهر** ، ص ٢٠١ .

(5) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٢٩ .

(6) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٠ .

/ ١٤٣٨م) ، وكانت له مشاركة في عدة علوم أخرى كالفرائض والتفسير والرقائق والأدب ، وله في الفقه كتاب (مفتاح الحاوي بين النصوص والفحاوي)[١] وهو نكت على (الحاوي) للقزويني[٢] ، وهو شيخ لعدد من فقهاء عدن الذين تصدروا تدريس الفقه والفتوى في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري .

وفي مدينة عدن أيضاً برز بين فقهاء الشافعية القاضي جمال الدين محمد بن مسعود باشُكَيْل الأنصاري الخزرجي (ت٨٧١هـ / ١٤٦٧م) ، كانت له مشاركة في الفقه قوية ، وله فيه مصنفات ، برز منها شرحٌ وضعه على (منهاج الطالبين) في فقه الشافعية للإمام النووي ، جمع فيه بين كلام الأسنوي والسبكي والأذرعي وابن النحوي في شروحهم ، وسلك فيه أسلوباً غريباً لم يعهد مثله في الشروح ، وبلغ فيه (النكاح)، ومات عنه وهو مسودة ، فبيضه حفيده عمر بن عبدالرحمن بن محمد باشُكَيْل[٣] ، يقول بامخرمة[٤] : " سمعت الوالد رحمه الله يقول : إنه شرح جيد ، لو يوضع مثله على (المنهاج) ، لو تم لأغنى عن كل شرح " .

وقد برز ونَجُبَ من تلاميذ القاضي محمد بن مسعود باشُكَيْل في مدينة عدن اثنان ، وكلاهما مثله جاءا من حضرموت ليستوطناها ، أولهما الإمام أبو الطيب عبدالله ابن أحمد بن علي بن أحمد بامخرمة (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) الذي برز في الفقه فألف واشتهرت فتاواه ، إذ صنف فيه (نكت على جامع المختصرات) للنشاي ، يذكر فيه المواضع التي وقعت في الكتاب في غير مظنتها على نمط (خبايا الزوايا) للزركشي ، وقد جُمِعت فتاواه ودُوِّنت لتميزها ، ووضعت في مجموع مبوبة على أبواب الفقه[٥] ، وهي التي وصفها العيدروس[٦] بقوله: " وله كتاب في الفتوى، وهو كتاب

---

(1) منه نسخة مخطوطة في لاله لي بتركيا ، هكذا ذكره الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٣ .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٠٠ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٣٢ .

(3) بامخرمة ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٢٤ .

(4) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(5) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٢ ، ٧٨٣ .

(6) **النور السافر** ، ص ٣٢ .

جليل عظيم الفائدة ... " ، وأما ثانيهما فهو شيخ الإسلام الإمام أبو عبدالله جمال الدين محمد بن أحمد بن علي بافضل الحضرمي (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٨م) الذي ترجم له بعض تلامذته فأطلق عليه لقب (شيخ الإسلام)[1] ، وله في الفقه جهود كبيرة ، وعليه تتلمذ أغلب فقهاء عدن وحضرموت ، وقصده غيرهم من زبيد وتعز وغيرهما ، ولم يصلنا من عناوين مصنفاته الفقهية سوى كتاب (العدة والسلاح في أحكام النكاح) ، الذي وصفه تلميذه المؤرخ بامخرمة[2] بقوله : " لا يستغني عنه كل من تصدى لعقود الأنكحة ... " ، وكانت له مشاركة في علوم أخرى كالفرائض والحديث والتاريخ .

ومن كبار الفقهاء الشافعية في أواخر القرن التاسع الهجري يأتي الإمام العلامة الفقيه قاضي القضاة جمال الدين محمد الطيب بن بن أحمد بن أبي بكر الناشري (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، وهو أحد أشهر علماء اليمن وقضاتها ، وضع له القبول بين الناس فأحبه قاصيهم ودانيهم ، وكانت بارعته في التدريس مما يشير إليها المؤرخون ، وكان تلاميذه كثيرون من أغلب مناطق اليمن ، وهو في الفقه حجة كبيرة ، ألف شرحاً للحاوي سماه (الإيضاح) في مجلدين ، وأتى فيه بمعظم الغرائب والنكت على بعض ألفاظ (الحاوي) ، وجمع فيه متفرق الكلام كـ(التحرير) لأبي زرعة و(المفتاح) لابن كبن و(قوت المحتاج في شرح المنهاج) لشهاب الدين أحمد بن حمدان بن حمدان الأذرعي و(جواهر البحار) للقمولي و(المهمات) للإسنوي وغير ذلك ومن كلام متأخري الفقهاء الشافعية الكبار ، لذلك فقد اشتهر وانتشر، وتلقاه الناس عامة في اليمن ومكة والشام بالقبول ، ومدحه بعض الفضلاء البلغاء فقال: " هو كتاب عديم نظيره فيما مضى من الأيام ، وعز وجود مثله في الدهور والأعوام ، لم ينسج على منواله ، ولا يتصدى أحد من العلماء لمثاله ، فما لمثله في الوجود وجود ، كما أن نظير مؤلفه في العالم مفقود ... "[3] .

وأبرز علماء الشافعية في اليمن في مطلع القرن العاشر الهجري هو الإمام القاضي أبو السرور أحمد بن عمر بن محمد بن عبدالرحمن المُزَجَّد (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، وقد عكست مؤلفاته الفقهية مدى تمكنه من الفقه وتبحره فيه ، وأشهر كتبه

---

[1] بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٤ .

[2] **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

[3] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٧ - ٣١٩ .

هو كتاب (العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب) ، قيل عنه : " هو كاسمه ... وجمع فيه مسائل (الروض) ومسائل (التجريد) ، " وهو كتاب عظيم جامع لأكثر أقوال الإمام الشافعي وأصحابه ، وأبحاث من المتأخرين منهم ، على الغاية من جزالة اللفظ وحسن التقسيم ، ولقد اشتهر هذا الكتاب في الآفاق ، ووقع على حسنه ونفاسته الإجماع والاتفاق ، وكثر اعتناء الناس بشأنه وانتفاع الطلبة واغتباطهم ببيانه ، واعتنى غير واحد من علماء الإسلام بشرحه ... " ، وقد قال مؤلفه في وصفه شعراً :

أَلا إنَّ العُبَابَ أَجَلُّ سِفْرٍ
مِنْ الكُتُبِ القَدِيمَةِ والجَدِيْدَه

كِتَابٌ قَدْ تَعِبْتُ عَلَيْهِ دَهْراً
وخُضْتُ لِجَمْعِهِ كُتُبَاً عَدِيْدَه

وقَرَيْتُ القَصِيَّ لِطَالِبِيْهِ
وقَدْ كَانَتْ مَسَافَتُهُ بَعِيْدَه

وغُصْتُ على الخَبَايا في الزَّوَايا
فهَا هِيَ فِيْهِ بَارِزَةٌ عَتِيْدَه

وكَمْ قَدْ رِضْتُ فِيْهِ جِيَادَ فِكْرِي
ومَرَّتْ لِي بِهِ مُدَدٌ مَدِيْدَه

إِلَى أَنْ بَلَّغَ الرَّحْمَنُ مِنْهُ
مُرَادِيَ مِنْ مَوَاهِبِهِ المَدِيْدَه

فَدُونَكَ كَنْزَ عِلْمٍ لَسْتَ تَلْقَى
مَدَى الأَزْمَانِ في الدُّنْيا مَدِيْدَه

وثِقْ بِجَمِيْعِ مَا فِيْهِ فإِنِّي
مَنَحْتُ العِلْمَ فِيْهِ مُسْتَفِيْدَه

إِلَهِي اجْعَلْهُ لِي ذُخْراً وَضَاعِفْ
ثَوَابِي مِنْ عَطَايَاكَ الحَمِيْدَه"[1]

---

(1) العيدروس ، النور السافر ، ص ١٢٨ .

وللإمام أحمد بن عمر المُزَجَّد في الفقه أيضاً كتاب (تجريد الزوائد وتقريب الفرائد) في مجلدين ، جمع فيه الفروع الزائدة على (الروضة) غالباً ، وله في الفقه كذلك كتاب (تحفة الطلاب في منظومة الإرشاد) الذي سبقت الإشارة إلى كونها بلغت خمسة آلاف وثمانمائة وأربعين بيتاً[١] ، وقد ذكر الشِّلِّي[٢] أن فتاواه مجموعة تحت مسمى (القلائد العسجدية) ، وقيل أن الذي جمعها هو ابنه القاضي العلامة حسين بن أحمد المُزَجَّد ، كما جمعها أيضاً ابن النقيب[٣] وزار فيها من تفقهاته ما لا غنى عنه .

وكان الإمام أحمد بن عمر المُزَجَّد شاعراً مجيداً ، استغل شعره في خدمة الفقه استغلالاً كبيراً ، ولذلك رأيناه ينظم كتاب (إرشاد الغاوي) في ٥٨٤٠ بيتاً كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، وقيل أنه كان ينظم في اليوم الواحد نحو الثمانين بيتاً من القيود والاحترازات ، وبسبب مَلَكته الأدبية كان إذا سئم القراءة والمطالعة يستدعي بمقامات الحريري ويسميها (طبق الحلوى) ، وكان لا يرضى عن مؤلفاته ما لم تبلغ درجة يرضاها من الرصانة والضبط والدقة ، لذلك روى حفيده قاضي القضاة أبو الفتح بن حسين بن أحمد المُزَجَّد أنه قال : " كان جدي رحمه الله شرح جامع المختصرات للنسائي في ست مجلدات ، ثم لما رآه لم يستوفِ ما حواه الجامع المذكور من الجمع والخلاف ألقاه في الماء فأعدمه ... "[٤] ، والإمام المزجد هو شيخ جيل كامل من العلماء والفقهاء الشافعية في اليمن ، برز منهم أعلام كبار كالإمام العلامة محمد بن عمر بحرق الحضرمي والإمام الحافظ المؤرخ عبدالرحمن بن الديبع الشيباني وغيرهما.

وهناك من فقهاء الشافعية عدد كبير آخر لا يقلون أهمية عمن ذكرناهم هنا ، بل إن بعضهم كانت جهوده – غير التصنيفية – فائقة ، ونشروا الفقه وخدموه بتدريسه

---

(1) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٢٩ .

(2) **السنا الباهر** ، ص ٢١١ .

(3) لم يزد العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٢٩ أكثر من اسمه ، ولم أهتد قطعاً إليه ، ولعله محمد بن عبدالوهاب المقداد ابن النقيب (ت٩٢٢هـ / ١٥١٦م) صاحب كتاب **قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الأشاعر** ، الذي حققه عبدالرحمن الحضرمي ونشر ضمن العددين الثالث والرابع من مجلة الإكليل بصنعاء في سنتها الأولى عام ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

(4) **المصدر السابق** ، ص ١٣٠ .

والعناية به ، وتفاوتت نسب إسهاماتهم في ذلك ، ومن هؤلاء نـذكر الإمـام العلامـة الحافظ المحدث أحمد بن إبراهيم بن علي العـسقلي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) مفتـي وادي مور بمنطقة تهامة ، والفقيه أبو القاسم بـن إبـراهيم بـن محمـد بـن مطيـر (ت٨٤٤هـ / ١٤٤٠م) ، والإمام الشهير مجد الدين محمد بن يعقـوب بـن محمـد الفـيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) ، والإمام محمد بن علي بن عبدالله بن إبراهيم الخطيب الموزعي الشهير بابن نـور الـدين (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) ، والفقيه جمال الدين محمد بن إبراهيم بن علي بن إبـراهيم البريهـي (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ، وشيخ الإسلام الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر بـن محمـد بـن صـالح الهمداني الشهير بالخياط (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) الذي مدحه الإمـام المقـرئ ابـن الجزري بقوله :

إنَّ الإمامَ فتى الخيَّـاطِ أفضَلُ مَنْ
رَأَيْتُ في اليَمَنِ الفَيْحاءِ مِنْ رَجُلِ
قُلْ عَنْهُ واسمَعْ بِهِ وانظرْ إِلَيْهِ تَجِدْ
مِلْءَ المَسَـامِعِ والأَفْوَاهِ والمُقَلِ(1)

والفقيه العلامة شمس الدين يوسف بن أحمد بن عطية الخياط الجندي (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) المنتهية إليه الرئاسة بالفتوى والتدريس بجهات المنصوة بالدملوة ، والفقيـه المؤرخ الإمام الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (٨٥٥هـ / ١٤٥١م) بأبيات حسين من تهامة ، والفقيه شمس الدين علي بن محمد الحضرمي (٨٦٦هـ / ١٤٦١م) ، والفقيه العلامة عفيف الدين عطية بن عبدالرزاق بن علي النجدي (ت٨٨٨هـ / ١٤٨٣م) ، والفقيه العلامة جمال الدين محمد بن عمر الفارقي الزبيدي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) ، والفقيه شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن أحمد بامخرمـة (ت٩١١هـ / ١٥٠٥م) ، والإمام الأديب حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري (ت٩٢٦هـ /

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣١ .

١٥٢٠م) ، والفقيه القاضي عفيف الدين عبدالله بن أحمد سرومي الشحري (ت٩٤٣هـ / ١٥٣٧م)[1] .

٣. **المذهب الزيدي :**

إن حجم الشيعة الزيدية في تاريخ اليمن العلمي والفكري والحضاري والعسكري والسياسي ليدفع الباحث والقارئ المنصفين كليهما ليجعلاها ، عن قناعة ، في كفة واحدة – وجنباً إلى جنبٍ – مع القوى السنية الفاعلة ، والشافعية منها على وجه الخصوص ، باعتبارهما اللتين رسمتا وجه اليمن وحددتا معالم تراثه وملامح حضارته الإسلامية ، ولن أبالغ إن زعمت أن دور الزيدية في الحياة السياسية اليمنية – تحديداً – في معظم قرون تاريخها الإسلامي هو الأكبر والأبلغ بالمقارنة مع أدوار القوى الأخرى فيما يخص تفعيله وتحريك أحداثه ، ولهذا فإننا معنيون بالوقوف مع الزيدية لاستجلاء الكثير من جوانب العقيدة والفكر والفقه لديها ، مستحضرين ما أوليناه من الاهتمام بالمذهب الشافعي السني ، وتناولنا لجوانب العقيدة والفكر والفقه الزيدي إنما نتخذه – بالدرجة الأولى – طريقاً لمحاولة فهم الدوافع الأساسية لتحدد مسارات السلوك الزيدي وعلاقاته مع الآخر ، وبالدرجة الثانية لفائدته في استعراض الإسهام العلمي الفقهي والعقائدي لعلماء الزيدية ضمن عناية علماء اليمن بالعلوم وتصنيفهم فيها .

تعود البدايات الأولى لظهور الزيدية في اليمن – من ناحية الحضور الفكري العقائدي والفقهي – إلى مطلع القرن الثالث الهجري ، عندما وضع بذورها الأولى إبراهيم بن القاسم العلوي المشهور في اليمن بالجزار ، إذ قدم اليمن ضمن حركة محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن طباطبا العلوي الذي خرج بالكوفة على المأمون العباسي سنة (١٩٩هـ / ٨١٤م)[2] ، يدعو إلى الرضا من آل محمد ، فإن صح خبر القيام

---

[1] الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٤٧ – ٤٩ ، ٧٤ ، ١٥٧ ، ٣٦٠ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٤٠ ، ٨٩ ، ١٢٥ ، ١٦٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٣٣٤ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٩١ ، ٧٩٢ ، العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٢١ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .

[2] الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج ٨ ص ٥٢٨ – ٥٣٣ ، خليفة بن خياط ، **تاريخ خليفة بن خياط** ، ج ٢ ص ٥٠٦، الذهبي ، **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات والنشر ، الكويت ، ١٩٦٠م ، ج ١ ص ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، زبارة ، **أنباء اليمن ونبلائه بالإسلام** ، مطبوع ضمن مجلد الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ١٩٨٤م ، ص ٤٩ ، د. عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ٢٥ ، ٤٢ ، ٤٣ .

بدور تبشيري زيدي من قِبَل إبراهيم بن موسى العلوي فإنه من الممكن أن نطمئن إلى الأخذ بالقول : إن الزيدية هي أول فرق الشيعة وصولاً إلى اليمن .

المؤسس الفعلي لمذهب الزيدية في اليمن هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الرسّي الحسني العلوي[1] (ت٢٩٨هـ / ٩١٠م) ، وهو أحد أشهر علماء آل البيت وأئمتهم ، عالمٌ فقيهٌ زاهدٌ متكلمٌ ، مصنفٌ بارعٌ ، ألف حوالي ٧٤ مصنفاً ما بين كتاب ورسالة ، وكان دخوله اليمن تلبيةً لدعوة وجهها إليه بعض قبائل أهلها من مدينة صعدة ، فكان أول من أدخل مذهب زيد بن علي بن الحسين إلى اليمن في سنة (٢٨٤هـ / ٨٩٧م)[2] النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وقد لبى دعوته عدد من قبائل اليمن ووجوهها وأعيانها في المناطق المتناثرة بين صنعاء وصعدة، وبمساعدتهم أسس أول دولة زيدية في بلاد العرب[3] .

أرسى الإمام الهادي يحيى بن الحسين دعائم الزيدية في اليمن ، ووضع اللبنات الأولى لدولتها ، وكان اهتمامه بعلم الكلام والعقائد فائقاً ، ولذا نجد أن أغلب ما تركه من تراث علمي محصور في أصول الدين ، كما سنبينه قريباً ، أما من الناحية الفقهية – التي تعنينا هنا أكثر من غيرها – فقد كان وجود المذهب الحنفي وشيوع

---

(1) سبق سرد أهم مصادر ومراجع ترجمته في الفصل الأول من هذه الدراسة .

(2) لم نتطرق لدخوله الأول إلى اليمن سنة (٢٨٠هـ / ٨٩٣م) لأنه لم يدم ، إذ سرعان ما انتابه الإحباط لما رآه من بعض المعطيات المتعلقة ببعض رجال القبائل التي ناصرته في البداية ومما رآه من القوى السياسية القائمة . العلوي ، **سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين** ، ص ٧ ، د. حسن خضيري ، **قيام الدولة الزيدية في اليمن** ، ص ٥٦ – ٥٩ ، علي محمد زيد ، **معتزلة اليمن : دولة الإمام الهادي وفكره** ، دار الكلمة ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ص ٧٧ ،

Smith, G. Rex, The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997, p 129 .

(3) د. محمد عيسى الحريري ، **الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري** ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٧م ، ص ٦٥ – ٦٨ ، فضيلة عبدالأمير الشامي، **تاريخ الفرقة الزيدية بين القرن الثاني والثالث الهجري** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٦٩م ، ص ٢٠١ – ٢٠٨ .

Smith, G. Rex, The political history of the Islamic Yemen, p 130 .

انتشاره مساعداً له ؛ وذلك أن الصلة الفقهية قائمة بين الزيدية والأحناف بسبب تتلمذ الإمام أبي حنيفة النعمان على بعض أئمة آل البيت الأوائل المعدودين في قدماء التابعين، حتى أن العالِم الذي جمع فقه الإمام الهادي – وهو الإمام الناطق بالحق أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني (ت٤٢٤هـ / ١٠٣٢م) – كان يرى أنه إذا لم يوجد نص على مسألة قد رويت عن الإمام الهادي فإن مذهبه يكون ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة في هذه المسألة[1] ، ويظل وجود دولة للزيدية ورجال – من تلاميذ الهادي وأبنائه – حملوا على عاتقهم نشر الفقه الزيدي هو أكثر العوامل وأبلغها تأثيراً في رسوخ المذهب وتجذره في اليمن .

بيد أن الإمام الهادي يحيى بن الحسين لم يتقيد بمذهب الإمام زيد بن علي ، إذ صبغه باجتهاداته ورؤاه الفقهية والأصولية حتى وصل به إلى درجة التباين ، فأصبح للمذهب الذي أسسه الإمام الهادي ملامحه الخاصة ، ولذلك شاع إطلاق تسمية المذهب (الهادوي) عليه ، وكذلك على علمائه (علماء الهادوية) لدى البعض حتى يوم الناس هذا[2] .

قام عدد من علماء الزيدية خلال القرون التالية لوفاة الإمام الهادي يحيى بن الحسين بخدمة المذهب وتأكيد استقراره واستقلاليته ، وحوت تراجمَ عددٍ كبيرٍ منهم مصادرُ الزيدية وطبقاتها المتوافرة ، كالإمام المطهر بن علي بن الناصر أحمد (ت٤١٥هـ / ١٠٢٤م) ، والإمام العلامة القاضي الحسن بن محمد بن أبي طاهر الرصاص (ت٥٨٤هـ / ١١٨٨م) ، والقاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م) ، والإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) ، والأمير العالم الحسين بن بدر الدين بن أحمد بن يحيى (ت٦٦٢هـ / ١٢٦٣م) ، العلامة القاضي عبدالله بن زيد العنسي (٦٦٧هـ / ١٢٦٨م) ، والإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) ، والإمام العلامة

---

(1) أبو زهرة ، **تاريخ المذاهب الإسلامية** ، ص ٦٨٣ ، د. عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ٢٤٥ .

(2) السياغي ، **الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير** ، مكتبة المؤيد ، الطائف ، ط ٢ ، ١٩٦٨م ، ج١ ص ١١٥ ، ١١٦ ، د. عبدالرحمن الشجاع ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٣٠٢ .

الحسن بن محمد بن الحسن النحوي (ت٧٩١هـ / ١٣٨٨م)[1] ، وكان أغلبهم يتصف بالاجتهاد والحصيلة العلمية العالية ، وهم من المعدودين في أعلام الفكر الإسلامي على وجه العموم لكثرة ما صنفوه في العلوم الشرعية المختلفة ، وقد قسمهم بعض الباحثين الزيدية المعاصرين إلى أربع طبقات بحسب الجهود المبذولة من قبلهم في خدمة المذهب، فسمى القديمة منها (طبقة المؤسسين) والثانية (طبقة المخــرجين للمذهب) والثالثة (طبقة المحصلين) والأخيرة أطلق عليها (طبقة المذاكرين)[2] .

وقد كان اعتماد أهل اليمن من الزيدية في الفقه على مجموعة من الكتب التي صنفها بعض أئمتهم وكبار علمائهم ، وفي مقدمتها كتاب (مجموع الإمام زيد بن علي) وهو الشهير بـــ (المجموع الكبير) ، وكتاب (التجريد في فقه الإمامين الهادي والقاسم) و بعض رسائل الإمام الهادي يحيى بن الحسين ذوات المحتوى الفقهي ككتاب (الأحكام) ، وكتاب (الكافي) للعلامة علي بن محمد بن علي بن سليمان (ت٥٠٠هـ / ١١٠٦م)[3] ، وكتاب (شمس شريعة الإسلام في فقه أهل البيت عليهم السلام) و (الروضة في الفقه) للفقيه العلامة سليمان بن ناصر السماحي (ت٥٦٦هـ / ١١٧٠م)[4] ، وكتاب (أصول الأحكام في الحلال والحرام) للإمام المتوكل أحمد بن سليمان (٥٦٦هـ / ١١٧٠م)[5] ، و(نكت العبادات وجمل الزيادات) للقاضي جعفر ابن أحمد بن عبدالسلام (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م)[6] ، وكتاب (الانتصار لمذهب العترة

---

(1) تراجمهم لدى ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٧٣ ، ٣٣٣ ، ٣٣٦ ، ٣٨٣ ، ٥٩٦ ، ج ٢ ص ٦١١ ، ج ٣ ص ١٢٢٤ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٥٧٨ ، ٥٨٩ ، ١٠٣٣ ، ١١٢٤ .

(2) علي بن عبدالكريم الفضيل ، **الزيدية نظرية وتطبيق** ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٢، ١٩٩١م ، ص ٢١ – ٢٣ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٧٧٧ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيديـــة** ، ص ٧١٢ ، ٧١٣ .

(4) ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٤٧٩ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيديـــة الـــصغرى** ، ص ٣٤، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ٢٠١ .

(5) ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ١٣٤ ، **الوجيه** ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١١٤.

(6) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيديـــة** ، ص ٢٧٩ .

الأطهار) للعلامة الإمام الحسن بن محمد الرصاص (ت٥٨٤هـ / ١١٨٨م)[١] ، وكتب الإمام المنصور عبدالله بن حمزة (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) كـ (الدرة الثمينة في تبيين أحكام السبي والغنيمة) و (الاختيارات المنصورية في المسائل الفقهية) و(الفتاوى) و (العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين)[٢] ، وأشهر كتب الفقه الزيدية على الإطلاق وأكثرها شمولاً هو كتاب (الانتصار على مذاهب علماء الأمصار) للإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) ، وهو موسوعة فقهية شاملة مكونة من ثمانية عشر مجلد[٣] ، جمع فيه صاحبه كل ما وصل إليه من إسهامات علماء المذاهب المختلفة في الفقه الإسلامي[٤] ، وأخيراً نذكر كتاب (التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة) و (مختصر الانتصار على مذاهب علماء الأمصار) للإمام العلامة الحسن بن محمد بن الحسن النحوي (ت٧٩١هـ / ١٣٨٨م)[٥] .

لم يأتِ مطلع القرن التاسع الهجري إلا وقد أصبح المذهب الزيدي أحد مكونات التأثير الشرعي الثابتة في العقلية اليمنية ، وغذته باستمرار جهود جبارة قام بها رجاله وأئمته ، صنفوا خلالها العديد من الشروح والمختصرات على مؤلفات أسلافهم ، وأبدعت بعض شخصياتهم في وضع وتسمية الأسس الفقهية للمذهب الزيدي الذي لم يحد عنها أتباعه حتى اليوم ، كما سنوضحه في الصفحات القادمة .

وإن الباحث في التراث العلمي لدى الزيدية ليواجه صعوبة كبيرة في التعامل مع جزئيات تتعلق بالفقه أو بعلم الكلام لديهم ، وبالتحديد عندما يكون الحيز المتاح لهما محدوداً ؛ لأنه يمكننا القول أنه مما يُعَدُّ شاذاً ونادراً لا يُقاس عليه أن نجد عالماً زيدياً لم يضع كتاباً في كل منهما ، في حين أن بعضهما قد وضع عدداً من المصنفات في الفقه وعدداً آخر في علم الكلام ، ولذلك سأجد نفسي محصوراً بالحيز المتاح للفقه عند

---

(1) عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ١٥٤ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ١٣٦ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ٢ ص ٥٩ ، ٦٠ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٥٧٩ – ٥٨٥ .

(3) ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ١٢٢٩ .

(4) الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١١٢٥ .

(5) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٣٣٨ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٣٤١ .

الزيدية هنا ، ومضطراً للاختصار قدر الإمكان بما لا يخل في رسم صورة اهتمامهم بالفقه وتصنيفهم فيه .

ومن أشهر من اشتغل بالفقه من علماء الزيدية وأئمتها في مدة الدراسة نجد – في مطلع القرن التاسع الهجري – الفقيه أحمد بن عبدالله بن الحسن بن عطية الدواري (٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) ، وهو من بيت علم شهير لدى الزيدية عامة وفي صعدة خاصة ، تلقى العلم على رجاله بصعدة ، وصنف في الفقه كتابه (التلفيق الجامع بين مسائل اللمع والتعليق)[١] .

ومنهم الفقيه أبو القاسم بن علي بن محمد البَوْسي (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ، وصفه الوجيه[٢] بقوله : " عالم أديب شاعر فقيه ، فرضي ... " ، ومن جهوده في التصنيف الفقهي أنه قام بنظم كتاب (التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة) للعلامة النحوي ، وسمى منظومته (الزهور المضيئة والزهرة الروضية في نظم جمل التذكرة الفقهية)[٣] ، ومنهم أيضاً للعلامة القاضي سليمان بن يحيى بن محمد بن يحيى الصعيتري (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) ، وهو سبط العلامة الحسن بن محمد النحوي صاحب (التذكرة الفاخرة) ، وقد استفاد كثيراً من قرابته منه ، فنهل من علمه الكثير ، واختص بكتبه فكان مدار اهتمامه كما سيتضح قريباً ، وتتلمذ على غير جده من كبار العلماء بصنعاء ، حتى أصبح معدوداً فيهم ، وله في الفقه كتاب (البراهين الزاهرة في شرح التذكرة الفاخرة) في فقه الزيدية ، وهو في أربعة مجلدات ، ويسمى أحياناً بـ (الصعيترية الكبرى) ، وله شرح آخر على التذكرة اشتهر بين الناس بـ (الصعيترية الصغرى)[٤] ، كما أن له كتاب تعليق على التذكرة يسمى (الكواكب النيرة على التذكرة) في ثلاثة مجلدات ، وهو غير الشرحين الأولين[١] .

---

(1) زبارة ، **ملحق البدر الطالع** ، ص ٣٨ ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** .

(2) **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧٧١ .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٩٥٧) ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(4) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ١٩٣ ، زبارة ، **ملحق البدر الطالع** ، ص ٩٨ ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٣٦ فقه) ، ونسخة من المجلد الثاني منه في المكتبة نفسها تحت رقم (١٩٠ فقه) ، ونسخة أخرى في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي ، وأخرى

ومنهم كذلك الإمام الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير (ت٨٢٢هـ ١٤١٩م) ، أحد أعلام العلمية للزيدية ، ومن أدبائها الكبار ، وأغلب جهوده العلمية منصبة في علم الكلام ، وله في الفقه يد ومعرفة ، وصنف فيه كتاب (الأجوبة المذهبة عن المسائل المهذبة)[٢] ، وله كتاب (هداية الراغبين إلى مذاهب العترة الطاهرين)[٣] ، وكتاب (السلاسل الذهبية في جواب المسائل الهبية)[٤] ، كما أن له منظومة رائية في مناسك الحج[٥] ، ولعل كتابه (النفحات المسكية في الأحوال المكية والأعمال المنسكية) مصنف في الفقه كما يتضح من عنوانه ، وهو غير المنظومة الرائية ؛ لأنه ورد بعدها في (أعلام المؤلفين الزيدية)[٦] .

ومن أعلام الزيدية في الفقه في مطلع القرن التاسع الهجري الإمام العلامة يوسف بن أحمد بن عثمان العيني الثلائي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) ، تتلمذ على عدد

بمكتبة عبدالرحمن شائم بصعدة ، ومنه نسخة أخرى بالمتحف البريطاني تحت رقم (٣٩٩٤) ، ونسختين في مكتبة برلين الأولى تحت رقم (٤٨٨٢) والثانية تحت رقم (٤٨٨٣) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٤٧٢ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٤٧٢، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٢١٧ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٣٧ مجاميع) ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٦٩ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٨٤ ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٣٣٢ فقه) ، ونسخة أخرى بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٣٣٢) ، ومنه نسختان في الأمبروزيانا ، الأولى تحت رقم (٦٧) والثانية تحت رقم (٣٤) ، ومنه نسخة قديمة عليها حواشي بخط حفيد المؤلف في مكتبة المرتضى الوزير في هجرة السر ببني حشيش ، انظر **المرجع السابق** ، ص ١٠٧١ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٦٦٩) ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٢١٨ .

(5) منها نسخة مخطوطة بمكتبة علي بن إبراهيم بسناع ، وصورة عنها في مكتبة نديم عبادي ، انظر الوجيه، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٧٢ .

(6) النسخة الأم التي بخط المؤلف في مكتبة المرتضى الوزير – من أحفاد المؤلف – في هجرة السر ببني حشيش ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢١٨ .

من فقهاء الزيدية الكبار كعبدالله بن الإمام يحيى بن حمزة والمحدث الفقيه أحمد بن سليمان الأوزري ، وهو كذلك من أجلّ تلاميذ الإمام العلامة الحسن بن محمد النحوي ، وله اهتمام بمصنفه الفقهي الشهير بـــ(التذكرة الفاخرة) ، فقد ألف الثلاثي حاشية عليها أسماها (الرياض الزاهرة على التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة) ، وقد يرد هذا الكتاب تحت عنوان (الجواهر الناظرة في كشف غرائب التذكرة الفاخرة) [1]، كما أنه صنف في الفقه كتاب (الاستبصار في مختصر كتاب الانتصار) ، وورد عنوانه على أنه (نور الأبصار المنتزع من كتاب الانتصار)[2] ، هو مختصر لكتاب (الانتصار على مذاهب علماء الأمصار) للإمام يحيى بن حمزة السابق ذكره ، كما وضع كتاب (الزهور المشرقة والنفحات العبقة التي طلع بالجمع سناها المنير وتضمنت تفسير معاني كتاب الأمير) في أربعة مجلدات[3] .

وللسيدة العالمة الدهماء بنت يحيى بن المرتضى الحسنية (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م) مشاركة في الفقه ، تمثلت مشاركتها في الشرح التي وضعته على كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الطهار) الذي صنفه أخوها الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى – كما سيأتي – وقد حمل شرحها عنوان (الأنوار في شرح كتاب الأزهار) في أربعة أجزاء[4] ، كما شرحت (منظومة الكوفي) في الفقه والفرائض[1] .

---

[1] منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى تحت رقم (٢٢٩ فقه) والثانية تحت رقم (٣٣٦ فقه) ، ونسختان بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ، الأولى تحت رقم (١٣٣٣) والثانية تحت (١١٨ مجاميع) ، ونسخة أخرى في يحيى محمد عباس بصنعاء ، ونسخة أخرى في المتحف البريطاني تحت رقم (٣٨٣٦) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١١٧٣ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢١٩ .

[2] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١٢٧٩ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٠٤ ، ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية لم تذكر المراجع رقمها ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١١٧٢ ، ١١٧٣ .

[3] ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١٢٧٩ منه نسخ مخطوطة متعددة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت أرقام (١١٥٢ – ١١٥٨) ، ونسخة أخرى في مكتبة جامع شهارة من أوقاف الشريفة زكية بنت الحسين المؤيد ، ونسخة ثالثة في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي ، وأخرى في مكتبة المدرسة الشمسية بذمار ، وأخرى في مكتبة برلين تحت رقم (٤٨٨٧) ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢١٩ .

[4] منه نسخة مخطوطة بمكتبة محمد عبدالعظيم الهادي ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٤٢٣ .

أما أشهر فقهاء المذهب الزيدي على الإطلاق - وإن لم يكن أفقههم - الذي بلغت شهرته الفقهية الآفاق حتى طغت على شهرة كل أعلام المذهب منذ نشوئه حتى اليوم على مدار أربعة عشر قرناً تقريباً فهو الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل الحسني (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، حتى أن المطلع على الفكر الزيدي ليجد أنه هو المقصود بـ (الإمام المهدي) كلما وردت الإشارة إليه في مصنفاتهم على الرغم من كثرة الحاملين لهذا اللقب بين أئمة الزيدية ، تعرض الإمام المهدي للسجن سبع سنوات في إطار الصراع الزيدي الزيدي على سلطة الإمامة[٢] ، فاستغل تفرغه الإجباري ليقوم بوضع أول متن في الفقه شامل لما رأى أنه فقه الأئمة الزيدية السابقين له ، هو كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار)[٣] ، وهو متن مختصر شامل ، سهل اللفظ ، بليغ العبارة ، استقى معظم مادته من أعظم الكتب الزيدية الفقهية التي صنفها سابقوه ، وخاصة كتاب (الانتصار على مذاهب علماء الأمصار) للإمام يحيى ابن حمزة ، وكتاب (التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة) للعلامة الحسن النحوي ، وكتاب (اللمع) ، حتى قيل في وصفه أن : " أمه التذكرة وجدته اللمع ... "[٤] ، ومع جودة وشمولية كتب فقهية سبقت ظهور (الأزهار) إلا أنه قد قُيِّضَ له من الانتشار والشيوع بين الزيدية ما جعله الكتاب الفقهي الأول الذي طغى على كل المصنفات التي سبقته ، وأصبح المقرر الدراسي الفقهي الأبرز في كل المرافق التعليمية الزيدية[٥] ، ودارت حول دراسته وشرحه والتعليق عليه وتخريج أدلته ونقده

---

(1) الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٤٢٣ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ١٤٣ .

(3) منه نسخ مخطوطة كثيرة جداً ، ففي مكتبتي الجامع الكبير الشرقية والغربية ستة وثلاثين نسخة مخطوطة منه ، ولا يسمح المجال لسرد أرقامها ، وهي من الكثرة بما لا يجعل الوصول إليها صعباً لمن طلبها ، وقد طبع كثيراً ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٠٧ .

(4) **المرجع السابق** ، ص ٣٤١ .

(5) قال الإمام الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٢٢٥ عنه في معرض حديثه عن كتاب (التذكرة الفاخرة) للعلامة الحسن بن محمد النحوي : " أودع فيه - أي في التذكرة - من المسائل ما لا يحيط به الحصر ، مع إيجاز وحسن تعبير ، وكان الكتاب مَدْرَسَ الزيدية وعمدتهم حتى اختصره الإمام المهدي وجرد منه الأزهار ؛ فمال الطلبة إلى المختصر ... " ، ومثله لدى ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٣٢ .

والدفاع عنه كثير جداً من جهود رجال الزيدية حتى مطلع العصر الحديث ، وتفنن الفقهاء والأئمة في تمييز مصنفاتهم حوله .

وأول شرح وضع على كتاب (الأزهار) هو الشرح الذي وضعه مصنفه نفسه، والشرح الذي وضعته أخته الدهماء بنت يحيى – كما سبق – وقد أسمى شرحه (الغيث المدرار المفتح لكمائم الأزهار)[١] ، وهو شرح كبير جاء في أربعة مجلدات ضخمة ، ثم اعتنى بسرد أدلته التي اعتمدها على مسائل الأزهار ، وجمعها في كتاب (الأنوار في صحيح الآثار الناصة على مسائل الأزهار)[٢] .

ثم إن الإمام المهدي أحمد بن يحيى وضع موسوعة فقهية أصولية كبيرة ، مازالت معدودة كواحدة من أفضل ذخائر التراث الإسلامي في اليمن ، ألا وهي موسوعة (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار)[٣] ، وله أيضاً كتاب في الفقه يحمل عنوان (القمر النوار في الرد على المرخصين في الملاهي والمزمار)[٤] ، قيل أنه وضعه في الرد على قرينه الإمام محمد بن إبراهيم الوزير ، وقد جُمِعَتْ فتاواه

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٣٠ ، منه نسخ مخطوطة متعددة بمكتبتي الجامع الكبير الشرقية والغربية ، ولم تحدد كتب الببليوجرافيا بياناتها ، وقال الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٠٧ : " منه نسخ كثيرة مخطوطة في مكتبتي الأوقاف والغربية ، وفي المتحف البريطاني ، وفي عشرات المكتبات الخاصة ، منها نسخة بمكتبة السيد مجدالدين المؤيدي خطت سنة ٨٨٦هـ " .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٤٦ مجاميع) ، ونسخة أخرى في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢٠١٦) ، ونسخة أخرى في مكتبة ورثة يحيى بن علي الذارحي ، ونسخة مصورة في مركز بدر العلمي ، ونسخة أخرى في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي ، وأخرى في مكتبة العلامة عبدالرحمن شايم ، وأخرى في مكتبة محمد بن حسن المتميز ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(3) طبع عام ١٣٦٦هـ ، ثم أعيدت طباعته مصوراً عبر مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٩٧٥م ، وصدر مؤخراً عام ١٩٨٩م في ستة مجلدات عن دار الحكمة اليمانية ، وطبع معه في مقدمته مجموعة كبيرة من المتون التاريخية والكلامية وغيرها ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٨ مجاميع) ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٢١٢.

جُمِعَتْ فتاواه في مجلد[1] ، وترك أيضاً مجموعاً يشمل ردوده على المسائل التي سأله عنها أحد علماء عصر يدعى النجري[2] .

وقد جاء هذا التراث الفقهي للإمام المهدي كنتاج منطقي وطبيعي لجهود جبارة بذلها في مرحلة الطلب ، بالإضافة إلى قدرة فطرية فائقة على الحفظ والاستذكار ، جعلته يحفظ كثيراً من المتون الفقهية وغيرها ، فكانت مَلَكَة الفقيه المجتهد القادر على الاستنباط قد بنيت عنده على وجه حسن ، وهو ما أورث عنده ثقة بالنفس جعلته يعبر عنها في مناسبات كثيرة ، منها قوله :

وكَم مِنْ جَاهِلٍ في النَّاسِ قَدْ قَالَ إنَّني
عَنِ الفِقْهِ عَارٍ وهُوَ عَنِّيَ غَافِلُ
ووالله مَا فِي الوَقْــتِ[3] أعْلَــمُ نَاقِلاً
مِن الفِقْهِ غَيْباً مِثْلَما أنَــا نَاقِلُ
فَمِنْهُ أُلُوفٌ صِــرْتُ غَيْبَاً بِلَفْــظِها
وفي الذِّهْــنِ مِمَّا سِواها مَسَائِلُ
كَثِيرٌ بِلا حَصْرٍ ، وهَذَا تَحَــدُّثٌ
بِمَا اللهُ مِنْ إحْسَانِهِ لِيَ فَــاعِلُ[4]

ومن فقــهاء الزيــدية في القرن التاسع العلامة الفقيه علي بن محمد بن أبي القاسم النجري (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) – وهو غير العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم الحسني (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) شـيخ الإمام محمد بن إبراهيم الوزير – وهو أحد تلاميذ الإمام المهدي أحمد بن يحيى ، وله في الفقه مصنف على كتاب (الغيث

---

[1] منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٣ تصوف) ، انظـر الوجيـه ، أعـلام المؤلفين الزيدية ، ص ٢١٢ .

[2] منه نسخة مخطوطة بمكتبة آل الهاشمي ضمن مجموع (٢٦٤) ، انظر المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

[3] يقصد بـ(الوقت) عصره الذي عاش فيه ، أي لا يوجد من أقرانه من هو في مثل حفظه ونقله للفقه .

[4] ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ١ ص ٢٣٢ .

المدرار) لشيخه المهدي ، وقد أسماه (الأنوار وجلاء الأثمار المفتتح لكمائم الأزهار المنتزع من الغيث المدرار)[1] .

ومن الفقهاء في مساكن الزيدية وأراضيها – وإن كان هناك قول في انتسابه إلى الزيدية الهادوية فكراً وفقهاً – يأتي الإمام الشهير محمد بن إبراهيم بن علي الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، وهو أحد قرناء الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأترابه ، وهو يُعَدُّ ، كالإمام المهدي ، من مفاخر اليمن وأعلام الفكر الإسلامي فيها ، وكان دون الإمام المهدي في الفقه – بحسب مصنفاتهما فيه – ونظيراً له في غيره ، والآثاره الفقهية للإمام الوزير معظمها رسائل ، منها رسالة جليلة في ثلاث من المسائل الفقهية ، قيل أنها في (زكاة الفطر ، وحمى الأراك ، ونكاح اليتيمة)[2] ، كما أن له رسالة منفصلة في (زكاة الفطر)[3] ، ورسالة أخرى حول (عدم اشتراط وجود الإمام الأعظم في صلاة الجمعة)[4] ، وله كتاب (قبول البشرى في التيسير لليسرى)[5] ، تناول فيه كل ما يترخص فيه من الملاهي والغناء والمعازف ، وقد انتقد الإمام المهدي الإطروحات التي أوردها الإمام الوزير في هذا الكتاب ، وقد

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٧٨٩ ، منه نسخة مخطوطة بالمتحف البريطاني تحت رقم (٣٩٤٣) ، ونسخة أخرى في مكتبة حمود شرف الدين في مدينة كوكبان ، ونسخة ثالثة في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي ، وأخرى في مكتبة العلامة عبدالرحمن شايم في هجرة فللة بصعدة ، وأخرى في مكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة أيضاً ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧١٦ ، ٧١٧، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢١٨ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٣٢ مجاميع) ، ونسخة أخرى في مكتبة محمد بن محمد الكبسي ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٨٢٨ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٢٢١ .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٨٤ مجاميع) ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٨٢٨ .

(4) الوزير ، **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، ج ١ ص ٧٦ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٢ .

(5) منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى تحت رقم (٩٦ مجاميع) ، والثانية تحت رقم (١١٩ مجاميع) ، ونسخة أخرى في مكتبة يحيى بن علي الذارحي ، ونسخة أخرى في مكتبة حمود شرف الدين ، وقد طبع في مصر عام ١٣٤٩هـ ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٩ ، الحبشي، **المرجع السابق** ، ص ٢٢٢.

جمع اعتراضاته عليه في كتابه (القمر النوار في الرد على المرخصين في الملاهي والمزمار) كما سبق أن أشرنا إليه ، ولابنه عبدالله بن محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) كتاب في الفقه أيضاً ، لم تذكر المراجع عنوانه[1] .

ومن فقهاء الزيدية أيضاً العلامة أحمد بن محمد بن إدريس بن الإمام يحيى بن حمزة المعروف بالأزرقي(ت٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) الذي صنف كتاباً جامعاً في فقه الزيدية أسماه (جامع الخلاف) غير أنه لم يتمه ، أسسه على ترتيب كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) للإمام المهدي أحمد بن المرتضى ، وسند أبوابه باستيعاب خلافات العلماء الأخيار، ومعتمده في النقل كتاب (اللمع) و (تعليق) حي الفقيه نجم الدين يوسف بن أحمد ، وكذلك (البحر الزخار) و (التذكرة) و (الحفيظ) وغيرها من الكتب الفقهية ؛ لهذا أسماه بـ (جامع الخلاف)[2] ، ولما مات قبل أن يتمه انبرى له العلامة مطهر بن كثير الجمل (ت٨٦٣هـ / ١٤٥٨م) فأتمه[3] .

ومنهم كذلك الإمام العلامة يحيى بن أحمد بن علي مُرْغِم (ت٨٦٥هـ / ١٤٦٠م) ، أحد تلاميذ الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى ، وهو من فقهاء الزيدية المعتمدين بعد وفاة شيخه المهدي ، وصف بالعلم والورع والزهد والعبادة ، وكانت له منزلة مرموقة لدى الإمام المهدي رغم كثرة تلامذته ، حتى انه أذن له في تصحيح موسوعته (البحر الزخار) وشرحه[4] ، غير أنه توفي قبل أن يتمه فأتمه من

---

[1] انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦١٢ .

[2] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ١٩٣ ، والعنوان الكامل طويل جداً ، هو (جامع الخلاف وصادع الأصداف عن فرائد الدر الشفاف ورافع أطراف الطراف عن تحقيق مذاهب العترة والفقهاء من جميع الأطراف) ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٧٥ فقه) ، وفي المكتبة نفسها نسخة مخطوطة أخرى تحت رقم (١٢٢٨ مجموع) ، ونسخة أخرى في مكتبة الكبير الشرقية تحت رقم (١١٨٣) ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٣ .

[3] ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٤ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٣٤ .

[4] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٣ ص ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، من الجزء الأول لهذا الشرح نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٣٥ فقه) ، وفي المكتبة نفسها نسخة مخطوطة كاملة تحت رقم (١٤٠ – ١٤١ فقه) ، ونسخة أخرى في مكتبة ونسخة ثالثة في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي ، وأخرى في مكتبة مجد الدين المؤيدي ، ونسخة أخرى في مكتبة برلين تحت رقم (٤٩١٥) ،

بعده الإمام المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي[١] ، وله (منسك الحج) على مذهب الزيدية[٢] .

ومن التلاميذ المبرزين للإمام المهدي أحمد بن يحيى والعلامة يوسف الثلاثي يُذكر العلامة عماد الدين يحيى بن أحمد بن علي بن مُظَفَّر (ت٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) ، وهو معدود في قائمة فقهاء الزيدية الكبار ، وقد روى عن شيخيه كل كتبهما الفقهية ، وروى عنه جمع كبير من فقهاء الزيدية المتأخرين في القـرن التاسع الهجري والعاشر الهجريين[٣] ، وأشـهر مصنفاته الفقهية كتاب (البيان الشافي المنتزع من البرهان الكافي)[٤] ، قال الإمام الشوكاني[٥] في ترجمته - عنه وعن كتابه - : " وهو أحد العلماء المبرزين من الزيدية في علم الفقه ، أخذه عن علماء عصره كالفقيه يوسف بن أحمد بن محمد بن عثمان ... وقد عكف الطلبة على كتابه المذكور في ديار الزيدية كصنعاء وذمار وصعدة وغيرها ، وصار لديهم من أعظم ما يعتمدونه في الفقه ، ومن جملة مشائخه الإمام المهدي أحمد بن يحيى ... " ، وقال عنه الوجيه[٦] : " من أشهر

انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٦ ، وهناك اختلاف في أرقام بعض النسخ عما هو عند الحبشي.

(1) الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٣٩ .

(2) منه نسخة مخطوطة في مكتبة محمد محمد الكبسي بصنعاء ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٩٠ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٣ ص ١٢٠٦ .

(4) منه نسخ مخطوطة كثيرة ، منها في مكتبة الجامع الكبير الغربية فقط أبعة وثلاثين مجلداً من أجزاءه المختلفة ، وفي المكتبة الشرقية للجامع الكبير حوالي عشرين مجلداً منه ، وقد طبع مصوراً من مخطوطته ، وأصدرته وزارة العدل اليمنية في أربعة مجلدات ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٩٣ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٦ ، وهناك اختلاف في أرقام بعض النسخ عما هو عند الحبشي .

(5) **البدر الطالع** ، ص ٨٤٥ .

(6) **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٩٣ .

كتب الفقه على مذهب الإمام زيد بن علي عليه السلام ، عكف عليه الطلبة في الديار اليمنية ... " ، وله في الفقه أيضاً كتاب (الكواكب النيرة شرح التذكرة الفاخرة)[1] .

ومن فقهاء الزيدية أيضاً الفقيه العلامة عبدالله بن أبي القاسم بن مفتاح (ت٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) ، وهو مصنف أحد الشروح المشهورة على كتاب (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) ، وشرحه منتزع من الشرح الأصلي (الغيث المدرار) الذي وضعه الإمام المهدي أحمد بن يحيى نفسه ، وقد أطلق على شرحه (المنتزع المختار من الغيث المدرار في شرح الأزهار)[2] ، وهذا الشرح هو الأشهر على الأطلاق بين الزيدية ، ولعل شهرته قد واكبت شهرة متن (الأزهار في فقه الأئمة الأطهار) نفسه ، بل إن الكثير من أبناء الزيدية لم يعرفوا (الأزهار) إلا عن طريق هذا الشرح ، قال شيخ الإسلام الشوكاني[3] : " وميل الناس إلى شرحه وعكوفهم عليه – مع أنه لم يشتمل على ما اشتمل عليه سائر الشروح من الفوائد – دليل على نيته وصلاح مقصده ... " ، فقد مال إليه طلاب العلم الزيدية واعتنوا به وعلقوا عليه ، وأصبح عمدة مدارس العلوم الشرعية الزيدية باليمن منذ تأليفه[4] .

ومنهم أيضاً الفقيه العلامة أحمد بن محمد بن داود الخالدي (ت٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) ، كان معدوداً في أعيان علماء الزيدية في أواخر القرن التاسع الهجري ، قيل عنه : " كان الخالدي أحد الأعيان ، وزينة الأوان ، قطب من أقطاب الإسلام ،

---

(1) من الجزء الثاني منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٠٣ فقه) وفيها نسخة أخرى تحت رقم (٢١٩ فقه) ،وفيها أيضاً نسخة ثالثة تحت رقم (١٠٣٠) ، وبمكتبة الجامع الكبير الشرقية ثلاث نسخ مخطوطة منه ، الأولى تحت رقم (١١٢٦) ، والثانية تحت رقم (١١٢٧) ، والثالثة تحت رقم (١١٣٠) ، ونسخة أخرى بالمتحف البريطاني تحت رقم (٢٧٢٦) ، وأخرى بمكتبة برلين تحت رقم (٤٨٨٤) ، ونسخة أخرى في مكتبة يحيى محمد عباس ، ومن الجزأين الأول والثاني نسخة في مكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٩٣ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(2) منه نسخ مخطوطة كثيرة في مكتبتي الجامع الكبير الغربية والشرقية ، وقد صدرت أول طبعة منه عام ١٣٤٠هـ ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٦١٠ ، الحبشي ، وقد أصدرته وزارة العدل اليمنية في طبعة فاخرة عام ٢٠٠١م ٢٢٦ .

(3) **البدر الطالع** ، ص ٤٠٠ .

(4) الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦١٠ .

دارت بها رحى عدل افمام المطهر بن محمد بن سليمان " ، وكانت شهرته في الفررائض أكبر منها في الفقه ، وله في الفقه كتاب (شرح التذكرة الفاخرة في فقه العترة الطاهرة) في مجلدين ، جمع فيه بين تعليق الفقيه العلامة يوسف الثلاثي على التذكرة وبين شرح ابن مفتاح لها[١] .

ومن فقهاء الزيدية الكبار الإمام الهادي عزالدين بن الحسن بن الإمام الهادي علي بن المؤيد (ت٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) ، وهو واحد من أجلِّ أئمة الزيدية وأكبرهم شأناً ، وأكثرهم شهرةً ، وأغزرهم علماً ، جمع علم الزيدية وأهل السنة من خلال تتلمذه على ثلة من أكبر علماء الطائفتين باليمن ، ومصادر الزيدية تزخر بمدحه والثناء عليه[٢] ، وكانت له في الفقه مشاركة ويد قوية ، تشهد بذلك مصنفاته التي تركها ، ومن أشهرها كتاب (جمل من الفوائد المفيدة على المسائل الواضحة الفريدة)[٣] ، قيل أنه مجموع يشمل معظم فتاواه وابنه الإمام الناصر الحسن ، وقد رتبه على أبواب الفقه حفيده بدر الدين بن محمد بن عزالدين[٤] ، وله كذلك كتاب (أجوبة المسائل)[٥] ولعله مشـتمل على بعض فتاواه كما ذكر ذلك عبدالسلام الوجيه[٦] ، وفي فتاويه أيضاً يوجد كتاب (بهجة المحافل) وما فيه من الفتاوى يختلف عن تلك التي جمعها حفيده بدرالدين[٧] ، وله عدد من الرسائل الفقهية ، منها رسالة في (حكم الجباية التي يأخذها

---

(1) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٤٦ .

(2) انظر مصادر ترجمته السابقة بالإضافة إلى الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٤٢٠ ، ٤٢١ ، الكبسي ، **اللطائف السنية** ، ص ١١٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٤١ .

(3) منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى ضمن الكتب المصادرة – قسم المدرسة تحت رقم (٤٨٦) ، والثانية ضمن الكتب المصادرة أيضاً تحت رقم (١٣٣) ، ونسخة أخرى في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٣٤٠) ، ونسخة أخرى في الإمبروزيانا تحت رقم B ١٠٧ ، ومنه نسخة أخرى في مكتبة يحيى بن محمد عباس ، ونسخة أخرى في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٦٤١ ، ٦٤٢ .

(4) **المرجع السابق** ، ص ٦٤١ .

(5) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١١٢) ، ونسخة أخرى في مكتبة علي بن محمد الذاري ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(6) **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(7) منه نسخة مخطوطة بمكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

الإمام)[1] ، و رسالة ضمنها جوابه على بعض شيعته في الزكاة[2] ، ورسالة منه بعثها إلى اهل تهامة يحذرهم من استعمال بيع الرجـــاء[3] ، وله كذلك رسالة في (النهي عن التشكيك في الطهارة)[4] ، كما صنف الإمام الهادي عزالدين كتاب (الكوكب السيار في مناسك الحج والاعتمار)[5] ، وأما عمدة كتبه الفقهية وأكبرها فهو كتابه (الفلك السيار في لجج البحر الزخار)[6] ، وهو في مجلدين كحاشية على كتاب (البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار) للإمام المهدي أمد بن يحيى المرتضى ، غير انه لم يتمه ، إذ وصل فيه فقط حتى باب الحج .

ومنهم كذلك الفقيه العلامة محمد بن الحسن بن حميد بن مسعود بن عبدالله المقرائي المذحجي (ت٩٠٨هـــ / ١٥٠٢م) الذي وضع كتابين في الفقه ، وشرع في كتابه الثالث فمات قبل أن يقطع فيه شـــوطاً كبيراً ، فأمـــا الكتابان اللذان أتمهما فهما (المفاتيح الطاهـــرة لالتقاط لآلئ التذكرة الفاخرة) في مجلدين كبيرين[7] ، و(المصابيح

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الحبشي ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٤٢ .

(2) لم تذكر كتب الببليوجرافيا مواضع وجود نسخه الخطية ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٦٤٥ .

(3) لم تذكر كتب الببليوجرافيا مواضع وجود نسخه الخطية ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٩١مجاميع) ، انظر **المرجـــع الـــسابق** ، ص ٦٤٤.

(5) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١١٢ مجاميع) ، ونسخة أخرى في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، انظر **المرجع السابق** ، ٦٤٣ .

(6) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٨٨٠) غير أنها ناقصة ، آخرهـــا بـــاب سجود السهو ، ونسخة أخرى في مكتبة آية الله المرعشي في مدينة قم بإيران تحت اسم (شرح كتـــاب الأحكام من البحر) ، ونسخة مصورة أخرى في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، وأخرى ناقصة حتى باب الأوقات في مكتبة عبدالرحمن شايم في هجرة فللة ، وأخرى مصورة في مكتبة يحيى راوية ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(7) ذكره الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٨٢ ، وذكر معه الكتاب التالي ، وذلك نقلاً عن يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ولم يذكر أماكن وجودهما ، وهو في ذلك تابع للحبشي ، **مـــصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٢٩ .

الزاهــرة لالتقاط لآلئ التذكرة الفاخــرة) وهو في جزئين ، والأخير مختصر للأول ، وأما الذي بدأه ولم يتمه فهو شرح للبحر الزخار[١] .

ومن أبرز فقهاء الزيدية في مطلع القرن العاشر الهجري العلامة الإمام صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م) ، أحد العلماء المعدوين في سماء الزيدية ورموزها العلمية ، واشتهر في مصنفاتهم بـــ (السيد صارم الدين) ، وأبوه حفيدٌ للإمام الهادي بن إبراهيم العلامة المشهور ، كان السيد صارم الدين يبذل من الجهود في التدريس ما يفوق ما خصصه للتصنيف والتأليف ، وكانت له مكانة مرموقة لدى الزيدية وأئمتها ، وقد عبرت عنها مصادرهم التاريخية وطبقاتهم ، كقول بعضهم : " كان السيد صارم الدين مبرزاً في علوم الاجتهاد جميعها ، متألهاً ، مشتغلاً بخويصة نفسه ، حافظاً للإسناد ، وإماماً للزهاد والعباد ، مستدركاً على الأوائل جامعاً لأشتات الفضائل ، مطلعاً على أخبار الأوائل والأواخر ... ولم يزل مشتغلاً بالدرس والتدريس والتأليف ، والمواظبة على المساجد والطاعات والمطالعة في جميع الوقات ... "[٢] .

وقد تــرك الســيد صارم الدين إبراهيم بن محمد الوزيــر بعض الآثار الفقــهية مثل كتاب (هداية الأفكار إلى معاني الأزهار في فقه الأئمة الأطهار)[٣] ، كما أن له أيضاً (الفلك الدوار المحيط بأطراف دليل المختار) ، قال عنه محقق

---

(1) الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٨٢ ، نفس الصفحة ، الحبشي ، ، **مصادر الفكر الإسلامي فــي اليمن** ، ص ٢٢٩ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٨٥ .

(3) منه نسخ مخطوطة كثيرة ، منها ثمان نسخ في مكتبة الجامع الكبير الغربية ، من رقم (٣٢٤) حتى رقم (٣٣١) ، وفي المكتبة الشرقية للجامع الكبير سبع نسخ مخطوطة منه ، من رقم (١٠٥٧) حتى رقــم (١٠٦٢) ، ومنه نسخة في مكتبة يحيى بن محمد بن عباس ، وأخرى في مكتبة محمد بن محمد الكبسي ، وأخرى في مكتبة عبدالله المرتضى الوزير بهجرة السر في بني حشيش ، ونسخة أخرى كــذلك فــي مكتبة آل الهاشمي بصعدة ، وأخرى في مكتبة سراج الدين عدلان ، ومنه نــسخ أخــرى فــي مكتبــات الفاتيكان والأمبروزيانا بإيطاليا والمتحف البريطاني لم يرد أرقامها وبياناتها ، انظــر الوجيــه ، **أعــلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٩ ، ٧٠ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٢٣١ .

(الطبقات الزيدية الكبرى) : جعله مقـدمة لكتاب في الفـقه عاجله الحـمام قبل أن يتمه ... "[١] .

ومن فقهاء الزيدية في القرن العاشر أيضاً العلامة الفقيه محمد بن أحمد بن يحيى بن أحمد بن مُظَفَّر (ت٩٢٦هـ / ١٥١٩م) ، وهو حفيد العلامة يحيى بن مظفر السابق ذكره في تلاميذ الإمام المهدي أحمد بن يحيى والعلامة يوسف الثلائي ، وقد واجه بعض المحن بسبب موقفه السياسي وتأييده للإمامين المنصور محمد بن علي الوشلي والمتوكل يحيى شرف الدين في حربهما ضد السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري بالكيفية التي سبق بيانها في الفصل الثاني من هذه الدراسة ، وقضى جزءاً من حياته في وادي السر ببني حشيش يوم أن كان مزداناً بالهجر العلمية والنشاط العلمي الزاهر ، وله في الفقه الزيدي مشاركة ومعرفة قوية ، وصنف فيه كتابه (البستان الجامع للفواكه الحسان الناطق بجميع مسائل البيان)[٢] ، والبيان كتاب لجده يحيى سبقت الإشارة إليه ، ثم قام بشرحه بكتاب أسماه (البرهان على البستان)[٣]، كما أَلَّفَ في الفقه كتابه (التبيان في شرح وتهذيب معاني التذكرة والبيان)[٤] .

ونختم حديثنا عن فقهاء الزيدية في مدة الدراسة بالعلامة الفقيه والرجل الرباني الإمام محمد ابن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) ، الذي كان من أفضل علماء وقته ، وصنف فأجاد في كثير من فروع المعرفة ، وله في النحو

---

[1] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٨١ في حاشية الصفحة .

[2] **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٤٨٨ ، ج ٢ ص ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٣٧ فقه) ، وأربع نسخ في مكتبة الجامع الكبير الشرقية، الأولى تحت رقم (٢١٥٩) تشمل الجزأين الأول والثاني ، والنسخ الثلاث الأخرى لا تشمل إلا الجزء الأول فقط تحت أرقام (١٢٣٠) (١١٦٠) (١١٦١) ، ومنه نسخة أخرى في مكتبة يحيى بن محمد بن عباس ، ونسخة أخرى في مكتبة محمد العزي ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٥٤ .

[3] منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١١٦٢) ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

[4] أفاد الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٨٥٤ ، ٨٥٥ بأنه فرغ منه تصنيفه سنة ٨٩٨هـ ، وأن مخطوطته المحفوظة في المتحف البريطاني تحت رقم (٣٧٢٢) قد تم الفراغ من نسخها سنة ٩١٤هـ .

كتاب (تنقيح القلوب والأبصار للاهتداء إلى كيفية اقتطاف أثمار الأزهار)[1] ، قيل عنه أنه : " جمع فيه الشوارد ، وما ندر من الفوائد ، واستوفى الحجج من الكتاب والسنة والإجماع ، وخَرَّجَ الأحاديث إلى الأمهات كما يفعل المحدثون ... "[2] ، ولما صنف في الحديث النبوي الشريف كتاب (المعتمد من حديث سيدنا وحبيبنا وشفيعنا محمد) رتب محتواه على أبواب الفقه .

---

[1] منه نسخ مخطوطة كثيرة ، ففي مكتبة الجامع الكبير الغربية ١٢ مجلداً ، ، وفي مكتبة الجامع الكبير الشرقية نسخة من أربعة مجلدات تحت رقم (١٠٤٥) ، في مكتبة مركز بدر العلمي نسخة مصورة منه في ثلاثة مجلدات ، وهناك نسخة مصورة منه في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، وهناك نسخة أصلية في مكتبة ورثة محمد بن علي الذاري ، وأخرى في مكتبة محمد بن يحيى المطهر بتعز ، غير أنها ناقصة ، وفي مكتبة حمود شرف الدين بكوكبان نسخة كاملة منه في جزأين ، وأخرى مصورة في ثلاثة مجلدات بمكتبة محسن بن محمد المتوكل ، وأخرى في ثلاثة مجلدات في مكتبة عبدالله محمد غمضان ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٢٠ .

[2] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٠٧ في حاشية الصفحة .

(٣) علم الكلام :

قد يرد هذا العلم تحت هذا المسمى (علم الكلام) وقد يرد تحت مسميات أخرى متعددة أشهرها : علم التوحيد ، وعلم أصول الدين ، وعلم العقائد ، وعلم اللطيف ، وكل تسمياته مشتقة من موضوعه الذي يبحث فيه ، وإذا نظرنا إلى مسمياته كلها فإننا سنجدها مفردات شبه متطابقة من حيث الدلالة المعنوية الاصطلاحية لها ضمن المعجم الشـــرعي الإسلامي ، فـــ (التوحيد) و (أصول الدين) و (العقائد) هي مترادفات لفظية ذات مفهوم واحد .

وقد عرف عددٌ من أعلام الفكر الإسلامي هذا الفرع من العلوم بتعريفات كثيرة، تدور حول ماهية علم الكلام ومجالاته ، كما أن معظم تعريفاتهم قد تضمنت مواقفهم منه تأييداً أو معارضةً أو محايدةً ، فهذا الإمام الفارابي[١] يقول في تعريفه : " صناعة الكلام مَلَكَةٌ يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة ،وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل " ، وقال ابن خلدون[٢] أيضاً معرفاً إياه : " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقاد عن مذاهب السلف وأهل السنة ، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد ... " ، ولعل أشمل تعريف لعلم الكلام هو ذاك الذي أورده أبو حيان التوحيدي[٣] وقال فيه : " وأما علم الكلام فإنه باب من الاعتبار في أصول الدين ، يدور النظر فيه على محض العقل في التحسين والتقبيح والإحالة والتصحيح والإيجاب والتجويز والاقتدار والتعديل والتجوير والتوحيد والتكفير ، والاعتبار فيه ينقسم بين دقيق ينفرد العقل به ، وبين جليل يفزع إلى كتاب الله تعالى فيه " ، وندرك أن هذا التعريف هو أشمل من غيره كونه تناول معظم مجالات علم الكلام وميادينه .

نشأ علم الكلام كنتيجة منطقية للانتشار الجغرافي الواسع الذي بلغته الدولة الإسلامية في مشارف القرن الهجري الثاني، والذي ارتبط به اندماجٌ كبيرٌ لعددٍ هائلٍ من العناصر البشرية – المختلفة المشارب والديانات – بالمجتمع الإســـلامي ، على

---

(1) **إحصاء العلوم** ، نشره د. أمين عثمان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط ٣ ، ١٩٦٨م ، ص ١٣١ .

(2) **مقدمة ابن خلدون** ، ج ٣ ص ٩٦٦ .

(3) **ثمرات العلوم** ، نقلاً عن د. فيصل بدر عون ، **علم الكلام ومدارسه** ، دار الثقافـــة للنـــشر والتوزيـــع ، القاهرة ،١٩٨١م ، ص ٥٠ .

مستويات تراوحت بين التحول الكامل إلى الإسلام أو القبول بالتبعية السياسية لسلطته ، وما اقترن بذلك من التغيرات الكبيرة التي طرأت على العقلية المسلمة ، فلم تعد كما كانت – في العصرين الراشدي والأموي – قريبة إلى البساطة في إطار موروث حضاري بدوي محدود أعانهم على الفهم العميق للإسلام من خلال القرآن الكريم ونصوص السنة النبوية المطهرة ، دونما كثير تأويل أو قياس ، بعيداً عن التعقيد والتعمق والغوص فيما وراء النصوص والأدلة ، فأدركت نخبة من العلماء المسلمين العرب وغيرهم في العصر العباسي الأول أنهم قد غدوا ضمن مجتمع أصبح وعاءً لثقافات رومانية ويونانية وفارسية وهندية ، وواجب نشرهم لدينهم الإسلامي في ظل المعطيات الطارئة حتم عليهم التفكير في وسائل جديدة وبراهين معقدة وأدلة مركبة ، " كي يقنعوا أقواماً ألفوا وسائل أخرى في الجدل والمناضرة والبرهنة والحجاج ، وزاد هذه الحاجة الجديدة ضرورةً وإلحاحاً أن الشرائع والعقائد والمذاهب غير الإسلامية التي كان يدين ويتمذهب بها أبناء البلاد المفتوحة قد استفادت من رفض الإسلام وأهله طريق الإكراه في الدين فشنت على الإسلام حرباً ضروساً ، مستخدمة فيها الأسلحة التي لم تعرفها الجزيرة العربية ولم يحذقها من قبلُ العرب المسلمون "[١] ، وهذه النخبة المسلمة التي ابتدعت هذه المستجدات المنهجية هي من مثلت خميرة الفلسفة الإسلامية وبذرت نويات علم الكلام الأولى .

في أحضان العصر العباسي الأول ظهرت طليعة تيارات الفلاسفة والمتكلمين المسلمين بعد أن كانوا في العصر الأموي أفراداً يسهل عدهم ، وكان لهم الدور الإيجابي الفعال في دحض حجج الزنادقة وإطفاء جذوة نشاطهم الذي شـغل معظـم مدة حكم الخليفة العباسي المهدي بن المنصور (ت١٦٩هـ / ٧٨٥م)[٢] ، غير أن نشاطهم بعد انقضاء هذه الأزمة قد تحول إلى ترف فكري داخلي تمحور حول تفصيلات العقيدة الإسلامية مثل أحوال الصّانع سبحانه وتعالى من القِدَم والوَحْدَةِ والقدرة والإرادة ، وعن أحوال الجسم والعَرَض من الحدوث والافتقار والتركيب والأجزاء وقبول الفناء ونحو ذلك مما تناولته التعريفات السابقة ، وكان المعتزلة هم فرسان هذا العلم بلا مراء ، وبلغ منحنى قوتهم وسطوتهم في مدة حكم الخلفاء الثلاثة

---

(1) د. محمد عمارة ، **السلفية** ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، تونس ، ١٩٩٤م ، ص ١٠ ، ١١ .

(2) الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج ٦ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ .

المأمون والمعتصم والواثق العباسيين في مطلع القرن الهجري الثالث ، وفي عهدهم أصبح مجاراتهم في تلك الأقوال هي المعيار المسوغ لتولي مناصب القضاء والمسؤوليات الإدارية في الدولة الإسلامية[١] ، وكردة فعل على نهج المعتزلة وتعبيراً عن عدم القبول به ظهرت عقيدة الحنابلة التي نادى بها الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ / ٨٥٥م)[٢] ، التي دعت إلى العودة إلى منهج المسلمين الأوائل – من الصحابة وتابعيهم – المتقيد بالنصوص دونما تأويل ولا تعقيد ، وفي عهد المتوكل العباسي أصيب المعتزلة بنكسة سياسية وفكرية كبيرة[٣] ، غدا فكرها في عهده مطارداً منبوذاً ، وفي القرن الرابع الهجري استبدل الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري (ت٣٢٤هـ / ٩٣٥م) عقيدته الاعتزالية بعقيدة أخرى اشتهرت بعقيدة أهل السنة والجماعة لشيوعها بين كثير من مذاهبهم، كما نسبت إليه فسميت بالعقيدة الأشعرية[٤] .

لم تكن اليمن بمنأى عن هذه الأنشطة والتيارات الفلسفية والكلامية ، فقد وصل إليها بعض أعلام هذه التيارات وتلاميذهم ، واستوطنوها وغرسوا فيها فسائل فكرهم وعقائدهم ، إذ دخلتها العقيدة الاعتزالية عن طريق الزيدية ، واقترن الفقه الشافعي

---

(1) الطبري ، **تاريخ الأمم والملوك** ، ج ٧ ص ١٩٧ ، ٢٠٠ ، الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ج ١٠ ص ٢٨٨ .

(2) انظر طرفاً من أخبار الإمام أحمد وجهوده في مواجهة المعتزلة لدى ابن العربي ، **العواصم من القواصم**، تحقيق محب الدين الخطيب ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ، ص ٢٥١ ، ابن الجوزي ، **المنتظم** ، ج ١١ ص ٢٨٦ – ٢٨٩ – الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج ١١ ص ١٧٧ ، ٣٥٨ ، ابن سعد ، **الطبقات الكبرى** ، ج ٧ ص ١٧١ ، ابن الأثير ، **الكامل** ، ج ٤ ص ٣٣٤ ، اليافعي ، **مرآة الجنان** ، ج ٢ ص ٩٩، ١٠٠ ، أبو نعيم الأصفهاني ، **حلية الأولياء** ، ج ٩ ص ١٤٣– ٢٠١ ، ابن حجر ، **تهذيب التهذيب**، ج ١ ص ٤٣ ، ٤٤ ، النووي ، **تهذيب الأسماء واللغات** ، ج ١ ص ١٢٢ – ١٢٤ .

(3) ابن الجوزي ، **مناقب الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق سعد كريم الفقي ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، (د، ت) ، ص ٣١٩ ، ٣٢٢ ، الذهبي ، **سير أعلام النبلاء** ، ج ١٢ ص ٣٥ ، ٣٦ ، د. عبدالحكيم عبدالحق سيف الدين ، **عهد المتوكل على الله العباسي بين الحقيقة التاريخية وظلم المؤرخين** ، مجلة المؤرخ العربي ، القاهرة ، عدد مارس ٢٠٠٧م ، ١٢٩ .

(4) الأشعري ، **الإبانة عن أصول الديانة** ، تحقيق محمود بن الجميل ، مكتبة الأنصار ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٣م ، ٩ – ٣٦ من مقدمة المحقق .

بالعقيدة الحنبلية حتى أواخر القرن السادس الهجري ، وقدم الأيوبيون إلى اليمن سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) وفي جعبتهم العقيدة الأشعرية لتنافس العقيدة الحنبلية بين حملة فقه الإمام الشافعي ، وفي قرون متأخرة عن القرن السابع الهجري وصلت إلى اليمن طلائع الفكر الصوفي الفلسفي المتمثل في القول بوحدة الوجود ، هذا بالإضافة إلى العقيدة الإسماعيلية الفلسفية المغرقة في التأويل للنصوص القرآنية والنبوية في شكليها الباطني والظاهري .

وقد تعددت قنوات انتقال العقيدة الاعتزالية إلى اليمن ، وكلها انحصرت في الزيدية كما سلفت الإشارة ، وكانت القناة الأولى هي الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين الرسي العلوي (ت٢٩٨هـ / ٩١٠م) ، مؤسس المذهب الزيدي باليمن ، ومن خلال إلقاء نظرة على قائمة مؤلفاته ورسائلة تكفي لمعرفة مدى الاتفاق بينه وبين المعتزلة حتى على مستوى المصطلحات المستخدمة ، كالأصول الخمسة وغيرها[١] ، وعلى خطاه سار رجال الزيدية ، فلما زار العراق القاضي جعفر بن أحمد بن عبدالسلام البهلولي (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م) عالم الزيدية الأول باليمن ومتكلمها الأبرز في عصره ، وجلس هناك إلى أكبر علماء الزيدية والمعتزلة وأخذ عنهم ، وتضلع بعلومهم[٢] ، وكان يقول: " ناظرت علماء العراق وأقمت عليهم الحجة حتى رددت جماعة منهم عن مذاهبهم "[٣] في إشارة تدل على مدى تضلعه بالفكر الاعتزالي وتمكنه منه ، وقد عاد من العراق وليس فيه من هو أعلم منه على حد قول بعض المصادر الزيدية[٤] ، ونقل القاضي جعفر معه الأمهات من مصادر المعتزلة ، ما كان

---

(1) بذل عدد من الباحثين اليمنيين جهوداً ملموسة في تتبع الصلات بين الزيدية والمعتزلة ، ورصدوا تفصيلاتها من خلال الإشارات التي تضمنتها مصادر الفكر الإسلامي، ومنهم: أحمد عبدالله عارف، **الصلة بين الزيدية والمعتزلة**، دار آزال ، بيروت ، والمكتبة اليمنية ، صنعاء ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، ص ٥٩ وما بعدها ، د. عبدالعزيز المقالح ، **قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة** ، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، ص ١٨ ، ٢٤ ، علي محمد زيد ، **معتزلة اليمن : دولة الإمام الهادي وفكره** ، ص ٣١ – ٤٨ ، د. محمد عيسى الحريري، **تطور المذهب الزيدي في اليمن** ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٧٤ .

(3) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٤٦ .

(4) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٧٧ .

منها باللغة العربية أو الفارسية ، وذلك قبل إتلافها على أيدي خصومها – من جهة – ومن قِبَلِ التتار – من جهة أخرى ، فيُنْسَبُ إليه – بسبب ذلك – أنه هو الذي حفظ تراث المعتزلة من الانقراض ، ودعَّم الارتباط بينها وبين الزيدية[١] ، وقد مر على الزيدية زمنٌ أصبحت فيه نسخةً تكاد تكون مطابقة للمعتزلة[٢] ، ولهذا قال واحد من متأخري المحققين في علم الكلام عند الزيدية : " كالزيدية في هذا الجبل من اليمن ، هم معتزلة في كل الموارد إلا في شيئ من مسائل الإمامة ، وهي مسألة فقهية ، وإنما عدها المتكلمون من فَـنِّهم لشدة الخصـام ... "[٣] ، وفي مطلع القرن التاسع الهجري قال الإمام المتكلم الكبير الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير[٤] (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) واصفاً مدى تقارب الزيدية والمعتزلة : " وإنهما فرقة واحدة في التحقيق ، إذ لم يختلفوا فيما يوجب الإكفار والتفسيق ... " ، وإذا كان هذا رأي واحد من أشهر رموز علم الكلام لدى الزيدية فلا نستغرب قول بعض الأشعرية – كما نقله المَقْبَلي[٥] – وهم خصوم لكليهما : " وأما الزيدية فلا ينبغي أن يُعَدُّوا فرقةً مستقلة ، وإنما هم مقلدون للمعتزلة في الأصول وللحنفية في الفروع " .

وقد حكت مصادر الزيدية وغيرها مدى براعة أئمتها ورجالها في علم الكلام ، إذ تضم البيليوجرافيا الزيدية عدداً هائلاً من مؤلفات علم الكلام ، أسهم في تصنيفها معظم علمائها ، وإن كانت موضوعاتها متكررة إلا أن الإحساس بأهمية هذا العلم ضمن

---

(1) انظر أخباره عند الأكوع ، **هجر العلم** ، ج ٢ ص ٩٥٥ ، الجِنْداري ، **الجامع الوجيز** ، ورقة ٦٨- أ ، الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٤٦ ، الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٢ ، ٧٧٠ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ١ ص ٥٣٨ ، ج ٢ ص ٢٥٤ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج١ ص ٢٧٣ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ٢٧٨ ، الوزير ، **تاريخ بني الوزير** ، ص ٢٢٧ .

(2) د. محمد عيسى الحريري، **تطور المذهب الزيدي في اليمن** ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(3) المَقْبَلي ، **العَـلَم الشامخ** ، ص ١١ .

(4) الهادي الوزير ، **رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقمار والعلماء الأبرار وشيعتهم الأخيار** ، نسخة مخطوطة ، مكتبة الجامع الكبير الشرقية ، رقم ٣١٥٤ ، نقلاً عن المَقْبَلي ، **العَـلَم الشامخ** ، ص ١١ .

(5) **المصدر السابق** ، ص ١٢ ، وقد عقب المقبلي بعد إيراده لهذا التصريح بقوله : " لكنه – أي قائل التصريح – تعصب في هذا الكلام وما أنصف ، أو خبط وجازف ، فكم فيهم من إمام نظَّار ، وسابق لا يُشَقُّ له غبار " .

المنظومة الفكرية للزيدية دفعت الكثير منهم للإسهام في ازدهاره ونشره ، بما جعلهم فرسانه في اليمن بلا منازع .

وفي مدة دراستنا كان علم الكلام يشهد مرحلة من أزهى مراحل شيوعه في اليمن ، إذ كثرت المصنفات فيه ، وتعددت شروح الكتب التي خلفها السابقون في بابه ، ومن أوائل رجال الزيدية اهتماماً بعلم الكلام في القرن التاسع الهجري يأتي الإمام الواثق بالله المطهر بن محمد بن المطهر بن يحيى الحسني (ت٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) ، وهو أحد أئمة الزيدية الذين نافسوا الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة الحسيني سنة (٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) ، كان موصوفاً بالعلم والاجتهاد والصلاح ، وكان قد تنحى عن الإمامة وانقطع للعلم دراسة وتدريساً وتصنيفاً ، فكان من مصنفاته (الأبيات الفخرية) في أصول الدين ، وهي التي جاء من بعده الإمام محمد بن يحيى القاسمي ليشرحها ، وضمن شرحه الفروق بين الزيدية والمعتزلة ، وأسماه (اللآلئ الدرية في شرح الأبيات الفخرية)[١].

ومنهم كذلك الإمام الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير (ت٨٢٢هـ ١٤١٩م) ، أحد فرسان علم الكلام المحققين على الساحة اليمنية ، وكان من أشد الناس شكيمة في نصرة مذهب الزيدية والتعصب لهم والرد على مخالفيهم ، وكان يقدس الفكر الاعتزالي ويقدم رجال المعتزلة على علماء الزيدية ، واعتبرهم سادات الزيدية وعلماءها ، فقد عَدَّدَ في كتابه (رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقمار والعلماء الأبرار وشيعتهم الأخيار) أئمةَ الزيدية وعلماءها وعلماء المعتزلة متوسلاً بهم ، فرتب مادة كتابه المذكور على النحو التالي : أولاً الأئمة الدعاة من الزيدية ، ثانياً علماء المعتزلة ، ثالثاً علماء الزيدية من أهل البيت ، ثم علماء الزيدية من غير آل البيت ، وقد اعتذر عن تقديم المعتزلة على علماء الزيدية وشيعتهم بقوله : " وأما المعتزلة فقد ذكرت بعض أكابرهم ، وكراسي منابرهم ، ومع إجمال وإهمال ، إذ هم الأعداد الكثيرة ، والطبقات الشهيرة ، ورأيت تقديمَهم على الزيدية ؛ لأنهم سادتها وعلماؤها ، فألحقت سمطهم بسمط الأئمة ، وذلك لتقدمهم في الرتبات ، ولأنهم مشائخ سادتنا وعلمائنا القادات "[٢] .

---

(1) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٣٤ ، ٣٤١ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٤٠ .

(2) الهادي الوزير ، **رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقمار** ، نقلاً عن المَقْبلي ، **العَـلَم الشامخ** ، ص ١١ .

كانت أغلب الجهـود العلمية للإمام الهادي بن إبـراهيم بن علي الوزير منصبة في علم الكلام ، ولم يُولِ غيره من العناية كما أولاه ، وصنف فيه كتاباً ورسـائل ومنظومات شـهيرة ، وأشـهر آثاره الكلامية كتاب (درة الغـوّاص في نظم خـلاصة الرصّاص)[١] ، وهو عبارة عن منظومة شـمل بها كتاب (الخـلاصة النافعة بالأدلة القاطعة في قواعد التابعة) في علم الكـلام للعـلامة أحمد بن الحسن بن محمد الرصّاص (ت٦٢١هـ / ١٢٢٤م) ، ثم أنه قام بشرح هذه المنظومة في كتابه (تلقيح الألباب في شرح أبيات اللباب) كما ورد عند الوجيه[٢] ، وقام كذلك بعمل تذييل على الخلاصة بكتابه (نهاية التنويه في إزهاق التمويه)[٣] ، وصنف عليه كتاب (شـرح التنويه في إزهاق التمويه)[٤] ، وله أيضاً وكتاب (التفصيل في التفضيل[٥]

---

[1] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٨٣ ، منه ثلاث نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت أرقام (٦٥١) و (٧٧٦) و (١٥٣٧) ، ومنه تسع نسخ في مكتبـة الجـامع الكبيـر الغـربية تحت أرقام (١٨ مجاميع) ، و (٢٤ مجاميع) ، و (٨٤ مجاميع) ، و (١٣٩ مجاميع) ، و (١٩٩ مجاميع) ، (٥٧ علم الكلام)، و (٦٠ علم الكلام) ، و (٦٢ نحو) ، و (٥٢ فرائض) ، وسماها البعض (المصاصة في نظم مسائل الخلاصة) ، ومنها نسخة تحت عنـوان (نظـم خلاصـة الرصاص) في مكتبة محمد بن يحيى المطهر بتعز ، ونسخة أخرى بمكتبة محمد بن محمد الكبسي فـي صنعاء تحت عنوان (نظم الخلاصة) ، وأخرى في مكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٧٠ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ١٣٣ .

[2] الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٦٩ ، منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الجامع الكبير الغربيـة تحـت رقمي (٣٤ علم الكلام) و (٣٥ علم الكلام) ، وأخرى مصورة في مكتبة محمد عبـدالعظيم الهـادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، الصفحة نفسها ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ١٣٣ .

[3] منه ثلاث نسـخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت أرقام (٤٩ مجاميع) و (٧٨ مجاميع) و (١٣٧ مجاميع) ، وأخرى في مكتبة محمد بن يحيى المطهر ، انظر الوجيه ، **المرجع الـسابق** ، ص ١٠٧٠ .

[4] منه نسخة مخطوطة بمكتبة محمد بن يحيى المطهر بتعز ، وأخرى ضمن مجموع في مكتبة عبدالرحمن شايم بهجرة فللة في صعدة ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

[5] أشار كثير من الباحثين ومحققي كتب التراث الزيدي إلى أن هذا الكتاب في الرد على أبي بكر بن العربي الأندلسي صاحب كتاب (العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة) ، وبالنظر إلى الفترة التـي عاش فيها الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير يعرف أن ابن العربي الأشهر والأكثر صيتاً عصرئذ هو الشيخ محيي الدين بن العربي الطائي الأندلسي المتصوف ، صاحب القول بوحدة الوجود ، وخاصـة أن الإمـام

)[1] ، وله أيضاً كتاب (نظم خلاصة الفوائد) في أصـــول الدين[2] ، وكتاب (خلاصة الفوائد) هو أحد مصنفات القاضي الشـــهير جعـــفر بن أحمد بن عبدالسلام ، وللإمـــام الهادي الوزير أيضاً وكتاب (شريعة الفرات في شرح ما التبس من الأبيات)[3] .

ومن الكتب التي ابتدعها الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير – أي لم تكن تعليقاً أو شرحاً لمصنفات غيره – كتابه (السيوف المرهـــفات في الـــرد على من أَلْحَدَ في الصفات)[4] ، وكتاب (جوهرة العقد الفريد في التوسل بأئمة العدل والتوحيد)[5] ، وكذلك كتاب (كفاية القانع في معرفة الصانع)[6] ، وكتاب (الجـــواب الناطق بالحق المبين)[7] .

الهادي الوزير قد وقف موقفاً صارماً من العقائد التي نادى بها ابن العربي المتصوف في كتبه المشهورة ، ومواقفه في تأييد الفقهاء الشافعية في تهامة الذين كانوا في واجهة الأحداث في الصراع مـــع المتـــصوفين الفلاسفة من أتباع ابن عربي في اليمن مشهورة ومدونة ، وفي ديوان الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ القصائد الغرر التي تراسل بها مع الإمام الهادي الوزير ، وهذا يجعلني أرجح أن ابن العربي المذكور في طيات عنوان كتابه المذكور هو الفيلسوف لا الفقيه المالكي صاحب (العواصم من القواصم) .

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٨٣ – ١١٨٤ ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجـــامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٤٧٦) ، وأخرى في الأمبروزيانا ، ونسخة أخرى مصورة في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٦٩ ، الحبـــشي ، **مـــصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ١٣٢ ، ١٣٣ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة محمد بن حسن الجلال ، وأخرى في مكتبة محمد بـــن عبـــدالعظيم الهـــادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٧٢ .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٤٠ علم الكلام) ، وأخـــرى فـــي مكتبـــة المرتضى الوزير بهجرة السر ببني حشيش ، انظر الوجيه ، **المرجـــع الـــسابق** ، ١٠٧١ ، الحبـــشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ١٣٣ .

(4) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٨٤ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، الصفحة نفسها .

(5) منه نسخة مخطوطة بمكتبة عبدالله بن محمد غمضان بصنعاء ، انظـــر الوجيـــه ، **المرجـــع الـــسابق** ، ١٠٧٢.

(6) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٨٣ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، الـــصفحة نفـــسها وقال في تحقيقه **لطبقات الزيدية الكبرى** : لم أقف على نسخة خطية .

(7) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٤٠ علم الكلام) ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٦٩ .

ومن المشاركين في علم الكلام من رجال الزيدية أيضاً العلامة عبدالله بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد الحسني (ت٨٢٩هـ / ١٤٢٥م) ، أخذ عن أبيه – الذي كان من أشد علماء الزيدية صيانةً لمذهبها وتعصباً له – وتتلمذ على أيدي غيره ، وبرز في علم الكلام حتى صنف فيه، ومما تركه من المؤلفات كتابه (تنضيد ذهب اللآل في تشييد مذهب الآل)[١] ، وكتاب (فتح العقيدة في شرح القصيدة)[٢] ، وهو شرح لقصيدة أصولية للعلامة حمزة بن أبي القاسم بن محمد – عم أبيه – ، وله أيضاً كتاب (فاتحة العلا في الرد على ابن علا)[٣] ، ولم تبين المصادر شخصية المردود عليه ، وله أيضاً كتاب (الشمس الكاشفة لشبهة الفلاسفة)[٤] .

وللسيدة العالمة الدهماء بنت يحيى بن المرتضى الحسنية (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) مشاركة في علم الكلام ، كيف لا وهي شقيقة الإمام المهدي صاحب القدم المعلى في كثير من العلوم ، وفارس علم الكلام الأبرز في اليمن في عصره ، وقد صنفت الدهماء كتاباً كبيراً أسمته (الجواهر في علم الكلام)[٥] ، جاء في ثلاثة مجلدات ليدل عى سعة مضمونه واتساع محتواه .

وأشهر علماء الزيدية في مضمار علم الكلام في القرن التاسع الهجري – بل في كل قرون تاريخها – هو الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، كان موسوعياً في علمه وتصانيفه ، وصفه مؤرخو الزيدية بأوصاف بالغة تدل على عظمة منزلته عندهم ، حتى قال بعض متأخريهم في ترجمته أنه : " أحد عظماء الإسلام وأئمة العترة الكرام ، عالم ، فقيه ، مجتهد مطلق ، علمٌ شامخٌ في شتى

---

(1) النسخة الأم محفوظة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٧٧٢ علم الكلام) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٠٥ .

(2) توجد النسخة الأم في المجلد المتضمن للكتاب السابق بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ، انظر **المرجع السابق** ، الصفحة نفسها .

(3) توجد النسخة الأم في المجلد المتضمن للكتاب السابق بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ، انظر **المرجع السابق** ، الصفحة نفسها .

(4) توجد النسخة الأم في المجلد المتضمن للكتاب السابق بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ، انظر **المرجع السابق** ، الصفحة نفسها .

(5) الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٤٢٤ ، الحبشي ، **معجم النساء اليمنيات** ، ص ٧٥ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٠٨ ، كحالة ، **معجم المؤلفين** ، ج ٣ ص ١٤٥ .

الفنون ، أثرى المكتبة الإسلامية بمؤلفاته الشهيرة الخالدة التي لازالت عمدة للمذهب الزيدي ... "[١] ، وكتب عنه بعض الباحثين المعاصرين رسالة علمية عنونها بـــ(الإمام المهدي أحمد بن يحيى وأثره في الفكر الإسلامي سياسياً وعقائدياً)[٢] ، وقد سبق ذكره مراراً في هذه الدراسة لمشاركته في معظم فروع المعرفة ، وهو في علم الكلام المقدم بين علماء الزيدية وأئمتها .

وقد صنف الإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى في علم الكلام كثيراً من الكتب ، منها كتاب (الملل والنحل)[٣] ، ثم قام بشرحه في كتاب آخر أسماه (المنية والمل في شرح الملل والنحل)[٤] ، وله أيضاً في علم الكلام كتاب (التحقيق في الإكفار والتفسيق)[٥] ، وكتاب (النبوات وما يتعلق بها)[٦] ، كما صنف فيه كتاب (الإمامة)[٧] ، ووضع رسالة أخرى تحمل عنوان (الإمامة) أيضاً[١] ، وله كذلك

---

(1) الوجيه ، أعلام المؤلفين الزيدية ، ص ٢٠٦ .

(2) هو د. محمد محمد الكمالي ، وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩١م عن دار الحكمة اليمانية بصنعاء .

(3) منه ثلاث نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت أرقام (٦٤٩) و (٦٢٤) و (١٥٠٥) ، ومنه نسختان في مكتبة الجامع الكبير الغــربية تحت رقمي (٢٥٩ مجاميع) و (٤١ أصول فقـه) ، انظر المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(4) منه ثمان نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت الأرقام مـن (١٥٢) حتـى (١٥٨ علـم الكلام) ، والنسخة الثامنة تحت رقم (١٧٧ تاريخ) ، ومنه ست نسخ في مكتبة الجامع الكبير الشرقية ، ونسخة منتشرة في المكتبات الخاصة كمكتبة مجدالدين المؤيدي بصعدة وغيره ، وقد طبـع بتحقيـق د. محمد جواد مشكور بدمشق ، ونشرت متنه مجرداً مجلة كلية الآداب بجامعة تبريز في إيران ، كما صدر المتن مع شرحه عن دار الندى سنة ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(5) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ضمن مجلد يحويه مع غيره تحـت رقـم (٥٨٧) ، وأخرى في مكتبة الجامع الكبير الغــربية تحت رقم (٩٥ مجاميع) ، وقد طبع ضـمن كتـاب المنيـة والأمل السابق ذكره ، انظر المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

(6) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٧٩٨) ، وأخرى في مكتبة جامع شهارة ، وأخرى في المتحف البريطاني ، ونسخة أخرى في مكتبة آل الهاشمي بصعدة ، انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(7) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية يتضمنه مع غيره تحت رقم (٥٨٧) ، وأخرى فـي مكتبة الجامع الكبير الغــربية تحت رقم (١٥٥ علم الكلام) ، انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

كتاب (رياضة الأفهام في علم الكلام)[٢] ، ثم قام بشرحه في كتاب (دامغ الأوهام في شرح رياضة الأفهام)[٣] ، وله في علم الكلام كذلك كتاب (الدافعة للعدوان الهادية لأهل الإيمان)[٤] ، وكتاب (القلائد في تصحيح العقائد)[٥] ، وقد قام لاحقاً بشرحه في كتاب آخر حمل عنوان (الدرر الفرائد في شرح القلائد في تصحيح العقائد)[٦] ، وله كذلك رسالة (الناصحة للمتذكر الفاضحة للمستهتر)[٧] ، وكتاب (سلوة الأولياء

---

[1] منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع بمكتبة آل الهاشمي تحت رقم (٢٦٣) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢١٣ .

[2] منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٤٨ مجاميع) ، ومنه ست نسخ في مكتبة الجامع الكبير الشرقية ، ومنه نسخ كثيرة في المكتبات الخاصة كمكتبات محمد عبدالعظيم الهادي ومكتبة عبدالرحمن شايم ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٢٠٨ .

[3] من الجزء الأول منه ثلاث نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت أرقام (٥٧١) و (٥٧٢) و (٥٧٣)، ويوجد من الجزء الثاني منه نسخة في المكتبة نفسها تحت رقم (٥٧٥) ، وأخرى مصورة في مكتبة عبدالرحمن شايم ، ومن الجزء الثاني نسخة بمكتبة محمد بن يحيى الذاري ، ونسخة أخرى مصورة بمكتبة نديم عبادي ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٢٠٩ .

[4] **المرجع السابق** ، ص ٢١٠ .

[5] منه تسع نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ، ونسخة في المتحف البريطاني ، وأخرى في مكتبة جدامع شهارة ، وأخرى في مكتبة محمد محمد الكبسي في صنعاء ، ونسخة أخرى في مكتبة آل الهاشمي بصعدة ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٢٠٧ .

[6] منه ست نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت الأرقام (٥٦ علم الكلام) و (٥٧ علم الكلام) و (١٥٢ علم الكلام) و (١٥٥ علم الكلام) و (١٠٧ علم الكلام) ، ونسخة أخرى مصورة في ثلاثة مجلدات في مكتبة عبدالرحمن شايم بفللة في صعدة ، وأخرى في مكتبة محمد بن يحيى الذاري ، وفي مكتبة آل الهاشمي منه نسخة تحت عنوان (الفرائد في معرفة الحي الواحد) ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٢١١ .

[7] **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

في معرفة الأنبياء)[١] ، وكتاب (القسطاس المستقيم في الحد والبرهان القويم)[٢] ، وكتاب (الوعد والوعيد)[٣] .

كان المتوقع أن يشفع هذا الإنتاج الغزير في علم الكلام – وفي غيره – للإمام المهدي أحمد بن يحيى بن المرتضى بأن يأخذ موقعه المناسب بين أبرز أعلام مفكري الإسلام ، غير أنه كغيره من أعلام اليمن قد جهله الكثيرون ، وطوي ذكره ، ولو خرجت كل كتبه – أو بعضها – لَعَلِمَهُ القاصي والداني ، ولفاق أعلاماً قد ملأوا سمع الدنيا وبصرها شهرةً وصيتاً وهم دونه بمراحل ، غير أن اليمن قد هُضِمَتْ كثيراً في غمط حق رجالها ، وموات ذكرهم ، في الماضي والحاضر ، ولا شك أن على أبنائها تقع المسؤولية الكبير في عدم نشر تراثهم والعناية به .

وإذا ما ذُكِرَ الإمام المهدي أحمد بن يحيى في علم الكلام ذُكِرَ معه الإمام العلامة محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الوزير الحسني (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) – الشقيق الصغير للإمام الهادي الوزير – الذي كان أُمَّةً وحده ، تفرد في عقيدته ومذهبه وأسلوبه ومنهجه ، ولم يمنعه كونه من بيت علم زيدي أصيل في تشيعه وعلويته – نسباً ونشأة – من أن يكون داعية العودة إلى موارد السنة النبوية المطهرة – المشهورة لدى عامة علماء الأمة الإسلامية – لاستقاء أصول الدين وفقهه منها ، في أرض ما عهد أهلها الارتكاز عليها ، ومع ذلك فقد كان في المقام العالي والمنزلة العظيمة ، وعرف له قدره كل من قرأ له أو درس على يديه ، وقد أوسعنا الحديث عنه عند حديثنا عن الهجر العلمية في الفصل الثالث ، ونذكر بما وصفه به صاحب طبقات الزيدية الكبرى[٤] ، إذ قال : " السيد الحافظ ، خاتمة المحققين ، المحيط بالعلوم من خلفها وأمامها، والحري بأن يدعا بإمامها وابن إمامها ، كان سَبَّاقَ غايات ، وصاحب آيات وعلامات ، بلغ من العلوم الأقاصي ، واقتادها بالنواصي ، وله في علوم الاجتهاد

---

(1) منه نسخة مخطوطة بالمتحف البريطاني ، الوجيه ، أعلام المؤلفين الزيدية ، نفس الصفحة .

(2) منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع بمكتبة آل الهاشمي بصعدة ، انظر المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ضمن مجلد يحويه مع غيره تحت رقم (٥٨٧) ، وأخرى في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٥٥ علم الكلام) ، وأخرى بالمتحف البريطاني، انظر المرجع السابق ، نفس للصفحة ٢٠٨ .

(4) ابن المؤيد ، ج ٢ ، ص ٨٩٦ – ٩٠٢ .

المحل الأعلى ، والقدح المعلى ، بلغ مبلغ الأوائل بل زاد ، وألّف وصنف وأفاد ... كان اجتهاده اجتهاداً كاملاً مطلقاً ... وكان أذكى الناس قلباً ، وأزكاهم لباً ، وكان فؤاده جذوة نار تتوقد ، وهو الخبير الخريت الماهر في كل مقصد " ، لهذا قال شيخ الإسلام الإمام الشوكاني[١] : " ... والحاصل أنه رجلٌ عرفه الأكابر ، وجهله الأصاغر ، وليس مختصاً بعصره ؛ بل هو كائن فيما بعده من العصور إلى عصرنا هذا ، ولو قلت : إن **اليمن لم تنجب مثله** لم أبعد عن الصواب " .

جلب اجتهاد عليه الكثير من المشكلات ، وتغير عليه أقرب المقربين إليه ، وكان أحد كبار شيوخه – علي بن محمد بن أبي القاسم (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ينال منه وينسبه إلى الهوى والخروج عن الحق ، ودارت المراسلات والنقائض بينه وبين المنكرين عليه منهجه الجديد ، وأشهرهم شيخه السابق والإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى .

وكل المصنفات التي صنفها الإمام محمد بن إبراهيم الوزير في علم الكلام هي في أساسها ردود مباشرة أو غير مباشرة على ما كان يطرحه جمهور الزيدية من قومه، المعاصرين له والسابقين ، وكان يصرح فيها بأنه متبع لمذهب القدماء من علماء آل البيت النبوي في الأصول، وأن المتأخرين قد خالفوهم في انغماسهم في علم الكلام على منهج المعتزلة ، ونقل عدداً من نصوصهم التي تدعوا شيعتهم إلى عدم الإيغال في الجدل وفلسفة العقيدة[٢] ، وما تضمنته كتبه من الحجج الداحضة لمزاعم القائلين بأن طريق إثبات العقائد الإسلامية الوحيد هو القيام بعلم الكلام والإيغال في تفاصيله دون غيره تدل على أنه لم ينفر ويُنفِّر منه عن جهل به ، بل لقد كان من قوة المنطق وجلاء البيان وعمق المعرفة به ما يدفع القارئ لمصنفاته إلى العجب من خفاء ذكره وقلة معرفة الناس به وهو الرجل المبرز ، ومن رؤاه في رفض طريقة المتكلمين قوله : " إن العلم بالله عن طريق الاستدلال – وهو أحد مصطلحات المتكلمين – لا يحصل لأحد إلا بعد الاتقان لأدلة المتكلمين ، بل كثير من الناس يفني عمره في درسها وما يحصل

---

(1) البدر الطالع ، ص ٦٠٩ ، ٦١٠ .

(2) الوزير ، العواصم والقواصم ، ج ١ ص ٣٥ ، ٧٨ .

على طائل من تحقيقها ، بل الأقل من العلماء هو الذي يستفيد في هذا الفن .. "[1] ، وقوله أيضا : " حتى أن المسلمين وقفوا لتحصيل علم المنطق بين أيدي اليهود والفلاسفة ، وحتى شرحوا كتب علماء هذه الطائفة ، وحتى حكوا أقوالهم وعظموا في بعض المسائل أنظارهم ... فما بال الأنبياء أهملوا هذا المهم ، ولم يبالغوا فيه كما بالغ فيه غيرهم ، وكيف يصح في العقول أنه لا يعرف الصانع إلا بالعرض الحال في الجسم ثم ينقضي عمر الدنيا منذ كان أبو البشر – آدم عليه السلام – والأنبياء يدعون الخلق إلى الدين ، ولا يفترون في كل وقت وحين ثم لا ينقل إلينا نقلاً متواتراً – بل ولا آحاداً – تصريح من واحد منهم بأن العرض الذي في الجسم أمر ثبوتي حادث غير الجسم ، وأما أقوال المتقدمين من الفلاسفة في ذلك فتُنْقَلُ إلينا ... :

وَيَرَوْنَ ذلكَ مَذْهَــباً مُسْتَعْظَماً
عَنْ طُولِ أَنْظَارٍ وحُسْنِ تَفَكُّرِ

ونَسُوا غِنَى الإسلامِ قَبْلَ حُدُوثِهِم
عَنْ كُلِّ قَــولٍ حادِثٍ مُتَأَخِّــرِ

ما ظَنُّهُم بالمُصْــطَفَى في تَرْكِهِ؟
ما استَنْبَطُوهُ ؟ ونَهْيُهُ المُتَقَرِّرِ؟

أيَكُونُ في دِيْــنِ النَّبِيِّ وصَحْبِهِ
نَقْصٌ؟! فَكَيْفَ بِهِ ولَمَّا يَشْعُرِ؟!

أوَ لَيْسَ كانَ المُصْطَفَى بِتَمامِهِ
وبَيَانِهِ أَوْلَى؟! فلِمَ لَمْ يخْــبِرِ[2]

ومن أهم كتب الإمام محمد الوزير في علم الكلام كتاب (إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق)[3] ، وهو من أهم كتبه ، وله كذلك كتاب (البرهان

---

[1] الوزير ، البرهان القاطع في إثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع ، مكتبة الجمعية العلمية الأزهرية المصرية الملايوية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م ، ص ٣٧ ، ومثله كذلك ص ٥٤ .

[2] المصدر السابق نفسه ص ٥٥ ، ٥٦ .

[3] منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقمي (٨ علم الكلام) و (١٨ علم الكلام)، ونسخة أخرى بمكتبة عبدالسلام عباس الوجيه ، وقد طبع في القاهرة عام ١٣٤٨هـ ، وطبع مراراً

القاطع في إثبات الصانع وما جاءت به الشرائع)[1] ، وله كذلك كتاب (الآيـــات الدالة على الله وعلى صـــدق أنبيائه)[2] ، وكتاب (الاختلاف في حد الله على الإيمان بين الأشـــعرية والمعـــتزلة)[3] ، وكتاب (تحرير الكلام في مسألة الرؤية وما دار بين المعتزلة والأشعرية)[4] ، وله كتاب (نصرة الأعيان من شر العميان)[5] رد به على أبي العلاء المعري حول أبياته المتعلقة بتقليد أصحاب المذاهب ، وفي هذا السياق نفسه صنف بحثاً في عدم جواز التقليد[6] .

وفي أغلب ما مضى كان الإمام محمد بن إبراهيم الوزير عندما يذكر المعتزلة إنما كان يشير بها إلى الزيدية ، وبالتحديد وإلى ما اتخذته الزيدية عقيدة لها من الفكر الاعتزالي ، فقد كان ينكر انتهاج الجدل والفلسفة في إثبات صحة العقائد الإسلامية ، واعتبر ذلك دخيلاً على الفكر الإسلامي وما لا يجب الالتجاء إليه من قل علماء الإسلام، وأنه صنعة يونانية قديمة ، لذلك وضع كتاباً مخصصاً في الإنكار على

بعدها ، ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٦ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي فـــي اليمن** ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكـــبير الغربية تحت رقم (٩٦ مجاميع) ، وأخـــرى تحـــت رقـــم (٦٩٨) ، وأخرى ضمن مجموع بمكتبة محمد بن محمد الكبسي بصنعاء ، وأخرى بمكتبـــة الحبـــشي ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٨٢٧ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٥ ، الحبشي ، **فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت** ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، عدن ، ١٩٧٤م ، ص ٨٩ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٦٩٨) ، ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٠٨ .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٣٦ مجاميع) ، وأخرى ضـــمن مجمـــوع بمكتبة محمد بن محمد الكبسي بصنعاء ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٨٢٦ ، الحبشي ، **مصادر الفكـــر الإسلامي في اليمن** ، ص ١٣٥ .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٢٩ مجاميع) ، وأخرى بـــنفس المكتبـــة تحت رقم (٥٣ مجاميع) ، وأخرى ضمن مجموع بمكتبة محمد بن محمد الكبـــسي بـــصنعاء ، انظـــر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٨٢٧ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ١٣٥ .

(5) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٦٠٩ .

(6) منه نسخة مخطوطة بمكتبة يحيى بن علي الذارحي ، وأخرى بمكتبة محمد بن محمد الكبسي بـــصنعاء ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٩ .

معاصريه من الزيدية المغرقين في ذلك ، وكان شديد الإنكار عليهم حتى أنه كان يصمهم بالابتداع ويرميهم بالعَمَهَ والعمى ، وقد جعل كتابه ذلك تحت عنوان (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان)[1] وقال في مقدمته : " أما بعد : فإنه نبغ في هذا الزمان من عادى علوم القرآن ، وفارق فريق الفرقان ، وصنف في التحذير من الاعتماد على ما فيه من التبيان في معرفة الديان ، وحث على الرجوع في ذلك إلى معرفة قوانين المبتدعة واليونان ، منتقصاً لمن اكتفى بما في معجز التنزيل من البرهان ، مُقَبِّحاً لتلقي كثير من محكماته بالقبول والإيمان ، لا جرم أن الله تعالى – وإن وصفه بأنه لقومٍ هدى – فقد وصف بأنه على قوم عمى ، فحسبوه حين عموا عنه وصموا أنه لأمر يرجع إلى ذاته ، والخلل يعود إلى بين آياته ، ولم يعلموا أن ذلك يخصهم لما في قلوبهم من العَمَهِ والعمى ، والرداءة والردى ، فكأنهم المنافقون ريباً وخبثاً وبهتاناً حين قالوا : أيكم زادته هذه إيماناً ... "[2] .

ويعد كتاب (العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم)[3] هو أعظم كتب الإمام محمد بن إبراهيم الوزير ، بل لعله أهم كتاب صنفه علماء اليمن على مدار قرون ، وذلك بالنظر إلى محتواه وطبيعة موضوعاته ورصانة أسلوبه وقوة الحجة فيما تناوله فيه ، والأثر الكبير الذي أحدثه منذ تأليفه وحتى يوم الناس هذا ، فهو موسوعة

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١١٩ مجاميع) ، وأخرى تحت رقم (٤٦ مجاميع) ، ومنه نسختان في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقمي (٧١٩) و (٧٢٠) ، وقد طبع في مصر ١٣٤٩هـ ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٧ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ١٣٤ ، الحبشي ، **مخطوطات مكتبة المؤرخ محمد بن محمد زبارة** ، ملحق بمجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، عدد مايو ، ١٩٧٣م ، ص ٨ ، ٩ .

(2) الوزير ، **ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان** ، مكتبة الجمعية العلمية الأزهرية المصرية الملايوية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م ، ص ٨ .

(3) منه نسخة مخطوطة – الجزآن الأول والرابع – بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٧٦) ، ومنه نسخة أخرى بنفس المكتبة – الجزآن الثالث والرابع – لم يردنا رقمها ، وأخرى مكتملة تحت رقم (٤٣٥ علم الكلام) ، ونسخة أخرى بمكتبة العبيكان بالرياض ، وأخرى في مكتبة باريس الوطنية تحت رقم (١٤٦٠) ، وقد صدرت أول طبعاته عن مؤسسة الرسالة ببيروت عام ١٩٧٠م بتحقيق شعيب الأرناؤوط ، وآخر طبعاته عن نفس الناشر عام ١٩٩٤م ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٩ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

كبيرة جاءت في تسعة أجزاء[1] ، تضمنت نقاشات كبيرة وواسعة ، في علم الكلام لدى الزيدية والمعتزلة والأشعرية وغيرهم ، وفي السنة والحديث ، وفي الفقه والأصول ، ومعظم مادته في الجدل الكلامي ، وهو دفاع عن السنة وأهلها ، ورد مفحم وحجة داحجة ضد المتقولين عليها من غلاة الزيدية ومتعصبيها وجهلتهم ، وأساس تصنيفه هو الرد من الإمام محمد بن إبراهيم الوزير على شيخه العلامة بن محمد بن أبي القاسم (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ، وعن كتاب (العواصم والقواصم) ومؤلفه قال الإمام الشوكاني[2] : " وبالجملة فصاحب الترجمة يقصر القلم عن التعريف بحاله ، وكيف يمكن شرح حال من يزاحم أئمة المذاهب الأربعة فمن بعدهم من الأئمة المجتهدين في اجتهاداتهم ، ويضايق أئمة الأشعرية والمعتزلة في مقالاتهم ، ويتكلم في الحديث بكلام أئمته المعتبرين ، مع إحاطته بحفظ غالب المتون ، ومعرفة رجال الأسانيد شخصاً وحالاً وزماناً ومكاناً ، وتبحره في جميع العلوم العقلية والنقلية على حد يقصر عنه الوصف ، ومن رام أن يعرف حاله ومقدار علمه فعليه بمطالعة مصنفاته ، فإنها شاهد عدل على علو طبقته ، فإنه يسرد في المسألة الواحدة من الوجوه ما يبهر لب مطالعه ، ويُعَرّفُه بقصر باعه بالنسبة إلى علم هذا الإمام كما يفعله في (العواصم والقواصم)، فإنه يورد كلام شيخه السيد العلامة علي بن محمد بن أبي القاسم في رسالته التي اعترض بها عليه، ثم ينسفه نسفاً بإيراد ما يزيفه به من الحجج الكثيرة التي لا يجد العالم الكبير في قوته استخراج البعض منها ... ولو خرج هذا الكتاب إلى غير الديار اليمنية لكان من مفاخر اليمن وأهله ... " ، هذا وقد قام الإمام الوزير بتلخيص هذا الكتاب الكبير في مجلد صغير أسماه (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم)[3] .

---

(1) هذا في النسخة المطبوعة أما في النسخة الأصلية فهو في أربعة مجلدات كبيرة .

(2) **البدر الطالع** ، ص ٦٠٨ ، ٦٠٩ .

(3) منه ثلاث نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت أرقام (٦٤ حديث) و (٦٩ علم الكلام) و (٧٠ علم الكلام) ، وأخرى في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٦٩٨) ، وقد طبع في مصر عام ١٣٨٥م ، كما أصدرته المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع بصنعاء عام ١٩٨٥م ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٨ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ١٣٤ .

ومن علماء الكلام الزيدية العلامة الحسن بن حميد بن مسعود المقرائي (ت٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) الذي صنف كتاب (المنهج المستبين في أصول الدين)[١] ، وكذلك العلامة المطهر بن كثير الجمل (ت٨٦٣هـ / ١٤٥٨م) ، الذي ألف كتاب (معراج الأفكار في توحيد ذات الملك الجبار)[٢] ، ومنهم أيضاً العلامة عبدالله بن محمد بن أبي القاسم العكي النجري (ت٨٧٧هـ / ١٤٢٧م) الذي برز في علم الكلام بعد أن حصل العلم في اليمن وفي رحلته العلمية التي قطعها إلى مصر ، وصنف في علم الكلام كتابيه (شرح القلائد في تصحيح العقائد)[٣] و (مرقاة الأنظار المنتزع من غايات الأفكار)[٤] ، وللعلامة علي بن محمد بن أحمد بن علي البكري (ت٨٨٢هـ / ١٤٧٧م) في علم الكتاب مشاركة أسفرت عن تأليفه لكتابين ، أولهما (الجواب المعقود في بيان القطع بإمامة آل الرسول)[٥] الذي رد به على الإمام الهادي عز الدين بن الحسن في الإمامة ، وثانيهما كتاب (شرح مصباح الظلمات في كشف معاني المؤثرات)[٦] الذي شرح فيه كتاب (المؤثرات ومفتاح المشكلات) للحسن بن محمد بن الحسن الرصاص ، وكان للعلامة الفقيه أحمد بن محمد بن حمزة بن مظفر (

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٩٩ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٢٩ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١١٨ ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٧٦٢ أصول دين) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٣٤ .

(3) منه ثلاث نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت أرقام (١٧٧) و (٥٧٩) و (٧٢٩) ، ، ونسخة أخرى بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٠٩ علم الكلام) ، ونسخة في مكتبة جامع شهارة ، وأخرى بمكتبة آل الهاشمي بصعدة ، وكذلك نسخة في مكتبة آل الضوء بصعدة ، ونسخة أخرى في مكتبة آل المتميز ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٦١٧ ، الحبشي ، **مخطوطات مكتبة المؤرخ محمد بن محمد زبارة** ، ص ١٤ .

(4) منه اثنتان وعشرون نسخة في مكتبتي الجامع الكبير الشرقية والغربية ، وعدد كبير منها في المكتبات الخاصة بصعدة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦١٧ .

(5) منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع بمكتبة محمد بن محمد الكبسي ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٧٠٩ .

(6) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٤٨ علم الكلام) ، وأخرى بنفس المكتبة تحت رقم (٣٠) ، وأخرى في مكتبة الحبشي ، ومنه نسخة رابعة في الأمبروزيانا تحت رقم ٨٤ ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ١٣٨ .

تبعد ٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) يد في أصول الدين أهلته لكي يصنف فيه (شرح الثلاثين مسألة في أصول الدين)[1] التي كان الرصاص قد وضع متنها .

ومن متكلمي الزيدية الكبار وعلمائها الأعلام الإمام الهادي عزالدين بن الحسن بن علي بن المؤيد (ت٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) ، وهو واحد من أشهر أئمة الزيدية وأغزرهم علماً ، وكانت له في علم الكلام مشاركة ويد قوية ، وترك فيها مصنفاته عدة، كرس بعضها لمسألة الإمامة ، ومن أشهرها كتاب (الرسالة الغراء في بيان أحكام مثبت الإمامة ونافيها)[2] ، وكتاب (العناية التامة بتحقيق مسائل الإمامة)[3] ، قيل عن الأخير بأنه : " أوسع ما أُلِّفَ في بابه حول الإمامة ، وهو مقسم على فصول وأبواب متعددة ... "[4] ، ولعله تكلم فيه والذي سبقه عن الإمامة بما خالف ما اجتهاد أسلافه فاقتضى ذلك صدور الردود عليه ؛ لأن العلامة علي بن محمد بن أحمد بن علي البكري (ت٨٨٢هـ / ١٤٧٧م) – كما سبق بيانه – كان قد وضع كتاباً بعنوان (الجواب المعقود في بيان القطع بإمامة آل الرسول) رد به على الإمام الهادي عز الدين بن الحسن في الإمامة ، وقد عقب الإمام عزالدين عليه برسالة عنوانها (الرسالة في مسألة الإمامة)[5] ، لابنه العلامة أحمد بن عزالدين بن الحسن (ت٩٤١هـ / ١٥٣٤م) في الإمامة كتاب (أحوال الإمامة وما يلزم الإمام وما لا يلزمه)[6] ، وهو – كما يتضح من عنوانه – في تناول حقوق الإمام وواجباته ، كما أن

---

(1) الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ١٣٧ ، الوجيه ، أعلام المؤلفين الزيدية ، ص ١٦٦.

(2) منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٠٥) ، ونسخة أخرى في مكتبة مجدالدين المؤيدي ، وأخرى في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، انظر الوجيه ، المرجع السابق ، ص ٦٤٢ .

(3) منه نسخة مخطوطة الشرقية تحت رقم (٦٥٦) ، وأخرى في مكتبة محمد بن محمد الكبسي ، انظر المرجع السابق ، ص ٦٤٣ .

(4) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(5) منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٣٤٠) ، ونسخة أخرى في مكتبة محمد بن محمد الكبسي ، وأخرى في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، انظر المرجع السابق ، ص ٦٤٢ .

(6) المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

حفيده الإمام مجدالدين بن الحسن بن عز الدين بن الحسن (ت٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) قد شارك في علم الكلام ، فشرح جوهرة الرصاص في أصول الدين[١] .

وللإمام الهادي عزالدين بن الحسن في علم الكلام أيضاً كتاب (الرافعة للشك والالتباس لما أُلقي من التمويه على الناس)[٢] ، وله كذلك (رسالة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[٣] ، وكتاب (السلوك اللؤلؤية المشتمل على الدعوة الهادوية)[٤] ، كما صنف أيضاً كتاب (المعراج في شرح المنهاج لتقويم الاعوجاج)[٥] ، وكتاب (المنهاج لتقويم الاعوجاج) هو من تأليف العلامة يحيى بن الحسن القرشي الصعدي (ت٧٨٠هـ / ١٣٧٨م) ، وقد لاقى كتاب (المعراج) هذا قبولاً واسعاً ، فكان من الكتب التي اشتهرت وانتشرت ، واعتمده الكثير من طلبة العلم في مناطق الزيدية كواحد من أهم مناهج دراسة علم الكلام وأصول الدين لديهم[٦] ، وفي الجملة أن الهادي الإمام عزالدين كان متضلعاً في علم الكلام وأصول الدين بما جعل مؤرخي الزيدية يشيدون بدوره فيه ، من ذلك قول ابن المؤيد : " برع في كل فن خصوصاً التوحيد والعدل[٧] ، فإنه كان فيه أوحد زمانه ، مبرزاً فيه على أقرانه ،

---

(1) الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٠٥ .

(2) منه نسخة في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢١٢ مجاميع) ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق**، نفس الصفحة .

(3) منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع يشمل غير هذه الرسالة بمكتبة عبدالله الصعدي ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(4) منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٢٢) ، وأخرى في مكتبة محمد عبدالعظيم الهادي بصعدة ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٦٤٢ ، ٦٤٣ .

(5) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٤٧ علم الكلام) ، وأخرى بمكتبة مجدالدين المؤيدي بصعدة ، ونسخة ثالثة في مكتبة محمد بن محمد الكبسي بصنعاء ، ونسختين أخريتين بمكتبة محمد عبدالعظيم الهادي إحداهما خُطت بعناية المؤلف نفسه ، وأخرى نسخة مصورة تشمل الجزأين الأول والثاني في مكتبة عبدالرحمن شايم بهجرة فلة بصعدة ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٦٤٥ .

(6) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٧٢ .

(7) (العدل والتوحيد) هو إحدى التسميات التي يستخدمها الزيدية في مصادرهم إشارة إلى علم الكلام وأصول الدين .

فصنف فيه شرحاً على منهاج القرشي ، وأكب على قراءته عليه ونسخه وتحصيله أعيان الزمان ، وجاءه لسماعه جماعة من ونواحي جهران وخبان ونمار ، وحدث بهذا المصنف الركبان حتى بلغ الصفراء وينبع وتلك البلدان ... "[١] .

ونختم حديثنا عن علماء الكلام الزيدية بالإمـام إبـراهيم بن محمـد بن عبدالله بن الهادي الوزيـر (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م) المذكور آنفاً في فقهاء الزيدية ، وهو المشهور في مصادرهم بـ (السيد صارم الدين)، تعدى اهتمامه الفقه وأصوله ، فوضع في علم الكلام كتاب (محجة الإنصاف في الرد على ذوي البدع والاعتساف)[٢]، وكتاب (الجواب الفائق واللفظ الرائق)[٣] رد به على بعض العلماء ، ولم ترد الإشارة إلى محتواه ، ولعله في علم الكلام .

قد سبقت الإشارة إلى ارتباط الفقه الشافعي بالعقيدة الحنبلية منذ ظهـوره حتـى القرن السادس الهجري ، وقد تعصب لها رجال الشافعية ، وخاصموا من قال بغيرهـا حتى لو كان من أعمدة المذهب الشافعي[٤] ، واعتبروها العقيدة الصحيحة ووصـفوا غيرها بالسوء والضلال والمروق عن الدين[٥] ، ودخلوا – في إطار الدفاع عنها – في مناظرات ومساجلات متعددة مع بعض رجال الزيدية ، كالقاضي جعفر بن أحمـد بـن

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، نفس الجزء والصفحة .

(2) منه نسخة في مكتبة برلين تحت رقم (١٠٣٠٢) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧١ .

(3) منه ثلاث نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى تحت (١٣ مجاميع) ، والثانية تحت رقم (٦٧ علم الكلام) ، والثالثة تحت رقم (٨٩ مجاميع) ، انظر المرجع السابق ، ص ٧٠ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ١٣٩ .

(4) وقد أجاد الباحث أحمد عبدالله عارف ، **المدارس الكلامية في اليمن فيما بين القرن الثالث والسادس الهجري** ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ٤٥ – ٨٥ عرض ملامح العقيدة الحنبلية التي حملها شافعية اليمن ، ومجمل رؤاهم ومواقفهم من غيرهم من الفرق التي جاورتهم في اليمن .

(5) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٢٢ ، أحمد عبدالله عارف ، **المدارس الكلامية في اليمن** ، ص ٤ .

عبدالسلام (ت٥٧٤هـ / ١١٧٦م)[١] ومع بعض رجال الشافعية أنفسهم الذين قالوا بغير عقيدة الحنابلة ، حتى قامت الفتنة بينهم عندما احتدمت النقاشات حول العقيدة[٢] .

وابتداءً من النصف الثاني للقرن السادس الهجري بدأت تتسلل العقيدة الأشعرية إلى عقلية الحاملين للمذهب الفقهي الشافعي ، وبلغ انتشارها أن عمت كل السواحل ، وهي المساحة الأوسع في جغرافية اليمن الطبيعية ، في مرحلة تعد نقطة انعطاف تاريخية مهمة في مسيرة هذا المذهب ، وهناك من يعتبر أن كتاب (إحياء علوم الدين) للإمام الغزالي كان القناة الأولى التي انتقلت من خلالها عقيدة الأشعرية إلى اليمن[٣] ، غير أنه من المهم التأكيد على أن علماء الشافعية في اليمن الذين تلقوا العقيدة الحنبلية على أيدي قدماء الفقهاء قد واجهوا العقيدة الوافدة بقوة ، واتخذوا من حامليها المتحمسين لها موقف المقاطعة والإنكار بشدة بالغة ، بل إن بعض أئمة الشافعية في اليمن عصرئذٍ قد وصف الأشعرية وحامليها بالضلال والانحراف ؛ وهو ما أدى إلى ضعف انتشارها وعودة البعض عنها[٤] ، ولم تقم لها دعامة حتى جاء الأيوبيون في منتصف القرن السادس ليلقوا عليها الغطاء الرسمي الكافي لانتشارها فكانت النتيجة طغيانها على جميع أتباع المذهب الشافعي تقريباً ، واستقرت بينهم حتى يومنا هذا .

لم يحظ الكلام باهتمام الشافعية ورجالها في اليمن ، فقد كان من العلوم غير المرغوب فيها كما كان لدى أسلافهم في القرون الهجرية الأولى[٥] ، ولذلك فإن

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٧٨ ، الجندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣٤٦ – ٣٤٨ ، د. علي محمد زيد ، **تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري** ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(2) الجَندي ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٢٩٦ .

(3) يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ١١٣ .

(4) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٣٧ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٤٠٥ .

(5) طاش كبري زاده ، **مفتاح السعادة** ، ج ٢ ص ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، وقد نقل الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٢٦٩ أبياتاً للفقيه الشافعي عمر بن حِمْيَر التباعي السُّحُولي (ت في أخر القرن السادس الهجري) – وهو ممن حمل العقيدة الحنبلية – يعبر فيها عن نفوره من علم الكلام فيقول فيها :

أُحِبُّ فُرُوعَهُ وأَلِجُّ فيْها
وأكْرَهُ مَا يُصَنَّفُ فِي الأُصُولِ

مصنفاتهم فيه كانت نادرة جداً ، ولم تكثر الإشارات في كتب التراجم الشافعية إلى اشتغالهم بأصول الدين ، وبعد بحث وتنقيب دقيق في المصادر المتوافرة يتضح لنا أن معظم الجهود المبذولة من قبلهم في إطار الاهتمام بعلم الكلام كانت بدافع المعرفة بأصول الدين والإلمام الجزئي ببعض ما دار من الاختلافات فيها ، ولم يكن الجدل الكلامي والاستعداد للنقاش حول الأصول – على غرار ما جرى في قرون سابقة – دافعاً وراء تلك الجهود ، ويعزز هذا قولنا ندرة المصنفات الكلامية عندهم ، ومن كانت له عناية واهتمام بعلم الكلام فمن أعلامهم جاءت الإشارة إليه بكونه (له معرفة بأصول الدين) (وله مشاركة في الأصول) أو ما شابه ذلك من مرادفات هاتين العبارتين .

وفي بداية مدة دراستنا هذه نذكر أوائل المهتمين بعلم الكلام من الشافعية ، وفي مقدمتهم العلامة الإمام جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر بن محمد الحُبَيْشي (ت٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) الذي تمخض اهتمامه بعلم الكلام عن تصنيفه لكتاب جعل عنوانه (عمدة الطالب في الاعتقاد الواجب)[1] .

وكان الإمام العلامة الحافظ المحدث أحمد بن إبراهيم بن علي العسقلي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) المذكور بين الفقهاء والمفسرين والمهتمين بالتاريخ وأهل اللغة والنحو ، وله يد قوية في أصول الدين ، يتضح ذلك من القصيدة التي رد فيها على يهودي قدري من أهل الجبال ، أولها :

أَلا أيُّها الذِّمِّيُّ كُفَّ عَنِ التي
سَأَلْتَ بِها بَغْياً وَلَمْ تَتَثَبَّتِ

حَمَلْتَ إِلَيْنا فاسِدَ القَوْلِ مُوْهِماً
بِأَنَّكَ فِيْهِ لَسْتَ بالمُتَعَنِّتِ

لأنَّ مَقالَةً فِيْهِ مَقالٌ
لأَرْبابِ الشَّرِيْعَةِ والعُقُولِ

فَلَسْتُ بِخائِضٍ مَا عِشْتُ فِيْها
لأَسْلَمَ فِيْهِ مِنْ خَطَرِ الدُّخُولِ

أَدِيْنُ بِأَصْلِ أَحْمَدَ طُوْلَ عُمْرِي
ولَيْسَ إِلى السِّوَى قَلْبِي يَمِيْلُ

[1] ابن الديبع ، نشر المحاسن اليمانية ، ص ٢١٩ .

وقُلْتَ : إذَا مَا شَاءَ كُفْرِي بِزَعْمِكُمْ
وَلَمْ يَرْضَهُ منّي فَمَا وَجْهُ حِيْلَتِي

إذَا شَاءَ رَبِّي الكُفْرَ منّي وشِــئْتُهُ
فَهَلْ أنَا عَــاصٍ بِاتِّبَاعِ المَشِيْئَةِ

نَعَمْ أنْتَ عَاصٍ واحْتِجَاجُكَ بِالذي
زَعَمْتَ لَعَمْرِ اللهِ أدْحَضُ حُجَّةِ [١]

ومع أن ما ورد في المصدر من هذه القصيدة لا يبين كثيراً ملابسات نظمها ، غيــر أن فيها من الشواهد ما يدل على أن القصيدة الأصلية – التي أشك كثيــراً فــي كــون أن ناظمها يهودي – وهذه القصيدة قد تناولتا جانباً من أهم جوانب الخلاف بين أهل السنة والمعتزلة في العقيدة ، وتَصَدُّرُ الإمامُ العسقليُّ للرد فيه إشارة إلى إحساسه بالقدرة على ذلك ، وهو انعكاس لمعرفته بأصول الدين ومشاركته فيها .

وللعسقلي قصيدة أخرى في الرد على من يبيح السماع المعتاد لدى الــصوفية ، وهي طويلة قدر ثلاثمائة بيت وثلاثة وعشرون ، ذكر فيها دلائل الكتاب والسنة علــى تحريم اجتماع آلات اللهو والغناء والدف والشبابة ، واخــتلاط النــساء بالرجــال[٢] ، وأطال الرد على القاضي أحمد بن أبي بكر الرداد الصوفي الذي كان من القائلين بعقيدة ابن عربي المتصوف في وحدة الوجود ، وكان – أي الإمام العسقلي – لا يخاف في الله لومة لائم في إنكار ما ينكره الشرع ، إذ أنكر على صوفية زبيد أصحاب عقيدة الحلول ووحدة الوجود ، كابن الرداد وأتباعه ، وهم يومئذ أهل قبول تام عند السلطان الرسولي الناصر أحمد (ت٨٢٧هـــ / ١٤٢٣م) ، فما بالى به ، وربما هموا به بمكروه ، فمنعه الله[٣] .

ومن أهل السنة الذين وردت الإشارة إلى اهتمــامهم بأصــول الــدين الــشيخ عبدالكريم بن إبراهيم الجيلاني (ت حوالي ٨١٣هـــ / ١٤١٠م) ، ذُكِرَ عنــه أن لــه كتب تشبه كتابات ابن عربي صاحب مذهب وحدة الوجود ، وأشهر كتبه هو (الإنسان

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٤٧ ، ٤٨ .

(2) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٨ .

(3) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

الكامل)[1] ، ويُذكر أيضاً العلامة الإمام إسماعيل بن محمد بن عمر الحبَّاني الحضرمي (ت٨٣٤هـ / ١٤٣٠م) الذي أطنب المصدر في ترجمته وأنه كان قد بلغ النهاية في تحقيق عدد من العلوم ، وذكر منها أصول الدين[2] ، ومثله كذلك المقرئ الفقيه الزاهد وجيه الدين عبدالرحمن بن أحمد أحمد بن محمد بن سالم (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٦م) ، تلقى الكثير من العلوم على عدد من أبرز علماء اليمن في عصره ، وقد ذكر أن من بين أبرز العلوم التي شارك فيها الأصولين ، أي : أصول الدين وأصول الفقه[3].

وكان الإمام محمد بن علي بن عبدالله بن إبراهيم الخطيب الموزعي الشهير بابن نور الدين (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) مشهوراً بشدته في أصول الدين وعدم قبوله لما ينكره الشرع – بحسب اعتقاده – من الاجتهادات الفلسفية المحدثة ، ولأن موطنه كان قريباً من زبيد حيث نشط المتصوفة القائلين بعقيدة وحدة الوجود فقد انبرى لهم ، وألف كتاباً في الرد على عقيدتهم متمثلةً في كتب ابن عربي كـ(الفصوص) و (الفتوحات المكية) وأسماه (كشف الظلمة عن هذه الأمة) ، يقول الأهدل[4] – وهو تلميذ لابن نور الدين – : " وأما ابن نور الدين فكان قد حقق ذلك من قبل ، وصنف كتاباً لطيفاً في الرد على (الفصوص) ، وقال بأنه أحق بأن يسمى الغُصوص ... تكلم فيه على مقالاته الباطلة القبيحة ، كقوله بقدم العالم ، ونفي العلم بالجزئيات ، وإنكار حقيقة بعث الأجساد ، وحقيقة عذاب الكفار وخلودهم في النار ، ودعواه صحة إيمان فرعون لعنه الله ، وأنه قبض مؤمناً طاهراً من الآثام ، وقوله بوحدة الوجود ، ومعناه اتحاد الخالق بالمخلوق والحق المنزه هو الخلق المشبه ، وأن الحق سبحانه وتعالى يتصف بصفات المخلوق حقيقة ، والمخلوق يتصف بصفات الحق حقيقة ، وأن القدر إجبار للعباد ، وبنى على ذلك أن عابد الصنم ما عبد إلا الله ، وغير ذلك من القبائح ، وتحريف معاني القرآن العظيم بما لم يقله أحد من المفسرين ولا يجوز على الشريعة المطهرة ... وبين

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٣٩ .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٦٩٢ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(4) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٧٠ ، ٧١ ، ٣٦٠ .

الإمام ابن نور الدين أن جميع مقالاته في كتاب (الفصوص) لا تخرج عن مذهب الفلاسفة ، إلا بما زاده عليهم من قوله بالاتحاد ، فإنه مذهب النصارى ، لكنهم ادعوه في عيسى عليه السلام خاصة ، وهذا زاد عليهم فادعا اتحاد الحق – سبحانه تعالى – بكل إنسان وبكل شخص ، ومن ثم صوب عبادة الأصنام من جهة ملاحظة القدر المحض أيضاً ، تعالى الله عن قوله علواً كبيراً ، وسمى ابن نور الدين كتابه (كشف الظلمة عن هذه الأمة) "[1] .

ومن أشهر من خاض غمار علم الكلام من فقهاء الشافعية وعلمائها في القرن التاسع الهجري المقرئ العالم شمس الدين علي بن أبي بكر السحولي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) كانت له اليد الطولى في علوم كثيرة ، وكان شديد التعصب على أهل البدع ، وكان يرى أن الزيدية منهم ، وله في ذلك نظم بديع ، وله فيه " المقطعات العجيبة ، المحتوية على المعاني الغريبة التي لم تسمح بها قريحة أهل الوقت بمثالها ، ولا نسجت على منوالها ، وذلك كثير مما ينبغي أن يجمع في جزء منفرد لكثرته وعجيب فوائده "[2] ، وقد استغل هذه الموهبة في خدمة ما يعتقده من أصول الدين ، فلما وجهه الفقيه إبراهيم الأخفافي إلى علماء الزيدية سؤالاً بمسائل ، وردوا عليه بالكلام والنظم والسب له ، انتصر له المقرئ السحولي بنظمه (القصيدة البليغة في الرد على الزيدية) وهي رائية مكونة من ثلاثمائة بيت تقريباً ، وأقام الحجة – بحسب المصدر – بما أعجزهم عن الجواب ، حتى أن هناك من أسماها بـ (المسكتة) ، وسماها بعضهم (الشهب الثواقب الدامغة للفرقة القدرية الزائغة)[3] ، وقد اشتهرت في أيدي الناس وتدالوها الركبان في الأقطار والبلدان[4] .

ومنهم كذلك الإمام المؤرخ عبدالرحمن بن الحسين بن محمد بن أبي بكر الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) ، وهو من أشد الناس تحمساً للعقيدة

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٧٠ ، ٧١ .

(2) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١١٣ .

(3) منها نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة الملك سعود ضمن مجموع تحت رقم (١٨٧٣) ، وقد جعل الحبشي، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ١٣٦ (القصيدة البليغة) مختلفة عن (الشهب الثواقب)، وان منها نسخة في المكتبة نفسها وضمن المجموع نفسه .

(4) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١١٤ .

الأشعرية وتعصباً لها ، وكتابه (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) مليء بالوقفات الكلامية التي تدل على تضلُّع ومعرفة تامة ، فتجده حيناً يناقش رفاقه العلماء الشافعية القائلين بعقائد الحنابلة ويجادلهم ، حتى أولئك الذين قد طواهم الموت(١) ، وأورد نصوصاً صريحة تدل دلالة واضحة على استمرار حضور العقيدة الحنبلية لدى رجال الشافعية في مناطق الجبال اليمنية كما كانت منذ القرون الأولى لوصولها إليها(٢) ، وفي حين آخر يخاطب الصوفية الحلولية ، ويغمرزهم بعقائدهم ويتهكم بهم ، في إشارة تدل على اطلاعه على كل عقائدهم(٣) .

وأوضح جهود الإمام الحسين الأهدل التي تشير إلى مدى اهتمامه بعلم الكلام تصنيفه لكتاب يعد أهم أثر للأشعرية في اليمن طوال وجودها بها ، وهذا الكتاب يحمل عنوان (كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين) ، وفيه استعرض أهم معالم العقيدة الأشعرية ، مناقشاً مخالفيها ومدافعاً عن حياضها(٤) ، وذلك من خلال استعراض أهم نصوص أعلامها ، سواءً من علماء اليمن القائلين بها أو من غيرهم(٥) ، ثم أنه استهدف عقائد المتصوفة من أتباع ابن عربي وابن الفارض وغيرهما بالنقد الشديد اللهجة ، وضمن كتابه مواقف من الصراع الذي دار بين الفقهاء وبينهم في ربيد، ومعدداً أهم أعلامهم ورموزهم(٦) .

وللإمام الأهدل مصنفات أخرى في علم الكلام ، ورد منها كتاب (الرسائل المرضية في نصرة مذهب الأشعرية وبيان فساد مذهب الحشوية)(٧) ، وكتاب (الإشارة

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ١ ص ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٤٣ .

(2) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٢٢ .

(3) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ج ٢ ص ٧ ، ١٠ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٣٢٢ ، ٤١٤ .

(4) الأهدل ، كشف الغطاء ، ص ٤ – ١٣٦ ، ١٥٩ – ١٨٠ .

(5) المصدر السابق ، ص ١٧ ، ٢٢ ، ٣٦ ، ٨١ ، ٩٧ ، ٩٩ .

(6) المصدر السابق ، ص ١٨١– ٢١٤ وما بعدها .

(7) الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ١٣٦ .

الوجيزة إلى المعاني العزيزة) وهو في شرح أسماء الله الحسنى[١] ، وله كتاب عن (مسألة الرؤية والكلام عليها) ، و(شرح جواب مسألة القدر في الرد على الجبرية) ، وآخر عن (ليلة القدر)[٢] ، وله كذلك كتاب (اللمعة المقنعة في ذكر مذاهب المبتدعة)[٣] ، قيل : إنه مختصر لكتاب (مراهم العلل) للإمام عبدالله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) .

ومن علماء الشافعية المشاركين في علم الكلام أيضاً الفقيه عبدالله بن أحمد باكثير الحضرمي (ت٩٢٥هـ / ١٥١٩م) ، كان له نظم بديع استغله فنظم عدداً من الكتب المتداولة ، منها (الدرر اللوامع في نظم جمع الجوامع) ، وله في علم الكلام مشاركة أسفرت عن مصنفه المسمى (تتمة التمام وسفك المدام في عقائد الإسلام) ، وقد قرضه له جماعة ، ووصف بأنه كثير الفوائد[٤] .

ومن أفضل علماء السنة – الشافعية – مشاركة في علم الكلام في مدة الدراسة كان الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، وهو من العلماء ذوي الأقلام السيالة ، له مصنفات في كثير من الفنون ، وقد امتدحه المؤرخون الذين ترجموا له ، وقد خصص بعضها لأصول الدين ، ومنها في هذا الباب (عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر)[٥] ، وكتاب (العقد الثمين في إبطال القول بالتقبيح والتحسين) ، وكتاب (الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول) ، وكتاب (العقيدة الشافعية في شرح القصيدة اليافعية)[٦] ، وهي قصيدة

---

(1) الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ١٣٦ .

(2) يوجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب والكتابين السابقين في مكتبة شستربتني تحت رقم (٤٨٢٢) ، انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(3) منه نسخة مخطوطة في مكتبة آل سهل بحضرموت ، انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(4) العيدروس ، النور السافر ، ص ١١٧ .

(5) منه نسخة مخطوطة في مكتبة آل يحيى بمدينة تريم في حضرموت ، ومن نسخة أخرى في مكتبة جدة ، انظر مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ١٤٠ .

(6) منه نسخة مخطوطة في مكتبة جامع تريم في حضرموت ، انظر الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ١٤٠ .

ضمنها الإمام عبدالله بن أسعد اليـافعي(ت٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) مجمـل الخطـوط العريضة للعقيدة الأشعرية باعتبارها في نظـره عقـيدة أهل السنة والجماعـة ، ولـه كتاب (الحواشي المفيدة على أبيات اليافعي في العقيدة)[١] ، وذكر في كتابه (ترتيـب السلوك) أن له في أبيات الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي ثلاثـة شـروح (البـسيط) و(الوسيط) و (والوجيز)[٢] ، وله أيضاً رسالة في إثبات هارون عليه السلام – أخي موسى – وكفر فرعون[٣] .

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٦٩٧)، انظر المرجع الـسابق ، نفـس الصفحة.

(2) المصدر السابق ، ص ١٣٣ – ١٤٠ .

(3) الشـلّي ، السنا الباهر ، ٢١١.

(٤) علم الفرائض :

علم الفرائض – المعروف حالياً بعلم المواريث – هو ذلك العلم الذي يبحث عن كيفية تقسيم وتوزيع التركة بين الورثة على فروض مقدرة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ[١] ، وهو من العلوم المرتبطة بعلائق وثيقة بالفقه والحساب والمساحة والجبر والمقابلة، وبغيرها لا ينتصب لهذا العلم قائم ، إذ هي الأساس الذي يقوم عليه والدعامة التي يرتكز إليها .

اهتم اليمنيون بالتصنيف في علم الفرائض مبكراً نسبياً ، ولذلك نجد أن العلماء وطلبة العلم في اليمن قد اعتمدوا عليها دون غيرها من الكتب التي شاعت في أقطار العالم الإسلامي ، وهو دليل على أنهم وجدوا فيها ما يغني عن دراسة غيرها ، ويعود أول تصانيفهم في الفرائض إلى مطلع القرن الخامس الهجري عندما قام محمد بن سراقة العامري (ت٤١٠هـ / ١٠١٩م) بوضع كتابه الأول في الفرائض (كفاية المبتدي) فور عودته من دراسة هذا العلم في العراق التي رحل إليها للتحصيل ، فكان كتابه المذكور – بالإضافة إلى كتاب أبي بقية محمد بن أحمد الفرضي (ت٤٠٢هـ / ١٠١١م) – هما العمدة في بابهما ، ولقي (كفاية المبتدي) قبولاً واسعاً لدى الطلبة فاشتغلوا به كثيراً[٢] ، وتقبله الناس واكتفوا به مدة طويلة حتى حل مكانه كتاب (الكافي في الفرائض)[٣] للإمام العلامة أبي يعقوب إسحاق بن يوسف الصَرْدَفِي (ت٥٠٠هـ / ١١٠٦م) ، وهو الذي نال شهرة كبيرة لدى فقهاء اليمن وعلمائها ، وذاع صيته ، وتولى كثير من العلماء شرحه وتدريسه لطلابهم ، واستمرت العناية به قروناً ، وعكفوا على شرحه ونظمه لكي يسهل حفظه[٤] .

---

(1) الجرجاني ، **كتاب التعريفات** ، ص ٢١٣ .

(2) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ٨٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ .

(3) ومنه عدة نسخ مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٤٠٣ فرائض) ، ورقم (١٤٠٤) ، ورقم (١٤٠٥) ، وقد حققه علي الهمداني مؤخراً – عام ٢٠٠١م – ونال به درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٠٩ .

(4) الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن** ، ص ٨٢ ، الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢٤٥ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٣٨٥ .

كان علم الفرائض واحداً من العلوم التي درسها المدارس العليمة وجعلته أحدد مقرارتها ، وتشير وثائق المدارس الغرابية والمظفرية والمؤيدية والمجاهدية وجوهر في تعز ، والدعاسية والنظامية في زبيد إلى قيام الواقفين بتسمية هذا العلم لهيئات التدريس التي تم تعيينها فيها ، وبالفعل كان العلماء المدرسون يقومون بتدريسه في هذه المدارس وغيرها من الجوامع والهجر العلمية .

وفي مدة دراستنا هذه زاد اهتمام العلماء بعلم الفرائض ، وهو ما تعكسه تراجمهم ومصنفاتهم فيه ، إذ نجد في مقدمتهم في بداية القرن التاسع الهجري الفقيه العلامة علي بن أبي بكر الأزرق (ت٨٠٩هـ / ١٤٠٦م) الذي كتب شرحاً على (الكافي) للصردفي وأسماه (بغية الخائض في شرح الفرائض)[١]، ومثله الفقيه العلامة علي بن أحمد بن موسى الجلاد (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) الذي كان – كبقية أهل بيته – بارعاً في الحساب والجبر والمقابلة وعلم الفرائض ، وكتب أيضاً شرحاً على كتاب (الكافي)[٢] ، وكان الفقيه أبو بكر بن أبي المعالي بن عبدالله الناشري (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) موصوفاً بأنه : " وحيد وقته في الفرائض "[٣] ، كما صنف الفقيه محمد بن علي الموزعي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢١م) في علم الفرائض كتابه (كنوز الخبايا في قواعد الوصايا) إضافة إلى كتابه الآخر الذي شرح فيه كتاب (الكافي) للصردفي أيضاً[٤] ، ووُصِفَ معاصرُه الفقيهُ أحمدُ بنُ إبراهيم بن إسماعيل الحضرمي (ت٨٢٦هـ / ١٤٢٣م) بأنه كان أجود الفقهاء المتأخرين معرفةً بالفرائض[٥] .

ومن العلماء المشاركين في علم الفرائض الفقيه أحمد بن محمد الربيعي الشلفي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) ، درس الفرائض على أيدي بعض العلماء

---

(1) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٥ ص ٢٠٠ ، منه نسخة خطية بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٣٩ فرائض) ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣١٣ .

(2) الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(3) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١١ ص ٩٦ .

(4) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٦٠ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣١٣ .

(5) ابن أسير ، **الجوهر الفريد** ، ق ٧٤ – أ .

المجيدين له أمثال الإمام برهان الدين إبراهيم بن أبي بكر الأشـــعري فتمكن من هذا العلم حتى كتب فيه منظومة أســماها (كفاية الرائض في علم الفرائض) ثم شرحها في كتاب آخر وَسَمَه بـ (نهاية الخائض في شرح كفاية الرائض)[1] .

ومن علماء الفرائض اليمنيين في مدة الدراسة أيضاً الإمام الفرضي والنحوي العلامة أحمد بن محمد بن أبي بكر البريهي (ت٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) الذي برع في علوم عدة ، كان في مقدمتها الفرائض والنحو ، فكتب شرحاً مستحسناً على كتاب (الكافي) للصردفي ، وله في الفرائض أيضاً كتاب (البديع في النسبة والتقطيع) ، كما كان له استنباطات عجيبة في المسائل الدورية[2] ، يذكر أيضاً الفقيه أبو بكر بن عمر بن عثمان الناشري (ت بعد ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) الذي صنف شرحاً لكتاب (الكافي) للصردفي في أربع مجلدات[3] .

ومن العلماء الذين ارتبط اسمهم بعلم الفرائض في اليمن في مدة الدراسة الفقيه العلامة شمس الدين علي بن عمران الحُمَيْدي (ت٨٥٦هـ / ١٤٢٩م) ، الذي " اجتهد في طلب جميع العلوم حتى انكشف له ما كان عن غيره مكتوم ، وحقق المذهب والنصوص والقواعد والمراتب حتى صار إماماً محققاً وفاق أهل زمانه ، وأربى على أقرانه ، وفضل على بعض مشائخه ، واشتهر بحل المشكلات وإيضاح المبهمات ، وقُصِدَ للمعضلات مع حداثة سنه ، واشتهر بذلك شهرة سارت مسير الشمس ... واستنبط مسائل عجيبة ، وحرر قواعد صحيحة غريبة ، فمن نتائج فكره الشاهدة بعلو قدره ما جمعه وصنفه وسطره في كتابه الذي ألفه المسمى (الانتخاب في حساب الفقه وفقه الحساب) فإنه أتى فيه ما شفى وكفى "[4] ، وهو الكتاب الذي نظر فيه عالم الفرائض والجبر والمقابلة والحساب الشهير الإمام جمال الدين محمد بن أبي القاسم الضراسي فاستحسنه وأثنى عليه ثناءً بالغاً وشكره عليه ، وقد مدحه المؤرخ البريهي

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن**، ص ٢١٢ ، ٢١٣ ، الحبشي، **مصادر الفكر الإسلامي في الـــيمن** ، ص ٣١٤ .

(2) البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ١٠٠ ، ١٠١ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(3) ابن أسير ، **الجوهر الفريد** ، ق ٤٣ – ب ، ق ٤٤ – أ .

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

بقوله : " وهو جدير بأن تشــد إليه الرحـــال ويجعله المحصلون معتــمدهم في كل حال "[1].

وقد أسهم علماء الزيدية بحظٍ وافرٍ في دراسة علم الفرائض والتأليف في بابه ، ومن أشهر مؤلفاتهم فيه كتاب (درر الفرائض في الجلي منها والغامض) للأمير علي بن الحسين (ت القرن السابع الهجري / القرن الثالث عشر الميلادي) ، وقد اهتم به علماء الزيدية وطلاب العلم من أبنائها بهذا الكتاب واعتنوا به عناية خاصة ، وكتبوا الشروح التعليقات عليه ، منها الشرح الذي كتبه الفقيه أحمد بن موسى بن عمران العباسي (ت٨٠١هـ / ١٣٩٨م) وأسماه (أسرار الفِكَر في كشف معاني الدُرَر)[2] ، وكذلك التعليق الذي كتبه الإمام المفسر والفرضي يوسف بن أحمد بن عثمان الثلائي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) وعنونه بـ (التعليق الوهاج على درر الأمير من هو في العترة كالتاج)[3] ، ثم كتب شرحاً غير التعليق عُرِفَ بـ (الجواهر الغرر في كشف أســـرار الدرر)[4] .

وللزيدية كتاب آخر مشهور في الفرائض يأتي في المرتبة الثانية بعد (درر الفرائض) للأمير المذكور ، وهو كتاب (الفائض في علم الفرائض)[5] وهو كتاب ضخم واسع التفصيل في بابه ، جاء في عشــرة مجلــدات ، لذلك فقد اختصـــره مؤلفــه الفضل بن أبي الســعد بن عــزوي العُصَيْفِري (ت القرن السابع الهجري /

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣٧ .

(2) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣١٣ .

(3) منه نسخة خطية بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٤٣ فقه) ، وأخرى برقم (١٢٨ مجــاميع) ، **المرجع السابق** ، ص ٣١٤ .

(4) منه نسخة خطية بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٤١٦) ، وأخرى في المتحــف البريطــاني برقم (١٤٢٨) ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(5) منه نسخة خطية بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت أرقام (١٩٧ - ٢٢٢) ، ومنه مجلد تحت رقم (١٣ فقه) ، **المرجع السابق** ، ص ٣١٠ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧٥٣ .

القرن الثالث عشر الميلادي) في كتاب آخـــر أســـماه (مفتاح الفائض في علم الفرائض)[1] .

وقد نشط بعض علماء الزيدية في مدة دراستنا لشرح كتابي العصيفري ، إذ قام الفقيه محمد بن الحسن بن حميد المقرائي (ت ٩٠٨هـــ / ١٥٠٢م) بشرح الكتاب الأول (الفائض في علم الفرائض)[2] ، كما قام الفقيه العلامة أحمد بن محمد بن داود الخالدي (ت٨٨٠هـــ / ١٤٧٥م) بشرح المختصر السابق وأسماه (إيضاح الغامض لمعاني مفتاح الفائض)[3] ، وبعده قام الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن محمد الناظري (ت قريباً من ٩٢٠هـــ / ١٥١٤م) بشـــرحه أيضا ، وعُرِفَ شرحه بـــ (جوهرة الفرائض لمعاني مفتاح الفائض)[4] .

وفي القرن التاسع الهجري قام الإمام العلامة محمد بن سعيد بن علي كـــبِّن (٨٤٢هـــ / ١٤٣٩م) بكتابة مصنفه (رَقْمُ الجمال في شرح نظم اللآل) في الفرائض[5] ، كما قام محمد بن أبي القاسم بن ناصر النَّجْري (ت بعد ٨٥٢هـــ / ١٤٤٨م) بتصنيف كتاب في الفرائض اشتهر بـــ (المختصر الفائق المقنع الجامع

---

(1) منه نســخة خطية بمكتبة الجامع الكبــير الغربية تحت رقــم (٧ فــرائض) ، أخـــرى فـــي مكتبـــة الأمبروزيانا تحت رقم (٨٤) ، وأخرى في مكتبة الحبشي ، وقد طبع مؤخراً ، الحبشي ، **مصادر الفكـــر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣١٠ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧٥٣ .

(2) الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٣١٤ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ٨٨٢ .

(3) قال الوجيه : " كتاب شهير متوفر في المكتبات الخاصة والعامة ، منه عشر نسخ خطية بمكتبـــة الجـــامع الكبير الشرقية ، ، وأربع مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، وأربع في المتحف البريطاني ، ونسخة خطية بمكتبة يحيى محمد عباس ، وأخرى بمكتبة محمد بن محمد الكبسي وأخرى بمكتبة جامع المـــدان" ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٦ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(4) نســـخه متوفرة في المكتبات الخطية العامة والخاصة اليمنية ، وقد طبع للمـــرة الأولـــى بدمـــشق عـــام ١٣٣٤هــــ في ٢٥٨ صفحة ، ثم تكررت طبعاته ، الحبشي ، **المرجع الـــسابق** ، ص ٣١٥ ، الوجيـــه ، **المرجع السابق** ، ص٨٥١ .

(5) منه نســـخه مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٣٣٣ مجاميع) ، الحبـــشي ، **المرجـــع السابق** ، ص ٣١٤ .

للخلاف الرائق)[١] ، وأوردت بعض المصادر أن للإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق (٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) منظومة في الفرائض[٢] .

---

[1] منه نسخة بمكتبة الجامع الكبير الغربية ضمن مجموع ، تحت رقم (١٢٨) في الصفحات ١٨٥ – ٢١٦، ومنه ثلاث نسخ بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ، تحت أرقام (١٤٠١ – ١٣٩٢ – ١٣٩٩) ، ومنه نسخة بالمتحف البريطاني برقم (٣٨٧٧) ، ونسخة في مكتبة الأمبروزيانا برقم 98 h ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣١٤ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٩٨٥ .

[2] منها نسخه مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٨٨ مجاميع) ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

الفصل السابع

اهتمام علماء اليمن باللغة العربية وعلومها

وآدابها ومصنفاتهم فيها

من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

تمهيد :

لا خلاف في أن اللغة العربية قد شرفت بنزول القرآن الكريم بها ؛ لأنه قد ضمن لها الخلود في الأرض والسير في ركاب الإسلام والمسلمون أينما حلوا وفي أي زمان كانوا ، وانتشرت – في ظل الفتوحات الإسلامية – حتى أصبحت على لسان أبناء سمرقند في أقصى الشرق بأواسط آسيا كما كان يتحدث بها ويدرسها أبناء البربر والأندلسيون المسلمون في أقصى الغرب ، أصبحت دراسة اللغة العربية والعناية بها عند المسلمين دين ، لأنها وعاء الشريعة ولغة القرآن ، ولا تستقيم دراسة العلوم الشرعية كلها بلا استثناء إلا بها ، ولم تكن دراسة اللغة العربية محصورة في علم واحد يلم أطرافها ، بل انقسمت إلى فروع تختص بجوانب متعددة منها ، فكان منها علم اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة معانٍ وبديع ، والأدب نثراً كان أو شعراً وما ارتبط بهما من العروض والقوافي والكتابات المراسلات المتعددة .

وكان اليمنيون يولون اللغة العربية اهتماماً كبيراً ، فحققوا في علومها قدراً كافياً يؤهلهم للانطلاق في دراسة شتى العلوم الشرعية والعقلية الأخرى ، وتعمق بعضهم في دراستها حتى برز فيها ، وصنفوا في كثير من علومها ، وتوارثت أجيالهم هذا الاهتمام ، فنجدهم في مدة دراستنا وهم منكبون عليها وعلى كتب الأولين فيها دراسةً وتدريساً تعليقاً وشرحاً ونظماً ، وتشير وثائق المدارس العلمية والجوامع إلى أنها كانت واحدة من المقررات الأساسية التي لم يغفلها الواقفون والمؤسسون لها[١] ، وسنرصد في العناوين القادمة شيئاً من صور اهتمامهم بها .

---

(١) الوقفية الغسانية ، وثيقة المدرسة الأشرفية ، ص ١٤ ، وثيقة المدرسة الظاهرية ، ص ٣٩ ، ٤٠ ، وثيقة جامع ثعبات ، ص ٩١ ، وثيقة مدرسة جوهر ، ص ٦٣ ، وثيقة المدرسة الأفضلية ، ص ١٠٣ .

(١) علم اللغة :

حظي هذا العلم بالكثير من الاهتمام والرعاية من كل العلماء في كل أقطار العالم الإســلامي ، وكان لبعض العلماء اليمنيين عناية فائقة به منذ القرن الهجري الرابع بالتوازي مع أقرانهم خارج اليمن ، وكان لهم فضل تأسيس هذا العلم ووضع أسسه في الوسط العلمي اليمني ، ومما لا شك فيه أن الرحلات العلمية إلى خارج اليمن كان لها دور كبير قي ازدهار هذا العلم وغيره ، ومن اللافت للنظر وجود نسبة كبيرة من التداخل والارتباط بين علم اللغة وعلم النحو ، حتى أنك تجد أن في وصف بعض الكتب ما يجعله يندرج في فئتي العلمين كليهما ، ولا نغفل عن الإشارة إلى أن الاهتمام بعلم اللغة انحصر في البداية في دراسة المصنفات الــواردة من خارج اليمن ، وذلك قبل أن ينبري بعضهم ليدلي بدلوه في التصنيف اللغوي .

وتدلنا بعض مصادر تاريخ اليمن على أن عدداً من الكتب والمصادر اللغوية – غير اليمنية – كان قد ساد الاعتماد عليها في تلقي علم اللغة قبل أن يلج اليمنيون باب التأليف فيه ، وهي من مصنفات علماء مصر والعراق وبلاد الشام ، ومن أهم هذه المؤلفات (مختصر العين) لأبي الحسن علي بن إبراهيم الخوافي المصري (ت٤٣٠هــ / ١٠٣٨م) وكتاب (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (٢٢٤هــ / ٨٣٨م) ، وكثيراً ما ورد ذكرها مع رديفاتها من الأمهات في مصادر النحو أمثال كتاب (الجمل الكبرى) في النحو لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٣٩هــ / ٩٥٠م) ، وكتاب (الكافي) في النحو لأبي جعفر أحمد بن محمد بن الصفار (ت٣٣٨هــ / ٩٤٩م) وكتاب (مقدمة ابن بابشاذ) لأبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري (ت٤٦٩هــ / ١٠٧٦م)[١] .

وشهدت اليمن في القرون الهجرية مما تلى القرن الرابع بروز عدد من المصنفين اللغويين الذين تعلموا بتلك الكتب وغيرها ، وصاروا يُعرفون بهذا العلم ، وبعضهم لم يقتصر عليه ، وأسهموا في إثرائه بمصنفاتهم ، وبلغت بعض تلك المؤلفات من القبول ما جعلها تحل محل الأمهات السابقة في معظم حلق العلم ومجالسه في

---

[١] ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، الجَندي ، **الســلوك** ، ج ١ ، ص ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣١٨ ، ٣٣٩ .

واللغة ، وتتلمذ على يديه بعض السلاطين الرسوليين ، وعين مدرساً في المدرسة الصلاحية بزبيد ، وكان قبلة للطلاب نحوه يعقدون الرحلات من أنحاء اليمن للجلوس بين يديه ، وقد صنف في علم اللغة كتاب (الإعلام بمواضع اللام في الكلام)[١] .

ومنهم أيضاً الفقيه العلامة الإمام جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحُبَيْشي (ت٨٠٢هـ /١٣٩٩م) ، الذي ذو معرفة قوية في عدد من العلوم ، وقد سبق الإشارة إليه بين المبرزين فيها ، كالقراءات السبع والتفسير والحديث والفقه والأدب والطب ، وقد عُرف كذلك بإجادته لعلم اللغة[٢] ، ومما لا شك فيه أنه اشتغل بتدريسه كما اشتغل بتدريس العلوم التي أجادها ، غير أنه لم يترك مصنفات فيها .

ومثله كان أخوه العلامة صفي الدين أحمد بن عبدالرحمن بن عمر الحُبَيْشي (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ، متقناً لعلوم عديدة ، مبرزاً فيها ، وصنف في الرقائق والرياضيات والأدب ، وترك أشعراً كثيرة ، وكان علم اللغة أحد العلوم التي أتقنها ، فجاء وصفه في مصدر ترجمته بأنه " كانت له فطنة وقادة وطبيعة منقادة ، حلو الكلام، محبباً إلى الناس ، مقرئاً محدثاً فقيهاً نحوياً لغوياً .... حافظاً لافظاً ، محققاً شاعراً فصيحاً ، جامعاً لفنون العلم ... "[٣] .

ومثلهما كان مفتي وادي مور الإمام العلامة الحافظ المحدث أحمد بن إبراهيم بن علي العسقلي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) ، ورد في ترجمته أنه كان مجوداً للفقه نحوياً لغوياً مفسراً محدثاً مؤرخاً[٤] ، وعنه أخذ ابن أخته الفقيه جمال الدين محمد بن حسن بن الشمس (ت٨١٣هـ / ١٤١٠م) ، فغدا مجوداً في الفقه ومشاركاً في علوم أخرى منها علم اللغة[٥] .

ومن أهل هجرة شظب المستقرين لها كان العلامة صلاح بن إبراهيم بن علي الوزير (ت٨١٠هـ /١٤٠٧م) ، وهو الموصوف بالمهارة في فنون البلاغة

---

(1) الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٣٨٢ .

(2) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٨ .

(3) المصدر السابق ، ص ٣٠ .

(4) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٤٧ ، ٤٨ .

(5) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٩ .

والأدب واللغة ، وذلك لتتلمذه فيها على يدي أخيه الأديب الإمـــام الهادي بن إبـــراهيم الوزير (ت٨٢٢هـــ / ١٤٣٦م)[١] .

ومن علماء اللغة العربية في مدينة زبيد الفقيه العلامة علي بن أحمد بن موسى الجلاد الحنفي (ت٨١٢هـــ / ١٤٠٩م) ، كان عارفاً بعدد من علوم الشريعة كالفقه والقراءات والحديث والفرائض ومتعلقاتها من العلوم الرياضية ، وأشار بعض المؤرخين إلى علم اللغة بوصفه واحداً من العلوم التي أشير إليه بالبراعة فيها[٢] .

ومنهم كذلك الإمام الموسوعي الشهير مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفـــيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـــ / ١٤١٤م) صاحب أكبر عدد من المصنفات اللغوية ، وأحد أكبر شيوخ العربية في تاريخها ، وبسبب الشهرة التي نالها معجمه (القاموس المحيط) فإن أول ما يتبادر إلى ذهن القارئ لاسمه أنه أحد علماء اللغة الكبار فحسب ، مع أن تفوقه في علوم اللغة قد جاء موازٍ لإجادته وتفوقه في علوم عديدة كالتفسير والحديث والتاريخ والرقائق وغيرها ، وقد صنف الإمام الفيروزابادي عدداً كبيراً من الكتب القيمة في علم اللغة ، اشتهر منها أربعة عشر كتاباً وردت في عدد من مصادر ترجمته وكتب الببليوجرافيا ، وأهم هذه الكتب هو المعجم المذكور آنفاً، وعنوانه كاملاً هو (القاموس المحيط بما ذهب من لغة العرب شماطيط) في مجلدين ، زعم أنه جمعه مختصراً من ألف كتاب ، وهو أحد أشهر معاجم اللغة العربية على الإطـــلاق ، ثم شرع في تأليف كتاب في اللغة أيضاً ســـماه (اللامع المعلم العجاب ، الجامع بين المحكم والعباب ، وزيادات ترغب الوطاب) ، وخمن تمامه في ســـتين مجلداً غير أنه لم يتمه ، وله في علم اللغة أيضاً كتاب (الـــروض المسلوف فيما له اســـمان إلى ألوف) ، وكذلك كتاب (تحبير الموشين في التعبير بالسين والشين) ، وكتاب (شرح قصيدة بانت سعاد) في مجلدين ، وكتاب (أنواء الغيث في أســـماء الليث) ، وكتاب (الجليـــس الأنيس في أسماء الخندريس) ، وكتاب (أسماء السراح في أسماء النكاح) ، وله أيضاً في علم اللغة كتاب (المثلث الصغير) الموسوم – أحياناً – بـــ (الدرر المبثثة) ، وله كتاب (المثلث الوسيط) الموسوم بـــ (الغـــرر المثلثة) ، و كتاب (المثلث الكبـــير) ، وكتاب (الإشـــارات إلى ما في كتب الفقه من

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٥٠٨ .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٧٩ .

الأسـماء والأماكن واللغات) ، وكتاب (تحفة القماعيل فيمن يسمى من الملائكة إسماعيل) ، وكتاب (أسماء الغادة في أسماء العادة) ، وتصانيفه في اللغة تثبت تبحره وغلبتها عليه[1] .

وكان الفقيه محمد بن أحمد بن زكري (ت٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) من أبرع العلماء في أبيات حسين بتهامة في علوم العربية لغةً ونحواً وتصريفاً وعروضاً ، وهو أحد شيوخ الإمام المؤرخ الأهدل[2] .

وفي تهامة أيضاً عُرِفَ الإمام محمد بن علي بن عبدالله بن إبراهيم الخطيب الموزعي الشهير بابن نور الدين (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) براعته في العربية ومعرفه لها ، وله فيها مصنف يحمل عنوان (مصابـيح المغانـي في معانـي حـروف المعانـي)[3] .

وفي ترجمة البريهي للإمام عفيف الدين عبدالله بن عمر بن عبدالله بن المسن (ت٨٢٨هـ / ١٤٢٥م) اقتبس ما وصفه به أحد تلامذته النجباء ، فكان مما نقله قـوله:" كان مشهوراً بالفضل والصلاح متضلعاً في فنون العلم ، متحرياً فيها ، سيما علم العربية ، فإن له فيه اليد الطولى والغاية القصوى ، وله قريحة مطاوعة ، وفطنة لامعة ، وفصاحة رائعة ، وقدم في العلوم بارعة ... قرأت عليه طرفاً من علم العربية وغير ذلك ... "[4] .

ومنهم أيضاً المقرئ الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن سالم (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٦م) المشهور بكثرة المشائخ الذين تلقى عنهم ، وقد مر ذكره معنا في الفصل السابق في بعض العلوم التي شارك فيها كالقراءات السبع والحديث والتفسير

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨، البريهـي ، **طبقـات صـلحاء اليمن** ، ص ٢٩٥ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١٠ ص ٨١ ، حاجي خليفة ، **كشف الظنـون عـن أسامي الكتب والفنون** ، ج ٢ ص ١٣٠٦ – ١٣١٠ ، الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين** ، ج ٢ ص ٣٩٤ – ٣٩٦ ، الفيروزابادي ، **القاموس المحيط** ، ص ١٣ – ١٥ من مقدمة المحقـق ، الحبـشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(2) الأهدل ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٤٩ .

(3) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٣٦٠ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٧١، ٢٧٢.

(4) البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ١٦٩ .

والفقه ، وكان علم اللغة أيضاً من العلوم التي عرف بتميزه فيها ، واحتوت ترجمته الإشارة إلى دراسته وتدريسه له ، وكذلك إجازة غيره فيها[1] .

ومنهم كذلك المقرئ العالم شمس الدين علي بن أبي بكر السحولي (ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) صاحب اليد الطولى في علوم النحو واللغة والعروض والقوافي وأمثال العرب وشواهدها ، كما شارك في بعض العوم العقلية كالمنطق والحكمة[2] .

ومنهم أيضاً أحد أئمة الحنفية بزبيد ، وهو الأديب الشاعر الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الشويهر (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، فقد كان إماماً في اللغة العربية ونحوها ، فتلقاهما عنه أناس كثير من الطلبة[3] .

ومن الفقهاء المشهورين بالمشاركة في علم اللغة – ضمن العديد من العلوم التي عرفها – في مدينة ذي جِبلّة الفقيه العلامة عفيف الدين عطية بن عبدالرزاق بن علي النجدي (ت٨٨٨هـ / ١٤٨٣م) الذي كان أبرز فقهاء مدينته في عصره ، وكان شيخه في اللغة وعلومها المختلفة الأمير إسماعيل بن محمد بن حسن الغساني[4] ، وأجازه فيه وأثنا عليه ، وقد علت منزلته حتى تصدر للتدريس والفتوى والخطابة والإمامة في الجامع الكبير بذي جبلة ، وانتشر ذكره وقصده الطلبة للعلم ، فمنحهم كل ما يمكن لشيخ أن يمنحه ، وداوم على ذلك يدرس ويفتي مدة طويلة حتى وفاته ، ولهذا اكتساب الناس ومحبتهم ، حتى أنه لما توفي رثاه بعض رجال الدولة كالوزير العالم تقي الدين عمر بن أبي القاسم بن معيبد (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) في قصيدة جاء في مطلعها :

مَا هَـذِهِ الدُّنيا بِـدَارِ قَـرَارِ
سُحقاً لها ، بُعْداً لها مِنْ دَارِ
أوَ مَا رَأيْتَ يدَ المَنُونِ وبَطشَها

---

[1] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

[2] **المصدر السابق** ، ص ١١٢ .

[3] بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٢٥ .

[4] لم أجد ترجمة لهذا الأمير ، ووالظاهر من لقبه أنه من الأمراء الرسوليين ، وقد ورد ذكره فقط في ثنايا ترجمة العلامة عطية النجدي فقط ، انظر البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٢٥ .

تُفْنِي القُــرُونَ بِسَيْفِها البَتَّارِ

مِثْلَ الإمَامِ ابنِ الكِرَامِ عَطِيَّة
السَيِّدِ المَشْهُورِ بِالأَقْطَـــارِ[١]

وقد ترجم الإمام المؤرخ الطيب بن عبدالله بامخرمة[٢] لأخيه الفقيه عبدالله بن عبدالله بن أحمد بامخرمة الشهير بالعمودي (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٨م) فوصفه بأنه على معرفة جيدة باللغة والنحو .

ونجد فيما تركه الإمام الأديب حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي الناشري (ت٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) من المصنفات ما يدل على اشتغاله بعلم اللغة ومعرفته له ، فقد نظم قصيدة – ألفيّة – في غريب القرآن الكريم[٣] .

وممن اشتغل بعلم اللغة من علماء اليمن أيضاً الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، ويدل على معرفته بها واشتغاله بدراستها وتدريسها والتأليف فيها كتابان ، الأول عنوانه (فتح الرؤوف في معاني الحروف) – وهو منظومة في الحروف وشرحها ، والثاني سماه (البهجة في تقويم اللهجة)[٤] .

ومنهم الإمـــام العـــلامة فخر الـــدين عبدالله بن القاســـم بن الهادي بن إبـــراهيم العلـــوي (ت٩٦٠هـ / ١٥٥٢م) الذي كان من أكثر علماء الزيدية في عصره معرفة باللغة وعلومها ، حتى ان أحد تلامذته قال في وصفه : " وأما علمه فلم أرَ أعلم منه ... وأما اللغة والحديث والفقه واستحضار مسائلة فهو – وإمامنا – أوحد من رأيت من أصحابنا الزيدية ... "[٥] .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٢٥ .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٥ .

(3) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٢١ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ١٣٦ ، الشلي ، **السنا الباهر** ، ص ٢١١ ، ٢١٢ .

(5) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٢٨ .

(٢) النحو والصرف :

كان للصعوبة التضاريسية لموقع اليمن الجغرافي دورها في التقليل من الاحتكاك بالكثير من عوام مجتمعات الأقطار العربية والإسلامية الأخرى ، وهو – من جانبه – أسهم بدور مهم في سلامة لغتهم إلى حد كبير وحمايتها من التأثيرات السلبية التي طرأت على ألسنة إخوانهم في تلك الأقطار ، فقد كان اللحن في لغتهم قليلاً قياساً مع غيرهم ، وكان الأمر يختلف نسبياً من منطقة إلى أخرى داخل اليمن نفسها ، وقد بلغ مدى سلامة اللغة ونقاؤها في بعض المناطق أن انعدمت في ألسنة أهلها شوائب اللحن تماماً ؛ حتى وُجِدَ من المؤرخين من يصف ذلك في أواخر القرن السادس الهجري ، وهو المؤرخ الأديب عُمارة بن الحسن بن علي بن زيدان الحكمي الشهير بعُمارة اليمني (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م) الذي نشأ في إحدى قرى سهل تهامة التي لم يكن أهلها قد اختلطوا بالغرباء ، سواء من أهل الحضر اليمنيين أو من غيرهم – لا بسُكْنى ولا بزواج – وخرج منها سنة (٥٣١هـ / ١١٣٦م) وهو يومئذٍ شاب إلى زَبِيْد ليتلقى العلم على أكبر فقهائها ، يقول عمارة[١] : " فكان الفقهاء في جميع المدارس يتعجبون من كوني لا ألحن بشئ من الكلام ، فأقسم الفقيه نصر الله بن سالم الحضرمي بالله العزيز لقد قرأ هذا الصبي في النحو قراءة كثيرة ، فلما طالت المدة والخلطة بيني وبينه صرت إذا لقيته يقول : مرحباً بمن حنثت في يميني لأجله ، ولما زارني والدي وستة من إخواني إلى زبيد أحضرت الفقهاء فتحدثوا معهم فلا والله ما لحن أحدهم لحنةً واحدة أثبتوها عليه " في تفاصيل أخرى رواها المؤرخ نفسه في تاريخه ، ولهذا لا نستغرب إن سمعنا الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول عندما سُئِلَ : من أين أخذت علمك هذا ؟ : " من بوادي الحجاز ونجد وتهامة "[٢] ، وكذلك نجد الرحالة ابن جبير (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م) في القرن السابع الهجري يصف أبناء بعض القبائل اليمنية

---

(1) عمارة ، **المفيد في أخبار صنعاء وزبيد** ، ص ٢٢ ، ٣٢٨ ، ذو النون المصري ، **عمارة اليمني** ، مكتبة النهضة المصرية ، (د ، ت) ، ص ٢٧ ، ٢٨ .

(2) الداودي ، **طبقات المفسرين** ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط ٤ ، ١٩٧٢م ، ج ١ ص ٤٠٠ .

الذين قابلهم في مكة بقوله : " وأما فصاحتهم فبديعة جداً ، ودعاؤهم كثير التخشيع للنفوس ... "[1] .

لا يعني ذلك أن اللغة قد ضعفت منذ القرن السابع الهجري ، فربما استمر وضع اللغة بالصورة التي وصفها عمارة وابن جبير – أو قريباً منها – قرون عديدة بعد ذلك، كما لا يعني ذلك – أيضاً – أن هذا الوصف كان منطبقاً على عموم اليمنيين بلا استثناء، وأنهم كلهم كانوا نماذج في استقامة اللفظ العربي وبعده عن التهجين ، فقد كان هناك من تحدث بلهجات قديمة لم يتغلب عليها اعتناق أهلها للإسلام أمثال قبيلة مهرة التي تقع مساكنها على خطوط التماس مع الحدود العمانية اليمنية ؛ وعلى العموم فقد كان الإقبال شائعاً بين اليمنيين كلهم – علماء وطلاب – لتعلم النحو[2] .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن علماء اليمن كثيراً ما قرنوا – أثناء التدريس والتصنيف – بين علمي اللغة والنحو ، وكان الصرف من ملازمات النحو – أيضاً – في الغالب حتى يومنا هذا ، فكثيراً ما يذكر العلمان في قالب واحد ، ويضمهما تآليف ومصنفات موحدة ، وكان غالب اعتماد اليمنيين في البداية على مؤلفات علماء العربية والنحو في العالم الإسلامي ، واعتمدت مناهج ومقررات التدريس التي اعتمدها أقرانهم في الأقطار الأخرى ، وكان أشهر الكتب النحوية والصرفية التي بدأ الاعتماد عليها هي وكتاب (الجمل الكبرى) لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) ، وكتاب (الكافي) لأبي جعفر أحمد بن محمد بن الصفار (ت٣٣٨هـ / ٩٤٩م) ، وكتاب (اللمع) لأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ / ١٠٠١م) ، وكتاب (مقدمة ابن بابشاذ) لأبي الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري (ت٤٦٩هـ / ١٠٧٦م) ، وكتاب (ملحة الإعراب ونخبة الآداب) لجمال الدين القاسم بن علي بن محمد الحريري (ت٥١٦هـ / ١١٢٢م) ، وكتاب (المفصل في صناعة الإعراب) لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ / ١١٤٣م) ، وكتاب (الكافية) لجمال الدين أبي عمرو عثمان بن عمر

---

(1) رحلة ابن جبير ، ص ١٥٤ .

(2) د.عبدالرحمن الشجاع ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع ، ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، عبدالرحمن أحمد المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، ص ٣٢٨.

ابن أبي بكر بن الحاجب الكردي (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) وهي مشهورة جداً باليمن ، واهتمامهم بها منعكس في كثرة المؤلفات التي وضعت في شرحها ، وشاع اسمها باليمن على أنها (كافية ابن الحاجب) أو (الحاجبية) .

وقد اشترك في تعزيز اندفاع اليمنيين باتجاه تعلم النحو والصرف عدد من الأسباب ، أهمها حرصهم على تقويم ألسنتهم وتعزيز رغبتهم في الحفاظ عليها بعيدة عن اللحن باعتبارها لغة القرآن ولغة الآباء والأجداد ، ولكون إتقان النحو والتصريف يمثلان الأساس اللازم قبل – وبالتزامن مع – الخوض في دراسة وتدريس العلوم الشرعية من قراءات وتفسير وفقه وأصول دين وغيرها .

وأوائل من ذكره المؤرخون من العلماء اليمنيين إسهاماً بالتصنيف في علم النحو هم بعض رجال أسرة علمية يمنية عرفت بآل أبي عباد ، وأبرزهم الحسن بن إسحاق ابن أبي عباد وابن أخيه إبراهيم بن إسحاق بن أبي عباد (توفي الإثنان في مطلع القرن السادس الهجري) ، فقد " كانا إمامي النحو في بلاد اليمن في عصرهما ، وإليهما كان أهل اليمن يرتحلون من الأنحاء " ، ألف الحسن مختصراً في النحو عرف بـ (مختصر الحسن بن أبي عباد) [١] ، وكان من التميز بمكان جعل الفقهاء والمعلمون يتخذونه مقرراً رئيسياً للنحو في جميع أنحاء اليمن ، يقول الجَندي : " لا يستفتحون الاشتغال بصناعة النحو إلا به ؛ وذلك لبركته وسهولة ألفاظه وتقارب عبارته "[٢] ، وأما إبراهيم فقد صنف مختصراً آخر في النحو عرف باسمه (مختصر إبراهيم ابن أبي عباد) كما اختصر (كتاب سيبويه) وسمى مختصره بـ (تلقين المعلم)[٣] .

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الإمبروزيانا A٧٨ ورقم ٢ ورقم ٤ ، ونسخة أخرى بمكتبة الفاتيكان برقم (١١٧٣ – ١) ، ونسخة أخرى بمكتبة الأحقاف بحضرموت برقم (٢٩٠١ مجاميع) ، ونسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٩٨٢) ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٧٤ .

(2) الجَندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢٤٨ ، الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن** ، ص ١٠١ .

(3) الجَندي ، **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١١٤ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ٢١ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٧٤ .

وقد عَدَّدَ المؤرخون اليمنيون وغير اليمنيين الكثير من العلماء اليمنيين الذين كانت لهم بالنحو والصرف عناية خاصة طوال القرون ما قبل مدة دراستنا في القرن التاسع والعاشر الهجريين ، سواء كانت عنايتهم به تدريساً أو تأليفاً ، وسردت كتب الببليوجرافيا اليمنية وغير اليمنية قائمة بالمصنفات التي كتبوها في النحو والصرف ، تجاوزت في بعضها الخمسين مصنفاً[1] ، وهو إن دل على شيئ فإنما يدل على أن النحو كان لديهم في المكان المعلى[2] .

وقد شهد النحو والصرف في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ازدهاراً واسعاً ، وزادت وتيرة العناية به والاهتمام بدراسته وتدريسه ، وتعكس ذلك الإشارات الكثيرة جداً التي وردت في كتب التراجم والتواريخ اليمنية – كما سيأتي بيانه – والتي لا تكاد تذكر عالماً إلا وتشير في وصفه بأنه كان نحوياً ، سواءً صنف أو لم يصنف ، ويدعم ذلك أيضاً العدد الكبير من كتب النحو التي ألفها اليمنيون في تلك المدة ، مع ملاحظة أن الغالبية منها كانت – كما هو الوضع في كثير من فروع العلوم المعروفة عصرئذ – تعليقات وشروح واختصارات ، وبعضها كان نظماً لبعض الكتب لكي يسهل حفظها للطلبة والعلماء .

ومن أوائل علماء اليمن الذين كانت تربطهم بالنحو والصرف علاقات قوية يأتي الإمام المحدث عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الشرجي (ت٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) الذي كان شيخ الزبيديين في زمنه في علوم الحديث والنحو واللغة ، وقد كان المرجع في النحو ، وعليه التعويل عند من رام الإلمام به من الطلبة والعلماء ، ولهذا استدعاه السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) إلى

---

(1) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٧٢ – ٣٨١ .

(2) الجَنَدي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٢٤٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٢ ، ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ٢١ ، ٧١ ، ج ٢ ١٥٢ ، ج ٣ ص ١١٨ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص٣٣٥ ، حاجي خليفة ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، ج ٦ ص ٩٣ ، القفطي ، **إنباه الرواه على أنباء النحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ج١ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، السيوطي ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، ج ٢ ص ١٦٨ .

مجلسه ، وقرأ عليه النحو وغيره من علوم العربية ، وبالغ في إكرامه احتراماً للعلم ولفضله عليه[1] .

وقد ترك الإمام عبداللطيف الشرجي عدداً كممن المصنفات في النحو ، اشـــتهر منها كتاب (شرح ملحة الإعراب ونخبة الآداب)[2] التي صنفها القاسم بن علي بن محمد الحريري ، ثم إنه ندب نفسه لنظم بعض الكتب المعتمدة في التدريس في إطار الجهود التي بذلها العلماء لتسهيل دراستها ، فقد نظم المختصر الذي وضعه النحوي الشهير الحسن بن أبي عباد لكتاب سيبويه ، وذلك ، ونظم أيضاً (مقدمة ابن بابشاذ) الشهيرة التي صنفها أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري ، وبلغت المنظومة حوالي ألف بيت ، وللشرجي في النحو كذلك كتاب (المحرر) ، وكتب مقدمة مختصرة في علم النحو تفيد المبتدئ ، ونختم الحديث عن جهوده بذكر المجموع الذي حوى نقاط الاختلاف بين أعلام النحاة في مدرستي البصرة والكوفة والذي سماه (ائتلاف النصرة في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة)[3] ، وقد نال الإمام الشرجي من الشهرة ما جعله قبلة للطلاب ومتجهاً لأفئدة المتطلعين للرقي في علوم النحو والتصريف من جميع أنحاء اليمن ، وكانت أغلب دروسة تعقد في مدرستي الدحمانية والصلاحية في مدينة زبيد[4] .

وقد اشتهر الفقيه رضي الدين أبو بكر بن محمد الصبري (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م) بمعرفة النحو والفقه ومشاركته في سائر العلوم ، وقد نال الحظوة بكفائته في

---

(1) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢٥٧ .

(2) قال الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨١ : أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة طـوب قبو ، ولم يزد على ذلكم شيئاً .

(3) طبع سنة ١٩٨٧م في لبنان بتحقيق د. طارق الجنابي عن دار عالم الكتب ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٣٨٢ ، عبدالله علي مهيوب اليوسفي ، **الدرس النحوي في زبيد من القرن السادس حتى القرن العاشر الهجري** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ٢٠٠٣م ، ص ١١٢ .

(4) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ٢٥٧ ، **طراز أعلام الزمن** ، ص ١٤١ ، عبدالله قائد العبـادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣١٨ .

العلم حتى عينه السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) مؤدباً لأولاده[1] .

وفي سنة (٨١٢هـ / ١٤٠٩م) توفي شيخ النحاة في اليمن ومفخرتهم فيه ، وهو العلامة علي بن محمد بن سليمان بن أحمد بن هُطَيِّل النجري ، أظهر من تحدث عنه إعجابه به ، وكل من تتلمذ على يديه في النحو برز ولمع نجمه ، وأشهر تلامذته ترجم هو الإمام الحسن بن محمد الشظبي الآتي ذكره ، قال عنه إبراهيم بن القاسم بن المؤيد[2] مترجماً إياه : " علامة النحاة ، ومفخرة اليمنيين ، صدر العلماء ، كان أشهر من شمس النهار في علومه وفضائله ، أتقن النحو إتقاناً عجيباً ، وبرز فيه ، وألحق الأصاغر بالأكابر ، وجمع وفرق ، وعلل وتكلم ، عن مَلَكَةٍ راسخة في أصول النحو وفروعه ، فهو حريّ بأن يسمى (سيبويه اليمن) ... " .

ولم تقتصر مظاهر اعتناء العلامة ابن هُطَيِّل بالنحو في تدريسه فحسب ، فقد ترك فيه مصنفات أهمها : كتاب (عمدة ذوي الهمم على المحسنية في علم اللسان والقلم)[3] ، شرح فيه (مقدمة بابشاذ) في النحو ، كما وضع شرحاً على (المفصل) للإمام الزمخشري سماه (التاج المكلل بجواهر آداب المفصل)[4] ، ثم حاول توطئة النحو للطلبة وتحبيبهم فيه من خلال تبسيطه كتاب (كافية ابن الحاجب) بكتاب عنوانه (معونة الطالب على كافية ابن الحاجب)[5] ، وشرح كتاب (الجمل

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٠٦ .

(2) **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٧٩٩ ، ٨٠٠ .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة جستربيتي بدبلن ، ونسختان أخريتان في مكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى تحت رقم (١٨٩٤ نحو) ، والثانية تحت رقم (١٧٩٦ نحو) ، وأخرى بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٧٩٤ مجاميع) ، وقد طبع بتحقيق د. خالد عبدالكريم جمعه عن المكتبة العصرية بالكويت ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٢ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧١٢ .

(4) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٧٦٨) ، وأخرى بمكتبة زيد بن علي الديلمي ، ونسخة مصورة بمكتبة محمد عبدالعظيم الهادي ، انظر الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(5) منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (١٧٩٤ مجاميع - من صفحة ٩٥ - ١٦٩) ، وأخرى بمكتبة زيد بن علي الديلمي ، ونسخة مصورة بمكتبة محمد عبدالعظيم

الكبرى) لأبي القاسم عبدالرحمن بن إسحاق الزجاجي ، وقد كان اشتغاله بالنحو قد أخذ عليه كل اهتمام ، فأقبل عليه بمحبة ظاهرة ، تمخض عنها جهودة المحمودة في هذا العلم والجليل ، وعبر عن حبه للنحو بقصيدة أثنى فيها عليه كثيراً[1] .

وقد اشتهر الفقيه شرف الدين إسماعيل بن إبراهيم البومة الزبيدي (ت٨١٥هـ/ ١٤١٢م) بمعرفة النحو والصرف معرفة تامة ، فكان محققاً لهما حتى غدا رئيس وقته فيهما ، فتخرج على يديه جماعة من أهل مدينة زبيد وغيرها[2] .

ومن علماء النحو في اليمن في مدة الدراسة أيضاً الإمام الكبير مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفـيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) ، وجهوده في العناية بالنحو كانت أقل بكثير مما بذله في الاهتمام بعلم اللغة والتفسير والتاريخ ، فكما رأينا أنه جمع أربعة عشر مصنفاً في علم اللغة ، نراه في النحو لم يصنف إلا كتاباً واحداً فقط ، هو كتاب (مقصود ذوي الألباب في علم الإعراب)[3] .

وعد فيهم الفقيه العلامة شمس الدين علي بن أحمد الأصبحي (ت٨١٨هـ / ١٤١٥م) ، فقد كان إماماً محققاً في الفرائض والنحو ، مشاركاً في غيرهما من العلوم، وقد أجاز له علماء وقته بدراسة علومهم ، وقد كان لده إسهام كبير في تدريس علمي الفرائض والنحو ، فانتفع به جماعة من الطلبة[4] .

ومنهم أيضاً المقـرئ عفيف الديـن عبدالله بن يوسـف بن عمـر بن عثمان الحـرازي (ت٨٢٠هـ / ١٤١٧م) المشهور باشتغاله بالنحو وتعليم القرآن الكريم

الهادي ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٢ ، الوجيه ، **أعـلام المـؤلفين الزيدية** ، ص ٧١٢ .

(1) الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٠ .

(3) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨، البريهـي ، **طبقـات صـلحاء اليمن**، ص ٢٩٥ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٠ ص ٨١ ، الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلـد الأمين** ، ج ٢ ص ٣٩٧ ، الفيروزابادي ، **القاموس المحـيط** ، ص ١٣ – ١٥ مـن مقدمـة المحقـق ، الحبشي، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٣ ، عبدالله علي مهيوب اليوسفي ، **الدرس النحـوي في زبيد من القرن السادس حتى القرن العاشر الهجري** ، ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١٣٣ – ١٣٥ .

(4) البريهي ، **المصدر السابق** ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

وقراءاته ، حتى أنه كان يحفظ عدداً كبيراً من الكتب غيباً في النحو والقراءات[1] ، ومثله قام الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن مطهر بن موسى الحمـــيري الموسوي (ت بعد ٨٣٠هـــ / ١٤٢٦م) بحفظ بعض كتب النحو غيباً ، وذلك بعد أن اتجه إلى صنعاء لدراسة النحو على الأئمة بها[2] ، وحَصَّلَ بخطه نحو عشرين كتاباً في النحو ، وانتفع بما قرأ ، وقد أوقف كتبه بمدينة إب على نظر الفقهاء من بني البريهي عند وفاته[3] .

ومنهم أيضاً الفقيه العلامة صفي الدين أحمد بن عبدالرحمن بن عمر الحُبَيْشي (ت٨٢٢هـــ / ١٤١٩م) ، الذي مر ذكره معنا كأحد علماء اللغة في مطلع القرن التاسع الهجري ، وهو كذلك من علماء النحو المعروفين باهتمامهم به ، وإليه وردت الإشارة في ترجمته ، مع كونه أيضاً متقناً لعلوم عديدة أخرى ، صنف في بعضها كالرقائق والرياضيات والأدب[4] .

ومنهم كذلك العلامة الإمام إسماعيل بن محمد بن عمر الحِبَّاني الحضرمي (ت٨٣٤هـــ / ١٤٣٠م) الذي كان بلغ النهاية في تحقيق عدد من العلوم ، منها : الفقه والتفسير والأصولين واللغة ، وكان ذا معرفة بالنحو واشتغال فيه ، واشتهر بالفقه والفتوى أكثر مما اشتهر بغيره[5] .

ومن أكابر علماء النحو في اليمن في القرن التاسع الهجـــري الفقيـــه العلامـــة المقرئ النحوي بدر الدين حسن بن محمد بن سعيد الشظبي (٨٣٥هـــــ / ١٤٣٠م) ، اشتهر بكثرة علومه بتتلمذه على الإمام الكبير محمد بن إبراهيم الوزير ، إلا أنه كان في النحو حجة وعَلَماً ، إذ أخذه على نحوي اليمن الشهير وسيبويهها العلامة علي بن محمد ابن سليمان بن أحمد بن هُطَيْل (ت٨١٢هـــ / ١٤٠٩م) ، فورث الشـــظبي من شيخه

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٢٧ .

(2) الملاحظ اشتهار علماء الزيدية بصنعاء بتميزهم في علم النحو تميزاً جعل من يرنو إلى اتقانه أتقاناً تامـــاً من أبناء اليمن في المناطق الأخرى يتوجه إليها للتلقي على أيدي علمائها ، مثل الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن مطهر بن موسى الحميري الموسوي الشافعي وغيره .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٣٠ .

(5) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٢ ص ٦٩٢ .

البراعة في النحو ، وكان متردداً ما بين صنعاء وتعز، وهو معدود في كلا البلدين من علمائها الأعلام ، وقد صنف بصنعاء في النحو مختصراً سماه (تبصرة أولي الألباب في ضوابط الإعراب) ، فتقبله العلماء والأئمة بالقبول ، ومدحه بعضهم فقال فيه :

ما كُنتُ أحسَبُ أنَّ النَّحوَ يَنْظُمُهُ
في سِلْكِ كُرَّاسَةٍ شَخْصٌ منَ النَّاسِ

حَتَّى وَقَفتُ على عِقْدٍ جَوَاهِرُهُ
مَنْظُوْمَـةٌ كلُّها فِي بَطْـنِ كُرَّاسِ

فَإنْ عَجِبْتَ فأحْرَى فِي تَعَجُّبِها
مِنْ يُبْسِها وهْيَ بَحْرٌ مَوْجُهُ رَاسِي

للهِ دَرُّ مُوَشِّـيْها فَـإنَّ لَـهُ
فِكْرَاً يَلِيْنُ به المُسْتَصْعَبُ القَاسي

مَا سِيْبَوَيْهُ ولا عَمْرٌ وإنْ عَظُمَا
قَـدْرَاً وَجَلا لِمُنْشِيْهَا بِمِقْيَاسِ(1)

وكان للقاضي العلامة عز الدين محمد بن حمزة بن المظفر (ت٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) اهتمام بالنحو واشتغال به ، مع كونه مفسراً ومحدثاً وفقيهاً وقاضياً(٢) ، وله مصنف في النحو شرح فيه (مقدمة ابن بابشاذ) ، ويقال له (شرح الطاهرية)(٣) نسبة إلى مؤلفها طاهر بن بابشاذ المصري .

وللعلامة الزيدي الكبير علي بن محمد بن أبي القاسم الهادوي (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) في النحو مشاركة قوية ، تمخض عنها تصنيفه لكتاب قيم في النحو ، يعد من

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٢٣ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٣ ص ١٤٣ ، ابن المؤيد، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٣٤١ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ١٥٥ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، وقد اختلفوا في تاريخ وفاته .

(3) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٣ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٨٩٦ .

أحسن شروح كافية ابن الحاجب ، وعنوانه (البرود الصافية والعقود الوافية في شرح الكافية)[1] ، وقد اختصره ابنه الإمام المهدي لدين الله صلاح بن علي (ت٨٤٩هـ / ١٤٤٥م) وسمى شرحه (النجم الثاقب في شرح كافية ابن الحاجب)[2] .

ومن أصحاب العناية بالنحو في القرن التاسع أيضاً الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) فقد أفرد له مساحة مخصصة في كتابه الشهير (عنوان الشرف الوافي في الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي) ، وقد جعل النص النحوي في هذا الكتاب مختصر العبارة ، بدأه بقوله : " بحمد الله أستفتح ، والصلاة على رسوله محمد وبعد ، فأقول : الكلام ثلاثة أشياء ، وهي : اسم وفعل وحرف ، والاسم يعرف بدخول الألف واللام والإضافة والإخبار عنه وجره ، والأفعال ... "[3] .

وقد كان القاضي العلامة جمال الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد البريهي (ت٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) موصوفاً بأنه إمامٌ في النحو[4] ، ومثله المقرئ تقي الدين عمر بن عيسى الخطيب (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ، كان باذلاً نفسه للطلبة في مدينة إب ، حيث كان يعمل خطيباً في أحد أكبر مساجدها ، فانتفعوا به كثيراً في النحو والقراءات السبع[5] .

ومن إسهامات العلامة عبدالله بن الهادي بن إبراهيم بن علي الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) في علم النحو شرحه الذي صنفه على شرح آخر لابن مالك الأندلسي النحوي الشهير ، وهو الكتاب المشهور بـ (التسهيل في شرح ابن عقيل)[6].

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٧٧٩ ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة الأمبروزيانا تحت رقم A69 ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٤ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧١٨ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة آل الهاشمي تحت رقم (١٩٦) ، وهو تحت التحقيق الآن ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٥٠٥ .

(3) المقرئ، **عنوان الشرف الوافي**، ص ٣٤ ، ٣٥ .

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٩٩ .

(5) **المصدر السابق** ، ص ١١١ .

(6) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٤٩ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٢٣ .

أما العلامة الفقيه الأديب جمال الدين محمد بن أبي القاسم المَقْشي (ت٨٤٢هـ/١٤٣٨م) فمع اشتهاره بمعرفة الأدب وتخرج جماعة من الطلبة على يديه فيه ، إلا أنه برز في النحو حتى صار محققاً ومدققاً فيه ، فكانت معرفته الكبيرة للنحو إحدى شروط استكماله لخصائص مؤدبي أبناء السلاطين ، فجعله السلطان الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) مؤدباً لبعض أولاده ، ومنهم من أصبح سلطاناً للدولة كالسلطان الظاهر يحيى بن الأشرف[1] .

وفي زبيد أيضاً كان الإمام العلامة حسام الدين عبدالوهاب بن عبدالله السراف النهام (ت٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) قارئاً في فن الأدب ، إماماً في الأصول والنحو ، وله في النحو مسائل تدقيق تدل على غزارة علمه وحرزه إياه ، وامتدت معرفته لتشمل علم اللغة والمعاني والبيان ، وقعد للتدريس في زبيد حتى فضل على شيوخه وفاقهم[2] .

ووردت لدى البريهي[3] ترجمة الإمام العلامة جمال الدين محمد بن حسين بن علي بن سليمان السراج (بعد ٨٥٠هـ) ، وذكر أنه كان محدثاً نحوياً بصنعاء ، وأنه كان جامعاً لأشتات العلوم ، ونقلت عنه الفوائد الصحيحة بالعبارات الصريحة ما ملأ السطور وشفى الصدور ، وحصل الإجماع على جلالته وعلو رتبته ، وأنه ترك تعاليق مفيدة على مواضع كثيرة من كتب الفقه والحديث والنحو وغيرها .

وللفقيه العلامة الحسن بن حميد بن مسعود المقرائي (ت٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) كتاباً في علم النحو ، هو من شروح كافية ابن الحاجب الشهيرة ، وعنوانه (الدرة الصافية لكشف رموز الكافية)[4] ، والكافية هي نفسها التي وضع عليها

---

(1) قد مر علينا سابقاً أن السلطان الأشرف الثاني نفسه اتخذ مؤدباً آخر لأولاده ، وهو الفقيه رضي الدين أبو بكر بن محمد الصبري (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ، فالظاهر أن أولاد السلطان كانوا كثيرين أو أنه كان يرغب في تقليل عددهم أمام المربين فرتب لهم أكثر من مربٍ واحد .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٢٦ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ٢٥ .

(4) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٢٩٩ .

الطالب فيه ملتمسه سريعاً ، بلا كَـدّ مطية عزيزية ، ولا إتعاب خاطرٍ ولا روية ، ولا طلب شيخ يقرأ عليه ، ولا معيد يفتقد في ذلك إليه ... "[١] وكان قد رتب الكتاب على حروف المعجم بحسب أوائل الكلمات متابعاً جار الله بن عمر الزمخشري في (أساس البلاغة) ، وجاء في حيثيات تميزه أنه لم يخلط الأفعالِ والأسماء التي تبدأ بالحرف الواحد ، بل أفرد لكل منهما قسماً خاصاً ، كما أنه تعرض لذكر الألفاظ والكلمات اليمنية مما لم تسجله المعاجم المعروفة قبله[٢] .

وما بين الربعي صاحب (نظام الغريب) ونشوان صاحب (شمس العلوم ودواء كلام العرب الكلوم) وبعدهما أسهم عدد من علماء اليمن في الرفع من مكانة علم اللغة – بالإضافة إلى إسـهاماتهم في العلوم الأخرى – في الأوساط العلمية اليمنية ، وبذلوا في سبيل ذلك جهوداً محمودة ، دراسة وتدريساً وتأليفاً ، وقد عَدَّدَ أغلبهم الباحث عبدالرحمن المختار في رسالته التي كتبها عن الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس[٣] .

وكان لعلماء اليمن في مدة دراستنا – القرن التاسع حتى منتصف القرن العاشر الهجريين – دور كبير في دراسة علم اللغة والتأليف فيه ، غير أن الاهتمام بدراسة علم اللغة والتدريس فيه كان أكبر وأشهر من تصنيف الكتب فيه ، ذلك ما توحيه تراجم العلماء اليمنيين في مدة الدراسة ، فأبرز من يرد اسمه في هذا الباب الإمام أبو بكر بن علي الحداد الحنفي الزبيدي (ت٨٠٠هـ /١٣٩٧م) الذي انبرى لشرح منظـومة (قيد الأوابد) الأنفة الذكـر ، وسمى شرحه لها بـ (الرحيق المختوم)[٤] .

ومنهم كذلك الإمام المحدث عبداللطيف بن أبي بكر بن أحمد بن عمر الشرجي (ت٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) الذي كان شيخ الزبيديين في زمنه في علوم الحديث والنحو

---

(1) الحمـيري ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، تحقيق د. حسين عبدالله العمري وآخـرين ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٣م ، ج ١ ص ٣٣ – ٣٥ .

(2) هادي عبدالله ناجي ، نشوان الحميري وجهوده اللغوية والنحوية ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م ، ص ٥٩ .

(3) عبدالرحمن أحمد المختار ، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجـريين ، ص ٣٢٢ – ٣٢٧ .

(4) الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٣٨١ .

المدارس والهِجَر والقرى العلمية على امتداد الساحة اليمنية[1] ، أمثال كتاب (نظام الغريب)[2] لأبي علي عيسى بن إبراهيم الربعي الوحاظي (ت٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) الذي وصف بأنه كان رأس طبقته في علم اللغة والمحقق لمشكلاتها ، إذ ظل هذا الكتاب مقرراً على الطلبة حتى القرن التاسع الهجري ، يقول الجَنَدي[3] – مؤرخ اليمن في القرن الثامن الهجري – : " ومن لا يقرأه ويتكرر فيه لا يعده كثيرٌ من الناس لغوياً " ، وكذلك المنظومة اللغــوية الموســومة بــ(قيد الأوابد)[4] لأخيه إسماعيل بن إبراهيم الربعي الــوحاظي (ت بعد٤٨٠هـ / ١٠٨٧م) والتي شــملت معظم ما في كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي .

يأتي الإمام الشهير نشوان بن سعيد الحميري (ت٥٧٣هـ / ١١٧٧م) في مقدمة علماء اليمن في علم اللغة – شهرةً – على مر تاريخها ، وجاءت شهرته من أثره المهم الذي يعد موسوعة معجمية لغوية شاملة ، وهي المعروفة بــ (شــمس العلوم ودواء كــلام العرب من الكلوم) ، وهذا الكتاب هو الذي جعل ياقوت الحموي يفرد لنشــوان مساحة بين أشــهر الأدباء العرب ، وقال عنه : " كان فقيهاً فاضلاً باللغة والنحو التاريخ وســائر فنــون الأدب ، فصيحاً بليغاً شــاعراً مجيداً "[5] ، ووصف نشوان نفسه كتابه فقال : " فكتابي هذا يحرس النقط والحركات معاً ، ويدرك

---

(1) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والســادس الهجــريين** ، ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(2) منه ثلاث نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى تحت رقم (٧٢٧) والثانية تحت رقــم (١٣ لغة) والثالثة تحت رقم (٢٥ لغة) ، وقد طبع في مصر سنة ١٩١٣م بتحقيق المستشرق الألماني موريس بروتلي ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغــن** ، ج ٢ ص ١٥٠ ، ١٥١ ، الحبشي ، **مــصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٧٣ .

(3) **الســلوك** ، ج ١ ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(4) منها نسخة مخطوطة بمكتبة القاضي محمد العمري بصنعاء ، ابن سمرة ، **طبقات فقهــاء الــيمن** ، ص ١٥٦ ، اللَّحْجي ، **طبقات مُسلّم اللَّحْجي** ، ج ٤ ص ٢٥٠ ، بامخرمة ، **قلادة النحــر** ، ج ٢ ص ٤٥٨ ، عبدالملك حميد الدين ، **الروض الأغن** ، ج ١ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي فــي اليمن** ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

(5) الحموي ، **معجم الأدباء** ، دار الفكر ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٠م ، ج ١٩ ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

العـــلامة أحمد بن محمد بن علي الرصـــاص (ت القـــرن التاسع الهجري) شـــرحاً سماه (منهاج الطالب في كشـــف معاني كافية ابن الحاجـــب)[1] .

ومن أعلام المذهب الحنفي الذين عدوا في المشتغلين بالنحو في مدينة زبيد الفقيه العلامة علي بن أحمد بن موسى الجلاد الحنفي (ت٨١٢هـــ / ١٤٠٩م) ، وقد سبق ذكره بين علماء اللغـــة ، وذكرنا أنه كانت له يد في عدد من علوم العقلية والشرعية كالفقه والقراءات والحديث والفرائض ومتعلقاتها من العلوم الرياضية ، وكان النحو أحد العلوم الذي لزمت ترجمته وارتبطت بها لجهوده فيه دراسة وتدريساً[2] ، وكذلك كان الأديب الشاعر الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن أبي بكر الشويهر الحنفي (ت٨٧٤هـــ / ١٤٦٩م) ، عالماً في النحو ، إماماً في اللغة ، فتلقاهما عنه أناس كثير من الطلبة[3].

وللعلامة عبدالله بن محمد بن أبي القاسم العكي النجري (ت٨٧٧هـــ / ١٤٧٢م) فضل على علم النحو في صنعاء خاصة واليمنَ عامة ، وذلك لما رحل إلى مصر في طلب العلم في سنة (٨٤٨هـــ / ١٤٤٤م) ، إذ عاد حامـــلاً معه أحد أشهر كتب وأوسعها انتشاراً ، والذي لم يكن اليمنيون قد عرفوه ، وهو كتاب (مغني اللبيب عن كتـــب الأعاريب) لصاحبه جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام المصري (ت٧٦١هـــ/١٣٥٩م) ، وهو بذلك أول من أدخله إلى اليمن[4] ، وحرصه على جلب ذلك الكتاب له دلالة على معرفته للنحو وتقديره أهمية حمل الجديد من أمهات مقرراته الدراسية في مصر ، وهو ما أكده وجود كتابين من مصنفاته في النحو ، هما : (شرح

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الأحقاف للمخطوطات في مدينة تريم بحضرموت تحـــت رقـــم (٢٤٤٣) ، ونسخة أخرى في مكتبة سليم آغا تحت رقم (١١٤٧) ، ومنه نسختان مخطوطتان بمكتبة الجامع الكبيـــر الغربية ، الأولى تحت رقم (١٨٤٧ نحو) ، والثانية تحت رقم (١٨٤٨ نحو) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٤ ، غير أن رقمي النسختين الأخيرتين جاء مختلفـــاً عنـــد الوجيـــه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٧٨ ، عنده أن النسخة الأولى تحت رقم (١٤٨ نحو) والنـــسخة الثانيـــة تحت رقم (١٤٦ نحو) .

(2) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٧٩ .

(3) **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٢٥ .

(4) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٣٩ .

مقدمة التسهيل في شرح ابن عقيل) لابن مالك الأندلسي[١] ، وكتاب (مختصر في النحو) ، لعله شرح لكتاب (المفصل) للإمام الزمخشري[٢] .

ومن النحويين أيضاً الفقيه العلامة أحمد بن محمد بن داود الخالدي (ت٨٨٠هـ/١٤٧٥م) الذي صنف في شرح كافية ابن الحاجب كتاباً عنوانه (بغية الطالب ومنية الراغب شرح كافية ابن الحاجب)[٣] ، وقيل عنوانه (تحفة الراغب شرح كافية ابن الحاجب)[٤] ، وقام كذلك بشرح كتاب (المفصل) للإمام الزمخشري[٥] ، وبعده قام القاضي العلامة عبدالله بن يحيى بن الناظري (ت ٩٢٢هـ / ١٥١٦م) بشرح الكافية أيضاً ، وسمى شرحه لها بـ (اللآلئ الصافية في تسهيل معاني الكافية)[٦] .

ومن النحويين في القرن العاشر الهجري الإمام أبو الطيب عبدالله بن أحمد بن علي بن أحمد بامخرمة (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) ، وهو أحد أكبر علماء مدينة عدن في أواخر القرن التاسع الهجري ، برز في علوم عديدة ، وترك مصنفات مختلفة في الفروع المعرفية التي اشتغل بها ، وكان النحو واحداً منها ، وفيه صنف شرحاً على ألفية ابن مالك الشهيرة ، ثم أنه شرح (ملحة الإعراب) للحريري[٧] ، وقد ورث عنه ولده الفقيه عبدالله بن عبدالله بن أحمد بامخرمة الشهير بالعمودي (ت٩٠٣هـ /

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٣٨ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦١٧ .

(2) الوجيه ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(3) منه ثلاث نسختان مخطوطتان في مكتبة الجامع الكبير الشرقية ، الأولى تحت رقم (١٨٣٠) ، والأخرى تحت رقم (١٨٢٩) ، ونسخة ثالثة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢١ نحو) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٥ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٦ .

(4) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٤٦ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(5) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٥ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(6) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٨٢ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ٣٨٦ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ٦٢٨.

(7) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ٣ ص ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، وهو والد المؤرخ بامخرمة صاحب القلادة .

١٤٩٨م) إجادة النحو ومعرفته ، فوصفه أخوه الطيب بن عبدالله بامخرمة في تاريخه[1] بأنه على معرفة جيدة باللغة والنحو .

ومنهم أيضاً العلامة القاسم بن يوسف بن معوضة بن مياح الإلهاني (ت٩١٧هـ/ ١٥١١م) ، الذي صنف كتاباً في النحو هو أحد شروح كافية ابن الحاجب الشهيرة ، وعنوان كتابه (إيضاح المعاني السنية من ألفاظ الحاجبية)[2] .

ومن المبرزين في علم النحو في حضرموت في القرن العاشر الهجري الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، وهو من أكثر علماء اليمن تأليفاً ، ومصنفاته كثيرة في فروع المعرفة الشرعية والعقلية ، ويعد من مفاخر اليمن في سعة المعرفة وجودة التصنيف[3] ، ترك – ضمن موروثه التأليفي – مصنفات في النحو ، منها كتاب (تحفة الأصحاب في شرح ملحة الإعراب) والملحة هي التي ابتدعها الحريري في النحو والصرف ، وله كذلك كتاب (شرح أبنية الأفعال في لامية ابن مالك) ، خصصها لما هو متعلق بالصرف في الألفية ، ووصف هذا الكتاب بأنه " شرح مفيد جداً ... "[4] ، وكذلك قيل فيه : " شرح كبير ، وهو الذي رفع في هذا الفن الأستار عن وجوه إعجازه ، وميز فيه بين حقيقه ومجازه ، وجمع المفترق من الكتب النفيسة في هذا المعنى ، على أقصد سبيل وأقرب مأخذ ومعنى ... "[5] ،

---

(1) ج ٣ ص ٧٨٥ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٨٧٣ ، ومن الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الشرقية بصنعاء تحت رقم (١٨٥٦) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧٨٥ .

(3) وصفه المؤرخ محيي الدين عبدالقادر العيدروس في **النور السافر** ، ص ١٣٣ فقال : " كان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين ، اشتغل بالعلوم ، وتفنن بالمنطوق منها والمفهوم ، وتمهر في المنثور والمنظوم ، وكانت له اليد الطولى في جميع الفنون ... ما رأيت أحداً من علماء حضرموت أحسن ولا أوجز عبارة منه ، عبدالله علي مهيوب اليوسفي ، **الدرس النحوي في زبيد من القرن السادس حتى القرن العاشر الهجري** ، ص ١٣٩ .

(4) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٣٦ .

(5) الشلي ، **السنا الباهر** ، ص ٢١١ .

وللإمام بحرق في النحو أيضاً شرح صغير على كتابه السابق ، وسماه (فتح الأقفال بشرح أبنية الأفعال) وهو الصرف أيضاً[1] .

ومنهم كذلك الإمام العلامة محمد بن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي (ت٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) الذي اعتنى بعلوم اللغة والبلاغة والعروض والتفسير ، وكانت له يد قوية في النحو، فصنف كتاباً فيه سماه (تحفة الطلاب في علم الإعراب)[2] .

ومنهم أيضاً الإمام العلامة فخر الدين عبدالله بن القاسم بن الهادي العلوي (ت٩٦٠هـ / ١٥٥٢م) السابق ذكره في علم اللغة ، ورد في وصف تلميذه لعلمه قوله: " وأما علمه فلم أرَ أعلم منه ، ولا ترى مثل نفسه في الأصولين والنحو والتصريف والمعاني والبيان ، وأما اللغة والحديث والفقه واستحضار مسائلة فهو – وإمامنا – أوحد من رأيت من أصحابنا الزيدية ... وأما حفظه فلم أرَ أحفظ منه ، يحفظ من الأمثال والشواهد والآداب شعراً ونثراً ومَثَلاً وتاريخاً بحراً لا ينزف ... جمعنا أيضاً الشواهد والفوائد النحوية في مجلد أملاها علينا ولم نجمع عُشْر ما سمعنا منه ... "[3] ، وهذا النص يتضمن عدداً من الإشارات ، وشاهدنا في الجملة الأخيرة ، فقد جمعت الشواهد النحوية التي يلقيها على تلامذته فبلغت مجلداً ، ومع ذلك فهي لم تبلغ عشر ما سمعوه منه ، إذاً فهو مكثر في تدريس النحو ، مجيد في سرد الشواهد والإكثار منها .

وهناك عدد كبير من العلماء اليمنيين الذين اهتموا بالنحو ، بعضهم دون من سبق ذكرهم ، وبعضهم قد مروا علينا في الحديث عن علم اللغة ، لأن التلازم بين علمي اللغة والنحو كان كبيراً، وإن كنا قد كررنا بعض فبسبب تميزهم على غيرهم ، وفي المصادر من التواريخ وكتب التراجم والببليوجرافيا عدد آخر ، فليعد إليه من أراد التوسع[4] .

---

[1] العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٣٦ ، الشِّلي ، **السنا الباهر** ، نفس الصفحة .

[2] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٠٦ ، ويوجد منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠١٩.

[3] ابن المؤيد ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٦٢٨ .

[4] تراجمهم عند البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٨ ، ٥٤ ، ٨٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٨٤ ، ٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص

(٣) العلوم البلاغية :

اعتنى عددٌ من علماء اليمن بعلوم البلاغة عناية كبيرة حتى بلغ بعضهم – كما سيأتي – شهرةً جعلته يدرج في عداد المبرزين فيها على مستوى العالم الإسلامي ، وتأتي هذه العناية في إطار اهتمام علماء اليمن بالعلوم الخادمة لدراسة اللغة التي تمثل القوالب الحافظة والناقلة لعلوم الشريعة وغيرها من أبواب المعارف ، ولذلك كانت لهم القدرة الواضحة على تلمس الأسرار البلاغية في القرآن الكريم وإدراك مواضع إعجازه البياني اللغوي ، وقد تباينت إسهاماتهم في هذه العلوم ومشاركتهم فيها ، فمنهم من بسط كلامه فيها نهاية البسط ومنهم من أطال فيه ، ومنهم من أوجز فيه غاية الإيجاز[١] .

مما يُدرك – بداهةً – أن الازدهار إذا كان صفة لعلم اللغة – بدرجة أساسية – والنحو في المقام الثاني ، فإن علوم البلاغة ستكون في محاذاتها وتسير في ركابها ، شبراً بشبرٍ وذراعاً بذراع ، إذ أن الأولى مطية للثانية ووالدةٌ لها ، وقد صنفت علوم البلاغة في إطار ثلاثة أقسام اصطلح عليها أهل اللغة وعلمائها ، وهذه الأقسام هي : **(علم البديع) و (علم المعاني) و (علم البيان)** ، وهي – بدورها – شديدة الارتباط ببعضها ، فلا يكاد يُذكَرُ أن عالماً له مشاركة في علمٍ واحدٍ منها إلا واقترن بأحد العلمين الآخرين إن لم يرتبط بهما معاً ، وهو السبب الذي دفعنا لوضع العلوم البلاغية الثلاثة معاً في فئة واحدة هنا في هذه الدراسة .

وقد اعتمد الرواد من العلماء اليمنيين في دراسة علوم البلاغة على مؤلفات وافدة من خارج اليمن – كما هو الحال في غيرها من العلوم – ، وفي مقدمة هذه المؤلفات كتاب (الكشاف عن حقائق التنزيل) لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ / ١١٤٣م) الذي اعتنى – على الرغم من كونه كتاب في التفسير – بعلمي المعاني والبيان ومواضع شواهدهما في القرآن الكريم ، وأورد كثيراً من النكات البلاغية بما جعله من أهم الكتب المعول عليها في دراسة هذا الفن[٢] ،

---

٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٥٥ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٥٠٨ ، العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٢١ ، .

[١] د. هادي الهلالي ، **نشأة الدراسات النحوية واللغـوية في اليمن وتطـورها** ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٤م ، ص ٣٤١ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٤١٠ .

[٢] الزرقاني ، **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، ج ٢ ص ٧٠ .

وجاءت مقامات الحريري في قائمة أوائل الكتب البلاغية التي استجلبها اليمنيون وكانت محط عنايتهم ، وخاصة الأدباء منهم ، ونهلوا منها كثيراً ، وقام بعضهم بشرحها ، وعمل البعض على محاكاتها وألف على منوالها ، بل إن الفقهاء كانوا يطالعونها في حلقات الفقه ترويحاً للنفس واستمتاعاً بها وتنمية للذائقة الأدبية والبلاغية لدى طلابهم[1] .

ومن أبرز المصادر الأولى أثراً في علم البديع هي بديعية صفي الدين عبدالعزيز بن سرايا الحلي الشهير بالصفي الحلي (ت٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) والمعروفة بـ (الكافية البديعية في المدائح النبوية) المتضمنة لمائة وواحد وخمسين نوعاً من محاسن البديع[2] ، واستحوذت على اهتمام المبرزين من أدباء اليمن وشعروا إزائها بالتحدي فتنقلوا من مواضع الاعتكاف عليها لدراستها إلى التطلع لنظم مثيلاتها بإبراز كل قدراتهم الشعرية كما سيتضح قريباً .

ومن أشهر المشتغلين بالعلوم البلاغية قبل القرن التاسع الهجري في اليمن يأتي الفقيه أبو الغيث محمد بن راشد السكوني (ت٧٥٩هـ / ١٣٥٧م) الذي جمع كثيراً من فنون المعرفة وجوانب العلوم ، فانبرى لتدريسها ، وبرز كثيراً في علوم البيان والمعاني والعروض ، فتصدر للتدريس علوم العربية والبلاغة خصوصاً في المدرسة المؤيدية بتعز[3] ، وكذلك الفقيه محمد بن موسى الذوالي الصريفي (ت٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) ، كان من العلماء الموسوعيين ذوي المصنفات العديدة في العلوم الشرعية واللغوية ، وكانت له يد في الشعر ، قال عنه الخزرجي[4] : " كان فقيهاً عالماً عارفاً بالفقه والنحو واللغة والحديث والتفسير والمعاني والبيان والمنطق ... " .

ومن أبرز علماء البلاغة المشاركين فيها في القرنين التاسع والعاشر الهجريين نذكر العلامة الأديب وجيه الدين عبدالرحمن بن محمد بن يوسف بن عمر بن علي

---

(1) الحبشي ، **حياة الأدب اليمني في عهد بني رسول** ، ص ١٤٥ .

(2) علي أبو زيد ، **البديعيات في الأدب العربي** ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٣م ، ص ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٢٢ .

(3) الأفضل الرسولي ، **العطايا السنية والمواهب الهنية** ، ص ٦١٨ .

(4) **العقد الفاخر** ، ج ٢ ق ١٤٥ – ب ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٢٢ .

العلوي الحنفي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، وصفه بامخرمة بقوله : " أوجه أهل عصره جلاله ورياسة ونباهة ونفاسة ... ترقى في الخدمة السلطانية والمباشرات الديوانية ، وشد في سائر الجهات اليمانية ... ولم يزل عنده – أي السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) - مجللاً معظماً مسموع الكلمة ... له نظر في كثير من العلوم ، ومشاركة في المنثور والمنظوم ، ومن محاسن شعره القصيدة البديعة التي أودعها سائر فنون البديع ، وشرحها شرحاً شافياً ، وله عدة قصائد في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومدحه عدة من فضلاء الشعراء... "[1] ، وقد وصفه شيخ الإسلام الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني بقوله : " لسان البلاغة ، ومعدن الفصاحة ... " ، وعُرف بأنه من البارعين في الأدب نثراً ونظماً[2] .

أما القصيدة البديعة المشار إليها في ترجمته فهي القصيدة التي عارض بها الرائد الصفي الحلي في بديعيته ، وقد سماها (الجوهر الرفيع ودوحة المعاني في معرفة أنواع البديع ومدح النبي العدناني)[3] ، جاءت في مائة وواحد وثلاثين بيتاً ، وقيل أنه ضمنها مائة وستة وثلاثين نوعاً ومُحَسِّناً بديعياً، وقال في مطلعها :

سَلْ مَا بِسَلْمَى ، وَسَلْ مَارِيَّةَ السَّلَمِ
وخُصَّ طَيْبَةَ مَأْوَى الطَّيِّبِ والكَرَمِ[4]

وقد تقبل علماء العصر هذه البديعية بالقبول ، وأشادوا بها وبمصنفها ، من ذلك قول الإمام مجدالدين الفيروزابادي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) :

---

[1] بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٦٨ ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

[2] السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٤ ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

[3] منها نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٩٩) ، وأخرى في المتحف البريطاني تحت رقم (٩٨٥) ، ونسخة أخرى في مكتبة برلين تحت رقم (٧٣٧٦) ، ورابعة مصورة في مكتبة الجامعة الأردنية ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٢ ، الرقيحي ، **فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ، ج ١ ص ٤٨٤ ، وأما عمر كحالة ، **معجم المؤلفين** ، ج ٢ ص ٧١ فقد وهم في نسبتها إلى عبدالرحمن بن إبراهيم بن إسماعيل العلوي (ت٩٢٠هـ / ١٥١٤م) ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٢٣ .

[4] علي أبو زيد ، **البديعيات في الأدب العربي** ، ص ٨٠ ، ٨١ .

هذا القَصِيْد حَــوىَ البَدائعَ كلُّها
وَسَمَى على نَظْــمِ الأفَــاقِ وِفَاقا

حَتَّى أقَــرَّ الحَاسِدُونَ بِحُسْنِه
فَأبَــانَ مِنْ أهْــلِ الخِلافِ وِفَاقَا

وإذَا نَظَرْتَ رَأيْتَ فِيْه جَوْهَرَاً
مِنْ بَحْــرِ فَضْلٍ أوْدِعَــتْ أوْرَاقَا

وَرَقَى بِنَاظِــمِهِ ذُرَىً لَمْ يَرْقُها
مَنْ رَقَّ لَفظَاً في الوَرَى أوْ رَاقَا[١]

وممن تلقاها مناولةً من مصنفها الإمام الحافظ ابن حجر ، وفي هذا يقول : " وناولني بديعيته التي عارض بها الحلي ، وكتب لي في استدعاء :

أَجَزْتُ لِسَيِّدِ الإخْوَانِ طُرَّاً
شِهَابِ الدِّيْنِ ذِيْ الفَضْلِ الرَّفِيْعِ[٢]

ومنهم أيضاً الفقيه العلامة برهان الدين إبراهيم بن إسماعيل الجحافي (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م) كان إماماً محققاً في علوم النحو واللغة والبلاغة ، مع مشاركته في الفقه والحديث والفرائض ، كان من نجباء تلاميذ الأئمة الفيروزابادي ابن حجر العسقلاني والنفيس العلوي ، غلب عليه فصاحة الشعر وبلاغته حتى سمي (حريري الزمان) ، وجرت بينه وبين شيخه الإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني – لما زار اليمن في رحلته الأولى – مراسلات أدبية وشعرية حوتها بعض المصادر[٣] ، وسنورد بعضها عند حديثنا عن شعراء اليمن في مدة الدراسة .

وقد كان العلامة صلاح بن إبراهيم بن علي الوزير (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ماهراً في فنون البلاغة والأدب واللغة بعد أن قرأ علوم الأدب والبلاغة وسائر فنونها

---

(1) بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ١٥٤ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٢٤ .

(2) ابن حجر ، **المعجم المؤسس للمعجم المفهرس** ، ج ٣ ص ١٦٢ ، عبدالله قائد العبادي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٩٥ ، ابن حجر ، **ديوان ابن حجر** ، ص ٢١٣ .

على يدي أخيه الأديب الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير ، وكان له الشعر الجيد ، وكان بينه وبين الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) مودة عظيمة[1] ، وذلك على الرغم من خصومه أخويه – الإمامين الهادي ومحمد بن إبراهيم – له .

وممن اشتغل بعلوم البلاغة في مدة الدراسة شقيقاه الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) والإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، فألف الإمام الهادي كتاب (الفوائح المسكية والعوارف النسكية)[2] في علم البديع ، وفي المقامات وضع (الطرازين المعلمين في المفاخرة بين الحرمين)[3] ، وصنف الإمام محمد مختصراً في علم البيان والمعاني[4] .

ومن أعلام علم البديع أيضاً الإمام الشهير إسماعيل بن أبي بكر بن عبدالله الشاوري المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ، فقد حذا حذو الوجيه العلوي فأنشأ بديعيةً جميلة سماها (الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة) ، وقيل أنه نظمها امتثالاً لأمر السلطان الناصر أحمد بن الأشرف الثاني الرسولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ، ثم ندب نفسه للقيام بشرحها ، وسمى الشرح (الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة)[5] ، ومما جاء في مقدمة الشرح قوله : " وقد نظمت هذه القصيدة مائة وأربعة

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٥٠٨ .

(2) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٧ مجاميع) ، ولما النسخة الأم التي هي بخط المصنف نفسه فهي في ١١٠ صفحات ضمن مجموع في مكتبة حفيده المرتضى بن عثمان الوزير بهجرة السر في بني حشيش في محافظة صنعاء باليمن ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٣ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٧١ ، ١٠٧٢ .

(3) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٠ مجاميع) ، ونسخة أخرى في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢١ مجاميع) ، ومنه نسخة بالأمبروزيانا تحت رقم A34 ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٧٢ .

(4) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٤ .

(5) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١١٧ تاريخ وتراجم) ، ونسختان في مكتبة الجامع الكبير الشرقية ، الأولى تحت رقم (١٩٩٤) والثانية تحت رقم (٨٨) ، ومنه نسختان أخريتان بمكتبة برلين ، الأولى تحت رقم (٧٣٧٠) والأخرى تحت رقم (٧٣٧١)، ونسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٨٧ بلاغة)، انظر الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٣٨٤ ، محمد

وأربعين بيتاً ، فيها جميع أنواع البديع، وهي مائة وخمسون نوعاً ، وقد يجتمع لي في البيت الواحد عدة من أنواع البديع ، ولكن المعول على ما أسس البيت عليه ، وقد أكثرت في أكثر أبياتها من التورية والإيهام والتوشيح والاستخدام ، وغير ذلك من أنواع البديع ، مما يروّق الأسماع ويحرك الطباع »[1] .

وقد نسب الحبشي[2] إلى الإمام إسماعيل المقرئ شرحين في البديعيات ، وجعل أحدهما شرحاً للبديعية المذكورة وسماه (شـــرح بديعية ابن المقرئ)[3] ، والمقصـــود به الشـــرح المشار إليه سابقاً بـــ (الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة) ، ووذكر له شرحاً آخر هو (نتائج الألمعية في شرح الكافية البديعية)[4] ، ولم يحدد أي كافية بديعية شـــرحها فيه ، وذكر له أيضاً في علم البديع (الجمانات البديعية في مدح خير البرية)[5] .

وكان الفقيه الرحالة والعالم النحوي جمال الدين محمد المسلمي (ت٨٤٠هـــ / ١٤٣٦م) قد طاف البلدان شرقاً وغرباً واجتمع بصلحائها وعلمائها ، وأحب البلاغة وعلومها ، وأثر عنه أنه كان يحفظ مقامات الحريري غيباً[6] .

سعيد المليح وآخر ، **فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء** ، نشر الهيئـــة العامـــة للآثار ودور الكتب ، الجمهورية العربية اليمنية ، ١٩٨٧م ، ص٤٥١ ، علي أبو زيد ، **البـــديعيات فـــي الأدب العربي** ، ص ٩٠ .

(1) المقرئ ، **شرح الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة** ، تحقيق عبدالرحمن بن عبـــدالله الحـــضرمي ، وزارة الإعلام والثقافة ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٨٦م ، ص ٣٦ ، ٣٧ .

(2) **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٤ .

(3) منه نسخة مخطوطة بالأصفية تحت رقم (٥٨ بلاغة) ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٣٠ مجاميع) ، انظر **المرجـــع الـــسابق** ، نفس الصفحة .

(5) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٦٧ مجاميع) ، انظر **المرجع الـــسابق** ، نفس الصفحة ، غير أن عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٨٤ ذكر أنه عنوان آخـــر لبديعيته (الجواهر اللامعة في تجنيس الفرائد الجامعة للمعاني الرائعة) .

(6) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٦٤ .

ومن المشار إليهم في البلاغة – دراسة وتطبيقاً – في القرن التاسع الهجري الفقيه العلامة الأديب جمال الدين محمد بن محمد بن إدريس العلوي (ت٨٤١هـ / ١٤٣٧م) ، كان مشهوراً بفن الأدب والبلاغة ، والفصاحة في الشعر ، وكتب إلى السلطان الظاهر يحيى بن الأشرف الرسولي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) ببديعية عجيبة، حذا بها حذو الصفي الحلي المذكور سابقاً ، وشرحها شـرحاً عجيباً ، وضمن القصيدة أنواعاً من البديع ، منها (الاقتباس) أو (التناص) كقوله :

مَاذَا أَقُولُ وَفِي (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُم
وَمَا غَوَى) مَدْحُ أَزْرَتْ بِمَدْحِ فَمِي

والصفي الحلي قال في مثل ذلك :

هَذِي عَصَايَ الَّتِي فِيهَا مَآرِبُ لِي
وَقَدْ أَهُشُّ بِهَا طَوْرَاً عَلَى غَنَمِي[١]

وكما هو واضح أن الصفي الحلي تخلل في اقتباسه للآية الكريمة شيئ من اللفظ غير القرآني ، لذلك قال العلامة الأديب جمال الدين محمد بن محمد بن إدريس العلوي: أنا أتيت بآية كاملة في بيت واحد ولم يتخلل بينهما كلام أجنبي ، فأحال له السلطان على المتولي بحصن تعز بخمسمائة دينار[٢] .

وممن اشتغلوا بعلوم البلاغة الإمام العلامة حسـام الدين عبدالوهاب بن عبدالله السراف النهام (ت٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) ، قرأ كثيراً في فن الأدب على من له مشاركة فيه من علماء زبيد ، كما أنه كان إماماً في الأصول والنحو ، له فيه مسائل تدقيق تدل على غزارة علمه ، واعتنى باللغة والمعاني والبيان ، وقد سبقت الإشارة إليه أنه ندب نفسه لتدريس الأدب في زبيد حتى فضل وفاق شيوخه فيه[٣] .

ومنهم العلامة شـرف الدين أبو القاسم بن علـي المعـروف بـابن زبيـدة (ت٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) ، كانت له قراءة في فن الأدب على جمال الدين محمد بن أبي

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ .

(2) المصدر السابق ، ص ٣٢٤ .

(3) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

القاسم المقنشي ، إذ لازمه حضراً وسفراً حتى برع فيه ، وأخذ عن غيره من الأئمـــة ، فكان في الجملة نحوياً محققاً للمعاني والبيان والأصلين والمنطق[١] .

ومنهم كذلك الفقيه اللغوي وجيه الدين عبدالرحمن بن عمر الراعـــي المـــشهور بالعطاب (ت٨٦٤هـــ /١٤٥٩م) ، كان عارفاً بعلم العربية ، محققـــاً لعلـــم المعـــاني والبيان وأوزان الشعر وبحوره ، وكانت له قريحة جيدة ، وأشعاره كثيرة[٢] ، ســـنورد طرفاً منها فيما خصص للأدب من دراستنا هذه .

ومنهم أيضاً العلامة عبدالله بن محمد بن أبي القاسم العكي النجري الحنفي (ت٨٧٧هـــ / ١٤٧٢م) ، درس البيان والمعاني ضمن العلوم التي حصلها في رحلته العلمية التي قام بها إلى مصر في سنة (٨٤٨هـــ / ١٤٤٤م) وذلك بتتلمذه على أيدي نخبة من أفاضل العلماء المصريين المبرزين في علوم شتى[٣] .

وممن اشتغل بعلوم البلاغة في مدة الدراسة العلامة شمس الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي الدواري (ت بعد ٨٨٤هـــ / ١٤٧٦م) ، وهو ممن كثر عليه الطلبة لجودة تدريسه في صنعاء ، وقد صنف شرحاً على كتاب (المدخل في علم المعاني والبيان) الذي صنفه العلامة عضد الدين الإيجي[٤] .

وكان الفقيه شمس الدين علي بن سعيد الزُبَيْدي الجبزي (ت٨٩٣هـــ/ ١٤٨٧م) إماماً فاضلاً ، عالماً بكثير من العلوم والمعارف كالفقه والحديث والمعاني والبيان والحساب والمنطق ، ولم يحصل كل هذه العلوم إلا من عبر رحلة علمية طويلة طاف خلالها مصر والشام ومكة المكرمة والمدينة المنورة[٥] .

ومنهم أيضاً شيخ الإسلام الإمام أبو عبدالله جمال الدين محمد بن أحمد بن علي بافضل الحَضْرَمي (ت٩٠٣هـــ / ١٤٩٨م) الذي ذكرناه فيمن اشتغل بالحديث النبوي

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٣ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٢٣٩ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٣٦ .

(4) أبو الرجال، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، ج ١ ص ٣٧٤ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإســـلامي فـــي اليمن** ، ص ٣٨٥.

(5) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤٩ .

وغيره من علوم الشريعة وتدريسها في مدينة عدن ، وذكرنا أن أغلب علماء عدن وحضرموت في النصف الثاني من القرنين التاسع والعاشر الهجريين من تلامذته وتلاميذهم ، كان لهذا العالم الجليل اهتمام بالبلاغة ، وصنف فيها كتاب (الغيث الهمل في شرح المدخل) ، شرح به كتاب (المدخل في علم المعاني والبيان) الذي صنفه العلامة عضد الدين الإيجي[1] .

وللإمام صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي الوزير (ت٩١٤هـ/١٥٠٨م) عناية بعلوم البلاغة ، واشتغل بها دراسة وتدريساً ، وهو ما أهّله للتأليف والتصنيف فيها ، حيث وضع كتابه (التخليص على التلخيص)[2] في علم المعاني والبيان[3] .

ومن المبرزين في علوم البلاغة كذلك العلامة المرتضى بن قاسم بن إبراهيم بن محمد القطابري (ت٩٣١هـ / ١٥٢٤م) ، الذي كان له اهتمام بالمنطق وعلم المعاني والبيان ، حتى وصفه أحد تلاميذه بقوله : " كان السيد المرتضى بن قاسم إماماً عظيماً ، منطقياً متفنناً ، متقناً محققاً علَماً في المنطق والمعاني والبيان وسائر علوم العربية ... "[4] .

ومنهم أيضاً الإمام العلامة فخر الدين عبدالله بن القاسم بن الهادي بن إبراهيم العلوي (ت٩٦٠هـ / ١٥٥٢م) ، الذي ورد في ترجمته قول أحد تلامذته في وصف علمه : " وأما علمه فلم أرَ أعلم منه ، ولا ترى مثل نفسه في الأصولين والنحو والتصريف والمعاني والبيان ... "[5] .

---

(1) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ومنه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦٨ بلاغة) وهو فيها بعنوان (توضيح الفوائد المنظمة لتجريد القواعد) ، ونسخة أخرى منه في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بحضرموت تحت رقم (٥٣٢) ومسلسل ٢١٠ .

(2) منه نسختان مخطوطتان في مكتبة حفيده المرتضى بن عثمان الوزير في هجرة السر ببني حشيش في اليمن ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧٠ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٨١ .

(4) **المصدر السابق** ، ج ١ ص ١١١٨ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٦٢٨ .

ومن اللافت لنظر الباحث في الحياة الأدبية في اليمن في القرن التاسع الهجري خصوصاً يجد وضوح وشيوع ظاهرة استخدام البديع والمحسنات البديعية بشكل واسع ، فظهر التلاعب بالألفاظ والحروف والإعراب والجناس والإلتزام بحرف معين أو كلمة معينة لنهاية أبيات قصائد كاملة وأحياناً صدور أبياتها أيضاً ، فكان لذلك أثر سلبي على النواحي الجمالية للنصوص الأدبية التي تضمنت ذلك ؛ لأنه جاء على حساب عمق الدلالات وجزالة المعاني والمفردات " حتى كادت النصوص الأدبية تتحول إلى كتل من الألفاظ والأسطر العقيمة ، أو إلى عمل لغوي بحت "[1] ، ومن أمثلة ذلك مجموعة من القصائد وردت في ديوان الإمام الأديب إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ، منها تلك القصيدة التي نظمها الإمام المقرئ في المدح والذم معاً ، فمن أراد بها المدح قرأها على حالها ، ومن أرداد بها الذم قرأ كل بيت من آخره إلى أوله مقلوباً ، بالكلمات لا بالحروف ، يقول فيها :

طَلَبُوا الذي نَالــوا فَمَا مُنِعُوا
رُفِعَتْ فَما حُطَّتْ لَهُمْ رتَبُ

وَهَــبُوا وما مَنَّتْ لَهُمْ خُـلُقٌ
سلِمُوا فَلا أُوْدَى بِهِمْ عَطَبُ

جَلَبُوا الذي يُرْضِي فَما كَسدُوا
حُمِدَتْ لَهُمْ شِيَمٌ وما كَسِبُوا

غَضِبُوا وما سَاءَتْ لَهُم خُلُقٌ
سَتَرُوا فَما هُتِكَتْ لَهُم حُجُبُ

ذَهَــبُوا وما يَمْضِي لَهُم أَثَــرٌ
رَجُوا فَلا حَلَّتْ بِهِم نُوَبُ

حَسَبٌ لَهُم يَزكُــو فَما سَقَطُوا
كَلِمٌ لَهُم صَــدَقَتْ فَمَا كَذَبُوا

---

[1] يحيى محمد سنان ، الشعر اليمني في القرن التاسع الهجري ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، كليــة دار العلوم ، ١٩٩٩م ، ص ٨٦ .

عُصَبٌ بِهِم نُصِرَتْ فَمَا خُذِلُوا

شَرُفُوا فَلا يَدْنُوا لَهم حَسَبُ[١]

وفيها يكون الشاعر محصوراً في ألفاظٍ بعينها تحافظ على اتساق المعنى عند قراءتها على الوجه الآخر ، ولذلك تتكرر اللفظة والمعنى ، وهناك قصيدة أخرى له نشر فيها أشكالاً من الجناس اللفظي التام والناقص ما جعلها – مع التأكيد على قدرته الفائقة في ذلك – تفقد الكثير من رونق الشعر الملبي لذائقة متذوقة ، والقصيدة كانت في مدح السلطان الظاهر يحيى الرسولي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) ، ومما قاله فيها:

يَــزْدادُ هَجْــراً كُلَّ مَا كُلِّمَا

فِيمَنْ بِسَيْفِ الهَجْرِ قَدْ كَلَّمَا

كَلَّمَهُ فِيْ جِفْــنِهِ مُغْــمَدًا

لَوْ سَلَّ مَا فِيْ الجِفْنِ ما سَلَّمَا

....

....

وفَاتِــرُ الألْحَــاظِ مِنْهُ دُمُوْ

عِيْ عَنْ دِماً تَسكبُ أو عِنْدَمَا

قَالُوا : فُتُورُ اللَّحْــظِ قَدْ كَلَّهُ

قُلْتُ لَهُم: لَوْ كَــلَّ مَا كَــلَّمَا

مَهْلاً فَيَحْيَى اليَوْمَ قَدْ هَدَّ مَا

بُنِيَ مِنَ الجَــوْرُ وقَــدْ هَدَّمَا

الظَّاهِرُ المَلِكُ الذي قَطُّ مَا

كَبَحْــرِهِ بَحْــرُ نَدَىً قَدْ طَمَا

مُظَفَّــرُ الجَيْشِ فَمَا حَطَّهُ

للحَــرْبِ إلا حَطَّ مَا حَطَّمَا[٢]

---

(1) ديوان المقرئ ، ص ٣٨٣ ، ٣٨٤ .

(2) المصدر السابق ، ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

وأخيراً نذكر قصيدة الإمام المقرئ التي نظمها في صفر من سنة (٨٣٠هـ / ١٤٢٥م) بطلب من السلطان الأشرف الثالث إسماعيل (ت٨٣١هـ/ ١٤٢٧م) وشرط عليه أن تبدأ صدور أبياتها بكلمة (زبيد) وتختتم جميع أبياتها بالكلمة نفسها ؛ فقال المقرئ فيها :

زَبِيْدُ ، إِذَا ما شِئْتُ سُكْنَى بِبَلْدَةٍ ... فَمَا ثَمَّ فِي الأَرْضِيْنَ غَيْرَ زَبِيْد

زَبِيْدُ هِيَ المأْوَى الذي سُرَّ أَهْلُهُ ... سُرُوراً بِهِ فَاقَتْ بِقَاعَ زَبِيْد

زَبِيْدُ هِيَ السُّلْوَانُ للنَّفْسِ والهَوَى ... فَمَا الهَمُّ مَخْلُوقاً بِأَرْضِ زَبِيْد

زَبِيْدُ، ويَكْفِيكَ اسمُها عَنْ صِفَاتِها ... فَمَا جَنَّةٌ في الأَرْضِ غَيْرَ زَبِيْد

زَبِيْدُ هِيَ الجَنَّاتُ والغِيْدُ حُوْرُها ... فَلا عَيْشَ إلا شِئْتَهُ بِزَبِيْد

زَبِيْدُ لِرُوْحِ المَرْءِ رَوْحٌ ورَاحَةٌ ... فَمَا بَاتَ مُرْتَاحٌ بِأَرْضِ زَبِيْد

زَبِيْدُ بإسْمَاعِيلَ تَزْهُو وتَزْدَهِي ... على كُلِّ مِصْرٍ فَافْخَرُوا بِزَبِيْد

زَبِيْدُ مَتَى تُقْبِل بِهَمِّكَ نَحْوَها ... تَخَلَّتَ وحَدُّ الهَمِّ بَابُ زَبِيْد

زَبِيْدُ تُنْسِي مَنْ أَتَاهَا بأَهْلِهِ ... ولا أَرْضَ تُنْسِي المَرْءَ أَرْضَ زَبِيْد

زَبِيْدُ هِيَ الدُّنْيا فَخُذْها غَنِيمَةً ... لِنَفْسِكَ دَاراً فَالهَوَى بِزَبِيْد[1]

---

[1] المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

(٤) علما العروض والقوافي :

عرف بعض العلماء العروض بأنه : " ميزان الشعر ، يعرف به موزونه من غير موزونه، ويبحث هذا العلم في بحور الشعر والجوازات القافية وخصائص التفعيلة والكتابة العروضية والدوائر والمقاطع ... "[١] ، وهذا العلم هو أحد العلوم التي أدركها العرب وأجادوها بشكل تام ، سليقةً وبدون دراسة ، حتى إن الرجل منهم كان يدرك الكسر في البيت الشعري ويحدد موضعه بدقة ، وتوارثوا هذه المقدرة ، إلا أن منحنى قوتها قد بدأ في الضعف حتى كادت تتلاشى ، فانبرى لها الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هــ / ٧٩١م) فوضع لها قواعد وأوزان تفعيلية ، وسمى كل قاعدة منها بحراً، وأعطى كل بحرٍ اسماً يدل عليه .

ظهرت الحاجة إلى دراسة العروض والقوافي مع مرور القرن ، وكانت الحاجة إليه تكبر لدى المشتغلين بالشعر ونقده أكثر من غيرهم ، وكان في اليمنيين من اهتم به كثيراً وشارك فيه وأسهم في تدريسه ، واتجه إليه الطلبة للأخذ والتلقي ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل ظهر في اليمن علماء متضلعون كانت لهم مصنفات قيمة تؤكد براعتهم وتفوقهم في العروض[٢] ، كما قام البعض بنظم قواعده شعراً[٣] ، وقام البعض الآخر بكتابة الاستدراكات على بعض المصنفات الشهيرة والمعتمدة فيه ، وبعضهم سلك مناهج الأندلسيين في علم العروض فصنف كتاباً جعله على حساب الجمل ، وجعل في كل ضربٍ من بحورها خمسة أبيات يمدح بها السلطان الأفضل الرسولي[٤] .

وتعــود بدايات تصنيف العلماء والأدبــاء اليمنيين في علــم العــروض إلى منتصف القرن السادس الهجري ، إذ كان أولهم تصنيفاً فيه – كما تورده بعض

---

(1) محمد سعيد إسبر وآخر ، **الشامل : معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها** ، دار العودة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ص ٥٩٣ ، ٥٩٤ .

(2) بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ١٥٢ ، ٢٥١ .

(3) الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٤١٦ .

(4) الخزرجي ، **العقد الفاخر الحسن** ، ق ١٤٥ – ب ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعــز**، ص ٤٠٥ .

المصـــادر – هو العلامة محمد بن يحيى الزبيدي الحنفي (ت٥٥٥هـ / ١١٦٠م)[1]، ويفوقه شـهرةً محمد بن الحسـن الصمعي (ت٦٧٦هـ / ١٢٧٧م) ، وهو حنفي كسابقه أيضاً ، كان بارعاً في النحو والعروض وتولى تدريسهما – إضافةً إلى فقه الإمام أبي حنيفة رحمه الله – في المدرسة المنصورية الحنفية بزبيد ، وألف في علم العروض كتابه (الغاية والمثال في العروض)[2] .

وقد خلّفَ الرواد اليمنيين في علم العروض عددٌ آخر ، لم يكونوا بأقل من سابقيهم عناية واهتماماً ، بل فاق بعضُهم السابقين فيه ، حتى مطلع القرن التاسع الهجري كان لهذا العلم حضورٌ لا بأس به في الوسط العلمي في اليمن ، واهتم غير واحد من العلماء ، ودرسه الطلبة في المدارس العلمية والجوامع الكبرى ، وألفت فيه المصنفات ، إلا أن ما بذل في العناية بتدريس العروض كان أكثر وأشهر – بحسب المصادر المتوافرة – من التصنيف فيه ، إذ يلمس المتابع قلة ما ألفه اليمنيون في علم العروض مقارنة بما ألفوه في فروع المعرفة الأخرى .

من العلماء المشهورين بالاهتمام بالعروض في مدة الدراسة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين نذكر الفقيه علي بن أحمد بن سـالم الزبيدي (ت٨١٨هـ / ١٤١٥م) ، الذي كان ممن تولى تدريسه في بعض مدارس مدينة تعز كالمـدرسة المجاهدية[3] ، كانت له معرفة تامة بالعروض حتى قال عنه الفاسي[4] : " كان بصيراً بالفقه والعربية والعروض والفرائض والحساب وغير ذلك ... " .

ومنهم أيضاً الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) الذي كان موسوعياً لكثرة ما أتقن من العلوم ، وكانت له المكانة العليا والمنزلة السامية بين أقرانه من العلماء اليمنيين ، وكانت معرفته في العروض ذات عمق خاص لأنه كان من

---

(1) القرشي ، **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ، تحقيق د. محمـد عبـدالفتاح الحلـو ، دار العلـوم ، الرياض، ١٩٧٨م ، ج ٣ ص ٣٩٤ ، الحموي ، **معجم الأدباء** ، ج ١٩ ص ١٠٦ – ١٠٨ .

(2) السيوطي ، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، ج ١ ص ٩١ ، الأفـضل الرسـولي ، **العطايـا السنية والمواهب الهنية** ، ص ٥٧٤ .

(3) الفاسي، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين**، ج ٦ ص ١٣٤ ، السخاوي، **الضوء اللامع** ، ج٥ ص١٨٢ ، ١٨٢ ، ١٨٣.

(4) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

أبـــرز شعـــراء اليمن في عصره ، بل ومن أشعر اليمنيين في تاريخهم الإســـلامي ، فالعروض عنده لم يكن إطاراً معـــرفياً نظرياً فقـــط ، بل كان العروض لديه إطـــاراً تطبيقياً من خلال أشـــعاره الكثيرة التي سيأتي الحديث عنها .

أسهم الإمام إســـماعيل المقرئ في نشر علمي العروض والقوافي من خلال تدريسه إياهما – مع غيرهما من العلوم – في عدد من المدارس الرسولية بمدينة تعز وزبيد ، كما ألف فيهما ، إذ أفرد للعروض مساحة في كتابه الشهير (عنوان الشرف الوافي في الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي) ، وقد أوضح هو بنفسه في مقدمته أن تأليف الكتاب جاء بأمر من السلطان الأشرف إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، يقول المقرئ : " أمر بتأليف هذا الكتاب وجمعه مولانا السلطان الملك الأشرف إسماعيل بن العباس – أدام الله أيامه – وبعد ، فهذا الكتاب ألفته في العروض ... "[١] ، وألحق بالكتاب السابق أيضاً جزءاً صنفه في علم القوافي قال في مقدمته : " وبعد فينبغي للناظر في علم القوافي أن يعرف المقيد والمطلق ، ثم المردف منها ، ثم المؤسس والوصل والخروج ، ثم الحروف والحركات ... "[٢] ، وقد انفرد الحبشي[٣] بالقول أن لإسماعيل المقرئ كتاباً آخر في العروض والقوافي طُبع في الهند في سنة ١٨٥٥م في ١٠٥ صفحات .

وممن اعتنى بالعـــروض أيضاً المقـــرئ العالم شـــمس الدين علي بن أبي بكر الســـحولي (ت٨٥٢هـــ / ١٤٤٨م) ، فقد وردت الإشارة في ترجمته إلى أنه كان ذو يد طولى في علم النحو واللغة والعروض وعلم القوافي وشواهد العرب وأمثالها ، مع مشاركته في علوم الفقه والمنطق والحكمة[٤] .

ومنهم أيضاً الفقيه اللغوي وجيه الدين عبدالرحمن بن عمـــر الـــراعي المشـــهور بالعطاب (ت٨٦٤هـــ /١٤٥٩م) المذكور في علوم اللغة والبلاغة ، قال

---

(1) المقرئ، عنوان الشرف الوافي، ص ٣٤ – ٣٧ .

(2) المصدر السابق ، ص ٣٦ – ٣٩ .

(3) مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٣٨٤ .

(4) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١١٢ .

عنه البريهي[١] : " كانت له معرفة بعلم العربية ، وكان محققاً لعلم المعاني والبيان وأوزان الشعر وبحوره ... وكانت له قريحة مطواعة وخط حسن ... " .

ومنهم كذلك الأديب جمال الدين محمد بن أحمد الجبرتي (ت في آخر القرن التاسع الهجري) الذي كان على معرفة كبيرة بالنحو واللغة وبحور الشعر وما يتعلق بها ، وكانت له قريحة قوية وبديهة رائعة ، مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغرر القصائد[٢] .

ومنهم كذلك الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) ، المشهور بكثرة علومه ومصنفاته ، جاء في قائمة كتبه ومؤلفاته عنوان كتاب في العروض شرح به منظومة الشيخ أبي الجيش الأندلسي[٣] .

وآخر من اشتغل من علماء اليمن بالعروض والقوافي في مدة الدراسة هو الإمام العلامة محمد بن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي (ت ٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) الذي صنف كتباً عدة في فروع المعرفة المختلفة ، منها في العروض والقوافي كتاب (المختصر الشافي في علم العروض والقوافي)[٤] .

---

(1) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣٩ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٢٧٩ .

(3) **الشلّي ، السنا الباهر** ، ص ٢١٢ ، ومنها نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٨٨ مجاميع) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٣٨٦ .

(4) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٥ عروض) ، وأخرى بمكتبة الأمبروزيانا تحت رقم **A105** ، ونسخة ثالثة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٥ مجاميع) ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(٥) الأدب :

إن الحديث عن الأدب متشعب وواسع ، بل هو أوسع الأبواب في ما أجاده العرب وعُرِفوا به منذ ما قبل الإسلام حتى اليوم ؛ لأنه متعلق باللغة وإجادة صياغتها ونظمها في قوالب تتميز بالبلاغة وقوة التأثير وسهولة الفهم والقابلية للتذوق اللغوي والدلالي ، ونحن إن تحدثنا عن الأدب فذلك يعني أننا نتحدث عن نوعين أو شكلين لا يخرج كلام العرب في مجموعه عنهما ، أولهما النثر وثانيهما الشعر ، وقد عرف ابن خلدون[1] الأدب فقال : إنه " الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم ، فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة ، وسجع متساوٍ في الإجادة ، ومسائل من اللغة والنحو مبثوثة أثناء ذلك متفرقة، يستقرئ منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية ، مع ذكر بعضٍ من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها ... ثم إنهم إذا أرادوا حدَّ هذا الفن قالوا : الأدب هو حفظ أشعار العرب وأخبارها ، والأخذ من كل علمٍ بطرف ، يريدون من علوم اللسان أو العلوم الشرعية من حيث متونها فقط وهي القرآن والحديث ، إذ لا مدخل لغير ذلك من العلوم في كلام العرب ... " .

تعويلنا على تعريف ابن خلدون للأدب والأديب كبير ؛ لأنه معاصر للمدة التي ندرسها ، إذ أنه توفي سنة (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، ومما لا شك فيه أنه عبّر عن المفهوم الشائع الذي كان يدركه معاصروه لدلالة مصطلحي الأدب والأديب ، وتعريف ابن خلدون صدر عنه وهو في المغرب قبل انتقاله إلى مصر ، ولم يقم بالتعديل فيه بما يؤكد أنه هو التعريف عينه الذي قرنه المصريون بالمصطلح نفسه ، ولم يكن اليمنيون بمختلفين عن أقرانهم في العالم الإسلامي قاطبةً في مصادر العلوم والاتفاق حول مصطلحاتها ، ولهذا فإننا سنسقط تعريف ابن خلدون على الشريحة العلمية اليمنية بكل اطمئنان لنجد أن من ينطبق عليهم تعريف الأديب وشروطه من جمعٍ وحصرٍ لأشعار العرب وأخبارها ، وأخذٍ من كل علمٍ من العلوم القائمة عموماً وعلوم العربية والشريعة القرآنية والحديثية بطرف ، وما ينجم عنه من تكوين ملَكَة إجادة الشعر والنثر ، سنجد أن من ينطبق عليهم هذا التعريف يمثلون شريحة واسعة جداً من علماء اليمن وطلبة العلم في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، فدور المخطوطات ومكتباتها الخاصة

---

[1] ابن خلدن ، **مقدمة ابن خلدون** ، ج ٣ ص ١١٣٨ ، ١١٣٩ .

والعامة تزدان بمئات الدواوين ، والمصادر التاريخية وكتب الطبقات مزدهرة بالاقتباسات والشواهد الأدبية من كلام المترجم لهم بما يعكس ازدهار الأدب وانتشار الأدباء على مجمل الساحة اليمنية من أقصاها إلى أقصاها .

ولكي نقوم برصد اهتمام اليمنيين في مدة الدراسة بالأدب في شكليه الرئيسين واهتمامهم به فلابد لنا من تناوله تحت عناوين رئيسين هما (الشعر والنثر) كما يأتي :

☒ الشـــــعر :

الشـــعر في دلالته المجردة هو مصطلح يطلق على نوعٍ محددٍ من كلام العرب له مبنى وتركيبٌ معين ، فهو ذلك الكلام المـــوزون المقفى الذي تكون أوزانه على روي واحد وهو القافية[1] ، وهذا التعريف ينحصر في الإشارة إلى شكل الكلام وتوزيعه ووزنه ومبناه الظاهري ، ولا يتطرق إلى جوهره ودلالاته المعنوية ، بمعنى أن كل كلام عربي موزون ومقفى فهو شعر وإن انعدمت فيه المعاني القوية والمؤثرات التي تغذي ذوي الذائقة الأدبية الرفيعة من المتلقين والباحثين في الشعر عن المعاني والدلالات ، وعلى هذا الأساس فإن اليمن منذ عهود الجاهلية قد أنجبت شعراء مجيدين فاق بعضهم أقرانهم ونظرائهم في العالم العربي ، وأقرب شخصية شعرية يمنية يمكن الإشارة إليها الشاعر الشهير امرئ القيس بن حجر الكندي الحضرمي صاحب واحدة من المعلقات .

وعلى مر التاريخ الإسلامي لليمن نراها تشهد نهضة أدبية وشعرية كبيرة ، وبرز من بين أبنائها شعراء فحول ، كما كانت المقدرة على نظم الشعر شائعة بين اليمنيين ، فقلما وجد من أعلامها – من خلال المصادر المتوافرة – من لا يشار إليه بعدم قول الشعر أو حبه وحفظ الكثير منه ، وهو السبب الذي جعل الشاعر يحتل منزلة سامية داخل المجتمع اليمني ، فقد كان بمثابة المنبر الإعلامي الذي يفوق تأثيره كثيراً من وسائل الترويج الأخرى ، وهو ما حدا بالأمراء والحكام والسلاطين والأئمة ووجوه المجتمع إلى محاولة كسب ولاء المبرزين من الشعراء في طريق اكتساب من يصل تأثيرهم إليهم .

وقد تعـــددت أســـباب ازدهار الشعر في القرنين التاسع والعاشر الهجريين وتنوعت بشكل كبير ، ونستطيع أن نحصر أهم الأسباب فيما يلي :

---

(1) القنوجي ، أبجد العلوم ، ص ١٥٧ .

- **أسباب دينية عامة أو مذهبية وفكرية :**

كان واضحاً في الفصول السابقة مدى التنافس المذهبي والفكري بين اليمنيين عموماً وكبار علماء المذاهب ورموزها العلمية خصوصاً ، وما ذكر سابقاً استمر على مدار القرون التالية ، وكانت الشريحة المنخرطة في إطار ذلك الصراع تتسع أحياناً لتشمل السياسيين والشعراء ، فكان الشعر يسجل حضوره في كثير من هذه الحلقات التنافسية ، وكان الشعر في هذا الباب في الغالب هو ما يصدر عن الفقهاء والعلماء جنباً إلى جنب مع مصنفاتهم ، كما كان بعض الشعراء يقوم بنظم القصائد الداعية إلى تدعيم بعض أسس الدين إجمالاً بدون النظر الضيق إلى رؤى المذهب وأفكاره ، كالحديث عن وحدانية الله تعالى أو الدعوة إلى التوكل والاحتساب ، وقد أسهم ذلك بشكل أو بآخر في ازدهار الشعر في اليمن في الأوساط العلمية ، وسنستعرض بعضاً من ذلك في الصفحات القادمة .

- **أسباب سياسية :**

عند الحديث عن هذا السبب كواحد من عوامل ازدهار الشعر في مدة الدراسة هذه فإنه من اللازم علينا استحضار ما ذكر في الفصل الثاني من صور الصراع السياسي الرهيب بين القوى اليمنية المختلفة والمتباينة في خلفيات وجودها وقيامها القبلية والمذهبية وغيرها وفي أسباب الصراع وحيثيات الصدام ، وعندها نقول : إن الشعراء كانوا أحد الأدوات التي أقحمت في ساحات المعنوية للمعارك ، فقد كان الشاعر – كما سبق إيضاحه – أحد أبرز الوسائل الإعلامية الترويجية التي تقوم بصنع هالة من الفخامة والقداسة على الحاكم وعلى أهداف دخوله الصراعات ، كما أنه منبر فاعل في النيل من الروح المعنوية لدى الطرف المقابل ، وقد رفع من مستوى المكانة التي التي احتلها الشعراء لدى الساسة في اليمن إن أولئك الساسة أنفسهم كانوا إما شعراء كبار لهم باع طويل في نظم الشعر ونقده، أو أنهم من المتذوقين للشعر المقدرين لجمالياته وتأثيره ، وممن لديهم القدرة على تقدير غثه من سمينه .

كان البلاط الرسولي – على سبيل المثال – محفوفاً بالشعراء الكبار ، كما كان أولئك الشعراء محاطون بالرعاية والعناية ، وحظي كثير منهم بعطاءات طائلة أثروا من خلالها كما سيأتي بيانه .

يضاف إلى ما مضى حالة الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي التي تمتعت بها أراضي العمق الرسولي والطاهري في أغلب الفترات ، وهي بدورها أفرزت توفر أجواء مشجعة للإبداع الأدبي عموماً والشعري خصوصاً ، وذلك هو ما دفع بروكلمان[١] إلى القول بـــ: " وقد ساعد الاستتباب الذي ساد اليمن إبان حكم الرسوليين والطاهريين على قيام نشاط أدبي فياض كان مركزه معاهد العلم في زبيد ، وهي على قصورها قد أبقت اليمن على صلات نشطة مع ســائر الأصقاع الإســلامية " .

- **أسباب اجتماعية :**

كان التركيبة الاجتماعية للمجتمع اليمني في مدة الدراسة – امتــداداً لما كانت عليه في قــرون سابقة – متنوعة ومتعددة الشــرائح ، كما احتوت على عدة طــوائف وفئات عرقية ودينية ، فمن الناحية العرقية كانت هناك الأغلبية العظـــمى العــربية الأصل المتجــذرة في أرض اليمن منذ آلاف السنين ، وتتشكل في تجمعات قَبَلِيّة متناثرة في أنحـــاء المساحة الجغــرافية لليمن الطبيعية ، وتراوحت مستوياتها المعيشية والاجتماعية بين العلو والانخفاض ، وتمايزت منازلها وتأثيراتها تبعاً لعوامل كثيرة ليس هذا المقام مناسب لعرضها ، فتشكلت منهم شرائح متعددة مثل : أرباب الدول من الحكام والسلاطين والأئمة والوزراء والأمراء والقادة العسكــريين ، كما انحــدر منها العلماء والقضاة والفقـــهاء ، والتجـــار والحـــرفيون والفـــلاحون ، ومن الناحية العـــرقية أيضاً وُجــدت في آخر الســـلم الاجتماعي طـــوائف المـــماليك والعبيد والأخـــدام اللتان تمـــيزتا – حتى اليوم – بلـــون ومـــلامح خاصة بعـــيدة عن المـــلامح العامة لأهـــل البـــلاد ، وينكـــر في الأخـــير اليهـــود ، الطائفـــة الدينية الوحـــيدة التي كانت تعـــود بدايات وجـــودها وظهـــورها في اليمن إلى فـــترات تاريخـــية قـــديمة تعـــود إلى العهد الحِمْـــيَري ، وكانت – ولا تزال – حاضرة في اليمن في زمن الدراسة[٢] .

---

(١) **الأدبيات اليمنية** ، ص ١٤١ .

(2) الحميري ، **ملوك حمير وأقيال اليمن** ، تحقيق علي بن اسماعيل المؤيد وآخر ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٧٦م ، ص ٤٧ ، فضل علي أبو غانم ، **القبيلة والدولة في اليمن** ، دار المنار ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ١٧٩ ، ٢٤٤ ، أحمد فخري ، **اليمن ماضيها وحاضـــرها** ، بيـــروت ، المكتبـــة

وقد عاش الشعراء اليمنيون في القرنين التاسع والعاشر الهجريين في مجتمع يضم ذلك العدد من الفئات والشرائح المختلفة والمتباينة – نوعاً ما – وبما فيها من أصيل ودخيل ، وغني وفقير ، وحاكم جائر ، وسلطان أو إمام عالم عادل ، وبدوي متمرد ، وفلاح وديع ، وكانت السمة الغالبة هي الصبر والتسامح ، فرغم ما يعانيه هذا المجتمع من فتن وحروب ومجاعات وكوارث وأوبئة إلا أنه استمتع بأفراحه وأعياده واحتفالاته الدينية والاجتماعية وغيرها ، وكان الشعر حاضراً يسجل ويؤرخ لتفاصيل غفل عنها أكبر المؤرخين كما سنرى قريباً[١] .

▪ أسباب أخرى :

من أسباب ازدهار الشعر أيضاً تناسخ التجارب الشعرية والأدبية بين الشعراء اليمنيين وغيرهم من الشعرء غير اليمنيين ، وتم ذلك من خلال ما استجلبه الشعراء اليمنيون من الدواوين الشعرية المشهورة خارج اليمن ، وقد يدهش البعض عندما يعلم أن خزانة كتب خاصة واحدة فقط كانت للفقيه – وألفت الانتباه إلى كون الرجل فقيهاً – عمر بن علي العلوي (٧٠٣هـ / ١٣٠٣هـ) قد حوت خمسمائة ديوان من دواوين الشعر[٢] ، وكان لأدباء اليمن ولع واهتمام بدواوين شعراء العربية الكبار وبعدد من القصائد المميزة لبعضهم ، فكان بعضهم مضرب المثل في عصره في معرفة كتب الأدب وكثرة المحفوظات المنظومة والمنثورة ، حتى قيل أن محفوظاته من الشعر قد زادت عن عشرة آلاف بيت[٣] .

ومن ناحية الشعراء أنفسهم كانت الحظوة التي لاقوها من عموم المجتمع وأعلامه سبباً ودافعاً كبيراً للتميز وإثبات الحضور ، فإن اشترك هذا العامل مع

اليمنية ، صنعاء ، ط ٢ ، ١٩٨٨م ، ص ٣٥ ، عباس علي الشامي ، **يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها** ، سلسلة كتاب (المسيرة اليمانية) ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م ، ص ٤٧ ، د. شائف عبده سعيد ، **الحياة الاجتماعية في اليمن في عهد الدولة الرسولية** ، ضمن أبحاث ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية ، جامعة عدن ، عدن ، ٢٠٠١م ، ص ٤٣ ، .

(1) يحيى محمد سنان ، **الشعر اليمني في القرن التاسع الهجري** ، ص ١٢١ .

(2) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ١ ص ٢٩٥ .

(3) المصدر السابق ، ج ١ ص ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، الجَندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٢٩ ، بامخرمة ، **تاريخ ثغر عدن** ، ص ٢٣٥ .

العامل السياسي إلا أننا هنا ننظر إليه بعين الشاعر نفسه لا بعين القائد والسلطان والحاكم الذي استغل موهبة الشاعر ، ومن المشهور أن ذلك كان يمنحهم حياة رغيدة وعيشة مريحة لم ينلها كثير من أبناء المجتمع ، وتشهد بذلك المصادر التاريخية والأدبية المتوافرة[١] .

وقد تعددت أغراض الشعر اليمني في القرن التاسع والعاشر الهجريين فشملت كل ما عرفته العرب من أعراض المدح والفخر والهجاء والغزل والرثاء وغيرها ، كما كان الشعر السائد آنذاك على ضربين ، **الأول** : شعر فصيح بليغ يتقيد بالقواعد الصرفية والعروضية أطلق عليه بعض الباحثين (الشعر الحِكَمي)[٢] وهو الغالب في نظم الشعراء ، **والثاني** : شعر ملحون تظهر عليه بعض صور انكسار الأوزان الخليلية ، ولا يلتزم بقواعد الإعراب ولا المصطلحات والاشتقاقات الصرفية والعروضية التي تحويها أدبيات الأدب العربي ، وتظهر فيها العديد من المفردات العامية الدارجة ، وهو ما يعرف بـ (الشعر الحُمَيْني) ، وكان لبعض شعراء زبيد وكوكبان دواوين كاملة منه ، وذهب البعض إلى أن (الشعر الحُمَيْني) كان جُلُّ نظمه في الغناء والأناشيد[٣] .

ويمكننا حصر مجالات الشعر اليمني وأغراضه في عدد من الفئات ، مع ملاحظة أن التحرر من استخدام المصطلاحات التي اعتاد النقاد ودارسو الأدب على استخدامها وإطلاقها على أغراض الشعر العربي في عمومه جاء من منطق مسايرة ما وفرته المصادر المتوافرة لدينا من مادة أدبية ، وهذه هي الفئات التي يندرج تحتها شعر اليمنيين في مدة الدراسة :

---

(1) وطيوط ، **تاريخ المعلم وطيوط** ، صورة عن نسخة بالمكتبة المركزية ، جامعة صنعاء ، ق ٤٣ – أ ، **ديوان المقرئ** ، ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤٠ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ .

(2) عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٣٢ .

(3) عبدالله قائد العبادي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٧١ ، الشامي ، **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، ج ٤ ص ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، الحضرمي ، **جامعة الأشاعر** ، ص ٧٣ .

■ (أ) الشعر الديني (أدب الفقهاء) :

معظم ما وصل إلينا من شعر اليمنيين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين في هذا الباب هو من منظومات الفقهاء والعلماء أنفسهم ، وندر ما جاء فيه من قصائد لشعراء لغيرهم ، خاصة أن ما يمكن أن يقال في الشأن الديني يستلزم إحاطة بأبجديات العلم – كحدٍ أدنى – التي تقي الشاعر من الزلل فيما لا مجال فيه للخطأ ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر فإن الشعراء من غير الفقهاء انصرفوا إلى الاهتمام بأمور أخرى بسبب عوامل متعددة ذكرناها آنفاً ؛ ولهذا نجد أنفسنا مضطرين إلى إطلاق هذا النوع من الشعر بـــ (شعر الفقهاء) أو (أدب الفقهاء) ، ولا نغفل عن لفت الانتباه إلى أنه بالرغم من قدرة كثير من الفقهاء على قول الشعر إلا أنه من النادر أن عُثِرَ لهم على دواوين كاملة ، وأغلب ما وصلنا من أشعارهم هو نتف يسيرة متناثرة في مصادر التاريخ وكتب التراجم ، وكثير منه محصور في أغراض محددة كرثاء شيخ أو قريب ، أو عتاب لأستاذ أو زميل أو أمير ، أو مناجاة وتوسل لله عز وجل ، أو تمجيد ومدح للذات العلية سبحانه وتعالى وما في حكم ذلك ، أو ما يصنف في إطار التنافس المذهبي الطائفي .

ومن مميزات الشعر في هذا الباب أن معظمه يتميز بالتزامه بالأخلاق الإسلامية والاجتماعية العامة ، فَقَلَّتْ فيه شواهد المديح المفرط والسعي للتكسب به أمام أبواب الســــلاطين وأرباب الدولة[1] ، ولعل مرد ذلك إلى ارتفاع مستوى الوعي لدى الفقهاء بالموانع الشرعية وبعواقبها المترتبة عليه كقوله تعالى : وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا ... ﴿٢٢٧﴾[2]، كما أنه يتميز أيضاً باحتوائه على الكثير من اللفتات العلمية والحكم التربوية .

وأهم جانب من جوانب أدب الفقهاء هو قيام عدد منهم بنظم الكتب المشهورة التي كانوا يتداولونها بينهم درساً وتدريساً ، وذلك في إطار السعي لتسهيل دراستها وحفظها ، فنظمت كثير من الكتب على أيديهم ، وقد تضمن الفصل السابق وسيتضمن

---

(1) الحبشي ، حياة الأدب اليمني في عهد بني رسول ، ص ١٥٥ .

(2) سورة الشعراء .

الفصل القادم عدداً لا بأس به من المنظومات التي وردت ضمن التراث علماء اليمن ، وقد بلغ بعضها من الطول ان زاد عدد أبياتها على خمسة آلاف بيت[1] .

ومن أشهر الفقهاء الذين خلَّفوا دواوين – تم العثور عليها – تضم أغلب ما نظموه من الشعر ، أو وردت الإشارة إلى أن ثمة دواوين قد جمعوا فيها أشعارهم ، يأتي العلامة عبدالرحمن بن محمد بن يوسف العلوي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، والإمام عبدالرحيم بن علي البُرَعي الهاجـري الصوفي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، والعلامة الأديب – حريري الزمان – برهان الدين إبراهيم بن إسماعيل الجحافي (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ، والإمام المؤرخ أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ، والفقيه الأديب الشاعر علي بن محمد بن إسماعيل الناشري (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ، والعلامة يوسف بن عمر العطاب (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م)، الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) ، الأديب عبدالله بن أبي بكر المزاح (٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) ، أحمد بن عمر القيزم (ت٨٣٥هـ / ١٤٣١م) ، والإمـام إسـماعيل بن أبي بكر بن عبدالله المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ، تقي الدين أبو حفص عمر بن أبي القاسم بن عمر بن أبي القاسـم بن معيبد الشـهير بالتقي ابن معيبد (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ، والإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، والعلامة علي بن أبي بكر الناشري (ت٨٤٤هـ / ١٤٤٠م) ، والأديب علي بن محمد بن الحسن بن عيسى بن العليف (ت٨٤٧هـ / ١٤٤٣م) ، وأخيه الأديب حسين بن العليف (ت٨٥٦هـ / ١٤٥٢م) ، والعلامة عبدالرحمن بن إبراهيم بن إسماعيل العلوي (ت٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) ، والداعي الإسماعيلي المطلق عماد الدين إدريس بن الحسن القرشي (ت٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) ، والعلامة عبدالله بن محمد النجري (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) ، والعلامة يحيى بن المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي (ت٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) ، والفقيه المتصوف عمر بن عبدالرحمن بن محمد السقاف (٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) ، الفقيه العلامة أبو بكر

---

[1] هي منظومة (تحفة الطلاب في منظومة الإرشاد) التي وضعها الإمام أحمد بن عمر المُزَجَّد (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) على كتاب شيخه الإمام إسماعيل المقرئ الموسوم بـ(إرشاد الغاوي في مسالك الحاوي) في فقه الشافعية ، وقد بلغت خمسة آلاف وثمانمائة وأربعين بيتاً ، العيدروس ، النور السافر ، ص ١٢٩.

بن محمد بن أبي بكر الحرضي (ت٨٩٤هـ / ١٤٨٨م) ، والفقيه الصوفي علي بن أبي بكر السقاف (ت٨٩٥هـ / ١٤٨٩م) ، والفقيه الأديب الصوفي أبو بكر بن عبدالله العيدروس (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م) ، والفقيه الشيخ عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله باشُمَيْلَة (ت٩١٦هـ / ١٥١٠م) ، الشيخ الفقيه الصوفي محمد بن علي بن إبراهيم الشهير بعبدالهادي السودي (ت٩٣٢هـ / ١٥٢٥م) ، والفقيه الأديب موسى بن يحيى بهران (ت٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م)[1] .

فمن أشعار الفقهاء في تعظيم الله تعالى ومدحه ، وذكر بعض أسمائه وصفاته يقول الإمام عبدالرحيم البرعي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) :

مَلِكٌ تَدينُ لهُ الملوكُ ويلْتَجي	يومَ القيامةِ فقْرُهمْ بِغناهُ
هوَ أولٌ ، هوَ آخرٌ ، هوَ ظاهرٌ	هوَ باطنٌ ليسَ العُيُونِ تراهُ
حَجَبَتْهُ أسرارُ الجلالِ فدونهُ	تَقِفُ الظنونُ وتخرسُ الأفواهُ
صَمَدٌ بلا كفؤٍ ولا كيفيةٍ	أبداً ، فما النُظراءُ والأشباهُ؟!!
شهدتْ غرائبُ صنعهِ بوجودهِ	لولاه ما شهدتْ بهِ ، لولاهُ[2]

وله أيضاً في الغرض نفسه :

سُبحان من عنتِ الوجوهُ لوجههِ	وله سُجود ، أوجهٌ ، وجباهُ
طوعاً وكرهاً خاضعين لعزهِ	فلَهُ عليها الطُوعُ والإكراهُ
سلْ عنهُ ذرات الوجودِ فإنها	تدعوهُ معبوداً لها ، ربَّاهُ
تجري الرياحُ على اختلافِ هُبُوبها	عن إذنهِ والفُلكِ والأمواهُ
ربٌ رحيمٌ مشفقٌ متَعَطِّفٌ	لا ينتهي بالحصرِ ما أعطاهُ[3]

ومن أشعارهم في الإشارة إلى صفات الله تعالى ومدحه والدعوة إلى توحيده وتعظيمه يقول الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) :

والعِزُّ من أوصافِهِ فاترك حِمىً	للعِزّ ترعاهُ مخلوقاتُهُ

---

(1) انظر عناوين هذه دواين هؤلاء الفقهاء وأماكن وجود نسخها المخطوطة والمطبوعة عند الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٢٢ – ٤٢٨ .

(2) **ديوان عبدالرحيم البرعي** ، دار الكتب الثقافية ، صنعاء ، (د ، ت) ، ص ١٠ .

(3) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

ما كان يُطْلِعَكم على الغيبِ الذي | يخفى ، بهـذا صـرَّحتْ آياتـهُ
يا مُسْتَرِيباً في الوجود جَنَتْ على | معقولـه الـدَّعوى ومـشتبهاتهُ
كيف التَّولِّي عـن تولِّيـه لنـا | وجميعُ ذي الأكـوان محمولاتُـهُ
ما حاملٌ للكـونِ بعـد وجـوده | في الجوِّ صَحَّ على الهواءِ ثَبَاتُـهُ
ما تحته ، ما فوقه ، ما المنتهـى | مـا ثـمَّ إلا الله أو كلماتُـهُ[1]

وله أيضاً في الوقوف على بعض أسماء الله الحسنى التي تتجلى من خلالها العظمة والسعة المتناهية في الكرم قوله :

سـميعاً حـين أدعـوهُ عليمـاً | مُجيباً لـستُ أخـشى منـهُ لَيَّـا
رحيمـاً واسـعاً ملكـاً رؤوفـاً | كريمـاً واحـداً بَـراً حييَّـاً
إذا ناجيتُـه والليـل داجٍ | أجـابَ ولـمْ يُباعـدني نجيَّـا
ويـسمعُ حـينَ أدعـوهُ خَفِيَّـاً | ويـرحمُ حـينَ آتيـه لَجِيَّـا
ويسعى إن أتَيْـتُ إليـهِ مـشياً | ويستُرُ حـين يُبْـصرني مُـسيًّا
ويلطفُ بي ويعطفُ بعد بُعْـدي | ويمـلأُ مِـنْ أياديـه يَـدَيَّا
وكمْ من ليلـةٍ أمـسى غفـوراً | يُـستِّرُني وبِـتُّ بهـا غَوِيَّـا[2]

ومن أشعار الفقهاء الرائعة في مناجاة الله جل وعلا ما ورد عن الفقيه العلامة الشهاب أحمد بن مطهر بن موسى الحميري الموسوي (ت بعد ٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) ، قال مناجياً ربه :

سَـألْتُكَ باللهِ يـا سَـامِعَ النِّـدَا
وَيَا مَنْ لَهُ النَّعْمَاءُ والجُودُ والجِدَا
بِحَقِّكَ يَا مَنَّانُ أَصْلِحْ سَـرِيْرَتِي
وَحَقِّقْ رَجَائِي وَآتِ نَفْسِي لَهَا الهُدَى
وكُنْ لِي كُنْ لِي مُعْطِياً ومُلاطِفَاً
شَفِيْقَاً رَفِيْقَاً وَاحْمِ رُوْحِي مِن الرَّدَى

---

[1] ديوان محمد بن إبراهيم الوزير ، عناية علي بن إسماعيل المؤيد وآخر ، المطبعة السلفية ، القـاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م ، ص ٢١ .

[2] المصدر السابق ، ص ٥٥ .

ولِلْيُسْرِ يَسِّرْنَا وَلِلْرُشْدِ فَاهْدِنَا
وَبِالعَفْوِ سَامِحْنَا لَدَى فَاقَتِي غَدَا[1]

وهـــذا هو القاضي وجـيه الدين عبدالرحـــمن بن محمد النحـــواني (ت٨٢٣هـــ / ١٤٢٠م) ممن يرفضون الوقوف على أبواب الحكام ، وينفر من ذلك جداً ، وقد قال ناصحاً غيره من العلماء الذين يراهم يترددون على أبوابهم :

اقنعْ تَعِزُ ، ولا قناعةَ في تعزْ[2]
إلا إذا استبدلت عنها أرضَ عِــزْ

لا خــيرَ في فخــرٍ يُنالُ بِذِلَّةٍ
والخيرُ في خَفْضٍ إذا هو جَا بِعِزْ

فإذا قنعتَ ولم تكــن تأتيْ إلى
الملكِ العزيزِ[3] فإنكَ الملكُ المُعزْ[4]

كان الفقيه اللغوي وجيه الدين عبدالرحمن بن عمر الراعي المشهور بالعطـــاب (ت٨٦٤هـــ /١٤٥٩م) عارفاً بعلم العربية ، محققاً لعلم المعاني والبيان وأوزان الشعر وبحوره ، وكانت له قريحة مطواعة ، وأشعاره كثيرة ، وله في المدح للكبراء والأمراء قصائد كتبها بخطه الحسن الذي اشتهر به ، فأجازوه حتى أثرى وكثر ماله ، واستطاع أن يقضي كل ديونه ، ولما كانت مدائحه في غاية الفصاحة أنكر بعضهم نسبتها إليـــه ، وخاصة إحدى قصائده الغرر التي مدح بها الإمام الزيدي المنصور بالله علي بن الإمام الناصر صلاح الدين (ت٨٤٠هـــ / ١٤٣٦م) فمما قاله رداً عليهم :

وقَــالُــوا سِــنُّهُ سِــنٌّ صَــغِيْرٌ

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٧ .

(2) تعز الأولى فعل عكسه : تذل ، و تعز الثانية اسم المدينة اليمنية الـشهيرة التـي اتخـذها الرســـوليون عاصمةً لهم ، والفقيه هنا يعرض بها باعتبارها منزل السلطان وموطن عرشه ، لذلك تجد الأولى كلمـــةً (فعل) معربةً قابلة للتصريف ، وتجد الثانية اسماً غير منصرف .

(3) المقصود بالملك العزيز هنا الحاكم كائناً من كان ، وهو لا يقصد حاكماً من الحكـام بعينـه ، والعزيـز والمعز ألقاب لاثنين من أشهر الخلفاء الفاطميين .

(4) المصدر السابق ، ص ٩١ .

وَلَيْسَ يُجِيدُ في الشِّعْرِ النِّظَامَا

وَمَــا عَلِـمُوا بِأَنِّي نِلْــتُ فَخْرَاً

أوَانَ بَلَغْتُ مِنْ عُمْرِي الفِطَامَا

وأَنِّي اليَــوْمَ أُفْحِــمُ كُــلَّ فَــذٍّ

وَمَا وَفَّيْتُها عِشْــرِيْنَ عَامَا[1]

ومن عجب أن نجد له – وهو أحد الفقهاء المعدودين – قصيدة في الخطاب بين محبوبين موصوفة بالجمال الفائق ، ضمنها بعض ما يمكن أن يعد مبالغة غير مستساغة، ولولا تلك المبالغة لعدت القصيدة – على قصرها – من الروائع في الشعر اليمني ، يقول فيها :

وَلَمَّا حَــدَا الرُّكْبَانُ لِلبَــيْنِ عِيْسَهُمْ

وَأمُّــوا بِهَا البَيْتَ العَتِيْقَ المُسَــتَّرَا

أتَيْتُ إلى هِــنْدٍ أُرِيْــدُ وَدَاعَــهَا

وَنَارُ الجَوَى في القَلْبِ تَذْكُو تَسَعُّرا

فَرَاعَتْ فُؤَادِي بِالبُكَاءِ وَأَنْشَــدَتْ

وَأَدْمُعُــهَا تَحْكِي الحَيَا المُتَحَــدِّرَا :

أيَا زَائِرَ البَيْتِ العتِــيْقِ وتَارِكِي

أُقَاسِي الهَوَى، لَوْ زُرْتَنِي كَانَ أَجْدَرَا

تَحُــجُّ احتِسَاباً ثُمَّ تَقْتُلُ عَاشِقَاً؟!

فَدَيْتُكَ لا تَحْجُجْ وَلا تَقْتُلِ الوَرَى[2]

ومن شعر الفقهاء ما يندرج في إطار التنافس المذهبي ، ومثاله تلــك القــصيدة التي نظمها الفقيه الأديب أحمد بن القاسم الشامي في لوم الأئمة الزيدية على الخــلاف والصراع الدموي فيما بينهم ، ويحريضهم على الطاهريين ويُعَرِّضُ بالمذهب الشافعي ، ويلمح إلى أنه يبيح بعض المحــرمات عندما قال :

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٤٠ .

(2) وقيل أن البيتين الأخيرين لشاعر دمشقي يقال له (الوأواء) ، المصدر السابق ، ص ٢٤١ .

هلا سألــت مُطَــهَّراً وصَـــلاحًا[1]

هــل حَصَّلا للمُسْلِمِيْنَ صَلاحا

أم جَهَّـزا جَيْـشاً لِبَلْدَةِ طاهِـرٍ[2]

يُرْوِي التُّرابُ بها دَمَــاً سَفَّاحا[3]

والتعريض بالمذهب الشافعي جاء فيه - واضحاً - تحميل الشاعر الـشامي شـطحات الصوفية ومجالس سماعهم على الفقه الشافعي نفسه ، إضافة إلى التنـدر مـن بعـض تفصيلات الفقه التي ترد في كتب الفقهاء بما فيهم الشافعية باليمن ، إذ قال الـشامي - بعد أن عَدَّدَ المناطق التي بسط عليها السلطان المجاهد علي بن طاهر (ت٨٨٣هــــ / ١٤٧٨م) نفوذه - :

تِلْـكَ التي كَانَــتْ لآلِ مُحَمَّـدٍ

صِــدْقَاً وهُمْ فِيْها مَسَاً وصَبَاحَا

فَسَــطَا عَلَيْــهِمُ شَــافِعِيٌّ سَــالِكٌ

فِي مَذْهَبٍ ، لكنَّ فِيْهِ فِسَاحَا[4]

فِيْهِ الغِـنَاءُ مَــعَ البَرَاعَةِ جَائِزٌ

والطَّارُ والشَّطْرَنْجُ صَارَ مُبَاحَا

---

(1) مطهر وصلاح ، هما : الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان بن محمد الحمــزي كانــت إمامته في المدة ما بين (٨٠١هــ - ٨٧٩هــ / ١٣٩٩م - ١٤٧٤م) والإمام المهدي لدين الله صــــلاح بن علي بن محمد بن أبي القاسم (... - ٨٤٩هــ / ١٤٤٥م) ، وقد كان هناك تداخل وتعـارض بـين إمامة هذين الإمامين مع وجود إمام ثالث هو الإمام المنصور بالله الناصر بن محمد بن أحمد بـن الإمــام المطهر بن يحيى (... - ٨٦٧هــ / ١٤٦٢م) ، وقد سبق تفصيل كل ذلك في الفصل الثاني مـن هـذه الدراسة .

(2) بلدة طاهر يقصد بها ما افتتحه بنو طاهر في بداية دولتهم ، وهي مناطق ورد ذكرها في القصيدة .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١١٣ .

(4) اعتاد اليمنيون - حتى يوم الناس هذا - على وصم من يقوم بارتكاب المحظورات والتساهل في أمرهــا بأن : " مذهبه فسيح " ، وهو ما لمح به الشاعر في الأبيات بأن المذهب الشافعي فـسيح لتـساهله - فــي نظره - في أمور ثابتةٌ حرمتها لديه .

وكَذَا السَّمَاع تَأَلَّفتْ أصوَاتُه

مِنْ مُطْرِبَاتٍ تُحْدِثُ الأفْرَاحَا

وأحَلَّ للنَّاسِ الضِّبَاعَ مَآكِلاً

وخُيُولَهم والثَّعْلَبَ الصَيَّاحَا

هَلْ رَبُكُمْ قَالَ: ارقُصُوا وتَسَاقَطُوا؟!

وأحَلَّهُ وَجْداً لَكُم وَأبَاحَا

مَنْ شَاءَ طَارَ إلى السَّمَاءِ بِزَعْمِه

شَوقاً فَلا يُحْتَاجُ فِيْه جَنَاحَا[١]

وقد اغتاظ المقرئ شمس الدين علي بن أبي بكر السحولي الشافعي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) من تلك الأبيات كثيراً – وقد كان ذا معرفة بعلوم كثيرة ، شرعية وتطبيقية ، وكان شديد التعصب ضد الزيدية ؛ لأنه يرى أنهم من أهل البدع – فبادر إلى التعقيب على الفقيه الشاعر أحمد الشامي ، فكان مما قاله – بالوزن والقافية والروي نفسه– :

بَلْ أنْتُمُ قَدْ صِرتُمُ في حَيْرَةٍ

لا تَقْدِرُونَ تُصَحِّحُونَ نِكَاحَاً

إنْ قُلْتُمُ بِمُطَهَّرٍ فَصَلاحُكُم

يَبْغِي إلى تَصْيِيْرِ ذَاكَ سِفَاحَا

وكَذَا يَقُولُ النَّاصِرُ بنُ مُحَمَّدٍ

وهُوَ الإمَامُ وإنْ يَكُنْ مِبْرَاحَا[٢][٣]

---

(1) القصيدة بتمامها لدى الزحيف ، مآثر الأبرار ، ج ٣ ص ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، وبعضها لدى الشرفي ، **اللآلئ المضيئة** ، ص ٥٢٢ .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١١٣ .

(3) موضوع الأبيات يتحدث عما جرى في ثنايا الصراع الواقع بين الأئمة الزيدية المتعارضين ، وخاصة قيام بعض أعيان صعدة سنة (٨٤٩هـ / ١٤٤٥م) بترويج فكرة فسخ نكاح الإمام الناصر بن محمد على الشريفة بدرة بنت محمد بن علي أمام الإمام المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي ، وكانت في صعدة وزوجها مشغول ببعض الحروب مع خصومه بعيد عنها ، وكانت حجة المروجين لفكرة فسخ نكاحها أن الإمام الهادي يحيى بن الحسين – مؤسس مذهب الزيدية في اليمن – كان يشترط عدالة شاهدي عقد الزواج ، وقالوا بإن شاهدي زواج الناصر بن محمد على الشريفة بدرة غير عدلين ، ففَسخَ النكاح

ونرى المصادر الزيدية تعكس إلى حد كان يلعب بعض الشعراء من فقهائها دور المحرض للأئمة الزيدية على منافسيهم ، وكان من أكبر المحرضين في مدة دراستنا الفقيه الشاعر أحمد بن القاسم الشامي نفسه ، وقد رصد المؤرخ الزيدي الزحيف[١] دوره – من خلال قصيدة بليغة – في تغيير رأي الإمام المنصور بالله علي بن الناصر صلاح الدين (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) المتعلق بقبول الصلح مع الإسماعيلية في حصن ذي مرمر سنة (٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ، مما أدى إلى إصرار الإمام على الحصار حتى اضطرت الإسماعيلية إلى تسليمه في آخر المطاف ؛ ولذا قال المصدر[٢] عن هذا الشاعر : " وكتب إليه – أي : إلى الإمام المنصور – الفقيه أحمد الشامي من صنعاء ، وكان شاعراً مفلقاً يكره الإسماعيلية وغيرهم من أعداء أهل هذا المذهب الشريف ، وحثه بهذه القصيدة على مداومة الجهاد والحصار لأهل الزيغ والفساد ... وكان الفقيه أحمد الشامي نقمة على الإسماعيلية ، لا يكف عن الإغراء بهم ... " ، ثم أورد قصيدة له تتضمن التشهير بهم والتحريض بهم ، ومما قاله فيها:

سَــلا عَنْ أُمُورِ الباطنيَّةِ مَنْ يَدْرِي
يُحَـدِّثْـكُم بالسِّـرِّ منها وبالجَهْـرِ

لَقَدْ أظْهَرُوا الدِّيْنَ الحَنِيفَ وأبْطَنُوا
مِنَ الكُفْرِ ما يُخْلِي السَّحابَ عَنِ القَطْرِ

وكَمْ قَائِلٍ لِي: كَيْفَ كَفَّرْتَ فِرْقَةً
على مِلَّةِ الإسْـلامِ في ظَاهِـرِ الأَمْرِ

فَقُلْتُ لَهُ: إجْـمَاعُ أُمَّـةِ أحْمَـدٍ
وإجْماعُ أهْـلِ البَيْتِ دَلا على الكُفْـرِ

....
....

ولا بُدَّ مِن يَـوْمٍ سَـعِيْدٍ مُبارَكٍ

وتزوجها الإمام المتوكل المطهر الحمزي ، خصم زوجها الأصلي الناصر ، انظر يحيى بن الحسين ، غاية الأماني ، ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ .

(1) مآثر الأبرار ، ج ٣ ص ١٠٥٩ – ١٠٦١ .

(2) المصدر السابق ، ج ٣ ص ١٠٥٩ ، ١٠٦١ .

لَهُ لَيْـلَةٌ غَـرًّا كَمَا لَيْـلَةُ القَـدْرِ

يَسِيْرُ بِهِ الجَيْشُ العَرَمْرَمُ لابِساً
سَـرَابيْلَ مِنْ نَـقْعٍ بِأَلْوِيَـةٍ حُمْـرِ

فَيَصْـدِمُ جَرْبَاناً[1] ويَقْصِمُ أَهْلَهُ
بَنِي مَكْـرَمٍ [2] أَهْـلَ المَكِيْدَةِ والمَكْرِ

فَهُمْ عُمْدَةُ الدَّاعِي الخَبِيْثِ وهُمْ لَهُ
سُـيُوْفٌ نَضَاهَا للعِـدا تَفْـرِي[3]

- (ب) الشعر السياسي :

كان الشعر السياسي في الغالب ديواناً لتسجيل ما أغفل المؤرخون تسجيله والالتفات إليه ، فكان الشعر فعلاً (ديوان اليمن)[4] ، ولهذا فهو يتضمن مادة غنية بالتفاصيل التي لا ترد في المصادر التاريخية عن الحياة السياسية ، وخاصة فيما اندفع الشعراء لتسجيله من قصائد في مدح المنتصر وذم المنهزم وهجاء أعداء الحاكم – ذي النعمة عليهم – ورصد بعض صور الهزيمة ، والتنديد بالمتمرد ، ومنها ما نظمه الحكام والأئمة أنفسهم بهدف التحريض لأعوانهم على النهوض واستنفارهم للنصرة .

---

(1) جَرْبَان : هي قرية صغيرة من ضواحي صنعاء ، كانت إحدى مساكن الإسماعيلية في مـدة الدراسـة ، وأهلها اليوم كلهم زيدية .

(2) (بني مكرم) هي إحدى التسميات التي يطلقها اليمنيون على الإسماعيلية ، ولم تأتِ في المصادر إشارة تفسر سبب إطلاقها عليهم ، ويبدو لي أنها نسبة إلى السلطان المكرم الصليحي ، والإسـماعيليون أيـضاً يطلقونها أحياناً على أنفسهم حتى تاريخنا المعاصر ، غير أن غيرهم يتلفظ بها بغرض التهكم والـسخرية منهم لأنها أصبحت في العُرْف الاجتماعي – لدى كل اليمنيين من غير الإسماعيلية – كلمـة يقـصد بهـا معاني التفسخ الأخلاقي والتحلل من الضوابط الشرعية والاجتماعية ، وقد أورد أحد الباحثين رأيـاً يقـول بأن (مكرم) اسم لقبيلة يمنية حميرية ينتسب إليها زعماء الإسماعيلية باليمن ، انظر أحمـد بـن مـسفر العتيبي ، **دهاقنة اليمن – تحقيقات ومطالعات في ملف الإسـماعيلية** ، دار البـشير ، عمّـان ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ص ١٧ – ٢٣ .

(3) الزحيف ، **مآثر الأبرار** ، ج ٣ ص ١٠٦٣ – ١٠٦٧ .

(4) على وزن المقولة الشهيرة (الشعر ديوان العرب) .

من ذلك على سبيل المثال تلك القصيدة التي سجل فيها الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) العلاقة الدائمة التأزم بين السلطان الظاهر يحيى الرسولي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) وبين قبيلة المعازبة التي اعتادت إحداث الفوضى وركنت على عفو السلطان وإغضائه عنها ، ظناً من رجالها أن بُعد مساكنهم وصعوبة الوصول إليها وتسامح السلطان سيجعله يتغاضى عنهم وينام عن تأديبهم ، وكيف فاجأهم السلطان بغزوه لهم ، وما أثبته من شجاعة كبيرة ، وإقدام لا يبالي أو ينظر إلى صعوبة الوقت واشتداد الحر ، فقال الإمام المقرئ مسجلاً ذلك :

وَوَيلٌ لأعرابِ طُغامٍ تعوَّدوا
من المُتَصدِّي والملوكِ التغاضيا

لِبُعدِ مناويهم وسوءِ مَعاشِهم
وطُرْقٍ بها الخِرِّيتُ[1] يصبحُ غاويا

وظنُّوكَ نوَّاماً عن الثأرِ مؤثِراً
مُناجاةَ قومٍ يُؤثِرون الملاهيا

فألْفَوكَ أهدى في الفَيَافي من القَطَا
وأصبَرُ من ضَبٍّ على الماءِ صَادِيَا

أسَاءوا كَما اعتَادُوا وأرْخَوا ثِيَابَهم
ولَمْ يَحْذَرُوا مُستَبعِدينَ التغاضِيَا

يُراعونَ أن تمشي الوسائطُ بينكم
وتقبلُ منهم ما تسنَّى ، تماديا

فما راعهم إلا النذيرُ أتاهُمُ
هِزَبْرُ حُرُوبٍ لا يَمِلُّ المَغازِيا

سواءٌ عليه الصبحُ والليلُ إن غزا
وبردُ العشايا والحَرُورُ ملاقيا

فَفَرُّوا خِفَافاً وهي مَلأى بُيُوتُهم
فما بِتْنَ إلا فارغاتٍ خواليا

---

(1) الدليل الحاذق ، ابن منظور ، ج ٢ ص ١١٢٤ .

وعُدْتَ ولم تلبثْ ، ولو شِئْتَ قتْلَهم

لما كان منهم واحدٌ منكَ ناجيا[١]

ومن الشعر السياسي تلك التي القصيدة التي نظمها الإمام المنصور بالله محمد بن علي الوُشَلي السراجي (ت٩١٠هـ / ١٥٠٤م) يهدد فيها السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري (ت٩٢٣هـ /١٥١٧م) في غمرة صراعهما على صنعاء ، فقال الإمام الوُشَلي :

عَدِمْنا خَيْلَــنا إن لَمْ تَرَوْها

وَأنْــتُمْ بَيْنَ أيْدِيْــنا نعَــامُ

ونَجْــزِيْكم بِفِعْلِــكُمُ قَــدِيْماً

جَــزَاءً لا خَــفَاءَ ولا انكِتَامُ

سَيُهْزَمُ جَمْعُكُمْ يَــوْمَ التَّلاقِي

ولا يُغْــنِي عَنِ القَتْلِ انهِزَامُ

ولَكِنَّا سَــنَقْتُلُ مَنْ أرَدْنَــا

ونَأسِــرُ مَنْ نَشَاءُ ولا نُضَامُ

ونُشْرِقُ أرْضَنَا بالعَدْلِ فيْها

ويُنْفَى الظُّلْمُ إذْ حَصَلَ المَرَامُ

ونَحْمَدُ رَبَّــنَا ونَقُــولُ بُعْدَاً

لأهْلِ الظُّلْمِ إذْ حَصَلَ المَرَامُ

كَمَا بَعِدَتْ ثَمُوْدُ وقَوْمُ عَادٍ

وأهْــلُ الأيْكَةِ القَوْمُ اللِئَامُ[٢]

ومنه كذلك تحريضه واستنفاره لإمامين زيديين معاصرين له – هما: الإمام الهادي لدين الله عزالدين بن الحسن (ت٩٠٠هـ / ١٤٩٥م) والإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر بن محمد (ت٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) – لكي يقوما بصد السلطان

---

[1] ديوان المقرئ، ص ٣١٤ ، ٣١٥ .

[2] إسماعيل بن محمد ، سمط اللآل في شعر الآل ، مخطوط مصـــور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطـــات العربية ، القاهرة ، تحت رقم (١٨٤١ أدب) ، ص ٣٣٢ .

الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري ، وجعل مدخله لاستثارة حفيظتهما التركيز على (الجبرية) باعتبارها معتقداً يقول به السلطان ، من وجهة نظره ، وهي بحد ذاتها لدى الزيدية مسوغ كافٍ لقتاله ، وسبب مقنع لحربه ، وخاصة إذا ما كان قد أصبح خطراً محدقاً بالمذهب الزيدي نفسه ومهدداً إياه بالإزالة ، ولذلك قال الإمام المنصور الوشلي في تحريضهما :

وصَنْعَاءُ المَدِيْنَةُ في بَــلاءٍ
أحاطَ بِسُوْرِها القَوْمُ الطُّغَامُ

ذَوُو الجَبْرِ الذِيْنَ لَهُمْ مَقَالٌ
يُلازِمُهُ الشَّنَاعَةُ والمَلامُ

إلى البَارِيْ أضَافُوا كُلَّ فِعْلٍ
قَبِيْحٍ لا حَيَاءَ ولا احتِشَامُ

وأنَّ زَعِيْمَهُمْ رَجُلٌ غَشُوْمٌ
عَلَى صَنْعَاءَ نِيَّتُهُ المقَامُ[1]

وقال أيضاً في السياق نفسه :

فَيَا مَلِكَيْ صَـــنْعَا وصَـــعْدَةَ أنْتُما
لِفُلْــكِيْ نَجَــاةٌ في بِحَــارٍ تغرقُ

ويا مَلِكَيْ آلِ الرَّسُــولِ تَــدَارَكَا
هُــدَىً كَادَ في بَحْرِ الضَّلالَةِ يَغْرَقُ

هُوَ المَذْهَبُ الزَّيْدِيُّ مَذْهَبُ جَدِّكُم
بِطَلْعَــتِهِ نُــورُ الهِدَايَــةِ يَــبْرُقُ

وحَامُوا عَلَيْهِ بالصَّــوَارِمِ والقَنا
وأرْوُوا ظَمَاهَا مَنْ دَمِ القَوْمِ يُشْرِقُ[2]

ولما كانت فئة كبيرة من اليمنيين تنظر إلى أن السلاطين الرسوليين دخلاء على المجتمع اليمني ، وأن دعواهم بأنهم ينحدرون من آل جفنة الغساسنة اليمنيين

---

(1) إسماعيل بن محمد ، سمط اللآل في شعر الآل ، ص ٣٢٩ .

(2) المصدر السابق ، ص ٣٣٥ .

الذين حكموا الشام حتى الفتح الإسلامي - كما سبق بيانه في فصول سابقة - لأن دعواهم تلك لم يأخذ بها ويسلم بها جموع غفيرة من اليمنيين ، وخاصة خصومهم السياسيين من الأئمة الزيدية ، فإن شعراء البلاط الرسولي والعلماء الموالين لهم قد تناولوا هذا الجانب محاولين إثبات صحة الدعوى ، ومن الشعراء الذين تحدثوا عن ذلك الشاعر العلامة برهان الدين إبراهيم بن إسماعيل الجحافي (ت٨١٠هـ/١٤٠٧م)، إذ يقول :

أَنْتَ المُمَهِّدُ والبلادُ مِهَادُ
والمُلْكُ مُلْكُكَ والأَنامُ عِبادُ

أَنْتَ المَلِيكُ ابنُ المَلِيكِ وإنَّما
قَوْلُ الغُواةِ المُرْجِفِيْنَ عِنَادُ

مَنْ ذَا يُدَانِيْ آلَ جِفْنَةَ في العُلا
وبَنُو رَسُوْلَ مُلُوكَها الأَمْجَادُ

قَوْمٌ لَهُمْ مُلْكُ البِلادِ وِرَاثَةً
وبِذَا التَّتَابِعُ[1] يَشْهَدُونَ وعَادُ

مَا زَالَ مِنْهُمْ كُلَّ وَقْتٍ مَاجِدٌ
يَحْيَى بِهِ الزُّوَّارُ والوُرَّادُ

مِنْهُمْ مَلِيْكُ العَصْرِ[2] مَوْلانَا الذي
يَنْهَلُّ جُوْداً والسَّحَابُ جَمَادُ[3]

فهذه القصيدة تلقي الضوء على بعض تفاصيل هذا النقاش بما لم يتأتى للمصادر التاريخية ذكره ، ومما لا شك فيه أن الشاعر لم يقم بالتعرض لهذا الموضوع وتخصيص قصيدة له دونما مناسبة ، وأرجح أن قصيدته هذه لم تنظم إلا للرد على

---

(1) جمع تُبّع ، وهو لقب الملوك الحِمْيَرِيُون القدماء باليمن .

(2) هو السلطان الأشرف إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) .

(3) ديوان إبراهيم الجحافي ، مخطوط مصـور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، تحت رقم (١٣٨٥ أدب) ، ص ١٤ .

فهذه القصيدة تلقي الضوء على بعض تفاصيل هذا النقاش بما لم يتأتى للمصادر التاريخية ذكره ، ومما لا شك فيه أن الشاعر لم يقم بالتعرض لهذا الموضوع وتخصيص قصيدة له دونما مناسبة ، وأرجح أن قصيدته هذه لم تنظم إلا للرد على آخرين ، وليس شرطاً أن المردود عليهم فيها قد نالوا من النسب الرسولي شعراً ، ولذلك يمكننا أن نصنفها تحت العنوان القادم ، أي في باب الشعر التاريخي ، ومن ناحية أخرى هي في صميم الشعر السياسي لأن الهدف منها ليس مدح السلطان فقط ، بل هي في إطار تثبيت ملكه الذي يقوم – من ضمن ما يقوم عليه – على انتساب الرسوليين إلى الأصل اليمني والمنبت الوطني المحلي .

- (جـ) الشعر التاريخي (القصصي) :

هناك اشتراك وتقاطع واسع بين الشعر التاريخي والشعر السياسي ، فكلاهما يتناولان حوادث تاريخية محددة ، ويوردان من التفاصيل التي تكتنف الحوادث الكبيرة ما كان يراه المؤرخون غير مستحق للذكر في مصنفاتهم ، والفارق بين الشعر التاريخي والشعر السياسي هو أن الأخير يلمس القارئ له أن الشاعر يقوم بالتحدث عن الواقعة بالنيابة عن أحد طرفيها ، وغالباً ما يكون الحاكم ، فيعنف خصمه ويسفهه، سواء كان ذلك مراعاة لنعمة أغدقها عليه الطرف الذي ينافح عنه أو رداً لجميل يرى الشاعر أنه يدين به له ، وقد يكون بدافع الانسجام مع موقف أحد طرفي الواقعة ، في حين أن الشعر التاريخي يصدر عن الشاعر في حالة رغبته في تسجيل ما جرى من باب الوصف أو التعاطف أو الإنكار على الطرفين – أو أحدهما – أو أن الشاعر نفسه هو واحد من أطراف الحدث ، كما أنه قد يأخذ صورة الشكوى من ظلم وقع على شخصه أو غيره من أبناء محيطه ، ولأن هذا النوع من الشعر يسلط الضوء – بالنسبة للباحث – على ما لم تذكره التوارخ المكتوبة ، فإنه يعد مصدراً غنياً من مصادر التأريخ .

ومن أمثلة هذا النوع من الشعر نذكر تلك القصيدة التي رفعها الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) إلى أحد السلاطين الرسوليين يطلعه فيها على ما يقوم به الزنبول – أميره وواليه على زبيد – إذ كان الرجل يستبد بالناس ويتخذ العسف والجور سبيلاً لجمع الضريبة وإزعاجهم ، فعزم ابن المقرئ على قمع هذا المنكر بإبطال الضريبة نفسها ، فحرر طلباً منظوماً – إلى السلطان بإعفاء الناس المقصودين منها ، يقول في طلبه :

هُمُ الرعايا العبيدُ الطائعونَ هُمُ

وأنتَ أنتَ المُطاعُ السيدِ الملكُ

فلا تَكِلْهُمْ إلى مَنْ ليسَ يرحمهم

ولا يرى هلْكَهُمْ أمراً بهِ دَرَكُ

فأنت أكرمُ ، يا مَنْ لم يَخِبْ أملٌ

في فضلهِ كلما مُدَّتْ له شَبَكُ

أمهلتَهُمْ وفعلتَ الخيرَ أجمعَهُ

ولم يكن منكَ تعنيفٌ ولا نَهَكُ

فامنُــنْ بأخرى وسامحهم وحُطَّ ولا

تترك عوائدَكَ الحُسنى وإن تركوا

فلما وقف السلطان على طلبه قبل شفاعته وحقق طلبه[1] ، فهذه الأفعال الصادرة عــن هذا الوالي لم توردها أي من المصادر المعروفة التي عاصرت حياة الشاعر ، ولو حتى بإشارة عارضة ، ومن أشهرها الكتاب الذي ألفه الشاعر نفسه الموسوم بـــ (عنــوان الشرف الوافي في الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي) وكذلك تاريخ الحــسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هــ /١٤٥١م) الموسوم بـ (تحفة الزمن في تــاريخ سادات اليمن) ، أو غيرها من المصادر التي ألفها مؤرخون عاشوا بعد هذه المدة بفترة قصيرة كالتواريخ الثلاثة لعبدالرحمن بن علي بن الديبع (ت٩٤٤هـــ / ١٥٣٧م) أو (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) للطيب بن عبــدالله بامخرمـــة (ت ٩٤٧هـــ /١٥٤٠م) أو كتاب (الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد) لمحمد بــن محمــد بــن منصور بن أسير (ت بعد ٩٥٠هــ /١٥٤٣م) .

وهناك عدد كبير من القصائد الرائعة التي نظمها الإمام إســماعيل المقــرئ ، وحــواها ديوانه ، وهي تسجل تفاصيل مهمة عن الصراع المرير الــذي احتــدم فــي مناطق اليمن السنية ، وبالتحديد في تهامة ، بين الفقهاء والصوفية أتباع ابن عربي وابن الفارض والحلاج بشكل عام ، ووما جرى منه بين الإمام المقرئ نفسه وبــين أولئــك الصوفية بصفة خاصة ، وميزة تلك القصائد أنها لم تسجل الحوادث فقط ، بل ســجلت

---

[1] ديوان المقرئ ، ص ٣٦ ، شرح الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة ، ص ١٩ ، ٢٠ .

كذلك جوانب من العقائد والأقوال التي صدرت عن الصوفية ، وبعضها لم يأتِ ذكره حتى في المؤلفات التي صنفت في إطار ذلك الصراع وخُصِّصت له[١] .

إن المتصفح لديوان الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) ليجد نفسه مدفوعاً للوقوف مع كثير من قصائده ، ليس لجمالها وعذوبة معانيها وجزالة ألفاظها فحسب، بل لكونه يجد في كثير منها ثروةً تاريخيةً كبيرةً ، لا يجدها في المصادر التاريخية المتوافرة ، وتكون الحسرة كبيرة عندما يتخيل أن عشرات – بل ربما المئات – من دواوين رجال اليمن التي فقدت في غمرة الأيام وكر السنين وتلاحق الأحداث قد طمرت معها تفاصيل مثيرة عن الحياة الاجتماعية والرسمية ، وعن علاقة العلماء والشعراء مع غيرهم من بقية الشرائح ، بل حتى الكثير من تفاصيل الأحداث السياسية والعسكرية الكبيرة التي لم ترصدها المصادر التاريخية ، ففي ديوان الإمام المقرئ – على سبيل المثال ، وهو في ٣٩٩ صفحة كبيرة – نجد قصائد مناسبات لم تذكر مصادر التاريخ أنها كانت محتفىً بها[٢] ، وقصائد أخرى غنية بالمعلومات عن الشخصيات التي شغلت المناصب الرسمية العالية في البلاط الرسولي ولم تشر إليها المصادر إلا عَرَضاً[٣] ، وفيها المراثي والمدائح والنقائض التي تدل على أن شخصيات بارزة قد ارتبطت بأخرى بعلاقات معينة يُستبعد استنتاجها من خلال المسح الأفقي في المصادر الأخرى ، بل أن مما لا يُتَصَوَّر أن تجد في الديوان نتفاً من طرق الإدارة التي استعملها الرسوليون وكيفية استلام الناس أعطياتهم الممنوحة لهم من قبل السلطان عن طريق الحوالات ، وكيف كان بعض أمناء الخزائن في الولايات يماطلون في تنفيذها بما ينبئ عن تفشي الفساد المالي – بالاصطلاح المعاصر[٤] .

وآخر شواهدنا على كون الشعر قد مثَّلَ مصدراً للمعلومة التاريخية القصيدة الطويلة التي وردت في ديوان شاعر مغمور يدعى الجراح بن شاجر بن حسن (ت

---

[١] انظر تلك القصائد في ديوان المقرئ ، ص ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ – ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ – ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ – ٣٢ ، ٣٣ – ٥٠ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ – ٥٨ .

[٢] المصدر السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٦٤ ، ١٧٣ .

[٣] المصدر السابق ، ص ، ١٢٦ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٨١ ، ١٩٣ .

[٤] المصدر السابق ، ص ٣٦ ، ١٨٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ .

بعد ٨٨٣هـ / ١٤٧٨م) وهو من معاصري الملك المجاهد شمس الدين علي بن طاهر الطاهري (ت٨٨٣هـ /١٤٧٨م) ، أحد مؤسسي الدولة الطاهرية ، والشاعر في قصيدته يورد وصفاً بديعاً لبعض المظاهر الاحتفالية التي كان يقيمها السلاطين في الأعياد ، والقارئ لها يجد نفسه أمام تقرير إخباري وصفي تام عن أحد أيام الأعياد لدى السلطان ، ومما قاله في قصيدته :

وَلَقَدْ خَـــرَجْتَ إلى المُصَلَّى مُخْلِصاً
لله رَبِّــكَ خَـــائِـفاً مُـــتَرَقِّـــبَا

فِـــي آلَةٍ مَـــا سَـــارَ فِـــيْها قَـــيْصَرٌ
أَبَداً ولا كِسْرَى العِرَاقِ ولا سَبَا[1]

للرَّجْلِ[2] قَبْلَكَ يا ابنَ أَحْمَدَ هِـــزَّةٌ
تَرَكَتْ عَـــدُوَّكَ وهو مَفْلُولَ الشَّبَا

مُتَوَشِّـــحِيْنَ خَنَاجِـــراً وبَوَاتِـــراً
بِيْضاً يُحَاكِـــيْنَ النُّجُـــومَ الثُّـــقَّبا

زَهَتِ البَيَارِقُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وقَدْ
نُصِـــبَتْ ومِنْ عَادَاتِها أَنْ تُنصَبَا

والطَّبْلَخَانَةُ وهِيَ خَلْفَكَ أَسْـــمَعَتْ
مَنْ كَانَ في أَقْصَى العِرَاقِ مُغَيَّبَا

والخَلْقُ قَدْ شَخَصَتْ عُيُونَهُمُ إلى
ما رَاقَ حِيْنَئِذٍ وسَـــرَّ وأَعْجَـــبَا

وقَضَيْتَ فَرْضَكَ وانصَرَفْتَ وكُفِّرَتْ
عَنْكَ الذُّنُوبُ ولَسْـــتَ عَبْداً مُذْنِبَا

ووَقَفْتَ في المَيْدَانِ تَنْظُرُ جُنْدَكَ الـــ

---

[1] سبا المذكورة هنا هو اسم الدولة اليمنية القديمة الشهيرة (سبأ) المذكورة في القرآن الكريم ، وقد حـــذف الهمز هنا لكي تتسق نهاية البيت مع روي القصيدة .

[2] ارجل هنا المقصود هو المشاة من الجيش ، وشاهد ذلك الهزة التي تحدثها مشيتها كما ورد فـــي البيـــت نفسه.

مَنْصُورَ أنْ يُجْــرِي الجِيَادَ ويَلْعَبا

فَكَــأنَّهُم آسَــادُ غَــابٍ تَحْــتَها
سِــيْدَانِ بَــرٍّ عادِيَــاتٍ أو ضبا

حتَّى أشَرْتَ إلى الطُّلُوعِ فَعِنْدَها
نَزَلَ الجَمِيْعُ وجَرَّدُوا بِيْضَ الظُّبا

والنَّاسُ قَدْ مُلِئُوا سُرُوراً كَامِلاً
ظَلَّ الحَسُوْدُ لَهُ حَــزِيناً مُغْضَبا

ونَزَلْتَ في القَصْرِ الذي غُرُفَاتُه
لَــو أنَّها نَطَــقَتْ لَقَالَتْ مَرْحَبَا

هذَا وقَدْ مَــدَّ السِــمَاطَ مُــرَتِّبَاً
طَــاهِيْكَ لا شُــلَّتْ يَدَاهُ مُرَتِّبا

فِيْهِ مِنِ الأنْواعِ ما رَاقَ الوَرَى
نَظَراً وطَعْــماً مُسْــتَلَذُّ ومَشْرَبَا

ودَعَا المُسَافِرَ والمُقِيْمَ إلى القِرَى
طُرّاً وأهَّــلَ بالجَمِيْعِ ورَحَّبَا[1]

▪ (د) الشعر العلمي :

من المعروف أن الحَيِّز الذي كانت تحتله المتون والمختصرات في حياة العلماء وطلابهم كان كبيراً ، وأن الاعتماد على حفظها كان واسعاً ، وكان من حيثيات ارتفــاع مكانة العالم في الوسط العلمي كثرة المتون والمختصرات التي وعاها وفهمها بعــد أن حفظها واستظهرها غيباً ، ولذلك فقد بادر عددٌ من العلماء اليمنيين القادرين على نظــم الشعر إلى تسهيل مهمة الطالب في التعلم فقاموا بنظم عددٍ كبير من المصنفات الشهيرة في فروع متعددة من مجالات المعرفة والتي كانوا يتخذون منها مقــررات دراســية ، ولذلك فقد أطلقنا على هذه النوعية من الشعر عبارة (الشعر العلمي) .

---

(1) ديوان الجراح بن شاجر بن حسن ، مخطوط مصــور عن المتحف البريطاني ، ص ٨٥ ، وذلك نقــلاً عن يحيى محمد سنان ، الشعر اليمني في القرن التاسع الهجري ، ص ٣١٦ .

يدخل في عداد الشعر العلمي كل كتاب منظوم ، سواء كانت نسخه الأولى ومسوداته البكر منظومة أم لا ، وذلك أن هناك من المؤلفات ما وضعها أصحابها في هيئة قصائد مطولة منذ أن طرأت فكرة تأليفها ، حتى ولو لم يكن الهدف الأساسي من نظمها تسهيل حفظها ؛ لأن هناك من نظم بعض مصنفاته تقليداً لعلماء وشعراء آخرين – يمنيين وغير يمنيين .

وتندرج في فئة الشعر العلمي أيضاً كل الأشعار التي تضمنت الألغاز والأحاجي، أو تلك التي تخاطب بها بعض الشعراء مع بعضهم مستخدمين ألفاظاً ومحسنات بيديعية بنيت عباراتها بصورة غريبة لافتة للنظر كما سيتضح من الأمثلة التي سبقت ومن الأمثلة القادمة .

فهذا الإمام العلامة صفي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد البريهي (ت٨٣٣هـ / ١٤٣٠م) ، كانت له أشعار رقيقة في الوعظ والرقائق والغزل والزهد ، وأسهم في نظم أشعار الأحاجي والألغاز العلمية الفقهية وغيرها ، منها رده على الشيخ الإمام المقرئ شمس الدين محمد بن محمد الجزري (ت٨٣٣هـ / ١٤٢٩م) في لغزه الذي وجهه إلى الإمام اسماعيل المقرئ عن لفظة (القرآن)[1] ، كما رد أيضاً على اللغز الذي أرسله إليه الفقيه بدر الدين حسن بن محمد بن سعيد الشظبي (ت٨٣٥هـ / ١٤٣٠م) عن لفظة (حب) وفيه :

أَبْلِـغْ صَـفِيَّ الدِّيْـنِ عَنْ مَمْلُوكِهِ
بَعْـدَ التَّحِـيَّةِ دَاعِـيَاً بِالعَافِـيَه

شَـوْقٌ تَرَادَفَ فِي الجَـوَانِحِ ثِقْلُه
فَلَهُ عَلَى الأَحْـشَاءِ نَـارٌ حَامِـيَه

لله دَرُّكَ أَحْمَـد بـن مُحَـمَّدٍ
مِنْ ذِي مَوَارِدَ فِي الصَّدَاقَةِ صَافِيَه[2]

في أبيات أخرى كثيرة ، فأجابه العلامة صفي الدين أحمد بن محمد البريهي مبيناً حل ما ألغز به ، وألغز له أيضاً بالجواب ، وأوله :

---

[1] البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٠١ .

[2] المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

أهْــلاً بِهِ مِنْ بَحْــرِ عِلْمٍ جَاءَنِي

مِنْ عِنْدِ بَدْرٍ ذِي المَرَاتِبِ عَالِيَه

حَسَنُ الفَضَائِلِ والشَّمَائِلِ ، نَفْسُهُ

لِذُرَى المَعَالِي والمَــعَانِي رَاقِيَه

أَلْقَى بِحُسْنِ الظَّــنِّ فِي مَمْلُوكِهِ

أُحْــجِيَةً هِيَ فِي الأَحَاجِي سَامِيَه

وذلك في قصيدة طويلة لم يوردها المصدر كاملة[١] .

ومن الأشعار المتضمنة للأحاجي ما ورد في اسم (يونس) عند شمس الــدين علي بن أبي بكر السحولي (ت٨٥٢هـــ / ١٤٤٨م) ، يقول :

في اسمِ الذي تَيَّمَنِي حُبُّهُ

لَطِــيفَةٌ يَفْهَــمُهَا الكَيِّسُ

يَطْمَعُ بالوَصْلِ بِتَحْرِيفِهِ

لَكِنْ إِذا صَحَّفْتَهُ يُوْيَسُ[٢]

ومن الأحاجي والألغاز الواردة في هذا الشأن تلك التي صاغها الإمام المقــري شمس الدين محمد بن محمد الجزري عندما وفد على اليمن ، وفيها :

أَخِي إِنْ رُمْتَ تَــدْرِي مَنْ حَبِيبِي

وتَعْرِفَ ما اسمُهُ وتُحِيطُ عِلْمَا

خُذِ اسماً مِنْ أَسَامِي المَوْتِ واقْلِبْ

وصَــغِّرْ ذَلِكَ المَقْلُــوبَ حَتْما

وصَحِّــفْ ذلكَ التَصْغِيرَ واجْعَلْ

لِمَنْ أَحْبَبْــتَهُ مِنْ ضِدِّهِ اسما

وقد رد عليه الفـقيه العــلامة جــمال الدين محمد بن عـــمر المــســلمي البريهــي (ت٨٠٧هـــ / ١٤٠٤م) بما حلها وفك رمزها ، وكان جوابه شعراً أيــضاً ، إذ كـــان جوابه :

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٠٢ .

(2) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

أَتَتْ أُحْجِـيَةٌ مِنْ بَحْـرِ عِلْمٍ
لِتَعْـرِيْفِ الْحَبِيْبِ وما يُسَمَّى

باسمِ المَوْتِ واقلبْ ثُمَّ صَـغِّرْ
وصَـغِّرْ ذلكَ المقلُـوْبِ حَتْما

فَـ(فَتْحٌ) قَلْبُ (حَتْف) ثُمَّ صَغِّرْ
وَصَحِّـفْهُ (قَبِيْحٍ)حُـزْتَ عِلْمَا

ومَا ضِدُّ القَبِيْحِ سِـوى مَلِيْحٌ
وذاكَ القَصْدُ والحُبُّ المُسَمَّى[1]

ومن الشعر العلمي ما جمع فيه بعض الشعراء – وخاصة الفقهـاء مـنهم – بعض المسائل العلمية المفردة ، منها ما نظمه القاضي العلامة عفيف الدين عبدالعليم بن علي بن محمد بن سالم المخادري (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) في تنبيه طالب العلم إلى سنن الفطرة الواردة في السنة النبوية ، ويقول البريهي[2] أنها هي الكلمات التـي ابتلـى الله تعالى بهن إبراهيم عليه السلام في بحسب ما جاء في سورة البقرة ، فقال :

لقـد ابتلى الله الخـلـيل بعشـرة
هي الكلمات اللائي في محكم الذكر

فكـن عالماً فيها وكـن عالماً بها
فها أنا أرويها لك الآن في شـعري

تمضمض واستنشق وقص لشاربٍ
وداوم سـواكاً واحفظ الفرق للشَّعَرِ

خـتانٌ ونتفُ الإبطِ حلـقٌ لعانةٍ
ولا تنس الاستنجاء والقلم للظفـر[3]

- (هـ) الشعر التربوي :

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٥ ، ٦٢ .

(2) المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٥٦ .

نقصد بالشعر التربوي كل قصيدة تضمنت تعاليم تربوية وتوجيهات ونصائح ، سواء وجهت من قبل الشاعر قصداً إلى أناس محددين أو كانت عامة لكل قارئ ومطلع، ويدخل في إطاره أيضاً كل مقطوعات العظات والرقائق وقصائدها ، وكل شعر حوى حكماً وقواعد اجتماعية عامة على هيئة النصيحة والتوجيه فهو شعر تربوي أيضاً، والملاحظ أن أغلب هذا الشعر قد نظمه الفقهاء والعلماء ، وخاصة المتصوفون منهم ، وأفردناه في فئة مستقلة عن فئة (أدب الفقهاء) لكي يشمل ما جاء في بابه من منظومات الشعراء من غير العلماء والفقهاء .

وهذا هو الفقيه بدر الدين حسن بن علي بن عبدالرحمن الملحاني (٨٢٠هـ ١٤١٧م) ينشئ القصيدة – التي أوردناها في الفصل الرابع – يحث فيها ابنه أحمد على العلم والتحصيل ويوصيه بالتعلم وعدم التواني فيه ، وفيها تعبير واضح على مدى ارتفاع منحنى الدافعية الذاتية لدى هذا الفقيه إبان مرحلتي الدراسة والتلقي ، وهي التي أهلته ليصبح واحداً في عداد أعيان علماء اليمن في عصره ، يقول في مطلع قصيدته :

ألا لَيْــتَ شِــعْرِيَ يا أحمدُ
إذا فــاتَكَ العِــلْمُ هَلْ تَسْعَدُ
وهَلْ يُفْصَلُ الحُكْمُ في مَحْفَلٍ
إذا أنتَ في الدَّسْتِ مُسْتَرشِدُ
فإني جَهِــدْتُ لَيــاليْ الشَّبا
بِ ومَنْ عَشِقَ العِلْمَ قَد يَجْهَدُ
نَهاريَ في العِلْمِ مُسْــتَعْمَلٌ
وفي اللّــيلِ جَفْــنِيَ لا يَــرقُدُ
وفي العِلْمِ عِــزٌ لأهلِ التُّقى
وجَــاهٌ يُــقاسُ بِهِ العَسْــجَدُ[١]

وهذه الأبيات تذكر بأبيات أخرى أوردها الأهدل[1] في تاريخه ، تتناول وصف أحد العلماء لمبلغ النشوة واللذة التي يحس بها في طلب العلم والمطالعة والعبادة ، وفيها

---

[1] البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٤٤ .

، وفيها – بصـورة غير مباشرة – دعوة للناشئة ولفت لأنظارها نحو هـذه الجوانـب المهمة في حياة المسلم ، وتلك الأبيات هي :

شَيْئَانِ أحْلى مَنْ عِنَاقِ الخرد
وأَلَذُّ مَنْ شُرْبِ القُـرَاحِ الأَسْوَدِ
وأَجَلُّ مِنْ رُتَبِ المُلُوكِ عَلَيْهِمُ
وَشْيُ الحَـرِيْرِ مُطَرَّزاً بالعَسْجَدِ
سُوْدُ الدَّفَاتِرِ أنْ أكُـوْنَ نَدِيْمَها
طُولَ النَّهَارِ وَبَـرْدُ ظِلِّ المَسْجِدِ
فَإذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِشَخْصٍ فَارِغٍ
عَـنْ كُلِّ هَمٍّ نَـالَ أَبْعَـدَ مَقْصَدِ
وعلا المَفَاخِـرَ كُلَّها مُـتَرَفِّعا
وحَوَى المَحَامِدَ في الحَيَاةِ وفي غَدِ

ومن الشعر التربوي ما يندرج في إطار التوجيه من المُرَبّي – والداً كان أو معلماً – إلى المُرَبَّى ، وذلك في سبيل غرس خُلُق حسن أو التنفير من منقصة والتحذير منها ، ومنه ما جاء بغرض لفت الانتباه إلى مواضع التقصير في السلوك والعبادة ، والدعوة إلى الزهد والورع وما يقرن بها من الرقائق ، ومن أمثلته قول القاضي الصوفي أحمد بن أبي بكر الردَّاد (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) :

تورَّعْ وتُبْ وازْهَـدْ وصَلِّ وصُمْ ولا
تَنَمْ ، واعتَزِلْ واصمُتْ وراقِبْ وأيْقِنِ
وكُنْ دَائِماً في الذِّكْـرِ والشُّـكْرِ قائماً
على الصِّدْقِ والإخلاصِ في كلِّ مَوْطِنِ
وإيَّاكَ : لي ، أو بي ، وإيَّاكَ : لو، ولم
ومِـنْ وإلى ، واصبرْ وصابرْ وأتقِنِ
وخُـذْ مِنْ علـــومِ اللهِ للهِ قَدْرَ ما

---

(1) تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٣٧١ .

تقــومُ به في اللهِ واعــدِلْ وأحْسِنِ[١]

ومثاله قصيدة الإمام محمد بن إبراهيم بن علي الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) التي وجهها إلى أحد تلاميذه الذين شكوا من التشتت بين الأقوال المتباينة للعلماء ورجال المذاهب المختلفة ، كما تفرق عزمهم وضعفت همتهم بسبب كثرة اهتماماتهم وتعدد ميولهم العلمية في سنوات الطلب ، فخاطبه الإمام الوزير بقوله :

يا مَنْ تَفَــرَّقَ عَــزْمُهُ وهُمُــومُه
وتَعَارَضَتْ في الرَّأْيِ تَرْجِيْحَاتُه
جَــمِّع فُــؤَادَكَ إنْ أَرَدْتَ ثَــبَاتَهُ
في الحَقِّ، لا يُفْــسِد قُوَاكَ شَتَاتُه
فَــوِّضْ، فَمَا المَــوْجُودُ إلا وَاحِدٌ
حَــقٌ وما حَــقَّتْ بِــهِ كَلِمَاتُــه
وبِآيَاتِهِ (النَّجْوَى مَن الشَّيْطَانِ) مَا
يَجلُو العَمَى مَهْمَا دَجَــتْ ظُلُمَاتُه
فَدَعِ التَّفَــرُّقَ واجْــتَمِعْ مُتَــوَكِّلاً
تُكْــفَى كَمَا وَعَــدَتْ بِهِ آيَاتُه[٢] .

وقد كان للإمام صفي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد البريهي (ت٨٣٣هـ/١٤٣٠م) شعر رقيق في الوعظ والرقائق والزهد ، منها الكثير في الوعظ ، كقوله:

احْــفَظْ لِسَــانَكَ لا تَفُهْ بِنَمِــيْمَة
واحْــذَرْ تَفُهْ بالكَذْبِ أو بِالغَيْبَةِ
فَإِنِ انْتَهَيْتَ فَقَدْ نَجَوْتَ وإِنْ أَبَيْــ
ــتَ فَقَدْ بُلِتَ ، وَيَا لَهَا مِنْ بَلِيةِ[٣]

---

(1) الشرجي ، طبقات الخواص ، ص ٩٠ .

(2) ديوان ابن الوزير ، ص ٢٠ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٠٠ .

وللفقيه اللغوي الأديب وجيه الدين عبدالرحمن بن عمر الراعي المشهور بالعطاب (ت٨٦٤هـ /١٤٥٩م) أشعار كثيرة ، وهو الذي سبقت الإشارة إلى بروزه المبكر في الشعر وإجادته له ، له أشعاره تربوية ، منها القصيدة التي أورد البريهي[1] بيتين من مطلعها في ترجمته له ، والبيتان هما :

وإذَا ضَلَلْتَ عنِ الرَّشَادِ ولَمْ تَكُنْ
أَبَدَ الزَّمَانِ علَى العِدَا مَنْصُورا

فَاستَهْدِ واستَنْصِرْ بِرَبِّكَ ذِي العُلَى
وكَفَى بِـرَبِّكَ هَادِياً ونَصِيْرا

ومن روائع الشعر التربوي الذي خلفه رجال اليمن في أواخر القرن التاسع الهجري تلك القصيدة التي نظمها برهان الدين إبراهيم بن محمد بن إبراهيم العراقي (ت٨٦٦هـ / ١٤٦١م) ، وقد خاطب بها كل مسلم داعياً إياه إلى الزهد والورع ، قال فيها :

دَعْ التَبَاطُـرَ فِيْمَا لَسْـتَ تَمْلِكُهُ
واقْنَعْ بِقُـوتِكَ يَـوْماً فَهْوَ يَكْفِيْكَا

وخَلِّ عِنْكَ بَنِي الدُّنيا وصُحْبَتَهُم
فَإِنَّ صُحْبَتَهُم يا صَـاحُ تُرْدِيْكا

وآخِ في اللهِ إِخْواناً تُصَـانُ بِهِمْ
عِنْدَ انتِقَالِكَ عَنْ قَـوْمٍ يُعَـادُوكَا

واقْنَعْ بِمَوْلاكَ عَنْ كُلِّ الأَنامِ ولا
تَسَلْ سِـواهُ أُناسـاً فَهْـوَ يُغْنِيكا

واسأَلْهُ ما شِئْتَ إِنَّ اللهَ ذُو كَرَمٍ
وإِنْ سَأَلْتَ سِـوَاهُ لَيْسَ يُعْـطِيْكا

واسأَلْهُ عَفْوَاً وغُفْـرَاناً وعَافِيَةً
سُبْـحَانَهُ وتَعَـالى فَهْـوَ بارِيْكا

---

[1] المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

واخضعْ لِمَوْلاكَ إذْعَاناً لِقُدْرَتِهِ
فَهُوَ اللَّطِيفُ الذي للخَيْرِ يَهْدِيكا[1]

☒ النَّـــثر :

قال ابن خلدون[2] في تعريف النثر بأنه : " هو الكلام غير الموزون " ، وهو إطلاق وتعميم واسع الدلالة ، إذ أن كل كلام العرب – مما لا ينطبق عليه تعريف الشعر – هو نثر إذاً ، غير أن ابن خلدون نفسه قد استدرك فقيده بصنفين من الكلام غير الموزون ، جعل الصنف الأول (سَجْعَاً) والآخر (مُرْسَلاً) وفرق بينهما بأن الأول هو ما يلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة ، وأن الثاني هو ما يُرسل فيه الكلام إرسالاً من غير تقييد بقافية[3] ، وبدون أن نعارض التعريف الذي وضعه ابن خلدون للنثر نستطيع القول : إن النثر هو الأسلوب المتبع في التعبير عن معنى معين ، سواءً كان منطوقاً أو مكتوباً ، وخاضعاً لأصول اللغة ، دون أن يستعين بالبناء اللفظي القائم على تفعيلات وأوزان الخليل بن أحمد أو الروي الموحد مما هو معروف في فن الشعر[4] ، وبتأكيد اشتراكه مع الشعر في خاصية الإيجاز والفصاحة ، ومنه ما يسحر السامع ويسلب لبه ، ومنه ما يفوق الشعر في قوة تأثيره .

وسنقوم بتقسيم ما نتناوله من موقع النثر في الحياة العلمية في اليمن في القرنين التاسع والعاشر الهجريين إلى قسمين بحسب تصنيف ابن خلدون[5] ، أولهما النثر المسجوع ، وثانيهما النثر المرسل وذلك بالشكل الآتي :

---

(1) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(2) **مقدمة ابن خلدون** ، ج ٣ ص ١١٥٤ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

(4) د. مريزن سعيد عسيري ، **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي** ، مكتبة الطالب الجـامعي ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٩٨٧م ، ص ٣٧٩ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٥٤ .

(5) وقد اعتمد هذا التقسيم أيضاً بعض الباحثين في باب الحياة العلمية في اليمن في مناطق محددة من رقعتها الجغرافية ، مثل عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٥٤ .

▪ (أ) النثر المسجوع :

وهذا النوع من النثر هو الأكثر شيوعاً في الأوساط العلمية اليمن عصرئذٍ ، ويتضمن الخطابة والرسائل السلطانية والرسائل الإخوانية والمقامات ، وميزته في احتوائه على أشكال السجع والقافية بين الكلمات الواردة في ختام الجمل والعبارات ، وتضمنه للمعاني البيانية والمحسنات البديعية ، ولذلك فقط اصطلح عليه البعض بـــ (النثر الفني)[1] ، وقد ملك بعض العلماء اليمنيين من القدرة على كتابة النثر المسجوع والحفاظ على تميزه مهما كانت مقطوعاته مغرقةً في الطول ، إذ نجد أن كتاباً مثل (الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم) للإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـــ / ١٤٣٦م) كله عبارة عن نص نثري مسجوع طويل ، استطاع أن يحافظ فيه المؤلف على جودة اللغة وقوتها رغم طول المتن ، من ذلك قوله : " وقد وهبت أيام شبابي ، وزمان اكتسابي ، لكدورة علم الكلام والجدال ، والنظر في مقالات أهل الظلال ... وسبب إيثاري لذلك ، وسلوكي تلك المسالك ، أن أول ما قرع سمعي ، ورسخ في طبعي ، وجوب النَظَر ، والقول بأن من قلَّد في الاعتقاد كَفَرَ ، فاستغرقت في ذلك حدة نظري ، وباكورة عمري ، ومازلت أرى كل فرقة من المتكلمين تدواي أقوالاً مريضة، وتقوي أجنحة مهيضة ، فلم أحصل على طائل ، وتمثلت فيهم قول القائل ... فرجعت إلى كتاب الله وســـنة رسول الله ﷺ وقلت : لا بد أن يكون فيهما براهين وردود على مخالفي الإسلام ، وتعليمٌ وإرشادٌ لمن اتبع الرسول عليه والصلاة والسلام ، فتدبرت ذلك فوجدت الشفاء كله ، دِقَّـــةُ وجُلّه ، وانشـــرح صدري ، وصلح أمري ، وزال ما كنت به مبتلى ، وأنشدتُ متمثلا ... "[2] .

سنتناول أنواع النثر المسجوع الذي أبدعه اليمنيون في مدة الدراسة في التفريعات التالية :

○ الخطابة :

سبق أن أشرنا في تعريف النثر أنه يشمل المنطوق من الكلام ، ولعل الخطابة هي أوضح أمثلة النثر المنطوق ، وقد احتلت الخطابة مكانة خطيرة في

---

(1) د. مريزن سعيد عسيري ، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ص ٣٧٩ ، علي بن علي أحمد ، الحياة العلمية في تعز، ص ٤٢٥.

(2) الوزير ، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، ص ٩ .

ذلك فوجدت الشفاء كله ، بِقَـــةُ وجُله ، وانشـــرح صدري ، وصلح أمري ، وزال ما كنت به مبتلى ، وأنشدتُ متمثلا ... "[١] .

سنتناول أنواع النثر المسجوع الذي أبدعه اليمنيون في مدة الدراسة في التفريعات التالية :

○ **الخطابة :**

سبق أن أشرنا في تعريف النثر أنه يشمل المنطوق من الكلام ، ولعل الخطابة هي أوضح أمثلة النثر المنطوق ، وقد احتلت الخطابة مكانة خطيرة في حياة العلماء والمجتمع المسلم بشكل عام ، فالعلماء من خلالها يقومون بنشر مفاهيم الخير وتوعية الناس بأمور دينهم ، ولذلك فكان معظم المتصدرين لها هم من أبرز العلماء والفقهاء ، وكان الحكام والسلاطين والأئمة يسندون الخطابة في الجوامع الكبيرة إلى أكثر العلماء والفقهاء علماً وأقدرهم على التأثير ، فكانوا يتخيرون من بينهم ذوي القدرة القوية على ارتجال الكلام دون تكلفٍ مع عمق البـــيان وقوة الحجة .

وكان للخطباء دور كبير في في حياة الناس الاجتماعية كما سبق أن أوضحناه في فصل سابق ، إذ اهتموا برعاية مصالح التجمعات التي كانوا يسكنون فيها ، واستغلوا المكانة التي كانوا يحظون بها لدى وجوه المجتمع في نقل مطالب الفقراء إليهم ، واشتركوا في فض النزاعات والقيام بالتوسط وحل المشكـــلات الناشئة .

وقد جاءت أوصاف بعض القدرات الخطابية للخطباء المشهورين في المصادر التاريخية بما يعكس انبهار مصنفيها بهم ، ومدى قوة تأثيرهم في السامعين، ومدى بلاغتهم وفصاحتهم ، فكانوا بذلك أدباء ناثرين مبرزين ، إذ أن الارتجال للكلام مع الحفاظ على قوة اللغة باختيار أجزل ألفاظها وأفصح تراكيبها لتحقيق قدر كبير من شدة التأثير يعد من أفضل خصائص الأديب الناثر .

ومن أشهر الخطباء الذين وردت تراجمهم في المصادر المتوافرة نذكر الفقيه العلامة رضي الدين أبو بكر بن يوسف بن إسحاق المشهور بابن المستأذن (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) كان ذو براعة في فن الأدب ، واشتهر أيضاً بالوعظ ،

---

(١) الوزير ، الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم ، ص ٩ .

المنبر أتى بوعظ توجل منه القلوب ، وتجري به العيون ، باللفظ الرقيق ، والمعنى الدقيق[1] .

ومنهم كذلك الإمام المقرئ عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري (ت٨٤٨هـ/١٤٤٤م)، أحد الأئمة البلغاء الأمجاد ، كان متصرفاً بالكلام بما يشاء كيف شاء – بحسب تعبير البريهي[2] – مطيعاً له على البديهة الإنشاء ، حسن المحاضرة ، بليغ العبارة ، ذا فطنة وبلاغة .

وقد جاء مما مدح الإمام بدر الدين حسن بن محمد الشظبي (ت٨٣٥هـ / ١٤٣٠م) للإمام العلامة كمال الدين موسى بن محمد الضجاعي (ت٨٥١هـ / ١٤٤٧م) وهو يومئذ خطيب المسجد الجامع بمدينة زبيد قوله :

إِذَا رُمْتَ مِنْ وَعْظٍ شِفَاءً فَإِنَّهُ
بِوَعْظِ كَمَالِ الدِّيْنِ لِلدَّاءِ يُسْتَطَبْ

يَقُولُ مَقَالاً مُسْتَطَاباً لِصِدْقِهِ
وَكَمْ مِنْ مَقَالٍ لَمْ يَلِذُّ وَيُسْتَطَبْ

إِذَا مَا تَرَقَّى مِنْبَراً فَاحَ عَنْبَراً
وَسَاعَدَهُ فَصْلُ الخِطَابِ إِذَا خَطَبْ

فَدَامَتْ بِهِ لِلدِّيْنِ قُرَّةُ أَعْيُنٍ
وَبُلِّغَ مِنْ خَيْرِ الحَيَاتَيْنِ مَا أَحَبْ[3]

كما جاء في ترجمة الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن عمر بن خالد الأصبحي (ت٨٦٤هـ / ١٤٥٩م) أنه كان " استمر خطيباً في جامع الثغر بعدن ، ثم انفصل عنه ، وكان فقيهاً عالماً عاملاً ، خطيباً مصقعاً ، فصيحاً نجيباً ، متطلعاً على كتب التواريخ ، حافظاً للسير ، مجللاً محترماً ، وإذا قرأ أو حدث

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١١١ .

(2) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(3) المصدر السابق ، ص ٣١٠ .

عن النبي صلى الله عليه وسلم تخال الدر يتناثر من فيه ، وله في نقادة العلم اليد العالية .... "[1] .

ومن أشهر الخطباء باليمن في مدة الدراسة المقرئ العلامة شمس الدين علي بن محمد الرفدي الشرعبي (ت٨٧١هـ / ١٤٦٦م) ، وهو كذلك أشهر المقرئين في مدينة تعز وشيخ شيوخ قرائها ، وأحد رجال القراءات في عموم اليمن في القرن التاسع الهجري ، تلقى هذا العلم على عدد من أكبر رجاله وأئمته في اليمن ، " كان جهوري الصوت ، لافظاً ، حافظاً ، ثبتاً ، محققاً ... "[2] ؛ لذلك كان من أشهر الخطباء وأبلغهم في اليمن ، رتب خطيباً في أكبر المساجد الجامعة بمدينة تعز – حاضرة الدولة ، فدام على الخطـابة فيه أربعـين سنة ، وكان " إذا وعظ وجلت القلوب لوعظه ، وشفيت الصدور ببليغ لفظه ، وأسـكبت الدموع وحصل الخشـوع ... "[3] .

ومن الخطباء المشهورين أيضاً الإمام العلامة المفتي جمال الدين أبو عبدالله محمد بن عبدالرحمن بن محمد بن يحيى بن أبي الرخاء (ت٨٨١هـ / ١٤٧٦م)، أحد من البلغاء والفصحاء ، وصف بأنه : " كان خطيباً مصقعاً ... " ، وقد أعجب بفصاحته شيخ الإسلام محمد بن أبي بكر الخياط حتى أنه كان يلقبه بـ (خطيب الخطباء)[4] .

- **المكاتبات السلطانية :**

المكاتبات السلطانية نوع من أنواع الكتابة النثرية الفنية التي عرفها نظام الحكم في الإسلام من القرون الهجرية الأولى ، وهي عين ما كانت تعنى به دواوين الرسائل في الخلافة الإسلامية ، وهي تشير إلى كل نص كتابي صدر عن رأس الدولة في إطار تدبير شؤونها ، بغض النظر عن الجهة التي خوطبت به ، سواءً كانت في إطار المساحة الجغرافية التي تسيطر عليها الدولة أو خارجها ، وبالتالي

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٢٨ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٣٤٢ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

(4) **المصدر السابق** ، ص ١٣٢ .

المكاتبات السلطانية نوع من أنواع الكتابة النثرية الفنية التي عرفها نظام الحكم في الإسلام من القرون الهجرية الأولى ، وهي عين ما كانت تعنى به دواوين الرسائل في الخلافة الإسلامية ، وهي تشير إلى كل نص كتابي صدر عن رأس الدولة في إطار تدبير شؤونها ، بغض النظر عن الجهة التي خوطبت به ، سواءً كانت في إطار المساحة الجغرافية التي تسيطر عليها الدولة أو خارجها ، وبالتالي فهي تضم كل ما صدر من الرسائل والمراسيم والمناشير الموجهة إلى الملوك والأمراء الآخرين ووجوه الدولة وأمرائها ، أو ما كان متعلقاً بأمور خاصة داخلية كنسخ الأمان للخارجـين وتقليد ولاية العهد للأمـراء أو مراسـيم تنصيب الولاة وغيرها ، وقد اصطلح المجتمع المسلم على تسـمية الجهة المناط بها ترتيب ذلك كله والقيام عليه بـ (ديوان الإنشاء)[1] .

وثمة أمر مهم هنا نشير إليه ، فنحن في دراستنا هذه سندرج في هذا الباب كل رسالة وجهت من الحكام والسلاطين والأئمة إلى بعضهم أو إلى غيرهم ، حتى لو لم يكن لبعضهم من دواوين الإنشاء ما يستكمل به الصورة التاريخية الدنيا المعروفة لدى الدول القائمة ؛ وذلك لأن بعض الحكام والأئمة لم يستعينوا بكاتب الإنشاء ، إما ثقة بالنفس والشعور بعدم الحاجة إليه ، أو بسبب بساطة شكل النظام الإداري القائم كما كان الحال لدى بعض الأئمة الزيدية ، إذ كان الإمام نفسه – مع التأكيد على أنه كان على قدر عالٍ من الكفاءة – هو الذي يتصدر لكتابة الرسائل والتعاميم اللازمة .

بالنسبة للدولة الرسولية فقد اعتنت بديوان الإنشاء عناية كبيرة ، وسارت في تنظيمه وفق الأساليب التي عرفتها دواوين الإنشاء في دولة المماليك في مصر[2] ، كما استعارت كذلك اسم القائم عليه وصفته ، فكان يدعى بـ (كاتب الإنشاء)[3] ثم

---

(1) الظاهري ، **زبدة كشف الممالك وبيـان الطرق والمسالك** ، عناية بولس راويس ، المطبعة الجمهورية، باريس ، ١٨٩٤م ، ص ٩٩ ، د. حسن الباشا ، **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثـار العربيـة** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ج ٢ ص ٦٦٧ ، ٦٦٨ .

(2) العمري ، **مسالك الأبصار في ممالك الأمـصار** ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثـار الشرقية ، القاهرة ، (د ، ت) ، ص ١٥٤ ، القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج ٥ ص ٣٤ .

(3) الحسيني ، **ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب** ، ق ١٠ – ب .

بتطوير ديوان الإنشاء باستقدام الكُتّاب المشهورين للقيام بمهمة الإشراف عليه(١) ، كما قلدوا عدداً من أفاضل أدباء اليمن من ذوي الخبرة والدراية بالمكاتبات والمبرزين في علوم اللغة والبلاغة والأدب ليكونوا كتّاباً للإنشاء في بلاطهم(٢) .

ولم يحفل المؤرخون اليمنيون وغيرهم كثيراً بإيراد نصوص الرسائل والمكاتبات السلطانية ، وبعضهم اكتفى بالإشارة إلى صدورها ، لذلك فقد قلّت النماذج كثيراً ، ومن خلال ما توفر منها يتضح شيوع الاعتماد على السجع ، والدقة في انتقاء الألفاظ ، وكثرة الاقتباسات والتناص من القرآن الكريم والشعر وغيره ، وموازنة المقاطع الكلامية ومرادفاتها لإحكام الصنعة لتتشابه في ذلك مع ما كان شائعاً في غيرها من الأقطار الإسلامية(٣) ، كما تنوعت أساليب الاستهلال والخاتمة بحسب مقام المرسل إليه(٤) .

ومن أشهر من تولى ديوان الأنشاء في مدة الدراسة الأديب أحمد بن أبي بكر بن معدان (ت٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) ، والإمام الفقيه الأديب إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م)(٥) .

---

(1) الجَندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٥٦٦ – ٥٦٩ ؛ السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٣ ص ١٤٩ ، ج ٤ ص ١٥٣ ، ج ٥ ص ٢٠٥ ، ج ١٠ ص ٢٥٥ ، ابن عبدالمجيد ، **بهجة الزمن** ، ص ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ .

(2) الجَندي ، **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ ، ٥٦٤ ، الفاسي ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، ج ٤ ص١١٠ ، ١٣٢ ، ابن فهد ، **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام** ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ج ٢ ٢٨٥ – ٢٨٧ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٥٥ .

(3) د. شوقي ضيف ، **تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٩٠م ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

(4) اليامي ، **السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغُزّ باليمن** ، ص ٢٩١ ، الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ، القلقشندي ، **صبح الأعشى** ، ج ٥ ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٤٩٣ ، ٥٠٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٥٥ .

(5) الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين** ، ج ٤ ص ١٣٢ ، الخزرجي ، **طراز أعلام الزمن** ، ص ٦١ – ب .

وقد ذكر البريهي[1] أن الفقيه الأديب أحمد بن محمد بـن علـي بـن ميـاس (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) قد كان بارعاً في البلاغة ، وله معرفة قوية فـي فـن الأدب والإنشاء ، لذلك طلبه السلطان الناصر الرسولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ليـستخدمه في ديوانه إلا أن أباه تضرع إليه ليعذره عن ذلك ويعفيه فأجابه وتركه .

وهذا الفقيه الكـاتب الوزيـر أبو الحسن علي بن يحيى العمرانـي (ت ٨٤٠ هـ / ١٤٣٦م) ، كان واحداً ممن برع في الكتابات بديوان الإنشاء في الـيمن بـالقرن التاسع الهجري بصنعاء ، فنصبه الإمام الناصر صلاح الدين كاتباً له ومـسؤولاً عـن مراسلاته[2] .

وفي صنعاء أيضاً كان المقـرئ جمال الدين محمـد بن إبـراهيم الساودي الخـولاني (ت٨٦١هـ / ١٤٥٦م) مفوضاً إليه كتابة الإنشاء وأمر الوقف والوصايا في عهد الإمام المنصور بالله الناصر بن محمد (ت٨٦٧هـ / ١٤٦٢م) بصنعاء ، ففاق أهل زمانه برسائله المبهجة وكلامه المسجوع – حسب تعبير المصدر – ومما يذكر عن بلاغته الشفوية أنه كان خطيباً ، فكان إذا وعظ كمن لانت له صم الصخور ، وأذهب كلامه كل زيغ في الصدور ، بلفظ موافق لعقيدة أهل السنة والجماعة[3] .

وممن امتلكوا مهارات كتاب الإنشاء والقدرة على القيام بالمكاتبـات الـسلطانية العلامة المتصوف شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بـن عبـدالرحمن العقيلي القرشي المشهور بالجبرتي (ت٨٦٨هـ / ١٤٦٤م) ، فقد كان له خط حسن ، قيل لم يوجد في اليمن جميعه لخطه نظير ، حتى قال من رأى خطه أنه يحسن فيه قول البستي :

إِذَا يَـرَى قَلَـمَاً يَـوْمَاً لِيَعْـمَلَه
يَقُولُ هَـزَّ غَدَاةَ الرَّوْعِ عَامِلَهُ
وَإِنْ أَمَـرَّ عَلَـى رِقٍّ أَنَامِـلَهُ
أَقَـرَّ بِالرِّقِّ كُتَّابُ الأَنَامِ لَهُ[4]

---

(1) طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٢٢ .

(2) المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(3) المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(4) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٤٣ .

وكان يقول أنه يعرف لغة أربعة ألسن من ألسنة العجم ، وأنه محقق للأقلام السـبعة[1]، ويكتب بها ، ويفرعها فروعاً كثيرة ، ويذاكر عليها ، وأنه لو شاء أن يصنف فيها كتاباً في علمها لصنف ، وقد كان البلغاء وأصحاب صناعة الإنشاء والكتابة يفدون عليه من الشام ومصر والعجم[٢] .

ومنهم أيضاً الشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم المغربي الأندلسي أصلاً العدني مولداً ووطناً الشهير بالشماع (كان حياً في ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) ، كانت لـه إجـادة كبيرة في فن الأدب والرسائل وكتابة الإنشاء والمسائل ، " سهل الألفاظ ، عذب الكلام ، أوحد البلغاء ، وأشهر الفصحاء ... "[٣] ، وكان تاجراً يبيع الشمع في متجـر لـه فـي مدينة عدن ، إلا أن تجارته لم تكن تقطعه عن الاشتغال بفن الأدب ، وقد جمـع كتابـاً يحتوي على فصول فيما يحتاجه الإنسان من العقائد الدينية والقواعد الإسلامية ، وفيـه أدعية وعزائم مشهورة ، وأشعار ومكاتبات بينه وبين أقرانه من أهل الأدب[٤] .

من نماذج المكاتبات السلطانية في مدة الدراسة تلك الرسالة التي بعث بها السلطان الرسولي الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) إلى السلطان المملوكي الظاهر برقوق (ت٨٠١هـ / ١٣٩٨م) رداً على رسالة كانت قد وردت

---

(1) ذكر الحبشي في حاشية البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤٤ أن المقصود بالأقلام السبعة بعـض أنواع الخطوط المشهورة لدى كتاب الإنشاء والدواوين ، وهي كثيرة منها : قلم الطومار وهـو أجلهـا ، ومنها قلم الثلثين ، وقلم السجلات ، وقلم العهود ، وقلم المؤامرات ، وقلم الأمانات ، وقلم الديباج ، وقلـم المديح ، وقلم المرصع ، وقلم النشاجي ، وأن الفضل بن سهل الوزير العباسي في عهد الخليفة المعتصم قد تم اختراع قلماً آخر ، وقد عد كأحسن الأقلام وهو القلم الرئاسي ، وأنه بدوره قد تفرع منه عدة أقسام منها القلم الرئاسي الكبير ، وقلم النصف من الرئاسي ، وقلم الثلث ، وقلم صغير النصف ، وقلم خفيف الثلث ، وقلم المحقق ، وقلم المنثور ، وقلم الوشي ، وقلم الرقاع ، وقلم المكاتبات ، وقلم غبـار الحلبـة ، وقلـم النرجس ، وقلم البياض ، ولم أجد من القرائن ما يعين على التأكد من أن المقصود في المصدر التـاريخي في ترجمه هذا الفقيه المتصوف هي هذه الأقلام أو غيرها ، انظر الحموي ، **معجـم الأدبـاء** ، ج ٦ ص ٦٠.

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤٢ - ٢٤٥ .

(3) المصدر السابق ، ص ٣٣٨ .

(4) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

إليه منه ، وقد نقلها القلقشندي[1] كاملة ، ومما جاء فيها : " أعز الله تعالى أنصار المقام الشريف العالي السلطاني الظاهري ، وزاده من البسطة والقدرة ، وضاعف له مواد الاستظهار والنظر العزيز ، وجعل الظفر مقروناً براياته أينما يممت ما بينهما تمييز ، ومحبوباً إلى عساكره المنصورة حيث توجهت وفتح ببركة أيامه كل مقفل ممتنع بأمر وجيز ، ولازال ممتثل الأوامر والمراسم ، رافلاً في أردان العز والمكارم ، ممدوداً على الأمة منه ظل المراحم ، بمنه وكرمه .

أصدرها إليه من زبدة زبيد المحروسة ، معربة عن صدق ولائه ، متمكسة بوثيق أسباب آلائه ، ناشرةً طيب ثنائه ، مترجمة ناطقة لمنثور الكتاب الكريم الظاهري الوارد على يد المجلس العالي البرهاني ... فتلقيناه باليدين ، ووضعناه على الرأس والعين ، واستدللنا به على شرف همته ، وصفاء مودته وتأكيد أخوته ، وسألنا الله تعالى أن يمتعنا ببقاء دولته القاهرة ، وينشر في المشارق والمغارب أقلامه الزاهرة ، ففضضنا ختامه ، فوجدنا فيه من نشر السلم الأريج أذكاه ، ومن أنوار ما مجه القلم الشريف ما يخجل منه نوار الربيع وبهاه ، فانشرحت به الصدور ، وتزايد به السرور ، وقرت به الأعين .

... وبرزت مراسمنا إلى النواب في ثغر عدن المحروس أن لا يعترض في عشور ونول ، وحملناه على ظهور مراكبنا عزيزاً مكرماً ، وعرفناه أن لا يصرف على الحمل السعيد ولا الدرهم الفرد ، وذلك قليل منا لأجل غلمان بابكم الشريف شرفه الله وعظمه ... ونوضح لعلمه الكريم ما أفاء الله به علينا من النصر الذي خفقت بنوده ، وأشرقت سعوده ، وبرقت سيوفه على رقاب المارقين ، وأطردت في راياته المآرب فتناولها باليمين ، ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[2].

وفتح القلاع والمصانع ، والاستيلاء على المرابع والمزارع ، واستأصلنا شأفة المارقين ، واسترجعنا حصن قاف المحروس بعد طول مكثه تحت يد العرب ، فكم من كمي مقتول ، وأسير مكبول ، حصان تُرك سبيلها ، ورب حصان كثر عليه عويلها ، فخرينا المعاقل ، وأطلقنا العقائل ، وأوطئناهم الحميم ، وَمَا

---

[1] القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج ٨ ص ٧٣ - ٧٧ .

[2] سورة الصف .

جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾[1] .

. . . ولولا المهم الشريف لاستوقفناه عندنا عاماً كاملاً من بعد هذا التاريخ ، ليملي علينا آيات المقام الشريف ، شرفه الله تعالى وعظمه لسانه ما يبديه في المواقف الشريفة شفاهاً إن شاء الله تعالى في سابع جمادي الآخرة سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ، أحسن الله ختامها ، والحمد لله أولاً وآخراً ، وباطناً وظاهراً " .

ومن نماذج الرسائل السلطانية أيضاً الكتاب الطويل الذي بعثه الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين (ت٩٦٥هـ / ١٥٥٧م) إلى السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري (ت٩٢٣هـ / ١٥١٧م) آخر سلاطين الدولة الطاهرية ، بعد أن اشتدت وطأة الأخير على رجال الزيدية وعلمائها في إطار الصراع القائم بين الطرفين في مطلع القرن العاشر الهجري ، ومما جاء في الكتاب ما يأتي : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ، ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ، وأولئك هم الفاسقون ، أما بعد : حمداً لله حق حمده ، وشهادة ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة خائف لوعيده ، راجٍ لوعده ، والصلاة والسلام على سيدنا رسوله وعبده ، وعلى الناحين بنحوه ، والقاصدين بقصده ، فهذا كتاب ممن هو لجميع أمة محمد كالوالد الشفيق ، باعتبار النصيحة التي هي الدين ، بنص سيد المرسلين ، للخاص والعام والقريب والسحيق ، كيف بمن يرجى بقبوله للنصيحة صلاح عامة المسلمين ، وسداد كافة المؤمنين ، ودفع البلية عن أهل بيت الأمين ، وسكون واعيتهم الحاصلة بما نالهم من التمحيص والتمحين ، وحقن دمائهم ودماء الناس أجمعين ، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، لا جرم من كان القصد الحسن التصدير بهذا البلاغ النور إلى ملك اليمن ، فأقول : . . . أيها الملك الذي تزينت له دنياه ، فظن أن رضى مولاه في فعله ما يطابق هواه ، وغرَّه قول جهال أوليائه : إن الله أكرمه بالقهر لأعدائه ، سلام عليك ، والله وسيلتي إليك ، في أن

---

[1] سورة آل عمران .

تتبع كلامي في كتابي هذا تتبع طالب للرشاد ، مفرغ قلبه من الأحقاد ، منصف من نفسه ، ذاكر قرب حلول رمسه ، وحيداً لا مؤنس له ولا وَزَرَ ولا مهرب ولا مفر إلا ما اكتسب من صدق اليقين ، واستصحاب تقوى المتقين ، ولا يصدنك أنفة المتكبر عن تأمل ما أتى به مُذَكِّرُه ، فنصيحة في تخشين ، خير من خديعة في لين ، إياك أن تتبع هواك فيضلك عن سبيل الله ، إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب . . . وإذا كنت من أهل التقليد ، لمن لم يعرف حكم الشرائع المفيد ، فإن عليك فرضاً واجباً ، وحتماً لازباً ، وهو التزام من تركن على فضله ووعده ، وعدم طمعه في الدنيا وهلعه ، أن يتلو عليك نصوص العلماء المتقدمين من الشافعية والحنفية والمالكية ، إذ لم يكونوا ليميلون عن علماء أهل البيت الطاهرين ، ثم تنظر هل أنت في أفعالك وأقوالك أحق بالأمر أم مَنْ يتأهل لهذا المر من أهل البيت الجامع لشروط الزعامة ، وأسباب الإمامة ، التي هي كلها أمور دينية ومصالح كلية . . . "[1].

ومن نماذج المكاتبات السلطانية أيضاً الرسالة التي أرسلها الإمام الزيدي السابق نفسه – الإمام شرف الدين – إلى أمير الحملة المملوكية التي كانت قد وجهتها دولة المماليك الجراكسة بمصر لمواجهة البرتغاليين ، إذ بعث الإمام رسالة إليه محاولاً استمالته إلى جانبه ضد السلطان الطاهري ، معدداً له مساوئه ومشيراً إلى صور اضطهاده لآل البيت النبوي – من علماء الزيدية – يقول في الرسالة : " بسم الله الرحمن الرحيم ، نعمة سبقت وشملت ، ومنحة تمت وكملت ، بلغت من لدن حكيم خبير ، على أهل بيت نبيه البشير النذير ، أجراها على يد ملك السيف الأمير ، الهمام الخطير ، أمير الأمراء الإسلامية ، مفرج كرب العترة الطاهرة الزكية ، الناقم بثأر الحسين من الفرقة الغوية ، الظالمة العامرية ، المتحلي من أجل ذلك بكل زين ، المتخلي عن كل شين ، الوافي بحق سيد الشهداء الحسين ، الأمير الجليل النبيل حسين ، حياه الله من السلام بأسناه ، ومن الإكرام بأزكاه وأهناه ، والله المسؤول أن يوفقنا وإياه لإصابة مراده ، وهداية عباده ، وإجراء أحكام شريعته الطاهرة في بلاده ، وتطهيرها من آثار الجائر وتنويرها من ظلمات جرأته وعناده ، وبعد : فإن كتابنا هذا لتعريف خاطر الأمير ، وفقه الملك

---

[1] شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٢١ – ٢٦ ، وأشار إليه شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ٢٥ باقتضاب .

القدير ، بأنا لم نزل إلى الله مبتهلين ، ولما لديه من الفرج منتظرين ، وبالتجرد لما بدت من عدو الله الجائر عامر ، والقيام بالدعاء إلى دفاعه وجهاده امتثالاً لأوامر الله الملك القادر ، ولكن منع من ذلك عدم المعين والناصر ، وخذلان من أهل الزمان المشؤوم القاصر ، وميل من الناس إلى الأطماع الحقيرة ، والخداع بزخارف الأباطيل الفاضحة المبيرة ، حتى تمكن منهم هذا الظالم الغشوم ، وأوقعهم من الخزي والوبال والهوان في أقصى التخوم ، وشمل شره البرئ والغوي ، والضعيف والقوي ، والشجي والخلي ، وتتبع بمعظم جيشه ومكره أهل بيت النبي ، ولم يبق في سلطانه لأهل البيت باقية ، ولا أجيب لهم بإجابة نافعة واعية، حتى بددهم الظالم في البلاد ، وفرق بين الآباء منهم والأولاد ، ومات الأكثر منهم في تخوم اليمن مطرودين متبددين ، يتمنى الولد أن يحضر موت أبيه ، والوالد أن يشاهد أحوال بنيه ، وفعله في آل المصطفى ما حرم الله في مِلْكِ اليمين ، بل في سبي الكفار الخارجين عن الدين ، وأعانه على ذلك رجل منا أهل البيت ، ادعى ما ليس له بحق ، فأنكر عليه الإمام الوشلي ، [فلم يزل صاحبنا يعضد هذا الطاغية ، وينصر فرقته الباغية ، حتى تمكن من الإمام الوشلي] ، محمد بن علي ، ولم يعذرنا أهل زماننا عن القيام في مقامه الجلي ، ولقد هَمَّ – أخزاه الله – بقصد الحرمين ، وإخراج من فيه من ولد الحسنين ، فرجعنا مع بذل ما بقي معنا من جهد في دفاع مجهود المذاكرة له كثير من الحدود إلى الله سبحانه وتعالى ، وسألناه تعجيل الفرج ، وإطفاء وهج المهج ، على يد من هو أهل للمحامد المبرورة ، والمقاصد المشهورة ، في حياطة الدين والرعاية لحق رسول رب العالمين ، وما ذاك إلا لسريرة صالحة ، وتجارة رابحة ، من السلطان الأكرم ، والمستطيل الأعظم ، قانصوه أطال الله بقاه وتوفيقه ، وأوضح إلى كل مقصود مبرور طريقه ، ولقد رعا لسر الله العظيم في أهل البيت والنسب الكريم ، الذي جعله الله في مصر لخليلة إبراهيم ، وخاتم أنبيائه محمد عليهما وعلى آلهما أفضل الصلاة والتسليم ، ونرجو أن الله تعالى قد وفقكم ، أيها الغزاة الأعلام ، لمشابهة من قال فيهم الملك العلام : " فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم .

وقد رجحنا إرسال هذه الرسالة بيد صاحبنا الفقيه العالم العامل صلاح الدين ، بقية المجاهدين صلاح بن سراج الله ، كتب الله هدايته ، وأحسن رعايته ، وهذا كتابنا يحتوي على التهنئة السنية ، بما فتح الله به من الفتوحات الهنية ، والحث لكم على استدراك هذه البقية ، من عترة نبيكم الطاهرة الزكية، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغي وأعوانه وأنصاره ، وقد بقيت لنا بلاد مجاورة لبلاده ، ونحن نفتقر إلى الإعانة منكم ، بما أمكن من الرجال والعدة ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، والله خير الناصرين ، والفقيه الصالح صلاح يحقق لكم ما لا يتسع له الكتاب ، ولا يقوم به إلا المشافهة والخطاب ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم»[1] .

○ **المكاتبات الإخوانية :**

تختلف المكاتبات والرسائل الإخوانية عن المكاتبات والرسائل السلطانية في أن الأخيرة تكون بين طرفين يكون أحدهما أو كلاهما حاكماً أو سلطاناً ، وقد يكون الآخر – المستقبل للرسالة – حاكماً أو سلطاناً أيضاً ، كما أنه قد يكون أميراً أو والياً أو متمرداً ، بينما يكون طرفا الرسائل الإخوانية في مقام ومنزلة اجتماعية واحدة أو متقاربة ، وغالباً ما يكون الطرفان قرينين أو كفؤين أو نظيرين في علم وفن واحد ، وقد يندرج في فئتها ما كتبه الأدباء إلى الحكام لا العكس ، ويكون موضوع الرسائل الإخوانية في إطار ما يتبادله الأدباء والعلماء فيما بينهم من علاقات ، وما يقع لهم من أحداث ، وبسبب الخلفيات العلمية والأدبية العالية التي يتمتع بها المُرسِل والمُرسَل إليه فإننا نلحظ ان نصوص الرســائل تأتي في هيئة مقطوعات نثرية عالية السبك ، جزيلة اللفظ ، قوية البناء ، بليغة فصيحة ، وقد حفظت لنا بعض المصادر عدداً من نصوص الرسائل الإخوانية التي تعكس لغة العصر في القرنين التاسع والعاشر الهجريين وما قبلهما ومميزاتها الفنية الراقية .

ومن أفضل أمثلة الرسائل الإخوانية تلك التي أرسلها الشاعر الأديب محمد بن حمـيَر الوصابي إلى صديقه الشاعر الأديب القاسم بن هُتَيْمِل ونقلها في

---

(1) شرف الدين ، **المواهب السنية** ، ص ٢٦ – ٢٨ ، شرف الدين ، **السلوك الذهبية** ، ص ٢٥ – ٢٩ .

ديوانه[1] ، ويقول - في مطلعها بعد أن صدرها بأبيات شعرية - : " وسبب هذه الرسالة المختصرة ، والألفاظ القاصرة المقتصرة ، إلى ذلك الجناب المحروس ، والفناء المأنوس ، والآداب العربية ، والنساب اليعربية ، والطلعة الوضية ، والأخلاق الروحية الرضية ، قول العلماء : المعارف ذمم مؤكدة ، وقول النبوة : " القلوب جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف " ، وما عسى أحمل من المجازي إلى الجوهر ، وما عسى أحمل من ورق العرار إلى العبير والعنبر ، وما عسى أحمل من خشف التمر إلى خيبر .

وإنما ينبسط المنبسط على أهل الأحساب البيض ، وينسحب المنسحب على أهل الذخيرة العرض ، والله تعالى يقول في القرآن الذي ليس في حكمه نقض : ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ...﴾[2] ، ولما حدث في أرض اليمن ما حدث من جائحة الزراعة ، وأنف الأديب لأهله من الضراعة ، وهي أشرف بضاعة ، وجهت قصائد أنتجها البراعة ، وسطرتها اليراعة ، وسيرت هذه الرسالة على أيدي الجماعة ، ولولا عوائق الزمن ما تأخرت ساعة ، ولله على الناس حج البيت من استطاعه .

ولكنه يتصل بي من رواة الأخبار ، وجوالة الأقطار ، من البلاد الشريفة ، والأفنية الشمسية ، أن أقواماً من سقط المتاع ، وممن يجب أن يباع ولا يبتاع ، يتقولون الأقاويل ، ويحرفون الكلم عما نزل به جبريل ، ويسترزقون بالأباطيل التي يزورون ، وينسبون إليّ بعض ما يصورون ، وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون ، وأيم الله لو زأرت لأسكت الذين يصغرون ، ولو قرات نون لعثر القلم وما يسطرون ، إلا أنهم يجرون على ذلك في المواضع البعيدة ، ويغرون به من لا يعرف القصيدة من العصيدة ، وأولوا الشرف متبعون ببريرة هؤلاء الأنكاس ، وما على الأسد البيهاس ، من النوابح من بأس ، والنبي ﷺ تعوذ من

---

[1] ابن حمير ، ديوان ابن حمير ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار العودة ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٥م ، ص ١٤٩ - ١٥٣ ، العقيلي ، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان ، منشورات نادي جازان الأدبي ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ١٥١ - ١٥٣.

[2] سورة الأنفال .

ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝[1] فإن احتاج الملوك إلى مشورة فيها السداد ، وتثقيفة تستفاد ، لجهلهم بأهل البلاد ، فمولاي – أيده الله – أولى من أشار عليهم ، وأفضى واليهم ، فطالما حملتني أملاك اليمن ، وشروا شِعْري بأنفس ثمن ، وهذه أول تحفة إلى أشراف بني حسن ، وأول صيف ضيعت فيه اللبن ، وهم – كرم الله أصلهم ، وكثر نسلهم – أهل العوارف والمنن ، وإن لم يكونوا فمن الله تعالى تبقى تلك النفس النفيسة ، والهمم الرئيسة ، وعليها أفضل السلام ، وأسنى التحية والإكرام " .

وقد رد الأديب القاسم بن هُتَيْمِل على هذه الرسالة البديعة بما يناظرها من الإجادة والبلاغة والفصاحة وقوة العبارة ، وجاء في رده عليها قوله : " وردت – أدام الله سعادة مولاي – التحفة المرضية ، والنفحة الرضية ، الجليلة الخطر ، الدقيقة النظر ، الحاسرة الجيوب، المعجزة الأسلوب ، الطالعة في فلك أريج ، الموضحة في كل أمر مريج . . . ورود العافية على السقيم ، والثروة على اليتيم ، والغنى على الفقير ، والإطلاق على الأسير . . . كانت ألذ من غفلة الرقيب ، وأبهج من طلعة الحبيب ، وأحسن موقعاً – مني وعندي – من البشرى أتت بعد النعي ، وكأن حبيباً أنشأها ، والوليد وشّاها ، والحسن ذهّبها ، وحسان هذّبها ، وأنا اهتدت لها الأفهام البشرية لولا الروية الحِمْيَرَيّة ، فعلمت أنها جوهرة من خواطره . . . فما زدت عن الحيرة في أمري ، والتفكير في سري وجهري ، فرأيت أني استبعدت الشقة ، ولم أتكلف المشقة ، فسترت عواري ، وأغضيت إهذاري ، ميلاً إلى التخفيف ، على خاطرك الشريف ، هتكت حرمة الأدب ، وأغرقت شواظ الغضب ، وإن أمرت بالجواب ، وبعثت بالكتاب ، جعلت عريضتي من حرى الولي تلهنا ، وقابلت بالشمس السها . . . ولو أني ذهبت إلى مدح فصاحته وشجاعته لجاوزت حد الإسهاب ، وتعجرفت في الإطناب ، وكنت كمؤيد الإصباح بالمصباح ، أو كالذي قال : ما أحلاك يا عسل . . . "[2] .

---

[1] سورة الناس .

[2] ابن حمير ، ديوان ابن حمير ، ص ١٥٣ – ١٥٥ .

ومن الرسائل الإخوانية أيضاً تلك الرسالة التي أرسلها الأديب علي بن محمد بن إسماعيل الناشري (ت٨١٢هـ /١٤٠٩م) إلى السلطان الرسولي الأشرف الثاني إسماعيل (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، ولم يورد فيها كلمة واحدة تحتوي على حرف معجم منقوط ، وكلها مهملة عارية من النقط ، وأورد السخاوي[١] جزءاً منها، يقول فيها كاتبها : " أعلى الله سماء سمو علاك ، ورعاك صدوراً وورودا وحماك ، وأسمى أسماك علاء السّماك ، وكلاك مدى الدهور ، وعمرك لكل معمور ، وأكمل لك مدى السرور ، وكمل عددك ، وسدد أودك ، وملكك هام الملوك ، وسهل لك وعر السلوك ، وكم سؤال أملك ، ودام مدى السعود لك ، ما هلل لله ملك ، ومحررها أحال الدهر حاله ، وحرر سؤاله ، وأعلم رحاله ، مؤملاً أعلى الآمال ، ولا عمل له إلا المدح وهو أعلى الأعمال ، ومراده العود مسروراً وطوالع الأعداء حولاً وعوراً ".

ومنها تلك الرسالة التي بعثها الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ /١٤١٩م) إلى شيخه – في الحديث النبوي – وتربه ، وناحية السن ، الإمام المحدث الحافظ نفيس الدين سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي العلوي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) والتي زعم فيها المؤرخ البريهي[٢] أنها قد احتوت على شواهد تثبت أن الإمام الهادي قد دخل مذهب أهل السنة والجماعة وهجر معتقد آبائه وأجداده من الزيدية ، وجاء في متن الرسالة وما يلي : " ... ثم إني كنت في إبان الحداثة مولعاً بعلم الكلام ، وفي هذه المدة رغبت عنه إلى علم الحديث ، ورجعت عما كنت عليه القهقرى ، وفضلت في الحديث من قرى ، وقلت : (الصيد كل الصيد في جوف الفرا) وكم بين علم مَنْ لا ينطق صاحبه عن الهوى ، معصوم في جميع أحواله عن الخطا ، وقد تلفع في حضرة القُدُس بثياب النجوى ، وكان من القرب قاب قوسين أو أدنى ، وأراه الله ثواب نفسه وبعث النفس في جنة المأوى ، وجاوز به ولم يقف عند سدرة المنتهى ، (ما زاغ البصر وما طغى ، ولقد رأى من آيات ربه الكبرى) ، وبين علم ثارت بين أهله عجاجة المراء ، فأعشى أبصار كثير منهم عن طريق الهدى ، وأصحابه أهل الصراط السوي ومن اهتدى ، أولئك أهل المصطفى ، المعقود على رؤوسهم تيجان الرضى من الملك العلي ، وأنشد :

---

(١) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٥ ص ٢٩١ .

(٢) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٨ .

عَلَيْكَ بِحُبِّهِمْ فَاجْعَلْهُ فَرْضاً
وَقَــدِّمْ حُبَّــهُمْ فِي اللهِ قَرْضَا

وَأَمْسِكْ بِالقَوَادِمِ مِنْ هُدَاهُم
وَخُضْ فِي عِلْمِهِم تُرْضَي وتَرْضَى

أُحِبُّ سَمَاءَ أَرْضِهِمُ وَأَرْضاً
تَكُونُ لَهم سَوَادَ العَـيْنِ أَرْضَـاً

أَطِبَّاءُ القُلُوبِ هُمُ إِذَا مَا
غَدَتْ مِنْ كَثْرَةِ الذُّنُوبِ مَرْضَى [(١)]

ثم قال : وهذه الطريقة الجادة ، وهي اتباع الكتاب والسنة ، وحسبنا ما ورد في آيات آداب القرآن الكريم : { قل آمنا بالله وما أنزل علينا . . . } الآيات . . . "[(٢)] .

ويأتي في هذا الباب أيضاً التقريظ الذي كتبه الإمام الأديب إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) على تاريخ الإمام تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٩م) المعروف بـ (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) وقال فيه : " الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، وقفت على هذا التأليف التالي فوائد العبر ، والآتي بأحاديث الموعظة الحسان بأصح خبر ، فلله در مصنفه من إمام حافظ ، وبحر بجواهر العلوم لافظ ، ولا حق برز على السابق ، وبذل في علو مرتبة الأعلام الحفاظ موافق ، وبلغه الله غاية الأمنية ، وأجزل ثوابه على هذا المقرون بحسن النية ، آمين آمين "[(٣)] .

وذكرت بعض المصادر أن للإمام المقرئ أيضاً رسالة إنشائية كتبها للسلطان الناصر أحمد الرســولي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م)[(٤)] .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٠ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ١٨ ، ١٩ .

(3) الفاسي ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، ج ١ ص ٣٥١ .

(4) الفاسي ، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، ج ٤ ص ١١٠ – ١٣٣ ، ابن فهـد ، **اتحـاف الـورى بأخبار أم القرى** ، تحقيق فهيم شلتوت ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ، ١٩٨٤م ، ج ٣ ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ .

ونختـــتم بالرســـالة التي أرسلها الفقيه المتصـــوف أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بافضل (ت٩٢٩هــ / ١٥٢٣م) إلى الشيخ الفقيه المتصوف عمر بن عبدالله بن إبراهيم بن أحمد باجَمَّال الحضرمي (ت٩١٦هــ / ١٥١٠م) ، ومع أنها ليست كسابقاتها من ناحية الفصاحة والبلاغة ، ولا نوردها هنا إلا لكونها بين شخصيتين صوفيتين مختلفتين عن النماذج السابقة ، ومما جاء فيها : " ثمَّ المسؤول – يا سيدي – أن تلاحظوا محبكم بنظرة إلهية ، تنطبع فيه الأخلاق الجميلة ، وتمحي عنه الأخلاق الرذيلة ، فإن لي نُفَيْسَه عُجِن فيها ، وبها أخلاق ذميمة عجزت عن معالجتها ، ولعل نظرة تريح من العنا ، أنال بها المنى . . . كان الله لكم ، وجزاكم الله عن المسلمين خيراً ، وما ذلك على الله بعزيز ، زادكم الله من فضله وعطائه "[1] .

- **(ب) النثر المرسل (التأليفي):**

إذا كان النثر المسجوع الشامل للخطابة والرسائل السلطانية والرسائل الإخوانية والمقامات يتميز باحتوائه على أشكال السجع والقافية بين الكلمات الواردة في ختام الجمل والعبارات ، وبتضمنه للمعاني البيانية والمحسنات البديعية ، فإن النثر المرسل – المعروف بخلوه من تلك المميزات الخاصة بالنثر المسجوع – قد كان ، في الغالب ، لغة المصنفات العلمية في جميع فروع المعرفة ، والإشارة التي أوردناها إلى أن هناك من المؤلفين من العلماء من حرص على أن يجعل مصنفه كاملاً كمقطوعة طويلة من النثر المسجوع لا تعني انتهاج كل المصنفين للأسلوب ذاته أبداً، فالشـــريحة التي بين أيدينا من مصادر الدراسة التي صنفيت في المدة التي ندرسها معظمها نثراً مرسلاً .

لن ينحصر حديثنا عن أمثلة النثر المرسل في المصنفات العديدة في فروع العلوم ، بل إن المؤلفات والموسوعات الأدبية التي كان الأدب النثري محورها الأول هي لُبُّ النثر المرسل وشاهده الأكبر ، وخاصة أنها جمعت بين ثناياها فنونه المتعددة من حكم وأمثال وقصص وأخبار ونوادر ومُلَح وطرائف وغيرها .

ومن اليمنيين الذين برعوا في الأدب وفنونه – معرفةً وروايةً – في القرنين التاسع والعاشر الهجريين نذكر الأديب الزبيدي أحمد بن أبي بكر بن معدان

---

(1) العيدروس ، النور السافر ، ص ٢٠١ .

(ت٨٠٠هـ / ١٣٩٧م) الذي اشتغل بفنون الأدب وشارك في كثير من العلوم ، وبرز في منثورها ومنظومها ، كما روت بعض المصادر أن الشيخ المؤرخ والنسابة أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) كان ممن قرأ في الأدب ونظم الشعر تعصباً للقحطانية[١] .

ومنهم أيضاً الأديب علي بن محمد بن إسماعيل الناشري (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ، وصفه الخزرجي[٢] فقال : " أحد البلغاء العصريين ، كان أوحد زمانه ، وقريع أقرانه ، شاعراً أديباً لبيباً ، نال شفقة من السلطان الملك الأشرف فكان أوحد جلسائه ، وأوحد أصفيائه ، وله فيه القصائد الفاخرة ، والمدائح الباهرة ، وكان السلطان يعطيه عطاءً جزيلاً ، ويحتمل أقواله وأفعاله جداً وهزلاً ، وكان حسن المحاضرة ، كثير المحفوظات ، عارفاً بالأخبار والتواريخ والأنساب ، وآداب الملوك ، وكان مشاركاً في كثير من العلوم ... " وصنف في الأدب كتاب (السلسل الجاري في ذكر الجواري)[٣] .

ومنهم الفقيه العلامة رضي الدين أبو بكر بن يوسف بن إسحاق المشهور بابن المستأذن (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) ، الخطيب المفوه بجامع عدن ، عرف – مع تميزه في الخطابة – ببراعة في فن الأدب[٤] .

ومن رجال الأدب آنذاك أيضاً الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ /١٤٣٣م) الذي كان له في الأدب المنثور باع طويل ، ولا تقل مشاركته فيه عن مشاركته في الشعر التي رأيناها في العناوين السابقة من هذا الفصل ومن الفصول السابقة ، وصنف في الأدب كتابه (غاية الكمال في سوائر الأمثال)[٥] .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٢ .

(2) الخزرجي ، **العقد الفاخر الحسن** ، ق ٥٠ – ب .

(3) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٥ ص ٢٩١ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٢٢ .

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٢٩ .

(5) منه نسخة مصورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي التابع لجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، ميكروفيلم رقم (٢٩٥ أدب) ، وهي مصورة عن النسخة المحفوظة بليدن في هولندا تحت رقم ٣٥٩ ، علي بن علي أحمد ، **الحياة العلمية في تعز**، ص ٤٣٧ .

ومنهم أيضاً الفقيه شهاب الدين أحمد بن أبي القاسم السهامي (ت٨٣٨هـ / ١٤٣٤م) الذي تتلمذ على يدي أبي بكر الدماميني الاسكندراني المصري الذي زار اليمن ، فاشتهر السهامي بمعرفته بالأدب والبلاغة[١] ، وكذلك زميله في التتلمذ على يد الدماميني الإسكندراني الفقيه الأديب شهاب الدين أحمد بن عمر بن أحمد المنقش (ت٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) الذي برز في الأدب أيضاً حتى صنف فيه كتاب (درر الأخبار وجواهر الآثار)[٢] .

ومن المشتغلين بالأدب أيضاً العلامة الفقيه الأديب جمال الدين محمد بن أبي القاسم المقْدَشي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٨م) كان مشهوراً بعلم الأدب ، وقد تخرجت به جماعة من الطلبة في هذا الفن ، وقد اختير مؤدباً لبعض أولاد السلطان الأشرف الثاني إسماعيل ، وممن تأدبوا على يديه السلطان الظاهر يحيى بن الأشرف[٣] .

ومنهم الإمام العلامة الأديب حسام الدين عبدالوهاب بن عبدالله السراف النهام (ت٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م) ، قرأ كثيراً في فن الأدب على من له مشاركة فيه من علماء زبيد ، وأجاده حتى قعد لتدريسه فيها حتى فضل على شيوخه ، وكان به شعر جيد ، منه ما كتبه إلى بعض أصدقائه يطلب منه قضاء حاجة له :

سـلامي يحاكي المسك طيـب ذكائه
ويشبه ضوء الشمس وسط سمائها

عليك جـمال الديـن ما لاح بـارق
ومـا هملت سـحب السماء بمائها

وقد عرضت لي يا فتي الجود حاجة
فحقق رجـائي باعتناء قضائها[٤]

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٩٩ .

(2) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ ص ٤٩ ، ٥٠ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣١٣ .

(4) المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

ومنهم أيضاً الأديب المقرئ العالم شمس الدين علي بن أبـي بكـر السحولي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، كانت له اليد الطولى في علوم النحـو واللغـة والعـروض والقوافي وأمثال العرب وشـواهدها ، ويشارك في علوم الفقه والمنطـق والحكمـة ، ووقد وردت في ترجمته بعضاً من أشعاره ، وكما ذكر فيها أن له " المقطعات العجيبة ، المحتوية على المعاني الغريبة التي لم تسمح بها قريحة أهل الوقت بمثالها ، ولا نسجت على منوالها ، وذلك كثير مما ينبغي أن يجمع في جـزء منفـرد لكثرتـه وعجيـب فوائده "[1] ، والعجيب أن هذا العالم الأديب لما ابتلي بفقد بصره لم يمنعه ذلك عن دوام الكتابة الأدبية ، فقد كان يملي ما ينظمه من شعر أو نثر ، يجمع العشرة الأبيات فـأكثر ثم يلقيها على من يكتبها ، حتى إذا اجتمع شيئ كثير عرضه على ظهر الغيب[٢] .

ولما وجهه الفقيه إبراهيم الأخفافي إلى علماء الزيدية سؤالاً في مسائل تتعلق بما يقع الاختلاف فيهن بين الزيدية وأهل السنة ، وردوا عليه بالكلام والنظم والسب لـه ، انتصر له المقرئ السحولي بنظمه (القصيدة البليغة في الرد على الزيدية) وهي رائية مكونة من ثلاثمائة بيت تقريباً ، وأقام الحجة – بحسب المصدر – بما أعجـزهم عـن الجواب ، حتى أن هناك من أسماها بـ (المسكتة) ، وسماها بعضهم (الشهب الثواقب الدامغة للفرقة القدرية الزائغة) ، وقد اشتهرت في أيدي الناس وتداولوها الركبـان فـي الأقطار والبلدان[٣] .

ومـن المشاركـين في الأدب كذلك المحـدث أحمد بن أحمد بن عبداللطـيف الشـرجي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) صاحب كتاب (نزهة الأحباب في النوادر والمُلَح)[٤] .

وقد مر علينا ذكر الشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم المغربـي الأندلـسي العدني الشهير بالشماع (كان حياً في ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) ، وذكرنـا أنـه عـرف بالإجادة الكبيرة لفن الأدب والرسائل والمسائل ، وأنه كان سهل الألفاظ ، عذب الكلام ،

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١١٣ .

(2) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(3) المصدر السابق ، ص ١١٤ .

(4) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ١ ص ٢١٤ ، ومن كتابه المذكور نسخة خطية بدار الكتب المـصرية ، برقم (٧٢٦ أدب) ، الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٤٢٦ .

أوحد البلغاء ، وأشهر الفصحاء ، وأشرنا إلى أنه قد جمع كتاباً يحتوي على فصول فيما يحتاجه الإنسان من العقائد الدينية والقواعد الإسلامية ، وفيه أدعية وعزائم مجربة مشهورة ، وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومواعظ من أقوال العلماء وحكايات وأخبار عن السلف ، وفيه أشعار ومكاتبات بينه وبين أقرانه من أهل الأدب[١] .

وممن ذكر عنه الاشتغال بالأدب الشيخ عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله بن عبدالرحمن السقاف باشُمَيْلَة الحضرمي (ت٩١٦هـ / ١٥١٠م) ، قيل أنه كان متقدماً في علم الأدب ، متمسكاً منه بأقوى سبب ، وله نظم كله جوهر ، وإنشاء جميعه محرر ، وديوانه معروف ، وله قصيدة طويلة مرضية سماها (العلوية في مدح خير البرية)[٢] .

وكذلك كان الإمام الأديب حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري (ت٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) ، اشتغل بالأدب وصنف فيه كتباً ، وكانت له حظوة كبيرة عند السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب الطاهري (ت٩٢٣هـ / ١٥١٧م) ، وقدم له هدية أدبية قيمة ، هي كتاب صنفه في الأدب ، ضمنه الكثير من الطرائف والملح والنكات العلمية والمسائل الفقهية المتعلقة بالصيد ، وقد أسماه (انتهاز الفرص في الصيد والقنص) ، وله في الأدب كتابان آخران هما كتاب (عجائب الغرائب وغرائب العجائب) ، وكتاب (سالفة العذار في الشعر المذموم والمختار)[٣].

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٣٣٨ .

(2) الشلي ، السنا الباهر ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(3) العيدروس ، النور السافر ، ص ١٢١ .

الفصل الثامن

اهتمام علماء اليمن بالعلوم الاجتماعية والعقلية والتطبيقية ومصنفاتهم فيها

من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

تمهيد :

لعله من الانطباعات الشائعة لدى كثير من غير المتخصصين في التاريخ ، وخاصة في مجالاته العلمية والحضارية ، أن علماء الإسلام اكتفأوا على العلوم الشريعة وما تفرع منها ، وما دار في فلكها من العلوم المساعدة فقط ، وأنهم قضوا في دراسة ذلك كل أعمارهم جيلاً بعد جيل ، وما أثبتته المصادر التاريخية المتعددة هو أن أولئك العلماء – في كل أقطار العالم الإسلامي – قد قد طافوا في حقول المعرفة الكثيرة ، وأسهموا فيها ، وأدلوا في تطويرها بدلوهم ، فدرسوا ما توافـر وصنف بلغتهم ، وانبرى بعضهم لدراسة ما كتب باللغات الأخرى ، وحاكوا السـابقين مـن العلماء في الأمم الأخرى في دراسة العلوم الاجتماعية من تاريخ وجغرافيا بعد أن صبغوه بصبغتهم وفكرهم ، وكذلك فعلوا مع العلوم التطبيقية والعلمية كالطب والفلك والملاحة البحرية والرياضيات .

وفي هذا الفصل سيتبدى لنا ما قدمه علماء اليمن وبذلوه من جهود وأوقات في دراسة العلوم اللغوية والأدبية والاجتماعية والتطبيقية ، وما صنفوه وألفوه من الكتب فيها ، وهو جزء يعبر عن إسهامات علماء الإسلام في تطوير العلوم الخادمة للبشرية والرافعة من شأنها .

أولاً : العلوم الاجتماعية :

نحن عندما نستخدم مصطلح العلوم الاجتماعية في دراستنا هذه فإنما نشير به إلى ذلك الحقل المعرفي الذي يهتم بدارسة الإنسان في تفاعلاته الاجتماعية على مختلف الأصعدة في علاقته مع إنسان آخر أو جماعة أو دولة ، وقد كانت نشأة العلوم الاجتماعية عبر سلسلة من التراكمات الفلسفية ابتداء من الإرهاصات الأولى لحضارات الشرق القديم مرورا بالتراث الفلسفي الإغريقي والإسهامات الرومانية والإسلامية التي استفاد من الإسهامات السابقة ثم إعطائه لدفعة منهجية قوية لهذه العلوم لينقلها من فلسفة اجتماعية إلى علوم اجتماعية ذات تقنيات منهجية مستقلة طورت التعامل مع الظواهر من مستوى التوصيف إلى مستوى التحليل والتفسير.

(١) السيرة النبوية :

جاء التصريح الرباني واضحاً في أن سيرة رسول الله ﷺ هي الأنموذج الأكمل لمن أراد البحث عن القدوة والمثال في السير إلى الله تعالى ، وتلمس المضي على صراطه المستقيم ، فقال تعالى : ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ۝٢١﴾[١] ، فكانت دراسة السيرة النبوية والتأليف – كما استقر في وعي الشخصية المسلمة دوماً – هي الطريق إلى استخلاص مواطن صور التأسي بصاحبها ﷺ ، فهي بالفعل قد مثلت سجلاً حافلاً بالمآثر ، عامراً بالمكرمات ، مفعماً بالفضائل ، كما أنها غدت منبعاً دائم الجريان لاستقاء التصورات الصحيحة عن كيفية تطبيق مبادئ الإسلام الحنيف ، وفاضت بدروس الخير ، وكيفية إيقاظ الهمـم ، وشحذ العزائم وإذكاء الإيمان ، ورسم الطريق إلى بلوغ مرضاة الله عز وجل .

ومن جانب آخر فإن دراسة ما وقع في السيرة من مغازٍ وسرايا ، وما نشأ عن تلك الغزوات والسريا من فتوحات أسهم في حل مشكلات فقهية عديدة تتعلق بنظام الارض ، والتعامل مع نتاجها ، وذلك حسب فتحها صلحاً أو عنوةً ، بالجزيه أو الخراج

---

[١] سورة الأحزاب .

وغير ذلك ، ومن السيرة النبوية استقى المسلمون أحكام أهل الذمة وملامح أوضاعهم في إطار المجتمع الإسلامي .

ولعلنا نجمل هنا – إضافة إلى ما سبق – أهم ملامح الأهمية التي أدركها العلماء المسلمون في دراسة السيرة والمغازي والتأليف في بابها ، وذلك كما يأتي :

١. أنها تعد مذكرة تفسيرية للقرآن الكريم ، أو هي التطبيق والتفسير العملي له ، فلا شك أن النبي ﷺ هو أفضل من فهم القرآن الكريم وفق مراد الله تعالى ، فهو مبلغ الرسالة عن ربه عز وجل ، وهو أعظم من فسر كتابه ، كما أنه ﷺ لم يقدم تفسيره للقرآن في ألفاظ منطوقة فحسب ، بل قدمه سلوكاً من خلال حياته العملية والدعوية كلها ، فكانت حياته كلها ترجمة فعلية حية للقرآن الكريم ، حتى صدقت في وصفه مقولة أنه " كان خلقه القرآن " وكذلك " كان قرآنا يمشي على الأرض " ، فكانت سيرته كلها أرضاً خصبة للمفسرين بما توفره من معرفة أسباب نزول الآيات والمواقف التي نزلت فيها ، وكيفية تطبيق الجيل الأول من المسلمين لها .

٢. في دراستها والاهتمام بها ضمان لعدم الغلو أو التعسف في فهم النصوص وضبط ذلك بتطبيق النبي ﷺ ، فقد جاء أن السيرة النبوية هي (الحكمة) المشار إليها في قول الله تعالى : ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾[١] وقوله تعالى : ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾[٢] ، كما أن علماء الإسلام أدركوا أنه ليس في الإمكان فهم النصوص – قرآناً وسنةً – فهماً لغوياً مجرداً في معزل عن طريقة تطبيق النبي لها .

٣. ربط القلوب بصاحب السيرة العطرة محمد ﷺ ، وتقديم القدوة العملية الخالدة للأجيال المسلمة على مر العصور من خلال حياة الرسول ﷺ وصحابته كقصة

---

(1) سورة البقرة .

(2) سورة الأحزاب .

حياة كاملة ، يقـول الله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ... ﴾[1] ، والمطالبة بالاقتداء بالنبي تستوجب دراسة مسيرة حياته بكل دقائقها وتفاصيلها للتأسي بها في كل موقف من مواقف الحياة المعاصرة .

٤. أن السيرة النبوية – مع الحديث الشريف – يمثلان معاً السنة النبوية التي أجمع المسلمون على أنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي ؛ لأن السنة النبوية تشمل الأقوال والأفعال والتقرير ، وإذا كان علم الحديث يقوم في المقام الأول على الأقوال فإن المواقف والأفعال والمواقف التقريرية تعتبر عماد السيرة النبوية ، وبالتالي فإن العناية بها عناية بالمصدر الثاني للشريعة المطهرة .

لم يغب ذلك كله عن علماء اليمن عبر فترات تاريخها الإسلامي ، فكان الاهتمام بدراسة السيرة النبوية يجمعهم ، إلا أن من التصنيف فيها عندهم اتخذ ثلاثة صور : إما التأليف المنفرد فيها بمصنفات تخصها ، أو جعلها فصولاً كبيرة في إطار مصنفات تشملها مع غيرها من القرون التالية من تاريخ الأمة ، أو الحديث عنها في شكل منظومات شعرية تتناول نتفاً منها بحسب ما تمليه المواقف التي قيلت فيها .

ومن علماء اليمـن في مدة هـذه الدراسـة الذين اعتنوا بالسـيرة النبوية نذكـر الفقيه عمر بن علي بن أحمد الأنصاري المعـروف بابن المُلَقِّن – واشتهر كذلك بابن النحوي – الزبيدي (ت٨٠٤هـ / ١٤٠١م)[2] ، فقد صنف في السيرة النبوية والشـمائل المحمـدية كتاباً في خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ، وسماه (غاية السؤول في خصائص الرسـول)[3] ، وقد ورد ذكره عَـرَضاً في ثنايا الترجمة الذاتيـة الخاصة التي كتبها الإمـام المـؤرخ الأهـدل عندما قال : " واختصرت خصائص النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي وضعها ابن النحـوي ، وزدت فيه مواضع يسيرة "[4] .

---

[1] سورة الأنعام .

[2] السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٦ ص ١٠٠ ، ١٠٢ .

[3] يقول الحبشي أنه قد طبع ، ومنه عدة نسخ مخطوطة ، ونسب قوله إلـى كتابـه **معجـم الموضـوعات المطروقة** ص ٤٨٧ ، وذلك في هامش ص ٢٥٧ من **تحفة الزمن للأهدل** .

[4] الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٢٥٧ .

ومنهم أيضاً أحد أعلام المؤرخين اليمنيين الإمام المؤرخ أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي (٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ، فهو وإن لم يصنف في السيرة النبوية كتاباً خاصاً بها فقد اقتطع لها جـزءاً عزيزاً في صـدر كتابيه (طراز أعلام الزمن في تراجم علماء اليمن) و(العقد الفخر الحسن في طبقات أكابر اليمن)[١] ، نراه يقول في المقدمة[٢] : " إن أول ما بدأنا به من كتابنا هذه مقدمة في ذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ هو المقصد الأسنى والغاية الحسنى ، تشتمل على نسبه ومحتده ومنشأه ومولده ، وماكان من شرف حالاته إلى يوم وفاته ، وما يندرج تحت ذلك من ذكر بنيه وبناته، وأعمامه وعماته ، ورسله ومواليه ، وبعوثه ومغازيه ، وعُمَرِه وحِجَّاتِه ، وخدمه وزوجاته ، ونقبائه وأمرائه ، وكُتَّابه وشعرائه ... " ، وقد شغلت السيرة النبوية قريباً من ثلاث وعشرين ورقة من مخطوطة الكتاب .

ومنهم أيضاً الفقيه أحمد بن محمد بن يوسف بن حفيص المعروف بمعوضة القرشي الأموي (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م) ، فقد ذكر في قائمة اهتماماته من العلوم وما اشتغل به منها السيرة النبوية ، وهو فيها من تلاميذ الإمام العلامة الحافظ المحدث شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن علي العَسْقَلي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) ، وكان الفقيه معوضة الأموي يقرأ ويقرئ في اليوم الواحد العديد من الدروس ، منها ما هو له على شـيوخه ومنها ما هو منه لتلاميذه ، وكان مسجد بني شيبة – وهو إمامه وخطيبه – في وادي مَوْر هو موضع حلقته التي كان للسيرة النبوية حيز كبير فيها[٣] .

وكان للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) اهتمام خاص بالسيرة النبوية ، فنراه وقد وضع فيها أكثر من مصنف واحد ، وأشهر كتبه في السيرة النبوية كتابه (الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر وأصحابه الغرر

---

(1) على افتراض أنهما كتابين مختلفين لا كتاباً واحداً ، فقد ذكر بعض الباحثين أنهما في الأصل كتاباً كمـا سيأتي بيانه .

(2) العقد الفاخر الحسن ، ج ١ ق ٥ – ب .

(3) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٥٠ .

وعترته الأئمة الزهر)[1] ، كما ان له كتاباً آخر فيها عنوانه (الدرر المنيرة في الغريب من فقه السيرة)[2] ، ثم أنه شرح كتابه الأول بكتاب آخر سماه (يواقيت السير في شرح كتاب الجواهر الدرر)[3] .

وعلى نهـــج الإمـــام المؤرخ الجَنَدي وغيره ســـار الإمام الأهدل في استهلال كتابة تاريخه (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) بالسيرة النبوية المطهرة ، فقد اقتطع في الحديث فيها جزءاً لا بأس به من الكتاب[4] ، ثم أنه – كما مضى آنفاً – قام باختصار كتاب (غاية السؤول في خصائص الرســول) الذي ألفه الفقيه عمر بن علي ابن أحمد الأنصاري ابن النحوي المعــروف بابن المُلَقِّن الزبيدي (ت٨٠٤هـــ / ١٤٠١م) ، وقد أشار الأهدل نفيسه إلى انه زاد فيه زيادات في مواضع يسيرة[5] .

وممن اعتنوا بالســيرة البنوية أيضاً الإمـــام الحافظ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي (ت٨٩٣هــ / ١٤٨٧م) ، فقد صنف في السيرة النبوية كتابه (الجوهر اللطيف في المولد الشريف) ، وهو ما أشار إليه الحبشي بدون ذكر مصدر هذه المعلومة[6] .

ومنهم كذلك الإمام الحافظ المؤرخ المحدث أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري (ت٨٩٣هــ / ١٤٨٨م)[7] ، فقد ترك فيها أثراً يعد أفضل ما صنفه

---

(1) منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع في مكتبة جامع شهارة ، ومنه أيضاً ثلاث نسخ أخرى بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت أرقام (٢٠٥٥) و (٨٢ مجاميع) و (١٠٢ مجاميع) ، ومنــه نــسخة رابعــة مصورة – في مكتبة عبدالله عبدالله الحوثي ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٠٨ .

(2) ذكرها الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٢٠٨ ، ولم ينسبها إلى مصدر ذكرها .

(3) منه نسخة مخطوطة في مكتبة العلامة مجد الدين المؤيدي بصعدة ، ونسخة أخرى بمكتبة الجامع الكبيــر الشرقية تحت رقم (٢١١٦) ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٢٠٩ .

(4) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٣١ – ٤٠ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٢٥٧ .

(6) **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٩٨ ، وذكر ان منه نسخة مخطوطة بمكتبــة الجــامع الكبيــر الغربية تحت رقم (٣٦٣ كتب حديثة) .

(7) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٥١ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٨١ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٠ ص ٢٢٤ ، زبارة ، **أئمة اليمن** ، ٣٥١ .

العلماء اليمنيون في السيرة النبوية ، ألا وهو كتاب (بهجة المحافل وبغية الأماثل في السير والمعجزات والشمائل)[1] ، وهو كتاب شامل في السيبرة النبوية ، لم يترك فيها شاردة ولا واردة إلا وتطرف إليها ، وعليه اعتمد عدد من المؤرخين اليمنيين الذين صنفوا تواريخ تضمنتها كما سيأتي بيانه .

وكتاب (بهجة المحافل) من الكتب التي لاقت قبولاً واسعاً في اليمن لدى أهل السنة والزيدية على السواء حتى يوم الناس هذا ، وجاء القبول للكتاب – في وجهة نظري – كجزء من حالة الرضا التي تمتع بها المؤلف العامري نفسه ، فهو – كما سبقت الإشارة – أحد أكبر المحدثين اليمنيين عموماً ، وأكبر المحدثين في اليمن في أواخر القرن التاسع الهجري على الإطلاق ، واهتمت به الزيدية لاتصال أسانيد بعض أئمتها وعلمائها في علوم الحديث بالإمام العامري .

وللإمـــام أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري كتاباً آخر في السيرة النبوية غير (بهجة المحافل) ، هو كتاب (حادي القلوب إلى وطن المحبوب)[2] ، ولعلها سيرة منظومة شعراً ، إضافة إلى ما أورده باختصار كبير في مقدمة كتابه (غربال الزمان ووفيات الأعيان) في التاريخ العام ، فقد افتتحه أيضاً بالسيرة النبوية .

ومنهم أيضاً الفقيه أبو بكر بن محمد بن أبي بكر الحرضي (ت٨٩٤هـــ / ١٤٨٨م) الذي وضع كتاب (روضة الحنفا)[3] في السيرة ، وكذلك الفقيه المتصوف الحســين بن الصديق الأهدل (ت٩٠٣هـــ/ ١٤٩٧م) الذي صنف كتاب (بغية

---

[1] منه نسخة مخطوطة قديمة في مكتبة أحمد بن عبدالقادر الأهدل بمدينة زبيد ، ومنه نسخة أخرى بمكتبـــة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٠ تاريخ) ، وقد صدر مطبوعاً للمرة الأولى فـــي القـــاهرة ســـنة ١٣٣١هـــ ، مقروناً بشرحه المسمى (العلم الكافل بشرح بهجة المحافل) للعلامة محمد بن أبـــي بكـــر الأشخر (ت٩٩٢هـــ / ١٥٨٤م) ، وطبع مرة أخرى بتحقيق زكريا عميرات عام ١٤١٧هـــ / ١٩٩٦م عن دار الكتب العلمية ببيروت ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكـــر الإســـلامي فـــي الـــيمن** ، ص ٩٨ ، الحبشي، **مخطوطات مكتبة المؤرخ محمد بن محمد زبارة** ، ص ٨ .

[2] منه نسخة مخطوطة في العام (٨٨٤هـــ / ١٤٩٧م) في عصر المؤلف نفـــسه ، وجـــاءت فـــي ٢٢٢ ورقة، ولعلها النسخة الأم ، وهي محفوظة في المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، ومنها صورة بمكتبة جامعة الرياض بالسعودية ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

[3] الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٩٨ .

الظريف في المولد الشريف)[1] ، كما كان ووصف الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن علوي بن حسن شنبل (ت٩٢٠هـ / ١٥١٤م) بأنه عارفٌ بالسيرة النبوية وأيام العرب وأنسابها[2] .

وصنف العلامة عبدالله بن المطهر بن محمد الحمزي (ت٩٢٣هـ / ١٥١٧م) كتاباً في السيرة النبوية سماه (رياحين الأنفاس المهتزة في بساتين الأكياس في براهين رسول الله إلى كافة الناس) ، ولعل الإمام الشوكاني قد اطلع على هذا الكتاب في القرن الثالث عشر الهجري ؛ لأنه وصفه بانه " كتاب نفيس "[3] ، وقيل في وصفه أنه " أورد جزءاً من مقدمة الكتاب من مضمونها أن الكتاب في خمس مقالات في خلقه صلى الله عليه وآله وسلم ، والثانية في خلقه ، والثالثة في أسمائه ، والرابعة في كراماته، والخامسة في المعجزات وغيرها مبوبةً في ثمانية أبوب ... "[4] .

وللإمام العلامة جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) إسهام في الاهتمام بالسيرة النبوية والتصنيف فيها ، فمما ألفه كتاب (تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية الأحمدية)[5] ، وكذلك وضع كتاباً بعنوان (سيد مولد الأولين والآخرين)[6] .

وقد أسهم الإمام المحدث المؤرخ عبدالرحمن بن علي بن الديبع (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) في الاعتناء بالسيرة النبوية فألف مجموعاً فيه قصائد في مولده ومعجزاته

---

(1) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٥٤ سيرة) لكنه فيهما تحت عنوان (المنهج الأعدل)، وهناك نسخة أخرى بمكتبة دوعن بحضرموت ، وأخرى بمكتبة الظاهرية في دمشق تحت رقم (٨٢١٤ تاريخ) ، ونسخة ثالثة في مكتبة الأحقاف بحضرموت تحت رقم ١٩١ ، وفي مكتبة الحرم المكي نسخة منه تحت رقم ٨/١٠٠/٥٣ ، ونسخة بدار الكتب المصرية برقم (١٤١٨) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٩٨ .

(2) الشلي ، **السنا الباهر** ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(3) الشوكاني ، **البدر الطالع** ، ص ٤٠٥ .

(4) الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٢١ .

(5) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، الشلي ، **السنا الباهر** ، ص ٢١١ ، وذكره الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٩٩ ، واكتفى بالإشارة إلى أنه قد طبع مؤخراً .

(6) منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقمي (١٠٧٩٩) و (٨٥٧١ ضمن مجموع في الأوراق ١٣٩ – ١٥١) ، انظر **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

صلى الله عليه وسلم وسماه (سرور المؤمنين بمولد النبي الأمين)[١] ، وله أيضاً كتاب (إتحاف اللبيب بإسراء الحبيب)[٢] ، ثم شرح القصيدة الشهيرة التي مدح بها الشاعر الصحابي كعب بن زهير بن أبي سلمى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وعَنْوَنَ الشرح بـ (شفاء الفؤاد بشرح بانت سعاد)[٣] .

ويعد الإمام المؤرخ أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بن علي بامخرمة (ت٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) واحداً من كبار رجال اليمن في القرن العاشر الذين اهتموا بالسيرة النبوية كثيراً ، وما خصصه من كتابه الكبير (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) يشهد بذلك ، وهو – من جانب آخر – أحد المؤرخين اليمنيين الذين اعتمدوا على ما كتبه الإمام العامري في (بهجة المحافل) ، غير أنه تميز عليه بالزيادات الحسنة التي كان لم تكن تـوردها كتب السيرة النبوية المتقدمة ، فنراه يقحم في (القلادة) بعض المعلومات المتأخرة المتعلقة ببعض الأماكن والمواضع الواردة فيه ، مثل حديثه عن تحول دار أبي أيوب الأنصاري في العهد الأيوبي إلى مدرسة للفقه على المذاهب الأربعة[٤] ، وكذلك حديثه عن دور السلاطين الرسوليين في العناية بالمسجد النبوي واستبدال منبره لما احترق في القرن السابع الهجري[٥] وغير ذلك .

تناول الإمام الطيب بن عبدالله بامخرمة السيرة في محورين ضمن الجزء الأول من الكتاب المذكور ، أما المحور الأول فهو أثناء إيراده – وبإسهاب كبير – لترجمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وفيات العام الحادي عشر للهجرة النبوية[٦] ، ثم أنه تعرض لغزوات النبي عليه الصلاة وأتم التسليم وسرايا أصحابه رضي الله تعالى عنهم

---

(1) طبع للمرة الأولى في الهند سنة ١٣١٢هـ ، ثم تكررت طبعاته ، ، انظر الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٩٩ ، وبعضها عن مكتبة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢ تاريخ) ، انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(3) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(4) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ١ ص ١٨٠ .

(5) المصدر السابق ، ج١ ص ٢١٦ .

(6) المصدر السابق ، ج ١ ١٣٥ – ١٥٧ .

أجميعين في الحوادث الخاصة بالطبقة الأولى من القرن الهجري الأول[1] ، ومجموع ما في المحورين يمكن إفراده في جزء خاص مستقل صغير ليتصدى أحد الباحثين بدراسته والعناية به .

وقد قام بعض علماء اليمن بنظم مدائح شعرية كبيرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تضمنت العديد من الإشارات إلى مواقعه وغزواته وشمائله ، ثم قام بعض الناظمين أنفسهم ، وأحياناً بعض تلاميذ تلاميذهم – بشرح هذه القصائد ، فجاءت الشروح وكأنها كتب وضعت في السيرة النبوية نفسها ، وأشهر من شرح هذه المنظومات العلامة يحيى بن محمد حَنَش (ت في أواخر القرن التاسع الهجري) ، إذ قيل أنه شرح المنظومة الشهيرة التي أبدعها الإمام المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان بن محمد الحمزي (ت٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) والمسماة بـ (انقضاء الوطر في مدح خير البشر)[2] .

وقد حظيت منظومة (القصص الحق في مدح وذكر معجزات سيد الخلق)[3] التي نظمها في ١٥٠ خمسين بيتاً الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين بن أحمد بن يحيى (ت٩٦٥هـ / ١٥٥٧م) بكثير من الاهتمام ، واعتنى بها معاصروه كثيراً ، وتعددت شروحها ، ومن هذه الشروح ما تأخر تصنيفه إلى أواخر القرن العاشر وما بعده ، ومن شروحها المبكرة في المدة الداخلة في مدة دراستنا كتاب (ابتسام البرق شرح القصص الحق في مدح وذكر معجزات سيد الخلق)[4] الذي

---

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ١ ص ١٧٨ – ٢٣٧ .

(2) زبارة ، **أئمة اليمن** ، ص ٣٢٧ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٧٦ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٩٨ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١١٥٠ .

(3) لاكتفى الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١١٣٥ بالقول : " عليه شروح كثيرة ، منها شرح (ابتسام البرق) مطبوع ، ومن المنظومة نسخ خطية كثيرة في الجامع – أي الجامع الكبير بصنعاء – وليدن وأمبروزيانا ... .

(4) منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢١١٤) و (١٣٩ مجاميع) ، ونسخة ثالثة في مكتبة مركز بدر العلمي بصنعاء ، ونسخة رابعة في مكتبة آل الهاشمي ، وخامسة بمكتبة العلامة مجدالدين المؤيدي ضمن مجموع (غايات الأفكار) ، ونسخة سادسة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٠٢ تاريخ) ضمن الكتب المصادرة ، ونسخة سابعة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٤ مجاميع) ، وقد طبعت في بيروت عام ١٩٧٤م عن مؤسسة غمضان ، انظر الحبشي ،

وضعه الإمـــام العـــلامة محمد بن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّـعْدي (ت٩٥٧هـــ / ١٥٥٠م) ، والشرح الذي وضعه العلامة محمد بن أبي بكر المقرئ الحرازي (ت بعد ٩٦٥هـــ / ١٥٥٧م)[1] ، كما قام العلامة عبدالله بن الناظم الإمام شرف الدين نفسه بوضع ثلاثة شروح عليها هي (بلوغ السؤول في مدح الرسول)[2] و (فتح العلي الحق شرح القصص الحق) في مجلدين[3] ، و(مواهب الملك الحق في شرح القصص الحق)[4] .

(٢) التـــاريـــــخ :

الإنسان عبر تاريخه الطويل مرتبط أشد الإرتباط بجذور تاريخية في كل جوانب حياته المختلفة ، وما المرحلة التي يعيشها إلا إحدى حلقات سلسلة تاريخية طويلة وعميقة الجذور ، ذلك أن وعي الإنسان التأريخي يبدأ منذ إدراكه لنفسه وشعوره بإنسانيته وبإحساسه ، لما له في ماضيه – من خلال أسلافه – من رصيد تاريخي ، وقد دأب الإنسان على تسجيل تجاربه الحياتية المختلفة، بمختلف الوسائل وبما تتيحه له ظروف عصره ؛ لأن هذا الإجراء هو جزء من متطلبات النفس الإنسانية وإحدى طبائع تكوينها الخلقي وفطرتها التي فطرها الله عليها .

مصادر **الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٩٩ ، الحبشي ، **مراجع تاريخ اليمن** ، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٢م ، دمشق ، ص ١٧ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠١٩ .

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٥٣ مجاميع) ، ونسخة أخرى تحت رقـــم (٢٣ نحو) ، انظر الحبشي ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٤٦ نحو) ، ونسخة أخرى فـــي مكتبـــة العلامة حمود شرف الدين ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٢٦٨ ، الحبـــشي ، **مـــصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٩٩ .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢١٢٣) ، نسخة أخرى من المجلد الأول بمكتبة العلامة حمود شرف الدين ، ، انظر الوجيه ، **المرجع السابق** ، الـــصفحة نفـــسها ، الحبـــشي ، **المرجع السابق** ، الصفحة نفسها .

(4) منه نسخة مخطوطة في خزانة الناصر بن عبدالرب ، ويرى الوجيه ، **المرجع السابق** ، الصفحة نفسها ، أنه هو نفسه (فتح العلي الحق في شرح القصص الحق) ، أما الحبشي ، **المرجع الـــسابق** ، الـــصفحة نفسها فإنه عدها منفصلةً ، وذكر أن منها نسخة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقـــم (٢١٢٣) وأن منه نسخة أخرى بمكتبة مكة المكرمة تحت رقم (١١ تاريخ) .

ولما كان اليقين راسخاً لدى معظم الأمم أن تاريخ البشرية يسير وفق سنن إلهية ثابتة ، تسري على الكون والبشر ، ولا يعتريها التغير أو التبدل ، فقد وجدت في التاريخ منبعاً لاستعراض التجارب التي من شأنها تهذيب مسيرتها وتقويم سلوكها الفردي والجماعي ، وزاد من أهمية هذا الجانب أن الإسلام رسخه وجعله ركناً مهماً في حياة الأمة ، إذ لفت القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة انتباه المسلمين إلى تفقده وأخذ العبرة والعظة منه ، وذلك من خلال تضمنهما لعدد كبير من القصص التاريخية التي جاءت في ثنايا السور والآثار النبوية ، فاستمد المسلمون نظرتهم إلى التاريخ ، من خلالهما فكانت نظرتهم له نظرة شاملة تكاملية أفقية واسعة ، بحيث شمل التأريخ تسجيل كافة النشاطات البشرية القابلة لأن تُتخذ للعظة والعبرة والعوامل المؤثرة فيها ؛ ولذلك تميز التاريخ الإسلامي عن غيره من تواريخ الأمم الأخرى بهذه الشمولية والعلمية ، كما تميز بارتباطه الديني بالعقيدة القائمة على التوحيد والشمولية التاريخية للإنسانية جميعها ، وشمولية موضوعاته الأخلاقية الحضارية لتشمل رصد كافة الجوانب الحياتية المختلفة للنشاط البشري ، وهو في الوقت ذاته تاريخ هذه العقيدة التي بينت لنا جزاء من يلتزم بها وجزاء من يخالفها .

وقد بلغ اهتمام العلماء المسلمين بالتاريخ قدراً لم يمنحوه علم آخر ، حتى غدا علم التاريخ – في نظرهم – هو مرآة الأمة التي تعكس ماضيها ، وتعين على ترجمة مفاخره في حاضرها ، ويساعد على الاستدلال على معالم الخير التي تنير مستقبلها ؛ لذلك كان اهتمامهم به ومداومتهم على دراسته ونقله إلى الأجيال نقلاً صحيحاً – بحسب الوسع والطاقة – من أولوياتهم ، هم وطلابهم .

يقول ابن خلدون[1] في بيان طبيعة التاريخ وأهميته : " إن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال ، وتُشد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السُّوقة والأغْفَال ، وتتنافس فيه الملوك والأقيال ، ويتساوى في فهمه العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول ، والسوابق من القرون الأول ، تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتُطرف بها الأندية إذا غصها الاحتفال ، وتؤدي إلينا شأن الخليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والمجال ، وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال " .

---

[1] ابن خلدن ، **مقدمة ابن خلدون** ، ج ١ ص ٢٨٢ .

والمطلع على كتب الطبقات والرجال يجد الكثير من العلماء وأصحاب الأدب وذوي الاطلاع على العلوم المختلفة ، قد جعلوا من التاريخ أساساً لكثير من العلوم التي تحدثوا وكتبوا فيها ، وقلما نجد علماً من كبار العلماء على مدار التاريخ الإسلامي من ذوي الإنتاج العلمي المكتوب إلا وله مصنف – أو أكثر – في التاريخ أو العلوم المرتبطة به[1] ، وذلك أنه لم يكن – في نظرهم – علماً منفصلاً عن غيره من العلوم ، بل كان وثيق الصلة بكثير منها ، فهو علم يحتاج إليه المفسر للحكم على الآثار الواردة في تفسيره ، ويحتاه الفقيه والحاكم والقاضي للحكم بموجبه ، ويحتاه المحدث للحكم على الحديث ومعرفة اتصال الأسانيد من عدمها ، بل هو مما يتعين معرفته على المحدثين خصوصاً وعلى سائر العلماء المعتبرين عموماً ، وهو عند أئمة الحديث المتقنين وحفاظه المحققين مما يجب تقديم الاهتمام به والاعتناء بحفظه ومطالعه كتبه ؛ لكونه يُعرَفُ به الصادق من الكاذب ، والمطلوب من الطالب ، قال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ بنعرف به الكاذب من الصادق ، وقال آخر : لم نستعن على الكاذبين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ : سنة كم ولدت ؟؟ فإذا أقر بمولده عرفنا صدقه[2] .

وقد اهتم اليمنيون بالتاريخ كما لم يهتموا بعلم آخر مثله ، وألفوا في فروعه المختلفة عدداً كبيراً من الكتب ، إلا أن اهتمامهم به جاء من بعد القرن الرابع الهجري ، إذ لم توجد إشارات تفيد بوجود من تخصص في كتابة التاريخ أو جعله في دائرة اهتمامه من أبناء اليمن ، وأبرز الرواد في الاهتمام بالتاريخ والتصنيف فيه من اليمنيين هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت٣٣٤هـ / ٩٤٥م) ، وأشهر كتبه هو كتاب (الإكليل) وهو كتاب تاريخي يغلب عليه الحديث عن الأنساب والآثار ، وقد فقدت ستة أجزاء من أجزائه العشرة ، وباتت في حكم المنقرضة ، وجاء بعده عدد من المؤرخين في القرن الخامس الهجري كالمؤرخ المجهول الذي كتب (تاريخ اليمن في الكواني والفتن وملوك حِمْيَر وفي رجال الحديث من الصحابة والتابعين وتابعي تابعيهم ومن وفد إلى رسول الله ﷺ من أهل اليمن ومن خرج من

---

(1) بامخرمة ، قلادة النحر ، ج ١ ص المرقمة بالحرف (د) من مقدمة المحقق .

(2) الحكمي ، الدرة الموسومة في شرح المنظومة ، تحقيق مهدي محمد يوسف الحرازي ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الأزهر ، ٢٠٠٠م ، ص ١٧ ، ١٨ .

العمال وما جرى في اليمن إلى القرن الخامس من الهجرة)[١] وكذلك أحمد بن عبدالله الرازي (ت٤٦٠هـ / ١٠٦٧م) صاحب كتاب (تاريخ صنعاء) .

ومن المهم الإشارة هنا إلى أن موقع اليمن الطرفي في الزاوية الجنوبية الغربية للجزيرة العربية ، إضافة إلى ما اكتنف ذلك الجزء العزيز من ظرف خاصة ، **طبيعية** كصعوبة التضاريس وتعقيد أشكال سطحه جغرافياً بما فرض عليه شيئاً من قبيل العزلة وصعوبة التنقل ، **واجتماعية** كتشكيلته القبلية وما يرتبط بها من صراعات دائمة مع بعضها ، **ومذهبية** بعد أن نشرت بين أبنائه دعوات العديد من المذاهب الفقيهة والفكرية وما ترتب على ذلك من تعدد للحكومات والدول ، كل ما مضى أسهم بشكل كبير في تعدد الكتابة التاريخية ما بين التأريخ للمذهب ، والتأريخ للدول والممالك ، والتأريخ لليمن كلها كونه قطراً مسلماً ، والتأريخ المحلي الإقليمي للمدن والأسر والعشائر وغير ذلك[٢] .

وقد تتابعت المصنفات التاريخية في القرون الهجرية التالية حتى بلغت مرحلة النضوج والإبداع في مدة رداستنا في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، إذ اندفع الكثير من العلماء والمؤرخين إلى تسجيل مجمل الأحداث القائمة في عهدهم وفي العهود التي سبقت أيامهم ، وخلدت في مؤلفاتهم مآثر السلاطين والحكام والأئمة والعلماء في الميادين المختلفة ، ونشطت حركة التأليف التاريخي كثيراً ببروز عدد من كبار المؤرخين اليمنيين[٣] .

ولتسهيل دراسة جهود المؤرخين اليمنيين في هذه المدة سنقوم بتقسم مصنفاتهم بحسب موضوعاتها إلى مجموعة من الفئات ، وذلك على النحو التالي :

---

(1) نسخة خطية مصورة عن نسخة بمكتبة يحيى الشحري ، صنعاء ، ص ١ .

(2) سامية أحمد فرج عبدالخير ، **الكتابة التاريخية في اليمن في القرنين التاسع والعاشر الهجريين** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٧م ، ص ١٠٦ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ، ٢٠١ ، ٢٤١ ، ٢٥٥ ، ٢٧٧ ، ٢٨٤ ، ٢٩١ ، ٣١٣ .

(3) د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ١٢٨ – ١٧٩ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٦٨ وما بعدها .

❖ التواريخ العامة :

من أكبر المؤرخين ضمن هذه الفئة السلطان الأشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، فهو – رغم تربعه على العرش الرسولي سلطاناً – معدود في العلماء اليمنيين الذين أسهموا في ازدهار الحياة العلمية في اليمن ، لذلك وفد على اليمن في عهده مجموعة من كبار علماء الإسلام كالإمامين الشهيرين ابن حجر العسقلاني ومجدالدين الفيروزابادي كما سبق بيانه في الفصل الخامس ، وله في التاريخ العام كتاب شهير ، هو كتاب (العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك)[1] ، وذكره البعض تحت عنوان (العسجد المسبوك والجوهر المحبوك والزبرجد المحكوك في أخبار الخلفاء والملوك)[2] ، وقد اختلف المؤرخون المعاصرون في نسبته إليه أو إلى الإمام الخزرجي ، والخزرجي والأشرف الثاني – في الأصل – متعاصران ، وربطت بينهما علاقة كبيرة ، وقد قسم الأشرف هذا الكتاب إلى قسمين ، وهو كله مرتب على السنين ، قسمه الأول يشتمل على مجمل لتاريخ الإسلام ابتداءً من صدره الأول ومروراً بالخلافة الراشدة فالعصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي ، أما القسم الثاني منه فهو يشتمل على ذكر ملوك مصر الشام والمغرب والأندلس ثم تاريخ اليمن حتى نهاية القرن الثامن الهجري .

وقد اعتنى المؤرخ الدكتور شاكر محمود عبدالمنعم بكتاب (العسجد المسبوك والجوهر المحبوك والزبرجد المحكوك في أخبار الخلفاء والملوك) وأفرد له دراسة واسعة سماها (الملك الأشرف الغساني وكتابه العسجد المسبوك) ، ونشرها مع الكتاب – محققاً – وجعلها في مقدمته على شكل دراسة وافية له ، وفيها أثبت بقرائن عديدة أنه

---

(1) منه نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية ، الأولى تحت رقم (١٢٨٩ تاريخ) ميكروفيلم ، والثانية تحت رقم (٣٨٦٣ تاريخ) ، ومنها نسخة مصورة بمكتبة الدراسات العليا بجامعة بغداد ، ونسخة أخرى بمعهد المخطوطات تحت رقم (١١٣٦ تاريخ) ميكروفيلم ، وأخرى بمكتبة الحرم المكي تحت رقم (٤٧) ، وأخرى بالمكتبة المحمودية بالمدينة المنورة تحت رقم (٥٥ تاريخ) ، ومنه نسخة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٣٢ تاريخ) ، وقد نشر بتحقيق د. شاكر محمود عبدالمنعم عن دار البيان ببغداد عام ١٩٧٥م ، د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

(2) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٩ لكنه أورده ضمن مصنفات الإمام الخزرجي .

فعلاً من تصنيف السلطان الرسولي الأشـرف الثاني إسماعيل[١] ، كما أنه نشر عنه دراسة أخرى خصصها لتحليل مصادر الأشرف الثاني إسماعيل في كتاب (العسـجد المسبوك) ، وَوَسَمَها بـ (تحليل مصادر العسجد المسبوك) للغساني[٢] .

مع مطلع القرن التاسع الهجري فقدت اليمن الإمام المؤرخ أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي ، وذلك بوفاته سنة (٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ، ففقدت بفقده واحداً من أبرز شـيوخ المؤرخين اليمنيين في عصرها الإسلامي ، فقد كان الخزرجي من علماء اليمن الذين ضربوا لأنفسهم في معظم العلوم بسـهم ، وكان لهـم في الأنساب والتاريـخ والأدب القـدم المعلى ، ومن اللافت للنظر أن الإمام جمال الدين محمد بن أبي بكر الخياط قد كتب عنه واصفاً إياه بـ (الإمـام)[٣] ، ولمكانة ابن الخـياط العلمية العليا فإننا نوقـن بأنه لم يخاطب الخزرجي بـ (الإمام) إلا لما كان يراه فيه من استحقاق لذلك اللقب الرفيع .

وقد وردت في بعض المصادر إشارات بالغة الأهمية في حياة الخزرجي ، وذلك متمثل في كونه كان محترفاً الزخرفة والبناء المعماري ، تلكم الحرفتان اللتان لا تزدهران إلا في عهود الرخاء الاقتصادي ، ولذلك فقد تسببت هاتان الحرفتان الفنيتان في اقتراب الخزرجي من الدوائر السلطانية الرسولية ، وهو دليل على مدى إتقانه لها وبراعته فيها ، حتى أنه كان يتلقى التفويضات بالبناء والزخرفة للبلاط الرسولي من السلاطين الرسوليين أنفسهم وبشكل مباشر ، ولم يترك الخزرجي الانطباع الحسن عنه لدى السلاطين الرسوليين إلا بعد أن شارك في زخرفة الكثير من المدارس والدور الملكية[٤] ، لذلك كان في مقدمة المزخرفين في دار الديباج بمنطقة ثعبات – خارج مدينة تعز ، ولما كان الحس التاريخي راسخ في عقلية الإمام الخزرجي فقد كان يقوم

---

[٤] د. شاكر محمود عبدالمنعم ، **الملك الأشرف الغساني وكتابه العسجد المسبوك** ، ملحق بكتاب **العسـجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** ، للملك الأشرف الغساني إسماعيل بن العبـاس (ت٨٠٣ هـ/١٤٠٠م) ، ص ١١ – ١٦٩ .

[2] د. شاكر محمود عبدالمنعم ، **تحليل مصادر العسجد المسبوك للغساني** ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ، العدد العشرون ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ٢٩٥ – ٣٢٩ .

[3] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٢ .

[4] المصدر السابق ، نفس الصفحة .

إثبات اسمه في المنشـــآت التي يقوم بزخرفتها ، كما عمله في بعض المدارس العلمية كالمدرسة الأفضلية بتعز[١] .

والمهم في ما ذكرناه أن الإمام الخزرجي أصبح على علم واطلاع بكثير من مجريات الأحداث الدائرة بسبب عمله القريب من البلاط الرسولي ، كما أن حرفته – بلا شك – قد أعانته في بناء كثير من الصداقات مع رجال الدولة إضافةً إلى علاقات الصداقة القائمة أصلاً من قبل مع زملائه وأقرانه في الأوساط العلمية كونه معدوداً فيهم، ولهذا فقد كان ممن تم تعيينهم ضمن هيئة التدريس في جامع المملاح[٢] المشهور بدوره التعليمي في تلك الحقبة .

لم يكن الإمام أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي مهتماً بالتاريخ والتراجم والطبقات فحسب ، بل إنه كان مشاركاً في الأدب ناظماً وناثـــراً ، وكان له ضلع في علم الأنساب كما سيأتي في موضعه ، وله إســـهام كبير في تأليف كتب التاريخ العام ، إذ نراه وقد ترك أثراً كبيراً ســـماه (العسجد المســـبوك فيمن ولي اليمن من الملوك)، وورد اسمه بصـــيغة مختلفة هي (العسجد المسبوك والزبرجد المحكوك فيمن ولي اليمن من الملوك)[٣] ، ومما يؤسف له أن هذا الكتاب قد فُقِدَ معظمه ، ولم يتبقَ منه إلا شيئاً محدوداً تتناول تاريخ اليمن المحلي ، بل وأجزاء بسيطة من تاريخه المحلي فقط ، وقد نشر الجزء الرابع فقط من هذا الكتاب في صورته المخطوطة مصوراً تحت

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩٢ ، الخزرجي ، **اليمن في عهد الـولاة ، الفـصول الخمـسة الأولى من كتاب الكفاية والإعلام** ، تحقيق راضي دغفوس ، منشورات الجامعـة التونـسية ، ١٩٧٩م ، ص ٦ ، ٧ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٦٨ ، ٣٦٩ .

(2) الخزرجي ، **العقـود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(3) د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ ، ظاهرة غريبة لدى بعض المؤرخين اليمنيين في القرن التاسع الهجري في تسمية مصنفاتهم ، فهو لا يتحرجون من تطابق اسم مصنفين تماماً أو – على الأقل – تشابه الاسمين إلى حد كبير ، وهذا تسبب في إحداث لغط وارتباك بـين الباحثين والمؤرخين المعاصرين في محاولة نسب هذه الكتب إلى مؤلفيها الحقيقيين ، فهذا الإمام الحـسين الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٤٧ يصرح بنفسه بأن شيخه ابن الأزرق قـد صنف كتاباً عنوانه (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) ثم يقوم هو بوضع كتاب يحمل العنوان نفـسه بتطابق تام ، وقام بالدور نفسه تلميذه الإمام العامري كما سيأتي بيانه الآن ، ومثلهما ما جرى لاحقاً – كما نلاحظه هنا – بين السلطان الأشرف الثاني إسماعيل والإمام الخزرجي في اسـتخدام مفـردات العـسجد والمسبوك والزبرجد وغيرها في عناوين كتب تتشابه موضوعاتها .

العنوان الأول (العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك)[1] ، وهو ما يدل على فقدان الأجزاء الثلاثة الأولى ، ومن المؤكد أنها تضمنت تارخ الإسلام العام على غرار المصنف الذي وضعه السلطان الأشرف الثاني إسماعيل ارسول السابق ذكره .

ومن جانب آخر كرس الإمام المؤرخ الخزرجي بداية كتابه (طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن) للحديث عن السيرة النبوية والخلفاء الراشدين ومن تبعهم من الخلفاء الأمويين والعباسيين ، ثم انتقل إلى الترجمة لعلماء اليمن الذي لم يوضع الكتاب – من الأساس وكما هو واضح من عنوانه - إلا لذلك الغرض ، وبهذا يمكن تصنيف هذا الكتاب في فئة التاريخ العام والتاريخ المحلي معاً .

وقد صنف الإمام المؤرخ عبدالرحمن بن الحسين بن محمد بن أبي بكر الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) كتاباً مختصراً في التراجم والتاريخ العام ، وسماه (غربال الزمان في وفيات الأعيان) ، وهو مرتب على السنين على النهج الذي سلكه الإمام أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي (ت٧٦٨هـ / ١٣٦٦م) في كتابه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر به من حوادث الزمان) الذي جاء كتاب الأهدل مختصراً له ، ولما كانت المنية قد اخترمت الإمام المؤرخ الحسين الأهدل قبل أن يتمه فقد انبرى لإتمامه تلميذه الإمام الحافظ المؤرخ أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٨م) ، وأسبغ على كتابه الاسم نفسه الذي أطلقه شيخه الأهدل على مختصره ، فهو (غربال الزمان في وفيات الأعيان)[2] .

آخر من أسهم من المؤرخين اليمنيين – في مدة الدراسة – في التأليف في التاريخ العام بعد المؤرخين السابقين هو الإمام المحدث المؤرخ أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة السيباني (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) فقد ورد في ترجمته لدى

---

(1) وهو ضمن مصادر دراستنا هذه .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة باريس الوطنية تحت رقم (١٥٩٣) ولهذه النسخة صورة محفوظة بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، ومنه نسخة ثانية بمكتبة عارف حكمت لم يذكر الحبشي رقمها ، ومنه نسخة في بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١١ تاريخ) ، وقد طبع مؤخراً في دمشق بعناية الرئيس اليمني الأسبق القاضي عبدالرحمن الارياني ، وهو من مصادر دراستنا هذه ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٦ ، ٤٩٧ .

بعض مؤرخي حضرموت[١] بأنه له كتاب في التاريخ العام الموسع على نمط كتاب (تاريخ الإسلام) الكبير الشهير للإمام الحافظ الذهبي ، إلا أن هذا الكتاب أيضاً – للأسف الشديد – من ذخائر التراث اليمني الإسلامي المفقود ، وقد اشتبه على البعض في أن هذا الكتاب هو كتاب (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) ، غير أنه لا يوجد تشابه بين هذا الكتاب الأخير وبين (تاريخ الإسلام) للإمام الذهبي في شيئ إلا في طبيعة الموضوع المطروق فيه ، فتاريخ الذهبي موسع مفصل إلى حد كبير بينما كتاب (القلادة) فيه اختصار شديد جعله يخرج – في صورته النهائية – في ثلاثة مجلدات فحسب .

وقد قام الباحث بدراسة الجزء الأول من (قلادة النحر)[٢] فوجد فيه العديد من الإحالات إلى الكتاب الأصلي ، وذلك عند اختصار بعض الأحداث أو تجنب إيراد بعض الحكايات والتراجم، وهي شواهد وقرائن قوية تؤكد أن **القلادة** ليست الكتاب الكبير المنسوب إلى الإمام الطيب بن عبدالله بامخرمة[٣] .

وقد تضمن كتاب (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) التاريخ العام للإسلام منذ السنة الأولى للهجرة النبوية حتى سنة (٩٢٧هـ / ١٥٢٠م) على طريقة الحوليات ، ولكنه قسم هذه المدة الطويلة على هيئة طبقات ، تشمل كل طبقة مدة عشرين عاماً ، كان بامخرمة يبدأ بذكر تراجم الأعلام المتوفين في سنوات الطبقة ثم يختم بذكر حوادثها مرتبة على السنين .

❖ التواريخ المحلية وتواريخ المدن والدول اليمنية :

أكثر المؤرخون اليمنيون من الكتابة ضمن هذه الفئة ، وتعددت مصادر كتاباتهم ما بين المعاصر للأحداث والأعلام ووصفها وصف الشاهد المعاين ، وما بين النقل عن كتابات المؤرخين السابقين ، وأقدم هؤلاء المؤرخين في مدة دراستنا هو السلطان

---

(1) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ٢٠٦ ، الشـلّي ، **السنا الباهر** ، ص ٣٥٠ .

(2) وبه نلت درجة الماجستير من كلية الآداب – جامعة صنعاء في العام ٢٠٠٢م ، وقد طبعته وزارة الثقافة اليمنية طبعة فاخرة ضمن إصداراتها لعاصمة الثقافة العربية في العام ٢٠٠٤م .

(3) انظر على سبيل المثال بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ١ ص ٩٦٣ ، ٩٧٥ ، ٩٧٧ ، ٩٩٣ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ .

الأشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل الرسولي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) ، فقد سبقت الإشارة إلى كونه جعل لتاريخ اليمن حيزاً في كتابه (العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك) ، فذكر فيه ملوك صنعاء وعدن ، ثم ملوك زبيد وأمرائها ووزرائها[1] .

وقد تضمن الجزء الرابع الذي تبقى من كتاب (العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك) للإمام المؤرخ أبو الحسن علي الخزرجي (٨١٢هـ / ١٤٠٩م) الذي سبقت الإشارة إلى نشره مصوراً في هيئته المخطوطة ، تضمن بابين فيهما اثنان وعشرون فصلاً ، حوت هذه الفصول أخبار ملوك عدن وصنعاء ومن سكن زبيد وحكمها ، وأخبار الدول اليمنية التي سيطرت عليها حتى مدة حكم معاصره السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي المتوفي في سنة (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م) .

وللخزرجي أيضاً كتاب مطبوع منذ أوائل القرن العشرين (سنة ١٩١١م) ، وهو مشهور لدى المختصين والمهتمين بتاريخ اليمن ، وهذا الكتاب هو (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) تضمن تفصيلاً لتاريخ هذه الدولة التي حكمت اليمن لمدة تفوق القرنين من الزمان ، هي من أخصب قرون تاريخه الإسلامي ، وقد انتهى تسجيله للأحداث عند السنة التي توفي فيها السلطان الأشرف الثاني إسماعيل الرسولي ، أي سنة (٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)[2] .

---

[1] الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٩ .

[2] منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٨٠ تاريخ) ، ونسخة أخرى تحت رقم (٧٧ تاريخ) ، ومنه نسخة ثالثة في مكتبة الجامع الكبير الشرقية صورتها دار الكتب المصرية فهي محفوظة بها تحت رقم (١٢٩٠) ، د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ١٦٤ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، وقصة إخراج هذا الكتاب تبدأ عام ١٨٨٤م عندما قام المستشرق رد هوس **Sir J.W. Redhouse** بنسخه وشرحه باللغة الأنجليزية ، ووضع فهارسه في خمسة مجلدات ، وأودعه مكتبة جامعة كامبردج ، ثم أوصى المستشرق إدوارد براون **E. G. Browne** الجامعة بعد ذلك بطبعه ، فكلّفت الأستاذ محمد بسيوني عسل – مدرس اللغة العربية بها – بالقيام بالمهمة ، فاعتمد على نسخة رد هوس ، وراجعها وأصلح ما بها من نقص وقصور ، وطبع الجزء الأول منها عام ١٩١١م والجزء الثاني عام ١٩١٤م باللغة العربية ، وقد قام القاضي محمد علي الأكوع بتحقيق الكتاب وصدرت طبعته الثانية عام ١٩٨٣هـ عن مركز الدراسات والبحوث اليمني بصنعاء .

وللإمام الخزرجي أيضاً كتاب شهير في تاريخ اليمن هو الموسوم بـــ (الكفاية والإعلام فيمن ولي اليمن وسكنها من أهل الإسلام)[(١)] ، ووَصْفُ محتوى هذا الكتاب ينطبق حد كبير على وصف محتوى الجزء الرابع من كتاب (العسجد المســـبوك فيمن ولي اليمن من الملوك) لذلك رجح البعض أن (الكفاية) ما هو إلا الجزء الرابع المشار إليه نفسه[(٢)] ، ولعل تصحيفات النساخ واجتهادات بعض ملاك النسخ – عندما فقد الغلاف المتضمن لعنوان الكتاب واسم مصنفه – هي ما أوجد هذه التسمية المختلفة ، والجدير بالذكـــر أن جـــزءاً من (الكفاية) قد حققه الدكتور راضي دغفوس وطبعه ضمن منشـــورات الجامعة التونســـية سنة ١٩٧٩م تحت اسم (اليمن في عهد الولاة) ، كما نسب إلى الإمام المؤرخ أبي الحسن علي الخزرجي مصنف تاريخي آخر ، هو كتاب (مرآة الزمن في تاريخ زبيد وعدن) ، ولم يتم العثور عليه ، كما لم يرد وصفه في أي مصدر آخر[(٣)] .

ومن المؤرخين اليمنيين في هذه الفئة ومدة الدراسة المؤرخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحُبَيْشي (ت حول٨١٠هــ / ١٤٠٧م) ، فقد وضع كتاب (الاعتبار في التواريخ والأخبار)[(٤)] ، وخص به ملوك اليمن وفقهاء وصاب

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٧ تاريخ) ، ونسخة أخرى بدار الكتــب المصرية تحت رقم (٢٢٠٦) ميكروفيلم ، ونسخة ثالثة في مكتبة باريس الأهلية تحت رقـــم (٥٨٣٢) وفي هذه المكتبة نسخة أخرى بقم (٣٠٢) ، وفي مكتبة جامعة ليدن بهولندا نسخة خامسة تحـــت رقـــم (١٦١) ، ونسخة سادسة في مكتبة خدابخش تحت رقم (٢٨٨٢) ، انظـــر الحبـــشي ، **مـــصادر الفكـــر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٩ .

(2) د. شاكر محمود عبدالمنعم ، **الملك الأشرف الغساني وكتابه العسجد المـــسبوك** ، ص ٨٤ ، الحبـــشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(3) الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٤٩٠ .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٨ تاريخ) ، ونسخة أخرى بـــدار الكتـــب المصرية تحت رقم (١١ تاريخ) ، ومنه نسخة ثالثة في الأمبروزيانا تحت رقم G 47 ، انظر **المرجـــع السابق** ، ص ٤٩٠ ، وقد صدر بتحقيق عبدالله الحبشي عن مركز الدراســـات والبحـــوث اليمنـــي عـــام ١٩٧٩م .

وصلحائها ومشائخها ، ولم يتعرض كثيراً لغير علمائها ، وأوردنا ذكره هنا لأنه حوى تاريخاً لبعض ملوك اليمن[1] .

ومنهم كذلك الإمام الشهير مجدالدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) فقد ورد في قائمة مؤلفاته عددٌ من المصنفات التاريخية التي تناولت تاريخ عدد من البلدان الوارد اسمها في ثنايا العناوين ، ومصنفاته التاريخية ضمن هذه الفئة هي كتاب (المعالم – وقيل المغانم – المطابة في تاريخ طابة) ، وكتاب (أحاسن اللطائف في محاسن الطائف) ، وكتاب (نزهة الأذهان في تاريخ أصبهان)[2] .

ومنهم أيضاً المؤرخ عبدالرحمن بن علي بن حسان الحضرمي (ت٨١٨هـ / ١٤١٥م) ، الذي اشتغل بالتاريخ المحلي لحضرموت – على وجه التحديد – وصنف فيه كتاباً يعد في حكم المفقود إلى اليوم ، وقد أشار الشِّلِّي[3] إلى عنوانه فسماه (البهاء) ، ولا ندري إن كان فقط علِمَ باسمه فأثبته أم أنه رجع عليه في تواريخه ، كما أن له ثلاثة سير لكبار الشخصيات الصوفية التي عاصرها وتأثر بها ، وسيأتي الحديث عنها قريباً .

ومنهم كذلك العلامة محمد بن عبدالله الناشري (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، الذي وضع كتاباً في تاريخ اليمن ، لم يحدد عنوانه ، ولم يرد في أيٍّ من المصادر التي بين أيدينا ذكره ، وانفرد به صاحب (كشف الظنون)[4] ، ولم يورد في وصف محتواه شيئاً ، تماماً كما أشار إلى وجود كتاب في تاريخ اليمن للإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) من دون أن يتعرض لذكر عنوانه[5] ، وهو ما جعل

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٢٩٥ ، الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٠ ص ٨١ ، الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين** ، ج ٢ ص ٣٩٤ – ٣٩٧ ، الفيروزابادي ، **القاموس المحيط** ، ص ١٣ – ١٥ من مقدمة المحقق .

(3) **المشرع الروي** ، ج ٢ ص ١٨٨ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩١ ، **مراجع تاريخ اليمن** ، ص ٦٤ .

(4) حاجي خليفة ، ج ١ ص ٣١٠ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٤٩١ .

(5) حاجي خليفة ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٣١٠ .

بعض المؤرخين المعاصرين لا يتبعد أن يكون هذا الكتاب هو الجزء التاريخي المتضمن في كتاب المقرئ الشهير الموسوم بـ (عنوان الشرف الوافي في الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي)[1] ، فإن كان هو المشار إليه في (كشف الظنون) في تاريخ مختصر جداً في تاريخ الدولة الرسـولية وليس في تاريخ اليمن كلها .

ومنهم أيضاً العلامة أحمد بن عمر بن أحمد بن عيسى الأنصاري الشاذلي المشهور بـ الشاب التائب (ت٨٣٢هـ / ١٤٢٨م) ، وهو مصري زار اليمن في مطلع القرن التاسع ، وصنف فيها كتاباً عن تاريخها ، لعله خصص لتاريخ الدولة الرسولية ، وقد سماه (الدلائل النبوية على شرف المملكة اليمنية)[٢] .

وكان لشـيخ الإسـلام الإمـام الحـافظ محمد بن أبي بكـر بن محمد بـن صالح الخـياط (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) كتاب في التاريخ اليمني ، غير أن تاريخـه واحد من التواريخ اليمنية المفقودة ، وقد نقل عنها البريهي العديد من التراجم في كتابه (طبقات صلحاء اليمن) ، ومن خلال ما نقولات البريهي نستشف أن تاريخ الخياط قد حوى تراجم كل من عرفهم وبلغه خبرهم من العلماء والصلحاء بأرض اليمن ، وكـل من نزل بها ووفد إليها من غير أهلها[٣] ، وقد صنف الإمام ابن الخياط كتاباً آخر فـي تاريخ عمارة البيت الحرام وأسماه (عين التحقيق في عدد بناء البيت العتيق) ، وذكـر أن سبب تصنيفه وصول سؤال من مدينة زبيد مضمونه : أن الفقهاء اختلفوا كم بنيـت الكعبة مرات ، " فأجابهم بجواب شواف أظهر فيه الدلائل على صحة بنائها إحدى عشر مرة ، وذكر من بناها "[٤] ، وجعل جوابه في هذا المصنف .

ومن المؤرخين كذلك العـلامة كمال الدين موسى بن أحمد الذوالي المعـروف بالمُكَشْكِش (ت٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) أحـد كبار العلماء بمدينتي زبيد وتعـز[٥] ، وله

---

(1) الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٤٩٣ .

(2) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٢ ص ٥ .

(3) انظر البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٧٥ ، ٢٠٠ ، ٢٩٢ .

(4) المصدر السابق ، ص ٢٣٠ .

(5) العيدروس ، النور السافر ، ص ٣٩ .

مصنفات في الطبقات و(تاريخ اليمن)[1] ، وكذلك محمد بن محمد بن منصــور بن أسير (ت في القرن العاشر الهجري) الذي وضع كتاباً في تاريخ مدينة زبيد وسماه (الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد) ، وقد جاء مطابقاً للجزء الثاني من تاريخ الأهدل (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) ، بل وجزم الحبشي[2] بذلك .

وللعــلامة الإمام صـــارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٩١٤هـــ / ١٥٠٨م) تاريخ منظوم شمل به أخبار دول أئمة الزيدية باليمن وغيرها ، مبتدئاً إياه من فترة مبكرة ، من فترة النبوة ، حتى مطلع القرن العاشر الهجري ، وقد سمي تاريخه هذا بـــ (الجواهر المضية في ســيرة الأئمــة الأخيــار) ويعرف أيضاً بـــ (البَسَّامة الجامعة لأخبار من قــام ودعــا مــن أئمــة الآل علــيهم السلام)[3]، واختصر اسمه أثناء التداول بـــ (البَسَّامة) ، وقد اهتم علماء الزيدية بهــذا التاريخ اهتماماً فائقاً ، فمنهم من قام بشرح البسامة وتوضيح مــا تــضمنته أبياتهــا ، فصارت تلك الشروح من أهم مصادر التاريخ الزيدي في اليمن ، وبالتالي غدت من أهم مصادر ناريخ اليمن إجمالاً ، ومنهم من قالم بتكلمة أبياتها لتتضمن من توقــف الإمــام الناظم صارم الدين إبراهيم الوزير قبل تضمين سيرتهم ودولهم .

وأشهر شروح (البَسَّامة) في مدة دراستنا هو ما وضعه المؤرخ العلامــة محمد بن علي ابن يونس بن علي الزحيف (ت٩١٦هـــــ / ١٥١٠م) ، الــذي كــان ضالعاً في التاريخ ، له قريحة منقادة ، وفطنة وقادة[4] ، وأطلق على شــرحه عنــوان

---

[1] منه نسخة مخطوطة بمكتبة برلين تحت رقم (١٦٤٠) ، انظر الحبشي، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٩.

[2] **المرجع السابق** ، ص ٤٨٧ .

[3] منه نسخ مخطوطة عديدة ، فمنها في مكتبة الجامع الكبير الغربية أربع نسخ ، الأولى تحــت رقــم (٧ مجاميع) ، والثانية تحت رقم (١٠٧ مجاميع) ، والثالثة تحت رقم (٩٠ مجاميع) ، والرابعــة تحــت رقم (١٤ مجاميع) ، وفي مكتبة الجامع الكبير الشرقية ثلاث نسخ ، الأولى تحت رقم (٤٤ مجاميع)، والثانية تحت رقم (٦٩٤ مجاميع) ، والثالثة تحت رقم (٢٩٤ مجاميع) ، ومنه نسخة فــي مكتبــة آل الهاشمي ، وأخرى بمكتبة عبدالله بن عبدالله الحوثي ، انظر **المرجع الــسابق** ، ص ٤٩٩ ، الوجيــه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٧٠ .

[4] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١٠٣٧ .

(مآثر الأبرار في تفصيل مجملات الأخبار) وقد يسمى أحياناً (اللواحق الندية بالحدائق الوردية)[1] ، وأما الشرح الثاني لـ (البسَّامة) فهو ما تضمنه كتاب (الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان الجامع لأسماء جماهير الصحابة والتابعين والأئمة السابقين وفقهاء الأمة وأتباعهم المسترشدين ، وخلفاء السوء المعاندين المفسدين ، والفوائد والشوارد التي تروق للناظرين)[2] ، الذي وضعه الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن يحيى مظفر (ت ٩٢٦هـ / ١٥١٩م)[3] ، وكثيراً ما يختصر عنوان هذا الشرح فيقتصر منه على (الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان) ، وكان فيه حاداً عند شرحه الأبيات التي تناولت بعض خصوم الزيدية ، خاصاً من المتقدمين[4] .

وكان الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن علوي بن حسن شنبل الحضرمي (ت٩٢٠هـ / ١٥١٤م) اهتماماً بالتاريخ ، فقد وصف بأنه كان عارفاً بالسيرة النبوية

---

[1] منه نسخ مخطوطة عديدة ، فمنها في مكتبة الجامع الكبير الغربية نسختان ، الأولى تحت رقم (١٢ تاريخ) ، والثانية تحت رقم (١٥ تاريخ) ، ومنه في مكتبة الجامع الكبير الشرقية أربع نسخ ، الأولى تحت رقم (٢١٣١) ، والثانية تحت رقم (٢١٢٩) ، والثالثة تحت رقم (٢١٦٠) ، والرابعة تحت رقم (٢١٣٩) ، ومنه نسخة أخرى في مكتبة العلامة محمد بن يحيى المطهر ، وأخرى بمكتبة آل الهاشمي ، ونسخة أخرى بمكتبة العلامة عبدالرحمن شايم ، ونسخة بمكتبة علي بن إبراهيم بصنعاء ، وقد طبع أخيراً ونشر بتحقيق عبدالسلام الوجيه وخالد المتوكل عن مؤسسة الإمام زيد بن علي بالأردن ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٩ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٩٧٦ .

[2] من الواضح أن هذا العنوان الطويل قد تضمن ما يشبه الفهرس لمحتواه ، منه نسخ مخطوطة عديدة ، فمنها في مكتبة الجامع الكبير الغربية أربع نسخ ، الأولى تحت رقم (٥٩ تاريخ) ، والثانية تحت رقم (٦٠ تاريخ) ، والثالثة تحت رقم (٨٦ مجاميع) ، والرابعة تحت رقم (٢١٤ مجاميع) ، ومنه نسخة بمكتبة أحد مشائخ قبيلة أرحب من آل السخيمي [وصورتها أحد مصادر دراستنا هذه] ، وأخرى بمكتبة علي يحيى الذارحي ، ومنه نسخ في مكتبات يحيى محمد عباس الوجيه وعباس الخطيب وعبدالسلام الوجيه ، ومنه نسخة بمكتبة جامع شهارة ، ومنه نسخة أخرى في المكتبة التيمورية بالقاهرة تحت رقم (١٤٧٨) – دار الكتب المصرية – وأخرى بمكتبة برلين تحت رقم (٣٣٧٣) ، وفي مكتبة الأمبروزيانا تحت رقم B356 ، ونسخة بمكتبة المؤرخ محمد زبارة ، انظر الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٥٠٠ ، **مخطوطات مكتبة المؤرخ محمد بن محمد زبارة** ، ص ٩ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٨٥٤ .

[3] ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٩٢٥ .

[4] ذلك واضح مما تضمنته بعض عبارات العنوان ، فهم في نظره معاندون مفسدون .

وأيام العرب وأنسابها ، وألف تاريخاً مفيداًلمنطقة حضرموت سماه (التاريخ الأكمل) واشتهر بـــ(تاريخ شنْبَل)[١] ، جمع فيه تاريخ حضرموت من مطلع القرن السادس الهجري حتى مطلع القرن العاشر الهجري ، وحوى كتابه هذا بحسب وصف المصدر " لطائف تاريخية ، وأحكام شرعية ، وفوائد بارعة ، ومواعظ نافعة ... "[٢] .

وإن كان هناك من المؤرخين اليمنيين ينازع الإمام أبو الحسن الخزرجي على زعامة المؤرخين اليمنيين فهو الإمام المؤرخ الحافظ وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الشهير بابن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هــ / ١٥٣٧م) ، فهو مؤرخ يمني بارز ، ولا غنى لأي باحث في تاريخ اليمن من العودة إلى مؤلفاته المتعددة والمتنوعة ، منها كتاب (قرة العيون بأخبار اليمن الميمون)[٣] ، وهو مقسم إلى ثلاثة أبواب ، الأول منها خصصه للحديث عن الدول التي حكمت صنعاء ، والثاني حول تاريخ مدينة زبيد وملوكها وامرائها ووزرائها ، وخصص الثالث منها للدولة الطاهر التي نَعِمَ كثيراً بعطايا حكامها ، وهذا الكتاب من أشمل التواريخ اليمنية لمرحلة ما قبل الربع الأول من القرن العاشر الهجري ، ومن مميزاته أن مصنفه كان شاهد عيان لمعظم ما تضمنه الباب الثالث من الحوادث على وجه الخصوص .

وله في تاريخ الدولة الطاهرية كتاب (العقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر)[٤] ولعل محتواه لم يختلف كثيراً عن ما تضمنه الباب الثالث من الكتاب الأول

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة العطاس بحريضة في حضرموت باليمن ، ونسخة أخرى بمكتبة الشعب في مدينة المكلا في اليمن ، ونسخة ثالثة بمكتبة آل الحسيني في مدينة تريم ، وقد طبع بتحقيق الأستاذ عبدالله الحبشي عام ١٩٩٤م ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، الحبشي ، **فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت** ، ص ١٠١ .

(2) الشِّلِّي ، **السنا الباهر** ، ص١٢٥ .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة علي أميري تحت رقم (١٢٣٧٢) ، ونسخة أخرى منه في دار الكتب المصرية تحت رقم (١٣٥٥) ، وأخرى بمكتبة الحرم المكي تحت رقم (٧١ تاريخ) ، ونسخة رابعة منه في مكتبة المؤرخ اليمني محمد بن محمد زبارة ، وقد طبع عدة طبعات بتحقيق القاضي محمد علي الأكوع ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٠١ .

(4) هذا الكتاب معدود ضمن التراث اليمني المفقود ، غير أن الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٥٠١ يقول: " وفي مكتبة الجامع الغربية كتاب بعنوان (تاريخ بني طاهر) لمؤلف مجهول ، لعله نفس كتابنا هذا ، وهو برقم (١١٥ تاريخ) ".

(قرة العيون) ، وقد احتفى بتأليف هذا الكتاب السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب فأكرم ابن الديبع وأجزل له العطاء ، يتحدث ابـن الديبع عن ذلك بنفسه فقال : " ثم حصلت في هذا التاريخ تحصيلاً عظيماً ، وتقدمت به إلى مولانا السلطان وهو إذ ذاك بمحروسة المقرانة مقيماً ، وقدمته إليه فأثابني بثواب عظيم عليه ، وأفاض عليَّ من مواهب كرمه ما يقصر صوب الغمام عن غزير ديمة ، ولم أزل عنده في روض أريض وجـود فائض عـريض حتى أذن لي في الرجـوع إلى وطني ، وخلع خلعة نفيـسة وأكرمني ، وتصدق علي بدمنة سلطانية بمدينة زبيد للسكنى ، وأعفى لي قطـعة نخـل بوادي زبيد .... "[1] .

ويعد كتاب (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد)[2] لابن الديبع الشيباني أيضاً من أشهر كتب التواريخ اليمنية ، وتاريخ مدينة زبيد على وجه الخصوص ، فقد تضمن بتفصيل لا بأس به تاريخ المدينة وما ارتبط بها من أحداث شملتها مع اليمن كله أو معظمه ، وقسـم محتواه إلى أبواب ، بلغ عددها عشرة أبواب ، جعل الباب الأول منها في وصف مدينة زبيد وما ارتبط به ، والأبواب من الثاني حتى السابع للدول التي تعاقبت على حكم المدينة منذ تأسيسها في مطلع القرن الثالث إلى منتصف القرن التاسع الهجري ، وخصص الأبواب الثلاثة الأخيرة لتاريخ الدولة الطاهرية ، وأفرد للسلطان المنصور عبدالوهاب وابنه الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب – حتى أحداث سنة (٩٠٠هـ / ١٤٩٤م) – فصلين كاملين ، دَوَّنَ فيهما تفاصيل كثيرة عنهما ؛ وأورد كثيراً من تفاصيل الصراع المرير الذي شمل معظم أمراء البيت الطاهري على العرش بعد وفاة السلطان المنصور عبدالوهاب ، وهي من مادة تاريخية ذات قيمة عالية ، أولاً لمعاصرة المصنف لها ، وثانياً لعلاقاته الواسعة مع أقطابها ، ابتداءً من السلطان نفسه ومروراً بكبار رجال الدولة .

---

[1] ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٣٢ .

[2] منه نسخة مخطوطة بمكتبة باريس الأهلية تحت رقم (٦٠٦٩) ، وقد نشره المستشرق جوهانسن سـنة ١٨٢٨م في ٣٠٠ صفحة ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٠١ ، وقد أعيـد نشره عن طريق مركز الدراسات والبحوث اليمني في طبعتين إحداهما بتحقيق عبدالله الحبشي والأخرى بتحقيق د. يوسف شلحد .

الكتاب الرابـــع لابن الديبع هو كتاب (الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد)[1] ، وهو – كما يتضح من عنوانه – ذيل على التاريخ السابق (بغية المستفيد) ، وقد استكمل فيه – بتفصيل كبير – أحداث الدولة الطاهرية – تحت حكم السلطان الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب[2] – واليمن في عهدها حتى سقوطها ومقتل سلطانها ووقوع اليمن في أيدي المماليك الجراكســة على النحو الذي تم تناوله في الفصل الثاني من هذه الدراســة ، وتكمن أهمية (الفضل المزيد) في كونه تناول بعض حوادث الظهور البرتغالي على السواحل اليمنية ، وما جرى من محاولاتهم السيطرة على بعض مدنه .

وللإمام ابن الديبع الشيباني تاريخ خامس يختلف عن الأربعة الكتب السابقة كونه جاء منظوماً ، وهو الموسوم بـــ (أحسن السلوك في نظم من ولّيَ مدينة زبيد من الملوك) ، وقد تناول فيها معظم ما احتوته كتبه السابقة عن تاريخ تلك المدينة وحكامها ووزرائهم وأمرائهم[3] .

وســـادس الكتب التي صنفها بن الديبـــع في تـــاريخ اليمن كتاب (تحفة الزمن بفضائل اليمن)[4] ، وفيه أورد كل الآثار النبوية التي تتحدث عن فضائل اليمن ، وقد

---

[1] منه نسخة مخطوطة بمتحف آيا صوفيا بتركيا تحت رقم (٢٩٨٨) ، ونســخة أخــرى بمكتبــة رضــا برامبور تحت رقم (٣٦٢٣) ، ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٠١ ، وقد طــبع محققاً من قبل د. يوســف شلحد مع كتاب (بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) في مجلد واحد صادراً عن مركز الدراسات والبحوث اليمني .

[2] لم يختص هذا الكتاب بكامل المدة التي حكم السلطان الظافر الثاني عامر بن عبــدالوهاب فيهــا الدولــة الطاهرية – والتي شملت أغلب مناطق اليمن الطبيعية – بل تناول جزءاً – يمتد حوالي ربع قــرن مــن الزمان – من مدة حكمه ، وهي المدة من سنة (٩٠١هــ / ١٤٩٥م) حتى نهايــة الدولــة فــي ســنة (٩٢٣هــ / ١٥١٧م) .

[3] صدرت عن مركز الدراسات والبحوث اليمني ملحقة بكتاب (بغية المستفيد في أخبــار مدينــة زبيــد) بتحقيق الحبشي سنة ١٩٧٩م ، انظر الحبشي ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٢٠ – ٢٢٥ .

[4] توقفت كثيراً قبل إضافة هذا النوع إلى فئة التواريخ المحلية فلم أجد بداً من ذلك ؛ لأنها أقرب ما تكــون إليه ، وقد حدثتني نفسي بعرضه ضمن تحت عنوان الحديث النبوي في الفصل السابق ، ثم عزمت على إيراده هنا ، ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة الأمبروزيانا تحت رقم **H 170** ، ومنهــا هــذه النسخة صورة بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، ومنه نسخة أخرى بمكتبة الجامع الكبيــر الغربيــة تحت رقم (٣٩٩ مجاميع) ، ونسخة أخرى بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت عنوان (القول المعين)

نقل عن هذا الكتاب كثير من المتأخرين الذين صنفوا في بابه ، منهم العلامة محمد بن علي الأهدل في كتابه (نثر الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون)[1] ، وابن الديبع في ذلك ليس برائد في طرقه لهذا الشكل من التصنيف ، فقد سبقه إليه الجَنَدي والخزرجي في مقدمة بعض كتبهم .

وآخر الكتب التي صنفها الإمام ابن الديبع الشيباني هو كتاب (نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية)[2] ، وهذا الكتاب في مجمله كتاب في الأنساب ، وبالتحديد أنساب القبائل اليمنية القحطانية ، إلا أنه احتوى الكثير من المضامين والتاريخية – وكذلك الجغرافية والفلكية – فقد تضمن عدداً كبيراً من تراجم علماء وصاب وأخبار المذهب الإسماعيلي في تلك الجهات ، وأشار إلى ما وقع من الحوادث المتناثرة في عدة نواح من اليمن .

وقد ألف الإمام أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) كتاباً بعنوان (تاريخ ثغر عدن) ، وهو كتاب صغير الحجم ، عظيم الفائدة ، يعد من أفضل ما كُتِبَ في وصف مدينة ، وقد أثبت المصنف فيه – بعد تعداده لملامح مدينة الجغرافية – تَراجم أشهر رجالها ابتداءً بالتابعي الجليل أبان بن الحكم العدني إلى أيامه هو تقريباً[3] .

وتحت رقم (٨ مجاميع) ، وقيل أنه قد طبع مؤخراً ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**، ص ٥٠١ ، **مراجع تاريخ اليمن** ، ص ٩٢ .

(1) انظر محمد علي الأهدل ، **نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون** ، مطبعة زهران ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م ، ص ٣ .

(2) لم تنشر كتب الببليوجرافيا اليمنية إلى هذا الكتاب ضمن كتب هذا المؤرخ ، ومنه ثلاث نسخ بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، الأولى تحت رقم (٣٧٥٤٧) ، والثانية تحت رقم (٣٧٥٤٩) ، والثالثة تحت رقم (٣٤٨٥ في ٦٣ ورقة ضمن مجموع ابتداءً من ص ٧٠١) ، انظر مقدمة محقق كتاب ، **نشر المحاسن اليمانية** ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(3) طبع للمرة الأولى في ليدن بهولندا في منتصف أربعينات القرن الماضي – عام ١٩٣٦م – بتحقيق المستشرق لوفجرين O. Lofagren ، ثم أعادت طبعة مكتبة مدبولي بالقاهرة بنفس هيئته التي أخرجه عليها المستشرق المذكور في التاريخ السابق .

❖ **التراجم والطبقات العامة :**

لعلنا نتذكر هنا ما سبق أن ذكرناه في سياق الحديث عن أهمية علم التاريخ ضمنت منظومة العلوم الاجتماعية من أن المطلع على كتب الطبقات والرجال يجد الكثير من العلماء وأصحاب الأدب وذوي الاطلاع على العلوم المختلفة ، لم يكن التاريخ – في نظرهم – علماً منفصلاً عن غيره من العلوم ، بل كان وثيق الصلة بكثير منها ، فهو علم يحتاج إليه المفسر للحكم على الآثار الورادة في تفسيره ، ويحتاجه الفقيه والحاكم والقاضي للحكم بموجبه ، ويحتاجه المحدث للحكم على الحديث ومعرفة اتصال الأسانيد من عدمها ، بل هو مما يتعين معرفته على المحدثين خصوصاً وعلى سائر العلماء المعتبرين عموماً ، وهو عند أئمة الحديث المتقنين وحفاظه المحققين مما يجب تقديم الاهتمام به والاعتناء بحفظه ومطالعه كتبه ؛ لكونه يُعرَفُ به الصادق من الكاذب ، والمطلوب من الطالب ، قال سفيان الثوري : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ نعرف به الكاذب من الصادق ، وقال آخر : لم نستعن على الكاذبين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ : سنة كم ولدت ؟؟ فإذا أقر بمولده عرفنا صدقه[1]، إننا عندما ذكرنا ذلك فإننا على وجه التحديد كنا نعني هذا الفرع من الكتابات التاريخية، بل هي وحدها المقصودة في ذلك كله .

فعلم الطبقات والرجال من العلوم التي اختصت بها الأمة الإسلامية دون غيرها من الأمم ، وقد ولد هذا العلم في أول أمره ليلبي حاجة المحدثين للقيام بالجرح والتعديل في رجال الأسانيد التي اعتمدوا عليها في تنقية السنة النبوية والمطهرة مما يمكن أن يكون قد أدرج فيها كذباً وافتراءً على رسول الله ﷺ ، ويمكننا أن نشير إلى أهمية علم الطبقات التي دفعت العلماء والمؤرخين ورجال الحديث والجرح والتعديل للتأليف في بابه ، منها :

١) أن علم الطبقات يعين على معرفة المتعاصرين من الناس ، كما يسهم في تحديد الصواب والخطأ في حال تشابه الأسماء والاشتراك فيها .

٢) أنه يعين على معرفة تاريخ الرواة وملامح مسيراتهم العلمية ، وخاصة من جهة وقت الطلب واللقاء بالمشائخ والعلماء ، والرحلة في طلب العلم والاختلاط

---

(1) الحكمي ، الدرة الموسومة في شرح المنظومة ، ص ١٧ ، ١٨ .

والتغير، وسنة الوفاة ، وحال الراوي من جهة الصدق والعدالة ، وهو ما جعل الأمة تثق في قدرة هذا العلم على تصفية السنة النبوية إلى أبعد مدى ممكن .

٣) أن علم الطبقات يقوم بدور تربوي كبير ، إذ من خلاله يقوم المعلمون بشحذ همم الأجيال الشابة من طلبة العلم لكي يشمروا عن سواعد الجد في التحصيل والرحلة في سبيل طلب العلم لكي يدركوا منزلة من تضمنتهم كتب الطبقات ، وخاصة عندما تستعرض هذه الكتابات التاريخية معاناة الأعلام في مراحل الطلب ، والتي قد تكون شبيهة بما يقاسيه الطالب القارئ نفسه ، فتنبعث فيه روح جديدة وطاقة إضافية تدفعه لتحمل كل المشاق ، وتغذي فيه الرغبة في التنافس على الخير والصلاح والعطاء .

٤) ومن فائدة علم الطبقات للأمة جمعاء أنها تبرز القدوات الصالحة التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، وتركت صفحات بيضاء ناصعة لا تُنسى على مر الأيام والسنين لما بذلته من جهود وتضحيات لبلوغ مآربها .

٥) ومن أهم ما تفيده دراسة علم الطبقات – بل كل الكتابات التاريخية عموماً – معرفة أخطاء السابقين ، والحذر من المزالق التي تم الوقوع فيها عبر التاريخ ، أخذاً بالهدي النبوي فيما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " **لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين** "[1] .

وكان العلماء والمؤرخون اليمنيون قد أولوا هذا الفرع من التاريخ اهتماما لا بأس به ، فألفوا في الطبقات العامة والخاصة كتباً عديدة ، منها ما اختص برجال المذاهب ، ومنها ما تمحور حول رجال الأسر العلمية الشهيرة ، وفي هذه الجزئية من دراستنا سوف نتناول ما كتبه اليمنيون في باب التراجم والطبقات العامة .

وقد ظهرت بواكير الطبقات العامة في اليمن في القرن السادس الهجري من خلال ما صنفه المؤرخ الفقيه عمر بن علي بن سمرة الجعدي (ت٥٨٦هـ / ١١٩٠م) عن علماء اليمن وفقهائها ، وخاصة أهل السنة منهم ، والشافعية على وجه أخص ، وذلك في كتابه الشهير (طبقات فقهاء اليمن) ، ونحن إذ نورده هنا فبسبب ما

---

[1] البخاري ، **صحيح البخاري** ، ج ٥ ص ٢٢٧١ ، رقم (٥٧٨٢) ، باب (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) ، مسلم ، **صحيح مسلم** ، ج ٤ ص ٢٢٩٥ ، رقم (٢٩٩٨) ، باب (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) .

تضمنه الكتاب من تراجم عامة لعدد من الصحابة والتابعين وتابعيهم في القرنين الأول والثاني الهجريين ، ثم أنه جمع في ثناياه تراجم لعلماء من مختلف أنحاء اليمن ومدنها الكبيرة ، وقد ذيله الفقيه أبو محمد الحســن بن علي بن محمد الحِمْيَري (ولد سنة ٦١١هـــ / ١٢١٤م) وذكر فيه جماعة من العلماء والفقهاء الذين لم يرد ذكرهم عند ابن سمرة ، وذلك واحد من مصادر الخزرجي في طبقاته[1] .

ويظل كتاب المؤرخ الفقيه أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدي (ت٧٣٢هـــ / ١٣٣١م) المشهور بـــ (السلوك في طبقات العلماء والملوك) واحداً من أهم كتب الطبقات اليمنية العامة ، مع التأكيد على اشتراكه في عدد من الملامح مع كتاب ابن سمرة السابق ، فهو قد تضمن تراجم عامة لشريحة واسعة من جيل الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وخاصة أولئك الذين كانت لهم علاقة باليمن وأهلها ، أو نزلوا فيها، زيارة أو مروراً ، كما أنه تتبع أخبار الكثير من علماء اليمن الذين عاصرهم أو سمع عنهم ، وكتب لهم تراجم ضمنها الكثير من نفائس المعلومات التاريخية عن اليمن وأهلها ، مع حرصه على تخصيص الفقهاء الشافعية بأكبر قدر من الكتاب كونه من فقهاء المذهب المعروفين في اليمن .

وبعد ابن سمرة والجَنَدي كتب الإمام أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي (ت٧٦٨هـــ / ١٣٦٦م) كتابه المهم في التاريخ العام والطبقات العامة الموسوم بـــ (مرآة الجنان وعبرة اليقظان) .

وقد وجد من مؤرخي اليمن من اشتغل بكتابة التراجم والطبقات العامة في اليمن في مدة دراستنا في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، وظهرت العديد من المصنفات فيها ، منها ما اختص بالتراجم والطبقات العامة وحدها ، ومنها ما أدرجت فيه التراجم على شكل وفيات تنتهي بها الحوليات التاريخية ، وفي كل فإننا لا نستطيع أن نغض الطرف عن أن هذه الكتابة جامعة للتراجم كما هي شاملة للتاريخ الحولي ، وبالتالي فلا غرابة في وجودها ضمن الفئتين من الكتابة التاريخية .

ومن الملاحظ أن مناهج المؤرخين المصنفين اليمنيين لكتب التراجم والطبقات قد تنوعت في ترتيب مادة كتبهم ، فمنها ما اعتمد مصنفوها على الترتيب الهجائي لأسماء المترجمين ، ومنها نمط آخر اتبع في ترتيب مادته تقسيم المترجمين إلى طبقات ، كل

---

[1] الخزرجي ، طراز أعلام الزمن ، ق ١٠٣ .

طبقة تضم وفيات عشرين سنة ، مع يتبعها سرد للأحداث الكبيرة التي دارت في غضون العشرين السنة الشاملة للطبقة .

ويأتي في مقـدمة مصنفي كـتب الطبقات الإمام أبو الحسـن علي بن الحسـن الخزرجي (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ، الذي سبقت الإشارة إلى اشتغاله بعدد من العلوم ، منها التاريخ والتراجم والطبقات والأنساب ، والأدب نظماً ونثـراً وغيرها من العلوم ، ويعـد كتابه (طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن) واحداً من أفضل كتب الطبقات اليمنية وأشملها ، خاصة أنه استفاد من كتب من سبقوه في هذا الفـن ، وفي مقدمة من استفاد منهم من غير اليمنيين شيوخ المؤرخين كالطبري وابن الأثير والمسعودي ، ومن أهل اليمن استقى الخزرجي أخباره وتراجمه من مؤلفات من سبقوه أمثال : المؤرخ ابن سمرة الجعدي في (طبقات فقهاء اليمن) وعمارة اليمني في (المفيد في أخبار صنعاء وزبيد) والشريف عماد الدين إدريس الحمزي في كتابه (كنز الأخيار في معرفة السير والأخبار) ومحمد بن حاتم اليامي في (السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن)[١] ، وأكثر من الرواية عن البهاء الجَندي نقلاً من (السلوك في طبقات الفقهاء والملوك) ، وقد صرح هو بنفسه بذلك فقال : " وكتابه – الضمير عائد على البهاء الجَندي – الذي جمعه في تاريخ فقهاء اليمن[٢] يدل على علم واسع ومعرفة الرجال قديماً وحديثاً ، ولم يستوعب أحد ممن تصدى ذلك وتصدى له كاستيعابه ، ولولا جمعه وبحثه واستقصاؤه ما تصديت لتصنيف كتابي هذا ولا اهتديت إلى شيئ من ذلك ... فهو في السلم شيخي وإمامي ، وفي الحرب ترسي وحسامي ... "[٣] .

---

[1] د. شاكر محمود عبدالمنعم، **نظرة في مصنفات وموارد الخزرجي مؤرخ اليمن** ، مجلة المؤرخ العربـي، بغداد ، السنة الثانية عشرة ، العدد ٢٧ ، ١٩٨٦م ، ص ١١١ – ١١٤ ، د. شاكر محمود عبـدالمنعم ، **الملك الأشرف الغساني وكتابه العسجد المسبوك** ، ملحق بكتاب **العسجد المسبوك والجوهر المحكـوك في طبقات الخلفاء والملوك** ، ص ٨١ – ٨٥ .

[2] المطلع على الكتاب المشار إليه هنا يجده أقرب ما يكون إلى التصنيف ضمن كتب الطبقات العامة ، وليس طبقات فقهاء اليمن وعلمائها فقط كما يقول الخزرجي ، فقد ترجم للصحابة والتابعين الذين نزلوا اليمن ، ولعدد لا بأس به من أعلام الفقه والعلم الشرعي في العالم الإسلامي .

[3] الخزرجي ، **العقد الفاخر الحسن** ، ق ١٥٥ – أ .

وللخـــزرجي أيضاً كتاب (العِقْدُ الفاخِـــرُ الحَسَن في طبقات أكابـــرِ اليَمَن) وهـــو كذلك في الطبقات والتراجم ، وهناك من يقول إنهما – أي (طراز أعلام الزمن) و (العقد الفاخر الحسن) – كتاباً واحداً ، وفيهما كان اعتماده على الترتيب الهجائي لأسماء المترجمين ، وأفرد للنساء فصلاً في آخر كل واحد منها ، وللإمام الخزرجي الفضل – من بعد الله تعالى – في معرفة كثير من علماء اليمن وفضلائها وسياســـييها ونسائها الذين عاشوا بعد وفاة سلفه الإمام البهاء الجَنَدي ، فكتبه هي المصدر الوحيد التي تناولت تراجمهم .

ومن مصنفي كتب التراجم العامة في اليمن الإمام المؤرخ عبدالرحمن بن الحسين بن محمد بن أبي بكـــر الأهـــدل (ت٨٥٥هـــ / ١٤٥١م) كتاباً مختصراً في التراجم والتاريخ العام ، وسماه (غربال الزمان في وفيات الأعيان) ، وهو مرتب على السنين على النهج الذي سلكه الإمام أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن ســـليمان اليافعي (ت٧٦٨هـــ / ١٣٦٦م) في كتابه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان فيما يعتبر به من حوادث الزمان) الذي جاء كتاب الأهدل مختصراً له ، ولما كانت المنية قد اخترمت الإمام المؤرخ الحسين الأهدل قبل أن يتمه فقد انبرى لإتمامه تلميذه الإمام الحافظ المؤرخ أبو زكريا يحيى بن أبي بكر بن محمد العامري (ت٨٩٣هـــ / ١٤٨٨م) ، وأسبغ على كتابه الاسم نفسه الذي أطلقه شيخه الأهدل على مختصره ، فهو (غربال الزمان في وفيات الأعيان)[١] .

وفي مطلع القـــرن العاشـــر قام العـــلامة محمد بن الحســـن بـــن حميـــد بـــن مسعود المقرائي (ت٩٠٨هـــ / ١٥٠٢م) باختصار كتاب (وفيات الأعيـــان) لابـــن خلكان ، وسماه (السلوان المنتزع من وفيات الأعيان لابن خلكان)[٢] .

وقد سبق أن أشرنا إلى كتاب (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) لمصنفه الإمام المؤرخ أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت ٩٤٧هـــ / ١٥٤٠م)، وهو أشهر كتب هذا الإمام العالِم ، بل وأكثر كتب الطبقات اليمنية اشتمالاً على الطبقات العامة وتراجم الأعلام في أرجاء العالم الإسلامي قاطبةً ، وقد ضَمَّنَه

---

[1] سبق الحديث عن هذه الجزئية في فئة التاريخ العام ، وهناك تم تحديد أماكن وجود للنسخ المخطوطة من هذا الكتاب.

[2] ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ٢ ص ٩٥٦ .

مُصَنَّفُه تراجمَ ما يربو على أربعة آلاف عَلَمٍ من كل أقطار دار الإسلام ، شملت تراجم الصحابة والتابعين وتابعيهم ، ورجال المذاهب والفرق ، والخلفاء والوزراء والقواد العسكريين ، وصفوة المجتمع الإسلامي من الفقهاء والقضاة والقراء ، وشمل – كذلك – تراجم الأدباء والشعراء ، والخارجين والمتمردين ، وقسم تراجمهم بنظام الطبقات ، وجعل كل طبقة عشرين عاماً ، ورتب التراجم بحسب تاريخ وفاة أصحابها ، وكان يورد التراجم التي لم يتمكن من تحديد سنوات أصحابها في نهاية الطبقة .

إن مما عاب هذا السِّفْرَ القيم تحيز صاحبه إلى أهل السنة – فيما يخص تراجم أهل اليمن –فهو يترجم لعلماء الحنفية والشافعية على السواء ، والقادة العسكريين والأدباء والشعراء ، سواء مما نقله عن المصادر التي اعتمد إليها أو تلك التي عاصرها وتتلمذ على أيديها ، إلا أنه أغفل تماماً تراجم علماء الزيدية وأعلامها وأئمتها ، مع كونهم – بحسب منهجه – جديرين بالترجمة ، فقد ترجم لمن هم أدنى منهم في أقطار وقرون أخرى .

ومن مؤرخي التراجم والطبقات يأتي الإمام المؤرخ الحافظ وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد بن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) ، فقد ورد في كتب الببليوجرافيا اليمنية أن له كتاب (تحفة الإخوان بما ضبطه ابن خلكان من أسماء الأعيان والنسب والبلدان) ، وكذلك كتاب (إخلاص النية في تحصيل العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية)[1] وهو اختصار لكتاب يمني شهير في هذا الفن هو كتاب (العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية) للسلطان الأفضل العباس بن علي بن داود الرسولي (ت٧٧٨هـ / ١٣٧٦م)[2] .

وإذا لم يكن بامخرمة رائداً في اقتحام ميادين التراجم العامة والطبقات بالمقارنة مع علماء ومؤرخي العالم الإسلامي ، إلا أنه الرائد – بلا منازع – لهذا الفن بين علماء اليمن ومؤرخيها ، فلم نسمع ولم نجد في المصادر ذكراً لأحد سبقه ، ويتميز (قلادة النحر) بأنه احتوى تراجم لعدد كبير من علماء حضرموت وعدن وبعض أعلام زبيد

---

(1) انظر الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٥٠١ .

(2) وقد تم تحقيقه من قبل عبدالواحد عبدالله الخامري كرسالة ماجستير في كلية الآداب بجامعة صنعاء عام ٢٠٠١ ، ثم صدر عن وزراة الثقافة اليمنية عام ٢٠٠٤م في طبعة فاخرة ضمن إصداراتها بمناسبة اختيار صنعاء عاصمة للثقافة العربية عامذاك .

وتعز وإب لا يوجد لهم تراجم في غيره ، فهو المصدر الوحيد لتراجمهم ، كما أنه رصد لنا مشاهداته للبدايات الأولى للظهور البرتغالي على الشواطئ اليمنية ، وتناول محاولتهم لاقتحام عدن – وإذ هو من مواليدها وسكانها .

وقد سلفت الإشارة إلى أن هناك من ذكر أن لبامخرمة كتاب في التاريخ الإسلامي العام على نمط كتاب (تاريخ الإسلام) الكبير الشهير للإمام الحافظ الذهبي ، فمما لا نستبعده أن (قلادة النحـــر) ليس إلا اختصاراً له ، وبالتالي فهو شامل لعدد كبير من التراجم والطبقات العامة ، ولعله – لو قُيِّضَ له الظهور – أن يشكل دفعة قوية للدراسات التاريخية اليمنية .

وفي الأخير أعبر عن الحسرة التي تصيب الباحث منا وهو يقرأ في المصادر التي خلفها أعلام المؤرخين اليمنيين فأوسعوا غيرهم حديثاً وتعريفاً ، ثم تجد أقل القليل ما يجب ذكره عنهم ، فلا هم الذين تجاوزوا سوء الفهم في إدراك التواضع فترجموا لأنفسهم بما هم أهله ، ولا هم الذين وجدوا من يقوم بهذه المهمة الجليلة من تلاميذهم[١] أو ممن عاصرهم وعرف قدرهم ، ويجد الباحث نفسه عاجزاً عن القيام بالدراسة التفصيلية عن كل المؤرخين العظام وأحوالهم ، أمثال الخزرجي وابن الديبع والطيب بامخرمة .

❖ طبقات رجال المذاهب والفرق وتراجمهم :

لعل ما تم تناوله في الفصل الأول من هذه الدراسة ، وكذلك ما تمت مناقشته عن خارطة المذاهب الفقهية والفرق الفكرية والمدارس الكلامية يفي بغرض إيضاح مدى التوثب الكبير الذي كان يتخذه أتباع تلك المذاهب والفرق لإبراز محاسنها ، وكانت – في الغالب – دوافع ذلك تنحصر في ثلاثة أسباب رئيسية هي :

- الترويج والدعاية للمذهب أو الفرقة على سبيل التبشير بهما ، وسعياً في سبيل الاستكثار من الاتباع ، وهو نشاط مبرر عقلاً ومنطقاً لكل أصحاب الدعوات والمشاريع الفكرية والعقائدية في حياة البشرية ، سواء نظر المنافس إلى هذه الفرقة أو المذهب على أنها مارقة أو صالحة غير وافية

---

[١] كما قام الإمام السخاوي بالترجمة الواسعة الشهيرة لشيخه شيخ الإسلام الإمام ابن حجر العسقلاني الموسومة بـ (الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر) .

الشروط ، فالمروج لمذهبه وفرقته لا يرى فيها إلا أنها اللافتة المثلى للانضواء تحتها ، وبالتالي تقوده قناعته هذه إلى الإندفاع لنشر أفكـــارها ومبادئها ، فكانت الكتابة التاريخية عن رجال هذا المذهب أو الفرقة أول ما يبادر إلى الذهن كوسيلة وطريقة تؤدي إلى تحقيق الهدف المتوخى ، وفي ثنايا هذه التراجم تجد المدح الكبير والإسهاب المفرط – أحياناً – في الثناء على المسيرة والمنهاج ، وفي مدحهما رسالة غير مباشرة للدعاية والتبشـــير .

- الدفاع عن المذهب والفرقة من هجوم المنافسين والخصوم المعادين ، وإقامة الحجة على صواب الموقف وصواب الفكر والعقيدة ، والبرهنة على استقامة المنهج والمسيرة، وذلك بعد بروز مظاهر الصراع الفكري والجدل المتعدد الاتجاهات ، وكانت بعض صور هذا الدفاع تأتي بالتوازي مع الصدامات العسكرية الدموية التي كانت تقع أحياناً بين القوى الممثلة للمذاهب والفرق ، حتى وإن لم يكن اختلاف الانتماء للمذهب والفرقة هو سبب الصراع أصلاً، ويندرج في هذا الصنف أيضاً ما تم تأليفه في إطار الصراع بين رجال المذهب الواحد حول أحقية التصدر والزعامة ، فقد تم استعراض القدرات الكتابية التاريخية في سبيل إثبات الاستحقاق والبرهنة على اكتمال شروط الزعامة ، وهذا في الغالب كانت له شواهده بين أبناء الزيدية دون غيرهم بعد أن وقعت الصدامات بين من وجدوا في أنفسهم مؤهلين للتصدر لإمامة الفرقة وزعامة الأتباع .
- توثيق الأحداث المندرجة في رصيد المذهب أو الفرقة ، والسعي نحو تسجيل المنجزات التي تأتي داعمة لهما ، وذلك خوفاً من النسيان مع تقادم العهود وكر السنين والأيام أو رداً على المحاولات المشابهة الصادرة عن رجال المذهب المنافس والفرقة الموازية ، وما كتب في هذه الفئة هو أقل ما وجد .

ولا يغيب عن بالنا أننا كثيراً ما وجدنا في إطار الكتاب الواحد ما يمكننا تصنيفه في إطار الأسباب الثلاثة الآنفة الذكر ، فهي ترويج ودعاية للمذهب والفرقة في مواضع متناثرة ، وهي دفاع وحماية لهما من المنافس والمعادي في مواضع أخرى ، وهي توثيق وتسجيل لما يمكن نسيانه من الأحداث والمنجزات في مواضع مماثلة .

وعلى العموم فقد كان تراث علماء اليمن في هذا الباب وافراً في مدة الدراسة في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، ويأتي في مقدمة من صنف منهم في رجال الفرق الإمام العلامة نور الدين علي بن أبي بكر الأزرق (ت٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) أحد أكبر علماء تهامة ، وهو العالم الأفضل في أبيات حسين في فروع العلم المختلفة ، له في تراجم رجال الصوفية كتاب لخصه من كتاب آخر له يسمى (الباهر في مناقب الشيخ عبدالقادر) ومن كتاب (روض الرياحين في حكايات الصالحين) لمصنفه الإمام عبدالله بن أسعد اليافعي ، وقد عَنْوَنَه هذا الكتاب بـ (المطرب للسامعين في كرامات الصالحين)[١] .

ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن سلامه (ت أول القرن التاسع الهجري) ، وهو من العلماء الجامعين بين التصوف والفقه ، وقد غلب عليه علوم الحديث والتفسير والنحو واللغة ، وكان له في تراجم المتصوفة كتاب (الروض الأغن في معرفة الصالحين بأرض اليمن)[٢] .

ومنهم أيضاً الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) الذي صنف كتابين ، أحدهما في طبقات الحنفية وسماه (المرقاة الوفية في طبقات الحنفية) ، والآخر في طبقات الشافعية وَسَمَه بـ (المرقاة الأرفعية في طبقات الشافعية) ، وقد انفرد المجد الفيروزابادي بالترجمة للمشتغلين بعلوم معينة ، هي علوم اللغة والنحو ، إذ صنف في تراجمهم كتاب (البلغة في تراجم أئمة النحاة واللغة)[٣] .

وذكر الأهدل[٤] بين المصنفين في تراجم الفرق القاضي الشيخ والصوفي الكبير أبي العباس أحمد بن أبي بكر الرداد (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، زعيم المتصوفة في

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٥٨ .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٦٧ ، ٢٧٧ .

(3) المصدر السابق ، ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٧ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٠ ص ٨١ ، الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمين**، ج ٢ ص ٣٩٤ .

(4) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٣٦ .

مطلع القرن التاسع الهجري كما سبق بيانه ، وذكر أن له كتاب (نظم شيوخ الرسالة القشيرية) ، وأنه جمع مختصرين في طرق الصوفية وأسماء رجالها .

وللإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) كتاب في تراجم أئمة الزيدية وعلمائها ، وقد سمى كتابه هذا بـ (رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقمار والعلماء الأبرار وشيعتهم الأخيار)[1] ، وهو من التواريخ المنظومة شعراً .

وفي تراجم أئمة الزيدية باليمن أيضاً ألَّفَ أحدُهم – وهو الإمام الهادي علي بن المؤيد بن أحمد بن جبريل (ت٨٣٦هـ / ١٤٣٢م) – كتاباً بعنوان (اللآلئ المضية في مراتب أئمة الزيدية وتفصيل منازلهم العلية)[2] .

وممن جمع تراجم رجال الصوفية وحكايات أهلها ذكر الشيخ محمد بن محمد ابن أبي القاسم المِزْجَاجِي (ت٨٢٩هـ / ١٤٢٦م) ، وذلك في كتاب له سماه (هداية السالك إلى أسنى المسالك[3])[4] .

ومنهم أيضاً المؤرخ عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن الخطيب الحضرمي (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) ، فقد ترك أثراً تاريخياً في تراجم الصوفية بحضرموت ، وخاصة المنتسبين إلى آل البيت النبوي هناك ، وهم مشهورون بآل (باعلوي) ، وعنوان كتابه (الجوهر الشفاف في فضائل ومناقب السادة الأشراف من آل باعلوي

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٣١٥٤) ، وفي مكتبة الجامع الكبير الغربية نسختان ، الأولى تحت رقم (٢٥٥ مجاميع) ، والثانية تحت رقم (١٩٧ مجاميع) ، وبمكتبة الأمبروزيانا نسخة رابعة تحت رقم A 119 ، ونسخة خامسة في مكتبة محمد محمد الكبسي بصنعاء ضمن مجموع ، ونسخة سادسة بمكتبة عبدالرحمن شايم بمحافظة صعدة ، ونسخة سابعة بمكتبة جامع الإمام الهادي بصعدة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٧٠ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٢ .

(2) ذكر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٣ أن منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية إلا أنه – على غير عادته – لم يذكر بياناتها كاملة .

(3) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٣٨ ، وقال الحبشي في حاشية الصفحة ذاتها أن لديه نسخة من مخطوطة الكتاب .

(4) وقد أغلظ الأهدل في وصف الكتاب – تبعاً لموقفه من المتصوفة المتفلسفين فقال : " وقد صنف كتاباً بالثناء على ابن عربي والحلاج ، وجمع فيه حكايات وخرافات ... " ، انظر **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٣٣٨ .

وغيرهم من الأولياء العراف)[١] ، وهو من أهم مصادر المؤرخ بامخرمة في تراجمه لعلماء ورجال حضرموت في كتابه القيم (قلادة النحر) .

ويُعد الإمام المؤرخ عبدالرحمن بن الحسين بن محمد بن أبي بكر الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) من أحسن المؤرخين اليمنيين الذين صنفوا في تراجم علماء المذاهب والفرق اليمنية ، وذلك في كتابه القيم جداً (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) فقد كان – بحق – منصفاً في الترجمة لكل من بلغه خبرهم من أعيان العلماء والفرق والمذاهب والسياسة ، فكان كتابه المذكور جامعاً لأهل السنة من الشافعية والحنفية ، وللفرق المختلفة والمتباينة ، كالزيدية والإسماعيلية ، وترجم لرموز التصوف المعتدل والمغالي ، ولم يمنعه عدم اتفاقه في العقيدة أن يتناول تراجم الشافعية القائلين بعقيدة الحنابلة[٢] ، وكذلك مَنْ بلغه خبرهم من رجال الزيدية وهم الحاملون لفكر ومعتقدات المعتزلة ، كما لم يدفعه خلافه الكبير مع أتباع ابن عربي والحلاج وابن الفارض من المتصوفة إلى التغافل عن الترجمة لأعلامهم وتضمينها في صلب كتابه .

وقد قسم الإمام الأهدل مادة كتابه على المنهج نفسه الذي سار عليه الإمام الجَنَدي ، خاصة أن تاريخ الأهدل – في الأصل – ليس إلا امتداد لتاريخ الجندي نفسه[٣] ، فكان يرتب التراجم على البلدان اليمانية ، فيبدأ بالبلدة فينقل من تراجم أعلامها معظم ما أورده الجندي ثم يتم بذكر تراجم من عاصره منهم ، وشمل بها معظم مناطق اليمن الرئيسية ، واستمر في إضافة التراجم إلى كتابه حتى قبيل وفاته .

وللإمام الحسين بن عبدالرحمن الأهدل أيضاً في التاريخ كتاب (طبقات الأشعرية) ، وقد أشار إليه في كتابه (كشف الغطاء)[٤] ونقل عنه .

---

[1] منه نسخة مخطوطة في مجلدين بمكتبة خاصة بمدينة تريم في حضرموت – لم يذكر الحبشي أكثر من هذا – ونسخة أخرى بمكتبة الأحقاف بحضرموت تحت رقم (٢٠٣٧ – ٢٠٤٢) ، ونسخة ثالثة في المتحف البريطاني تحت رقم (٧٤٢) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٥.

[2] كان الإمام الأهدل شافعياً أشعري المعتقد ، وقد سبق الحديث عن عمق الخلاف بين شافعية الجبال القائلين بعقيدة الحنابلة وشافعية تهامة الحاملين لعقيدة أبي الحسن الأشعري .

[3] تبلغ المسافة الزمنية بين الإمام الأهدل والإمام الجندي – من خلال تاريخ وفاتهما – حوالي قرن ونصف.

[4] الأهدل ، **كشف الغطاء** ، ص ١٤٠ .

وفي أخبار المذهب الإسماعيلي ورجاله وعلمائه قام الداعي الإسماعيلي المطلق إدريس عماد الدين بن الحسن بن عبدالله القرشي (ت٨٧٢هـ / ١٤٦٧م) بتصنيف ثلاثة من الكتب ، هي : كتاب (عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المختار ووصيه علي بن أبي طالب قاتل الكفار وآلهما الأئمة الأطهار عليهم صلوات الغفار) وهو مقسم إلى سبعة أقسام ، وسمى كل قسم منها (السُّبُعْ)[1] ، وكتاب (نزهة الأفكار وروضة الأخبار في ذكر من قام من الملوك الكبار والدعاة الأخيار)[2] ، وهذا الأخير جعله على قسمين ، خصص القسم الأول منه لتاريخ الدول الإسماعيلية باليمن التي دانت بالولاء للدولة الفاطمية بمصر حتى قيام الداعي الإسماعيلي السابع عشر ، والقسم الثاني من الكتاب اهتم بسيرة الداعيين السابع عشر والثامن عشر ، والكتاب الأخير لهذا الرجل هو (روضة الأخبار وبهجة الأسمار في ذكر حوادث اليمن الكبار والحصون والأمصار)[3] .

وممن صنف في تراجم الفرق الإمام الحافظ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) ، فقد ترك كتاباً هو العمدة في تراجم الصوفية بأرض اليمن حتى زمن المؤلف ، وهذا الكتاب موسوم بـ (طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص)[4] ، وقد نقل عن المؤرخين الذين سبقوه ، واستفاد منه من جاء بعده من المؤرخين .

---

[1] منه نسخة مخطوطة بمكتبة الدكتور الإسماعيلي الشهير حسين الهمداني الخاصة ، وقد نشر (السُبُعْ الرابع) من هذا الكتاب بتحقيق د. مصطفى غالب وصدر عن دار الأندلس في بيروت ، انظر الحبشي، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٦ ، د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .

[2] منه نسخة مخطوطة بمكتبة د. حسين الهمداني الخاصة ، ونسخة أخرى مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٥٣) ، ونسخة ثالثة بمكتبة جامعة استانبول بتركيا تحت رقم (٣٥٢١) ، انظر الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

[3] وهذا الكتاب تناول حوادث تاريخ اليمن في المدة من (٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) حتى سنة (٨٧٠هـ / ١٤٦٥م) ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة جامعة ليدن بهولندا تحت رقم (٢٦١٤) ، انظر د. أيمن فؤاد سيد ، **المرجع السابق** ، ص ١٨٢ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة ، وقد نشرته – بتحقيق القاضي محمد علي الأكوع – الهيئة العامة للكتاب باليمن عام ١٩٩٥م .

[4] منه نسخة مخطوطة بالمتحف البريطاني تحت رقم (٣٠٣٦) ، ونسخة أخرى في مكتبة جامعة ليدن بهولندا تحت رقم (٥٧٩) ، وقد طبع قديماً في سنة ١٣٢١هـ بالهند ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر**

وقد صنف شيخ الإسلام الإمام أبو عبدالله جمال الدين محمد بن أحمد بن علي بافضل الحضرمي (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٨م) كتاب (تراجم رجال البخاري) في سياقات اهتمامه بالتاريخ والحديث ورجاله ، وكان يذكر فيه وجه مناسبة الترجمة للحديث ، وقد وصفه المؤرخ الإمام الطيب بن عبدالله بامخرمة[١] – أحد تلاميذ المصنف – بقوله " وفيه فوائد جمة ... " .

ومن المشتغلين بالترجمة لرجال المذاهب والفرق في مدة الدراسة المؤرخ عبدالوهاب بن عبدالرحمن البُرَيْهي (ت٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) ، فقد وضع في تراجم رجال المذهبين السنيين – الشافعي والحنبلي – كتابين من أهم مصادر تاريخ اليمن في القرن التاسع الهجري ، وكان اشتغاله في تراجم الشافعية من أهل المناطق الجبلية المرتفعة كتعز وإب وعدن والمناطق والقرى المتناثرة بينها أكثر من اشتغاله بغيرهم ، وكانت له عناية خاصة بتراجم المتصوفة منهم ، وفي كتابيه من التراجم التي لم يعتن بها غيره العدد الكبير ، ومن هنا جاءت القيمة العالية لهما ، وأحد هذين الكتابين عبارة عن تاريخ موسع ، شمل الكثير من الإشارة الفنية والمضامين الأدبية والفقهية والمعرفية ، وقد أعطاه الحبشي عنوان (تاريخ البريهي الكبير)[٢] ، وأما الكتاب الآخر فهو (طبقات صلحاء اليمن)[٣] ، وهو مختصر للكتاب الأول ، وفيه العدد الهائل من الإحالات إليه ، فهو يشير إلى مطالع القصائد الشعرية والاستشهادات الأخرى ، فيورد منها بيتن أو ثلاثة ويحيل من يود الاطلاع على البقية

الإسلامي في اليمن ، ص ٤٩٧ ، وصدر مؤخراً – عام ١٩٨٦م – عن الدار اليمنية للنشر والتوزيع بتحقيق عبدالله الحبشي .

(1) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٤ .

(2) هذا التاريخ المهم من الذخائر اليمنية المفقودة ، ولم يعثر منه حتى الآن إلا على الجزء الأول منه ، ونسخته محفوظة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٦٢) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٦ .

(3) أستطيع الزعم بأن هذا الكتاب من أكثر المصادر نفعاً لهذه الدراسة ، فقد كان التعويل عليه كبيراً في أخبار العلماء في القرن التاسع في المناطق التي اختص بها ، ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير بمدينة تريم بحضرموت ، ولها صورة في معهد المخطوطات بالقاهرة ، وقد طبع محققاً من قبل عبدالله الحبشي ، وآخر طبعاته صدرت عن مكتبة الإرشاد بصنعاء عام ١٩٩٤م ، انظر **المرجع السابق** ، والصفحة ذاتها ، الحبشي ، **فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت** ، ص ١٦ .

إلى التاريخ الكبير – ويسميه الأصل – وكذلك القصص والكرامات والمواقف السياسية والأدبية والعلمية التي صدرت عن المترجم لهم ، ومن خلالها اتضح لنا ماهية المحتوى المتضمن في (تاريخ البريهي الكبير) .

وقد رتب المؤرخ البريهي مضمون تاريخيه على الطريقة نفسها التي سار عليها الإمامان الجندي والأهدل ، فهو يرتب التراجم على البلدان اليمانية ، فلا ينتقل عن البلدة حتى يترجم لأكبر علمائها ، مبتدأ بالأقدم وفاة وانتهاءً بالمعاصرين له ، فهو لم يترجم لمن توفي فقط ، لذلك فإن عبارة " وهو على الحياة حال جمع هذا المختصر " متناثرة بين تراجمه .

ولعلنا نذكر أننا تناولنا – في فئة التاريخ المحلي – التاريخ المنظوم الذي صنفه العلامة الإمام صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م) ، والذي شمل به أخبار دول أئمة الزيدية باليمن وغيرها ، مبتدئاً إياه من فترة مبكرة ، من فترة النبوة ، حتى مطلع القرن العاشر الهجري ، وهو المسمى بـ (الجواهر المضية في سيرة الأئمة الأخيار) ويعرف أيضاً بـ (البَسَّامة الجامعة لأخبار من قام ودعا من أئمة الآل عليهم السلام)(١) ، واختصر اسمه أثناء التداول بـ (البَسَّامة) ، من منطلق أن مادته مصنفة بحسب الترتيب التاريخي لقيام الأئمة الزيدية فيحق لنا أن نضعه ضمن كتابات هذه الفئة بصفة أئمة الزيدية رجال مذهب وفرقة إسلامية باليمن .

وما قيل عن (البسامة) يقال عن شروحها ، وهي – كما سبق ذكرها – الشرح الذي وضعه المؤرخ العلامة محمد بن علي ابن يونس بن علي الزحيف (ت٩١٦هـ / ١٥١٠م) والمسمى بـ (مآثر الأبرار في تفصيل مجملات الأخبار) وقد يسمى أحياناً (اللواحق الندية بالحدائق الوردية)(٢) ، وكذلك شرحها الثاني (الترجمان المفتح لثمرات كمائم البستان) الذي وضعه الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن يحيى مظفر (ت ٩٢٦هـ / ١٥١٩م)(٣) .

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٨١ .

(2) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١٠٣٧ .

(3) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٩٢٥ .

وممن صنف في تراجم المذاهب والفرق يأتي الأديب المؤرخ عمر بن محمد بن أحمد بن أبي بكر باشيبان الحضرمي (ت٩٤٤هـ / ١٥٢٧م) ، وهو شاعر أديب ، له نظم بديع ونثر حسن ، وأما جهوده في تاريخ الفرق فقد تمخض عن كتاب سماه (ترياق القلوب الواف بذكر أحوال السادة الأشراف)[1] ، جعله في ثلاثة أقسام وخاتمة ، قسمه الأول فضل الأولياء والصالحين ، والثاني في تراجم صوفية حضرموت من العلويين وغيرهم ، والثالث في فضل أهل البيت النبوي ، وخصص الخاتمة لتناول فضل مدينة تريم بحضرموت ، موطن التصوف والصوفية هناك .

وقام الإمام المؤرخ المحدث أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) بتصنيف كتاباً على (أسماء رجال مسلم) ويبدو أنه على غرار كتاب شيخه الإمام محمد بن أحمد باقضل (تراجم رجال البخاري) السابق ذكره [٢] .

❖ السير المفردة للشخصيات العامة :

لقي هذا النوع من الكتابة التاريخية عناية خاصة لدى اليمنيين ، بل إن أول كتابة تاريخية في تاريخ اليمن الإسلامي هي سيرة مفردة لإحدى الشخصيات اليمنية العامة التي عاشت في آخر القرن الثالث الهجري ، ألا وهي شخصية الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم الرسي (ت٢٩٨هـ / ٩١٠م) مؤسس المذهب الزيدي ودولته في اليمن ، إذ قام أحد أقربائه – ويدعى علي بن محمد بن عبيدالله العلوي – بكتابة سيرته المعروفة بـ (سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين) .

وقد تبين أن للعلماء من أهل السنة والزيدية باليمن غرام كبير بكتابة سير أصحاب الأثر العلمي والسياسي ، وكذلك أهل الصلاح والتقوى – من المتصوفة – وسير ومناقب المشهورين من أهل العلم والفضل ، ويظل علماء الزيدية هم فرسان هذا النوع من الكتابة التاريخية ، بل إنها أصبحت تقليداً وعرفاً لديهم ، إذ كتبت سير معظم أئمتهم ، سواء بتوجيه من الأئمة أنفسهم أو بدافع ذاتي ممن حولهم من العلماء ،

---

(1) الشلي ، **السنا الباهر** ، ص ٣٥٠ ، **المشرع الروي** ، ج ٢ ص ٣٤٨ ، العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٩١ ، ومنه نسخة في المتحف البريطاني تحت رقم (١١٢) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٠٢ .

(2) الشلي ، السنا الباهر ، ص ٣٢٨ .

فتوفرت بذلك مصادر أصلية ذات قيمة عالية لمدد زمنية مهمة من تـاريخ اليمن ، خاصة فيما يتعلق بأخبار الزيـدية وصراعاتها الدائمة مع القوى اليمنية المتعددة ، سواء كانت من الدول أو القبائل ، ولم نظفـر بشيئ من إنتاجهم التاريخي يتناول مديـنة أو بلدة قط[1] ، إذ كان التاريخ – في وجهة نظرهم – يتمحـور حول الإمام الذي يمثل مركز الاهتمام وقطبه الجاذب .

ومن أشهر السير التي أفردت لشخصيات عامة في مدة الدراسة نذكر كتاب (المنهج القويم في مناقب الشيخ عبدالله القديم) الذي صنفه العلامة الشيخ محمد بن أبي بكر بن عمر بن محمد باعبَّاد (ت٨٠١هـ / ١٣٩٨م)[2] ، وعبدالله القديم المشار إليه في عنوان الكتاب هو عبدالله بن محمد باعبَّاد الحضرمي ، أحد أكابر علماء حضرموت وصوفييها الكبار[3] ، ولم يقتصر المؤلف على سرد سيرة الإمام عبدالله القديم فقط ، بل شمل كذلك تراجم أولاده وأحفاده ، والمصنف نفسه أحد أحفاده .

ولمناسبة ذكرنا للإمام عبدالله القديم فقد صنف المؤرخ عبدالرحمن بن علي بن حسان الحضرمي (ت٨١٨هـ / ١٤١٥م) سيرة خاصة به في إطار اهتمامه بتاريخ حضرموت – على وجه التحديد – ولم يردنا عنوان هذه السيرة ؛ لذلك سماها الحبشي[4] (مناقب الشيخ عبدالله بن محمد القديم) .

وذكر الأهدل[5] والشـرجي[6] أن أبا القاسم بن عمر بن محمد بن حسين بن علي بن الحسين البَجَلي قد جمع سيرة خاصة بالشيخ الصالح والصوفي الكبير أحمد بن محمد الحَرَضِي الحكمي (ت٨٠١هـ / ١٣٩٨م) ، وسماها (مناقب الحرضي) .

---

(1) عبدالرحمن أحمد المختار ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الشيخ علي بن عبدالرحمن باعباد الخاصة بحضرموت ، انظـر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٨ .

(3) باحنان ، **جواهر تاريخ الأحقاف** ، ج٢ ص ٩٨ ، الحداد ، **عقود الألماس بمناقب العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس** ، ج ٢ ص ١٧ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، الصفحة نفسها .

(4) الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٤٩١ .

(5) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٥٢ .

(6) **طبقات الخواص** ، ص ٢٩ .

وفي صنعاء صنف العلامة الناصر بن أحمد بن المطهر بن يحيى الحسني (ت٨٠٢هـ / ١٤٠٠م) سيرة لجده الإمام المتوكل على الله المطهر بن يحيى (ت٦٩٧هـ / ١٢٩٧م) ، ثم أنه ضمنها سيرة عمه الإمام المهدي محمد بن المطهر (ت٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) وابن عمه الإمام الواثق المطهر بن محمد بن المطهر (ت٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) ، وهي سيرة وصفت بأنها مختصرة[١] .

وكما سبقت الإشارة إلى أن الإمام العلامة نور الدين علي بن أبي بكر الأزرق (ت٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) أحد أكبر علماء تهامة ، قد أسهم في الترجمة لرجال التصوف في اليمن من خلال كتابه (المطرب للسامعين في كرامات الصالحين)، وذكرنا أن هذا الكتاب قد تم تلخيصه وترتيب مادته من كتابين آخرين ، أحدهما للمصنف ابن الأزرق نفسه هو كتاب (الباهر في مناقب الشيخ عبدالقادر) ، وهو سيرة خاصة مفردة للإمام الصوفي الشهير عبدالقادر الجيلاني[٢] .

وممن أسهم في التاريخ بتأليف السير المتعلقة بالشخصيات العامة في اليمن في مدة الدراسة العلامة يحيى بن القاسم العلوي (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) ، فقد صنف كتاب (سيرة الإمام علي بن صلاح الدين) والمقصود بالسيرة هو الإمام المنصور بالله علي بن الإمام الناصر صلاح الدين (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) الذي مر علينا ذكره وطرفاً من تاريخ إمامته في الفصل الثاني ، ولأن المصنف قد توفي أثناء إمامة المترجم له فقد تكفل ابنه الناصر بن يحيى بن القاسم العلوي بإتمامها[٣] .

وفي مناقب الإمام عبدالقادر الجيلاني أيضاً ألف الإمام مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزابادي الشيرازي (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م) كتابه الموسوم

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٦٧ ، ومنها نسخة مخطوطة بمكتبة الأمبروزيانا تحت رقم A55 ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٥٧ ، زبارة ، **ملحق البدر الطالع** ، ص ٢١٩ ، **أئمة اليمن** ، ص ٢٩١ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٨ .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٥٨ .

(3) منها نسخة مخطوطة بخط المؤلف نفسه بمكتبة المرتضى بن عبدالله الوزير في هجرة السر ، وقد انتزعت عدة أوراق من بدايتها ، ومنها صورة بمكتبة عبدالله الحبشي الخاصة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٠ .

بـــ(روضة الناظر في ترجمة الشيخ عبدالقادر)[1] ، كما أن له (الفضل الـــوفي فـــي العدل الأشرفي) خصصه لفضائل ومدح السلطان الرسولي الأسرف الثاني إســـماعيل (ت٨٠٣هـــ / ١٤٠٠م)[2] .

وقد سلف ذكر الســـيرة التي خصصها المؤرخ عبدالرحمن بن علي بن حسان الحضرمي (ت٨١٨هـــ / ١٤١٥م) للإمام عبدالله القديم ، ونذكر هنا أنه صنف أيضاً سيرتين خاصتين باثنتين من الشخصيات الصوفية الحضرمية ، الأولى هي (مناقب الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي) ، والثانية هي (مناقب الشيخ سعيد بن عيسى العمودي)[3] .

وقد صنف الشيخ محمد بن أبي بكر بن أحمد الأشكل (ت٨٢٠هـــ / ١٤١٧م) سيرة خاصة كرسها لشيخه المتصوف الإمام إسماعيل الجبرتي سماها (فيض الوهب الإلهي الأقدس عن سر شيخ الإسلام الجبرتي بالفيض الأقدس)[4] .

وقد صنف القاضي والصوفي الكبير أحمد بن أبي بكر الرداد (ت٨٢١هـــ / ١٤١٨م) كتاباً في سيرة الإمام علي بن أبي بكر الشاذلي ، وعَنْوَن كتابه بـــ (المجموع الشريف المحتوي على كل معنىً لطيف)[5] .

وفي الدفاع عن مـــوقف الإمام الناصر صلاح الدين محمد بن الإمام المهدي علي بن محمد (ت٧٩٣هـــ / ١٣٩٠م) عندما ثار الجدل حول اتخاذه الآلات الموسيقية العسكرية ، صنف الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـــ / ١٤١٩م)

---

(1) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١٠ ص ٨١ ، الفاسي ، **العقد الثمين في أخبار البلد الأمـــين** ، ج ٢ ص ٣٩٦ ، الفيروزابادي ، **القاموس المحيط** ، ص ١٤ من مقدمة المحقق .

(2) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩١ .

(3) ولم أهتدِ إلى تعريف الشخصيتين المترجم لهما في الكتابين ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٤٩١ .

(4) منها نسخة مخطوطة بمكتبة مشرف بن عبدالكريم المحرابي الخاصة بتعز ، ونسخة أخرى بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٩٥) ، ونسخة أخرى في المكتبة نفسها في قائمة (كتب حديثة) ، انظـــر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩١ .

(5) منها نسخة مخطوطة بمتحف آيا صوفيا بتركيا تحت رقم (٣٢٤٤) ، انظر **المرجع السابق** ، ص ٤٩١ ، ٤٩٢ .

كتابه (كريمة العناصر في الذب عن سيرة الإمام الناصر)[1] وقد جعلها ترجمة ضافية له ولكثير من أئمة اليزيدية السابقين له ، وامتدحه فيها بمدائح واسعة ، وعن سيرة الإمام الناصر صلاح الدين نفسه ألف العلامة علي بن سليمان المعروف بابن الزفوف كتاباً خاصاً بها[2] .

ولما احتدم الخلاف الفكري والعسكري الدموي بين الزيدية حول شرعية إمامة أحد المتعارضين والمتنافسين عليها في مطلع القرن التاسع الهجري ، وكانت المنافسة محتدمة بين ثلاثة من الأئمة أحدهم الإمام المنصور بالله علي بن الإمام الناصر صلاح الدين ، كان الهادي بن إبراهيم الوزير قد اتخذ جانب الإمام المنصور ، وجرد قلمه ولسانه للدفاع عنه وتعداد مناقبه بما يثبت استحقاقه للإمامة وامتلاكه شروطها ، ومن جهوده في ذلك تأليفه كتاب (كاشفة الغمة عن حسن سيرة إمام الأئمة)[3] .

وقد وقف الإمام الشهير محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) الموقف نفسه الذي وقفه أخوه الهادي بن إبراهيم في الصراع المشار إليه آنفاً ، واتخذ

---

(1) منها نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١١٥) وعنها صورة بالميكروفيلم في دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٢٠٤) ، وأخرى بخط المؤلف نفسه بالمكتبة الغربية نفسها تحت رقم (١٦٠ تاريخ) ، ومنها نسخة بالمتحف البريطاني تحت رقم (٥٣٩٣) ، ونسخة أخرى بمتحف آيا صوفيا بأستانبول تحت رقم (٣١٨١) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٢، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٧١ ، د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ١٧٠ .

(2) هكذا حكاها الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٤٩٢ دون أي معلومات أخرى سوى أن ابن الزفوف كان معاصراً للهادي الوزير .

(3) منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى تحت رقم (١٥٧) ، والثانية تحت رقم (١٥٨) ، ونسخة أخرى في مكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٥٣٥٠) ، وأخرى بدار الكتب المصرية تحت رقم (٤٩) ، وأخرى في مكتبة علي أميري تحتر قم (١٣٨١) ، وبمتحف آيا صوفيا نسخة منه تحت رقم (٣٣٨١) ، ومنها نسخة بالمتحف البريطاني تحت رقم (٣٣٩١) ، ونسخة بخط المؤلف نفسه لدى ورثة أحمد بن قاسم حميد الدين وعنها صورة بمكتبة معهد القضاء العالي بصنعاء ، ونسخة في مكتبة عبدالرحمن شايم ، ونسخة في الأمبروزيانا تحت رقم **A95** ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٧٢ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٤٩٢ ، د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ١٧٠ .

جانب الإمام المنصور علي بن الإمام الناصر ، ودافع عنه كأخيه ، وصنف في سيرته كتاب (الحسام المشهور في الذي عن دولة الإمام المنصور)[1] .

وهذا الفقيه الشيخ محمد بن عمر بن محمد العرابي الشاوري يجمع مصنفاً في سيرة والده الشيخ الصوفي الشهير باليمن محيي الدين أبو حفص عمر بن محمد العرابي الشاوري المكي الحرازي (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م)[2] ، وسمى هذه السيرة بـ (السر الرابي في مناقب الغوث العرابي)[3] .

ونرى العلامة الحسن بن أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) يترك أثراً كبيراً في ترجمة والده الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)[4] ، وهي ترجمة – بل سيرة – ضافية جامعة ، ضمنها معظم ما أُثِرَ عن والده العَلَم الكبير ، من الأشعار والخطب والرسائل والوصايا ، كما تناول فيها سيرته الغزيرة بالأحداث العلمية والسياسية والعسكرية ، وسمى سيرته بـ (كنز الحكماء وروضة العلماء)[5] .

وجمع العلامة علي بن أبي بكر الناشري (ت٨٤٤هـ / ١٤٤٠م) كتاباً في السير الخاصة ، وجعله على اسم السلطان الناصر أحمد بن إسماعيل الرسولي

---

(1) منه نسختان مخطوطتان بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى تحت رقم (٥٣ مجاميع) ، والثانية تحت رقم (١١٩ مجاميع) ، وبها نسخة ثالثة تحت رقم (٩٦ مجاميع) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٨٢٨ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٣ ، يحيى بن الحسين ، **غاية الأماني** ، ص ٥٦٠ ، د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(2) ترجمته لدى البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٤١ ، ٤٢ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٥ ص ١٣١ .

(3) منه نسخة مخطوطة في مكتبة شستربتي في مدينة دبلن تحت رقم (٥١٥٤) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٢ ، ٤٩٣ .

(4) توفي الوالد والولد في السنة نفسها في واحد من أشد الأوبئة فتكاً بالناس في تاريخ اليمن ، وهو مرض الطاعون الواقع في سنة (٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) .

(5) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١١٥ تاريخ) ، ونسخة أخرى بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢٣٧٦) ، ونسخة أخرى في مكتبة محمد بن محمد الكبسي ، انظر المرجع السابق ، ص ٤٩٣ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٣٠٤ .

(ت٨٢٧هـ / ١٤٢٣م) ، وجعل عنوان هذا الكتاب (روضة الناظر للملك الناصر)[١]، غير أن الحبشي[٢] قال : إن هذا الكتاب مأخوذ من (وفيات الأعيان) لابن خلكان، فإن كان ما قاله صحيح فمكان هذا الكتاب ضمن فئة التراجم والطبقات العامة .

وقد جمع – أيضاً – العلامة أبو القاسم بن أحمد بن إبراهيم مُطَيْر الحكمي (ت٨٤٤هـ / ١٤٤٠م) في سيرة أبيه الإمام أحمد بن إبراهيم مطير الحكمي (ت٧٦٢هـ / ١٣٦١م) كتاباً بعنوان (مناقب أحمد بن إبراهيم مطير)[٣] .

وكان الفقيه المتصوف سراج الدين عمر بن عبدالرحمن بن محمد بن علي باعلوي (ت٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) ، أحد أشهر الشخصيات الصوفية في القرن التاسع الهجري في اليمن ، شاعراً محباً للعلماء والصالحين ، ومدائحه فيمن أحبهم منهم مشهورة ، كعلماء لبني جعمان الذين تتلمذ على بعضهم ، يقول بامخرمة : " وله شعر حسن وقصائد طنانة في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي مدح السادة بني جعمان كالفقيه إبراهيم بن أبي القاسم بن جعمان وغيرهم من العلماء الكبار كشيخ الإسلام جمال الدين محمد بن أحمد بافضل الحضرمي ... "[٤] ، وله في مناقب شيخه عبدالله العيدروس (ت٨٦٥هـ / ١٤٦٠م) كتاب (فتح الرحمن الرحيم في مناقب الشيخ عبدالله بن أبي بكر العيدروس)[٥] ، وفي سيرة الشيخ عبدالله العيدروس أيضاً

---

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة باريس الوطنية تحت رقم (٥٨٢٣) ، ونسخة أخرى بمتحف آيا صوفيا في تركيا تحت رقم (٣٢٣٥) ، ونسخة أخرى في مكتبة يحيى المتوكل الخاصة بصنعاء ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٤ ، د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ١٧٥ .

(2) الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٤٩٤ .

(3) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٥٧ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١١ ص ١٣١ ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(4) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٤٩ .

(5) **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ومنه نسخة مخطوطة في مكتبة محمد بن عبدالله بن بصري في مدينة سيئون بحضرموت ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٦ .

صنف الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن باوزير (ت آخر القرن التاسع الهجري) كتاباً بعنوان (التحفة النورانية)[١] .

كما جمع الإمام المؤيد بالله محمد بن الناصر بن محمد (٩٠٨هـ / ١٥٠٢م) كتاباً في مناقب الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه وسيرته ، وسماه (نهاية السؤول في مناقب وصي الرسول)[٢] .

وللعلامة الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) كتاب في السير الخاصة ، هو الموسوم بـ (مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس)[٣] ، وضعه مصنفه في سيرة أبي بكر بن عبدالله العيدروس (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م)[٤] ، وقد وصفه المصدر بقوله : " أجاد فيه كل الإجادة ، ولم يترك لغيره مجالاً للزيادة ... "[٥] .

❖ السير الذاتية الخاصة :

تَطَبَّعَ علماء الإسلام على كراهة مدح النفس والحديث عن فضائلها بعد قرأوا الكثير من الآثار التي تعد ذلك من أمراض النفس التي يتعين على المسلم التخلص منها، ودفعهم ذلك إلى غمط أنفسهم ، فأخفى الكثير منهم مكارمهم وتجنبوا الحديث عن منجزاتهم ، ولعله من غير المبالغ فيه أن نزعم أنهم جعلوا الاستعراض الطبيعي غير المبالغ فيه لسيرهم ضرباً من العجب والغرور المحبط للعمل ، إذ تفتقر إلى التراجم

---

(1) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الحسيني بمدينة تريم في حضرموت ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٨.

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٩ تاريخ) ، وعنه صورة بمعهد المخطوطات بالقاهرة ، ونسخة أخرى بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢١٣٧) ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٨ .

(3) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ٢٨ ، الشلي ، **السناء الباهر** ، ص ٢١٢ ، وذكر الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٥٠٠ أن بمكتبته نسخة مخطوطة منه ، وأنه قد طبع ضمن المجموعة العيدروسية .

(4) أخبار المترجم له بتفصيل كبير عند العيدروس ، **النور السافر** ، ص ٧٧ – ٨٥ .

(5) **المصدر السابق** ، ٨٢ .

الوافية لعدد من المؤرخين اليمنيين الذين أشبعوا تراجم غيرهم بكثير من التفاصيل ولم يتحدثوا عن أنفسهم إلا ما جاء عرضاً في سياق التراجم التي كتبوها لغيرهم .

في هذا السياق نورد ما كتبه أحد الباحثين مبدياً حسرته بسبب فقدان الكثير مما كان ينبغي كتابته من سير علماء اليمن بسبب التواضع ، يقول : " من الأسباب التي جعلتنا نفقد كثيراً من التراث التاريخي المتعلق بالأعلام في يمن والحكمة والفقه أن معظم العلماء كان لهم عناية بعلم القوم فأدى ذلك إلى سلوكهم سبيل التواضع وغمط النفس ، ورغم أنهم قضوا حياتهم في الإفتاء والتعليم والقيام بمصالح الناس وحل الخصومات والمنازعات إلا أن معظمهم لم يكتبوا عن انفسهم ، اعتقاداً منهم أنهم لم يبلغوا درجة تستحق أن تنال العناية والتسجيل ، ولم يسمحوا لغيرهم بالكتابة عنهم ، وآثروا طَوْيَ صفحاتهم ، بل وصل الأمر ببعضهم إلى كتمان نسبهم الشريف وإيثار الاعتزاء إلى المشيخة ... وهكذا حرمنا التواضع المفرط الذي نَهَجُوه من خير كثير ، وكنزٍ وفير ، وهذا على عكس غيرهم من علماء البلاد الإسلامية الأخرى ، فإنهم اهتموا بالتاريخ والتراجم ، وصرفوا إليها نفائس أوقاتهم ، ووصل الأمر بكثير منهم إلى أن كتب عن نفسه ، أو تمنى أن يكتب عنه غيره ... ولم يخرجهم ما صنعواه عن التواتضع الممدوح ، بل خلفوا لنا ثروة عظيمة ، وقدوة حسنة ، وزاداً طيباً ، وقد عبرت عن ذلك المسلك الذي سلكه علماء اليمن شعراً فقلت :

إنَّ الأفاضلَ من أبناءِ بلدتِنا
لم يكتبوا ما لهمْ في الخيرِ من قِدَمِ
قد أخلصوا لرضا المولى فكان لهم
بُعْدٌ عن الذاتِ بل عَدْوٌ في اللَّمَمِ "(١)

ومما يؤكد إفراط بعض علماء اليمن في التواضع وسعي كثير من غيرهم إلى الظهور الشيوع الذكر بين الناس ما حكاه الإمام السخاوي(٢) أن أبا علي الحسن بن أحمد بن عبدالله بن البناء القرشي الحنبلي قال : ليت الخطيب البغدادي ذكرني في

---

(1) المهدي محمد الحرازي ، تراجم علماء اليمن بين الواقع والطموح ، ص ٥٠ ، ٥٣ .

(2) السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، دراسة وتحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة ابن سيناء ، القاهرة ، (د ، ت) ، ٢٩ .

تاريخه ولو في الكذابين ، وقال أيضاً : " ونحوه قول بعضهم ممن توهم اقتصاري على تراجم الأموات : ليتني أموت في حياة السخاوي حتى يترجمني "[١] .

غير أن الرواد من علماء اليمن الذين كسروا هذه القاعدة قد عاشوا في مدة دراستنا ، الأول منهم توفي في العقد الرابع من القرن التاسع الهجري ، أما الثاني فقد توفي في العقد السادس من القرن نفسه ، في حين توفي الثالث في أواخر النصف الأول من القرن العاشر الهجري ، أما الأول فهو الإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ (ت٨٣٧هـ / ١٤٣٣م) الذي قام بالترجمة لنفسه في آخر كتابه الشهير (عنوان الشرف الوافي في الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي) .

يقول الإمام المقرئ[٢] في مستهل ترجمته الذاتية : " قال مؤلفه الراجي عفو ربه إسماعيل بن أبي بكر المقرئ الشاوري ، سامحه الله ، : كانت هجرتي من الموطن بيت حسين إلى الأبواب الأشرفية عام اثنتين وثمانين وسبعمائة في حداثة من السن ، وقد أخذت شيئاً من العلم في الشرع والأدب ، ونظمت القافية ، ثم لما دخلت زبيد أخذت في الاشتغال بطلب الفقه عند الإمام جمال الدين الريمي – رحمه الله – والنظر في علم الأدب وغيره من العلم وقتاً إلى شهر رمضان سنة أربع وتسعين ، وزتعرضت لمعروفه ثانياً ، فأفاض علي سحائب كرمه ، وملأ يدي بالكرامة والنعمةى ، وأضاف إلي تدريس المدرسة المجاهدية ونَظَرَها ، ونَظَرَ مدارس عدة ، وجعل لي جامكية كل شهر ثلاثمائة دينار ، ومائة أيضاً لغلمان مضافين ، وصرف إلي داراً كاملة المرافق ، وفيها عين ماء جارية ، ونعم وافية ، فأقمت عنده – كرمه الله – في روض أريض ، وجود فائض عريض ، إلى أن توفاه الله ، قابله الله برضوانه وملّكه أعلى مرتبةَ في جنانه ، ثم انتقل الملك إلى أمير المؤمنين ولده الملك الناصر – مد الله في أيامه – فأعطاني ألف دينار ، وأجرى لي الجائزة والجامكية ، وشغل بأمر الجهاد والبلاد ... وقد جاءني منه وعود صادقة ، فأنا في في رجاء وفائها وانتظارها ، وُعُوْدُهُ صادقه ، ومروءته سابقة ولاحقة ، ومعارفه في عوارفه المتدافقة غارقة ، مد الله ملكه ، وجعل الله الدنيا كلها ملكه ... "..

---

[١] السخاوي ، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، ص ٢٩ .

[٢] المقرئ، عنوان الشرف الوافي، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

وأما ثاني المؤرخين الثلاثة فهو الإمام الحسين بن عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر الأهدل (ت ٨٥٥هـ /١٤٥١م) ، الذي قام بكتابة أشهر سيرة ذاتية كتبها مؤرخو اليمن – وإن لم تكن أطولها[١] – وضمنها تاريخه المعروف بـ (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) ، وهي سيرة ضافية قياساً مع غيرها ، تربو على السبع صفحات، أدرج فيها ذكر أهم محطات حياته ، الاجتماعية والعلمية ، وشهرتها تفوق شهرة غيرها مع أن سيرة الإمام المقرئ الذاتية أقدم منها بسنوات .

ومما جاء في سيرة المؤرخ الأهدل الذاتية : " وإذ قد ذكرت أهلي ببعض أخبارهم ، فأذكر بعض أمري مما يعتني بمثله العلماء والفقهاء ، فمولدي لنحو تسع وسبعين وسبعمائة تقريباً ، بالقحرية[٢] غربي الجَثّة[٣] ، ونشأت بها ، وحفظت القرآن بها ، وكنت في المكتب أسمع الأهل يقولون : هذا الولد قال أبوه فيه أنه يكون فقيهاً ، فلما حفظت القرآن رغبت في الفقه ؛ فانتقلت إلى المَرَاوَعَة[٤] قبل البلوغ ، فقرأت (التنبيه) ، وحفظت ربعه ، وطالعت في (المهذب) وغيره ، وحصّلت (التنبيه) ، ثم (مختصر الحسن) في النحو ، و (بداية الهداية) و (التبيان) للنووي بخطي ، وكانت قـراءتي على الفقيه العـلامة علي بن آدم الزيلعي ، وكان فقيهاً محققاً مفتياً بناحية سـهام ، يعرف (الروضة) والتفسير والعربية والفرائض معرفة جيدة ... وقد سمعت عليه (البداية)[٥] و (منهاج العابدين) للغزالي ، وبعض (تفسير الواحدي)

---

[1] أطول سيرة ذاتية كتبها عالم يمني عن نفسه هي سيرة شيخ الإسلام الإمام محمد بن علي الشوكاني التـي أدرجها ضمن تاريخه ، **البدر الطالع** ، ص ٧٣٢ – ٧٤٢ .

[2] لم أستدل على تعريف لها في كتب البلدان اليمانية التي توافرت لدي ، ويستدل على موضعها من خـلال تعريف الجَثّة التالية لها .

[3] قرية خربة في وادي سهام من محافظة الحُدَيْدَة ، بالقرب من مدينة المراوعة ، **المقحفي، معجم البلـدان والقبائل اليمنية**، ج١ ص ٢٩١ .

[4] مدينة تقع في على الطريق الواصلة بين مدينتي الحُدَيْدَة وباجل ، وهي إلى باجل أقرب ، تبعد عن الحديدة حوالي ٣٠ كيلومتراً شرقاً ، وتشتهر بصناعة عدد من المنتوجات المحلية وزراعة بعـض المحاصـيل الزراعية ، وهي تمثل مركزاً لإحدى مديريات محافظة الحديدة المسماة باسمها ، وهـي مـن المـواطن الرئيسية لبعض الأسر العلمية كآل الأهدل ، الحجري ، **مجموع بلدان اليمن وقبائلها**، ج ٤ ص ٧٠٤ ، المقحفي، **معجم البلدان والقبائل اليمنية**، ج٢ ص ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ .

[5] أي بداية الهداية للإمام محمد بن محمد الغزالي .

بأخذه له قراءةً على الفقيه محمد بن موسى الذؤالي ، وطالعت (شرح التنبيه) للزنكلوني ، وحفظت معظم الربع الول منه تصويراً وتصحيحاً ...

ثم دخلت إلى أبيات حسين في رجب من سنة ثمان وتسعين فأقمت بحافة الشرجة عند الفقهاء بني العرضي ... فقرأت على شـيخي الفقيه الصالح محمد بن إبراهيم العـرضي ، فأعـدت عليه (التنبيه) وشـرحيه ، فحفظته جميعاً ، ثم قرأت عليه (المهذب) ثم (المنهاج) و (الأذكار) للنووي ، ثم أعدت (المنهاج) على شيخي الفقيه الإمام علي بن أبي بكر الأزرق ، وحصلت اختصاره لـ(المهمات)[1] ، وتخرجت به وطالعت معه أصل (المهمات) ، واستفدت منها معرفة أسماء العلماء ، الشافعي وأصحابه رحمهم الله تعالى ، ومناقبهم ، والتصحيح والتناقض الواقع في كتب الإمامين الرافعي والنووي ، وماستدراكات الإسنائي عليهما ، ثم حصلت كتاب (النفائس) لشيخي نور الدين الأزرق ، ثم قرأت عليه (الأذكار) للنووي و (التبيان) و (الأربعين) له أيضاً ، وكتاب (الشهاب والنجم والكواكب) وقرأت عليه جميع (تفسير الإمام الواحدي) و (الشفاء) للقاضي عياض ، وجميع البخاري ومسلم ، وسمعت الترمذي و (الموطأ) و (سنن أبي داود) و (سيرة ابن هشام) على غيره ، وأخذت على الأزرق كثيراً ، وله بي اختصاص تام – رحمه الله تعالى وجزاه عني خيراً – وقد بشرني – رحمه الله تعالى – بالخير ، وسمعته ، وأنا عنده أعلق ، يقول لغيري : هذا قد صار مثل الفقهاء الكبار كالحاذري وغيره ، هذا لفظه رحمة الله تعالى عليه ، وقال مرة : إن وقف هذا بالبلد فما يكن مفتيها إلا هو ، وروى لي الثقة أنه قـال : قلت له : من يكون بعدك في مقامك في العلم ؟ فقال : فلان لأقل العبيد[2] وقد أمرني في حياته بالإفتاء ، وأمرني بكتب جواب بعد جوابه ، فكتبت بخطي في حضرته بالجواب ، ولقد رأينا من فضل الله كثيراً "[3] .

---

(1) وهو كتاب (المهمات على الروضة) في فقه الشافعية لمؤلفه جمال الدين محمد بن عبدالرحيم الإسـنوي (ت٧٨٢هـ / ١٣٨٠م) وهو من الكتب التي كثرت شروحها والتعليقات عليها ، انظر ذلك كلـه لـدى الحبشي ، **جامع الشروح والحواشي** ، المجمع الثقافي ، أبو ظبـي ، ط ١ ، ٢٠٠٤م ، ج ٣ ص ١٩٥٧ – ١٩٦٠ .

(2) يشير المصنف بـ (أقل العبيد) إلى نفسه تواضعاً .

(3) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٢٥١ – ٢٥٧ .

إننا إذ ننقل مثل هذا النص الطويل فإننا نهدف من وراء النقل إلى عرض بعض ملامح هذه السيرة الذاتية الغنية بكثير من الشواهد ، أولا على كونها سيرة ذاتية مبكرة في اليمن وفي غيرها من الأقطار الإسلامية ، وثانياً لأنها تعكس في ثناياها مقطوعة من قوائم المناهج الدراسية وأسماء المقررات الدراسية التي كان الاعتماد عليها شائعاً عصرئذٍ ، كما أنها تمثل دليلاً على تعدد الشيوخ في الكتاب الواحد ، وحرص الطالب للعلم على استيعاب ما يدرسه حتى أنه يقوم بحفظ المتون الطويلة جداً واستظهارها غيباً .

وقد استطرد الإمام المؤرخ الأهدل في سيرته الذاتية فقال – بعد أن عَدَّدَ الكثير جداً من الكتب والأمهات التي درسها في جميع فروع المعرفة المشهورة أنذاك– :" وطالعت الطبقات والتواريخ والخلاف وكتب المبتدأ والأوائل ، وكتب القراءات ورسم المصاحف ... وبالجملة فقد بارك الله لي في العلم فعرفت ماهية كل علم لمشاركتي في علوم شتى ، وعرفت عقائد الأئمة من أصحابنا الأشعرية ، وغيرهم من الحنفية والحنابلة السنية والحشوية ، وعرفت مذاهب المبتدعة من كل فريق، وعرفت مصطلحات العلماء من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والأصوليين والأدبيين .

وحققت علوم الصوفية ومصطلحاتهم ، وميزت بين محققيهم وشُطَّاحهم ، ومارست مشكلات كلامهم ، واطلعت على خفايا معانيهم بتوفيق الله تعالى ، وميزت العلوم المحمودة من المذمومة ، وانقسامها إلى خمسة أقسام ، وعرفت مذهب الفلاسفة ، وما يقتضي الكفر وما يقتضي التبديع ، وقد حصر الغزالي مذهبهم في عشرين أصلاً ، وطالعت كتب الجرح والتعديل ، وعرفت الأسباب والأنساب بحمد الله تعالى .

ويسر الله لي سبع حجات وزيارتين ومجاورة مدة بالمدينة ، ولي إجازات من مشائخي في كتب كثيرة ، تحصر أكثرها فهرستي ، منها فهرس شيخنا الأزرق عن الفقيه إبراهيم بن مطير وعن اليافعي فهرست شيخه الطبري المكي ومصنفاته ، وغير ذلك ، ولي أخذ وإجازات من فقهاء الحرم الذين لقيتهم في سنة تسع وثمانمائة في حجتي الأولى ، كالشيخ جمال الدين بن ظهيرة وتقي الدين الفاسي المكيين ، وزين الدين

المراغي وأبي حامد المطري المدنيين ، وغيرهم من القادمين كالشيخ مجدالدين الشيرازي وشمس الدين الجزري صاحب (عدة الحصن الحصين) "[١] .

وقد أحسن الإمام الأهدل إذ أشار في ثنايا سيرته الذاتية إلى أمرين مهمين ، أولهما : منهجه في تحصيل العلوم وروايتها في خضم العدد الكبير الذي استعرضه مما قرأه أو سمعه أو رواه ، وثانيهما : جريدة مصنفاته التي كتبها ، فليس هناك من أحد أعرف بها منه ، خاصة أنه عرف بالإكثار من التصنيف ، ففيما يخص منهجه في الرواية وتحصيل العلم يقول : " ومن طريقي إني لا أحب الرواية إلا عن ثقة ، ولا آخذ عمن دب ودرج ، ولا عمن لا أعرف ديانته ولم أختبر عقيدته "[٢] .

ولقد كان الأهدل متواضعاً بالغ التواضع ، لا يدعي معرفة ما لا يتقنه ، لا يستنكف من الاعتراف قبل أن يطلب إليه ذلك ، فها هو يبادر في سيرته ليقول : " ولا أقول : إني عارف كل ما أشرت إليه من العلوم معرفة تامة ، بل معولي على علوم الدين كفقه الشافعي وأصوله ، وأصول الدين على مذهب الأشعرية ، والحديث والتفسير وعلم الصوفية السنية ، وما عدا ذلك فمشاركة صالحة إن شاء الله تعالى ، مع اعـتـرافي بالتقصير ، وأســأل الله من فضله آمـــين آمـــين "[٣] .

وأما كتب المؤرخ الأهدل فهي مبثوثة في فئاتها من هذه الدراسة ، وهي في مجملها مستقاة من ترجمته الذاتية ، إما مباشرة أو عن طريق المراجع الجامعة لمصادر الفكر العربي والإسلامي في اليمن .

وأما ثالث المؤرخين الثلاثة الذي كتبوا سيرهم ذاتياً في مدة دراستنا فهو الإمام المحـــدث والفقيه العـــلامة المـــؤرخ عبدالرحمن بن علي بن الديبع الشـــيباني (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) الذي نجده يختم بها تاريخه (بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد) ، يقول في مطلع سيرته : " وأن أذكر بعد ذلك خاتمةً في ذكر مولدي ومنشأي ، وطلبي للعلم في مبدئي ، وتعديد نعم الله علي وما ساقه من الخيرات ، لا لأُعَرِّفَ بفضلي ولكن اقتداء بمن سبق من العلماء قبلي ، فقد سبقني إلى ذلك شيخ شيوخنا شرف الدين إسماعيل بن أبي بكر المقرئ ، تغمده الله برحمته ، فهو قدوتي في ذلك ... كان

---

(1) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(2) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(3) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

مولدي بمدينة زبيد المحروسة في آخر يوم الخميس الرابع من المحرم ، أول سنة ست وستين وثماني مائة ، بمنزلة والدي منها ، وغاب والدي عن مدينة زبيد في آخر السنة التي ولدت فيها ، ولم تره عيني قط ، ونشأت في حجر جدي لأمي العارف بالله العلامة الصالح شرف الدين أبي المعروف إسماعيل بن محمد بن مبارز الشافعي رحمه الله ، وانتفعت بدعائه لي في أوقات الاستجابة وغيرها ، وهو الذي حدب علي ورباني وأطعمني وسقاني وكساني وواساني وعلمني وأوصاني ، جزاه الله عني بالإحسان وقابله بالرحمة والرضوان ... وكان رحمه الله يؤثرني حتى على أولاده الذين من صلبه – آثره الله بحبه وقربه – ثم أني تعلمت القرآن الكريم عند سيدي الفقيه نور الدين علي بن أبي بكر بن خطاب – كان الله له – حتى بلغت سورة يس ، فانتفعت به كثيراً ، وظهرت نجابتي عنده .

ثم انتقلت إلى سيدي وخالي الفقيه العلامة جمال الدين أبي النجا محمد الطيب بن إسماعيل بن مبارز جزاه الله عني خيراً ، فلما رأى نجابتي أمرني بنقل القرآن العظيم من أول سورة البقرة إلى آخره ، فقرأته عنده شرفاً واحداً حتى ختمته وحفظته لذلك الشرف عن ظهر قلب ، وأنا إذ ذاك ابن عشر سنين ولله الحمد ... ثم توفي والدي في إلى رحمته ببندر الديو من أرض الهند في أواخر ست وسبعين ، ولم يحصل لي من ميراثه سوى ثمانية دراهم ذهباً ثم إني أخذت بعدُ القرآن على خالي المذكور في علم القراءات السبع فنقلت (الشاطبية) ، ثم قرأت القراءات عنده مفردة ومجموعة ، وتم لي ذلك بحمد الله وعونه .

ثم أخذت في علم العربية على خالي المذكور وعلى غيره ، وأخذت عليه خصوصاً في علم الحساب والجبر والمقابلة والمساحة والفرائض والفقه حتى انتفعت في كل علم منها ... ثم حججت إلى بيت الله الحـــرام في آخرها – أي سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة – وأنفقت الثمانية الدنانير التي ورثتها من والدي رحمه الله في تلك الحجة ... ثم منّ الله علي بصحبة شيخنا الإمام العلامة المحدث بقية أهل اليمن زين الدين أبي العباس أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي – كان الله له – فأخذت عليه في علم حديث رسول الله ﷺ ، وكان هو المرشد لي إلى ذلك – جزاه الله عني أحسن الجزاء – فقرأت عنده (صحيحي البخاري) و (مسلم) و (سنن أبي داود) والترمذي والنسائي و (موطأ) الإمام مالك و (الشفاء) للقاضي عياض و(عمل اليوم والليلة) لابن

السني و (الشمائل) للترمذي و (الرسالة) للقشيري ، وجميع مصنفاته ، وم لا يحصى من الأجزاء والكتب اللطيفة ، وبه تخرجت وانتفعت ، وألفت في حياته كتابي المسمى بـ (غاية المطلوب وأعظم المنة ، فيما يغفر الله من الذنوب ويوجب الجنة) وهو الذي تعلمت منه صنعة التأليف والتصنيف والترصيف والتصفيف ... وراتحلت في حياته بإشارته إلى بيت الفقيه ابن عجيل لزيارة الفقهاء بني جعمان .

ثم حججت حجتي الثالثة في سنة ست وتسعين وثمانمائة ... فمنّ الله علي بلقاء الشيخ الإمام حافظ العصر ، مسند الدنيا ، فريد الوقت ، شمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي المصري الشافعي فيها ، فصحبته وانتفعت به وأخذت عليه في علم الحديث النبوي ... وكان يجلني ويشير إلي ، ويعظمني ويقدمني على سائر الطلبة، ويؤثرني ، وأحسن إلي كثيراً جزاه الله عني خير الجزاء ثم لما رجعت من الحج إلى وطني ألفت كتابي (كشف الكربة في شرح دعاء الإمام أبي حربة) ثم ألفت بعده كتابي في التاريخ هذا المسمى بـ(بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد) ، ولما وقف عليه مولانا السلطان صلاح الدين الملك الظافر عامر بن عبدالوهاب ... طلبني إلى مجلسه الشريف العالي ، واستجاده واستحسنه ودعا لي ، ونبهني على إلحاق أشياء فيه كنت أغفلتها ، ثم اختصرت له منه كتابي المسمى بـ (العقد الباهر في تاريخ دولة بني طاهر) ... "[1] .

نختم القول هنا بالإشارة إلى أن الفائدة التي تضمنتها هذه السير كبيرة ، وإن كانت تختلف أهميتها ومقدار الفائدة فيها من واحدة إلى أخرى ، إلا أنها كلها مثلت نوعاً جديداً في بابه ، لم يكن أحد من اليمنيين قد اقتحم عقبته قبل هؤلاء المؤرخين ، هذا إضافة إلى أنها تمثل عينة عن حياة العديد من علماء اليمن ، وكيف حصلوا العلوم وترقوا في سلم المكانة العلمية حتى أصبحوا أعلاماً في تاريخ اليمن الإسلامي عموماً ، بل إن شهرتهم قد فاقت شهرة كثير من الملوك والسلاطين أنفسهم .

❖ تراجم رجال الأسر اليمنية الشهيرة :

ظهر في اليمن في القرنين التاسع والعاشر الهجريين نوع جديد من الكتابة التاريخية يتمثل في التأريخ لرجال مجموعة من الأسر والعشائر الشهيرة بالعلم والفضل في الوسط العلمي اليمني ، والمتصدرون للكتابة في هذا الشأن هم بعض أفراد تلك

---

(1) ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢١٩ - ٢٣٢ .

الأسر والعشائر نفسها ، إذ لم نجد بين من كتب عن الأسرة العلمية من هو من غير المنتسبين والمُعْــتَزين إليها ، وهذا النوع من الكتابة قد التقى – بصورة أو بأخرى – مع الكتابة في علم الأنساب ، إذ أن الاستحالة قائمة أن تُكتب تراجم الأسر بعيداً عن أنسابها .

والملحوظ أن الأسر التي كتبت تراجم المشهورين من رجالها هي أسر قد شاع العلم والرئاسة بين أبنائها ، فلم نجد تاريخاً لأسرة هامشية غير مسهمة في صياغة تاريخ اليمن العلمي والسياسي .

والرائد في الكتابة لتاريخ الأسر العلمية اليمنية في مدة الدراسة هو القاضي تقي الدين عمر بن محمد بن صالح البريهي (٨١١هــ / ١٤٠٨م) ، فقد ورد عنه أنه كان قد شرع في جمع تاريخ يشمل سِيَرَ وتراجم علماء عشيرته من (آل البريهي) الذين استوطنوا ذي السفال ولغيرهم معهم ، إلا أنه لم يتمه[١] .

وهــذا المؤرخ الإمـــام الحسين الأهــدل ينقل في كتابه (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن)[٢] عن كتاب في مناقب العلماء من (بني سَــوْد) المنتسبين إلى الفقــيه سَــوْد بن الكميت (ت٤٣٠هــ / ١٠٣٨م) والذين كان لكثير منهم ميل إلى الزيدية مذهباً ومعتقداً ، وطالهم الأذى كثيراً بسبب وشاية بعض المتصوفة في تهامة بهم إلى السلاطين الرسوليين بأنهم يدعون إلى طاعة أئمة الزيدية بصنعاء لأنكارهم عليهم إقامة السماع ، وقد ساق الأهدل[٣] نفسه طرفاً من أخبارهم ، ونسب الكتاب المشار إليه في مناقب بني سود إلى الحضرمي ، ولم يذكر بقية اسمه .

كما صنف العلامة محمد بن عبدالله الناشري (ت٨٢١هــ / ١٤١٨م) كتاباً في أنساب وتراجم علماء بني ناشر ، أصحاب قرية الناشرية المشار إليها في القرى العلمية الشهيرة بتهامة ، بل في اليمن كلها ، في الفصل الثالث من هذه الدراسة ، حيث ورد ذكرها هناك بوصفها واحداً من أكبر قرى العلم وأشهرها ، وقد سمى المصنف كتابه (

---

[1] البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٣٩ .

[2] ج ٢ ص ٩٢ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٧ .

[3] **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٩٢ – ٩٦ .

غرر الدرر في مختصر السير وأنساب البشر)[١] ، ولم يقتصر المؤلف فيه على علماء أسرته ، بل أورد طرفاً من أنساب العرب والهاشميين الأشراف في اليمن خصوصاً ، وعنه نقل الكثير الأهدل[٢] في تاريخه ، ولذلك فأن هذا الكتب يوضع في فئتين : فئة الكتب المصنفة في تراجم الأسر الشهيرة بالعلم والاشتغال به في اليمن في مدة الدراسة، وفي فئة الأنساب – القادمة – كذلك .

وفي تراجم وأنساب وطبقات علماء (بني ناشر) أيضاً صنف الإمام العلامة المقرئ الشهير عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري (ت٨٤٨هـ / ١٤٤٤م) ، الذي مدحه المؤرخون بالنبوغ في البلاغة وحسن المحاضرة والفطنة والذكاء وجودة الفهم ، وانفرد بالبراعة في حفظ القرآن الكريم وعلم القراءات السبع وهو لما يبلغ العشرين من عمره بعد[٣] ، صنف هذا الإمام كتاب (البستان الزاهر في طبقات بني ناشر) ، قال عنه الإمام السخاوي[٤] – بعد أن رجع إليه واستفاد منه في تاريخه – : " مفيد في بابه ، وقد طالعته وفيه استطرادات لغير بني ناشر ... " .

والرجل الثالث الذي وضع في تراجم وأنساب العلماء الناشريين هو كتاب يحمل العنوان نفسه الذي أطلقه الإمام عثمان الناشري على كتابه ، أي (البستان الزاهر في طبقات بني ناشر) ، وقد صنفه الإمام الأديب حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري (ت٩٢٦هـ / ١٥٢٠م) ، وقد علق المصدر عند إيراده لهذا الخبر بقوله : " نيل به على مؤلف قريبه ...."[٥] .

---

(1) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢١٥٦) ، انظر الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٤٩١ .

(2) تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٣٦ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١١٤ – ٣١٧ ، السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٦ ص ١٣٤ .

(4) الضوء اللامع ، ج ٦ ص ١٣٤ ، الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٤٩٤ ، د. أيمن فؤاد سيد ، مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي ، ص ١٧٨ .

(5) العيدروس ، النور السافر ، ص ١٢١ .

وممن جمع تراجم أهل بيته الإمام العلامة رضي الدين أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن دعسين القرشي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٩م) ، وقد سمى مصنفه (الدر النضيد في أنساب بني أسيد)[١] .

وقد ذكر المؤرخ محمد زبارة[٢] في ترجمة العلامة أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم الوزير (ت٩٨٥هـ / ١٥٧٧م) أنه قد انبرى لإتمام كتاب (الفضائل في تاريخ السادة الأعلام) الذي صنفه الأمير محمد العفيف الوزير في تاريخ علماء وأعلام أسرته من (آل الوزير) ، وهم من الشهرة بالعلم في اليمن بما لا يحتاج إلى توضيح ، فلعل كتاب (الفضائل)[٣] هذا مما جُمِعَ في مدة الدراسة في القرن التاسع[٤] .

وورد في قائمة مؤلفات الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٢٢هـ / ١٤٣٦م) أن له مصنفاً في تاريخ أسرته (بني الوزير) ، وقد سمته بعض كتب البيبليوجرافيا اليمنية[٥] (تراجم آل الوزير) وسمته أيضاً (تاريخ بني الوزير)[١]،

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١١ ص ١٧ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٤ .

(2) **أئمة اليمن** ، ص ٤٨٣ ، ٤٨٤ .

(3) من كتاب (الفضائل) في تاريخ آل الوزير نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١١٩ تاريخ) ، ولدي منه نسخة إلكترونية على CD في مكتبتي الخاصة صادر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، وقيل أن منه نسخة مصورة على ميكروفيلم بدار الكتب المصرية ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٧ .

(4) لدي شك في أن هذا المصنف قد وضع في القرن التاسع الهجري ، خاصة أن هناك من آل الوزير من حمل لقب (محمد العفيف) في زمن الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة في مطلع القرن السابع الهجري ، غير أن هذا المعاصر للإمام المنصور هو أول من أطلق عليه (الوزير) من علماء أسرته ، وبالتالي أستبعد أن يكون هو المشار إليه بتأليف كتاب (الفضائل) ، إذ لم يكن هناك من علماء أسرته في عهده من حمل لقب (الوزير) ، ومن حملها منهم فهم ممن جاءوا بعده من أحفاده لانتسابهم إليه ، وعلى هذا فقد أوردت المصنف وصاحبه من منطلق احتمالية أن يكون من المصنفات التي وضعت في مطلع القرن التاسع الهجري ، على افتراض أن محمد العفيف الوزير المنسوب إليه مسودة كتاب (الفضائل) الأولى هو غير محمد العفيف أول من نودي بالوزير من علماء أسرته وعشيرته .

(5) الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٦٩ .

ومما لا شـــك فيه أنه اعتمد – في ذكــر السابقــين من أعــلام أسرته – على كان قد كتبه الأمــير محمد العفيف الوزيــر المشــار إليه آنفاً .

ومن مصادر كتاب (طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص) المشار إليه في طبقات المذاهب والفرق والذي جمعه الإمام الحافظ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي (ت٨٩٣هـــ / ١٤٨٨م) ، من مصادره كتاب (تراجم وأعيان بني مرزوق) ويســمى أيضاً (تاريخ بني مرزوق) المنتسبين إلى الشيخ المتصوف مرزوق بن مبارك ، وإليه رجع الشرجي[٢] واستقى منه بعض تراجمهم .

❖ الأنساب :

الاهتمام بالأنساب عادة عربية أصيلة ، جذورها ضاربة في تاريخهم إلى أحقاب بعيدة قبل ظهور الإسلام ، وكان اهتمامهم بالأنساب وحفظها وروايتها كبيراً ؛ وذلك أن تشكيلتهم الاجتماعية – كقبائل – يقوم على وشائج النسب ودرجات القرابة ، فليست القبيلة إلا تجمعاً بشرياً تربط بين أفراده علاقات أنساب متقاربة ، ومن لم يكن من أبناء القبيلة – وهو حر– فهو مولى ، ولا يكتسب نسب القبيلة أو يتعزي إليها إلا ولاءً ، وكان النسب هو معيار تمايزهم ، وكلما تباعد الزمن وتباعدت الأنساب عبر الأجيال كان الاهتمام بالأنساب أكبر لتدوينها وحفظها حتى لا تُنسى ؛ لذا وجد أناس متخصصون بفحص الأنساب وروايتها وتدوينها .

مع أن الإسلام قد ألغى التعصب للأنساب والتفاخر بها ضمن المظاهر السلبية التي كانت شـــائعة في الجاهلية ، وجعل التقوى والصلاح والعمل الصالح والإيمان هي الأسس التي يجب على المرء أن يعتز بها بشــواهد كثيرة مثل قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝﴾[٣] مع ذلك إلا أن الاهتمام

---

(1) نسخته المخطوطة الأم التي بيد المؤلف نفسه محفوظة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢٢١٧)، ومنه نسخة أخرى بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٤١ تاريخ) ، وهو الآن تحت الطبع بتحقيق زيد بن علي الوزير عن المركز اليمني للتراث بلندن ، انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(2) طبقات الخواص ، ص ٣ ، ١٥٥ .

(3) سورة الحجرات .

بالأنساب وتوارثها وحفظها قد استمر بصورة أخرى وبدوافع مختلفة ، إذ اقتضت الحاجات الاجتماعية والشرعية والإدارية التنظيمية والحربية إلى جوانب كثيرة من الأنساب ، فكان منها ما يجب للتعارف ولصلة الأرحام ومعرفة الفـــرد ما يجب عليه تجاه أسرته وأقاربه وقومه ، امتثالاً لأمـــر النبي ﷺ في قوله : " **تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ...** "[1] ، ومنها ما يتعلق بحيثية تقديم الناس وتأخيرهم عند تقسيم عطاءات بيت المال وهكذا .

ومنذ بداية العصر الأموي ، ونتيجة لاهتمام الخلفاء الأمويين بالتاريخ والأنساب وتعويلهم على المسلمين العرب دون غيرهم بدأ الاهتمام بالأنساب ينحو منحى ما كان عليه في الجاهلية من التعصب القبلي والأسري ، وأذكت كتب المثالب والمناقب التي أفرزتها دعوات الشعوبية في العصـــر العباسي الصراع بين أفراد المجتمع الإسلامي على أساس من التعصب ، ومن مظاهـــر ذلك الصراع زيادة التأليف في الأنساب بوصفة جزءاً منه .

وقد تغير مفهوم الأنساب بعد التوسع الكبير للدولة الإسلامية ، فبعدما كان النسب معروفاً لدى العرب ومحصوراً في الانتساب إلى القبيلة ، ظهرت النسبة إلى الصفات العلمية أو المهنية أو الصفة السلوكية أو الجسمانية ، أو النسبة إلى البلد الذي ولد فيه الشخص أو استوطنه .

لم تكن اليمن بعيدة عن الاهتمام بالأنساب للدوافع ذاتها ، إضافة إلى عامل جديد اقتحم الوسط الاجتماعي اليمني ، وهو هجرة العديد من أفراد آل البيت النبوي عموماً – والعلويين خصوصاً – ضمن الظروف التي فصلتها كتب التاريخ ، وأبرزها الفرار من بطش العباسيين ، وقد تمكنوا – هم ومن شايعهم فكراً ومنهجاً – من إقامة دول متعددة ومتتابعة ، لم يكن من مسوغ لهم للزعامة والرئاسة فيها إلا نسبهم وما تضمنته فرقهم ومذاهبهم من مبادئ تنادي إلى حصر استحقاق الزعامة والرئاسة فيهم ، وقد حرصوا على تدوين أنسابهم ووضعوا مشجرات لها تتصل إلى الإمام على بن أبي طالب رضي

---

[1] **مسند الإمام أحمد** ، ج ٢ ص ٣٧٤ ، رقم (٨٨٥٥) ، **الترمذي** ، **سنن الترمـــذي** ، ج ٤ ص ٣٥١ ، رقم (١٩٧٩) ، باب (ما جاء في تعلم النسب) ، الحاكم ، **المستدرك علـــى الـــصحيحين** ، ج ١ ص ١٦٦ ، رقم (٣٠٢) ، الطبراني ، **المعجم الأوسط** ، تحقيق طارق عوض الله وآخر ، دار الحـــرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـــ ، ج ٨ ص ١٧٢ ، رقم (٨٣٠٨) .

الله عنه ، وتوارثتها أجيالهم ، وتمكنوا من ترسيخ مجموعة من الحدود والضوابط والامتيازات في علاقتهم الاجتماعية بمن سواهم من اليمنيين ، وجعلوا أنفسهم يحتلون المرتبة الأولى على بقية الشرائح الاجتماعية اليمنية .

وقد ولد ذلك الأمر نفوراً منهم لدى فئة من اليمنيين ، فقامت مجموعة من علماء اليمن أمثال الإمام الأديب واللغوي الشهير نشوان بن سعيد بن أبي حِمْيَر الحِمْيَري (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) والمؤرخ الشهير أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني (ت٣٣٤هـ / ٩٤٥م) بإبراز أنساب القبائل اليمنية ، ودورها التاريخي والحضاري الضارب جذوره في أعماق التاريخ ، وإثبات الدور الكبير لأبناء اليمن في نشر الاسلام والدفاع عنه وتوليهم المراكز القيادية الإولى في المراكز العلمية والقضاء والوظائف الإدارية والعسكرية ، وجاء دورهم ذلك كله في مقام ردة الفعل الناتجة عن تصدر العلويين لمجمل واجهات الحياة في مناطقهم .

توالت عبر القرون الإسلامية كتابة الأنساب في اليمن ، واختلفت مشاربها ، فمنها ما كان في أنساب القبائل اليمنية ، وبعضها في أنساب الأسر العلوية ، وبعضها في الأسر العلمية – كما سبقت الإشارة إليه - ، وكذلك في الأسر الحاكمة ليحتل علم الأنساب مرتبة عالية في مجال التدوين التاريخي عند اليمنيين .

ومن تراث اليمنيين المكتوب في علم الأنساب في مرحلة ما قبل القرن التاسع الهجري الكتب الثلاثة التي صنفها السلطان الرسولي الأشرف الأول عمر بن المظفر يوسف (ت٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) ، وهي : كتاب (تحفة الآداب في التواريخ والأنساب)[1] وكتاب (جواهر التيجان في الأنساب)[2] وكتاب (طرفة الأصحاب في معرفة االأنساب) ، وقد في خصص الأخير جزءاً للحديث عن أنساب الرسوليين باليمن

---

(1) حاجي خليفة ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، ج ١ ص ٣٦٢ ، البغدادي ، **إيضاح المكنون في الذيل كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ج ٣ ص ٢٣٦.

(2) الملك الأشرف الرسولي ، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب** ، تحقيق ك. وسترستين ، منشورات المدينة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٥م ، ص ٥٥ ، الحبشي ، **حكام اليمن المؤلفون المجتهدون** ، ص ١١٧.

ومن اشتهر بخدمتهم من أكابر الأشراف والأعراب في عصره مما اطلع عليه وتلقاه من أصحابه[١] .

ويبدو أن اهتمام بعض السلاطين الرسوليين بالتصنيف في علم الأنساب قد جاء نتيجة ما شعروا به من عدم تصديق طائفة كبيرة من اليمنيين بأنهم يمنيون مثلهم ، خاصة في ظل التعبئة الدائمة والمضادة والمشككة في نسبهم التي شنها عليهم الأئمة الزيديون ، وأن شيوع انتسابهم إلى قبيلة الغساسنة اليمنية التي تأصّل الملك فيها ليس إلا على سبيل ترسيخ الوهم لدى المجتمع بأنهم ليسوا دخلاء عليهم ، ليصبغوا على أنفسهم ظلالاً من الشرعية وذلك محاكاة لما يقوم به العلويون في الإطار نفسه بما سبق بيانه .

ومن اليمنيين المصنفين في علم الأنساب نذكر الفقيه علي بن أحمد بن علي الجنيد (ت٧٥٣هـ / ١٣٥٢م) ، فقد أورد البغدادي[٢] اسم كتابه (نزهة العقول والألباب في معرفة الأوائل والأنساب) .

وللسلطان الرسولي الأفضل العباس بن المجاهد علي (ت٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) مصنفات مفيدة في علم الأنساب منها : كتاب (بغية ذوي الهمم في معرفة أنساب العرب والعجم)[٣] ، وله رسالة أخرى في الأنساب[٤] ، وهناك كتاب (الإيضاح في الأنساب) للفقيه أبي بكر بن يحيى بن أبي بكر بن عجيل (ت٧٩٢هـ / ١٣٨٩م)[٥].

ويمكننا أن نعد كل الجهود التي ذكرناها لعلماء اليمن في تواريخهم التي جمعوها لعلماء الأسر العلمية الشهيرة في إطار الاهتمام بالأنساب ؛ لأنه من المستبعد أن يتم

---

(1) الملك الأشرف الرسولي ، **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب** ، ص ٤٣ .

(2) **إيضاح المكنون** ، ج ٥ ص ٧١٦ .

(3) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ٢ ص ١٣٥ .

(4) منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية ، تحت رقم (٣٥١) ، د. أيمن فؤاد سيد ، **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، ص ٢٣ .

(5) حاجي خليفة ، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، ج ١ ص ٢١٤ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٧ .

الحديث عن علماء أي أسرة بدون الرجوع إلى أصل أنسابها ، ولذلك اقرنت الإشارات إلى تصنيف تواريخ الأسر مع علم الأنساب .

في القرنين التاسع والعاشر الهجريين كان اهتمام اليمنيين بعلم الأنساب مثل اهتمامهم به في القرون السابقة ، فصنفوا فيها عدداً من الكتب والمشجرات ، ومن أشرهم العلامة صلاح بن جلال الدين بن محمد بن الحسن بن المهدي بن علي بن الحسين الجلال (ت٨٠٥هـ / ١٤٠٢م) ، وقد وصفته بعض مصادر الزيدية بأنه (النَّسَّابَة)[١] ، وقد ترك في الأنساب مُشَجَّراً في أنساب من باليمن من العِترة النبوية وسماه (روضة الألباب وتحفة الأحباب)[٢] .

وأما الإمام المؤرخ أبو الحسن علي بن الحسن الخزرجي (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) – فهو مع كونه شيخاً للمؤرخين اليمنيين – معدود في النسابين الكبار ، حتى أن البريهي[٣] وصفه بـ (النسابة) عندما تعرض لترجمته ، ومن جهوده في الأنساب أنه انبرى للمنافحة عن السلاطين الرسوليين ، وجرد قلمه لتأكيد يمنيتهم وتعزيزها لدى العامة والخاصة ، وهو عندما نظم القصيدة الشهيرة بـ (الروحة اليعربية والنفحة الخزرجية) وتعصب فيها للقحطانية إنما كان يقصد الرسوليين لا نفسه[٤] ، فهو خزرجي ثابت النسب ولا جدال حول قحطانيته ، ولذلك أردفها بكتاب

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٥٢٤ .

(2) منه نسخة خطية بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٤ تاريخ) ، وأخرى بالأمبروزيانا تحت رقم **A68** ، ومنه نسخة مصورة بمكتبة محمد عبدالعظيم الهادي ، وأخرى بمكتبة محمد بن حسن العجري ، والنسخة الأم بمكتبة العلامة مجدالدين المؤيدي ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٨٨ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٥٠٠ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٩١ .

(4) الدليل على ذلك أن الإمام جمال الدين محمد بن عبدالرحمن العواجي (ت٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) لما ندب نفسه للرد على المنتصرين للقحطانية كالخزرجي وغيره لم يستطع الاستمرار في ذلك خوفاً من السلطان الرسولي ، لأن ذمه للقحطانية يقتضي ذمه للسلطان نفسه بعد أن ألحق نفسه بقبيلة غسان اليمانية القحطانية ، بل صرح المصدر بقوله : " هذا كله والإمام جمال الدين العواجي في رباط هقرة خائف من السلطان ... " ولم ينته خوفه إلا لعد أن شفع له حاكم البلد لدى السلطان ، ولما قابله السلطان قال له : " يا قاضي جمال الدين ، قطعت الشجرة من أصلها ... " فاعتذر إليه الإمام العواجي ، فلو كان الخزرجي يتحدث عن قحطانيته هو لما تسبب ذلك في غضب السلطان الرسولي ، انظر تفاصيل ذلك عند البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .

خاص في الأنساب عَنْوَنه بـ (المحصول في انتساب بني رسول) ، وقد نقل الإمام ابن الديبع في كتابه (نشر المحاسن اليمانية)[1] نصوصاً طويلة عن كتاب في الأنساب ونسبه إلى الإمام الخزرجي، ولم يرد لهذا الكتاب إشارة عند غيره ، وهو كتاب (اللباب في معرفة الأنساب) .

وللإمام الخزرجي أيضاً في الأنساب (شجرة أنساب أسرته)[٢] ، ولم يصلنا من وصف محتواها شيئ في المصادر ، وهي كما يتضح من هذه الإشارة أنها شملت أعلام أسرته على غرار ما صنفه الناشريون وغيرهم ، ولكن المصادر اليمنية في تلك الفترة لم تُفِد بوجود شخص من الخزرجيين الزبيديين ممن يمكن أن يكون معدوداً في العلماء غيره هو .

ومنهم أيضاً الشاعر الأديب علي بن محمد بن إسماعيل الناشري (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) الذي وصفه الخزرجي[٣] بأنه " كان حسن المحاضرة ، كثير المحفوظات ، عارفاً بالأخبار والتواريخ والأنساب ، وآداب الملوك ، وكان مشاركاً في كثير من العلوم ... " .

وممن اهتم بالأنساب ولم يصنف فيها مع شهرته الكبيرة بمعرفته الكبيرة بها العلامة عبدالله بن الإمام الهادي بن إبـــراهيم بن علي الوزير (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م)، فقد وصفه المصدر بكونه : " كان له معرفة بالأنساب وأحوال المتقدمين وأيام المؤرخين ... "[٤] .

وكذلك كان ابنه العلامة محمد بن عبدالله بن الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير (ت٨٩٧هـ / ١٤٩٢م) " إماماً في الأنســـاب ، وخاصة أنساب الأشراف باليمن ، وله معـــرفة بأحوالهم وأيامهم وأيام غيرهم ، مطلعاً على ذلك الاطلاع ، حفاظة لما سمعه ، متقناً لما يرويه مرجوعاً إليه في ذلك "[٥] ، وما أرجحه في هذا الشان أن براعته في

---

(1) ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(2) ابن الديبع ، **نشر المحاسن اليمانية** ، ص ٢٩٢ .

(3) الخزرجي ، **العقد الفاخر الحسن** ، ق ٥٠ – ب .

(4) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٤٩ .

(5) المصدر السابق ، ج ٢ ص ٩٩٤ .

هذا العلم كانت تختص بأنساب الأشراف الزيديين فحسب ؛ لأن العلاقة العلمية والاجتماعية بينهم وبين أقربائهم من الأشراف في تهامة وحضرموت كانت ضعيفة جداً بسبب الاختلاف في المذهب الفقهي والفرقة الاعتقادية .

وممن اهتم بالأنساب شيخ الإسلام الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر بن محمد بن صالح الهمداني الخياط (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ، وخاصة أنسابه وبني الخياط من آبائه ، لذلك فقد تضمنت مشيخته (الكراسة) - التي أشرنا إليها في الفصل السابق تحت عنوان الحديث النبوي - التي تضمنت مشائخه وأسانيده ، تضمنت كذلك أنسابه ، فكانت عنده محتفظاً به[١] ، وهي مما فقد من تراث اليمنيين .

ومنهم أيضاً الفقيه أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر بن أحمد بن دعسين القرشي (ت٨٤٢هـ / ١٤٣٩م) الذي وضع كتابه (الدر النضيد في أنساب بني أسيد) ، كما سبق بيانه ، وكتابه هذا ليس إلا ذيلاً لكتابين صنفهما جده الأول الفقيه أبو بكر بن أحمد بن دعسين القرشي (ت٧٥٢هـ / ١٣٥١م) الأول عنونه بـ (العقد الفريد في أنساب بني أسيد) والآخر (الكامل في الأنساب) ، وذكر فيهما سيرة جده زكريا بن خالد الأموي القادم إلى اليمن ، وذكر عقبه وعقب الذين قدموا معه إلى اليمن إلى ومنه هو[٢] .

وقد مر معنا أن الإمام المقرئ الشهير عفيف الدين عثمان بن عمر الناشري (ت٨٤٨هـ / ١٤٤٤م) قد جمع مصنفاً في تراجم وأنساب وطبقات علماء أسرته (بني ناشر) وسماه (البستان الزاهر في طبقات بني ناشر) ، فهو معدود أيضاً في كتب الأنساب ، إضافة إلى أنه كتب مشجراً إضافياً في أنسابهم ، جعله كالشجرة جمعهم فيها، وذكر منهم من سكن في زبيد وغيرها ، ذكره البريهي[٣] عند حديثه عن أشهر علماء هذه الأسرة .

وممن صنف في الأنساب الفقيه العلامة شمس الدين علي بن عمران الحُمَيْدي (ت٨٥٦هـ / ١٤٢٩م) ، وكان لتأليفه في الأنساب مناسبة أوردتها بعض

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣٠ .

(2) العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٦٧ .

(3) **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣١٧ .

المصادر ، تحكي أنه جرت بينه وبين السلطان الرسولي المظفر الثاني يوسف بن عمر بن الأشرف الثاني (ت٨٥٤هـ / ١٤٥٠م) حساسيات بسبب ميله للأمراء الطاهريين وتوطئته الناس لهم وسعيه في خدمتهم ، فاستوجبت ذلك غلظة السلطان معه وحبسه له، فنفر منه والتجأ إلى الطاهريين ، فلما أحسنوا وفادته وبالغوا في إكرامه صنف كتاباً في أنسابهم ، مادحاً إياهم ومعرضاً بالرسوليين في نسبهم ، وسماه (المسك الفتيق في فضل حر الأصل على الرقيق)[١] ، وفي ثنايا العنوان ما يفيد بتشكيكه في أصلهم ونسبهم ، وأنهم ليسوا بغساسنة يمنيين كما زعموا ، وأنما هم من عبيد وموالي الأيوبيين .

ومنهم كذلك العلامة جمال الدين محمد بن علي بن أبي بكر المُدَهْجِن القرشي (ت بعد ٨٨٩هـ / ١٤٨٤م) ، اهتم بالأنساب وصنف فيها ، وكانت عنايته بأنساب العرب واليمنيين عامة ، واهتمامه بأنساب الزبيديين خاصة ، وله في ذلك كتابين : الأول منهما هو الموسوم بـ (جواهر التيجان في أنساب عدنان وقحطان)[٢] ، وأما الثاني فعنوانه (رسالة في أنساب القبائل التي سكنت مدينة زبيد)[٣] .

وممن اشتهر بعلم الأنساب أيضاً الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن علوي بن شَنْبَل (ت٩٢٠هـ / ١٥١٤م) الذي جاء وصفه بأنه كان عارفاً بالسيرة النبوية وأيام العرب وأنسابها[٤] ، وقد سبق حديثنا عنه في فئة المصنفين للتواريخ المحلية .

وهناك طائفة من المؤرخين اليمنيين كانت على معرفة جيدة بعلم الأنساب ، ولكن إسهاماتها فيه لم تكن مفردة بمصنفات مخصصة بها ، وإنما أقحمت في ثنايا بعض المؤلفات الأخرى المعنية بالتاريخ أو بغيره ، ومن هذه الطائفة نذكر المؤرخ الإمام الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م) ، فقد جعل مستهل الجزء الثاني من كتابه الشهير (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) مخصوصاً للأنساب ، فتحدث عن أنساب الأشراف في مناطق اليمن التهامية وغيرها ،

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣٨ .

(2) ذكره الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٨٠ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٤٩٨ .

(3) منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم (٩٤٥ مجاميع) ، انظر الحبشي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة.

(4) الشلي ، **السنا الباهر** ، ص ١٢٥ .

وكان معتمده في ذلك ما سمعه من آباءه وما نقله عن شيخه النسابة العلامة محمد بن عبدالله الناشري (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) في كتابه (غرر الدرر في مختصر السير وأنساب البشر) .

وعلى شاكلة الإمام الأهدل كان الإمام الحافظ المؤرخ وجيه الدين عبدالرحمن ابن علي بن محمد بن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) ، فقد وضع كتاباً خصص معظمه لأنساب اليمنيين ، وأقحم فيه بعض المضامين الفلكية والجغرافية كما سبق بيانه ، وكتابه المقصود هو (نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية) ، وقد قسمه ابن الديبع إلى سبعة أبواب ، خصص البابين الأولين للحديث عن جغرافية اليمن وخصائصها وعن موقعها من الأقاليم الجغرافية والمناخية - بما هو مفصل في عناوين الجغرافيا والفلك من هذه الدراسة - وجعل الباب الثالث في ذكر قحطان وكبار أبناءه المنتسبة إليهم قبائل القحطانية ، والرابع في استعراض البطون القحطانية ومن انتقل منهم من اليمن إلى الشام وغيره من البلدان ، والباب الخامس ضمنه ذكر من تولى أمر الحرمين الشريفين ومن سكن بهما من بطون القبائل القحطانية، في حين خصص الباب السادس للمفاخرة بذكاء أبناء قحطان وكرم طباعهم وملوكهم ووفائهم وشجاعتهم ، ولكنه خصص الباب السابع لواحدة من البطون القحطانية المستوطنة بنواحي وصاب ، فترجم لأعلامها من العلماء والصالحين ، وذكر فيه من التراجم ما لم يرد في أي مصدر آخر .

(٣) الجغرافيا والبلدان :

تعـود بداية ظهور علم الجغرافيا في العالم الإسلامي أو علم المسالك والممالك – بحسب تعبير العلماء المسلمين – إلى القرن الرابع الهجري ، وكانت الصورة التي ظهر عليها هذا العلم بسيطة ، إذ كانت محصورة في وصف الأقاليم وطرقها ومجاهلها، وبدايات حدودها ، واستعراض بعض ملامح طبيعتها وأنواع الزرعات والمحاصيل فيها، ووصف مناخها من حيث الحرارة والبرودة ، وتناول أوقات نزول الأمطار بها ، وما إلى ذلك مما يدرجه الجغرافـيون المعاصرون في إطار الجغـرافيا الطبيعية العامة .

وقد كان لليمن إسهامهم المميز في إبراز هذا العلم بالتأليف الشهير للمؤرخ والنسابة الجغرافي اليمني أبي محمد الحسن بن أحمد بن يعقـوب الهمداني (ت٣٣٤هـ / ٩٤٥م) الموسوم بـ (صفة شبه جزيرة العرب) والذي يعد أم المصادر التي كتبها الجغرافيون المسلمون عن الجزيرة العربية ، بل هو مصدرهم وموردهم الأقدم والوحيد، وشهد بقيمته العلمية عدد من الجغرافيين الأوربيين[١] ، قام الهمداني فيه بوضع مقدمة رياضية جغرافية تعرض فيها لمختلف طرائق تحديد العروض والأطوال، كما قدم وصفاً عاماً لأقاليم الأرض السبعة ، ثم شرع في وصف الجزيرة العربية كلها ، وتناول أجناس سكانها وقبائلهم ، وتطرق إلى ذكر الحيوانات والمعادن والطرق والمسالك المتناثرة في أنحائها ، وقسمها خمسة أقسام رئيسية ، هي : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن[٢] .

والعجيب أن الباحث في تاريخ اليمن ومصادر فكرها العربي الإسلامي يجد مدة من الانقطاع عند علماء اليمن في التأليف في هذا العلم أو الاهتمام به ، وتمتد هذه المدة لتتجاوز الثلاثة قرون تقريباً ، ويعزو بعض الباحثين اليمنيين أن العناية المبكرة التي أولاها الجغرافيون والرحالة المسلمون – كالهمداني وسواه من غير أبناء اليمن – إياها

---

[١] الهَمْداني ، **صفة جزيرة العرب** ، مقدمة المحقق ، د. عبدالرحمن حميدة ، **أعلام الجغرافيين العرب** ، دار الفكر ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٨٠م ، ص ٢٣٩ .

[٢] د. عبدالرحمن حميدة ، **المرجع السابق** ، ص ٤٩ ، عبدالله قائد العبادي، **الحياة العلمية في زبيـد** ، ص ٣٧٤ .

قد صرف اليمنيين عن الاهتمام به والتنقيب فيه ، وكأن لسان حالهم في ذلك قائلٌ : " ما ترك الأول للآخر شيئاً "[1] .

وقد بدأ العلماء اليمنيون في العودة إلى الاهتمام بعلم البلدان والجغرافيا في العصر الرسولي ، وخاصة في القرن الثامن منه تدريجياً ، إذا كانت حاجتهم قائمة إليه في الكتابة التاريخية ، إذ أن الذكر العارض للمواضع والبلدان في سياق سرد الأحداث يورد الوهم في إدراك مواضعها ، كما أن إشكالية وجود أكثر من موضع مكاني واحد يحمل الاسم نفسه كانت ماثلة لدى المصنفين في مجال التاريخ ، فتلح عليه الحاجة إلى التعريف المواضع والبلدان والمدن غير المشهورة الواردة في كتابه ، بل وأحياناً الإشارة إلى التفريق بينها وبين سمياتها .

ومن المؤرخين اليمنيين الذين مزجوا بين الوصف الجغرافي والتاريخ السياسي للأحداث والرجال يأتي المؤرخ الفقيه أبو عبدالله محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدي (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م) في (السلوك في طبقات العلماء والملوك) ، ولعله هو الذي سن هذه الطريقة في اليمن ، وتبعه الإمام أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر الخزرجي (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) الذي كان يقف أحياناً عند ذكر البلدان التي يتبادر إلى ذهنه أن احتمال التصحيف ووقوع اللبس وارد في قراءتها فتراه يقوم بضبط اسم البلد ومن ثم التعريف به ، من ذلك ما ذكره في إحدى تراجم الأعلام اليمانية التي ترجم لها : يقول : " أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، كان فقيها صالحاً يسكن قرية الدوم من جبل ملحان ، بكسر الميم وسكون اللام وفتح الحاء المهملة وبعد الحاء ألف ونون ، وهو جبل شرقي مدينة المهجم ... "[2] ، ومنها قوله : " ويروى أن رجلاً كان على جبل الموسم : وهو جبل صغير منفرد في خبت العسقلية من وادي سهام ... "[3] .

وتبعه كذلك المؤرخ الإمام الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (ت ٨٥٥هـ /١٤٥١م) في كتابه (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) الذي كان مليئاً بالإشارات المماثلة ، منها قوله : " ومنهم قيس بن حجر المدري ، نسبة إلى قرية مَدَرات – بفتح

---

(1) د. حسين عبدالله العمري ، **في صفة بلاد اليمن عبر العصور** ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٠م ، ص ٣٥ – وما بعدها ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٧٤ .

(2) الخزرجي ، **العقد الفاخر الحسن** ، ق ١٦٠ – ب .

(3) الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ١ ص ٥٢ .

الميم والدال والراء ، ثم ألف مثناة فوق – وهي على نصف مرحلة من الجند من قبليها ... "[١] ، وكذلك قوله في موضع آخر : " واعلم أن اليمن سمي يمناً لكونه على يمين الكعبة ، وهو ما يلي الحجاز – وسمي حجازاً لأنه حجز بين الشام واليمن – وآخر الحجاز من جهة اليمن حَلِي والخليف والخَــلَف وما والاه ، وأول اليمن من تهامة موضع بقرب حَلِي يقال له عَثْر ، بفتح العــين المهملة وسكون المثلثة ، آخــره راء مهملة ... "[٢] .

ورابــع هــؤلاء المــؤرخين هو الفقيه المحــدث أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشَــرْجي (ت٨٩٣هــ / ١٤٨٨م) الذي ضمن كتابه (طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص) عدداً كبيراً من التعاريف البلدانية وتعريفات العشائر والقبائل والجماعات، كقوله :" وقرية الشويرى : المذكورة هي بضم الشين وفتح الواو ثم ياء مثناة من تحت ساكنه وراء مفتوحة وآخره ألف مقصورة ، وهي معروفة بجهة وادي سهام ، وقد خربت منذ زمان ... "[٣] ، وقوله أيضاً : " الخَــوِهَة : بفتح الخاء المعجمة وكسر الواو وفتح الهاء الأولى وآخرها هاء تأنيث ، قريبة من ساحل البحر من جهة مدينة حَيْس ... "[٤] .

وخامس المشتغلين بشيء من علوم الجغرافيا من علماء القرن العاشر الهجري الإمام الحافظ وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الشهير بابن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هــ / ١٥٣٧م) ، فقد أفرد لبعض فروع الجغرافيا أجزاء كبيرة من كتابه (نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية) ، فكما سبق أنه تناول القبائل اليمنية الكبرى وبعض فروعها فيما يصنف ضمن علم الأنساب فقد تناول كذلك بعض الجوانب الجغرافية ، سواء في تعداد بعض خصائص اليمن الجغرافية أو شيئاً من الظواهر المناخية فيها وفي غيرها ، منها قوله في تحديد بعض الأقاليم المعتبرة عند الجغرافيين وأصحاب الفلك وموقع اليمن منها : " واعلم أيها الناظر ... أن

---

[1] الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ١ ص ٦٩ .

[2] المصدر السابق ، ج ١ ص ٤١ .

[3] الشرجي ، طبقات الخواص ، ص ٤٧ .

[4] المصدر السابق ، ص ٤٨ .

سرنديب من بلاد الهند ... هي قبة الفلك وموضع الاعتدال ، وأول الأقاليم ... شماليها إقليم اليمن بإجماع أهل المعرفة بالفلك ، ووسط هذا الإقليم مأرب ، وهي مدينة ملوك حِمْيَر بن سبأ الأكبر ... ويقابل هذه الأقاليم من جهة الشرق بلاد الصين وبلاد الهند وطرف بلاد السند ، ويقابله من جهة المغرب بلاد النوبة والحبشة والبجاء ، وليس وراء عدن وأبْيَن في اليمن ساكن ، فصارت هذه ثلاث فضائل : الأولى أنه أول الأقاليم، والثانية أنه أعدلها في الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، الثالثة أنه أقربها لخط الإستواء وفلك الاستقامة ... "[١] .

وأورد ابن الديبع ما يراه في تقسيم سطح اليمن وتناول تضاريسها فقال: " إن أرض اليمن مقسومة ثلاثة أجزاء : **جزء بَرَارٍ سهلة** ، **وجزء** جبال وعرة ، **وجزء** بحر، فعدَّ من البراري السهلة مواضع شرقية ومواضع غربية ، فمن الشرقية مأرب ونجران وحضرموت وجوف هَمْدَان والشِّحْر وبَيْحَان ، وعد من الغربية زبيد وغَلافقة وعَسير وسُرْدُد ومَوْر وأرض حَكَم – وهي المنيفة – إلى حَلِي ... وعد من جزء الجبال جبال اليمن المشهورة بالشموخ والسعة والخصب والمنعة والجناب والرفعة ، وهي صَبِر ومخلاف جعفر وزَحْر وبَعْدَان ووُصَاب وعُتُم وبُرَع وحُفَاش ومِلْحَان وحَضُر وبَيْش ومَسْوَر والشَّرَف وجبل هَنُوم ... فيها من الخيرات والفضائل مالا يخفى إلا على جاهل أو متجاهل ... فكم في هذه الجبال من البساتين والعيون الجاريات والفواكه ... والأشجار والثمرات والمعاقل المنيعات والحصون القاهرات مما لا يوجد مثله ولا يوصف شكله ... "[٢] .

كما أن الإمام ابن الديبع تحدث عن الجغرافية المناخية فتناول أمطار اليمن ومواسم سقوطها وهطولها ، وتفاخر بكونها " في تموز وآب ، وذلك الوقت هو الذي يشتد فيه ظمأ أهل نجد والحجاز وغيرها من المخاليف والبلدان ، وتشتد فيه الحرارة ، وينقطع فيه الغيث عن الجهات المذكورة ، واليمن يُغاث فيه في كـل يوم من وقت الـزوال إلى غروب الشمس ... "[٣] ، ثم أنه قال في تعداد أنواع الرياح ومواصفاتها : " الرياح أربع ، وهي : الشمال والجنوب والصبا والدبور ... وأما صفاتها ، فصفة

---

(1) ابن الديبع ، نشر المحاسن اليمانية ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(2) المصدر السابق ، ص ٧٥ – ٨٠ .

(3) المصدر السابق ، ص ٨٣ ، ٨٤ .

الشمال أنها تفرق السحاب وتمحوه من الجو ، وبردها في الشتاء أشد من هبوبها ، وتصبح الأرض منها كأنها مطمورة بقدرة الله تعالى ، وصفة الجنوب أنها إذا هبت كانت قوتها في العلو والهواء أكثر ، لأنها موكلة بالسحاب تجمعه وتؤلفه وتسوقه ، وتلقح الأشجار وتحرك رؤوسها وأغصانها ، وتقلع العماد ... وصفة الصبا أنها ريح معها روح ونسيم ، تلقح الأشجار أيضاً ، ولا تهب بالليل حتى يسفر النهار وتطلع الشمس ثم تقف ... وصفة الدبور أن قوتها في الأرض أشد من قوتها في الهواء ، وأنها تكنس الأرض ، وتثير الغبار ، ويسمع للأشجار منها في البوادي دوي ... كل ريح من هذه الأربـــع إذا جـــرت بين ريحـــين ســـميت نكـــباء لعدولها عن مهب الريـــاح الأربع ... "[1] .

ويظل الإمام المحدث أبو محمد الطيب بن عبدالله بامخرمة (ت ٩٤٧هـــ / ١٥٤٠م) واحداً من أكثر المؤرخين اليمنيين توسعاً في هذا الباب ، وذلك واضح في كتابيه (تـــاريخ ثغـــر عـــدن) و (قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر) ، فقد كان دقيقاً وكثير الحرص على ضبط الأسماء : أسماء الأعلام والنسب إلى الآباء والعشائر والبلدان بطريقة لافتة للنظر ، وذلك ما يلمسه المتصفح لكتابيه المذكورين ، ولاسيما **القلادة** ، من ذلك قوله : أبو إسحاق الرعرعي – بعينين بينهما وقبلهما راء ، مهملات – نسبة إلى الرعراع ، القرية المعروفة من أعمال لحج ، بينها وبين عدن أبين مرحلة – الفقيه البارع المشهور ، وكان ترباً لأبي قرة موسى بن طارق الزبيدي – بفتح الزاي نسبة إلى مدينة زبيد ... "[2] .

وكانت حاجة المشتغلين بالحديث والجرح والتعديل إلى التطرق إلى البلدان وما كُتبَ في التعريف بها كبيرة ، وذلك لأن نسبة بعض الـــرواة إليها تتعدد بتشابه كبير أو تطابق أحياناً مما يوقع اللبس في المقصـــود بالنقد منهم ، فتجد أن المنتسبين إلى (زَبِيْد) و (زُبَيْد) أو (تريم) و (يريم) تتشابه ألقابهم المعزوة إلى بلدانهم – مع وضع شـــيوع عدم تنقيط الحروف وتشـــكيلها في الحسبان – مما يوجب على الذاكر لهم في مصنفاته أن يحدد البلد المنتسب إليه الراوي المذكور ، ولهذا نجد أن في قوائم مؤلفات بعض المحدثين المشهورين كتباً صنفوها لبيان هذا الباب من أبواب المعرفة ، منهم

---

[1] ابن الديبع ، **نشر المحاسن اليمانية** ، ص ١٢١ ، ١٢٥ .

[2] بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ١ ص ٧٦٤ ، ٦٧٥ .

على ســبيل المثال كتاب (ما اتفق لفظاً واختلف وضعاً) للإمام الحافظ شمس الدين الذهبي وكتاب (تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه) لشيخ الإسلام الإمام ابن حجر العسقلاني .

وهذه الحاجة المذكورة هنا هي التي دفعت بعض أكابر علماء الحديث في اليمن إلى التصنيف في هذا العلم ، ومنهم الفقيه القاضي مسعود بن سعد بن أحمد باشُكَيْل والد الإمام القاضي جمال الدين محمد بن مسعود باشُكَيْل (ت٨٧١هـ / ١٤٦٧م) الذي وضع مسودة لكتاب في البلدان ، ذكر فيها جملة منها ، مقتصراً على ذكر البلد وصفتها وبعض من ينتسب إليها من العلماء والرؤساء المشهورين ، وإلا أن القدر لم يمهله ليتمه، بعد أن وصل فيه إلى آخر باب الراء وذكر بعد ذلك في حروف متفرقة من كل حرف بلد أو بلدين[1] ، ويأتي بعد ذلك أحد أحفاده – من ناحية البنات – ليكمل ما بدأه هو ، والمقصود بالحفيد هنا هو الإمام المؤرخ والمحدث أبا محمد الطيب ابن عبدالله بامخرمة (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) الذي وضع أشهر كتاب يمني في هذا الباب ، وهو الكتاب الموسوم بـ (النسبة إلى المواضع والبلدان) ، ومع أنه مهتم بالنسبة إلى البلدان إلا أنه لم يكن يأتي على ذكر المنتسبين إلى البلد المعين إلا بعد أن يقوم بتعريفه تعريفاً ضافياً .

وقد أبان الإمام الطيب بن عبدالله بامخرمة عن قصة تأليفه للكتاب المذكور – في مقدمته –بقوله : " فإن كتابي هذا جمعته لنفسي ولمن ينتفع به من بعدي ، وسبب جمعي له أني وقفت على كتاب في الأنساب إلى القبائل والآباء ، وتطلعت نفسي إلى الأنساب إلى البلدان ، ولم أقف فيه على كتاب يخصه ، ثم أني وقفت على مسودة للقاضي مسعود بن سعد بن أحمد أبي شكيل الأنصاري الخزرجي ، ذكر فيها جملة من البلدان ، مقتصراً على ذكر البلد وصفتها وبعض من ينتسب إليها من العلماء والرؤساء المشهورين ، ولم يتمه ، ووصل فيه إلى آخر باب الراء ، ثم ذكر بعد ذلك في حروف متفرقة من كل حرف بلد أو بلدين ، فهممت بإتمامه وتبييضه ، ففقدت النسخة المذكورة مدة طويلة ولم أظفر بها ، فشرعت في جمع شيئ من ذلك ، حاذياً حذوه في الضبط والتبيين ، فجمعت من ذلك جملةً صالحة " .

---

[1] بامخرمة ، النسبة إلى المواضع والبلدان ، المقدمة ، ق ١ – ب .

وفي جزء آخر من المقدمة يقوم بامخرمة بتوضيح منهجه في تصنيف الكتاب ومصادره التي اعتمد عليها – سواء كانت يمنية أو غير يمنية – بقوله : " وأخذت غالبها من تاريخ القاضي ابن خلكان ... وأخذت بعض ذلك من طبقات السبكي الكبرى، ومن تاريخ الفاسي ، ومن تاريخ الجندي وغير ذلك ، ثم إني رأيت ذلك قليل الجدوى والنفع ، فضممت إليه من يُنْسَب إلى تلك البلدة من المحدثين المشهورين وغيرهم ؛ لاحتياج قارئ الحديث وطالب الفقه إلى معرفة ذلك ، وإن كان ثَمَّة من يشبه نسبه نسب المنتسب إلى تلك البلدة وهو منسوب إلى غيرها – إما بلدة أخرى أو أب أو قبيلة – بيَّنْته ، وعمدتي في ذلك كتاب (ما اتفق لفظاً واختلف وضعاً) للشيخ الحافظ شمس الدين الذهبي وكتاب (تبصرة المنتبه بتحرير المشتبه) للحافظ أبي الفضل بن حجر ، وأكثر اعتمادي على الثاني لالتزامه الضبط باللفظ بخلاف الأول فإنه اكتفى بضبط القلم، وقد أخل به النساخون ...إلا أني أبلغت جهدي في تحقيق ذلك من كتب اللغة كـ(القاموس) للمجد الشيرازي و(تكملة الصحاح) للإمام الصغاني ، فما نقلته عن أبي نقطه أو أبي العلا القرضي أو ابن ماكولا أو الخطيب فمن الكتابين المذكورين ، وما نقلته من غير الكتابين عزوته إلى قائله ، ثم ظفرت بمسودة القاضي مسعود فنقلت منها أشياء لم أكن ذكرتها ، وما نقلته عنه عزوته إليه ..."[١] .

ومما لا يغفل عنه أيضاً أن التطرق إلى علم الأنساب وولوج بابه يضع العالِمَ في مواجهة الحاجة إلى طَرْقِ سبيل البلدان ومصنفاتها ومحاولة الإسهام بسد الثغرات التي فيها ، حيث أن تتبع الأنساب يقتضي تتبع البلدان التي تستوطنها فروع القبائل والعشائر ، وهذا المعنى هو جزء مما أشار إليه الإمام الطيب بن عبدالله بامخرمة في قوله : " " فإن كتابي هذا جمعته لنفسي ولمن ينتفع به من بعدي ، وسبب جمعي له أني وقفت على كتاب في الأنساب إلى القبائل والآباء ، وتطلعت نفسي إلى الأنساب إلى البلدان ، ولم أقف فيه على كتاب يخصه "[٢] .

وللإمام أبي محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) أيضاً كتاب (تاريخ ثغر عدن) مضامين جغرافية مهمة ، فهذا الكتاب – ما سبق وصفه – صغير الحجم ، عظيم الفائدة ، يعد من أفضل ما كُتِبَ في وصف مدينة ،

---

(1) بامخرمة ، النسبة إلى المواضع والبلدان ، المقدمة .

(2) المصدر السابق ، والورقة نفسها .

أثبت المصنف فيه ما قرأه عن عدن من حيث تسميتها ، وما قيل في بداية أمرها ، وما ورد في كتب التفسير والحديث عنها ، وقد استعرض أيضاً أهم معالم المدينة من الدور المشهورة والقصور والأسوار والأبواب وغيرها ؛ لذلك فمن الممكن أن يصنف هذا الكتاب بين مصادر تاريخ عدن الجغرافية ، والشاهدُ في ذلك اهتمام مصنفه بالحديث عن موقع المدينة الجغرافي ، كالحديث عن جبالها ، وما يقع بين تلك الجبال من أماكن منبسطة وغيرها ، وعن مصادر المياه فيها .

وآخر المجالات التي استدعت الحاجة إلى الجغرافيا وتناول البلدان وتعريفها هي الكتابات الإدارية التي تعنى بأمور جباية الخراج وما يفرض على أهل الأراضي المزروعة والأنشطة التجارية والصناعية ، فقد ورد في كتاب (ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكُتَّاب) الآتي ذكره قريباً للعلامة الحسن بن علي الشريف الحسيني (ت بعد ٨١٥هـ / ١٤١٢م) تعريف وتقسيم لبعض الجهات اليمانية ، وإن كان التقسيم فيها قائم على قواعد الأموال من وجهة نظر المتولين لخزائن الدولة الرسولية[١] .

---

(١) الحسيني ، ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب ، ق ٦ – أ ، ق ٦ – ب .

ثانياً : الأحكام السلطانية والنظم المالية والإدارية:

أدرج بعض الدارسين لتاريخ اليمن[1] مثل هذه النوعية من العلوم والكتابة النثرية التأليفية ضمن الكتابة التاريخية وعدوها في أنواعها ، وذلك أن جانباً منها اهتم بتدوين تاريخ النظم ومؤسسات الدولة ودواوينها – كديوان الخراج السلطاني – أكثر من كونه في التنظير لها والتوعية بأصولها وما يجب أن تكون عليه ، غير أن الجانب التنظيري المشار إليه لم ينعدم في ثناياها مما يجعلنا نتحدث عنها كونها إحدى العلوم التي اهتم بها العلماء اليمنيون وأسهموا في الكتابة فيها .

ومن خلال نظرة على أمهات المصادر اليمنية والمراجع الحديثة من كتب الببليوجرافيا يتضح أن اليمنيين لم يكن لهم أي اهتمام بهذا المجال قبل القرن الثامن الهجري ، ويُعزى السبب إلى أنهم لم يجدوا أنفسهم في حاجة ماسة إليه إلا في مرحلة النضج الحضاري الكبير الذي اتسمت به الإدارة في عهد الدولة الرسولية ، بسبب الحرص الذي أبداه سلاطينها على الاستفادة من الخبرات التي كانت قائمة في الدول المجاورة والتي أقامت معها علاقات اقتصادية وطيدة ، كدولة المماليك في مصر ، ويعود أول كتاب يمني تم تصنيفه في هذا الشأن إلى مطلع القرن الثامن الهجري ، وينسب إلى مؤلفه الفقيه أحمد بن عبدالدائم بن علي الميموني (ت٧٠٧هـ / ١٣٠٧م)، وأما الكتاب فهو (التبر المسبوك في صفات الملوك) وقد قام بتأليفه بناءً على رغبة السلطان الرسولي الأشرف الأول عمر يوسف (ت٦٩٦هـ / ١٢٩٦م)[2] ، وإذا لم يتم العثور على قرائن لوجود اهتمامات سابقة لليمنيين عن هذا التاريخ فإن الفقيه الميموني سيعد فعلاً الرائد في علم النظم السلطانية والإدارية في تاريخ اليمن :

ويعد الفقيه الميموني ألف السلطان الأفضل العباس بن علي الرسولي (ت٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) كتباً في سياسة الدولة ورسوم الخلافة ، ووسومه بـ (نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء) ، وقد أوضح في مقدمته الخطوط العريضة لمحتواه ؛ إذ

---

(1) د. طلال الرفاعي ، **نبذة من كتاب ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكُتّاب** ، منشورات المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، ص ٢٣ – ٢٦ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٦٧ .

(2) الرقيحي ، **فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ، ج ٤ ص ١٨٨٩ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**، ص ٥٦٢ .

يقول:" أما بعد : فهذا مختصر يشتمل على رسوم الخلفاء وآداب خدمتهم ، والتحية والسلام وتقبيل الأرض بين أيديهم ، وغير ذلك من آداب مجالستهم ، وآدابهم في أنفسهم ، وبيان ما يجب عليهم ، وقد جعلنا هذا الكتاب على ثلاثة ... الباب الأول في آداب خاصة الملوك وجلسائهم وعلمائهم ، والباب الثاني في آداب الملـوك أنفسهم وما يجب عليهم ، والباب الثالـث فيما لا يسع الملـوك والرؤسـاء جهله من أنـواع العلوم ... "[1] ، ومن خلال هذا النص يتضح أن السلطان الرسولي كان يعي حدود هذا العلم ويضيف إليه بعضاً مما كتبه العلماء المسلمون في باب آداب صناعة الإنشاء وتولي دواوينها .

وقبـيل بداية القـرن التاسـع الهجـري كتـب الفقيه عبدالرحمـن بن عمـر الحبيـشي (ت٧٨٩هـ / ١٣٨٧م) مؤلفه في النظم الإداريـة ، ووضعه تحت عنوان (أحكام الرئاسة في آداب السياسة)[2] ، وصنف الإمام العـلامة جمـال الدين محمـد بن موسى الصـريفي الذؤالي (ت٧٩٠هـ / ١٣٨٨م) كتاباً أسماه (التحفة المدونة في أسرار السلطنة)[3] .

وأشهر علماء اليمن الذين اهتموا بهذا الجانب من العلوم الإدارية في مدة دراستنا في مطلع القرن التاسع الهجري هو العلامة الحسن بن علي الشريف الحسيني (ت بعد ٨١٥هـ / ١٤١٢م) الذي كان أحد كتاب الدواوين في الدولة الرسولية ، فتولدت لديه الرغبة في وصف خبرته واستعراضها بالإضافة إلى سرد مجمل رؤاه في النظم المالية ودواوين الخراج السلطاني ، وقد ألّف كتابين فيها ، أولهما كتاب (الديوان الجامع اليسير في معرفة التغليل والتسعير) وثانيهما كتاب (ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكُتّاب) ، والأول منهم ورد ذكره في الآخير[4] .

قد قسم العلامة الحسن بن علي الحسيني كتابه (مخلص الفطن) إلى أربعة فصول ، تناول أولها فضل القلم وأهله ، وثانيها في معرفة قواعد ودواوين الخراج

---

(1) الأفضل الرسولي ، نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء ، ص ١٥ .

(2) الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٥٦٢ .

(3) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٨٨ ، الحبشي ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(4) الحسيني ، ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب ، ق ٥ – ب .

السلطاني ، وماهو الذي وقع عليه اسم الديوان ، وما يجب له وعليه ، وعلى المتصرفين والمباشرين في الجهات وما يجب لهم وعليهم ، أما الثالث فهو مخصص لمعرفة قواعد أموال الجهات اليمانية بأقسامها المختلفة ، من جبال وتهائم وثغور وبنادر – حسب تعبير المصدر – والفصل الرابع في معرفة ما يسترفع في الأشغال والحسبانات إلى الديوان الرسولي السعيد[١] .

ومن العلماء الذين أسهموا في التصنيف في هذا المجال الفقيه المؤرخ محمد بن عبدالله بن عمر الناشري (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) والذي كان بارعاً في كثير من العلوم الشـرعية والتاريخية والعقلية ، ومنها علم الحساب ، وصنف كتاب (النصائح الإيمانية لذوي الولايات السلطانية)[٢] ومن خلال عنوان الكتاب يرجح أنه لم يخل من الحديث عما يجب على ذوي الولايات عمله في إدارة أعمالهم .

ومنهم أيضاً أحمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم الهادي(من أهل القرن التاسع الهجري) الذي وضع كتاباً في الأحكام السلطانية ، وعنونه بـ (التبر المُنسَبِك في تدبير المَلِك)[٣] .

ومنهم كذلك العلامة الإمام محمد ابن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي (ت٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) ، الذي كان من أفضل علماء وقته ، وصنف فأجاد في كثير من فروع المعرفة ، وله في الأحكام السلطانية كتاب (بهجة الجمال ومحجة الكمال في المذموم والممدوح من الخصال في الأئمة والعمال)[٤] .

---

(1) الحسيني ، **ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب** ، ق ٦ – ب .

(2) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٨ ص ١٠٠ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٦٣.

(3) منه نسخة خطية بمكتبة الأمبروزيانا تحت رقم **G88** ، الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٥٦٣ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٠ .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٩) ، وأخرى في المكتبة نفـسها تحـت رقم (٢٧١) ، ونسخة أخرى منه في مكتبة المؤرخ محمد بن محمد زبارة بصنعاء ، ونسخة أخرى في مكتبة علي بن إبراهيم بسناع ، وقد طبع في القاهرة بمطبعة الجمالية سنة ١٣٤٩هـ ، انظر الوجيـه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠١٩ ، الحبشي ، **مخطوطات مكتبة المؤرخ محمد بن محمـد زبـارة** ، ص ٨ ، **مراجع تاريخ اليمن** ، ص ٦٤ .

ثالثاً : العلوم العقلية الطبيعية والتطبيقية :

(١) الفلك أو الهيئة :

من المعروف أن علم الفلك هو ذلك العلم الذي ينظر في حـــركة النجوم والكواكب واتجاهاتها ، ويستدل من حركتها على أشكال الأفلاك وأوضاعها[١] ، كما يستنطقها في تحديد الجهات والمواقع ومواسم عديدة تكون الأرض فيها تحت حالات معينة وأوضاع محددة من البرودة والحرارة ، والرياح والأمطار ، لما يترتب عليها من الإقـــدام أو الإحجام على الإبحار أو الزراعة وغـــيرها من الأنشطة البشرية ، وذلك من خلال قواعد ثابتة وأصول راسخة نتجت عن تراكم الخبرة البشرية .

وقد كان للعرب منذ الجاهلية – واليمنيون منهم – اهتمام كبير بالفلك ولو في صورته البدائية ، أملته عليهم ظروف حياتهم القائمة على الترحال الدائم في مجاهل الصحارى التي لا معالم لمسالكها – بالنسبة للبدو منهم في شمال الجزيرة ووسطها – أو البحار – بالنسبة للمشـــتغلين بالتجارة من عرب الجنوب – والشعر الجاهلي زاخر بذكر النجوم والكواكب بما يجعلنا على دراية بأن كثير من الأسماء العربية للنجوم ترجع إلى العصر الجاهلي .

وكان فضل الإسلام كبيراً على علم الفلك ، إذ أنه لفت اهتمام المسلمين للعناية به ووضع بذور النهضة الفلكية في العصور الوسطى ، وذلك لأن الإسلام ربط مواعيد أداء عدد من العبادات بمعالم فلكية ، فالمسلم يبدأ نهاره قبل شروق الشمس فيراقب مطلع الفجر لكي يصلي الصبح ، وفي آخر نهاره يرقب الغسق ليصلي العشاء ، وبين ذلك يتابع حركة الشمس في الأفق ليدرك مواعيد صلواته في الظهر والعصر والمغرب لكي يصليها في حينها ، وهو يصوم رمضان ويفطر مع رؤيته لهلاله حسب التقويم القمري ، وإذا صلى في أي بقعة من الأرض فهو ملزم بتحري معرفة اتجاه الكعبة ، أي يعـــرف مكانه على ظهر الأرض بعد أن يحدد الجهات الأربـــع من موضعه الذي هـــو فيه ، ثم تأتي آيات القرآن الكريم فتأمره بأن يتأمل في الفضاء الخارجي من حوله لكي يعرف قدرة الله ومعجـــزة الخلق ، بل ويذكر كواكب معينة ونجـــوماً بأســـمائها كـــ (النجـــم الثاقب) و (الشِّعْرَى) .

---

(١) ابن خلدن ، **مقدمة ابن خلدون** ، ج ٣ ص ١٠١٩ .

وقد اهتمت شريحة من أسلاف الأمة فيما بعد القرن الثالث الهجري بالفلك واعتنوا به عناية خاصة ، فأقبلوا ابتداءً على تجميع إسهامات السابقين من الإغريق والفرس والهنود وغيرهم في علم الفلك ، وقاموا بترجمة المهم منها ، ثم شرعوا لاحقاً في الإنتاج العلمي على غرارها بالإبداع والابتكار ، حتى أن طائفةً منهم نبغت فيه وتفرغت له إلى حدٍّ كبير ، أمثال الكندي والفارابي والبيروني وابن باجة الأندلسي وابن يونس المصري وابن رشد والقزويني وابن فرناس وغيرهم كثير ، بل واقتحم غمار علم الفلك عدد من الأطباء كالرازي وابن سيناء والعديد من الفقهاء والأدباء والشعراء ، وتعددت مسميات فروعه عندهم ، واشتهر منها فروع الزيج والنجوم والأرصاد والمواقيت[1] .

واليمنيون كغيرهم من أبناء العالم الإسلامي أولوا علم الفلك عنايتهم منذ فترة مبكرة من تاريخهم الإسلامي ، وكتبوا عدداً من الأعمال الكتابية الفلكية كالمواقيت ومطالع النجـوم ومطارحها ، وغيرها من متعلقات علم الفلك وجوانبه ، وقد عدد بعض الباحثين أحد عشر عالماً من علماء اليمن الذين أسهموا بجهد في علم الفلك قبل القرن التاسع الهجري ، كما عدد طبيعة إسهاماتهم وعناوينها[2] .

والواضح من إشارات المصادر أن علم الفلك لم يحظ بالاهتمام في تاريخ اليمن كله كما حظي به في العهد الرسولي ، إذ أن الدراسات الفلكية في عهدهم بلغت أوج تقدمها[3] ، ويُعزى هذا الازدهار إلى عناية السلاطين أنفسهم واشتغالهم به[4] ، كما كان لاهتمامهم بالوافدين من الفلكيين إلى اليمن والدراسة على أيديهم وتمكينهم من تدريس

---

(1) ابن خلدن ، **مقدمة ابن خلدون** ، ج ٣ ص ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، القنوجي ، **أبجـد العلـوم** ، ص ٤١٢ ، ٤٨٨ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، طاش كبري زاده ، **مفتاح السعادة** ، ج ١ ص ٣٥٧ .

(2) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٦٦ – ٥٦٨ .

(3) دايفيد كنج ، **حول تاريخ الفلك في العصر الوسيط في اليمن** ، ص ٦٣ .

(4) الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٢٧٦ ، الحبشي، **حكام اليمن المؤلفـون المجتهـدون**، ص ١١٢ ، ١١٧

Varisco, T. M., Al-tawqi. at fi taqwim al-zira'a al-majhul min asr muluk Bani Rasul, in Mediaval Folk Astronomyand Agriculture in Arabia and the Yemen, Variuom, 1997, n. xvl, pp192-222 .

علومهم لليمنيين وإسناد الوظائف الديوانية العليا إليهم[1] دوره الكبير في إخلاصهم في التعليم وبروز رغبتهم في الإفادة من علمهم .

ومن أبـــرز علماء الفلك في اليمن في العصر الرســـولي الفقـــيه إبراهيم بن علي الأصبحي (ت٦٦٠هــ / ١٢٦١) الذي كان كتابه (اليواقيت في معرفة المواقيت)[٢] عمدة اليمنيين دهراً ، يتدولونه فيما بينهم ويعتمدون عليه في معرفة المواقيت وضبطها[٣] ، وكذلك الفقيه أبو بكر بن عمر الناشري (ت٧٦٠هــ / ١٣٥٨م) الذي نظر كثيراً في علم الفلك وكتب فيه أراجيز أشارت إليها بعض المصادر[٤] .

ومن علماء اليمن الذين كان لهم عناية بعلم الفلك في مدة الدراسة – القرنين التاسع والعاشر الهجريين – يأتي أبو العقول[٥] ، وهو صاحب (الزيج المختار) المحفوظ بمكتبة برلين الأهلية[٦]، وقد تحدث عنه المستشرق الأمريكي دافيد كنج بعد دراسته للزيج المذكور ، وإليه أشار الحبشي[٧] ولم يزد على ما ذكره المستشرق سوى تعداد النسخ المخطوطة لهذا الزيج .

العلامة أبو بكر بن عثمان بن أبي بكر الناشري (ت في بداية القرن التاسع الهجري) ، فقد كان بارعاً عدد من العلوم ، منها الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والمنطق ، وكانت له – كذلك – يد في علم الفلك[٨] .

---

(1) الجندي ، **السلوك** ، ج٢ ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ٤٢٩ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكـــبير الغربية تحت رقم (٢٢٦٣ فلك) ، انظر الرقيحي ، **فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ، ج ٤ ص ١٩١٧ .

(3) الجندي ، **السلوك** ، ج٢ ص ٦١ .

(4) وطيوط ، **تاريخ المعلم وطيوط** ، ق ٦٤ – أ .

(5) لم يصل إلينا من اسمه غير الكنية المثبتة أعلاه فقط ، ولعل المستشرق دافيد كنج اعتمد اسمه ممـــا هـــو مكتوب على غلاف الزيج نفسه .

(6) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٦٨ .

(7) **المرجع السابق** ، ص ٥٦٨ ، ومنه نسخة في الأمبروزيانا لم يذكر الحبشي رقمها ، ونسختان أخريتـــان بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى تحت رقم (٧٧ مجاميع) ، والثانية تخت رقم (٥٩ حديث) .

(8) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٧٤ .

وكذلك كان الشيخ علي المصري الكاتب (ت في مطلع القرن التاسع الهجـــري) على معرفة عالية بعلم الفلك ، مع مشاركة في الفرائض ، وسلمت إليه الرئاســـة فـــي صنعة التقويم ، فرزق الحظ عند السلاطين الرسوليين فرتبوا له الجامكيـــة[١] ، وتبعـــه ابنه الشيخ جمال الدين محمد بن علي المصري الكاتب (ت بعد ٨٣٠هـــ / ١٤٢٦م)، إذ أخذ عن والده علم الفلك والحساب والفرائض والضوابط المحتـــاج إليهـــا لـــصنعة التقويم، فكان وحيد عصره[٢] .

ومن المشتغلين بالفلك أيضاً الفقيه محمد بن عيسى بن يوسف الشاوري (ت٨٢٨هـــ / ١٤٢٤م) ، فقد وصف بأنه ذو معرفة بعلم الفلك واشتغال به[٣] .

ومنهم كذلك الأمير العلامة صارم الدين داود بن علي بن أبي بكر بن قايماز الأصغري البعداني (ت٨٣٥هـــ / ١٤٣١م) ، المعروف بقراءته في عدد من العلوم العقلية كالطب والحكمة على جماعة من الوافدين ، أجلهم العلامة رضي الدين أبو بكر ابن رباح المصري ، فكان حكيماً طبيباً ، عارفاً بعلم الفلك[٤] .

وفيهم أيضاً الفقيه المحدث شمس الدين علي بن محمد الشعبي (ت٨٥٥هـــ / ١٤٥١م) ، وهو أحد تلاميذ شيخ الإسلام الإمام الحافظ محمد بن أبي بكر الخياط النجباء ، وهو الذي خلف شيخه في مجلسه العلمي بمدينة تعز – كما سبق توضيحه في عنوان الحديث النبوي الشريف – وقد كان لهذا العالم اشتغال بشيئ من علم الفلك بجوار مهامه التدريسية والقضائية[٥] .

ومنهم أيضاً العـــلامة عبدالله بن محمد بن أبي القاسم العكي النجري (ت٨٧٧هـــ / ١٤٧٢م) ، فقد كان الفلك واحداً من العلوم التي درسها في رحلته العلمية التي وصل فيها إلى مصر في سنة (٨٤٨هـــ / ١٤٤٤م) ، وكان شيخه في

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢٨٧ .

(2) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(3) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٦ .

(4) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ٢١٧ .

(5) المصدر السابق ، ص ٢٣٦ .

الفلك بمصر عالم يُدعى العز بن عبدالســلام الميقاتي ، فكــان يطــالع في في الفــلك وغيره ، ومهما أشــكل عليه شيئ راجــع فيه شيخه[1] .

وقد ورد في كتاب (أعلام المؤلفين الزيدية) ضمن قائمة مؤلفات الإمام الزيدي الهادي لدين الله عزالدين بن الحسن (ت٩٠٠هــ / ١٤٩٥م) منظومتان ، إحداهما في المواقيت ، وهي رائية[2] قد قام بشــرحها لاحقاً العلامة محمد بن أحمد بن عز الدين المعــروف بـــ (ابن العَنْز) (ت١٠٥٣هــ / ١٦٤٣م)[3] ، وأما المنظومة الأخرى فقد موضوعها النجوم ، غير أن المرجع لم يورد شيئ من التفصيل في شأن محتــواها[4] .

وذكرت بعض المصادر أن الشيخ حسين بن عبدالله العيدروس (ت٩١٧هـــــ / ١٥١١م) قد كانت له اليد الطولى في علم الفلك[5] ، غير أنها لم تذكر له مصنفات فيه، ومثله كذلك الإمام العلامة عبدالله بن عبدالرحمن بن أبــي بكــر بافــضل الحــضرمي (ت٩١٨هــ / ١٥١٢م) ، فقد اشتغل بالفلك واعتنى به ، وصنف فيه (وصية نافعــة ورسالة صغيرة في علم الفلك)[6] ، وكذلك له رسالة أخرى في (سمت القبلة)[7] .

وقد كان علم الفلك واحداً من العلوم التي اهتم بدراستها الإمام العلامــة جمــال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هــ / ١٥٢٤م) ، وقد ترك فيه مصنفاً وصف على أنه رسالة في علم الميقات[8] ، وقد نُسِبَ إليه كتاب آخر يتوقع

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٣٦ .

(2) الوجيه ، ص ٦٤٤ .

(3) قال الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٦٩ في وصف هذا الشرح بأن ابن العنز قد تكلم فيه على مواد نافعة من علم الفلك وما يحققونه من الكسوف ، ومن هذا الشرح نسخة مخطوطة بمكتبــة آل الضوء ضمن مجموع ، ونسخة أخرى بمكتبة عبدالرحمن شايم بمدينة صعدة ، انظر الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦٤٤ ، ص ٨٤٥.

(4) الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ٦٤٥ .

(5) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ٨٨ .

(6) **المصدر السابق** ، ص ٩٣ .

(7) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٦٨ .

(8) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٣٦ ، الشِّــلِّي ، **السنا الباهر** ، ص ٢١١.

يتوقع ان محتواه في علم الفلك ، وهو تحت عنوان (كشف الحجاب في شرح اللباب في أصول الحساب) ، وهو كتاب صغير لا يتجاوز ثمان صفحات(١) .

ونختم حديثنا عن اهتمام اليمنيين بعلم الفلك وتصنيفهم فيه في مدة الدراسة بالحديث عن مشاركة الإمام الحافظ والمؤرخ وجيه الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الشهير بابن الديبع الشيباني (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م) ، فقد كان لهذا العَلَم مشاركة في علم الفلك ، إذ تضمن كتابه (نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية) العديد من الأطروحات الفلكية التي جاء بها في سياقات متعددة تدور حول مفخرة انتساب العديد من النجوم والأبراج السماوية إلى اليمن ، فيقال : البروج اليمانية والجنوبية ، وقولهم : النجوم اليمانية كسهيل اليماني(٢) ، واستدل بقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة عندما كان يُعَرِّضُ بشخص اسمه سهيل تزوج امرأة اسمها الثريا ولا يراه أهلا لها :

أَيُّهَا المُنْكِحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلاً

عَمْرَكَ اللهَ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ

وسُهَيْلٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّ يَمَانِي (٣)

هذا بالإضافة إلى أن الإمام ابن الديبع كان قد أفرد فصلاً كاملاً في الكتاب المذكور تحدث فيه عن الشمس والقمر والسماوات والسحاب والمطر والبرق والرعد وغير ذلك ، وهي أمور يتحد فيها الفلك والجغرافيا المناخية بالتحديد كما سبق تناوله في موضع سابق(٤) .

---

(1) الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٦٨ ، وذكر أن منه نسخة مخطوطة في مكتبة الأوقاف الوطنية العراقية ببغداد تحت رقم (٦٢٩٣) .

(2) ابن الديبع ، **نشر المحاسن اليمانية** ، ص ٧١ ، ٧٢ .

(3) المصدر السابق ، ص ٧٣ .

(4) المصدر السابق ، ص ١١١ – ١٢٠ .

(٢) علوم البحار والملاحة :

علاقة اليمنيين بالبحار علاقة قديمة ، ارتبطت بحضارة اليمن القديمة الأوسانية والقَتْبَانِيَّة والسَّبَأيَّة والحِمْيَرِيَّة والمَعِينِيَّة ، تلك الحضارات التي قامت على اقتصاديات قوية تمثلت منابعها ومواردها في رافدين أساسيين ، أولهما : زراعة واسعة اعتمدت على أرض شاسعة خصبة ، ووفرة مياهٍ حفظتها السدود والصهاريج الجبلية التي أنشأوها في مختلف المناطق ، وثانيهما : تجارة رائجة ، سواء بسلع يمنية زراعية كالبخور واللبان، أو سلع وافدة كانت اليمن معبراً لها باعتبارها أهم محطة في طريقها إلى مواطن استهلاكها في حواضر الشام ومصر والرومان في روما وآسيا الصغرى وغيرهما .

لم يكن لليمني أن يتخذ صفة النجاح في التجارة دون أن يكون ماهراً في تعامله مع البحار والمحيطات التي مخرت سُفُنُهُ أمواجَها ، وإن كنا لم نجد في القرون الماضية من الشواهد المكتوبة ما يدل على براعته في التعامل مع البحار ، إلا أن آثار تلك البراعة قد كانت واضحة للعيان ، أذ أصبح اليمني خير حاملٍ للعقيدة الإسلامية وأفضل داعٍ لها في المناطق الشرق ، وأسفرت جهوده الدعوية التي قرنها بأسفاره التجارية هناك عن دخول مجتمعات كاملة في الإسلام ، دون أن تصلها جيوش الفتح الإسلامي أو أن تبلغها سيطرةُ دُوَلِهِ ونفوذُ حُكَّامِهِ

كما أن ما استعرضناه من إسهامات علماء اليمن في مجال الفلك يعد من القرائن الثانوية التي تدل على أن تلك المعرفة قد أفادت كثيراً البَحَّارَةَ اليمنيين ، فالعلاقة بين الملاحة البحرية وعلم الفلك أكيدة ، إذ أن النجوم هي معالم الطرق والسبل في البحار والمحيطات .

وفي مدة دراستنا هذه ، وبالتحديد في مطلع القرن العاشر ، برزت شخصية يمينة لها مشاركة كبيرة ويد قوية في علوم البحار والملاحة البحرية ، ألا وهو المَلَّاح والبَحَّار سليمان بن أحمد بن سليمان المَهْرِي (ت بعد ٩١٧هـ / ١٥١١م) ، فقد ترك تراثاً مكتوباً يدل على براعة كبيرة وخبرة واسعة بالبحر وعلوم الإبحار فيه ، وبلغ عدد مؤلفاته في هذا الباب خمسة مصنفات ، أولها كتاب (العُمْدَةُ المَهْرِيَّةُ في ضبط العلوم

البحرية) ، وهو مكون من مقدمة وسبعة أبواب[1] ، وصياغة عنوانه تعكس مدى اعتزازه بنسبه وافتخاره بأصله ، فقد جعلها عمدة (المَهَرِيَّةُ) لأنه هو (مَهَرِيّ) أصلاً، وقد قال في مقدمة هذا الكتاب : " علم البحر قليلٌ تأليفُ كتبه المحققة ، بل في وريقات مُلَفَّقة وأراجيز مفرقة ... "[2] ، وهذه العبارة تدل على ما يشبه الشكوى من قلة ما كتبه اليمنيون من أقرانه في هذا الباب – علم البحر – كما تدل أيضاً أن هناك من كُتُبَ " وريقات ملفقة وأراجيز مفرقة " ، ولكنه للأسف لم يصلنا شيئ منها .

وأما الكتاب الثاني من مصنفات البحار سليمان بن أحمد المهري فهو كتاب (المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر) ، ويشتمل على مقدمة ، سبعة أبواب وخاتمة وفائدة[3] ، وقد عَدَّلَ فيه جميع قياسات العرض في طرق المحيط الهندي التي ذكرها في كتابه (العمدة المَهَرِيَّةُ) ، وذلك أنه من المحتمل أنه صنف (العمدة) في مرحلة مبكرة من عمره ، قبل أن تختمر خبرته بالبحر ومعارفه ، " كما أضاف المهري إلى (المنهاج) طرقاً جديدة لرحلات طويلة إلى شرق المحيط الهندي ، قام بها بعد تأليف (العمدة) ، ومسافات الطول بين ساحل الهند الغربي والسواحل المقابلة له من شرقي أفريقيا وجزيرة العرب ، وبين ساحل الهند الشرقي وساحل سيام المعروفة الآن بـ (بورما) و (تايلند) و (ماليزيا) ، وأوقات حلول الشمس والقمر في البروج والمنازل "[4] .

والكتاب الثالث للمهري هو رسالة مختصرة في قواعد الملاحة وشروطها ، وقد جاءت في حوالي أربع وعشرين صفحة متوسطة مشتملة على سبعة أبواب وخاتمة[5] ، وجعلها تحت عنوان (تحفة الفحول في تمهيد الأصول) في أصول علم البحر ، وفي شرحها وتفصيل مجملاتها وضع كتابه الرابع (شرح تحفة الفحول في

---

(1) حسن صالح شهاب ، فن الملاحة عند العرب ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، ودار العودة، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٢م ، ص ٧٣ .

(2) حسن صالح شهاب ، البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري مرشد الملاحة العربية في المحيط الهندي، مركز الشرعبي للطباعة والنشر ، صنعاء ، ط ١ ، ٢٠٠٠م ، ص ١٠ ، ١١ .

(3) حسن صالح شهاب ، فن الملاحة عند العرب ، ص ٧٣ .

(4) حسن صالح شهاب ، البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري ، ص ١١ ، ١٢ .

(5) حسن صالح شهاب ، فن الملاحة عند العرب ، ص ٧٣ .

تمهيد الأصول)[1] ، قال في مقدمته : " أما بعد : فهذه حواشٍ علقتها على كتابي المسمى بتحفة الفحول في تمهيد الأصول في أصول علم البحر ؛ لينتفع بها من له اشتغال بالكتاب المذكور ، والعذر كل العذر من وجهين ، الأول : ألفته مع تشويش خاطر ، والثاني : لم أسبق لمثله فتكون مادتي من ذلك السابق ، بل استخرجته من علوم شتى ، وجمعته لنفسي ولسائر الإخوان ... "[2] .

وأما المصنف الخامس لسليمان بن أحمد المهري فهو رسالة قصيرة موسومة بـ (قلادة الشموس في استخراج قواعد الأسوس) شرح فيها طريقة استخراج التواريخ بمختلف السنين المشهورة ، جعل الفصل الأول في أس السنة القمرية ، والفصل الثاني في أس السنة الشمسية ، وهي سنة البروج الرومية والقبطية ، والثالث في معرفة السنة الشمسية ، والرابع في معرفة السنة الرومية ، والخامس في معرفة السنة القبطية ، والسادس في معرفة السنة الفارسية[3] .

يقول حسن شهاب[4] : " وفي هذه الكتب ابتع المهري المنهج العلمي في معالجة قواعد الملاحة البحرية وشروطها ، وقد ترجم سيد شلبي – إلى التركية – أغلب محتويات مؤلفات المهري في كتابه المعروف بـ (المحيط) ، وتناول فيه بالتركية قواعد الملاحة في المحيط الهندي سنة (٩٦٠هـ / ١٥٥٢م) بعد وفاة سليمان المهري ... "[5] ، كما أنه أشار إلى أن الدكتور إبراهيم خوري قد قام بتحقيق كل كتب سليمان المهري الخمسة ، وأن مجمع اللغة العربية بدمشق قد طبعها[6] .

---

(1) حسن صالح شهاب ، **البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري** ، ص ١٢ .

(2) سليمان المهري ، **شرح تحفة الفحول في تمهيد الأصول** ، المقدمة ، نقلاً عن حسن صالح شهاب ، **فن الملاحة عند العرب** ، ص ٧٤ .

(3) **المرجع السابق** ، نفس الصفحة ، حسن صالح شهاب ، **البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري** ، ص ١٢ .

(4) مؤرخ يمني معاصر كرس كل جهوده العلمية لدراسة التاريخ اليمن والعرب البحري ، وهو أول من عرّف الباحثين المعاصرين بالبحارة الملاح سليمان بن أحمد المهري وتتبع مصنفاته بالدراسة والتحليل .

(5) حسن صالح شهاب ، **البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري** ، ص ١٢ ، ١٣ .

(6) حسن صالح شهاب ، **فن الملاحة عند العرب** ، ص ٧٤ .

(٣) الطـــب :

اهتم الإنسان بمسألة شعوره بالألم منذ وجد على الأرض ، وبذل جهداً كبيراً في استكشاف طرق تجنبه والتقليل منه ، وتراكمت خبراته على مدار القرون والأحقاب ، ولما جاء الإسلام كانت البشرية قد فرزت الخبرة والمهارة التي تتعامل مع الصحة والمرض والألم والتداوي لتجعلها علماً إنسانياً عاماً قائماً بذاته .

ولم يكن الإسلام إلا دافعاً للعلوم منكياً العقول لاقتحامها ، فنراه – فيما يخص الطب – يأمر بالوقاية وعدم تعريض الإنسان نفسه لما يتسبب في إتلاف صحته وجسده، فيقول تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ ... ﴾[1] وهذا النبي ﷺ يقـــول : " ما ملأ آدمي وعاءً شرّ من بطنه ، بحسب ابن آدم أكـــلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلـــث لشـــرابه وثلث لنفسه "[٢] ، وكان المسلمون منذ عهد النبوة وصدر الإسلام يهتمون بالتداوي ، سواء من الأمراض أو الجراح الناجمة عن الاشتراك في الغزوات والفتوحات ، واضطرد اهتمام الأمة بهذا العلم حتى برزت فيه منها طائفة ، تعلمته درساً وتصنيفاً وممارسة ، ومؤلفاتهم ومكتشفاتهم في علم الطب والتشريح معروفة .

وأول من علمناه من علماء اليمن الذين كانت لهم بالطب عناية الإمام أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقـــوب الهمداني (ت٣٣٤هــ / ٩٤٥م) ، وكانت مشاركته في الطب قرينة تدل على وجود من تعلم منه هذا العلم ، وإن لم يذكرهم التاريخ وتدون المصادر أخبارهم ، فللهمداني كتاب (القوي) في الطب بالإضافة إلى الإشارات الطبية التي ضمنها بعض كتبه الأخرى[٣] ، ثم توالت الأجيال اليمنية التي رصدت المصادر

---

(1) سورة الأعراف .

(2) الترمذي ، **سنن الترمذي** ، ج ٤ ص ٥٩٠ ، رقم (٢٣٨٠) ، باب (ما جاء في كراهة كثرة الأكل) ، النسائي ، **السنن الكبرى** ، تحقيق د. عبد الغفار البنداري وآخر ، دار الكتب العلمية ، بيـــروت ، ط ١ ، ١٩٩١م ، ج ٤ ص ١٧٧ ، رقم (٦٧٦٨) ، باب (ما جاء في كراهة كثـــرة الأكـــل) ، ابـــن قـــيم الجوزية، **الطب النبوي** ، مراجعة وتعليق عبدالغني عبدالخالق ، دار الفكر ، بيروت ، (د ، ت) ، ص ١٢ .

(3) الهمداني ، **كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة** ، تحقيق محمـــد محمد الشعيبي ، ط ١ ، ص ١١٠ ، ١١١ ، د.عبدالرحمن الشجاع ، **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

بعض أنشطتها وصور عنايتها بالطب دراسة وتطبيقاً ، في صنعاء وصعدة وجبلة وشِبَام والمَهْجَم[1] .

وفي العهد الرسولي بلغ علم الطب في اليمن ذروة ازدهاره ، وانتشرت الدراسات الطبية بشقيها النظري والعملي بما يؤكد تطورها ، وقد حوت مضامينها – إضافة إلى أمراض الأعضاء وأعراضها – فصولاً في طبائع الأدوية والحمية ، ومباحث فيما يصلح للبدن في حالة الصحة مما يقيها الأمراض ، ومعلومات قيمة حول أهمية الهواء والتنفس لسلامة البدن ، ومباحث عن الصحة النفسية[2] .

المفترض أن تقترن حالة الازدهار القائمة لعلم الطب ودراساته بنشاط عمراني للمنشآت الصحية ، إلا أن المصادر المتوافرة لم تسعفنا بأي إشارة إلى وجود واحدة منها ، ومجمل ما ورد في ذلك أن السلاطين استعانوا بأطباء اختصوا بهم في قصورهم، كما استعانوا بأطباء من خارج اليمن فاستفادوا بهم في التطبيب وفي تدريس العلوم الطبية[3] .

وقد كان أثر وجود الأطباء المهرة في البلاط الرسولي واضحاً في حياة بعض السلاطين الرسوليين الذين تلقوا الطب على أيديهم حتى أصبحوا في قمة الكفاءة ، فأثمرت كفاءتهم في ظهور مصنفات تعد من مفاخر الإسهام الإسلامي في الطب ، منهم السلطان المظفر يوسف بن عمر الرسولي (ت٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) الذي ألف كتابين في الطب هما : (البيان في كشف الطب للعيان) و (المعتمد في الأدوية

---

(1) اللَّحْجِي ، **طبقات مُسلَّم اللَّحْجِي** ، ج ٤ ص ١٦٣ ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١٩٧ ، الجندي، **السلوك** ، ج ١ ص ٣٤٢ ، الشرجي ، **طبقات الخواص** ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، أبو الرجال ، **مطلع البدور ومجمع البحور** ، ج ١ ص ١٦٩ ، ج ٢ ص ١٣٥ ، ١٣٧ ، ج ٣ ص ٨٤ ، يحيى بن الحسين ، **طبقات الزيدية الصغرى** ، ص ١٣٠ ، ١٣١.

(2) د. نوال النحلاوي ، **التعريف بكتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة لابن الأزرق** ، مجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة الأولى ، يناير ١٩٨٠م ، ص ٦٨ – ٧٣ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٨٢ .

(3) الجندي ، **السلوك** ، ج ١ ص ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ج ٢ ص ٥٣ ، ١٢٦ ، ٥٦٩ ، الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٣٩٩ ، عبدالله قائد العبادي ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

المفردة) ، وقد وقف خير الدين الزركلي على إحدى مخطوطات الكتاب الأول[١] ، وأما الكتاب الثاني فهو مطبوع متداول ، وقد اعتمد في تصنيفه على عدد من الكتب الطبية الشهيرة ، ورتبه على حروف المعجم[٢] ، وألحق به المفردات الطبية وتفسيرها مما اصطلح عليه أهل اليمن[٣] ، ولابنه السلطان الأشرف الأول عمر بن يوسف الرسولي (ت٦٩٦هـ / ١٢٩٦م) ثلاثة كتب في علم الطب تشهد بتفوقه على أبيه ومن جاء بعده من السلاطين الرسوليين في هذا العلم ، أولها عنوانه (الإبدال لما عُلِمَ في الحال)[٤] والثاني (شفاء العليل)[٥] أما الثالث فهو (الجامع في الطب)[٦]، بالإضافة إلى كتاب رابع في البيطرة عنوانه (المغني)[٧] .

كان للسلاطين الرسوليين مشاركات في الطب لكنها كانت دون مشاركات من مر ذكرهم ، منهم السلطان المجاهد علي بن داود الرسولي (ت٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) والسلطان الرسولي الأفضل العباس بن علي (ت٧٧٨هـ / ١٣٧٦م) ، وكذلك أسهم معهم في تطويره وازدهاره عدد كبير من علماء اليمن وأبنائها .

وقد أورد الإمام الخزرجي – عَرَضَاً – اسم مدرسة الطب في زبيد ، وجاء ذكرها استطراداً في ترجمة الطبيب عمر بن محمد الجبلي (ت٧٥٨هـ / ١٣٦٠م) ، يقول الخزرجي[٨] : " كان – أي الطبيب الجبلي – من أعلم أهل عصره بالطب في

---

(1) الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٨ ، ١٩٨٩م ، ج ٨ ص ٢٤٤ ، الحبشي ، حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ، ص ١١٤ .

(2) المظفر الرسولي ، المعتمد في الأدوية المفردة ، تحقيق مصطفى السقا ، دار القلم ، بيروت ، (د ، ت)، ص ١ .

(3) المصدر السابق ، ص ٥٥٨ – ٥٨٩ .

(4) منه نسخة مصورة بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، بجامعة أم القرى ، ميكروفلم رقم ١٦٧ طب ، وأصله في مكتبة الأحقاف بحضرموت ، ضمن مجموعة الكاف ، تحت رقم ١٢٨ / ١٠ تريم ، علي بن علي أحمد ، الحياة العلمية في تعز، ص ٤٧٩ .

(5) الخزرجي ، العقود اللؤلؤية ، ج ١ ص ٢٣٤ .

(6) الأكوع ، المدارس الإسلامية ، ص ١٨٦ .

(7) الأعلام ، ج ٥ ص ٦٩ ، الحبشي ، حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ، ص ١١٩ .

(8) العقود اللؤلؤية ، ج ٢ ص ٩١ ، العسجد المسبوك ، ص ٣٩٩ .

مدرسة زبيد ، ، وانتفع به كثير من الناس ، وله أوصاف في الطب يعرفها كثير من أهل زبيد " ، فهل كانت مدرسة للطب وحده ، أما أنها إحدى المدارس العلمية التي انتشرت في المدينة وغيرها عصرئذٍ ، وقد نسب أحد المؤرخين المعاصرين هذه المدرسة إلى هذا الطبيب ، وعزا إليه فضل إنشائها[1] ، ورجَّحَ بعض الباحثين[2] أن هذه المدرسة لم تعدو أن سوى دار الطبيب عمر بن محمد الجبلي اتخذها مدرسة لتعليم مهنته ولتطبيب المرضى أيضاً ، وأياً ما كان فمن المؤكد أن هذه المدرسة وطبيبها كان لهما دور كبير في تعليم هذه المهنة وممارستها – على الأقل في مدينة زبيد نفسها – حتى القرن التاسع الهجري نفسه .

وقد كثر المشتغلون بالطب في القرنين التاسع والعاشر الهجريين بين علماء اليمن ، منهم من كان اشتغاله به درساً وتدريساً ، ومنهم من كان اشتغاله به ممارسة وتطبيباً ، ومن أبرز الأطباء وقتئذٍ الإمام العلامة جمال الدين محمد بن أبي القاسم الضراسي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) الذين كان موصوفاً بأنه من الأئمة المحققين لكثير من العلوم ، وله معرفة تامة بالطب والتشريح ، وسلمت له الرئاسة فيه حتى أصبح في عصره لا يجاريه أحد ولا يماريه ، وقصده طلبة العلم من أنحاء اليمن ، وانتفعوا به كثيراً في علم الطب وغيره ، واستمرت حلقته التي درس فيها منعقدة لمدة ستين سنة كاملة في مدينة تعز[3] .

ومن قبله كان الفقيه العلامة الإمام جمال الدين محمد بن عبدالرحمن بن عمر الحُبَيْشي (ت٨٠٢هـ / ١٣٩٩م) ذا معرفة قوية في القراءات السبع والتفسير والحديث والفقه واللغة والأدب و (الحكمة)[4] ، والحكمة هي أحد مرادفات علم الطب قديماً ، إذ ان الطبيب كان يدعى (حكيماً) طيلة قرون ، بل حتى مطلع القرن العشرين .

---

(1) الحضرمي ، **جامعة الأشاعر** ، ص ٧٥ .

(2) عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ١٩٩ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ٢٨ .

ومنهم أيضاً الفقيه المقري مهدي بن علي بن مهدي الصُنْبري (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) الذي برع في القراءات واشتهر باشتغاله بالطب ، وله فيه كتاب سماه (الرحمة في الطب والحكمة)[١] ، وهو مختصر نافع ، يعد من الكتب التي أقبل طلبة الطب على دراستها[٢] .

وكان الأمير العلامة الطبيب صارم الدين داود بن علي بن أبي بكر بن قايماز الأصغري البَغْدَانِي (ت٨٣٥هـ / ١٤٣١م) معروفاً بقراءته في الطب والحكمة على جماعة من الوافدين ، أجلهم العلامة رضي الدين أبو بكر بن رباح المصري ، فكان لذلك حكيماً طبيباً ، كما كان عارفاً بعلم الفلك مع مشاركته في علوم الشريعة كالحديث والفقه[٣] ، وهو شيخ الإمام جمال الدين محمد الضراسي في الطب وإن تأخرت وفاته عليه[٤] .

وفي السنة التي توفي فيها الأمير ابن قايماز (٨٣٥هـ / ١٤٣١م) توفي أيضاً الطبيب العلامة محمد بن أبي الغيث بن علي القرشي الكَمَراني ، وقد كان له اشتغال في أول حياته بعلمي النحو والفقه حتى برع فيهما ، ثم اعتنى بقراءة الطب وعكف على كتبه ، حتى غدا طبيباً مشهوراً، وألف فيه كتاب (شفاء الأسقام)[٥] .

ومنهم كذلك المقرئ الفقيه وجيه الدين عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن سالم (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٦م) الذي ورد ذكره في أكثر من موضع في هذا الفصل والفصل السابق لكثرة مشاركته وعنايته بالعلوم ، فقد ورد في عناوين مصنفاته كتاب (الشفاء

---

(1) منه نسخة خطية بمكتبة الجامع الكبير الشرقية تحت رقم (٢٢٥١ طب) ، وهو مطبوع بهامش (التذكرة في الطب) للقليوبي بمصر سنة ١٣٠٠هـ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**، ص ، الرقيحي، **فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ، ج ٤ ص ١٩٢٩ .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٢١٣ ، ابن الجزري ، **غاية النهاية** ، ج ٢ ص ٣١٥ ، ٣١٦ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٨٤ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢١٧ .

(4) **المصدر السابق** ، ص ١٢٨ .

(5) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٨ ص ٢٨٧ ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٨٢ .

التام من الآلام والأسقام والأسماء العظام)[1] فلعل محتواه – استنتاجاً مـــن عنوانـــه – كان يتضمن شيئاً من الطب .

ومنهم أيضاً الإمام العلامة القاضي جمال الدين محمد بن سعيد بن علـــي كِـــبِّن (ت٨٤٢هـــ / ١٤٣٨م) ، فقد روى البريهي[٢] في ترجمته أنه كان مشاركاً في علـــم الطب ، وكذلك ورد أن المقرئ شمس الدين علي بن أبي بكر السحولي (ت٨٥٢هـــ / ١٤٤٨م) كانت له اليد الطولى في كثير من علوم الشريعة واللغة العربة وآدابها ، وأنه كان أيضاً يشارك في المنطق والحكمة[٣] .

ومن المشتغلين بالطب في مدة الدراسة أيضاً ، فقد كان الإمام العلامة إســـماعيل بن إبراهيم بن بكر (ت٨٨٩هـــ / ١٤٨٤م) فقد ذكرت بعض مصـادر ترجمته أن له مشاركة في الطب[٤] .

وقد ذكر المؤرخ ابن الديبع أن الأمير الطاهري يوسف بن عامر كان في سنة (٨٧٨هـــ / ١٤٧٣م) قد استقر في زبيد والياً عليها من قبل عمه الملك المجاهد الطاهري ، وكان له رغبة في العلوم مع اشتغاله بالسياسة ؛ لذلك أقبل تحصيل الكتب وقراءتها ، وقد أولى عناية خاصة بكتب اللغة والطب ، ولم يحصل شيئاً من كتب الحديث والتفسير[٥] .

ومن أشهر الأطباء في أواخر القرن التاسع الهجري في اليمن الطبيب إبراهيم بن عبدالرحمن بن أبي بكر الأزرق (٨٩٠هـــ / ١٤٨٥م) ، وله كتاب بعنوان (تسهيل المنافع في الطب والحكمة المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة)[٦] وقد اعتمد

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٦٧ ، ٦٨ .

(2) **المصدر السابق** ، ص ٣٣١ .

(3) **المصدر السابق** ، ص ١١٢ .

(4) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٤٩ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ١٧٣ .

(5) ابن الديبع ، **قرة العيون** ، ص ٤١٩ .

(6) طبع الكتاب وصدر عدة مرات ، آخرها في بيروت سنة ١٩٧٨م ، وبهامشه كتاب (للطب النبوي) لأبي عبدالله عبدالرحمن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، انظر عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٨٥ ، ومنه نسخة خطية في مكتبة جامع تريم للمخطوطات بحضرموت ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٨٢ .

في تصنيفه – كما يتضح من خلال العنوان – على كتابي الصنبري والكمراني ، مادة وتبويباً ، كما قسمه إلى خمسة أقسام ، الأول : منها في أشياء من علم الطبيعة والأمر بالتداوي ، والثاني : في طبائع الأغذية والأدوية ومنافعها ، والثالث : فيما يصلح للبدن في حال الصحة ، والرابع : في علاج العلل الخاصة بكل عضو من أعضـــاء الجسم ، والخـــامس : في الأمــــراض العامة ، وتفـــرعت من كل قسم أبــواب وفصول[1] .

ولــم يمنع اشــتغال الإمام الحافظ والمحــدث الكبير أبي زكــريا يحيى بن بكـــر العامري (ت٨٩٣هـــ / ١٤٨٨م) بالحديث والاشتهار بالإجادة الفائقة فيه من يكون له عناية بالطب واهتمام به ، فقد ترك فيه كتاباً سماه (التحفة الجامعة لمفردات الطب النافعة)[2] .

وكان الإمام حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي بن أبي بكر الناشري (ت٩٢٦هـــ / ١٥٢٠م) قد اعتنى بالطب فدرسه وألف فيه منظومة وَسَمَها بـــ (جلب الزبون في منافع البون) وقال في مطلعها :

أُصَرِّحُ بِسْمِ اللهِ في البِدْءِ أوَّلاً
مَعَ الحَمْدِ للهِ الذي وَحْدَهُ عَلا[3]

وأما الإمام الحضرمي صاحب القلم السيال والمصنفات الكثيرة العلامة جـــمال الديـــن محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق الحضرمي (ت٩٣٠هـــ / ١٥٢٤م) ، الذي قال عنه العيدروس بأنه : " كان من العلماء الراسخين والأئمة المتبحرين ، اشتغل بالعلوم ، وتفنن بالمنطوق منها والمفهوم ، وتمهر في المنثور والمنظوم ، وكانت له اليد الطولى في جميع الفنون ... ما رأيت أحداً من علماء حضرموت أحسن ولا أوجز

---

(1) د. نوال النحلاوي ، **التعريف بكتاب تسهيل المنافع** ، ص ٦٦ ، ٦٧ ، عبدالله قائد العبـــادي ، **المرجـــع السابق** ، نفس الصفحة .

(2) منه ثلاث نسخ مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية ، الأولى تحت رقم (٦١ مجاميع) ، والثانيـــة تحت رقم (٩٥ مجاميع) ، والثالثة تحت رقم (١٢١٦) ، كما أن منه نسخة رابعة في مكتبة برلين تحت رقم (٦٣٢٥) ، ونسخة خامسة في مكتبة الفاتيكان تحت رقم (١١٥٧) ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٨٢ .

(3) الحبشي ، **المرجع السابق** ، ص ٥٨٣ ، ومن هذه المنظومة نسخة مخطوطة في مكتبة الجـــامع الكبيـــر الشرقية تحت رقم (١٢ مجاميع) .

عبارة منه ...»[1] فقد حوت قائمة مصنفاته (منظومة في الطب) و (شرح عليها) ، ولعله من المحتمل أن هذين العملين لم يصدرا عن قراءة واطلاع فقط ، أي لعله مارس الطب وجمع ما تراكم من خبرته المعرفية والعملية فيه فيهما .

[1] العيدروس ، النور السافر ، ص ١٣٦ .

(٤) المنطق والفلسفة :

المنطق – كما عرفه ابن خلدون[١] – هو : " قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المُعَرِّفَة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات " ، وقد قرن تعلمه وذكره بالفلسفة ، وقد نتج عن معرفة طائفة من المسلمين في القرون المتقدمة للمنطق والفلسفة ودراستهم المعمقة لها بروز علم الكلام[٢] ، وكان اليمنيون في الموقف من المنطق والفلسفة قسمين ، القسم الأول اعتنى بها وجعلها من العلوم التي تنمي مَلَكَة النظر العقلي في إثبات وجود الصانع جل وعلا ، وهو بالدرجة الأساسية أصحاب مدرسة الاعتزال في الأصول ، وهو في اليمن الزيدية بلا نزاع ولا مراء ، وبالتالي تجد في علمائها من درس المنطق وألف فيه الكتب ، أو اكتفى بدراسته وتدريسه ، ولعل ذلك من مكارم الرجال عندهم ، ومحامد العلماء والأعلام من أئمتهم .

وأما القسم الثاني فقد كان قبول الاشتغال بهذا العلم عندهم – في البداية – من القوادح في العقيدة ، بل أن الاشتغال به يعني المروق عن الجادة ومخالفة الشائع الراسخ بالتقادم ، حتى إنك لتجد انعداماً تاماً للإشارات إلى المنطق والفلسفة والمشتغلين بها في المصادر القديمة – نسبياً – حتى مطلع القرن الثامن الهجري ، وهو ما قد يلقي للروع عند الاطلاع بان هذه العلوم لم يوجد من يشتغل بها ويعتني بها ، وذلك غير صحيح بتاتاً ، فقد صرح أحد أشهر المؤرخين اليمنيين – الإمام المؤرخ الجَنَدي – بأنه قد تمثل حالة من التجاهل التام المقصود نحو المشتغلين بالمنطق والفلسفة ، وسماهم بالمشتغلين بمذهب الحكماء ، وقال عنهم : " وظهر فيهم ناس تعانوا بالطب ومذهب الحكـماء ؛ فنسبوا إلى الخروج من المذهب ، لذلك فمن تحققته نسب إلىَ ذلك لم أذكــره ... "[٣] ، وهي إشارة تفي بزرع الإحساس بفداحة الأمر .

ولعل الدافع إلى ذلك يكمن في معرفتنا بأن أغلبهم كان يعتقد بعقيدة الحنابلة ، وهي العقيدة المعروفة بحدة مواقفها اتجاه المخالف ، وشدة أصحابها في النظر إلى المعاند ، مع قناعتي بصواب مضمونها لا بمواقف حامليها ، إضافة إلى ما كانوا يرونه

---

[1] مقدمة ابن خلدون ، ص ١٠٢١ .

[2] د. رشاد بن عباس معتوق ، الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي ، معهد البحـوث وإحيـاء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٩٩٧م ، ص ٣٨٤ .

[3] الجَنَدي ، السلوك ، ج ٢ ص ٣٧٥ .

من إخوانهم في المناطق الزيدية من الشطط في الأخذ بالمنطق ، ولعلهم كانوا يعزون الاختلاف في العقيدة بينهم وبين الزيدية إلى أنه أحد إفرازات الاشتغال بهما .

غير أن هذه المواقف قد بدأت تلين مع الأيام ، وظهر في مناطق العقيدة الحنبلية نفسها من يشتغل بالمنطق والفلسفة ، وكتاب (**طبقات صلحاء اليمن**) الذي ألفه أحد كبار علماء القرن التاسع الهجري ، وكان أحسن شاهد على عصره ، كونه كان أحد المساهمين في الحياة العلمية والخائضين في معتركها ، هذا الكتاب وجدت فيه عدد من الشواهد في تراجم بعض الأعلام بما يفيد عنايتهم بالمنطق واشتهارهم به .

وفي المقابل لا يمكن التسليم بأن الإجماع بين العلماء في المناطق الزيدية قد كان تاماً حول سلامة انتهاج الاشتغال بالعلوم المنطقية والفلسفية والعناية بها ، خاصة في أصول الدين وإثبات صحيح العقيدة وزيفها ، فقد وجدت بعض النماذج التي عارضت هذا النهج ، وأبرزها الإمام الشهير محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) ، فقد ألف في الاستنكار على ذلك كتابه الشهير (ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان) .

ومن أهم الشخصيات اليمنية التي أولت المنطق عنايتها في مدة الدراسة بالقرنين التاسع والعاشر الهجريين – كما تذكر المصادر – العلامة أبو بكر بن عثمان بن أبي بكر الناشري (ت في بداية القرن التاسع الهجري) ، الذي تعددت الفنون التي شـارك فيها ، وكان علم المنطق أحدها[1] .

ويأتي الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) في مقدمة علماء اليمن عموماً في العلوم العقلية ، ومنها المنطق ، فقد اشتغل به واعتنى به عناية فائقة[2] ، ومن يلقي نظرة على قائمة مؤلفاته التي الكثيرة فإنه سيجد أنه كان ذا باع طويل في أصول الدين على طريقة المعتزلة والتي يعد المنطق والفلسفة من أكبر أدواتها ، وبحكم أنه كان قريناً وتِرباً للإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م) فلعل كتاب الأخير لم يؤلف إلا في الرد على الإمام المهدي ومن سار على

---

(1) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٧٤ .

(2) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ٦٢٨ .

طريقته ، وللإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى في علم المنطق أثر نفيس ، هو كتابه (القسطاس المستقيم في الحد والبرهان القويم)[١] .

وقد وفد إلى صنعاء من خراسان سنة (٨٤٩هـ / ١٤٤٥م) الشيخ العارف الرحَّال تاج الإسلام بن صدر الدين بن فخر الملة القرشي الخراساني ، وكان من أكابر العلماء العارفين ، وأكثر معرفته في علم المنطق ، وقد توفي بصنعاء في تاريخ مقارب لوفوده عليها[٢] ، وبالتأكيد أن وفود المبرزين في علوم معينة على اليمن يؤدي إلى إثرائها فيها ، وترسيخ العناية بها بين أهلها ، ولنا في وفادة الإمام المقرئ محمد الجزري خير مثال على آثار الوافدين ، ولو لم يكن لهذا الوافد الهندي من دور في تدريس المنطق ما عرف أنه كان ماهراً فيه ، ولما قال عنه المصدر بأن " أكثر معرفته في المنطق ... "[٣] .

ومن علماء المنطق في القرن التاسع الهجري المقرئ العالم شمس الدين علي بن أبي بكر السحولي (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) ، فقد كان من المشار إليهم في الاشتغال بعلم المنطق ، بالإضافة إلى معرفته الواسعة بعلوم النحو واللغة والعروض وأمثال العرب والقوافي الفقه والطب[٤] .

وفيهم يعد العلامة شرف الدين أبو القاسم بن علي المعروف بابن زبيدة (ت٨٥٧هـ / ١٤٥٣م) ، فقد كانت له قراءة في فنون عديدة كالأدب والنحو والبيان والمعاني وحقق المنطق واعتنى به[٥] ، ومثله العلامة المطهر بن كثير المشهور بـ الجمل (ت٨٦٣هـ / ١٤٥٨م) ، فقد ورد في ترجمته بأنه " قرأ في المنطق تحقيقاً شافياً ... "[٦] .

---

(1) منه نسخة مخطوطة ضمن مجموع تحت رقم (٢٨٤) بمكتبة آل الهاشمي ، انظر الوجيه ، أعلام **المؤلفين الزيدية** ، ص ٢١٢ .

(2) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٥ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

(4) **المصدر السابق** ، ص ١١٢ – ١١٤ .

(5) **المصدر السابق** ، ص ٣١٣ .

(6) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١٢٧ .

ومنهم أيضاً العلامة عبدالله بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن ثامر العكي النجري (ت٨٧٧هـ / ١٤٧٢م) ، فقد رحل إلى مصر في سنة (٨٤٨هـ / ١٤٤٤م) ، وهناك تتلمذ على أيدي نخبة من أفاضل العلماء المصريين المبرزين في علوم شتى ، منها المعاني والبيان والمنطق ، وكان يطالع فيها كثيراً ، ومهما أشكل عليه منها شيئ راجع فيها شيوخه ، وبرع وصنف[١] ، فمما صنفه في علم المنطق كتاب سماه (هداية المبتدي وبداية المهتدي)[٢] .

ومنهم أيضاً العلامة أحمد بن محمد بن داود الخالدي (ت٨٨٠هـ / ١٤٧٥م) الذي نسبت إليه بعض المصادر كتاب (الجوهر الشفاف والنكت اللطاف) في علم المنطق[٣] .

وكان الفقيه شمس الدين علي بن سعيد الزُّبَيْدي الجبزي (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٧م) إماماً فاضلاً عالماً بكثير من العلوم كالفقه والحديث والعربية والحساب والمنطق ، وأنه لتحصيل هذه العلوم قد رحل إلى مصر والشام ومكة المكرمة والمدينة المنورة[٤] .

ومنهم كذلك العلامة المرتضى بن قاسم بن إبراهيم بن محمد القَطَابِري (ت٩٣١هـ / ١٥٢٤م) ، فقد كان له اهتمام بالمنطق وعلم المعاني والبيان في العربية، حتى وصفه أحد تلاميذه بقوله : " كان السيد المرتضى بن قاسم إماماً عظيماً ،

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٣٨ .

(2) منه نسخة مخطوطة في مكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٢٥٢ مجاميع) ، ومنه نسخة أخرى في مكتبة المرتضى الوزير بهجرة بيت السيد ببني حشيش – صنعاء ، ونسخة ثالثة في المتحف البريطاني تحت رقم (٣٩٠٨) ، ونسخة مخطوطة رابعة في مكتبة العبيكان بالرياض تحت رقم (٤٩) ، كما ان منه نسخة خامسة في الأمبروزيانا تحت رقم D357 ، انظر الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن**، ص ٥٨٦ ، الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ٦١٨ .

(3) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ١٦٦ ، الوجيه ، **المرجع السابق** ، ص ١٦٦ ، الحبشي، **المرجع السابق** ، ص ٥٨٦ .

(4) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤٩ .

منطقيـاً متفنناً ، متقناً محقـقاً ، علَماً في المنطق والمعاني والبيان وسـائر علوم العربية ... "[١] .

ونختم الحديث عن العلماء اليمنيين الذين اهتموا بالمنطق والفلسفة بالإمام العلامة فخر الدين عبدالله بن القاسم بن الهادي بن إبراهيم العلوي (ت٩٦٠هـ / ١٥٥٢م) ، الذي مدحه أحد تـلاميذه فـقال واصفاً مشـاركته في العلـوم المتعدد بما فيها المنطـق : " وأما علمه فلم أرَ أعلم منه ، ولا ترى مثل نفسه في الأصولين والنحو والتصريف والمعاني والبيان ، وأما اللغة والحديث والفقه واستحضار مسائلة فهو – وإمامنا – أوحد من رأيت من أصحابنا الزيدية ، وهو في علم التاريخ وعلم الأوائل وعلم المنطق – وإن لم يكن له فيه سماعات – آية باهرة ... "[٢] .

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ١١١٨ .

(2) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ٦٢٨ .

(٥) العلوم الرياضية :

غالباً ما تأتي الحاجة إلى الشيئ في مقدمة دوافع الإنسان إلى العناية به أو إهماله ، والحديث عن (الحاجة إلى الشيئ) هنا يشمل الأطر الفكرية والثقافية كما يشمل المجالات الحياتية المحسوسة في صورتيها البسيطة والمعقدة ، ومن هذا المنطلق يمكننا القول : إن ارتباط العلوم الرياضية بحياة الناس اليومية – العامة والتعبدية – وعدم استغنائهم عنها هو الدافع الأساس لاهتمامهم بها ، فالرياضيات لازمة لكل فرد في المجتمع مهما كانت ثقافته أو عمره ، وتأخذ أهميتها النسبية من مجتمع إلى آخر تبعاً لتقدمه وتعقد حياته ، فتصريف أمور الناس وتنظيم أمور معاشهم في مجتمع متحضرٍ ، وحل ما يقع بينهم من تعاملات يدخل فيها القياس والترتيب وبيان الكميات والمقادير والأزمان والمسافات والأحجام والأوزان والأموال وغيرها يستلزم معرفة قدر من الرياضيات يفوق بكثير ما يحتاجه مجتمع بدوي أو قروي بسيط لا تتعدى تعاملات أفراده أشكال المقايضة وما في حكمها .

ولأن المسلمين قد أقاموا حضارة الإسلام وسعوا إلى تطوير العلوم اللازمة لمسايرة ذلك التقدم والخادمة له فقد كانت الرياضيات في قائمة اهتماهم ومركز عنايتهم، ومن ضمن دوافع المسلمين الإضافية إلى الاهتمام بدراسة الرياضيات أن أداء عددٍ من العبادات وإقامتها لأوقاتها لا يتم إلا بمعرفة بعض الجوانب الرياضية وفهمها ، مثل تحديد مواقيت الصلوات وبدايات الأشهر القمرية – كرمضان وذي الحجة وغيرهما – إضافة إلى تحديد اتجاه القبلة ومقادير الزكاة والصدقات وقسمة المواريث والغنائم .

كما أن الرياضيات كانت تمثل هي أُمًا وأُسَّـاً لكثير من العلوم العقلية والتطبيقية الأخرى ، فبها تستقيم علوم الفلك والطب والكيمياء والجغرافيا وغيرها ، وهذا علم الهندسة الذي يعد الأساس – على المستوى التطبيقي – للبناء والتشييد العمراني ما هو إلا فرع من فروع العلوم الرياضية ، والنهضة العمرانية التي عاشتها المجتمعات الإسلامية في مختلف القرون تعد مظهراً بارزاً لاستعاب كثير من أبنائها العلوم الرياضية بما فيها الهندسة .

وقد كان لعدد من علماء اليمن عناية بالرياضيات في كل القرون الأسلامية من تاريخها ، انعكست هذه الاهتمامات في الإنشاءات الكبيرة التي أقامتها الدويلات اليمنية المتعدد ، إلا أن الإشارات التاريخية لبواكير الاهتمامات جاءت متأخرة نوعاً ما ، إذ

تعود في مجملها إلى العصر الأيوبي في القرن السادس الهجري[1] ، ولعل مرد ذلك عائد إلى قلة المدونات التاريخية لتراجم العلماء في القرون السابقة للقرن السادس الهجري .

يعد العصر الرسولي هو عصر ازدهار العلوم الرياضية في اليمن ، كالحساب والهندسة والجبر والمقابلة[2]، فقد شهد عصرهم بروز عدد من الرياضيين اليمنيين الذين بلغوا من التميز درجة جعلتهم قبلة الطلاب ومتجههم للتلقي ، وكانت مؤلفاتهم هي المصادر المعتمدة لدى الراغبين في دراسة الرياضيات عصرئذٍ ، كما كانت العلوم الرياضية ضمن قائمة المقررات الدراسية التي يعكف طلبة العلم لتحصيلها[3] .

ومما يلفت النظر أن المعلومات الواردة في مصادر الدراسة عن العلماء اليمنيين المبرزين في العلوم الرياضية قد جاءت مقرونة بمعرفتهم لعلم الفرائض ، وأكاد أجزم أنني لم أجد ترجمة واحدة لعالم من ذوي المعرفة والمشاركة القوية في فروع الرياضيات إلا وهو معدود ضمن علماء الفرائض .

تذكر المصادر التاريخية أن من أشهر علماء اليمن في الرياضيات في العصر الرسولي – فيما قبل مدة دراستنا هذه – الفقيه محمد بن حسين الحضرمي (ت٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) الذي كان يعقد دروسه في الحساب والفرائض في مسجده الذي نسب إليه بزبيد ، وعنه أخذ جماعة من الفرضيين[4] ، وكذلك العلامة أحمد بن عمر بن هاشم المزيحفي (ت٦٨٠هـ / ١٢٨١م) الذي اشتهر بمعرفته للهندسة والحساب ، وصنف عدداً من أهم مصادر هذا العلم لدى اليمنيين – طلاباً ومعلمين – لدقته فيها ويسرها

---

(1) ابن سمرة ، **طبقات فقهاء اليمن** ، ص ١٠٧ .

(2) الجبر والمقابلة ، وهما ما يتعرف من خلالهما على كيفية استخراج المجهولات العددية بمعادلاتها لمعلومات تخصها ، والجبر تحديداً هو : زيادة قدر ما نقص من الجملة المعادلة بالاستثناء من الجملة الأخرى لتتعادلا ، ويُعرَّفُ أيضاً بأنه علم بأصول يعرف بها استخراج كمية المجهول بمقدرات معلومة ، وفائدته صيرورة تلك المقادير المجهولة معلومة باستعمال قوانينها ، والمقابلة هي : إسقاط الزائد من إحدى الجملتين لتتعادلا ، الأنصاري ، **اللؤلؤ النظيم في روم التعلم والتعليم** ، تحقيق د. هشام نشابه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨م ، ٢٠٩ ، القنوجي ، **أبجد العلوم** ، ص ٥٠٣ ، ٥٠٤ .

(3) الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ١٢٤ ، ١٤٤ ، ٢٣٧ ، ٣٨١ ، الخزرجي ، **العسجد المسبوك** ، ص ٣٢٨، ٤٢٦ ، ٤٦٣.

(4) الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٣١ .

وكثرة فوائدها، وأشهرها: (شرح مختصر الخوارزمي في الجبر والمقابلة)[١] و(جواهر الحساب) في عدة أجزاء ، و (مقدمة في علم الحساب)[٢] ، وكذلك (المزيحفية) المنسوبة إليه[٣] .

ومنهم أيضاً الفقيه صالح بن عمر البريهي (ت٧١٤هـ / ١٣١٤م) الذي كان عالماً بالفرائض والحساب والجبر والمقابلة ، وتصدر لتدريس هذه العلوم فانتفع به كثير من طلبة العلم[٤] ، ومنهم أيضاً العلامة أبو بكر بن عمر بن عثمان الناشري (ت٧٦٠هـ / ١٣٥٨م) الذي وصف بأنه أشهر أهل زمانه في الحساب والجبر والمقابلة ، وصنف فيها (شرح مختصر الخوارزمي في الجبر والمقابلة) كما نظم أرجوزة في علم الحساب[٥] ، ومنهم كذلك العلامة أحمد بن موسى بن علي الجلاد الأشعري (ت٧٩٢هـ / ١٣٨٩م) الذي كان – ككل العلماء من أسرته – ضليعاً في علوم الرياضيات بارعاً فيها ، بحيث وصفه الخزرجي[٦] بقوله : " كان فقيهاً فاضلاً فرضياً ... بارعاً في الحساب والجبر والمقابلة ، وعليه استفاد كثير من الطلبة ، وقُصِدَ من الأماكن البعيدة ... " ، وصنف كتاب (المقدمة الذرية في استنباط الصناعة الجبرية)[٧] .

---

(1) أفاد الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٧٧ ، ٥٧٨ أن منه نسخة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٧) .

(2) الجندي ، **السلوك** ، ج ٢ ص ٣٨١ ، الخزرجي ، **العقد الفاخر الحسن** ، ج ١ ق١٧٩ – أ .

(3) منها نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٤٠٢) ، ونسخة أخرى في المكتبة نفسها ، تحت رقم (٣٨ مجاميع) ، ونسخة ثالثة في مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم – حضرموت ، تحت رقم (١٧ مجاميع) ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٧٧ .

(4) الجندي ، السلوك ، ج ٢ ص ٢٣٧ ، الخزرجي ، **العقود اللؤلؤية** ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(5) وطيوط ، **تاريخ المعلم وطيوط** ، ق ٦٤ – أ .

(6) الخزرجي ، **العقد الفاخر الحسن** ، ج ١ ق ١٨٧ – أ .

(7) **المصدر السابق** ، نفس الصفحة ، عبدالرحمن الحضرمي ، **جامعة الأشاعر** ، مخطوط مسودة الطبعة الثانية ، ص ١٧٣ ، عبدالله قائد العبادي ، **الحياة العلمية في زبيد** ، ص ٣٧٩ ، ومن الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٣٤٠ مجاميع – كتب حديثة) ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٧٧ .

وفي القرنين التاسع والعاشر الهجريين كانت علوم الرياضيات من العلوم التي حظيت بالاهتمام والعناية من قبل شريحة من علماء اليمن ، وفي مقدمة هؤلاء العلماء يأتي الإمام العلامة الفَرَضي جمال الدين محمد بن عبدالله بن عمر بن سلم الخولاني (٨٠٥هـ / ١٤٠٢م) الذي تميز في علوم الفرائض والحساب فأجادها ، وعلت معرفته بها بأخذه إياها عن بعض الأعلام المبرزين، وكانت شهرته كبيرة في هذه العلوم ، فدرسها للطلبة[١] ، وألف شرحاً في الحساب أسماه (طوالع السعدي في شرح الهندي) وله فيها مصنفات قيمة أشهرها (طوالع السعدي في شرح الهندي)[٢] ومصنف في (ضوابط الحساب) ، وكتاب (عجالة المبتدي في شرح الهندي)[٣] ، وله أيضاً (كفاية المهتدي في شرح الهندي)[٤] .

ومنهم أيضاً العلامة الفقيه أبو بكر بن عثمان بن أبي بكر الناشري (ت في بداية القرن التاسع الهجري) بارعاً في الفرائض والحساب والدور والجبر والمقابلة ، وله (شرح مختصر الخوارزمي) إذ شرحه شرحاً وافياً في أربع مجلدات ، وكانت له أيضاً يد في علم الفلك والمنطق وأصول الفقه وغيرها[٥] .

ومن علماء الرياضيات في اليمن في مدة الدراسة أيضاً الإمام العلامة الفَرَضي الشهير جمال الدين محمد بن أبي القاسم الضراسي (ت٨٠٦هـ / ١٤٠٣م) ، أحد أئمة العلوم في عصره، كانت له معرفة تامة بعلوم الطب والفرائض والحساب والجبر والمقابلة والأقدار المتناسبة ، انتهت إليه رئاسة هذه العلوم فقصده الطلبة من كل ناحية باليمن لتلقيها عنه ، فانتفعوا به كثيراً ، وقد عُمِّرَ طويلاً ، يقول عنه المصدر : " وكل

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(2) لم أجد المصدر الذي اعتمد عليه الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٥٧٧ ، ٥٧٨ في إيراد هذه المعلومات ، كما أنه لم يشر إلى من هو الهندي المقصود في العنوان ، وما هي كتبه الرياضية التي أشير إليها هنا في الشروح الثلاثة للعلامة الخولاني .

(3) منه نسخة مخطوطة بمكتبة آل الحبشي الخاصة بحضرموت ، ونسخة أخرى في مكتبة علي بن إبراهيم بمدينة صنعاء، الحبشي ، المرجع السابق ، ص ٥٧٨ .

(4) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٤١٧ فرائض) ، ونسخة أخرى في مكتبة علي بن إبراهيم الخاصة بصنعاء ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(5) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

مدرس بعلم الفرائض والطب – والحساب والجبر والمقابلة – من دَرَسَتِه أو دَرَسَة دَرَسَته ، وسلمت له الرئاسة ... وأنه فيهما لا يجارى ولا يمارى ، ومد الله له في عمره وبارك له فيه حتى ألحق الأحفاد بالأجداد ، وانتفع به الشيوخ والأولاد ، ودرس بهذين الفنين زيادة على ستين سنة باذلاً نفسه للطلبة ، وحفظ الله عليه سمعه وبصره مع الطعن في السن والضعف من أجل حلقته ... "[1] ، ولم تشر المصادر إلى كونه صنف فيها أم لا سوى عبارة " وله قواعد وضوابط قررها للمستفيدين يعظم قدرها ويجل نفعها[2] ، فيكفيه من الفخر أن أغلب المترجم لهم في كتب التاريخ والتراجم من علماء الفرائض والعلوم الرياضية في أغلب مناطق اليمن هم تلاميذته وتلاميذهم ، وورود اسمه ضمن مشائخ العالم يعد تزكية له إجادة في تلك العلوم .

ومن المشاركين أيضاً في العلـوم الرياضية الإمام العلامة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السجان (ت حوالي ٨١٠هـ / ١٤٠٧م) ، ذكر عنه البريهي[3] بأنه كان مشهوراً بعلمي الفرائض والجبر ، وقصد للتلقي فيهما ، وصنف شرحاً مفيداً بمخارج العدد الذي في آخر كتاب الهندي ، ومثله الفقـيه جمال الدين محمد بن عبدالله بن عمـر الناشري (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م) ، كان له عناية بالحساب والهندسة ، ولذا صنف كتابه (مختصر في الحساب ومساحة المثلث)[4] نقل عنه الإمام السخاوي[5] قوله :

إذا رُمْتَ تكسيرَ المثلثِ يا فتى
فجمعُكَ للأضلاعِ أصلٌ لنا أتى
ونصفٌ لمجموعِ الضلوعِ فابتده
وخُذْ كلَّ ضلعٍ فأعرضه مفاوتاً
على النصفِ ثم الضربِ للبعضِ بهيعٌ
ونَفِّذْ ببعضٍ ونصفٍ فاعلَمَنْ مُتثبِّتاً

---

(1) البريهي ، طبقات صلحاء اليمن ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(2) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(3) المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

(4) السخاوي ، الضوء اللامع ، ج ٨ ص ١٠٠ ، الحبشي ، مصادر الفكر الإسلامي في اليمن ، ص ٥٧٨ .

(5) السخاوي ، المصدر السابق ، نفس الصفحة .

وصنف الإمام العلامة صفي الدين أحمد بن عبدالرحمن بن عمر الحُبَيْشي (ت٨٢٢هـ / ١٤١٩م) في الحساب كتاباً – عجيباً مفيداً بحسب وصف المصدر[١] – أسماه (الإرشاد في سباعيات الأعداد)[٢] ، وقد أورد المؤرخ الأهدل[٣] أن الفقيه أحمد بن إبراهيم الحضرمي الزبيدي (ت٨٢٤هـ / ١٤٢١م) كان مجوداً في الفرائض والجبر والمقابلة ، وكان له فيها تلاميذ فيها اشتهروا بها في بلدانهم ، كما ذكر أيضاً أن بالمَهْجَم فقيه من أهلها يدعى أحمد المدرس (ت٨٢٣هـ / ١٤٢٠م) كان مشهوراً بالذكاء ، وأنه كان ذا بصيرة في الحساب وعلم الجبر والمقابلة[٤] .

وكان الفقيه العلامة شهاب الدين أحمد بن أبي بكر النجدي (ت٨٣٠هـ / ١٤٢٦م) أحد أشهر علماء اليمن في القرن التاسع الهجري في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة ، وكان قد تلقاها عن طريق علماء بني الحداد من أهل زبيد ، فبرز فيها حتى كان العمدة في ناحيته ، وتخرج على يديه عدد غير قليل من العلماء وأجاز لهم فيها[٥] .

وللعلامة النجدي تلميذ نجيب في هذا العلم هو العلامة صفي الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد البريهي (ت٨٣٣هـ / ١٤٣٠م) الذي وصف بكونه إماماً في الفرائض ، وأتقن الجبر من خلال أخذه لـ (شرح الجبر) للمزيحفي – الذي وضعه على كتاب الخوارزمي – من غير شيخ ، وكان فطناً يسهل عليه حل المشكلات العويصة بدون تلعثم ولا تردد[٦] .

ومن أئمة الفرائض والعلوم الرياضية في مدينة زبيد الفقيه العلامة علي بن أحمد بن موسى الجلاد الحنفي(ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م) ، كان عارفاً بالفقه والنحو

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٠ .

(2) قال عنه الحبشي في حاشية الصفحة ذاتها أنه كتاب كبير في العدد ٧ ، منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (١٤ – معارف عامة) ، **المصدر السابق** ، ص ٣٠ .

(3) **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ١٢٥ ، ١٣٣ .

(4) **المصدر السابق** ، ج ٢ ص ١٣٧ .

(5) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(6) **المصدر السابق** ، ص ١٠٠ .

واللغة والقراءات والحديث والفرائض والجبر والمقابلة والحساب والهيئة ، وصف بأنه كان بارعاً في كل فن منها ، مفرط الذكاء ، كامل الأدب ، حافظاً لأشعار العرب[١] .

وفي حَرَض بأقصى شمال تهامة كان العلامة يوسف بن محمد بن يوسف عبدالله بن علي العامري (ت٨٣١هـ / ١٤٢٨م) ذي معرفة عالية بالفرائض والجبر والمقابلة والمساحة ، رحل من بلدته لدراستها على أئمة العلم في مدينة أبيات حسين ، ثم ارتحل إلى زبيد فقرأ الجبر والمقابلة على الفقيه علي بن أحمد الجلاد الأشعري عالم الفن في زمانه ، وقد برع العلامة يوسف في هذه العلوم حتى قصده الطلبة من نواح شتى ، واستفاد به جماعة كثيرون من نواح شتى من اليمن[٢] ، وقد اختص بهذه العلوم دون غيرها حتى قال معاصره الإمام الأهدل[٣] عنه : " ولم يكن له يدٌ في غير الفرائض والحساب " .

ومنهم أيضاً الفقيه محمد بن عبدالله الحرازي (ت٨٣٩هـ / ١٤٣٥م) ، الذي قرأ الجبر والمقابلة على علماء عصره المشهورين ، ثم تصدر لتدريسها ، فأفاد كثيراً من طلبة العلم في مدينة تعز وغيرها ، وأسهم في نشرها[٤] ، وكان للفقيه عفيف الدين ناجي بن محمد الشرقي اليمامي (ت بعد ٨٥٠هـ / ١٤٤٦م) معرفة جيدة في الفقه والنحو والحساب والمساحة والجبر[٥] ، وكذلك الفقيه علي بن عمران الحُمَيْدي (ت٨٥٦هـ / ١٤٥٢م) الذي كان بارعاً في الحساب والفرائض، وصفه بعض المؤرخين فقال : " اجتهد في طلب العلوم حتى انكشف له ما كان عن غيره مكتوم ... حتى صار إماماً محققاً ، فاق أهل زمانه ، وأربى على أقرانه ... "[٦] وله مصنف في الحساب أسماه (الانتخاب في حساب الفقه وفقه الحساب) ، أتى فيه

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٠٠ .

(2) الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ٢ ص ٣٧ .

(3) **المصدر السابق** ، نفس الجزء والصفحة .

(4) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ٨ ص ١٢١ ، البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٢٨ .

(5) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٣٨ .

(6) **المصدر السابق** ، ص ٢٣٧ .

بما شفى وكفى ، حتى قيل : " هو جدير بأن تشد إليه الرحال ، ويجعله المحصلون معتمدهم في كل حال "[1] ، وله كذلك كتاب (تفتيح الأبواب في روضة الحساب)[2] .

وكان الفقيه شهاب الدين أحمد بن علي البَرْحِي (٨٧٣هـ / ١٤٦٩م) قد درس مقررات الفرائض وأمهات مصادرها على عدد من رجالها ، وقد أجاد الفرائض والرياضيات إجادة كبيرة جداً ، وأتقن أصولها ، وحقق دقائقها ، حتى قيل عنه أنه " كان وحيد عصره ببلده في فن الفرائض والحساب والجبر وغير ذلك ، وأتقن المتناسخات والدوريات وإخراج المجهولات ومساحة الدوريات ، وغير ذلك مما يتعلق بهذا الفن ... "[3] وكان مع ذلك – وبجوار تدريسه – منهمكاً في أعمال الزراعة حتى توفي[4] .

ومن علماء اليمن المشاركين في الرياضيات الفقيه محمد بن حسين الحلواني (ت٨٧٥هـ / ١٤٧٠م) الذي تتلمذ على شيخ الرياضيين في تعز العلامة محمد بن أبي القاسم الضراسي ، وأخذ عنه الفرائض والجبر والمقابلة ، وتتلمذ على غيره أيضاً ، ثم تصدر للتدريس هذه العلوم وغيرها في بعض مدارس مدينة تعز ، فأفاد الكثير من طلبة العلم بمعارفه[5] ، ويذكر منهم كذلك العـلامة الحنفي أبو بكر بن البرهان الضجاعي (ت القرن التاسع الهجري) صاحب كتاب (بغية الطلاب في عصر ضوابط الحساب)[6] .

ومنهم كذلك الفقيه الوزيـر والفرضي العلامة بدر الدين حسـن بن عبدالرحمن الصباحي (ت٨٩٨هـ/١٤٩٢م) ، كان بارعاً في الفرائض والحساب والجبر والمقابلة بتلقيه وتتلمذه على يدي الإمام المتقن لها الإمام جمال الدين محمد الضراسي ، فلما تولى

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٣٧ .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، ولم يحدد الحبشي رقمها في فهرسـتها ، الحبـشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٧٨ .

(3) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ١٥١ .

(4) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(5) المصدر السابق ، ص ٢٣٧

(6) السخاوي ، **الضوء اللامع** ، ج ١١ ص ٢٨ ، ومنه نسخة مخطوطة بمكتبة عبدالولي الوادعي باليمن كما يقرر ذلك الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٧٨ .

السلطان الظاهري الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب (ت٩٢٣هـ / ١٥١٧م) السلطنة اتخذه وزيراً له[1] ؛ فانشغل بها عن الجهود التدريسية والتصنيف .

ومنهم أيضاً – في مدينة عدن – الإمام أبو الطيب عبدالله بن أحمد بن علي بن أحمد بامخرمة (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٧م) كان موسوعياً في علمه ، مجيداً فيما له مشاركة ويد فيها ، ترجم له ابنه المؤرخ الطيب بامخرمة فذكر أنه كتب شرحاً لـ(منظومة ابن ياسمين) في الجبر والمقابلة[2] ، وله كذلك رسالة في الهندسة[3] ، وكان ولده الفقيه شهاب الدين أحمد بن عبدالله بن أحمد بامخرمة (ت٩١١هـ / ١٥٠٥م) كذلك من أفضل من أجاد الفرائض والحساب والجبر والمقابلة في عدن ، وصار المرجع إليه فيها كلها ، أخذها عن والده ، وأغلب الفَرَضيين في عدن من تلاميذه وتلاميذ أبيه[4] ، وقد شهد له أبوه بالإجادة ، بل قال : " هو أمهر مني ... "[5] ، وبالمثل كذلك كان ابنه الآخر الفقيه عبدالله بن عبدالله بن أحمد بامخرمة الشهير بالعمودي (ت٩٠٣هـ / ١٤٩٨م) ، فقد كان له اشتغال بالحساب ، وهو على إجادة له ومعرفة تامة به ، درسه على يد أخيه الفقيه أحمد[6] .

ويذكر منهم أيضاً الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عمر البجلي (ت٩٢١هـ / ١٥١٥م) أحد كبار علماء زبيد وأئمتها ، كان له مشاركة في علوم الرياضيات ، لذلك فقد صنف فيها كتابان هما : (مفيد الحاسب)[7] وشرحه (كشف الأسرار الغوامض عن مخبئات البرهان الرائض)[1] .

---

(1) البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٤٩ ، بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٥٥ ، ابن الديبع ، **بغية المستفيد** ، ص ٢٠١.

(2) بامخرمة ، **المصدر السابق** ، ج ٣ ص ٧٨٢ ، ٧٨٣ .

(3) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ٣٢ .

(4) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٩١ ، ٧٩٢ ، العيدروس ، **المصدر السابق** ، ص ٥٧ .

(5) العيدروس ، **المصدر السابق** ، نفس الصفحة .

(6) بامخرمة ، **قلادة النحر** ، ج ٣ ص ٧٨٥ .

(7) منه نسخة مخطوطة بقلم المؤلف بمكتبة الجامع الكبير الغربية تحت رقم (٩ فقه) وأخرى تحت رقم (١ رياضيات)، ونسختان بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ، تحت رقم (١٤٠٢ و ١٤١٩) ، ونسخة

ومن العلماء المذكورين هنا أيضاً الإمام جمال الدين محمد بن عمر بن مبارك بَحْرَق (٩٣٠هـ / ١٥٢٤م) المشهور بسعة علمه وشمول معارفه ، كانت له في الرياضيات مشاركة تمخض عنها كتابه (تحفة الطلاب في شرح اللباب في أصول الحساب)[٢] ، وله كذلك أرجوزة في علم الحساب وشرح عليها[٣] .

وورد في كتاب (أعلام المؤلفين الزيدية)[٤] أن الإمام العلامة محمد بن يحيى بن أحمد بَهْرَان الصَّعْدي (ت٩٥٧هـ / ١٥٥٠م) قد صنف كتاباً في سماه (المَلاحة في علم المساحة) غير أنه لم يشر – على غير عادته – إلى أماكن وجود نسخ من الكتاب .

وإجمالاً فقد كان للعلوم الرياضية اهتمام كبير في الأوساط العلمية اليمنية في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، وما أوردناه هنا يمثل انعكاساً لذلك الاهتمام ، وفي حضور القناعة التامة بأن المصادر التاريخية لم تسجل كل جهود العلماء في كل فروع المعرفة ، بل ولم تأت كذلك على ذكر كل العلماء الذين عاشوا في تلك الفترة وغيرها – من قبل ومن بعد – فأنه من غير المستبعد أن يكون هناك من هو في منزلة من ورد ذكرهم إن لم يَفُقْهُم ، وقد تجاوزنا هنا ذكر عدد ممن أشارت إليهم وذكرت أن العلوم الرياضية كانت في دائرة عنايتهم ، وأخبارهم في كتب التراجم وبعض مصادر الدراسة[٥] .

أخرى في مكتبة الأصفية ، كما أن هناك نسخة سادسة في مكتبة محمد بن قاسم للبحر الخاصة بمدينة الزيدية في اليمن ، الحبشي ، **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، ص ٥٧٩ .

(1) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ، تحت رقم (١٤٢٧) ، **المرجع السابق** ، نفس الصفحة .

(2) منه نسخة مخطوطة بمكتبة الأوقاف في بغداد ، تحت رقم (٢٩٣٢) ، **المرجع السابق** ، ص ٥٧٩ .

(3) العيدروس ، **النور السافر** ، ص ١٣٦ ، الشِّلي ، **السنا الباهر** ، ص ٢١٢ .

(4) الوجيه ، **أعلام المؤلفين الزيدية** ، ص ١٠٢١ .

(5) بعضهم عند البريهي ، **طبقات صلحاء اليمن** ، ص ٢٢٨ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ ، ٢٨٧ ، الأهدل ، **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، ج ١ ص ٤١٤ ، ج ٢ ص ٧٦ ، ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ٢ ص ٦٣٦ .

الخاتمة

في ختام هذه الدراسة ، وبعد هذا التطواف مع معظم مصادر تاريخ اليمن العلمي والحضاري وبعض مَراجِعِه ، خلصت إلى عدد من النتائج ، أهمها ما يأتي :

(١) أن التاريخ الحضاري والعلمي لليمن كان يشكل منحىً مرتفعاً طوال القرون العشرة الأولى من تاريخه الإسلامي ، وفي وتيرة شبه مضطردة ، مختلفاً في ذلك تمام الاختلاف عن مجريات التاريخ السياسي والعسكري له الذي كان دائم الانحدار تقريباً ، حتى كاد يتسم الوضع بالانعدام الدائم للاستقرار الأمني .

(٢) أن التنافس والصراع ذي الأبعاد المذهبية والعقائدية – بين الفِرَق – في اليمن طوال فترات ما قبل مدة الدراسة قد كان منبعاً لكثير من أشكال التراث العلمي اليمني ، وعامل تحفيز للعلماء للتأليف والتصنيف والاشتراك في المناظرات والمساجلات ، بصورة ربما لم تكن لتحدث بتلك الكثافة والغزارة في غياب ذلك التنافس والصراع .

(٣) أن كثافةَ الأنشطة العلمية والأنشطة العلمية المضادة وحِدَّتَها قد خَفَتَتْ بين الأطراف المذهبية في اليمن ، وندرت شواهدها في مدة الدراسة ، ولكنها لم تنعدم قطعاً ، إلا أنها تعددت بين أبناء المذهب الواحد ، كما جرى بين الشافعية، إذ تجادل وتناقش – بالصورة المباشرة وغير المباشرة – القائلين بالعقيدة الأشعرية مع غيرهم من الحاملين للعقيدة الحنبلية ، أو بين الطرفين – في كفة – وبين المتصوفة القائلين بعقيدة الحلول والاتحاد الفلسفية في كفة أخرى ، وجميع الأطراف – من الناحية الفقهية – أتباع للمذهب الشافعي .

(٤) أن حكام اليمن في مدة الدراسة – كلهم تقريباً – بالرغم من انهماكهم في الصراعات العسكرية والسياسية الدائرة ، كانوا علماء كبار ، ومعظمهم تركوا مصنفات غزيرة في شتى فروع المعرفة ، بل إن بعضهم كان قبلة للعلماء للتلقي عنه لا لتدريسه ، وكان في مقدمتهم الأئمة الزيدية ، الذين لم يبوأوا مناصب الإمامة ألا بعد بلوغهم درجة الاجتهاد .

(٥) أن حكام اليمن وأعيان المجتمع وشرائحه الغنية قد رعت العلم وأهله وطلبته وكفلتهم ، فوفرت لهم الكثير من التسهيلات اللازمة لطلب العلم وتدريسه وتحصيله ، وتعددت المنشآت التعليمية كالمدارس والهجر والجوامع والأربطة ،

ثم أحاطوهم بالعناية والحماية ، فكان ذلك من أسباب عدم تأثر الحياة العلمية بالصراعات الدموية المحيطة بهم .

(٦) أن اليمن لم يختلف عن غيره من الأقطار الإسلامية الأخرى في أشكال أنظمة التعليم ومحتوياتها من مقررات وطرق ووسائل للتدريس والتلقي ، اللهم إلا ما كان مرتبطاً بالتباين المذهبي والعقائدي ، كما تشابه تماماً مع غيره من الأقطار في الأماكن التي كانت مسرحاً للدراسة ، من كتاتيب ومدارس وجوامع وأربطة .

(٧) أن ثمة اختلافين كبيرين بين اليمن وغيره فيما يتعلق بأماكن التعليم ، أولاهما بشأن انتشار الهِجَرِ العلمية التي تضمنت هذه الدراسة تفاصيل مهمة عنها ، من ناحية طبيعتها ومواقعها ، ومن ناحية أدوارها الاجتماعية والعلمية ، وثاني الاختلافين هو أن أغلب أماكن التعليم باليمن كان منتشراً في مناطق الريف أكثر مما هو في المناطق الحضرية .

(٨) أن الأماكن التعليمية التي بُنِيَتْ في المناطق الواقعة تحت السيطرة الرسولية ثم الطاهرية كانت أكثر حظاً من العناية والاهتمام الرسمي ، فقد كان لها – في الغالب – هيئات تدريسية ثابته ، تخضع لشروط صارمة ومحددة ، وتشمل كل التخصصات الدراسية المهمة ، وبما يغطي كِلا المرحلتين التعليميتين ، وتتقاضى عائدات مادية وعينية تعينها على التفرغ العلمي ، وهو ما افتقدته نظائرها في المناطق الشيعية الزيدية ، إذ كان الدعم الشعبي الاجتماعي أكبر من الرسمي ، كما لم تتحدد معالم الهيئة التدريسية فيها ، فلم يوجد المحدث والقارئ وقارئ الحديث والمعيد والفقيه والناظر ... إلخ ، مع التأكيد أن ذلك لم يكن محل استنكار أحد من العلماء هناك ؛ لأن الأدوار الوظيفية لأماكن التعليم في المناطق الزيدية قد أديت بشكل سلس وجيد أيضاً .

(٩) أن قرب اليمن – من الناحية الجغرافية – من الحرمين الشريفين كان أحد روافد الحياة العلمية فيه ، فقد كان الحرمان الشريفان حلقة الوصل الكبرى بين العلماء اليمنيين وبين أقرانهم ونظرائهم ، وهناك وُجِّهَتْ الدعوة إلى عدد كبير من العلماء المسلمين فكانت وفادتهم على اليمن .

(١٠) أن كثرة الوافدين من العلماء الكبار والمشهورين والمبرزين في العالم الإسلامي إلى اليمن قد كان أحد أكبر العوامل التي أدت إلى نشاط الأوساط العلمية ،

كانتشار ألقاب (المقرئ) والمبرزين في علوم القرآن بعد زيارة المقرئ الشهير الإمام محمد بن محمد الجزري ، أو شيوع لقب (الحافظ) و (المحدث) بعد الزيارتين اللتين قام بهما شيخ الإسلام الإمام ابن حجر العسقلاني إلى اليمن، وقد كان أولئك الوافدون حلقة الوصل الثانية بين علوم الأقطار العربية الأخرى وبين اليمن .

(١١) أن خلفيات الصراع الذي أدى إلى انتفاء وجود بعض الفرق في بلاد الزيدية كالخوارج والحسينية والمطرفية – في مرحلة ما قبل القرن التاسع الهجري – قد أدى إلى استمرار انتعاش بعض العلوم الفلسفية هناك كعلم الكلام مما أدى إلى زيادة اقتراب الزيدية من المعتزلة إلى درجة كبيرة جداً .

(١٢) بالمقابل شهدت بلاد الزيدية حالة من الانفتاح على أهل السنة في المناطق اليمنية الأخرى أو خارج اليمن ، فكثرت الإشارات إلى تلقيهم لعلوم أهل السنة على أيدي رجالها ، فيما كان الانفتاح من قبل قائماً على مستوى تلقي علوم السنة عبر مؤلفات أهلها ومصنفاتهم ، فأدى ذلك إلى سيادة حالة من التآلف الكبير بين عدد كبير من رجال الطرفين .

(١٣) أن الانفتاح الزيدي على أهل السنة قابله انفتاح مقابل من قبل علماء الشافعية ، فتوجه عدد منهم – في صور فردية – للتلقي على أيدي علماء الزيدية في معاقلها ، كما أن ذلك تمخض عن نشوء فريق من رجال الزيدية أنفسهم – ممن تأثر بعلوم أهل السنة – يقوم بالاعتراض والرد على رفاقهم من العلماء الزيدية الآخرين ، سواء فيما يخص مواقفهم من بعض علوم السنة ومناهج أهل الحديث أو فيما يخص موقفهم من المعتزلة وعقائدها ، فكان ذلك سبباً في تأليف عدد كبير من أفضل مؤلفات أهل اليمن ، بعضها استحق أن يسمى بالموسوعة ، كـ(العواصم والقواصم) للإمام محمد بن إبراهيم الوزير .

(١٤) وجدت شواهد – مع قلتها – تدل على أن ذلك التآلف والتواد لم يكن القاعدة الشاملة للجميع ، منها التعارض بالقصائد الهجائية بين الفقهاء والعلماء أنفسهم على خلفيات التنافس السياسي والمذهبي ، وكان البعض يحرض حكامه على البعض الآخر ويتهكم ويسخر من عقائده ومن اختياراته الفقهية ، كما وقع بين المقرئ السحولي والفقيه أحمد الشامي ، وبين الفقيه أحمد الشامي والإسماعيلية الباطنية في ذي مرمر وبعض معاقلهم القريبة من صنعاء .

(١٥) أن المصادر التاريخية قد غمطت حق المرأة اليمنية في رصد أدوارها العلمية ، وقد عكست طرفاً من أدوراهن الترجماتُ التي وردت لبعض النساء اللواتي كن أكثر حظاً من غيرهن بوجود من ترجم لهن ، بالرغم من أن ترجماتهن قد جاءت بسبب قرابتهن – رَحِماً – من أعلام مشهورين .

(١٦) أن علماء اليمن كانوا الضابط الأكبر لأداء الحكام والسلاطين في المناطق السنية ، وأنهم كانوا رقماً صعباً في حسابات كل الشرائح اليمينة ، فكان الحاكم لا يستطيع الاحتجاب عنهم – رغبة ورهبة – وكانوا لا يألون جهداً في خدمة الفقراء والسعي بما يصلح بين المتخاصمين ، ولو كان أحد الأطراف السلطان نفسه .

(١٧) أن العلماء في المناطق الشيعية الزيدية لم يُعرف عنهم انتقاد أئمتهم أو الاحتجاج عليهم – إلا ما كان نادراً لا حكم له – ومرد ذلك إلى أحد سببين محتملين ، الأول : أن الأئمة الزيدية أنفسهم كانوا على قدر كبير من العلم الشرعي الذي كان عاصماً لهم من اقتراف ما يستوجب الاحتجاج والانتقاد ، وهذا القول يعتريه مخالفة الطبيعة البشرية المعرضة للوقوع في الخطأ ، والثاني : أن العلماء كانوا يقدسون الأئمة لمكانتهم التي أولتها لهم العقيدة الزيدية التي تجعلهم أفضل الخلق من الأحياء ، مما يشكل حاجزاً نفسياً يمنع من الخواطر الفكرية للاعتراض فما بالنا بالتحرك الإيجابي في ضوئه .

(١٨) أن اختلاف المذهب لم يكن مانعاً للعلماء اليمنيين – في مدة الدراسة – من التواد والتآلف ، حتى لو لم تربطهم علاقة التلمذة والمشيخة ، فوجدت بينهم الرسائل الإخوانية ، وعبر بعضهم عن تأييده للبعض الآخر في موقفه مما اعتُبِرَ خروجاً من الدين ومروقاً عنه ، ومثال ذلك مراسلات الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير الزيدي والإمام إسماعيل بن أبي بكر المقرئ الشافعي بشأن التصدي للمتصوفة من أتباع ابن عربي وابن الفارض القائلين بوحدة الوجود في تهامة .

(١٩) أن النزعة الزيدية العقلية في مدة الدراسة التي ارتبطت بالمعتزلة والفكر المعتزلي قد أوجد مساحة جغرافية يمنية واسعة لم تصل إليها تأثيرات تيارت الصوفية كما حصل في مناطق السنة الشافعية والحنفية ، وإن وجد من يوصف بالتصوف فهو أقرب ما يكون إلى تصوف القدماء الملتزم منه إلى التصوف

الفلسفي الذي شهد مدة ازدهاره في مطلع القرن التاسع الهجري في تهامة وحضرموت .

(٢٠) أن المذهب الحنفي – فقهاً ورجالاً – كان يتيماً في اليمن إذا ما قورن بالانتشار الواسع للشافعية بالدرجة الأولى ثم للزيدية ، وأن الأحناف قد قصروا كثيراً في تدوين علومهم والترجمة لأعلامهم إلى حد انعدام كتاب واحد يتناول تاريخهم وجهودهم في خدمة مذهبهم ، وأن ذكرهم – إن وُجِدَ – فهو بسبب تتلمذ غيرهم على أيديهم .

(٢١) أن الإسماعيلية – كمذهب شيعي فلسفي – كان لها وجود متناثر في مجموعة من المناطق الحصينة في حراز ووصاب وأقصى شمال اليمن ناحية نجران ، إلا أن ذلك التواجد كان مقروناً بحالة من الخوف والتربص مما أدى إلى اختفاء معظم تراثها المكتوب المتعلق بفقهها وعقائدها ، ومازال ذلك إلى يوم الناس هذا، وهو ما أدى إلى تعذر تناولها ضمن دراستنا هذه ، وجعل الحديث عنها أشبه بالرجم بالغيب منه إلى البحث العلمي الرصين .

(٢٢) أن المد والجزر السياسيين والعسكريين لم يكونا مؤثرين على انتسار المذاهب أو انحسارها ، فإذا ما وقعت منطقة جغرافية سنية تحت سيطرة زيدية شيعية فإنها تحتفظ – غالباً – بقناعاتها العقائدية واختياراتها المذهبية ، ولا تنحسر بسبب وجود قوة عسكرية تعتمد مذهباً فقهيا وعقائدياً مختلفاً ، وهو بالمثل مع الجانب الآخر ، فقد احتفظت صنعاء بمذهبها الزيدي الشيعي بالرغم من تكرار سقوطها في أيدي الرسوليين والطاهريين والأكراد والمماليك الشراكسة وهم كلهم من السنة الشافعية .

(٢٣) أنه على الرغم من أن اليمن قد ارتكز في تطوير العلوم لدى رجاله على إسهامات العلماء المسلمين خارج اليمن ، وأن سمة التقليد لأعلام الأمة من قِبَلِ أبنائه كانت صفة غالبة ، إلا أنه أنجب رجالاً رواداً في جوانب معرفية محددة ، منها ريادة الإمام المؤرخ الحسين بن عبدالرحمن الأهدل في كتابة أول سيرة ذاتية لنفسه ، لم يسبقه مؤرخ مسلم آخر إلى عملها على حد علمي .

(٢٤) أن عدداً كبيراً من المبرزين من علماء اليمن كان إسهامهم في الحياة العلمية كبيراً ، غير أنهم لم يقوموا بالتصنيف والتأليف لعلومهم التي أجادوها ، وكان جهدهم منحصراً في التدريس ، وهو ما أدى إلى غمط حقهم في التعريف بهم

وبجهودهم في عدد من الدراسات السابقة ؛ ولذلك كان التركيز على الحديث على (اهتمام اليمنيين بالعلوم وتصنيفهم فيها) في عناوين الفصول الثلاثة الأخيرة من هذه الدراسة لتلافي إهمال أمثال هذه الفئة فيما لو انحصر الحديث حول المصنفين منهم فقط .

(٢٥) من المدهش حقاً كثرة اهتمام العلماء اليمنيين في مدة الدراسة بالعلوم الشرعية واللغوية والأدبية ، وغزارة مصنفاتهم فيها ، إلى درجة أجبرت الباحث على إفراد فصلين كاملين لها في محاولة لرصد صور ذلك الاهتمام وتتبع مصنفاتهم فيها .

ملحق رقم (١)

رسالة تربوية (١) :

رسالة من الأمير نصير الدين أبي الطامي جيّاش بن نجاح (ت٤٩٨هـ/١١٠٤م) - حاكم زبيد - إلى مؤدب ولده حين سلمه إليه[١] :

" الأمانة ديانةٌ ، مُحَرَّمٌ فيها الخيانة ، والمرء مُرْتَهنٌ بعمله لِمَعَادِه ، فإن رَاعى فَمُرْعِيٌّ ، وإنْ أضاعَ فَمَجْزِيٌّ ، وقد رأيت انتدابك . . . فكن - أيدك الله - عند ظني بك ، إني آتيتك بضعةً مني . . .فذهبت إلى نوط الأمانة بك ، والحازم يوصي بالمال من قبله ، وأنا أوصيك بمن اكتسبت المال له ، فاستصفيتك، فاصف ذهنك بوصايتي ، واستكفيتك فيما أثرتك به عن كفايتي ، فخذه بالتعبيس والابتسام ، وعلمه وقار القعود وعدل القيام ، ولا تُسْئِمْه بطول المكث بين يديك ، ولا ترخي له في الإبطاء إن استأذنك ، ورَوِّضه بالصلوات في أوقاتها ؛ ليتمرن على أداء مفترضاتها ، وعلمه إسباغ الوضوء من ابتدائها إلى انتهائها ، وإذا أراد الكتابة فَسَوِّ قلمه ، وصور له وضع الخط بمثال التصوير في مواضعه ، وعلمه الفرق بين الواوات والقافات ، وعلمه ثلث المختلفات ؛ ليسلم له سلوك الصنعة من الآفات ، ولا تقبل من دواته إلا الإصلاح ، ومن أقلامه غير العقد الصحاح ، وعلمه كتاب الله ، فإنه الحبل المتين ، ولا ترخص له في نسيانه ، فإنه الخسران المبين ، وعلمه قراءة أبي عمرو ، فإنها أشهر القراءات في البدو والحضر ، واختر له مذهب الشافعي الشيخ محمد بن إدريس - رحمة الله عليه - فإذا بلغني فيه المأمول جزيتك الحسنى بمشيئة الله ، والله يبلغنا وإياك ، ويسعد عقبانا وعقباك ، والسلام الجزيل على المؤدب الجليل ورحمة الله وبركاته " .

---

[١] الجَنَدي ، السلوك ، ج ٢ ص ٥٠٦ ، ٥٠٧ .

ملحق رقم (٢)

رسالة تربوية (٢) :

رسالة من الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني (ت٣٩٣هـ / ١٠٠٣م) إلى ولده علي حين ولاه على بلاد وادعة من أرض اليمن[١] :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، تعلم يا بني - أرشدك الله وأسعدك - أن حكماء الأمة من جعل الأناة نصب عينيه وشعار قلبه ، ثم استظهر بآراء ذوي التجربة، الذين كثرت عليهم نوائب الزمان وتتابع الحدثان ، وأنت غر من الزمان وما يدور به على الإنسان ، فإن استشرت من قد نقحت التجربة عقله، رشدت وسعدت ، وليس كل الناس يستشار ، فإنما الرأي لأهل العقول الرصينة والديانة والأمانة ، وليس رأي الواحد يكاد أن يبين صوابه إلا لمحصل حكيم ، فإذا أردت بيان الرأي فشاور جماعة من ذوي الرأي كلاً على حياله ، فإن اتفقت آراؤهم فلن يكون مع الإجماع خطأً ، وإن افترقت واختلفت فخذ منها بما أوجب العفو والأناة ، واجعله المقدم ، فإنك مع ذلك ستدرك الفائت وتأمن الندامة ، فهذا وجه اجعله مقدم أحوالك ، واجعل لجميع متصرفاتك أن تستشير في مأكلك ومشربك ما لا مشورة فيه ولا غنى عنه ، لكن ضربته مثلاً؛ لئلا تدع المشورة في صغير ولا كبير ، ولا قليل ولا كثير ، الله الله واحذر نفسك ، فإنها من أعدى أعدائك لك ، وأشدهم مضرةً عليك ، وقد قال الله تعالى:"إن النفس لأمارة بالسوء"[٢] وقال عز وجل:"وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى"[٣] والهوى فاصل كل معصية ، وإذا خطر ببالك خاطران فخذ بأكرهما إليك ، فإن الرشد فيما تكرهه النفس ، وسوف تدعوك نفسك إلى الدنيا وزينتها

---

(1) المحلي، الحدائق الوردية ، ج ٢ ص ١١٧، ١١٨ .

(2) سورة يوسف ، الآية رقم ٥٣ .

(3) سورة النازعات ، الآيتان رقم ٤٠ ، ٤١ .

من وقتك هذا إلى آخر عمرك ، فإن أجبت دعوتها وضعك ذلك وأذهب بهاك ، ونظر إليك بعين الدنائة من عاداك ، وساء ذلك من والاك ، والزم الصبر ، فإن الصبر مفتاح الفرج ، وقل من صبر فلم يحصل حاجته ، واستعمل عن كل ما تدعوك نفسك إليه الصبر ، وأحذرك إدناء من ينقصك إدناؤه ، وتقلل من الناس ما استطعت ، فإن مثل خيارهم كمثل الدر ، ومثل شرارهم كمثل الصخر ، فالدر خفيف محمله كثير منفعته ، والصخر ثقيل محمله قليل نائله ، واحذر الرغبة في الدنيا ، فإنها فضاحة كشافة ، وليس تدرك لها غاية ، واحذر أن تطلب حوائجك معاً فيثقل عليك مطلبها ، ويحزنك فوتها ، واطلبها بدداً فإن ذلك أحرى لنيلها ، وأخف لتكلفها لمن كلفها ، فهذا وجه فاعرفه ولا تغلط فيه ، وهو الذي أخل بكل من دخل في مدخلك ، فكن بمعزل عما يغنيك ، ولست تحظى بشيء قد وصيتك به إلا أن تتقي الله وتقوم بما حض عليه ، ولا تذر اكتساب العلم والاقتداء بآثار العلماء والحكماء ، وهذا مفتاح الرزق ، والنجاة من غضب الخالق ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:"من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار" والسلام ، والله يحفظك ويصلحك ويوفقك" .

ملحق رقم (٣)

رسالة تربوية (٣) :

كتب علي بن حرب المُطَرّفيّ إلى المؤدب الذي اختير لابن أخته أحمد بن القاسم الربعي[1]:

" إني قد أتيتك بغلام عاقل ، فلا ترده إلي مجنوناً ، إياك أن تفزعه حتى يستشعر الخوف منك فيشرده خوفك ، فإنك متى فعلت ذلك لم آمن أن تعلمه فلا يفهم ، أو تدعوه فلا يأمن أن تكون تريد به شراً ، اغتنم أوقات نشاطه وإقباله إليك ، ولا تتبع حالات ضيقه وفتوره، ولا تغلظ عليه عند زملائه" . .

(1) اللحجي ، طبقات مُسَلّم اللَّحْجي ، ج ٤ ص ٩٥ .

ملحق رقم (٤)

حكام الدولة الرسولية باليمن[1]:

الملك (السلطان)	مدة حكمه
١) المنصور الأول عمر بن علي بن رسول (نائباً للأيوبيين) المنصور الأول عمر بن علي بن رسول (سلطاناً)	٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ٦٢٨ – ٦٤٧هـ / ١٢٣٠ – ١٢٤٩م
٢) المظفر يوسف بن المنصور الأول عمر بن علي بن رسول	٦٤٧ – ٦٩٤هـ / ١٢٤٩ – ١٢٩٤م
٣) الأشرف الأول عمر بن المظفر يوسف بن المنصور الأول	٦٩٤ – ٦٩٦هـ / ١٢٩٤ – ١٢٩٦م
٤) المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور الأول عمر	٦٩٦ – ٧٢١هـ / ١٢٩٦ – ١٣٢١م
٥) المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور	٧٢١ – ٧٦٤هـ / ١٣٢١ – ١٣٦٢م
٦) الأفضل العباس بن المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر	٧٦٤ – ٧٧٨هـ / ١٣٦٢ – ١٣٧٦م
٧) الأشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل العباس بن المجاهد	٧٧٨ – ٨٠٣هـ / ١٣٧٦ – ١٤٠٠م
٨) الناصر الأول أحمد بن الأشرف الثاني إسماعيل	٨٠٣ – ٨٢٧هـ / ١٤٠٠ – ١٤٢٣م
٩) المنصور الثاني عبدالله بن الناصر الأول أحمد بن الأشرف	٨٢٧ –٨٣٠هـ / ١٤٢٣ – ١٤٢٦م
١٠)الأشرف الثالث إسماعيل بن الناصر الأول أحمد	٨٣٠هـ –٨٣١هـ / ١٤٢٦ – ١٤٢٧م
١١)الظاهر يحيى بن الأشرف الثاني إسماعيل بن الأفضل	٨٣١ – ٨٤٢هـ / ١٤٢٧ – ١٤٣٨م
١٢)الأشرف الرابع إسماعيل بن الظاهر يحيى بن الأشرف	٨٤٢ – ٨٤٥هـ / ١٤٣٨ – ١٤٤١م
١٣)المظفر الثاني يوسف بن عمر بن الأشرف الثاني إسماعيل	٨٤٥ – ٨٥٤هـ / ١٤٤١ – ١٤٥٠م

وقد نافسه على عرش السلطنة كل من :

- المفضل محمد بن إسماعيل بن عثمان بن الأفضل العباس ، خرج من زبيد في المحرم من سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢م واستمر إلى ربيع الأخر من العام نفسه .
- الناصر الثاني أحمد بن الظاهر بن يوسف بن عبدالله بن المجاهد علي ، خرج في زبيد في رجب سنة ٨٤٦هـ / ١٤٤٢م واستمر حتى ربيع الأول من سنة ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م .
- المسعود صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف الثالث إسماعيل بن الناصر الأول أحمد ، نافسه من ربيع الأول سنة ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م حتى تنازل له المظفر الثاني عنها سنة ٨٥٤هـ / ١٤٥٠م .

الملك (السلطان)	مدة حكمه
١٤)المسعود صلاح الدين أبو القاسم بن الأشرف الثالث	٨٥٤ – ٨٥٨هـ / ١٤٥٠ – ١٤٥٤م

- وقد نافسه على عرش السلطنة المؤيد حسين بن الظاهر يحيى الذي خرج في زبيد سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م ، واستمر خروجه على المسعود صلاح الدين حتى خرج من عدن فدخلها هو ، وسقطت سلطنة الدولة الرسولية عندئذ بتنازله عن الحكم لبني طاهر سنة ٨٥٨هـ / ١٤٥٤م .

---

[1] عبدالله قائد العبادي ، الحياة العلمية في زبيد في عهد الدولة الرسولية ، ص ٤٥٧ ، ٤٥٨.

ملحق رقم (٥)

حكام الدولة الطاهرية باليمن[1]:

الملك	مدة حكمه
(١) الملك الظافر الأول عامر بن طاهر بن معوضة	٨٥٨ – ٨٦٤هـ / ١٤٥٤ – ١٤٥٩م متصدراً على العرش ٨٦٤ – ٨٧٠هـ / ١٤٥٩ – ١٤٦٦م بالاشتراك مع أخيه الملك المجاهد علي بن طاهر
(٢) الملك المجاهد علي بن طاهر بن معوضة	٨٥٨ – ٨٦٤هـ / ١٤٥٤ – ١٤٥٩م بالاشتراك مع أخيه الملك الظافر عامر بن طاهر ٨٦٤ – ٨٨٣هـ / ١٤٥٩– ١٤٧٨م متصدراً على العرش ثم منفرداً بعد وفاة أخيه الظافر
(٣) الملك المنصور عبدالوهاب بن داود بن طاهر بن معوضة	٨٨٣ / ٨٩٤هـ / ١٤٧٨ – ١٤٨٩م
(٤) الملك الظافر الثاني عامر بن عبدالوهاب بن داود بن طاهر	٨٩٤ – ٩٢٣هـ / ١٤٨٩ – ١٥١٧م
(٥) عامر بن داود	٩٢٣ – ٩٣٣هـ / ١٥١٧ – ١٥٢٦م

---

(١) اعتماداً على : د. محمد عبدالعال أحمد ، بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما ، بامخرمة ، قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر ، ابن الديبع ، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد ، المدخلي ، الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري .

ملحق رقم (٦)

الأئمة الزيدية في فترة الدراسة[1]:

الإمام	مدة إمامته
(١) المنصور بالله علي بن الناصر صلاح الدين	٧٩٣ – ٨٤٠هـ / ١٣٩١ – ١٤٣٦م
(٢) الهادي إلى الحق لدين الله علي بن المؤيد	٧٩٦ – ٨٣٦هـ / ١٣٩٤م – ١٤٣٢م
(٣) المهدي لدين الله صلاح بن علي	٨٤٠ – ٨٤٩هـ / ١٤٣٦ – ١٤٤٥م
(٤) المنصور بالله الناصر بن محمد	٨٤٠ – ٨٦٧هـ / ١٤٣٦ – ١٤٦٢م
(٥) المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي	٨٤٠ – ٨٧٩هـ / ١٤٣٦ – ١٤٧٤م
(٦) المؤيد بالله محمد بن الناصر بن محمد	٨٦٩ – ٩٠٨هـ / ١٤٦٥ – ١٥٠٢م
(٧) الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن	٨٧٩ – ٩٠٠هـ / ١٤٧٤ – ١٤٩٥م
(٨) المنصور بالله محمد بن علي السراجي الوشلي	٩٠٠ – ٩١٠ / ١٤٩٥ – ١٥٠٤م
(٩) الناصر لدين الله الحسن بن عز الدين بن الحسن	٩٠٠ – ٩٢٩هـ / ١٤٩٥ – ١٥٢٣م
(١٠) المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين	٩١٢ – ٩٦٥هـ / ١٥٠٦ – ١٥٥٧م

(1) أشواق أحمد مهدي غليس ، **التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن** ، مكتبة مدبولي ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٢١٣ ، ٢١٤ .

ملحق رقم (٧)

إحدى أسانيد رواية صحيح البخاري في اليمن في القرن الهجري التاسع[1] :

- الإمام نفيس الدين سليمان بن إبراهيم بن عمر العلوي الحنفي (ت٨٢٥هـ / ١٤٢٢م) .
- عن والده الإمام الحافظ أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوي الحنفي (ت٧٥٢هـ / ١٣٥١م) . .
- وعن الإمام شرف الدين أبي عمران موسى بن مري بن رباح الغزولي الحنفي الدمشقي الزُّبَيْدي (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م) . .
- عن أبي العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن علي بن حسن بن بيان، عرف بابن الشحنة (ت٧٣٠هـ / ١٣٢٩م) . .
- عن الشيخ الإمام الحسين بن المبارك بن عمران بن مسلم الزَّبِيْدي (ت٦٣١هـ / ١٣٣٠م) . .
- عن الشيخ الصالح أبي الوقت عبدالأول بن علي بن شعيب الصوفي الهروي السجزي (ت٥٥٣هـ / ١١٥٨م) . .
- عن الشيخ أبي الحسن عبدالرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ الداوودي (ت٤٦٩هـ/١٠٧٧م) . .
- عن الشيخ أبي محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه الحموي السرخسي (ت٣٨١هـ / ٩٩٢م) . .
- عن الشيخ الصالح محمد بن يوسف بن مطر الفربري بفربر (ت٣٢٠هـ / ٩٣٢م) . .
- عن الشيخ الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري (ت٢٥٦هـ / ٨٧٠م) . .

قال الإمام نفيس الدين سليمان بن إبراهيم العلوي معلقاً عن سند صحيح البخاري المتصل إليه :

" فبيني وبين البخاري سبعة رجال ، وللمجاز له ثمانية رجال ، وهذا غاية العلو في وقتنا ، قال مشائخنا : ليس على وجه الأرض أعلى من هذا السند ، وإنما كان كذلك لأن كلاً من المشائخ عُمِّرَ مائة أو قريباً منها أو زيادةً عليها " .

---

[1] الوزير ، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، ج ١ ص ٢٦ – ٣١ .

ملحق رقم (٨)

إحدى أسانيد رواية صحيح البخاري في زبيد باليمن في القرن الهجري العاشر[١] :

- تقي الدين أبو العباس حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي الناشري (ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م) . .
- عن قاضي القضاة الإمام محمد الطيب بن أحمد بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) . .
- عن والده القاضي شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن علي بن محمد الناشري (ت٨١٥هـ / ١٤١٢م) . .
- عن والده القاضي رضي الدين علي بن محمد بن أبي بكر الناشري . .
- عن الإمام الحافظ أبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخي (ت٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) عن والده الإمام الحافظ أبو الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخي (ت٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) . .
- عن الإمام ضياء الدين أبي بكر بن أحمد الشراحي . .
- عن الشيخ الإمام العلامة أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف . .
- عن الشيخ أبي الحسن علي بن حميد بن عمار الأنصاري الطرابلسي . .
- عن أبي مكتوم عيسى بن أبي ذر عبدالله بن محمد الهروي . .
- عن والده الإمام الحافظ أبي ذر عبدالله بن محمد الهروي . .

وأبو ذر الهروي رواه عن ثلاثة هم : .

- الإمام أبي محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه السرخسي الحموي (ت٣٨١هـ / ٩٩٢م) . .
- والإمام أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم المستملي . .

---

(١) الناشري، انتهاز الفرص في الصيد والقنص، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، ط ١ ، ٢٠٠٢م ، ص ٦١ ، ٦٢ .

ملحق رقم (٩)

أنموذج لإجازة علمية أصدرها عالم سني حنفي في القرن التاسع الهجري باليمن

نص الإجازة التي منحها المحدث نفيس الدين العلوي بمدينة تعز للإمام محمد بن إبراهيم الوزير[1] :

" بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافي مزيده ، لا نحصي ثناءً عليه ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد النبي المي ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذراته وأصهاره ، كلما ذكرهم الذاكرون وغفل عن ذكرهم الغافلون ، وبعد : فإنه شرفني الله تعالى ورحل إليَّ وقدم عليَّ إلى بلدي تعز المحروس – مستقر المملكة اليمنية الرسولية ، عمرها الله بالعلم الشريف – الشريف سيدنا الإمام حقاً والمجتهد صدقاً ، الفائق على أقرانه من الأغصان النبوية والأفنان المصطفوية ، المؤيد بالتأييد الإلهي ، المختار لله تعالى ، الموفق في اجتهاده ، جمال العترة النبوية : محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل بن منصور بن محمد العفيف بن المفضل الحسني السُّنِّي بحمد الله تعالى ، وسمع من لفظي ، وقرأ عليَّ ثلث كتاب (الجمع بين الصحيحين) – صحيح البخاري ومسلم رحمة الله عليهما – جمع الإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح بن حميد الأزدي الحميدي ، الأندلسي ، الظاهري المذهب ، من كبار تلامذة ابن حزم ، مولده في سنة عشرين وأربعمائة ، أجمع العلماء أنه لم يكن في العلماء له نظير في براعته وعفته وورعه ، وتوفي سابع عشر من ذي الحجة (٤٨٨هـ / ١٠٩٥م) ، وأجزته باقي الكتاب لأهليته لذلك ودينه وأمانته وعلمه وبراعته ، وسمع معه ما ذكرته الفقيه الصالح النبيه صالح بن قاسم بن سليمان بن محمد الحنبلي ثم المعمري القادم معه وآخرون من بلادنا ، وأخبرتهم أني قرأته على شيخي الإمام الحافظ المجتهد المقدم على مقرئي كتاب الله تعالى أبي الحسن موفق الدين علي بن أبي بكر بن محمد بن شداد المقرئ الهمداني ، ومولده سنة (٦٩٤هـ / ١٢٩٤م) ووفاته

---

[1] الوزير ، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ، ج ١ ص ٢٦ – ٣١ .

في شهر شوال سنة (٧٧١هـ /١٣١١م) قال : أنا الشيخ الإمام الحافظ المجتهد أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي الخير بن منصور بن أبي الخير الشماخي السعدي ، ومولده في سنة (٦٥٧هـ / ١٢٥٩م) ووفاته سنة (٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) ، قال : أنا والدي الإمام الحافظ المجتهد أبو الخير ، ومولده في سنة (٦١١هـ / ١٢١٤م) ووفاته في (٦٧٣هـ / ١٢٧٤م) قال : أخبرنا الحافظ أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن علي بن عبدالعزيز الفشلي ، قال أنا الإمام برهان الدين أبو الفرج نصر بن علي الحصري البغدادي ، عرف بالبرهان ، بروايته عن أبي الفتح عبدالباقي بن أحمد الحنفي ، عرف بابن البطي ، بروايته عن الحميدي . .

وأرويه عن والدي الإمام الحافظ أبي إسحاق برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوي الحنفي ، إجازةً منه لي في سنة (٧٥٢هـ / ١٣٥١م) ، قال : أنا الإمام أحمد بن أبي الخير بسنده ، قال والدي رحمه الله : أخبرنا الإمام الحافظ أبو الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزي والشيخ الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي وغيرهما قالا : أخبرنا الشيخ المسند علي بن أحمد البخاري عن الإمام أبي محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم بروايته عن الإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي بروايته عن المصنف الحميدي . .

وأرويه عن والدي عن الذهبي قال : قرأته على أبي الفهم بن أحمد السلمي ، قال : أنا أبو محمد بن قدامه ، قال الذهبي : وقرأت على أبي سعيد الحلبي عن عبداللطيف بن يوسف ، قالا : أنا أبو الفتح محمد بن عبدالباقي عن الحميدي . .

وأجزته – أي الإمام محمد بن إبراهيم الوزير – وصاحبه جميع رواية صحيح الإمام الحافظ المجتهد المقلَّد ، المتبع لكتب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجامع الصحيح المسند من أمور سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه ومغازيه ، أبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي رحمه الله تعالى ، وأخبرته أني قرأته جميعاً على الشيخ الصالح العابد الناسك ، شرف الدين أبي عمران موسى بن مر بن رباح الغزولي الحنفي الدمشقي ، الزُّبَيدي المنسوب إلى القبيلة المعروفة ، رحمه الله

، وقد قدم علينا ديارنا إلى تعز المحروس من البلاد اليمنية في خامس ربيع الأول من سنة [٧٩٥هـ / ١٣٩٣م] وتم ذلك في ثلاثة وعشرين مجلساً ، آخرها يوم الخميس ثاني وعشرين شهر ربيع الأول من السنة المذكورة ، ومولده في سنة [٧٤١هـ / ١٣٤٠م] ، وتوفي عندنا في تعز المحروس في المدرسة المجاهدية في ليلة الأحد من شهر جمادى الأولى من سنة [٧٩٥هـ / ١٣٩٣م] ، وكأنه لم يصل إلينا إلا لنأخذ طريق الحجاز عنه بحققة فلله الحمد . .

ووالدي رحمه الله وآخرون قالوا : أخبرنا بالجامع الصحيح المذكورِ - الذي هو أصح الكتب بعد القرآن العزيز عند جماهير العلماء - الشيخُ الصالحُ الكبيرُ ، مُلْحِقُ الأصاغر بالأكابر ، والأحفاد بالأجداد - بعد أن استدعي به إلى مدينة دمشق المحروسة - أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن أبي النعم بن علي بن حسن بن بيان ، عرف بابن الشحنة ، الحجار ، وهو المعمر الذي أجمع علماء مصر والشام على الأخذ عنه لقرب سنده ، وعلو مشايخه ، ومولده سنة [٦٢٤هـ / ١٢٢٧م] ، وفاته في خامس وعشرين صفر من سنة [٧٣٠هـ / ١٣٢٩م] وبلغ عمره ١٠٦ رحمه الله تعالى ، قال : أنا الشيخ الصالح الحسين بن المبارك بن عمران بن مسلم الزبيدي - بفتح الزاي - ومات في صفر سنة [٦٣١هـ / ١٣٣٠م] ومولده في سنة [٥٤٥هـ / ١١٥٠م] ، قال : أنا الشيخ الصالح أبو الوقت عبدالأول بن علي بن شعيب الصوفي الهروي السجزي ، ولد في سابع ذي القعدة في سنة [٤٥٨هـ / ١٠٦٦م] ومات في ذي القعدة سنة [٥٥٣هـ / ١١٥٨م] قال : أنا الشيخ الفقيه أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود بن أحمد بن معاذ بن سهل بن الحكم الداوودي الشافعي ، ولد في شهر ربيع الآخر سنة [٣٦٤هـ / ٩٧٥م] ومات في شوال سنة [٤٦٩هـ / ١٠٧٧م] ، قال : أخبرنا الشيخ أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه الحموي السرخسي ، ومولده في سنة [٢٩٣هـ / ٩٠٥م] ومات في ذي القعدة لليلتين بقيتا منه سنة [٣٨١هـ / ٩٩٢م] قال : أنا الشيخ الصالح محمد بن يوسف بن مطر الفربري بفربر ، ولد في سنة [٢٣١هـ / ٨٤٥م] ومات سنة [٣٢٠هـ / ٩٣٢م] ، قال : أنا

الشيخ الإمام الحافظ أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري الجعفي مولاهم ، ومولده بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شوال سنة (١٩٤هـ / ٨٢٠م) وتوفي ليلة السبت ، هي الفطر بعد صلاة العشاء وذلك سنة (٢٥٦هـ / ٨٧٠م) ..

قلت : فبيني وبين البخاري سبعة رجال ، وللمجاز له ثمانية رجال ، وهذا غاية العلو في وقتنا ، قال مشائخنا : ليس على وجه الأرض أعلى من هذا السند ، وإنما كان كذلك لأن كلاً من المشائخ عُمِّرَ مائة أو قريباً منها أو زيادةً عليها . ..

وأجزته أيضاً رواية صحيح مسلم بن الحجاج بن مسلم بن الورد بن شاهنشاه القشيري ، ورواية سنن الإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، ورواية جامع الإمام أبي عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة بن سلمة بن الضحاك الترمذي ، وكتابه الشمائل ، ورواية سنن الإمام أبي عبدالرحمن النسائي ، وصحيح أبي حاتم بن حبان ، وابن خزيمة ، ومسند الشافعي ، وأبي حنيفة ، وغير ذلك . .

وسمع من لفظي الأربعين للإمام الحافظ القطب أبي زكريا يحيى بن شرف النووي في مجلس واحد ، وأجزته بحق سماعه لذلك من لفظه هو وصاحبه صالح المذكور بروايتي لها قراءةً على شيخي الإمام موفق الدين علي بن أبي بكر بن محمد بن شداد بروايته عن جبريل عن الحريري عن المؤلف . .

وأجزت الشريف المذكور رواية جميع ما أرويه من سائر العلوم الدينية ، فليروِ ذلك عني موفقاً مسدداً ، بتاريخ يوم الثلاثاء ثامن ذي القعدة سنة (٨٠٦هـ / ١٤٠٤م) ، وكان ذلك في منزلي من مدينة تعز المحروس حرسها الله ، وكتب العبد الفقير إلى الله تعالى سليمان بن إبراهيم بن عمر بن علي العلوي الحنفي ، خادم السنة النبوية ، لطف الله به وغفر له وتاب عليه ، وصلى الله على محمد وآله وصحبة وسلم تسليماً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل " . .

ملحق رقم (١٠)

انموذج لإجازة علمية أصدرها عالم شيعي زيدي في القرن العاشر الهجري باليمن[1]

نص الإجازة التي منحها الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين (ت٩٦٥هـ/١٥٥٧م) لأحمد بن عبدالله الوزير (ت٩٨٥هـ / ١٥٧٧م)[٢] :

قال الإمام شرف الدين – عليه السلام – في إجازته للمذكور ما لفظه بعد البسملة والحمدلة : " وبعد فإن السيد الولد[٣] ، الصدر ، العلم ، العلامة ، الحبر ، ، الغرة الشادخة في سادات العصر ، والسراج الوهاج في علماء الدهر ، شمس الدنيا والدين ، (نقطة البيكار في آل الأنزع البطين)[٤] ، ودرة التقصار في العترة الأطهار الطيبين : أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم أمتع الله بحياته ، وكثّر في أمثاله ، ومد عليه رواق رضوانه وإحسانه وبركاته ، سألنا إجازة فيما يأتي ذكره في هذه الورقات المباركة من علوم الدين ، ونحن من أهليته لما سأل ، ونبله وعرفانه وجمعه لخلال الكمال وكمال الخصال على يقين ، ولنذكر كلامه – أبقاه الله

---

(1) ابن المؤيد ، **طبقات الزيدية الكبرى** ، ج ١ ص ١٥٤ – ١٥٧ .

(2) قد يتبادر إلى الذهن لدى القارئ الكريم أن هذه الوثيقة لا تدخل في مدة الدراسة بالنظر إلى تاريخ وفاة طرفيها ، لذلك أقول : بإلقاء نظرة فاحصة إلى ما ورد في الفصل الثاني يتضح بجلاء أن كل الأنشطة العلمية التي قادها الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين كانت في الفترة التي أعقبت إعلان إمامته في سنة (٩١٢هـ / ١٥٠٦م) حتى دخول القوات العثمانية اليمن ؛ لأن الأيام لم تصفُ له بعد ظهورها على مسرح الأحداث في اليمن ، إذ أنها وضعت حداً لتفرده بامتلاك القوة الأبرز في الساحة ، فانكمش وجوده وانحسرت سيطرته بانكفاءه نحو مناطق الحصون والقلاع التي كانت منطلقه الأول ، وبالتالي لم يعد له متسع من الوقت والنفسية القادرة على البذل العلمي ، مما يجعلنا نرجح أن هذه الإجازة العلمية صدرت قبل العام (٩٤٥هـ / ١٥٣٨م) .

(3) دَرَجَ علماء اليمن وأئمتها المنتمين إلى آل البيت على مخاطبة التلميذ بـ (الوَلَد) وذلك عندما يكون مثلهم منتسباً آل البيت ، وهو ما اتضح هنا في العبارة أعلاه .

(4) لم أستطع التوصل إلى معنى منطقي لما بين القوسين مع ما بذلته من جهد في محاولة التأكد من أن الذي قام بتحقيق المصدر قد صحّفها .

- بلفظه ، ولنرقمه في هذه الورقات حرصاً على بقاه وحفظه ، والذي أذكره في سياق كتاب كريم وصل منه ، وفي أثناء خطاب عظيم ورد منه علينا ، فقال أمنه الله بحياته ، وحماه من محن الدهر ونكباته ، ما لفظه :

هذا وأصغر مماليك أمير المؤمنين يشرح لسمعه الكريم أنه لم يزل مُجمع العزم على الوصول إلى ذلك المقام ، على مر هذه الأيام وتوالي هذه الأعوام ؛ لتقبيل الأقدام ، والاشتفاء والتعبد بالنظر إلى الغرة الإمامية عليها أفضل السلام ، ثم لسماع كتب الحديث من طريق الآل الكرام ، كـ(شفاء الأوام) و (أصول الأحكام) ، فما زالت ممانعة الزمان حاجزة ، والهمة لمماطلة الأيام بحصول التأني عاجزة ، والحال منادية على وضوح العذر ، مصرحة ببيان موجبات التثاقل عن هذا الأمر ، والله المسؤول بمعاقد العز من عرشه ، ومنتهى الرحمة من كتابه ، أن يمن عليَّ برؤية سيدي أمير المؤمنين ، وعبده سائغ من تفضلاته ، متوصلاً إلى معلولاته بتطولاته ، أن يمن علينا بإجازة كريمة ، وإذن في رواية هذه الأمهات العظيمة : (شفاء الأوام) و (أصول الأحكام) و (وأمالي أحمد بن عيسى) و (الجامع الكافي) و (أمالي السيدين الإمامين المؤيد بالله وأبي طالب) و (أمالي المرشد بالله) و (مجموع الإمام زيد بن علي) ، وهو لي سماع على سيدي أمير المؤمنين في قصر صنعاء ، وكذلك كتب أهل البيت الفقهية ، وما احتوت عليه من الأحاديث النبوية ، وأما الكتب التي من طرقها الفقهاء فلينعم - كنت فداه - على وَلَدِه[1] -

بإجازة (جامع الأصول) ، وقد سمعت عليه - عليه السلام - لأكثر من النصف من (تلخيص ابن حجر) ، وسمعت (مشكاة المصابيح) المحتوية على جميع الأمهات على المقرئ محمد بن أبي بكر في مجالس عديدة ، بقراءة سيدي عبدالله بن أمير المؤمنين بعض تلك المجالس في الحضرة الإمامية ، وبعض (البخاري) على الفقيه صالح النمازي ، ، فلينعم - حفظه الله - بإجازة هذه الكتب ، وكذا ما كان مسموعاً له أو مجازاً في هذا الفن الشريف عن الإمام المنصور بالله محمد بن علي - عليه السلام - وعن حي سيدي

---

(1) في هذه اللفظة الاعتراضية - الوالد - تأكيد على ما سبق إيضاحه في الحاشية قبل السابقة .

إبراهيم ، وسيدي الهادي ، وعن جميع مشائخ الإمام الأعلام ، وأئمة الإسلام ، ليفيد ولده وعبده بذلك اتصال الإسناد الذي هو ذريعة الاتصال برسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ووصلة الوصول إلى رضوان الله سبحانه بالدخول في زمرة العلم النبوي ورجاله من طريقه التي هي أعلى طرق أهل البيت سنداً وشرفاً ، وروايته المتصلة بالجحاجحة الأعلام إلى المصطفى ، وإن أنعم على ولده وعبده بإجازة مسموعاته ومجازاته ومصنفاته نظماً ونثراً في كل فن فذلك فضل غامر على أصغر مماليكه ، ومَنْ وإن لم يكن عبده أهلاً لذلك ولا جديراً بالارتقاق على هذه الأرائك فهو جاد في التحصيل ، متثبت في الرواية ، راج من فضل الله وبركات سيده أمير المؤمنين أن يعين وييسر بلوغ تلك الغاية ، إنه جواد كريم ، سميع عليم[1] »، انتهى كلامه أبقاه الله ، وهو كما ترى جدير أن يكتب بماء الذهب ، وأن يحفظ مثله كي لا يُغفَل أو يذهب ، وقد ذيله – أبقاه الله – بما ترى من قوله : وإن لم يكن عبده . . . . إلى آخره ، على عادة الفضلاء ، وسلوكاً لمنهج النبلاء ، وعملاً بقول رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – :" اللهم اجعلني في عيني صغيراً وفي أعين الناس كبيراً " ، والولد – أبقاه الله تعالى – كبيراً عند الله وعند خلقه ، ونحن نعلم قطعاً ويقيناً أن هذه الورقات لا تسع لما يجب ذكره من محاسنه للقيام ببعض حقه ، وقد أجزنا له – أبقاه الله تعالى – كل ما كان لنا فيه طريق من طرق الرواية بالسماع والمناولة وبالإجازة ، وكل مصنفاتنا ومؤلفاتنا ومنظوماتنا ، وعلى الجمله فقد أجزنا له كل ما تضمنه الإجازة الكبرى التي أخذها عنا مَنْ عَرَفَه الولد – أبقاه الله تعالى – من أشياعنا وأتباعنا وأهل ولايتنا ، فليرو على نحوه المذكور ، جارياً على ما جرى عليه مثله من الأعلام الصدور ، أمدنا الله وإياه بمواد التوفيق »» انتهى " . .

---

[1] أن يبدأ العالم المُجيز باستعراض محتويات طلب الإجازة المقدم من المُجاز له هو ما لم أجده في العدد الكبير الذي توافر من الإجازات المختلفة – المسهبة والمقتضبة – في المصادر التي تم الحصول عليها ، وهو ما ميز هذه الإجازة ، إذ أنه من بدايتها حتى هذا الموضع قام الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين باستعراض نص طلب الإجازة الذي قدمة العلامة أحمد بن عبدالله الوزير ، وقد برر الإمام شرف الدين إقحامه الطلب في نص الإجازة في السطر التالي كما يأتي .

ملحق رقم (١١)

قاعدة تربوية (١) :

أورد الإمام المؤرخ بدر الدين الحسين بن عبدالرحمن الأهدل (٨٥٥هـــ / ١٤٥١م) في سيرته الذاتية التي ضمنها في تاريخه منهجه في التلقي وحظه من العلوم التي تلقاها فقال : "ومن طريقي إني لا أحب الرواية إلا عن ثقة ، ولا آخذ عمن هب ودرج ، ولا عمن لا أعرف ديانته ولم أختبر عقيدته ، ولا أقول أني أعرف كل ما أشرت إليه من العلوم معرفة تامة ، بل معولي على علوم الدين كفقه الشافعي وأصوله ، وأصول الدين على مذهب الأشعرية، والحديث والتفسير ، وعلم الصوفية السُّنِّيَّة ، وما عدا ذلك فمشاركة صالحة إن شاء الله تعالى ، مع اعترافي بالتقصير ، وأسأل الله من فضله آمين آمين "[١] . . .

---

[1] الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٢٥٥ .

ملحق رقم (١٢)

قاعدة تربوية (٣) :

عَـبَّرَ الشيخ أحمد بن محمد الحَرَضي الحكَمِي (ت١٠٨هـ / ١٣٩٨م) في نص تربـوي صوفي عن بعض ما تتناوله طرق التربية الحديثة من وسائل المربين في توجيه الناشئة إلى السلوك المرغوب ، فقال رحمه الله تعالى : " إن المربين ثلاثة ، مربي مقّال ، ومربي فعال ، ومربي بحال ، فالمربي بالمقال يقول لأصحابه : افعلوا كذا أو اصنعوا كذا لأنواع العبادات والآداب والخُلُق الحسن ، والمربي بالفعال لا يكلمهم بذلك ، بل أي حالة أراد أن يتصفوا بها اتصف بها هو ، من الصيام والقيام والذكر والآداب ، فنفعلوا كأفعاله ، وأما المربي بالحال، فأي حالةٍ خَطَرَ له أن يتصف بها بعض أصحابه التجأ إلى الله تعالى في بلوغه إياها ، حتى يبلغه الله ، وربما ألبسه الشيخ تلك الحالة بتصرف باطن وتوفيق من الله تعالى من حيث لا يعلم أصحابه بذلك "[١] .

---

(١) الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٥٢ .

ملحق رقم (١٣)

سند اتصال الطريقة الجيلانية القادرية في اليمن إلى مطلـع القـرن التاسـع الهجري :

لبس الشيخ أبو القاسم بن عمر البَجَلي الخرقة الجيلانية القادرية من الشيخ أحمد بن محمد الحَرَضي الحَكَمِي ، ولبس الحَرَضي الحَكَمِي الخرقة من الفقيه إبراهيم بن عمر بن عثمان الحَكَمِي صاحب قرية البَرْزَة ، ولبسها إبراهيم بن عمر من أخيه علي بن عمر الحَكَمِي ، ولبسها علي بن عمر من أخيه أبي بكر بن عمر الحَكَمِي ، ولبس أبو بكر الخرقة ذاتها من أبيه عمر بن عثمان المعروف بزخم الدارين ، ولبسها أبوهم زخم الدارين من عمه عبدالواحد بن محمد بن أبي بكر الحَكَمِي الذي لبسها بدوره من أبيه الشيخ محمد بن أبي بكر الحَكَمِي ، ولبس أبوه الشيخ محمد بن أبي بكر الخرقة من الشيخ علي بن الحداد ، ولبسها الشيخ علي بن الحداد من شيخ الشيوخ الإمام عبدالقادر الجيلاني بسنده المعروف ، نفع الله بهم ، آمين[1] .

---

[1] الأهدل ، تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن ، ج ٢ ص ٥٣ .

ملحق رقم (١٤)

انموذج لإجازة علمية أصدرها عالم شيعي زيدي في القرن التاسع الهجري باليمن(١)

نص الإجازة التي منحها الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن يحيى مظفر (ت ٩٢٦هـ / ١٥١٩م) للعلامة شمس الدين بن محمد بن صلاح الهادوي (ت آخر القرن التاسع الهجري)(٢) :

" لما قرأ عليَّ وسمع الشريف العالم الورع ، العامل الكامل ، الأزهد الأعدل ، شمس الدين كتاب (البيان) لجي والدي عماد الدين يحيى بن أحمد ، وتكرر لي فيه السماع ، وصحت لي فيه الإجازة من لديه ، وكتاب (البستان) و (التبيان) قراءة من اطلع على معانيها وحقق حقائقها ، واستفاد وأحاط بما عند شيخه وزاد ، استخرت الله وأجزت له رواية هذه الكتب المباركة بعد أن صحت كتبه بطريق المقابلة على الأمهات(٣) ، فليثق الناقل عنه وعنها ، والآخذ منه ومنها ، وفقنا الله وإياه لما يحب ويرضاه ، وهو المسؤول الدعاءَ في الحياة وبعد الحياة ، وذلك متَّجِهٌ عليه ، قال تعالى : (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) ، وكان ذلك في أوقات متفرقة ، ومجالس متعددة ، آخرها اليوم السابع من شهر رمضان سنة ست وتسعين وثمانمائة ، وكتب العبد الفقير إلى الله محمد بن أحمد بن يحيى بن مظفر عفى الله عنه ، آمين ،،، انتهى " .

---

(1) ابن المؤيد ، طبقات الزيدية الكبرى ، ج ١ ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ .

(2) وإن تأخرت وفاة المُجيز إلى منتصف العقد الثالث من القرن العاشر إلا أن تاريخ الإجازة كما هو مثبت في نصها في العقد الأخير من القرن التاسع الهجري ؛ لذلك نسبناها إلى القرن الذي كُتبت فيه .

(3) الواضح تماماً من هذه العبارة أن الإجازة في نظر العلامة محمد بن أحمد بن يحيى مظفر تستلزم كذلك النظر الفاحص في طبيعة النسخ التي يقرأ منها طالب الإجازة ، وذلك عن طريق مقابلتها على النسخ الخاصة بالعالم المجيز نفسه ، لذلك دعا مباشرةً إلى الوثوق بها .

قائمة مصادر الدراسة
ومراجعها

قائمة المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة

ابن أسير: محمد بن محمد بن منصور (ت بعد ٩٥٠ هـ / ١٥٤٣م)

١- **الجوهر الفريد في تاريخ مدينة زبيد** ، نسخة مصورة عن معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، تحت رقم (٧٣ تاريخ) .

إسماعيل بن محمد: إسماعيل بن محمد بن الحسن بن القاسم بن محمد (ت١٠٨٠هـ/١٦٦٩م)

٢- **سمط اللآل في شعر الآل** ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، تحت رقم (١٨٤١ أدب) .

الجحافي: برهان الدين إبراهيم بن إسماعيل الجحافي (ت٨١٠هـ / ١٤٠٧م)

٣- **ديوان إبراهيم الجحافي** ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، تحت رقم (١٣٨٥ أدب) .

الجنداري: أحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن (ت١٣٣٧هـ / ١٩١٨م)

٤- **الجامع الوجيز بوفيات العلماء أولي التبريز** ، نسخة مصورة عن نسخة بمكتبة محمد عبدالله الشرعي ، صنعاء .

الحسيني: علي بن الحسن (ت بعد ٨١٥هـ / ١٤١٢م)

٥- **ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكتاب** ، نسخة مصورة عن مكتبة القاضي إسماعيل الأكوع – صنعاء .

الحضرمي: عبدالرحمن بن عبدالله

٦- **جامعة الأشاعر زبيد** ، نسخة مصورة بالمكتبة المركزية ، جامعة صنعاء عن مسودة الطبعة الثانية ، محفوظة أصلها لدى أبناء المؤلف بزبيد .

الخزرجي: شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م)

٧- **طراز أعلام الزمن في طبقات أعلام اليمن** ، نسخة مصورة عن مكتبة د.عبدالرحمن الشجاع ، صنعاء ، (للجزئين الأول والثاني فقط) .

٨- **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن** ، نسخة بمكتبة الجامع الكبير الغربية ، صنعاء ، رقم (٤٣ تراجم) .

٩- **العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر اليمن** ، مخطوط مصور على ميكروفيلم بمعهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، تحت رقم (٢٥٤) .

١٠- **العسجد المسبوك فيمن ولي من اليمن من الملوك** ، نسخة مصورة منشورة ، وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية ، مشروع الكتاب ، ودار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

داعر: عبدالله صلاح الدين بن داعر (١٠١٠هـ / ١٦٠١م)

١١- **الفتوحات المرادية في الجهات اليمانية** ، صورة عن نسخة بخط المؤلف في مكتبة القاضي محمد علي الأكوع ، صنعاء .

داعر: صلاح بن داعر المرهبي (ت في القرن العاشر الهجري)

١٢- **سيرة الإمام يحيى شرف الدين** ، صورة عن نسخة محطوطة بمكتبة زيد الحوثي ، صنعاء .

أبو الرجال: القاضي أحمد بن صالح بن محمد بن علي (ت١٠٩٢هـ / ١٦٨١م)

١٣- **مطلع البدور ومجمع البحور** ، صورة عن نسخة بمكتبة د. عبدالرحمن الشجاع ، صنعاء .

ابن الرشيد: عامر بن محمد بن عبدالله بن عامر بن علي بن محمد بن علي (ت١١٣٥هـ/١٧٢٢م)

١٤- **بغية المريد وأنس الفريد فيمن أولده علي بن محمد بن علي بن الرشيد** ، صورة عن نسخة مخطوطة بالمكتبة المركزية ، جامعة صنعاء .

الزبيدي: علي بن محمد قحر (ت بعد ٩٦٢هـ / ١٥٥٤م)

١٥- **نفائس النفائس فيمن أنشأ وعمر من المساجد والمدارس** ، نسخة مصورة عن مكتبة القاضي إسماعيل الأكوع ، صنعاء .

شرف الدين: الحسن بن عبدالرحمن بن أحمد بن محمد بن الحسين (ت١٢٦٥هـ/ ١٨٤٨م)

١٦- **المواهب السنية مما منَّ به الله تعالى من الفواكه الجنية من أغصان الشجرة المتوكلية** ، صورة عن نسخة مخطوطة لدى إبراهيم عبدالكريم

شرف الدين ، كوكبان .

اللَّحْجي: مسلم بن محمد بن جعفر (ت٥٤٥هـ / ١١٥٠م)

١٧- **طبقات مُسلّم اللّحْجي** ، مخطوطة مصورة على قرص ليزر ، صادر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان .

بامخرمة: الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)

١٨- **النسبة عن إلى المواضع والبلدان** ، نسخة مصورة عن المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة ، تحت رقم ٢٥٦٩ .

المرتضى: الحسن بن أحمد بن يحيى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)

١٩- **كنز الحكماء وروضة العلماء** ، مخطوط بمكتبة الجامع الكبير الغربية، صنعاء ، تحت رقم (١١٥) .

ابن مظفر: محمد بن أحمد بن يحيى (ت ٩٢٦هـ / ١٥١٩م)

٢٠- **الترجمان المفتح لكمائم ثمرات البستان** ، صورة عن مكتبة أحد مشائخ قبيلة أرحب من آل السخيمي .

٢١- **وثيقة الوقف الخاص بالمدرسة الظاهرية العلمية** في تعز ، ضمن الوقفية الغسانية المحفوظة بمكتب وزارة الأوقاف والإرشاد بمحافظة تعز ، الجمهورية اليمنية .

٢٢- **وثيقة الوقف الخاص بالمدرسة الجوهرية العلمية** في تعز ، ضمن الوقفية الغسانية المحفوظة بمكتب وزارة الأوقاف والإرشاد بمحافظة تعز ، الجمهورية اليمنية .

٢٣- **وثيقة الوقف الخاص بالمدرسة الأفضلية العلمية** في تعز ، ضمن الوقفية الغسانية المحفوظة بمكتب وزارة الأوقاف والإرشاد بمحافظة تعز ، الجمهورية اليمنية .

٢٤- **وثيقة الوقف الخاص بجامع ثعبات** في تعز ، ضمن الوقفية الغسانية المحفوظة بمكتب وزارة الإوقاف والإرشاد بمحافظة تعز ، الجمهورية اليمنية .

٢٥- **وثيقة الوقف الخاص** بمدرسة سلامة العلمية في تعز ، ضمن الوقفية الغسانية المحفوظة بمكتب وزارة الإوقاف والإرشاد بمحافظة تعز ، الجمهورية اليمنية .

٢٦- **وثيقة الوقف الخاص بالمدرسة الأشرفية العلمية** في تعز ، ضمن الوقفية الغسانية المحفوظة بمكتب وزارة الإوقاف والإرشاد بمحافظة تعز ، الجمهورية اليمنية .

٢٧- **وثيقة الوقف الخاص بالمدرسة المؤيدية العلمية في تعز** ، ضمن الوقفية الغسانية المحفوظة بمكتب وزارة الأوقاف والإرشاد بمحافظة تعز ، الجمهورية اليمنية .

٢٨- **وثيقة الوقف الخاص بالمدرسة الياقوتية العلمية** بذي السفال ، ضمن الوقفية الغسانية المحفوظة بمكتب وزارة الأوقاف والإرشاد بمحافظة تعز ، الجمهورية اليمنية .

٢٩- **وثيقة الوقف الخاص بالمدرسة المعتبية العلمية في تعز** ، ضمن الوقفية الغسانية المحفوظة بمكتب وزارة الأوقاف والإرشاد بمحافظة تعز ، الجمهورية اليمنية .

الوزير: أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم (ت٩٨٥هـ / ١٥٧٧م)

٣٠- **تاريخ بني الوزير** ، صورة عن نسخة بمركز التراث والبحوث اليمني ، مركز التراث والبحوث اليمني ، صنعاء .

الوزير: محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم (ت٨٩٧هـ / ١٤٩١م)

٣١- **ترجمة موسعة للإمام محمد بن إبراهيم الوزير** ، مخطوط بالمكتبة الجامع الكبير الغربية ، صنعاء ، تحت رقم (٢٩ مجاميع) .

الوزير: الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل (ت٨٢٢هـ / ١٤٢٢م)

٣٢- **رياض الأبصار في ذكر الأئمة الأقمار** ، نسخة مخطوطة بمكتبة الجامع الكبير الشرقية ، تحت رقم (٣١٥٤) .

٣٣- **كاشفة الغمة في حسن سيرة إمام الأمة** ، مخطوطة مصورة على قرص ليزر ، صادر عن مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمّان .

وطيوط: حسين بن إسماعيل (عاش في القرن التاسع الهجري)

٣٤- **تاريخ المعلم وطيوط (في مناقب الصالحين من مشائخ سهام)** ، نسخة مصورة عن المكتبة المركزية – جامعة صنعاء .

يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠هـ / ١٦٨٨م)

٣٥- **طبقات الزيدية الصغرى** المعروف **بالمستطاب** ، صورة عن نسخة بمكتبة د.عبدالرحمن الشجاع ، صنعاء .

قائمة المصادر والمراجع المطبوعة

١- **القرآن الكريم**

إبراهيم أنيس وآخرون:

٢- **المعجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، دار الدعوة ، استانبول، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

ابن الأثير: عزالدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ / ١٢٣٢م)

٣- **الكامل في التاريخ** ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .

أحمد بن مسفر بن معجب العتيبي:

٤- **دهاقنة اليمن – تحقيقات ومطالعات في ملف الإسماعيلية** ، دار البشير ، عمّان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

أحمد تيمور:

٥- **نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة الحنفي ، المالكي ، الشافعي ، الحنبلي ، وانتشارها عند جمهور المسلمين** ، دار القادري ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

د. أحمد دراج:

٦- **المماليك والفرنج في القرن التاسع الهجري – الخامس عشر الميلادي** ، دار الفكر العربي ، ١٩٦١م ، (د ، ط) .

أحمد سالم شيبان:

٧- **الوجود المملوكي في اليمن ٩٢١ – ٩٤٥ هـ / ١٥١٥ – ١٥٣٨ م** ، دار الثقافة العربية ، الشارقة وجامعة عدن ، الطبعة الأولى ، (د ، ت) .

د. أحمد شلبي:

٨- **التربية الإسلامية ، نظمها – فلسفاتها – تاريخها** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٩٧٨م .

أحمد عبدالله عارف:

٩- **مقدمة في دراسة الاتجاهات الفكرية والسياسية في اليمن فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت . الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .

١٠- **الصلة بين الزيدية وا لمعتزلة** ، دار آزال ، بيروت ، والمكتبة اليمنية ، صنعاء ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

أحمد فخري:

١١- **اليمن ماضيها وحاضرها** ، بيروت ، المكتبة اليمنية ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .

د. أحمد فكري:

١٢- **مساجد القاهرة ومدارسها – العصر الفاطمي ، الأيوبي**، دار المعارف، القاهرة ، (د ، ت) .

د. أحمد محمد نور سيف:

١٣- **من أدب المحدثين في التربية والتعليم** ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .

١٤- **مجالس المذاكرة وأهميتها في حفظ السنة ونقدها** ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م .

د. أحمد محمود صبحي:

١٥- **الزيدية** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

١٦- **الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية** ، منشورات العصر الحديث ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

ابن الأخوة: محمد بن محمد (ت٧٢٩هـ / ١٣٢٨م)

١٧- **معالم القربة في أحكام الحسبة** ، تحقيق محمد محمود شعبان وآخر ، الهيئة

المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٦م .

إدريس عماد الدين بن الحسن بن عبدالله القرشي (ت٨٧٢هـ / ١٤٦٧م)

١٨- **عيون الأخبار وفنون الآثار في ذكر النبي المختار ووصيه علي بن أبي طالب قاتل الكفار وآلهما الأئمة الأطهار عليهم صلوات الغفار ، السبع الرابع** ، تحقيق د. مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، (د ، ت) .

الأسنوي: جمال الدين عبدالرحيم (ت٧٧٢هـ / ١٣٧٠م)

١٩- **طبقات الشافعية** ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

الأشرف الرسولي (الأول): عمر بن يوسف (ت٦٩٦ هـ / ١٢٩٦م)

٢٠- **طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب** ، تحقيق ك . وسترستين ، منشورات المدينة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

أشرف الرسولي (الثاني): إسماعيل بن العباس (ت٨٠٣ هـ / ١٤٠٠م)

٢١- **العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك** ، تحقيق د. شاكر محمود عبدالمنعم ، دار البيان ، بغداد ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م .

الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري (ت٣٢٤هـ / ٩٣٥م)

٢٢- **الإبانة عن أصول الديانة** ، تحقيق محمود بن الجميل ، مكتبة الأنصار ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

أشواق أحمد مهدي غليس:

٢٣- **التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن** ، مكتبة مدبولي ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

الإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (توفي في منتصف القرن الرابع الهجري)

٢٤- **المسالك والممالك** ، تحقيق د. محمد جابر الحيني ، سلسلة الذخائر (١١٩) ، القاهرة ، مايو ٢٠٠٤م .

الأفضل الرسولي: العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي

٢٥- **العطايا السنية والمواهب الهنية في المناقب اليمنية** ، تحقيق عبدالواحد عبدالله الخامري ، من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م .

٢٦- **نزهة الظرفاء وتحفة الخلفاء** ، دراسة وتحقيق نبيلة عبدالمنعم داود ، مكتبة الثقافة ، مكة المكرمة ، (د ، ت) .

الأكوع: القاضي إسماعيل بن علي

٢٧- **المدارس الإسلامية في اليمن** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ /١٩٨٦م .

٢٨- **الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم** ، دار البشير ، عمان ، ١٩٨٨م .

٢٩- **أئمة العلم المجتهدون في اليمن** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ، ودار البشير ، عمّان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

٣٠- **المدخل إلى معرفة هجر العلم ومعاقله في اليمن** ، دار الفكر ، دمشق ، ودار الفكر المعاصر ، بيروت .

٣١- **هجر العلم ومعاقله في اليمن** ، دار الفكر ، دمشق ، ودار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .

أعراف وتقاليد حكام اليمن في العصر الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٩٤م .

آلاء أحمد الأصبحي:

٣٢- **المدرسة الأشرفية بتعز** ، من إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، ٢٠٠٤م .

الآنسي: القاضي عبدالملك بن حسين

٣٣- **اتحاف ذوي الفطن بمختصر أنباء الزمن** ، تحقيق إسماعيل الجرافي ، ملحق مجلة كلية الآداب ، منشورات جامعة صنعاء ، ربيع الثاني ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

الأهدل: بدر الدين أبو محمد الحسين بن عبدالرحمن (ت٨٥٥هـ / ١٤٥١م)

٣٤- **تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، المجمع الثقافي، أبو ظبي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م .

٣٥- **كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين** ، تحقيق أحمد بكير محمود ، تونس، ١٩٦٤م .

الأهدل: محمد علي

٣٦- **نثر الدر المكنون من فضائل اليمن الميمون** ، مطبعة زهران ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م .

الأهدل: عبدالرحمن بن سليمان (ت١٢٥٠هـ / ١٨٣٥م)

٣٧- **النَفَس اليماني في إجازة القضاة بني الشوكاني** ، تحقيق ونشر مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

ابن إياس:

٣٨- **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ، تحقيق محمد مصطفى زيادة، القاهرة، ١٩٦١م .

د. أيمن فؤاد سيد:

٣٩- **مصادر تاريخ اليمن في العصر الإسلامي** ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة ، ١٩٧٤م .

٤٠- **تاريخ المذاهب الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري** ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م .

البخاري: أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت٢٥٦هـ / ٨٦٩م)

٤١- **الجامع الصحيح: صحيح البخاري** ، تحقيق د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

البرعي : عبدالرحيم بن علي (ت٨٠٣هـ / ١٤٠٠م)

٤٢- **ديوان عبدالرحيم البرعي** ، دار الكتب الثقافية ، صنعاء ، (د ، ت) .

البريهي: عبدالوهاب بن عبدالرحمن السكسكي (ت٩٠٤هـ / ١٤٩٨م)

٤٣- **طبقات صلحاء اليمن** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٤م .

ابن بطوطة: محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي

٤٤- **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار [رحلة ابن بطوطة]** ، دار الشروق العربي ، حلب ، (د ، ت) .

البغدادي: إسماعيل باشا

٤٥- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠م .

الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى (ت٢٩٧هـ / ٩٠٩م)

٤٦- **سنن الترمذي** ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن (ت٨٧٤هـ / ١٤٦٩م)

٤٧- **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي** ، تحقيق د.محمد محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبعة ١٩٨٥ .

٤٨- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، تحقيق د. علي طرخان ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٧١م .

د. توفيق الطويل:

٤٩- **من تراثنا العربي الإسلامي** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة رقم ٨٧ ، مارس ١٩٨٥م .

ابن جبير: محمد بن أحمد (ت٦١٤هـ / ١٢١٧م)

٥٠- **رحلة ابن جبير** ، تحقيق د. حسين نصار ، مكتبة مصر ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

الجرجاني: علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ / ١٤١٣م)

٥١- **كتاب التعريفات** ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٩٨٢م .

ابن الجزري: شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد يوسف (ت٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)

٥٢- **غاية النهاية في طبقات القراء** ، نشره ج . براجستراسر وبريستل ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٣٣م

٥٣- **التمهيد في علم التجويد** ، تحقيق غانم قدوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .

٥٤- **النشر في القراءات العشر**، صححه علي محمد الصباغ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، (د ، ت) .

جماعة: إبراهيم بن سعد الله

٥٥- **تذكرة السامع والمتكلم في آدب العالم والمتعلم** ، تحقيق محمد هاشم الندوي ، ١٣٥٣هـ ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م ، وقد نشرته - مصوراً عن الطبعة السابقة - دار الكتب العلمية ، بيروت .

جميلة هادي الرجوي:

٥٦- **يهود صنعاء** ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

الجندي: بهاء الدين محمد بن يوسف بن يعقوب (ت٧٣٢هـ / ١٣٣١م)

٥٧- **السلوك في طبقات العلماء والملوك** ، تحقيق محمد علي الأكوع الحوالي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٣م .

ابن الجوزي: عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ / ١٣٣١م)

٥٨- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** ، تحقيق محمد عبدالقادر عطا وآخر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٥م .

٥٩- **مناقب الإمام أحمد بن حنبل** ، تحقيق سعد كريم الفقي ، دار ابن خلدون ، الإسكندرية ، (د ، ت) .

ابن أبي حاتم: عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي (ت٣٢٧هـ / ٩٣٨م)

٦٠- **الجرح والتعديل** ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن ، الهند ، ودار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م .

حاجي خليفة: مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)

٦١- **شف الظنون عن أسامي الكتب والفنون** ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٠م .

الحاكم: محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري

٦٢- **المستدرك على الصحيحين** ، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .

الحبشي: عبدالله محمد

٦٣- **حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول** ، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بالجمهورية العربية اليمنية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م .

٦٤- **حكام اليمن المؤلفون المجتهدون** ، **دار القرآن الكريم** ، **بيروت** ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

٦٥- **جامع الشروح والحواشي** ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م .

٦٦- **الصوفية والفقهاء في اليمن** ، مكتبة الجيل ، صنعاء ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

٦٧- **مصادر الفكر الإسلامي في اليمن** ، مجمع أبو ظبي الثقافي ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .

٦٨- **معجم النساء اليمنيات** ، دار الحكمة اليمانية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٩هـ /

١٩٨٨م .

٦٩- **مخطوطات مكتبة المؤرخ محمد بن محمد زبارة** ، ملحق بمجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، عدد مايو ، ١٩٧٣م .

٧٠- **مراجع تاريخ اليمن** ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق، ١٩٧٢م.

٧١- **فهرس المخطوطات اليمنية في حضرموت** ، المركز اليمني للأبحاث الثقافية ، عدن ، ١٩٧٤م .

الحبيشي: عبدالرحمن بن محمد (ت حوالي ٨١٠هـ / ١٤٠٧م)

٧٢- **تاريخ وصاب [الاعتبار في التواريخ والآثار]** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .

ابن حجر: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني (ت٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)

٧٣- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة الإرشاد ، السعودية ، ١٩٥٩م .

٧٤- **تهذيب التهذيب** ، باعتناء مكتب التحقيق بمؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م .

٧٥- **الإصابة في تمييز الصحابة** ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م .

٧٦- **إنباء الغمر بأبناء العمر** ، تحقيق د. حسن حبشي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٩٤م .

٧٧- **ذيل الدرر الكامنة** ، تحقيق عدنان درويش ، معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢م .

٧٨- **ديوان ابن حجر العسقلاني** ، تحقيق د. صبحي رشاد عبدالكريم ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

٧٩- **المجمع المؤسس للمعجم المفهرس** ، تحقيق د. يوسف عبدالرحمن

المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .

الحجري: محمد بن أحمد

٨٠- **مجموع بلدان اليمن وقبائلها** ، تحقيق إسماعيل الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

٨١- **مساجد صنعاء ، عامرها وموفيها** ، دار إحياء التراث العربي ، بسيروت ، ومكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، (صورة عن طبعة وزارة المعارف ، صنعاء ، ١٩٤١م) ، الطبعة الثانية .

الحداد: علوي بن طاهر بن عبدالله الحضرمي

٨٢- **عقود الألماس بمناقب الإمام العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس** ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

الحداد: محمد بن يحيى

٨٣- **التاريخ العام لليمن** ، منشورات المدينة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

ابن حزم:

٨٤- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** ، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر وآخر ، دار عكاظ ، جدة ، ١٩٨٢م .

د. حسن الباشا:

٨٥- **الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية** ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٥م .

د. حسن خضيري أحمد:

٨٦- **قيام الدلة الزيدية في اليمن** ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٦م .

حسن صالح شهاب:

٨٧- **أحمد بن ماجد والملاحة في المحيط الهندي** ، سلسلة الملاحة العربية

الفلكية ، رقم (٨) ، مركز الدراسات والوثائق في الديوان الأميري بـرأس الخيمة ، (د ، ت) .

٨٨- **أضواء على تاريخ اليمن البحري** ، دار الفارابي ، بيروت ، لجنـة نـشر الكتاب اليمني ، عدن ، ١٩٧٧م .

٨٩- **عدن فرضة اليمن** ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، الطبعـة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٩٠- **البحار اليمني سليمان بن أحمد المهري مرشد الملاحة العربية في المحيط الهندي** ، مركز الشرعبي للطباعة والنشر ، صنعاء ، الطبعـة الأولـى ، ٢٠٠٠م .

٩١- **فن الملاحة عند العرب** ، مركز الدراسات والبحوث اليمنـي ، صـنعاء ، ودار العودة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .

د. حسين بن عبدالله العمري:

٩٢- **تاريخ اليمن الحديث والمعاصر** ، دار الفكـر ، دمـشق ، ودار الفكـر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

٩٣- **في صفة بلاد اليمن عبر العصور** ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

٩٤- **الأمراء العبيد والمماليك في اليمن** ، دار الفكـر المعاصـر ، بيـروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .

حسين بن علي الويسي:

٩٥- **اليمن الكبرى** ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الثانيـة ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

حسين بن فيض الله الهمداني:

٩٦- **الصليحيون والحركة الفاطمية فـي الـيمن** ، إصـدارات وزارة الثقافـة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

الحسيني: أبو بكر بن هداية الله (ت١٠١٤هـ / ١٦٠٥م)

٩٧- **طبقات الشافعية** ، حققه عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٢م .

الحضرمي: عبدالرحمن بن عبدالله

٩٨- **جامعة الأشاعر زبيد** ، نشر الشركة اليمنية للطباعة والنشر ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م .

٩٩- **زبيد : مساجدها ومدارسها العلمية في التاريخ** ، المعهد الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ٢٠٠٠م .

الحمادي: محمد بن مالك بن أبي القبائل المعافري (ت وسط القرن الخامس الهجري)

١٠٠- **شف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة** ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

حمزة علي لقمان:

١٠١- **تاريخ الجزر اليمنية** ، ١٩٧٢م ، (د ، ن) .

الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

١٠٢- **معجم البلدان** ، دار صادر ، دار بيروت ، بيروت ، ١٩٧٩م .

١٠٣- **معجم الأدباء** ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

حميدالدين: عبدالملك بن أحمد بن قاسم

١٠٤- **الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن**، دار الحارثي ، الطائف ، (د ، ت) .

ابن حمير: محمد بن حمير الوصابي (ت٦٥١هـ / ١٢٥٣م)

١٠٥- **ديوان ابن حمير** ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .

الحميري: نشوان بن سعيد (ت٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)

١٠٦-**منتخبات من أخبار اليمن من شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** ، عناية وتصحيح عظيم الدين أحمد ، مطبعة بريل ، ليدن ، (د ، ت) .

١٠٧-**ملوك حمير وأقيال اليمن** ، تحقيق علي بن اسماعيل المؤيد وآخر ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

١٠٨-**شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** ، تحقيق د. حسين عبدالله العمري وآخرين ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٩٣م .

الحميري: محمد بن عبدالمنعم (ت٧٢٧هـ / ١٣٢٦م)

١٠٩-**لروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق د. إحسان عباس ، مؤسسة ناصر الثقافية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م .

باحنان: محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكن

١١٠-**جواهر تاريخ الأحقاف** ، راجعه ووضع فهارسه وصححه حسن جاد حسن ، مطبعة الفجالة ، القاهرة ، ١٩٦٢م .

ابن خالوية: الحسين بن أحمد (ت٣٧٠هـ / ٩٨٠م)

١١١- **الحجة في القراءات السبع** ، تحقيق د. حسن عبدالعال سالم ، دار الشروق ، بيروت ، ١٩٧١م .

الخزرجي: شمس الدين أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي بكر بن الحسن (ت٨١٢هـ / ١٤٠٩م)

١١٢-**العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية** ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .

١١٣-**اليمن في عهد الولاة** ، الفصول الخمسة الأولى من كتاب **[الكفاية والإعلام]** ، تحقيق راضي دغفوس ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس ، ١٩٧٩م .

الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

١١٤-**الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** ، تحقيق د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

١١٥-**الكفاية في علم الرواية** ، تحقيق عبدالحليم حسن محمود ، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م .

ابن خلدون: عبدالرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)

١١٦-**مقدمة ابن خلدون** ، حققها وشرحها وعلق عليها د. علي عبدالواحد وافي ، سلسلة مكتبة الأسرة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ٢٠٠٦م.

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ / ١٢٨١م)

١١٧-**وفيات الأعيان**، تحقيق د. إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، (د ، ت).

خليفة: خليفة بن خياط (شباب) العصفري (ت٢٤٠هـ / ٨٥٤م)

١١٨-**كتاب الطبقات** ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢هـ ، ١٩٨٢م .

١١٩- **تاريخ خليفة بن خياط** ، تحقيق د. أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

خير الدين الزركلي:

١٢٠- **الأعلام** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثامنة ، ١٩٨٩م .

أبو داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ / ٨٨٨م)

١٢١- **سنن أبي داود** ، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الفكر ، بيروت ، (د ، ت) .

الداودي: شمس الدين محمد بن علي بن أحمد (ت٩٤٥هـ / ١٥٣٨م)

١٢٢-**طبقات المفسرين** ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٧٢م .

ابن الديبع: أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)

١٢٣-**بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

١٢٤- **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** ، تحقيق د. يوسف شلحد، مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٨٣م .

١٢٥-**نشر المحاسن اليمانية في خصائص اليمن ونسب القحطانية** ، تحقيق أحمد راتب حمروش ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

١٢٦-**قرة العيون في أخبار اليمن الميمون** ، تحقيق محمد علي الأكوع ، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، (د ، ن) .

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)

١٢٧-**سير أعلام النبلاء** ، تحقيق مجموعة من الباحثين تحت إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الحادية عشرة ، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م

١٢٨-**العبر في خبر من غبر**، تحقيق د.صلاح الدين المنجد ، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت ، ١٩٦٠م .

١٢٩-**معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، تحقيق بشار معروف وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م .

١٣٠- **تذكرة الحفاظ** ، صححها وعلق عليها عبدالرحمن ابن يحيى المعلمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د ، ت) .

ذو النون المصري:

١٣١- **عمارة اليمني** ، مكتبة النهضة المصرية ، (د ، ت) .

الرازي: أحمد بن عبدالله (ت٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)

١٣٢-**تاريخ مدينة صنعاء** ، تحقيق د. حسين عبدالله العمري وآخر، دار الفكر ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٧٤م .

الرازي: محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر (ت٦٠٦هـ / ١٢٠٩م)

١٣٣- **مختار الصحاح** ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، ١٩٨٦م .

الرامهرمزي: الحسن بن عبدالرحمن (ت٣٦٠هـ / ٩٧٠م)

١٣٤- **المحدث الفاضل بين الراوي والواعي** ، تحقيق د. محمد عجاج الخطيب ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٤م .

الربعي: مفرح بن أحمد (توفي في القرن الخامس الهجري)

١٣٥- **سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين** ، تحقيق ودراسة رضوان السيد وآخر ، دار المنتخب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .

د. ربيع حامد خليفة:

١٣٦- **الفنون الزخرفية اليمنية في العصر الإسلامي** ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .

د. رشاد بن عباس معتوق:

١٣٧- **الحياة العلمية في العراق خلال العصر البويهي** ، معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

د. رضوان أحمد الليث:

١٣٨- **الحياة العلمية في بلاد الشام خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م .

الرقيحي: أحمد عبدالرزاق وآخران

١٣٩- **فهرس مخطوطات الجامع الكبير بصنعاء** ، شارك في الفهرسة عبدالله محمد الحبشي وعلي وهاب الآنسي ، نشر وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية اليمنية ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م .

زبارة: محمد بن محمد بن يحيى (ت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)

١٤٠-**اتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين** ، مطبعة المقام الشريف ، صنعاء ، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م .

١٤١-**خلاصة المتون في أنباء ونبلاء اليمن الميمون** ، تحقيق أحمد محمد زبارة ، مركز التراث والبحوث اليمني ، ساري ، بريطانيا ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م .

١٤٢-**نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف** ، الجزء الأول ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، (د ، ت) .

١٤٣-**أئمة اليمن** ، مطبعة النصر الناصرية ، تعز ، ١٩٥٢م .

١٤٤-**أنباء اليمن ونبلائه بالإسلام** ، مطبوع ضمن مجلد [**الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ**] ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

١٤٥-**ملحق البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، [ملحق بكتاب **البدر الطالع** للإمام الشوكاني] ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م، (د ، ن) .

الزحيف: محمد بن علي بن يونس المعروف بابن فند (ت٩١٦هـ / ١٥١٠م)

١٤٦-**مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار** ويسمى [**اللواحق الندية بالحدائق الوردية**] ، تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر ، مؤسسة الإمام زيد ابن علي الثقافية ، عمَّان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

الزرقاني: محمد عبدالعظيم

١٤٧-**مناهل العرفان في علوم القرآن** ، تصحيح الشيخ أمين سليمان الكردي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .

الزركشي: محمد بن عبدالله (ت٧٩٤هـ / ١٣٩١م)

١٤٨- **إعلام الساجد بأحكام المساجد** ، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي ، لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ،

الطبعة السادسة ، ٢٠٠٥م .

أبو زهرة: محمد

١٤٩-**تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهيه**، دار الفكـر العربي ، القاهرة ، (د ، ت) .

١٥٠- **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكـر العربي ، القاهرة ، (د ، ت) .

زيد بن علي الوزير:

١٥١-**حـوار عن المطرفية** ، مركز التراث والبحوث اليمني ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

السبكي: عبدالوهاب بن تقي الدين (ت٧٧١هـ / ١٣٦٩م)

١٥٢-**طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق د. عبدالفتاح الحلو وآخر ، مطبعة هجـر للطباعة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م .

١٥٣-**معيد النعم ومبيد النقم** ، تحقيق محمد علي النجار وآخرين ، دار الكتـاب العربي ، القاهرة ، ومكتبة المثنى ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٤٨م .

السخاوي: شمس الدين محمد بن عبدالرحمن (ت٩٠٢هـ / ١٤٩٦م)

١٥٤-**الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجـر** ، تحقيـق د. حامـد عبدالمجيد وآخر ، لجنة إحياء التراث بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

١٥٥-**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع** ، مكتبة القدسي ، القاهرة ، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م .

١٥٦-**الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ** ، دراسـة وتحقـيق محمـد عثمـان الخشـت، مكتبة ابن سيناء ، القاهرة ، (د ، ت) .

ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ / ٨٤٤م)

١٥٧-**الطبقات الكبرى** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولـى ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

د. سعيد عبدالفتاح عاشور:

١٥٨- **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك** ، دار النهضة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢م .

السقاف: عبدالرحمن بن عبيدالله

١٥٩-**معجم بلدان حضرموت المسمى [إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت]** ، تحقيق إبراهيم المقحفي وآخر ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

السمعاني: عبدالكريم (ت٥٦٢هـ / ١١٦٦م)

١٦٠-**آداب الإملاء والاستملاء** ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م .

السياغي: الحسين بن أحمد بن الحسين بن أحمد (ت١٢٢١هـ / ١٨٠٦م)

١٦١- الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير ، مكتبة المؤيد ، الطائف ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٨م .

د. سيد رزق الطويل:

١٦٢- **في علوم القراءات** ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .

د. سيد مصطفى سالم:

١٦٣- **الفتح العثماني الأول لليمن** ، معهد البحوث والدراسات العربية وجامعة صنعاء ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٧م .

السيوطي: جلال الدين أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ / ١٥٠٥م)

١٦٤-**تدريب الراوي في شرح تقريب النووي** ، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢م .

١٦٥- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م .

١٦٦- **طبقات الحفاظ** ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبة، القاهرة ، ١٩٧٣م.

١٦٧- **الإتقان في علوم القرآن** ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

الشاطري: محمد بن أحمد

١٦٨- **أدوار التاريخ الحضرمي** ، مكتبة تريم الحديثة ، حضرموت ، اليمن ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .

الشامي: محمد أحمد

١٦٩- **تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي** ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .

الشرجي: أحمد بن أحمد بن عبداللطيف (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٧م)

١٧٠- **طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص** ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، اليمن ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

١٧١- **التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح** ، المكتبة الإسلامية ، القاهرة ، ٢٠٠٣م .

شرف الدين: أحمد حسين

٣٦- **اليمن عبر التاريخ** ، مطابع الفرزدق ، الرياض ، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

شرف الدين: محمد بن إبراهيم بن المفضل بن إبراهيم بن علي (ت١٠٨٥هـ / ١٦٧٤م)

١٧٢- **سيرة الإمام شرف الدين المسمى [السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية]** ، (د ، ت ، ن) .

شرف الدين: علي بن عبدالكريم الفضيل

١٧٣- **الزيدية : نظرية وتطبيق** ، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

شرف الدين: عيسى بن لطف الله بن المطهر (ت١٠٨٤هـ / ١٦٧٣م)

١٧٤-**روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح** ، تحقيق إبراهيم المقحفي ، مركز عبادي للدراسات والنشر ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م .

الشلي: محمد بن أبي بكر باعلوي (ت١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م)

١٧٥-**السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر** ، تحقيق إبراهيم المقحفي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

١٧٦-**المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي** ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م ، (د ، ن) .

شنبل: أحمد بن عبدالله بن عبدالله (ت٩٢٠هـ / ١٥١٤م)

١٧٧-**تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م ، (د ، ن) .

الشهاري: جمال الدين علي بن عبدالله بن القاسم بن المؤيد بن القاسم (ت بعد ١١٧٦هـ / ١٧٦٢م)

١٧٨-**وصف صنعاء – مستل من كتاب المنشورات الجلية** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، ط ١ ، ١٩٩٣م .

د. شوقي ضيف:

١٧٩-**تاريخ الأدب العربي – عصر الدول والإمارات** ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٠م .

د. شوقي عبدالقوي عثمان:

١٨٠-**تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية** ، سلسلة عالم المعرفة ، رقم (١٥١) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ذو الحجة ١٤١٠هـ / يوليو ١٩٩٠م .

الشوكاني: محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م)

١٨١-**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع** ، تحقيق د. حسين العمري ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ودار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .

١٨٢-**أدب الطلب** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مركز الدراسات والأبحاث اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

الشيزري: عبدالرحمن بن نصر (ت٥٨٩هـ / ١١٩٣م)

١٨٣-**نهاية الرتبة في طلب الحسبة** ، تحقيق د. السيد الباز العريني ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

د. صبحي الصالح:

١٨٤- **علوم الحديث ومصطلحه** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة العاشرة ، ١٩٧٨م .

صبري فارس الهيتي:

١٨٥-**الشيخ شهاب الدين أحمد بن ماجد** ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٩م .

ابن الصلاح: تقي عثمان بن عبدالرحمن (ت٦٤٢هـ / ١٢٤٤م)

١٨٦-**مقدمة ابن الصلاح** ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .

الصيرفي:

١٨٧- **نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان** ، تحقيق د. حسن حبشي ، وزارة الثقافة ، مركز تحقيق التراث ، القاهرة ، ١٩٧٠ - ١٩٧٣م .

طاش كبرى زاده: أحمد بن مصطفى (٩٦٨هـ / ١٥٦٠م)

١٨٨-**مفتاح السعادة ومصباح السيادة** ، مراجعة وتحقيق د. كامل كامل بكري وآخر ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٨م .

الطبراني: أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ / ٩٧٠م)

١٨٩- **المعجم الأوسط** ، تحقيق طارق عوض الله وآخر ، دار الحرمين ، القاهرة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ / ٩٢٢م)

١٩٠-**تاريخ الأمم والملوك** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧م ، (د ، ن) .

د. طلال الرفاعي:

١٩١- **نبذة من كتاب ملخص الفطن والألباب ومصباح الهدى للكُتّاب** ، منشورات المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .

د. طه أبو زيد:

١٩٢-إسماعيل المقرئ : **حياته وشعره** ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

الظاهري: خليل شاهين (ت٨٧٣هـ / ١٢٦٨م)

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، عناية بولس راويس ، المطبعة الجمهورية ، باريس ، ١٨٩٤م .

العامري: أبو زكريا عماد الدين يحيى بن أبي بكر بن محمد بن يحيى (ت٨٩٣هـ / ١٤٨٧م)

١٩٣-**غربال الزمان في وفيات الأعيان** ، تحت إشراف القاضي عبدالرحمن الإرياني ، طبعة دمشق ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

عباس علي الشامي:

١٩٤- **يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها** ، سلسلة كتاب (المسيرة اليمانية) ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٨م .

ابن عبدالبر: أبو عمر يوسف بن عبدالله (ت٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)

١٩٥-**جامع بيان العلم وفضله** ، تحقيق أبي الأشبال الزهيري ، دار ابن

الجوزي، الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

١٩٦-**الاستيعاب في معرفة الأصحاب** ، مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي ، الطبعة الأولى ، ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، (في هامش كتاب الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر) .

د. عبدالحميد البطريق:

١٩٧-**من تاريخ اليمن الحديث** ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

د. عبدالرحمن حسن جار الله:

١٩٨-**ذي السفال : مدينة الآثار الإسلامية** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

د. عبدالرحمن حميدة:

١٩٩- **أعلام الجغرافيين العرب** ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م .

د. عبدالرحمن عبدالواحد محمد الشجاع:

٢٠٠-**اليمن في صدر الإسلام** ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

٢٠١-**الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤م .

د. عبدالشافي محمد عبداللطيف:

٢٠٢- **العالم الإسلامي في العصر الأموي** ، دار الوفاء للطباعة ، مصر ، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م .

د. عبدالعباس فضيح الغريري وآخرون:

٢٠٣-**جغرافية اليمن** ، المكتبة المركزية ، تعز ، ٢٠٠٠م .

د. عبدالعزيز المقالح:

٢٠٤-**قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة** ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م .

عبدالعزيز بن راشد السنيدي:

٢٠٥- **المدارس اليمنية في عهد الدولة الرسولية** ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٣م ، (د ، ن) .

د. عبدالغني محمود عبدالعاطي:

٢٠٦-**الصراع الفكري في اليمن بين الزيدية والمطرفية** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية الاجتماعية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

عبدالله عبدالسلام الحداد:

٢٠٧- **مدينة حيس اليمنية تاريخها وآثارها الدينية** ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٩م .

عبدالله فياض:

٢٠٨-**تاريخ التربية عند الإمامية وأسلافهم من الشيعة** ، مطبعة أسعد ، بغداد ، ١٩٧٢م .

عبدالله قاسم الوشلي:

٢٠٩-**المسجد ودوره الاجتماعي على مدار التاريخ** ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

ابن عبدالمجيد: تاج الدين عبدالباقي (ت٧٤٣هـ / ١٣٤٢م)

٢١٠-**بهجة الزمن في تاريخ اليمن** ، تحقيق عبدالله الحبشي ومحمد السنباني ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

العبدلي: أحمد بن فضل

٢١١- **هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن** ، تحقيق خالد أبا زيد الأذرعي ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

ابن العربي: أبو بكر محمد بن عبدالله بن محمد (ت٥٤٣هـ / ١١٣٩م)

٢١٢- **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم**، تحقيق محب الدين الخطيب، المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٨٥م .

العرشي: حسين أحمد

٢١٣-**بلوغ المرام في شرح مسك الختام** ، عناية الأب أنستاس ماري الكرملي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د ، ت) .

د. عصام الدين عبدالرؤوف الفقي:

٢١٤-**اليمن في ظل الإسلام منذ فجره حتى قيام الدولة الرسولية** ، دار الفكـر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .

العقيلي: محمد بن أحمد عيسى

٢١٥- **التاريخ الأدبي لمنطقة جازان** ، منشـورات نادي جازان الأدبي ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

باعلوي: علي بن أبي بكر السكران (ت٨٩٥هـ / ١٤٨٩م)

٢١٦-**البرقة المشيقة في ذكر لباس الخرقة الأنيقة** ، طبع على نفقـة علـي بـن عبدالرحمن بن سهل ، القاهرة ، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م .

العلوي: علي بن محمد بن عبيدالله العباسي (توفي في مطلع القرن الثالث الهجري)

٢١٧-**سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين** ، يحقيق د. سهيل زكـار ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

علي أبو زيد:

٢١٨- **البديعيات في الأدب العربي** ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعـة الأولـى ، ١٩٨٣م .

علي بن علي جابر الحربي:

٢١٩- **ابن الوزير وآراؤه الاعتقادية** ، مكتبة عبدالله علي عامر ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م .

د. علي محمد زيد:

٢٢٠-**معتزلة اليمن : دولة الهادي وفكره** ، دار الكلمـة ، صـنعاء ، الطبعـة الثانية ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م .

٢٢١-**تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري** ، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .

العليمي: مجدالدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن (ت٩٢٨هـ / ١٥٢١م)

٢٢٢- **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل** ، النجف الأشرف ، العراق ، ١٩٦٨م ، (د ، ن) .

ابن العماد: أبو الفلاح عبدالحي (ت١٠٨٩هـ /١٦٧٨م)

٢٢٣-**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

عمارة: نجم الدين عمارة بن علي اليمني (ت٥٦٩هـ / ١١٧٣م)

٢٢٤-**المفيد في أخبار صنعاء وزبيد** ، تحقيق محمد الأكوع ، المكتبة اليمنية ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م .

العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ / ١٣٤٩م)

٢٢٥-**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، (د ، ت) .

د. عوض إبراهيم الحفيان:

٢٢٦-**الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية** ، إصدارات جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م .

العيدروس: أبو بكر بن عبدالله العدني (ت٩١٤هـ / ١٥٠٨م)

٢٢٧-**ديوان محجة السالك وحجة الناسك**، الطبعة الثانية، ١٩٣٦م، القاهرة، (د ، ن) .

العيدروس: محيي الدين عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله (١٠٣٨هـ / ١٦٢٨م)

٢٢٨-**النور السافر عن أخبار القرن العاشر** ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .

العيني: محمود بن أحمد بن موسى (ت٨٥٥هـ / ١٤٥٢م)

٢٢٩-**عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان** القسم الخاص بحوادث ٨٢٤ -

٨٥٠هـ، تحقيق عبدالرزاق الطنطاوي ، دار الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ١٩٨٩م .

غسان علي محمد الرمال:

٢٣٠-**صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري – السادس عشر الميلادي** ، ١٩٨٥م ، (د ، ن) .

الفارابي: أبو نصر

٢٣١-**إحصاء العلوم** ، نشره د. أمين عثمان ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨م .

ابن فارس: أحمد (ت٣٩٥هـ / ١٠٠٤م)

٢٣٢- **معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .

د. فاروق أحمد مجاهد:

٢٣٣-**التعليم في اليمن في عهد دولة بني رسول خلال القرنين السابع والثامن الهجريين** ، إصدارات جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م .

د. فاروق عثمان أباظة:

٢٣٤- **عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م .

٢٣٥-**الحكم العثماني في اليمن** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦م .

الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد بن علي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م)

٢٣٦-**العقد الثمين في أخبار البلد الأمين** ، تحقيق فؤاد سيد وآخر ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .

فالتر هنتس:

٢٣٧-**المكاييل والأوزان الإسلامية** ، ترجمة د. كامل العسلي ، منشورات

الجامعة الأردنية ، الطبعة الثانية ، (د ، ت) .

ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد المالكي (ت٧٩٩هـ / ١٣٩٧م)

٢٣٨-**الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** ، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، (د ، ت) .

فضل علي أبو غانم:

٢٣٩- **القبيلة والدولة في اليمن** ، دار المنار ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

بافضل: محمد بن عوض بن محمد

٢٤٠-**صلة الأهل بتدوين ما تفرق من من مناقب بني فضل**، مكتبة تريم ، حضرموت، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٠م .

بافقيه: محمد بن عمر الطيب

٢٤١-**تاريخ الشحر وأخبار القرن العاشر** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

ابن فهد: تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد المكي (ت٨٧١هـ/١٤٦٦م)

٢٤٢-**لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ** ، صححها وعلق عليها عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص ٢٥٩ ، (د ، ت) .

ابن فهد: النجم عمر بن محمد (ت٨٨٥هـ / ١٤٨٠م)

٢٤٣-**اتحاف الورى بأخبار أم القرى** ، تحقيق فهيم شلتوت ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٩٨٤م .

٢٤٤-**معجم الشيوخ** ، تحقيق محمد الزاهي ، دار اليمامة ، الرياض ، ١٩٨٢م .

ابن فهد: عبدالعزيز بن عمر (ت٩٢٢هـ / ١٥١٦م)

٢٤٥-**غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام** ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م .

الفيروز ابادي: مجدالدين محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ / ١٤١٤م)

٢٤٦-**القاموس المحيط** ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية، ١٩٥٢م .

د. فيصل بدر عون:

٢٤٧- **علم الكلام ومدارسه** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٩٨١م .

القابسي: أبو الحسن علي بن محمد بن خلف (ت٤٠٣هـ / ١٠١٢م)

٢٤٨-**الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين** ضمن موسوعة الفكر التربوي العربي الإسلامي ، تحليل وتحقيق د. عبدالأمير شمس الدين ، الشركة العالمية للكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م.

ابن القاسم: الحسين بن القاسم بن محمد بن علي

٢٤٩-**آداب العلماء والمتعلمين** ، الدار اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .

ابن قاضي شهبة: أبو بكر بن أحمد (ت٨٥١هـ / ١٤٤٧م)

٢٥٠- **طبقات الشافعية** ، تحقيق د. الحافظ عبدالعليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

ابن قدامة: أحمد بن عبدالرحمن بن قدامة المقدسي (ت٦٨٩هـ / ١٢٩٠م)

٢٥١-**مختصر منهاج القاصدين** ، دار المنار، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م.

القرشي: عبدالقادر بن محمد (ت٧٧٥هـ / ١٣٧٣م)

٢٥٢- **الجواهر المضية في طبقات الحنفية** ، تحقيق د. محمد عبدالفتاح الحلو ، دار العلوم ، الرياض ، ١٩٧٨م .

د. قصي كامل صالح شبيب:

٢٥٣-**أهمية مضيق باب المندب في التاريخ الحديث والمعاصر** ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٤م .

القفطي: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت٦٤٦هـ / ١٢٤٨م)

٢٥٤-**إنباه الرواه على أنباه النحاة** ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٦م .

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ / ١٤١٨م)

٢٥٥- **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، والمؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ، (د ، ت) .

القنوجي: صديق بن حسن (ت ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م)

٢٥٦-**أبجد العلوم** ، دار ابن حزم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

القيسي: مكي أبوطالب (ت٤٣٧هـ / ١٠٤٥م)

٢٥٧-**الإبانة عن معاني القراءات** ، تحقيق عبدالفتاح إسماعيل شلبي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

ابن قيم الجوزية: شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب (ت٧٥١هـ / ١٣٥٠م)

٢٥٨-**الطب النبوي** ، مراجعة وتعليق عبدالغني عبدالخالق ، دار الفكر ، بيروت ، (د ، ت) .

كارل بروكلمان:

٢٥٩- **الأدبيات اليمنية في المكتبات والمراكز الثقافية العالمية** ، ترجمة صالح بن الشيخ أبوبكر ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .

الكافيجي: محيي الدين محمد (ت٨٧٩هـ / ١٤٧٤م)

٢٦٠- **المختصر في علم الأثر** ، تحقيق د. علي زوين ، دار الرشيد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

الكبسي: محمد بن إسماعيل (ت ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م)

٢٦١-**اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية** ، مطبعة السعادة ، القاهرة ،

١٩٨٤م .

الكتاني: عبدالحي بن عبدالكبير (ت١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م)

٢٦٢- **فهرس الفهارس والأثبات** ، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت٧٧٤هـ / ١٣٧١م)

٢٦٣- **البداية والنهاية** ، تحقيق مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .

٢٦٤- **الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث** ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د ، ت) .

كحالة: عمر رضا

٢٦٥- **معجم المؤلفين** ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د ، ت) .

الكندي: سالم بن محمد (ت١٣١٠هـ / ١٨٩٢م)

٢٦٦- **تاريخ حضرموت السياسي [العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وحديثة]** ، تحقيق عبدالله الحبشي ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

ابن ماجه : أبو عبدالله محمد بن يزيدالقزويني (ت٢٧٥هـ / ٨٨٨م)

٢٦٧- **سنن ابن ماجه** ، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، بيروت، (د ، ت) .

ابن المؤيد: إبراهيم بن القاسم (ت١١٥٢هـ / ١٧٣٩م)

٢٦٨- **طبقات الزيدية الكبرى [بلوغ المراد إلى معرفة الإسناد]** ، تحقيق عبدالسلام الوجيه ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمَّان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .

المؤيدي: داود بن الهادي بن أحمد (ت ١٠٣٥هـ / ١٦٢٥م)

٢٦٩-**ذيل البسامة** ، (ملحق بكتاب **مآثر الأبرار**) تحقيق عبدالسلام الوجيه وآخر ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عمَّان ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

الإمام مالك: مالك بن أنس الأصبحي (ت١٧٩هـ / ٧٩٥م)

٢٧٠- **الموطأ** ، تحقيق بشار عواد معروف وآخر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)

٢٧١-**أدب الدنيا والدين** ، تحقيق مصطفى السقا ، سلسلة الذخائر (١٢٧) ، القاهرة ، سبتمبر ٢٠٠٤م .

ابن المجاور: يوسف بن يعقوب (ت بعد ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

٢٧٢-**صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز - المسماة تاريخ المستبصر** ، اعتنى بتصحيحه أوسكر لوفجرين ، منشورات المدينة ، ودار التنوير ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦م .

مجهول: أحد رجالات الدولة الرسولية (ت بعد ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)

٢٧٣-**تاريخ الدولة الرسولية في اليمن** ، تحقيق عبدالله الحبشي ، دار الجيل ، صنعاء ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

المحلي: حميد بن أحمد بن محمد (ت٦٥٢ هـ / ١٢٥٤م)

٢٧٤-**الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية**، تحقيق د. المرتضى المحطوري، مطبوعات مركز بدر العلمي، صنعاء، طبعة أولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

محمد أحمد دهمان:

٢٧٥- **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي** ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠م .

د. محمد الخطيب:

٢٧٦- **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، مطبعة الحسين الإسلامية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م .

د. محمد الطاهر السبيطلي:

٢٧٧- **الدولة العثمانية والأئمة في تاريخ اليمن الحديث** ، المنتدى الجامعي للنشر والتوزيع ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

محمد بن عبدالملك المروني:

٢٧٨- **الوجيز في تاريخ بناية مساجد صنعاء القديم والجديد** ، مطابع اليمن العصرية ، صنعاء ، ط١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

محمد حميد السلمان:

٢٧٩- **الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة من ١٥٠٧ – ١٥٢٥م** ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، العين ، ٢٠٠٤م .

د. محمد رضا حسن الدجيلي:

٢٨٠- **الحياة الفكرية في اليمن في القرن السادس الهجري** ، مركز دراسات الخليج العربي ، جامعة البصرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥م .

محمد سعيد إسبر وآخر:

٢٨١- **الشامل : معجم في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها** ، دار العودة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .

محمد سعيد المليح وآخر:

٢٨٢- **فهرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء** ، نشر الهيئة العامة للآثار ودور الكتب ، الجمهورية العربية اليمنية ، ١٩٨٧م .

د. محمد عبدالحميد عيسى:

٢٨٣- **تاريخ التعليم في الأندلس** ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢م .

محمد عبدالسلام الشقيري:

٢٨٤- **السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات** ، دار الكتب العلميـــة ، بيروت ، ١٩٨٨م .

د. محمد عبدالعال أحمد:

٢٨٥- **البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليـــه ، نـــصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني بامخرمة كما سجلها فـــي مخطوط قلادة النحر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

٢٨٦- **بنو رسول وبنو طاهر وعلاقات اليمن الخارجية فـــي عهـــدهما**, الهيئـــة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٠م .

د. محمد عبده محمد السروري:

٢٨٧- **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م .

محمد عجاج الخطيب:

٢٨٨- **السنة قبل التدوين** ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٠م .

د. محمد عمارة:

٢٨٩- **السلفية** ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، تونس ، ١٩٩٤م .

د. محمد عيسى الحريري:

٢٩٠- **الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجـــري**، عـــالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

٢٩١- **تطور المذهب الزيدي في اليمن** – قطعة منتزعة من كتاب **شفاء صـــدور الناس لأحمد بن محمد بن صلاح الشرفي** ، ضمن كتاب **دراسات وبحوث في تاريخ اليمن الإســـلامي** ، عالم الكتب ، الطبعـــة الأولـــى ، ١٩٩٨م ، بيروت .

محمد قنديل البقلي:

٢٩٢- **التعريف بمصطلحات صبح الأعشى** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٣.

محمد لطف عبدالرزاق:

٢٩٣- **محدث اليمن - الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م .

محمد ماهر حمادة:

٢٩٤-**المكتبات في الإسلام : نشأتها وتطورها ومصائرها** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

د. محمد محمد الحاج الكمالي:

٢٩٥-**الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى وأثره في الفكر الإسلامي سياسياً وعقائدياً** ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ،١٤١١هـ / ١٩٩١م .

محمد ياسين الحموي:

٢٩٦- **الملاح العربي أحمد بن ماجد** ، مكتب النشر العربي ، دمشق ، ١٩٤٧م .

محمود رزق سليم:

٢٩٧-**الأشرف قانصوه الغوري** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (د ، ت).

بامخرمة: الطيب بن عبدالله بن أحمد (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)

٢٩٨-**تاريخ ثغر عدن** ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٩١ م .

المرتضى: المهدي لدين الله أحمد بن يحيى (ت٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)

٢٩٩-**الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر وأصحابه العشرة الغرر وعترته الأئمة المنتخبين الزهر** [مقدمة البحر الزخار] ، الطبعة الأولى ، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٨م ، ونشرته مصوراً دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ،

١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .

٣٠٠-**تاج علوم الأدب وقانون كلام العرب** ، دراسة وتحقيق د. نوري ياسين حسين الهيتي ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

د. مريزن عسيري:

٣٠١-**الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي** ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ / ٨٧٤م)

٣٠٢- **صحيح مسلم** ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د ، ت) .

مصطفى عبدالكريم الخطيب:

٣٠٣-**معجم المصطلحات والألقاب التاريخية** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

المطاع: أحمد بن أحمد بن محمد

٣٠٤-**تاريخ اليمن الإسلامي** ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، منشورات المدينة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

بامطرف: محمد عبدالقادر

٣٠٥-**الشهداء السبعة** ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، بإشراف وزارة الثقافة والسياحة بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية بالتعاون مع حكومة العراق ، ١٩٧٤م .

المظفر الرسولي: يوسف بن عمر بن علي (ت٦٩٤هـ / ١٢٩٤م)

٣٠٦-**المعتمد في الأدوية المفردة** ، تحقيق مصطفى السقا ، دار القلم ، بيروت ، (د ، ت) .

المقبلي: صالح بن مهدي (ت١١٠٨هـ / ١٦٩٦م)

٣٠٧-**العَـلَمُ الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشائخ** ، عناية القاضي عبدالرحمن بن يحيى الإرياني ، مكتبة البيان ، دمشق ، ١٩٨١م .

المقحفي: إبراهيم أحمد

٣٠٨-**معجم البلدان والقبائل اليمنية** ، دار الكلمة ، صنعاء، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م .

المقدسي: محمد بن أحمد البشاري (ت٣٧٥هـ / ٩٨٥م)

٣٠٩-**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** ، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه د. محمد مخزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٧م .

المقرئ: إسماعيل بن أبي بكر (ت ٨٣٧هـ)

٣١٠-**عنوان الشرف الوافي في علم الفقه والعروض والتاريخ والنحو والقوافي**، تحقيق عبدالله إبراهيم الأنصاري ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، ٢٠٠٤م .

٣١١-**شرح الفريدة الجامعة للمعاني الرائعة** ، تحقيق عبدالرحمن الحضرمي ، وزارة الإعلام ، صنعاء ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

٣١٢-**ديوان بن المقرئ** ، مطبعة نخبة الأخبار ، بومبي ، الهند ، ١٣٠٥هـ .

المقرائي: يحيى بن محمد بن حسن بن حُمَيْد (ت٩٩٠هـ / ١٥٨٢م)

٣١٣-**مكنون السر في تحرير نحارير السر** ، تحقيق زيد بن علي الوزير ، مركز التراث والبحوث اليمني ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

المقريزي: أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

٣١٤-**درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة** ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٢م .

٣١٥- **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، دار الكتب

المصرية، القاهرة ، ١٩٥٦م .

٣١٦- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار** ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د ، ت) .

د. مناع القطان:

٣١٧- **مباحث في علوم القرآن** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة التاسعة ، ١٩٨٢م .

المنذري: زكي الدين أبو محمد عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت٦٥٦هـ / ١٢٥٨م)

٣١٨- **التكملة لوفيات النقلة** ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١م .

ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ / ١٣٣١١م)

٣١٩- **لسان العرب** ، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، (د ، ت) .

د. منير الدين أحمد:

٣٢٠- **تاريخ التعليم عند المسلمين** ، ترجمة سامي الصفار ، دار المريخ ، الرياض ، ١٩٨١م .

المهدي محمد الحرازي:

٣٢١- **تراجم علماء اليمن بين الواقع والطموح**، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥م ، (د ، ن).

الموزعي: عبدالصمد بن إسماعيل بن عبدالصمد (من علماء القرن الحادي عشر الهجري)

٣٢٢- **الإحسان في دخول اليمن تحت ظل آل عثمان** ، تحقيق عبدالله الحبشي ، منشورات وزارة الأوقاف والإرشاد بالجمهورية العربية اليمنية، (د ، ت).

الناشري : تقي الدين أبو العباس حمزة بن عبدالله بن محمد بن علي (ت٩٢٦هـ/١٥١٩م)

٣٢٣- **انتهاز الفرص في الصيد والقنص**، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، المجمع الثقافي ، أبو ظبي ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م .

الناشري: عثمان بن عمر (ت٨٤٨هـ / ١٤٤٤م)

٣٢٤-**الشرح على متن الدرة في القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر** ، تحقيق عبدالرزاق علي إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٨٩م .

د. نايف محمود معروف:

٣٢٥-**الخوارج في العصر الأموي** ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

النسائي: أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ / ٩١٥م)

٣٢٦- **السنن الكبرى** ، تحقيق د. عبد الغفار البنداري وآخر ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

أبو نعيم: أحمد بن عبدالله الأصفهاني (ت٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)

٣٢٧- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** ، تحقيق سعيد بن سعد الدين الإسكندراني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م .

النعيمي: عبدالقادر بن أحمد (ت٩٧٨هـ / ١٥٧٠م)

٣٢٨-**الدارس في تاريخ المدارس** ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبعة دار الكتاب الجديد ، دمشق ، ١٩٨١م .

النقيب: محمد بن عبدالوهاب المقداد (ت٩٢٢هـ / ١٥١٦م)

٣٢٩-**قرة العيون وانشراح الخواطر فيما حكاه الصالحون في فضل مسجد الأشاعر** ، تحقيق عبدالرحمن الحضرمي ، ضمن مجلة الإكليل ، صنعاء ، العددان ٣ – ٤ ، السنة الأولى ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .

النهروالي: محمد بن أحمد (ت٩٩٠هـ / ١٥٨٢م)

٣٣٠-**البرق اليماني في الفتح العثماني** ، منشورات المدينة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

النووي: أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت٦٧٦هـ / ١٢٧٧م)

٣٣١- **التبيان في آداب حملة القرآن** ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣م

٣٣٢- **تهذيب الأسماء واللغات** ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.

د. هادي الهلالي:

٣٣٣- **نشأة الدراسات النحوية واللغوية في اليمن وتطورها** ، دار آفاق عربية ، بغداد ، ١٩٨٤م .

هادي عبدالله ناجي:

٣٣٤- **نشوان الحميري وجهوده اللغوية والنحوية** ، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة ، صنعاء ، ٢٠٠٤م .

الهاروني: الإمام الناطق بالحق أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون (ت ٤٢٤هـ)

٣٣٥- **الإفادة في تاريخ الأئمة السادة** ، تحقيق إبراهيم المؤيدي وآخر ، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية ، صعدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م .

الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)

٣٣٦- **صفة جزيرة العرب** ، تحقيق محمد علي الأكوع ، مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .

٣٣٧- **كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء الذهب والفضة** ، تحقيق محم محمد الشعيبي ، الطبعة الأولى ، (د ، ت ، ن) .

الواسعي: عبدالواسع بن يحيى

٣٣٨- **تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحَزَنْ في حوادث وتاريخ اليمن** ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٣٣٩- **البدر المزيل للحزن في فضل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المنن**، مطبعة التعاون الأخوي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م .

الوجيه: عبدالسلام عباس

٣٤٠-**أعلام المؤلفين الزيدية** ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ، عَمَّان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

باوزير: سعيد بن عوض

٣٤١-**صفحات من التاريخ الحضرمي** ، مكتبة الثقافة ، عدن ، (د ، ت) .

الوزير: محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الوزير (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م)

٣٤٢-**العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، دار البشير ، عَمَّان ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٤م .

٣٤٣-**الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم** ، المكتبة اليمنية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥م .

٣٤٤- **ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان** ، مكتبة الجمعية العلمية الأزهرية المصرية الملايوية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م .

٣٤٥-**البرهان القاطع في إثبات الصانع وجميع ما جاءت به الشرائع** ، مكتبة الجمعية العلمية الأزهرية المصرية الملايوية ، القاهرة ، ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م .

٣٤٦-**ديوان محمد بن إبراهيم الوزير - مختارات** ، عناية علي بن إسماعيل المؤيد وآخر ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٨١هـ / ١٩٦١م .

الوزير: الهادي بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل (ت٨٢٢هـ/١٤٢٢م)

٣٤٧-**هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين** ، تحقيق عبدالرقيب بن مطهر حجر ، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية ، صعدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .

اليافعي: أبو محمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت٧٦٨هـ / ١٣٦٦م)

٣٤٨-**مرآة الجنان وعبرة اليقظان** ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م .

اليامي: محمد بن حاتم بن أحمد (ت بعد ٧٠٢هـ / ١٣٠٢م)

٣٤٩-**السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن** ، تحقيق ركس سميث، طبع ضمن مجموعة جب التذكارية ، لندن ، ١٩٧٤م .

اليحصبي: القاضي عياض بن موسى (ت٥٤٤هـ / ١١٤٩م)

٣٥٠-**الإلماع إلى معرفة الرواية وتقييد السماع** ، تحقيق أحمد صقر ، دار التراث ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

يحيى بن الحسين: يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت١١٠٠هـ/١٦٨٨م)

٣٥١-**غاية الأماني في أخبار القطر اليماني** ، تحقيق د. سعيد عبدالفتاح عاشور ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م .

د. يوسف محمد عبدالله:

٣٥٢-**أوراق من تاريخ اليمن وآثاره** ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٠م .

٣٥٣-**الموسوعة اليمنية**، مؤسسة العفيف الثقافية ، صنعاء ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

قائمة الرسائل العلمية

أحمد عبدالله عارف:

١- **المدارس الكلامية في اليمن فيما بين القرن الثالث والسادس الهجري** ، رسالة دكتوراه في كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٦م .

حسن أحمد عبدالرزاق السمين:

٢- **المذهبان السني والشيعي في اليمن في القرنين الرابع والخامس الهجريين وأثرهما على الحياة السياسية والاجتماعية** ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٦م .

حصة ناصر المبارك:

٣- **الحياة الاقتصادية في اليمن في عهد الدولة الرسولية** ، رسالة دكتوراة ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٩٩٦م .

الحكمي: إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر بن مطير

٤- **الدرة الموسومة في شرح المنظومة** ، تحقيق مهدي محمد يوسف الحرازي ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والقانون ، جامعة الأزهر ، ٢٠٠٠م .

داود داود المندعي:

٥- **الزراعة في اليمن في عهد الدولة الرسولية** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، ١٩٩٢م .

ابن الديبع: أبو الضياء عبدالرحمن بن علي (ت٩٤٤هـ / ١٥٣٧م)

٦- **الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد** ، دراسة وتحقيق محمد عيسى صالحية ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس، ١٩٧٠م .

رزق أحمد الحجر:

ابن الوزير ومنهجه الكلامي ، رسالة ماجستير ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٧م .

سامية أحمد فرج عبدالخير:

٧- **الكتابة التاريخية في اليمن في القرنين التاسع والعاشر الهجريين** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٧م .

سعود محمد العصفور:

٨- **الحياة الثقافية في دمشق في عصر المماليك الجراكسة** ، رسالة دكتوراة ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م .

شرف الدين: عيسى بن لطف الله بن المطهر (ت١٠٨٤هـ / ١٦٧٣م)

٩- **روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح** ، دراسة وتحقيق محمد عيسى عبدالله صالحية ، رسالة دكتوراه ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٣م .

الشرفي: أحمد بن محمد بن صلاح (ت ١٠٥٥هـ/١٦٤٥م)

١٠- **اللآلئ المضيئة في أخبار أئمة الزيدية** ، تحقيق ودراسة سلوى المؤيد ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٢م .

شوقي درهم عبدالله الفضلي:

١١- **الحياة العلمية في إقليم جبلة خلال عهد الصليحيين** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة أسيوط ، ٢٠٠٥م .

عادل الفقيه:

١٢- **ابن أبي الخير العمراني ومنهجه في كتاب البيان** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٣م .

عبدالرحمن أحمد المختار:

١٣- **الحياة العلمية في اليمن في القرنين الخامس والسادس الهجريين** ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٤م .

عبدالرحمن أحمد المصنف:

١٤- **الحياة العلمية في الحجاز في القرنين الثالث والرابع الهجريين** ، رسالة

دكتوراه ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٣م .

عبدالعظيم حامد خطاب:

١٥- **قانصوه الغوري ونهاية الدولة المملوكية في مصر والشام** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٧٣م .

عبدالله عثمان علي المنصوري:

١٦- **علم القراءات في اليمن من صدر الإسلام إلى القرن الثامن الهجري** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، ٢٠٠٢ / ٢٠٠٣م .

عبدالله علي مهيوب اليوسفي:

١٧- **الدرس النحوي في زبيد من القرن السادس حتى القرن العاشر الهجري** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٣م .

عبدالله قائد حسن العبادي:

١٨- **الحياة العلمية في مدينة زبيد في عهد الدولة الرسولية** ، رسالة ماجستير ، قسم الدراسات العليا التاريخية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .

علي بن علي بن حسين بن أحمد:

١٩- **الحياة العلمية في تعز في عصر بني رسول** ، رسالة ماجستير ، قسم الدراسات العليا التاريخية ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة أم القرى ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .

فتحي علي حسن هلال:

٢٠- **الحياة الاجتماعية والفكرية في اليمن من منتصف القرن السادس الهجري حتى منتصف القرن التاسع الهجري** ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٩٩٢م .

فضيلة عبدالأمير الشامي:

٢١- **تاريخ الفرقة الزيدية بين القرن الثاني والثالث الهجري** ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٦٩م .

محمد بن يحيى بن محمد الفيفي:

٢٢- **الأحوال السياسية في الدولة الرسولية في عهد السلطان الناصر أحمد** ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة الملك سعود ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

محمد ربيع هادي عمير المدخلي:

٢٣- **الأحوال السياسية والمظاهر الحضارية في عصر السلطان عامر بن عبدالوهاب الطاهري** ، رسالة ماجستير ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .

محمد عبدالفتاح عليان:

٢٤- **الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في عهد بني رسول** ، رسالة دكتوراة ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٣م .

محمد عبداللطيف علي أبوغانم:

الإمام محمد بن إبراهيم الوزير ومنهجه في كتابه العواصم والقواصم، رسالة ماجستير، جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، ١٩٩٩م .

محمد علي عسيري:

٢٥- **أبو الحسن الخزرجي وآثاره التاريخية** ، رسالة دكتوراة ، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٩٨٦م .

بامخرمة: أبو محمد الطيب بن عبدالله بن أحمد (٩٤٧هـ / ١٥٤٠م)

٢٦- **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر** ، الجزء الأول ، تحقيق عبدالغني الأهجري ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٢م .

٢٧- **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر** ، الجزء الثالث ، تحقيق محمد يسلم

عبدالنور ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة صنعاء ، ٢٠٠٣م .

الموزعي: محمد بن علي بن عبدالله بن إبراهيم الشهير بابن نور الدين (ت٨٢٥هـ/١٤٢٢م)

٢٨- **تيسير البيان في أحكام القرآن** ، تحقيق أحمد محمد يحيى المقـري ، رسـالة دكتوراه ، كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .

يحيى محمد حسان سنان:

٢٩- **الشعر اليمني في القرن التاسع الهجري** ، رسالة دكتوراه ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩م .

الأبحاث

د. إبراهيم خليل أحمد:

١- **مراحل الاحتلال العثماني المبكر لليمن الكبرى وردود الفعل الوطنية إزاء ذلك** ، أحد أبحاث ندوة " اليمن عبر التاريخ " عدن ، ١٩٨٩م .

د. أحمد محمد العليمي:

٢- **أعلام مدرسة الحديث في اليمن وجهودهم في حفظ السنة** ، مجلة الآداب ، جامعة الإمارات ، العدد ٥ ، ١٩٨٩م .

د. أيمن فؤاد سيد:

٣- **المدارس في مصر قبل العصر الأيوبي** ، من أبحاث ندوة تاريخ المدارس الإسلامية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

بشير حمود كاظم:

٤- **حركة الكشوف البرتغالية وأهدافها** ، ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ١٩٨٧م .

جمال قاسم:

٥- **الصراعات المحلية والدولية في البحر الأحمر** ، ضمن أبحاث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، من أبحاث الأسبوع العلمي الثالث (١٩٧٩م) ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠م ، القاهرة .

الحبشي: عبدالله محمد

٦- **علماء بني ناشر**، بحث ملحق بكتاب انتهاز الفرص في الصيد والقنص لتقي الدين حمزة الناشري ، تحقيق عبدالله محمد الحبشي ، المجمع الثقافي، أبو ظبي ، ٢٠٠٢م .

حسن محمد زيد:

محنة المطرفية وشيخ الإسلام العمري ، مجلة المسار ، مركز التراث والبحوث اليمني ، العددان (١١) و (١٢) ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

دافيد كنج:

٧- **حول تاريخ الفلك في العصر الوسيط في اليمن** ، مجلة الإكليل ، صنعاء ، العدد الأول، صفر ١٤٠٠هـ / كانون الثاني ١٩٨٠م .

سعد زغلول عبدربه:

٨- **البرتغاليون والبحر الأحمر** ، ضمن أبحاث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، من أبحاث الأسبوع العلمي الثالث (١٩٧٩م) ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠م ، القاهرة .

د. سعيد عبدالفتاح عاشور:

٩- **العلم بين المسجد والمدرسة** ، من أبحاث ندوة تاريخ المدارس الإسلامية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

د. شائف عبده سعيد:

١٠- **الحياة الاجتماعية في اليمن في عهد الدولة الرسولية** ، ضمن أبحاث ندوة الحياة العلمية والفكرية في عصر الدولة الرسولية ، جامعة عدن ، ٢٠٠١م .

د. شاكر محمود عبدالمنعم:

١١- **تحليل مصادر العسجد المسبوك للغساني** ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد العشرون ، بغداد ، ١٤٠١ه / ١٩٨١م .

١٢- **نظرة في مصنفات وموارد الخزرجي مؤرخ اليمن** ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ٢٧، السنة الثانية عشرة ، بغداد ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

١٣- **الملك الأشرف إسماعيل الغساني وجهوده الثقافية** ، مجلة المؤرخ العربي ، بغداد ، العدد ٨ ، ١٩٨٧م .

الشيحة:

١٤- **دراسة مقارنة بين المدرسة المصرية واليمنية** ، من أبحاث ندوة تاريخ المدارس الإسلامية في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

د. عبدالحيم عبدالحق سيف الدين:

١٥- **عهد المتوكل على الله العباسي بين الحقيقة التاريخية وظلم المؤرخين** ، مجلة المؤرخ العربي ، القاهرة ، عدد مارس ٢٠٠٧م .

عبدالرحمن الحضرمي:

١٦- **تهامة اليمن** ، مجلة الإكليل، صنعاء ، السنة الأولى ، العدد ٢ ، ١٩٨٠م.

عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم:

١٧- **النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني** ، ضمن أبحاث ندوة البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، من أبحاث الأسبوع العلمي الثالث (١٩٧٩م) ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٠م ، القاهرة .

د. عبدالوهاب عباس القيسي:

١٨- **المجابهة البرتغالية العثمانية في المياه العربية** ، ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ١٩٨٧م .

فالح حنظل:

١٩- **الأطماع البرتغالية في المقدسات الإسلامية** ، ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ١٩٨٧م .

محمد سالم شجاب:

٢٠- **قبيلة الزرانيق وحركتهم التاريخية** ، مجلة اليمن الجديد ، السنة ١٦، العدد ١٢، ١٩٨٧م .

د. محمد سيف النصر:

٢١- **نظرة عامة على تخطيطات المدارس اليمنية**، مجلة الإكليل ، العدد الأول ، ١٩٨٥م.

د. محمد عبداللطيف الفرفور:

٢٢- **أدب الإجازات عند المسلمين** ، مجلة الفيصل ، السعودية ، العدد ٧٩ ،

محرم ١٤٠٤هـ .

د. محمد علي العروسي:

مدارس العلوم الإسلامية في اليمن – الأيوبيون والمدارس في اليمن ، مجلة الإكليل ، صنعاء ، العدد ٢٥ ، أبريل – يونيو ، ٢٠٠١م .

د. نجاح القابسي:

٢٣- **المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي**، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٩ ، بغداد ، ١٤٠١هـ /١٩٨١م .

د. نوال النحلاوي:

٢٤- **التعريف بكتاب تسهيل المنافع في الطب والحكمة لابن الأزرق** ، مجلة الإكليل ، العدد الأول ، السنة الأولى ، يناير ١٩٨٠م .

يوسف بن علي بن رابغ الثقفي:

٢٥- **موقف المماليك ودول الخليج العربي من النفوذ البرتغالي في القرن السادس عشر الميلادي** ، ضمن أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، مركز الدراسات والوثائق ، رأس الخيمة ، ١٩٨٧م .

المراجع الأجنبية

(1) **Kamerer, M.,** La Mer Rouge L'Alyssinie L'Arabie L'antiquite, La Cairo, Memoires De La Societe De Geagraphie D, 1929 .

(2) **Miles, S. B**. The countries and Tribes of Persian Gulf, 2nd Ed, London, 1966 .

(3) **Sadek, Noha,** Patronage and architecture in Rasulid Yemen , 626-858 A.H. / 1229-1454 A.d., PH.D. thesis, the university of Toronto, Canda, 1990 .

(4) **Serjeant, R.B.,** The Portuguese off the South Arabian Coast, London, 1963 .

(5) **Smith, G. Rex**, The political history of the Islamic Yemen down to the first Turkish invasion, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997 .

(6) **Smith, G. Rex,** The Tahirid Sultan of the Yemen, in Studies in the Medieval history of the Yemen and South Arabia, Variorum, 1997 .

(7) **Sousa, M. F.,** The History of the Discovery and Conquest of India, Translated from German by John Stevens, 2nd Ed, W. Germany, 1971 .

(8) **Varisco, T. M**., Al-tawqi, at fi taqwim al-zira'a al-majhul min asr muluk Bani Rasul, in Mediaval Folk Astronomyand Agriculture in Arabia and the Yemen, Various, 1997 .

فهرس محتويات الدراسة

الفصل الثاني..

الأوضاع السياسية في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

الفصل الرابع..

نظام التعليم في اليمن من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

الفصل الخامس

العلاقات العامة للركائز البشرية للحياة العلمية في اليمن في مدة الدراسة وأدوارهم في الحياة العامة

الفصل السادس

اهتمام علماء اليمن بالعلوم الشرعية ومصنفاتهم فيها

من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

الفصل السابع

اهتمام علماء اليمن باللغة العربية وعلومها وآدابها ومصنفاتهم فيها

من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها

الفصل الثامن..

اهتمام علماء اليمن بالعلوم الاجتماعية والعقلية والتطبيقية ومصنفاتهم فيها

من بداية القرن التاسع الهجري حتى السيطرة العثمانية عليها